ذخائر العرب
٣٠

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء السابع

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

دار المعارف

تاريخ الطبري

ذخائر العرب
٣٠

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤ – ٣١٠ هـ

الجزء السابع

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الرابعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

بيان

ذكرت فى مقدمة الجزء الأوّل من هذه الطبعة ؛ أننى اتخذت النسخة المطبوعة فى أوربا أصلاً فى التحقيق ؛ باعتبارها النسخة الكاملة التى نُشرت نشراً علميًّا على أساس المخطوطات المتنوعة التى وقعت للمصححين ؛ وأثبت فى حواشيها فروق النسخ التى رجعوا إليها ؛ ولاسيّما الفروق التى لها دلالات خاصة ؛ وزدت عليها فروق النسخ التى حصلت عليها بعد ؛ مع ما عَنّ لى من التعليق والشرح والتوضيح ؛ كما أنى أثبت فى الهامش أرقام صفحاتها ، ورمزتُ إليها بالحرف (ط) .

ومن النسخ التى حصلت عليها لتحقيق هذا الجزء ؛ مما لم يرجع إليه مصححو الطبعة الأوربية ما يأتى :

١ — جزء مصور من أجزاء النسخة المخطوطة المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٢٩٢٩ ؛ وهى التى رجعت إلى بعض أجزائها فيما سبق . وقد وضعت أجزاء هذه النسخة على أساس تجزئة الناسخ ، وتقع فى خمسة عشر مجلداً ، كتب على صفحة عنوان هذا الجزء: « الجزء الحادى عشر من التاريخ تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وهو تاريخ الملوك وأنسابهم ومواليدهم والرسل وأخبارهم والكائن فى زمان كل منهم » ، والحمد لله وحده . وبآخره: « تم الجزء الحادى عشر من التاريخ بعون الله ولطفه يتلوه فى الجزء الثانى عشر سنةُ ثلاث وثلاثين ومائة» ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلم تسليماً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وعليه وقفية من المقرّ الأشرف الجمالى الأستادار ، لهذا المجلد وما قبله وما بعده ، على مدرسته التى أنشأها بخط الموازنيّين[1] فى الشارع الأعظم » ، فى سنة ٨٧٣ﻫ . وبهذا الجزء نقص فى أوله وخروم فى داخله ؛ يبدأ بحوادث سنة ١١٨ ، وينتهى بآخر حوادث سنة ١٣٢ . كتب بخط نسخى مشكول يغلب عليه الصحة

---

(١) موقعها الآن جامع الكردى بقصبة رضوان بالقاهرة .

والإتقان ، يبدو أنه فى القرن السادس . ويقع فى ٢٣٩ ورقة ؛ فى كل ورقة ١٩ سطراً ، وفى كل سطر عشر كلمات تقريباً، وقد رمزت إليه بالحرف (ا) .

٢ — جزء مصور عن أصله المخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية، ناقص من آخره؛ يبدأ بحوادث سنة ١٣٣ ، وينتهى فى أثناء الكلام على حوادث سنة ١٤٥ ، ويقع فى ١٠٠ ورقة . وعلى صفحة العنوان : « الجزء الثانى عشر من التاريخ تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . . . » ، وهو متمم للجزء السابق ؛ وعليه نفس الوقفية السابقة ؛ وبخط الناسخ نفسه . وقد رمزت لهذا الجزء بالحرف (ى) ، وبمقابلة هذا الجزء بما قبله ، والجزء الذى وصف فى مقدمة الجزء الأول ، والجزء الذى وصف فى مقدمة الجزء السادس ، يتبين أن هذه الأجزاء من نسخة واحدة؛ ولعلها كانت من كتب المحمودية التى تفرّقت على مدى الأيام شرقاً وغرباً ؛ ولم يبق منها إلا بعض الكتب والأجزاء التى يكشف عنها الزمن بين حين وحين .

٣ — جزء مصوّر عن أصله المخطوط المحفوظ بمكتبة بتنه خدابخش بالهند برقم ٣٣٣٠ ، بعنوان « الجزء الثانى عشر من كتاب التاريخ الكبير تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله » . يبدأ بأثناء الكلام على حوادث سنة ١٢٩ ، وينتهى بأثناء الكلام على حوادث سنة ١٥٨ ، وفى آخره تملك بخط محمد بن محمد بن أبى بكر مؤرخ بسنة ١٠١٩ ، ومطالعة لمحمد بن محمد الشهير بالعسكرى . ويقع فى ٢١٢ ورقة ، كتب بخط نسخى مشكول، يبدو أنه فى القرن الثامن ؛ مسطرته ١٧ سطراً ، وفى كل سطر ١١ كلمة تقريباً .

وقد رمزت إليه بالحرف (هـ) .

والله الموفق للصواب .

رجب سنة ١٣٨٤هـ
نوفمبر سنة ١٩٦٥م

محمد أبو الفضل إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة أربع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الوقعة بين الحرشيّ والسُّغْد]

فى هذه السنة كانت وقعة الحرَشىّ بأهل السُّغْد وقتله مَنْ قتل من دهاقينها

* ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فى هذه الوقعة :

ذكر علىّ عن أصحابه أن الحرشىّ غزا فى سنة أربع ومائة فقطع النهر ، وعرض الناس، ثم سار فنزل قصر الريح على فرسخين من الدَّبُوسيّة ، ولم ١٤٤٢/٢
يجتمع إليه جنده .

قال : فأمر الناس بالرّحيل ، فقال له هلال بن عُلَيم الحنظلىّ : ياهناه ، إنك وزيرًا خيرٌ منك أميرًا، الأرض حربٌ[١] شاغرة برجْلها، ولم يجتمع لك جندُك ، وقد أمرتَ بالرحيل ! قال : فكيف لى ؟ قال : تأمر بالنزول ، ففعل .

وخرج النَّيلان ابن عمّ ملك فرغانة إلى الحرشىّ، وهو نازل على مُغون[٢] فقال له : إن أهل السغد بخُجَنْدة ؛ وأخبره خبرهم[٣] وقال : عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشِّعب ، فليس لهم علينا جوار حتى يمضى الأجل . فوجّـه الحرَشىّ مع النيلان عبد الرحمن القشيرىّ وزياد بن عبد الرحمن القُشيرىّ فى جماعة ، ثم ندم على ما فعل[٤] فقال: جاءنى عِلْجٌ لا أدرى صدق أم كذب ، فغرّرتُ بجند من المسلمين. وارتحل[٥] فى أثرهم حتى نزل فى أشْرُوسَنة، فصالحهم بشىء يسير ، فبينا هو يتعشىّ إذ قيل له : هذا عطاءٌ الدّبُوسىّ – وكان فيمن وجهه مع القشيرى – ففزع وسقطت اللُّقْمة من يده ، ودعا

---

(١) ف : « جرت » .
(٢) ب : « معون » .
(٣) ابن الأثير : « بخبرهم » .
(٤) ب : « لما فعلوا » .
(٥) ب : « فارتحل » .

بعطاء ، فدخل عليه ، فقال : ويلك ! قاتلتم أحداً ؟ فقال : لا ، قال : الحمد لله، وتعشّى ، وأخبره بما قدم له عليه . فسار جوادًا[١] مغذًّا ، حتى لحق
٢/١٤٤٣ القشيريّ بعد ثالثة ، وسارَ فلما انتهى إلى خُجَنْدة ، قال للفضل[٢] بن بسّام : ما ترى ؟ قال : أرى المعاجلة ، قال : لا أرى ذلك ، إن جرح رجُلٌ فإلى أين يرجع ! أو قتل قتيل فإلى مَنْ يُحمَل ! ولكنى أرى النزول والتأنى والاستعداد للحرب ، فنزل فرفع[٣] الأبنية وأخذ فى التأهب ، فلم يخرج أحد من العدوّ ، فجبّن الناسُ الحرشيّ ، وقالوا : كان هذا يُذكر بأسه بالعراق ورأيه ، فلما صار بخراسان ماقَ[٤] . قال : فحمل رجلٌ من العرب ، فضرب باب خجندة بعمود ففُتح الباب ، وقد كانوا حفروا فى رَبَضهم وراء الباب الخارج خندقًا ، وغطّوه بقصب ، وعلّوه بالتراب مكيدة ، وأرادوا إذا التقوا إن انهزموا أن يكونوا قد عرفوا الطريق ، ويشكل على المسلمين فيسقطوا فى الخندق .

قال : فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا ، وأخطئوهم الطريق ، فسقطوا فى الخندق فأخرجوا من الخندق أربعين رجُلاً ، على الرّجل دِرْعان دِرْعان ، وحصرهم الحرشيّ ، ونصب عليهم المجانيق ، فأرسلوا إلى ملك فَرْغانة : غدرْتَ بنا ، وسألوه أن ينصرهم ، فقال لهم : لم أغير ولا أنصركم ؛ فانظروا لأنفسكم ؛ فقد أتوكم قبل انقضاء الأجل ، ولستم فى جوارى . فلما أيسوا مِن نصره طلبوا الصُّلح ، وسألوا الأمان وأن يردّهم إلى السُّغْد ، فاشترط عليهم أن يردّوا مَن
٢/١٤٤٤ فى أيديهم من نساء العرب وذراريّهم ، وأن يؤدوا[٥] ما كسروا من الخراج ، ولا يغتالوا أحداً ، ولا يتخلّف منهم بخجَندة أحد ، فإن أحدثوا حدثًا حلّت دماؤهم .

قال : وكان السّفير فيما بينهم موسى بن مشكان[٦] مولى آل بسام ،

---

(١) ف : « جراداً » .
(٢) ب : « الفضل » .
(٣) ف : « ورفع » .
(٤) ماق ، أى حمق .
(٥) ح ، ف : « يردوا » .
(٦) ح : « مسكان » ، ف : « مشكام » .

فخرج إليه كارزنج ، فقال له : إنّ لى حاجةً أحبّ أن تشفّعنى فيها ، قال : وما هى ؟ قال : أحبّ إن جنى منهم رجل جناية بعد الصلح ألاّ تأخذنى بما جنى ، فقال الحرَشىّ : ولى حاجة فاقضِها ، قال : وما هى؟ قال : لا يلحقنى فى شرَطى ما أكره . قال : فأخرجَ الملوك والتجار من الجانب الشرقىّ، وترك أهل خُجَندة الذين هم أهلها على حالهم ، فقال كارزنج للحرَشىّ: ما تصنع ؟ قال : أخاف عليكم معرّة الجند . قال : وعظماؤهم مع الحرشىّ فى العسكر نزلوا على معارفهم من الجند ، ونزل كارزنج على أيوب بن أبى حسان ، فبلغ الحرَشىّ أنهم قتلوا امرأة من نساء كنّ فى أيديهم، فقال لهم : بلغنى أن ثابتًا الأشتيخنىّ قتل امرأة ودفنها تحت حائط ، فجحدوا فأرسل الحرشىّ إلى قاضى خُجَندة، فنظروا فإذا المرأة مقتولة. قال: فدعا الحرشىّ بثابت، فأرسل كارزنج غلامَه إلى باب السرادق ليأتيَه بالخبر ، وسأل الحرشىّ ثابتًا وغيره عن المرأة ، فجحد ثابت وتيقّن الحرشىّ أنه قتلها فقتله. فرجع غلام كارزنج إليه بقتل ثابت ، فجعل يقبِض على لحيته ويقرضها بأسنانه ، وخاف كارزنج أن يستعرضهم[1] الحرشىّ ، فقال لأيوب بن أبى حسان : إنى ضيفُك وصديقك ، ١٤٤٥/٢
فلا[2] يجمل بك أن يقتل صديقك[3] فى سراويل خَلَق، قال : فخذ سراويلى . قال : وهذا لا يجمل ، أقتَل فى سراويلاتكم ! فسرّح غلامك إلى جلنج ابن أخى يجيئنى بسراويل جديد — وكان قد قال لابن أخيه : إذا أرسلت إليك أطلب سراويل فاعلم أنه القتل — فلما بعث بسراويل أخرج فرندة خضراء فقطّعها عصائبَ، وعصبها برءوس شاكريّته ، ثم خرج هو وشاكريّته ، فاعترض الناس فقتل ناسًا ، ومرّ بيحيى بن حُضَين فنفحه نفحة[4] على رجله ، فلم يزل يخمَعُ منها[5] . وتضعضع أهل العسكر ، ولقى الناس منه شرًّا؛ حتى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود فى طريق ضيق، فقتله ثابت بسيف عثمان بن مسعود . وكان فى أيدى السُّغد أسراء من المسلمين فقتلوا منهم خمسين ومائة ، ويقال : قتلوا منهم أربعين ؛ قال: فأفلت منهم غلام فأخبر

(١) ابن الأثير : « أن يقتل » .
(٢) ب : « ولا » .
(٣) ب : « ضيفك » .
(٤) نفحه ، أى ضربه .
(٥) يخمع ، أى يعرج .

الحَرَشيّ — ويقال: بل أتاه رجل فأخبره — فسألهم فجحدوا ، فأرسل إليهم مَن علم علمهم ، فوجد الخبر حقًّا ، فأمر بقتلهم ، وعزل التجار عنهم — وكان التجار أربعمائة ، كان معهم مالٌ عظيم قدِموا به من الصين — قال : فامتنع أهل السُّغد، ولم يكن لهم سلاح ، فقاتلوا بالخشَب، فقتِلوا عن آخرهم . فلما كان الغد دعا الحراثين — ولم يعلموا ما صنع أصحابهم — فكان يختم فى عُنق الرجل ويخرُج من حائط إلى حائط فيقتل ، وكانوا ثلاثة آلاف — ويقال
٢/١٤٤٦ سبعة آلاف — فأرسل جرير بن هميان والحسن بن أبى العَمَرّطة[1] ويزيدبن أبى زينب فأحصوا أموال التجار — وكانوا اعتزلوا وقالوا : لا نقاتل — فاصطفى أموال السغد[2] وذراريّهم ، فأخذمنها ما أعجبه ، ثم دعا مسلم بن بُدَيل العدوىّ ؛ عدىّ الرّباب ، فقال : قد وليتك المقسم ،قال : بعد ما عمل فيه عمالاك ليلة ! ولّه غيرى؛ فولاّه عبيد الله بن زهير بن حيّان العدوىّ ، فأخرج الخمس ، وقسّم الأموال ؛ وكتب الحرشىّ إلى يزيد بن عبد الملك ، ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة ، فكان هذا مما وجَد فيه عليه عمر بن هبيرة ، فقال ثابت قُطْنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم :

أَقَرَّ العَيْنَ مَصْرَعُ كارزنجٍ وكشِّينٍ وما لاقى بيارُ[3]
وَديْواشْنى وما لاقى جلنجٌ بحِصْنِ خُجَنْدَ إذ دَمَروا فبارُوا[4]

ويروى : «أقرّ العين مصرع كارزنج ، وكشكيش»؛ ويقال: إن ديواشنى
٢/١٤٤٧ دِهقان أهل سَمَرْقند ، واسمه ديواشنج فأعربوه ديواشنى .

ويقال : كان على أقباض خُجَنْدة عِلْباء بن أحمر اليشكرىّ، فاشترى رجل منه جُونة بدرهمين ، فوجد فيها سبائك ذهب ، فرجع وهو واضعٌ يده على عينه كأنه رمد ، فردّ الجُونة ، وأخذ الدرهمين ، فطلب فلم يوجد .

(١) ح : « العرطة» .
(٢) ب : « أموال أهل السغد » .
(٣) ابن الأثير : « بياد » .
(٤) ابن الأثير : « فبادوا » .

قال : وسرّح الحَرَشيّ سليمان بن أبى السرىّ مولى بنى عُوافة إلى قلعة لا يُطيف بها وادى السُّغد إلاّ من وجه واحد . ومعه شوكر بن حميك وخوارزم شاه وعورم صاحب أخرون وشومان ؛ فوجّه سليمان بن أبى السرىّ على مقدّمته المسيّب بن بشر الرياحىّ ، فتاقوْه من القلعة على فرسخ فى قرية يقال لها كوم ، فهزمهم المسيّب حتى ردّهم إلى القلعة فحصرهم سليمان ، ودِهْقانها يقال له ديواشنى .

قال : فكتب إليه الحَرَشىّ فعرض عليه أن يمدّه ، فأرسل إليه : ملتقانا ضيّق فسر[1] إلى كِس ؛ فإنا فى كفاية الله إن شاء الله . فطلب الديواشنى أن ينزل على حكم الحرشىّ ، وأن يوجّهه مع المسيّب بن بشر إلى الحرشىّ ، فوفى له سليمان ووجّهه إلى سعيد الحَرَشىّ ، فألطفه وأكرمه مكيدةً ، فطلب أهل القلعة الصُّلْح بعد مسيره على ألاّ يعرض لمائة أهل بيت منهم ونسائهم[2] وأبنائهم ويُسلمون القَلْعة . فكتب سليمان إلى الحرشىّ أن يبعث الأمناء فى قبض ما فى القلعة .

قال : فبعث محمدَ بن عزيز الكندىّ وعِلباء بن أحمر اليشكرىّ ، فباعوا ما فى القلعة مزايدةً ، فأخذ الخمس ، وقسم الباقى بينهم . وخرج الحرشىّ إلى كِسّ فصالحوه على عشرة آلاف رأس . ويقال : صالح دهقان كِسّ ، واسمه ويك — على ستة آلاف رأس ، يوفيه فى أربعين يومًا على ألاّ يأتيه ١٤٤٨/٢ فلما فرغ من كِسّ خرج إلى رَبِنْجَن ، فقتل الديواشنىّ ، وصلبه على ناووس وكتب على أهل ربنجن كتابًا بمائة إن فُقد من موضعه ؛ وولّى نصر بن سيار قبضَ صلح كِسّ ، ثم عزل سَوْرة بن الحرّ وولّى نصر بن سيار ، واستعمل سليمان بن أبى السرىّ على كِسّ ، ونَسَف حربها وخراجها ، وبعث برأس الديواشنى إلى العراق ، ويده اليسرى إلى سليمان بن أبى السرىّ إلى طخارستان .

قال : وكانت خُزَار منيعة ، فقال المجشّر بن مُزاحم لسعيد بن عمرو الحَرَشىّ : ألا أدلك على مَن يفتحها لك بغير قتال ؟ قال : بلى ، قال : المسرْبَل بن الخرّيت بن راشد الناجىّ ، فوجّهه إليها — وكان المسربل صديقاً لملكها ، واسم الملك سبقرى . وكانوا يحبّون المسربل — فأخبر الملك ماصنع

(١) ب : « ولكن سر » . (٢) ب : « ولا نسائهم » .

الحرشىّ بأهل خُجَنْدة وخوّفه، قال: فما ترى ؟ قال : أرى أن تنزل بأمان، قال : فما أصنع بمن لحق بى من عوامّ الناس ؟ قال : نصيّرهم معك فى أمانك،
٢/١٤٤٩ فصالحهم فآمنوه[1] وبلاده .

قال : ورجع الحَرَشىّ إلى مَرْو ومعه سبقرى، فلما نزل أسنان وقدم مهاجر بن يزيد الحَرَشىّ ، وأمره أن يوافيَه ببرذون بن كُشانيشاه قتل سبقرى وصلبه ومعه أمانه — ويقال : كان هذا دهْقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة فأخذ أمانًا لأهل السُّغد ، فحبسه الحَرَشىّ فى قهندز مَرْو ، فلما قدم مَرْوَ دعا به ، وقتله وصلبه فى الميدان ، فقال الراجز :

إذا سَعِيدٌ سارَ فى الأَخماسِ فى رَهَج يَأْخذُ بالأَنفاس

دارَتْ على التّرْكِ أَمَرُّ الكاسِ وطَارَتِ التُّرْكُ على الأَحلاسِ

* ولَّوْا فِرارًا عُطِّلَ القياسِ *

* * *

وفى هذه السنة عزَل يزيدُ بن عبد الملك عبدَالرحمن بن الضّحاك بن قيس الفهرىّ عن المدينة ومكة ، وذلك للنصف من شهر ربيع الأوّل ،وكان عاملَه على المدينة ثلاث سنين .

وفيها ولّى يزيدُ بن عبد الملك المدينة عبدَ الواحد النَّضْرىّ[2] .

ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبدَ الرحمن ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الأَعمال

وكان سبب ذلك — فيما ذكر محمد بن عمر، عن عبد الله بن محمد بن أبى
٢/١٤٥٠ يحيى — قال : خطب عبدُالرحمن بن الضّحاك بن قيس الفِهرىّ فاطمة ابنة الحسين، فقالت : والله ما أريد النكاح ، ولقد قعدت على بنىّ هؤلاء ؛

(١) ح : « فأمنه » .
(٢) ب ، ح : « البصرى » .

وجعلت تحاجزه وتكره أن تنابذه لما تخاف منه . قال : وألحّ عليها وقال : والله لئن لم تفعلى لأجلدنّ أكبر بنيك فى الخمر – يعنى عبد الله بن الحسن – فبينا هو كذلك ؛ وكان على ديوان المدينة ابن هرمز (رجل من أهل الشام) ، فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه ، ويدفع[1] الديوان ، فدخل على فاطمة بنت الحسين يودّعها ، فقال : هل من حاجة ؟ فقالت : تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضّحاك ، وما يتعرّض منّى . قال : وبعثت رسولاً بكتاب إلى يزيد تخبره وتذكر قرابتها ورحمها ، وتذكر ما ينال ابنُ الضحاك منها ، وما يتوعّدها به .

قال : فقدم ابن هرمز والرّسول معًا . قال : فدخل ابن هرمز على يزيد ، فاستخبره عن المدينة ، وقال : هل كان من مغرّبة خبر ؟ فلم يذكر ابن هُرمز من شأن ابنة الحسين ، فقال الحاجب : أصلح الله الأمير ! بالباب رسول فاطمة بنت الحسين ، فقال ابن هرمز : أصلح الله الأمير ! إنّ فاطمة بنت الحسين يوم خرجت حمّلتنى[2] رسالة إليك ، فأخبره الخبر . ١٤٥١/٢

قال : فنزل من أعلى فراشه، وقال: لا أمّ لك! ألم أسألك هل من مغرّبة خبر ، وهذا عندك[3] لا[4] تخبرنيه[5]! قال: فاعتذر بالنسيان . قال : فأذن للرسول فأدخله ، فأخذ الكتاب ، فاقترأه . قال : وجعل[6] يضرب بخيزران فى يديه[7] وهو يقول : لقد اجترأ ابن الضّحاك ! هل من رجل يُسمعنى صوته فى العذاب وأنا على فراشى؟ قيل له: عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النّضْرىّ . قال : فدعا بقرطاس ، فكتب بيده :

إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النّضْرىّ وهو بالطائف : سلام عليك ؛ أما بعد فإنى قد ولّيتُك المدينة ، فإذا جاءك كتابى هذا فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك ، وأغرِمْه أربعين ألف دينار ، وعذّبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشى .

قال : وأخذ البريد الكتاب ، وقدِم به المدينة ، ولم يدخل على ابن الضّحاك

(١) ب : « ويحمل » .
(٢) ب : « حملتنى يوم خرجت » .
(٣) ح : « معك » .
(٤) ب : « فلا » .
(٥) ح : « تخبرنى إياه» .
(٦) ب : « فجعل » .
(٧) ف وابن الأثير : « يده » .

وقد أوجستْ نفس ابن الضحاك ، فأرسل إلى البريد ، فكشف له عن طرف المفرش ، فإذا ألف دينار ، فقال: هذه ألف دينار لك ولك العهد والميثاق ؛ لئن أنت أخبرتنى خبرَ وجهك هذا دفعتُها إليك ، فأخبره ، فاستنظر البريد
٢/١٤٥٢ ثلاثًا حتى يسير ، ففعل . ثم خرج ابنُ الضحاك ، فأغذّ السَّيْر حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك ، فقال : أنا فى جوارك ، فغدا مسلمة على يزيد فرقّقه[1] وذكر حاجة جاء لها[2] ، فقال : كلّ حاجة تكلمت فيها هى فى يدك ما لم يكن ابن الضحاك ، فقال : هو والله ابن الضّحاك! فقال : والله لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل ، قال : فردّه إلى المدينة إلى النَّضْرىّ .

قال عبد الله بن محمد: فرأيتُه فى المدينة[3] عليه جُبّة من صوف يسأل الناس ، وقد عذّب ولقى شرًّا ، وقدم النَّضْرىّ يوم السبت للنصف من شوال سنة أربع ومائة .

قال محمد بن عمر : حدّثنى إبراهيم بن عبد الله بن أبى فَرْوة ، عن الزّهرىّ ، قال : قلت لعبد الرحمن بن الضحاك : إنك تقدم على قومك وهم ينكرون[4] كلّ شىء خالف فعلهم ، فالزم ما أجمعوا عليه ،وشاور القاسم ابن محمد وسالم بن عبد الله ؛ فإنهما لا يألوانك رشداً . قال الزهرىّ: فلم يأخذ بشىء من ذلك،وعادى الأنصار طرًّا،وضرب أبا بكر بن حزم ظلمًا وعدوانًا فى باطل، فما بقى منهم شاعر إلا هجاه،ولا صالح إلاّ عابه وأتاه بالقبيح ، فلما ولى هشام رأيتُه ذليلاً .

وولى المدينة عبد الواحد بن عبدالله بن بِشْر فأقام بالمدينة لم يقدم عليهم وال أحبّ عليهم منه،وكان يذهب مذاهب الخير ، لا يقطع أمراً إلا استشار فيه القاسم وسالماً[5] .

* * *

٢/١٤٥٣ وفى هذه السنة غزا الجرّاح بن عبد الله الحكَمىّ — وهو أمير على أرمينيَة وأذْرَبيجان — أرضَ الترك ففُتح على يديه بَلَنْجَر،وهزم الترك وغرّقهم وعامة

(١) ب : « فرفقه » . (٢) ب : « بها » .
(٣) ف : « بالمدينة » . (٤) ب : « ينظرون » .
(٥) فى ابن الأثير : « القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر » .

ذراريّهم[1] فى الماء ، وسبوا ما شاءوا ، وفتح الحصون التى تلى بَلَنْجر وجلا عامة أهلها .

وفيها ولد — فيما ذكر — أبوالعباس عبد الله بن محمد بن علىّ فى شهر ربيع الآخر .

وفيها دخل أبو محمد الصادق وعِدّة من أصحابه من خُراسان إلى محمد ابن علىّ ، وقد ولد أبو العباس قبل ذلك بخمس عشرة ليلة ، فأخرجه إليهم فى خِرْقة ، وقال لهم : والله ليتمنّ هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوّكم .

* * *

وفى هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحَرَشىّ عن خُراسان ، وولّاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة الكلابىّ

ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيدَ بن عمرو الحَرَشىّ عن خراسان

ذُكر أنّ سبب ذلك كان من موجِدة[2] وجَدها عمر علَى الحَرَشىّ فى أمر الديواشنىّ ، وذلك أنه كان كتب إليه يأمره بتخليته وقتله ، وكان[3] يستخفّ بأمر ابن هبيرة ، وكان البريد والرّسول[4] إذا ورد من العراق قال له : كيف أبو المثنّى ؟ ويقول لكاتبه : اكتب إلى أبى المثنّى ٢/١٤٥٤
ولا يقول : « الأمير » ، ويكثر أن يقول : قال أبو المثنّى وفعل أبو المثنّى ، فبلغ ذلك ابن هبيرة فدعا جُمَيل بن عمران ، فقال له : بلغنى أشياء عن الحَرَشىّ ، فاخرج إلى خراسان ، وأظهر أنك قدمت[5] تنظر فى الدواوين ، واعلم لى علمه. فقدِم جُميل ، فقال له الحَرَشىّ : كيف تركت أبا المثنى ؟ فجعل ينظر فى الدواوين . فقيل للحَرَشىّ : ما قدم جميل لينظر فى الدواوين ، وما قدم إلا ليعلم عِلْمَك ، فسمّ بِطّيخةً ، وبعث بها إلى جميل ، فأكلها فمرض ،

(١) ح : « وذراريهم » .
(٢) ب : « كان موجدة » .
(٣) ب : « وإنه كان » .
(٤) ف : « أو الرسول » .
(٥) ب : « خرجت » .

وتساقط شَعره ، ورجع إلى ابن هبيرة ، فعولج واستبلّ[١] وصحّ ، فقال لابن هبيرة : الأمر أعظم مما بلغك ؛ ما يرى سعيد إلاّ أنك عامل من عماله . فغضب عليه وعزله وعذبه، ونفخ فى بطنه النمل[٢]، وكان يقول حين عزله : لو سألنى عُمر درهمًا يضعه فى عينه ما أعطيته ؛ فلما عذب أدّى ، فقال له رجل : ألم تزعم أنك لا تعطيه درهمًا ! قال : لا تعنّفنى ؛ إنه لما أصابنى الحديد جزعت ، فقال أذَينة بن كليب — أو كليب بن أذيْنة :

تصَبّرْ أبا يحيى فقَدْ كنْتَ — علمْنا — صَبُورًا وَنَهَّاضاً بِثِقْلِ المغارِمِ

وقال علىّ بن محمد: إنّما غضب عليه ابن هبيرة أنه وجه معقل بن عروة
٢/١٤٥٥ إلى هـَرَاة ؛ إما عاملا وإما فى غير ذلك من أموره ، فنزل قبل أن يمرّ على الحَرَشىّ ، وأتى هـَراة ، فلم ينفذ له ما قدم فيه ، وكتب إلى الحَرَشىّ ، فكتب الحَرَشىّ إلى عامله: أن احمل إلىّ معقلا ، فحمله، فقال له الحَرَشىّ : مامنعك من إتيانى قبل أن تأتى هـَراة ؟ قال: أنا عامل لابن هـُبيرة ولاّنى كما ولاّك، فضربه مائتين وحلّقه[٣]. فعزله ابن هبيرة ، واستعمل على خـُراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة ، فكتب إلى الحَرَشى يلحّنه ، فقال سعيد : بل هو ابن اللّخناء . وكتب إلى مسلم أن احمِل إلىّ الحَرَشىّ مع معقِل بن عروة، فدفعه إليه ، فأساء به وضيّق عليه ، ثم أمره يومًا فعذّبه، وقال: اقتله بالعذاب . فلما أمسَى ابن هـُبيرة سمـَر فقال : مَنْ سيد قيس ؟ قالوا : الأمير ، قال : دعوا هذا، سيّد قيس الكَوْثر بن زفر ، لو بوّق بليلٍ لوافاه عشرون ألفًا ، لا يقولون : لم[٤] دعوتنا ولا يسألونه ، وهذا الحمار الذى فى الحبْس — قد أمرت بقتله — فارسُها؛ وأما خيرُ قيس لها فعسَى أن أكونه؛ إنه لم يعرض إلىّ أمرٌ أرى أنى أقدر فيه على منفعة وخير إلا جررته[٥] إليهم ، فقال له أعرابىّ من بنى فزارة : ما أنت كما تقول ، لو كنتَ كذلك ما أمرت بقتل فارسها . فأرسل إلى معقل أن كـُفّ عما كنتُ أمرتك به .

---

(١) استبل ، أى برئ وشفى .
(٢) النمل هنا : بثور صغار مع ورم يسير .
(٣) حلقه : وسمه بحلقة فى فخذه .
(٤) ط : « لما » .
(٥) ح : « لأجزرته » .

قال علىّ : قال مسلم بن المغيرة : لمّا هرب ابنُ هبيرة أرسل خالد فى طلبه ٢/١٤٥٦
سعيد بن عمرو الحرَشىّ ، فلحقه بموضع من الفُرات يقطعه إلى الجانب الآخر فى سفينة ، وفى صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له قُبَيض ، فعرَفه الحرَشىّ فقال له: قُبيض ؟ قال : نعم ، قال : أفى السفينة أبو المثنى ؟ قال : نعم . قال : فخرج إليه ابنُ هبيرة ، فقال له الحرَشىّ : أبا المثنى ، ما ظنُّك بى ؟ قال : ظنى بك أنك لا تدفع رجلا من قومك إلى رجل من قريش ، قال : هو ذاك ، قال : فالنّجاء .

قال علىّ : قال أبو إسحاق بن ربيعة : لما حبس ابن هبيرة الحرَشىّ دخل عليه معقل بن عروة القُشيرىّ ، فقال : أصلح الله الأمير ! قيّدت فارس قيس وفضحته ، وما أنا براضٍ[1] عنه ؛ غير أنى لم أحبّ أن تبلغ منه[2] ما بلغت ، قال : أنت بينى وبينه ، قدمتُ العراق فوليته البصرة ، ثم وليته خراسان ، فبعث إلىّ ببرذون حطِم[3] واستخفّ بأمرى ، وخان فعزلتُه ، وقلت له : يابن نَسْعة ، فقال لى : يابن بُسرة . فقال معقل : وفعل ابن الفاعلة ! ودخل على الحرَشىّ السجن ، فقال : يابن نَسعة ، أمك دخلت واشتُريت بثمانين عنْزاً جربًا ، كانت مع الرّعاء ترادفها[4] الرجال[5] مطية الصادر والوارد[6] ، تجعلها نداًّ لبنت الحارث بن عمرو بن حرَجة ! وافترى ٢/١٤٥٧
عليه ، فلما عزِل ابن هبيرة ، وقدم[7] خالد العراق استعدَى الحرَشىّ على معقل ابن عروة ، وأقام البيّنة أنه قذفه ، فقال للحرَشىّ : اجلده ، فحدّه ، وقال : لولا أنّ ابن هبيرة وهّن فى عضدى لنقبت عن قلبك ، فقال رجل من بنى كلاب لمعقل : أسأتَ إلى ابن عمك وقذفتَه ، فأداله الله منك ، فصرتَ لا شهادةَ لك فى المسلمين ، وكان معقِل حين ضرِب الحدّ قذف الحرَشىّ أيضًا ، فأمر خالد بإعادة الحدّ ، فقال القاضى : لا يُحدّ . قال : وأمّ عمر ابن هبيرة بُسرة بنت حسان ، عدويّة من عدىّ الرِّباب .

---

(١) ب : « عنه براض » .
(٢) ب : « يبلغ به » .
(٣) الحطم : داء فى قوائم الدابة .
(٤) ف : « يرادّ فيها » .
(٥) ط : « الرعاء » .
(٦) ب : « الوارد والصادر » .
(٧) ح : « ودخل » .

[ولاية مسلم بن سعيد على خراسان]

وفى هذه السنة ولّى عمرُ بن هبيرة مسلمَ بن سعيد بن أسلم بن زُرعة بن عمرو بن خُوَيْلِد الصَّعِق خراسان بعد ما عزل سعيد بن عمرو الحَرَشىّ عنها .

* ذكر الخبر عن سبب توليته إياها :

ذكر علىّ بن محمد أنّ أبا الذيّال وعلىّ بن مجاهد وغيرهما حدّثوه ، قالوا : لما قتِل سعيد بن أسلم ضمّ الحجّاج ابنَه مسلم بن سعيد مع ولده ، فتأدّب ونَبُل ، فلما قدِم عدىّ بن أرطاة أراد أن يولِّيَه ، فشاور كاتبه ،
٢/١٤٥٨ فقال : ولّه ولايةً خفيفة ثم ترفعه ، فولاّه ولاية ، فقام بها وضبطها وأحسن ؛ فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الأموال إلى الشام ، فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يولّيَه ولاية ، فدعاه ولم يكن شاب بعد ، فنظر فرأى شيبةً فى لحيته ، فكبّر .

قال : ثم سمر[1] ليلة ومسلم فى سَمَرِه ، فتخلّف مسلم بعدالسُّمّار ، وفى يد ابن هبيرة سفَرْجلة ، فرمى بها ، وقال : أيسُرّك[2] أن أولّيَك خراسان ؟ قال : نعم ، قال : غدوة إن شاء الله . قال : فلما أصبح جلس ، ودخل الناس ؛ فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده ، وأمره بالسير ، وكتب إلى عمال الخراج أن يكاتبوا مسلم بن سعيد ، ودعا بجبَلة بن عبد الرحمن مولَى باهلة فولاّه كِرْمان ، فقال جبلة : ما صنعت بى المولوّية ! كان مسلم يطمع[3] أن ألِىَ ولايةً عظيمة فأولِّيه كورة ، فعُقد له على خُراسان وعقد لى على كرمان ! قال : فسار مسلم فقدم خراسان فى آخر سنة أربع ومائة — أو ثلاث ومائة — نصف النهار ، فوافق باب دار الإمارة مغلقًا ، فأتى دار الدوابّ فوجد الباب مغلقًا فدخل المسجد ، فوجد باب المقصورة مغلقًا ، فصلى . وخرج وصيفٌ من باب المقصورة فقيل له : الأمير ، فمشى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالى فى دار الإمارة ، وأعلِم الحَرَشىّ ، وقيل له : قدم مسلم بن سعيد ابن أسلم ، فأرسل إليه : أقدمت أميراً أو وزيراً أو زائراً ؟ فأرسل إليه : مثلى
٢/١٤٥٩ لا يقدم خراسان زائراً ولا وزيراً ، فأتاه الحَرَشىّ فشتمه وأمر بحبسه ، فقيل له : إن أخرجته نهاراً قتِل ، فأمر بحبسه عنده حتى أمسى ، ثم حبسه ليلا .

(١) ح : « سهر » . (٢) ح : « أبشرك » . (٣) كذا فى ب ، وفى ط : « ينبغى يطمع ».

وقيّده ، ثم أمر صاحب السجن أن يزيده قَيْداً . فأتاه حزينًا، فقال : مالك ؟ فقال : أُمِرْتُ أن أزيدك قيداً ، فقال لكاتبه : اكتب إليه : إنّ صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيدنى قيداً ، فإن كان أمرًا ممن فوقك فسمعا وطاعةً ، وإن كان رأيًا رأيته فسيرك الحَقْحقة(١) ، وتمثّل :

هُمُ إن يَثْقفونى يقتلونى ومن أَثْقفْ فليس إلى خلود(٢)

ويروى :

فإمـــا تَثقَفُونى فاقتلونى فَمَن أَثقفْ فليس إلى خُلود
هُمُ الأَعداءُ إن شَهِدُوا وغابوا أُولو الأَحقَادِ والأَكبادُ سودُ
أَرِيغُونى إِرَاغَتَـكُمْ فإنى وَحَذْفَةَ كالشَجَا تحتَ الوريدِ

ويروى : « أريدونى إرادتكم » .

قال : وبعث مسلم على كُوره رجلا من قِبَله على حربها .

قال : وكان ابنُ هبيرة حريصًا ، أخذ قَهرمانًا(٣) ليزيد بن المهلب ، له علم بخراسان وبأشرافهم(٤) ، فحبسه فلم يَدَع منهم شريفًا إلاّ قَرَفه(٥) ، فبعث أبا عبيدة العنبرىّ ورجلا يقال له خالد ، وكتب إلى الحَرَشِىّ وأمره أن ٢/١٤٦٠ يدفع الذين سمّاهم إليه يستأديهم فلم يفعل ، فردّ رسول ابن هُبيرة ، فلما استعمل ابن هبيرة مسلم بن سعيد أمره بجباية تلك الأموال، فلمّا قدم مسلم أراد أخذ الناس بتلك الأموال التى قرفت(٦) عليهم ، فقيل له : إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار ، وإن لم تعمل فى هذا حتى توضَع عنهم فسدَتْ عليك وعليهم خراسان ؛ لأنّ هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قُرِفوا بالباطل؛ إنما كان على مِهْزَم بن جابر ثلثمائة ألف فزادوا مائة ألف فصارت أربعمائة ألف ، وعامّة من سُمّوا لك ممن كثر عليه بمنزله .

(١) الحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر .
(٢) من أبيات لخالد بن جعفر بن كلاب ، ذكرها صاحب الأغانى فى ١١ : ٨٣ ،وفى اللسان : ثقفته ثقفًا ، أى صادفته .
(٣) ب : « ترجمانًا » . (٤) ب : « بأهل خراسان وأشرافهم » .
(٥) قرفه : اتهمه ورماه . (٦) ط : « قرفت » ، وأثبت ما فى الأصول .

فكتب مسلم بذلك إلى ابن هُبيرة ، وأوفد وفداً فيهم مِهْزَم بن جابر ، فقال له مِهْزم بن جابر : أيها الأمير، إنّ الذى رُفع إليك الظلم والباطل، ما علينا من هذا كله لو صدق إلا القليلالذى لو أخِذنا به أدّيناه، فقال ابن هبيرة : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ ، فقال:اقرأ ما بعدها : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (١) . فقال ابن هبيرة : لا بُدّ من هذا المال ، قال : أما والله لئن أخذته لتأخذنّه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم فى عدوّك ، وليضرّنّ ذلك بأهل خراسان فى عدّتهم وكُراعهم وحَلْقتهم ؛ ونحن فى ثغر نُكابد فيه عدوًّا لا ينقضى
٢/١٤٦١ حربهم ؛ إنّ أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدؤه إلى جلده ، حتى إن الخادم التى تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاها وعن الرجل الذى تخدُمه لريح الحديد ؛ وأنتم فى بلادكم متفضّلون فى الرِّقاق وفى المعصفرة؛ والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام فى المغازى ؛ وقِبَلنا قوم قدِموا علينا من كلّ فجّ عميق، فجاءوا على الحُمُرات، فوُلّوا الولايات ، فاقتطعوا الأموال ؛ فهى عندهم موفَّرة جمة .

فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بن سعيد بما قال الوفد ، وكتب إليه أن استخرج هذه الأموال ممن ذكَر الوفد أنها عندهم . فلما أتى مسلمًا كتابُ ابن هبيرة أخذ أهلَ العهد بتلك الأموال ، وأمر حاجب بن عمرو الحارثىّ أن يعذّبهم ، ففعل وأخذ منهم ما فرّق عليهم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النَّضْرىُّ ؛ كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ .

وكان العامل على مكة والمدينة والطائف فى هذه السنة عبدُ الواحد بن عبد الله النَّضْرىّ ، وعلى العراق والمشرق عمر بن هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكِندىّ ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يَعْلَى .

---

(١) سورة النساء آية ٥٨ .

ثم دخلت سنة خمس ومائة ١٤٦٢/٢

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة الجرّاح بن عبد الله الحَكَمىّ اللّان؛ حتى جاز ذلك إلى مدائن وحصون من وراء بَلَنْجَر ، ففتح بعض ذلك ، وجلّى[1] عنه بعض أهله ، وأصاب غنائم كثيرة .

وفيها كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرضَ الروم ، فبعث سريّة فى نحو من ألف مقاتل ، فأصيبوا –فيما ذكر– جميعًا .

وفيها غزا مسلم بن سعيد الترك ، فلم يفتح شيئًا ، فقفل[2] ثم غزا أفشينة (مدينة من مدائن السُّغد) بعد فى هذه السنة ، فصالح ملكها وأهلها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علىّ بن محمد عن أصحابه ، أنّ مسلم بن سعيد مَرْزَبَ بهرام سيس فجعله المرزبان . وأنّ مسلمًا غزا فى آخر الصيف من سنة خمس ومائة، فلم يفتح شيئًا وقفل ، فاتّبعه الترك فلحقوه ، والنّاس يعبرون نهر بلْخ وتميم على الساقة ، وعبيد الله بن زهير بن حيّان على خيل تميم، فحاموا عن الناس حتى عبروا . ومات يزيد بن عبد الملك ، وقام[3] هشام، وغزا مسلم أفشين ١٤٦٣/٢
فصالَح ملكها[4] على ستة آلاف رأس ، ودفع إليه القلعة ، فانصرف لتمام سنة خمس ومائة .

* * *

[ذكر موت يزيد بن عبد الملك]

وفى هذه السنة[5] مات الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مرْوان ، لخمس ليال بقين من شعبان منها؛ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ .

---

(١) ب : « وخلى » .
(٢) ب : « وقفل » .
(٣) ب : « وولى هشام » .
(٤) ب وابن الأثير : « أهلها » .
(٥) ب : « وفيها » .

وقال الواقدىّ : كانت وفاته ببلْقاء من أرض دمشق ، وهو يوم مات ابن ثمان[١] وثلاثين سنة .

وقال بعضهم : كان ابنَ أربعين سنة .

وقال بعضهم : ابن ست وثلاثين سنة ؛ فكانت خلافته فى قول أبى معشر وهشام بن محمد وعلىّ بن محمد أربعَ سنين وشهراً ، وفى قول الواقدىّ أربع سنين .

وكان يزيد بن عبد الملك يكنّى أبا خالد ؛ كذلك قال أبو معشر وهشام ابن محمد والواقدىّ وغيرهم .

وقال علىّ بن محمد : توفِّىَ يزيد بن عبد الملك وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة فى شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة خمس ومائة .

وقال : ومات بأربَد من أرض البلقاء ، وصلّى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهشام بن عبد الملك يومئذ بحِمْص ؛ حدثنى بذلك عمر ابن شبّة ، عن علىّ .

وقال هشام بن محمد : توفّى يزيد بن عبد الملك، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

قال علىّ : قال أبو ماوية أو غيره من اليهود ليزيد بن عبد الملك : إنك
٢/١٤٦٤ تملك[٢] أربعين سنة ، فقال رجل من اليهود : كذب لعنه الله ، إنما رأى أنه يملك أربعين قَصَبَة ، والقصبة شهر ، فجعل الشهر سنة .

* * *

ذكر بعض سيره وأموره

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : كان يزيد بن عاتكة من فِتْيانهم ، فقال يوماً وقد طرب ، وعنده حبَابة وسلاّمة : دعونى أطير ، فقالت حبَابة: إلى من تَدَعُ الأمّة ! فلما مات قالت سلاّمة القَسّ :

---

(١) ب : « ومات وهو ابن » . (٢) ب : « تمكث » .

لا تَلُمْنـــا إن خَشَعنَا أو هَممْنَا بالخشوعِ[1]
قد لَعَمْرى بتُّ لَيـلى كأَخى الدَّاءِ الوَجيعِ
ثم باتَ الهمُّ منّى دونَ مَنْ لِى من ضَجيعِ[2]
للذى حلَّ بنا اليو مَ من الأَمرِ الفَظِيعِ
كلَّما أَبَصرْتُ رَبْعاً خاليًا فاضَتْ دُمُوعى
قد خلا من سيِّدٍ كا نَ لنا غيرَ مُضيعِ

ثم نادت : وا أمير المؤمنيناه ! والشعر لبعض الأنصار .

قال علىّ : حجّ يزيد بن عبد الملك فى خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حَبابة — وكان اسمها العالية — بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل ابن حُنيف ، فقال سليمان : هممت أن أحجر على يزيد؛ فردّ يزيد حَبابة فاشتراها رجل من أهل مصر ، فقالت سَعْدة ليزيد : يا أمير المؤمنين ، هل
٢/١٤٦٥ بقى من الدنيا شىء تتمناه بعد ؟ قال : نعم حَبابة ، فأرسلت سَعدة رجلا فاشتراها بأربعة آلاف دينار ، وصنّعتها[3] حتى ذهب عنها كَلال السفر ، فأتت بها يزيد ، فأجلستها من وراء السّتر ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أبقى شىء من الدنيا تتمناه ؟ قال : ألم تسأليني عن هذا مرّة فأعلمتُك ! فرفعت السّتر ، وقالت : هذه حَبَابة ، وقامت وخلّتها عنده ، فحظيت سَعْدة عند يزيد وأكرمها وحباها . وسَعدة امرأة يزيد ، وهى من آل عثمان ابن عفان[4].

قال علىّ عن يونس بن حبيب : إن حبابة جارية يزيد بن عبد الملك غنّت يومًا :

بين التراقى واللهاةِ حرارَةٌ ما تطمئنّ وَمَا تَسُوغُ فَتَبرُدُ

---

(١) الأغانى ٨ : ٣٤٦ — ٣٤٨ ، قال : « والشعر للأحوص والنوح لمعبد ، صنعه لسلامة وناحت به على يزيد » .
(٢) فى رواية الأغانى :

ونجى الهم مِنّى بات أدنَى من ضلوعى

(٣) صنعتها ؛ أى زينتها ونظفتها .
(٤) الخبر فى الأغانى ١٥ : ١٢٤ ؛ مع اختلاف فى الرواية .

فأهوى ليطير فقالت : ياأمير المؤمنين ، إن لنا فيك حاجة(١) ، فرضت وثقلت(٢) ، فقال : كيف أنت يا حبابة ؟ فلم تجبه ، فبكى وقال :

لئن تَسلُ عنكِ النفسُ أو تَذهَل الهوى(٣) فباليأْس يَسلُو القلب لَا بالتَّجلّدِ

وسمع جارية لها تتمثل :

كفى حَزَناً بِالهائِم الصَّبّ أن يَرَى منازل مَن يَهوَى مُعطَّلَةً قَفْرَا

فكان يتمثّل بهذا .

١٤٦٦/٢ قال عمر : قال علىّ : مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حَبابة سبعة أيام لا يخرج إلى الناس ؛ أشار عليه بذلك مَسلمة ، وخاف أن يظهر منه شيء يسفهه عند الناس .

(١) ح : « لحاجة » .
(٢) ثقلت ، أى اشتد مرضها .
(٣) يقال : ذهل الشيء وعن الشيء ، أى تركه . وفى ب : « تدع الهوى » .

خلافة هشام بن عبد الملك

وفى هذه السنة استُخلف هشام بن عبد الملك لليالٍ بقين من شعبان منها، وهو يوم استخلف ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر .

حدثنى عمر بن شبَّة ، قال : حدثنى علىّ ، قال : حدّثنا أبو محمد القرشىّ وأبو محمد الزيادىّ والمنهال بن عبد الملك وسُحَيم بن حفص العَجيفىّ ، قالوا: وُلد هشام بن عبد الملك عامَ قُتِل مُصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين. وأمّه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وكانت حمقاء ، أمرها أهلها ألاّ تكلم عبد الملك حتى تلد ، وكانت تثنِى الوسائد وتركب الوِسادة وتزجرها كأنها دابّة ، وتشترى الكُنْدُر (١) فتمضغه وتعمل منه تماثيل ، وتضع التماثيل على الوسائد (٢)، وقد سمّت كل تمثال باسم جارية،وتنادى: يا فلانة ويا فلانة؛ فطلقها عبد الملك لحمقها . وسار عبد الملك إلى مُصعب فقتله ، فلما قتله بلغه مولد هشام ، فسمّاه منصوراً، يتفاءل بذلك ، وسمّته أمه باسم أبيها هشام ، فلم ينكر ذلك عبد الملك ، وكان هشام يكنى أبا الوليد .

وذكر محمد بن عمر عمّن حدّثه أنّ الخلافة أتت هشاماً وهو بالزّيتونة ١٤٦٧/٢
فى منزله فى دُويرة له هناك .

قال محمد بن عمر : وقد رأيتها صغيرة ، فجاءه البريد بالعصا والخاتم، وسلّم عليه بالخلافة ، فركب هشام من الرُّصافة حتى أتى دمشق .

* * *

وفى هذه السنة قدم بكيْر بن ماهان من السِّند — وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجماناً له — فلما عزل الجنيد بن عبد الرحمن ، قدم الكوفة ومعه أربع لبِنات من فضة ولبِنة من ذهب ، فلقى أبا عكْرمة الصادق وميسرة ومحمد بن خنيس وسالماً الأعين وأبا يحيى مولى بنى سلمة ؛ فذكروا له أمر

---

(١) الكندر : اللبان . (٢) ب : « الوسادة » .

دعوة بنى هاشم ، فقبِل ذلك ورضيَه، وأنفق ما معه عليهم ، ودخل إلى محمد ابن علىّ. ومات ميسرة فوجه محمد بن علىّ بُكَير بن ماهان إلى العراق مكان ميسرة ، فأقامه مقامه .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، والنضرىّ على المدينة .

قال الواقدىّ : حدّثنى إبراهيم بن محمد بن شُرحبيل ، عن أبيه ، قال : كان إبراهيم بن هشام بن إسماعيل حجّ، فأرسل إلى عطاء بن [أبى] رباح : متى أخطب بمكة ؟ قال: بعد الظهر ،قبل الترْوية بيوم ، فخطب قبلَ الظهر ، وقال : أمرنى رسولى بهذا عن عطاء ، فقال عطاء : ما أمرتُه إلاّ بعد الظهر ، قال : فاستحيا إبراهيم بن هشام يومئذ ، وعدّوه منه جهلا .

* * *

[ذكر ولاية خالد القسرىّ على العراق]

وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عمرَ بن هُبيرة عن العراق وما كان ١٤٦٨/٢ إليه من عمل المشرق. وولّى ذلك كلّه خالد بن عبد الله القسرىّ فى شوال .

ذكر محمد بن سلام الجُمحىّ ، عن عبد القاهر بن السرىّ ، عن عمر بن يزيد بن عمير الأسيّدىّ [١] قال : دخلت على هشام بن عبد الملك، وعنده خالد بن عبد الله القسرىّ ، وهو يذكر طاعة أهل اليمن ، قال : فصفّقت تصفيقةً بيدى دقّ الهواء منها،فقلت : تالله ما رأيتُ هكذا خطأ ولا مثله خَطَلاً ! والله ما فتِحَتْ فتنة فى الإسلام إلا بأهل اليمن،هم قتلوا أميرَ المؤمنين عثمان ، وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك ، وإنّ سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب . قال : فلما قمت تبعنى رجلٌ من آل مروان كان حاضراً ، فقال : يا أخا بنى تميم ، ورتْ بك زِنادى ، قد سمعت مقالتك، وأمير المؤمنين مولٍّ خالداً العراق ، وليست لك بدار .

---

(١) فى ابن الأثير : «الأسيدى ، بضم الهمزة وتشديد الياء ؛ هكذا يقول المحدثون ، وأما النحاة فإنهم يخففون الياء؛ وهى عند الجميع نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم بضم الهمزة وتشديد الياء».

ذكر عبد الرزاق أنّ حماد بن سعيد الصنعانيّ أخبره قال : أخبرني زياد ابن عبيد الله ، قال : أتيت الشّأم ، فاقترضت ؛ فبينا أنا يومًا على الباب باب هشام ، إذ خرج عليّ رجل من عند هشام ، فقال لي : ممّن أنت يا فتى ؟ قلت : يمانٍ ، قال : فمن أنت ؟ قلت : زياد بن عبيد الله بن عبد المدان ، قال : فتبسم ، وقال : قم إلى ناحية العسكر فقل لأصحابي : ارتحلوا
٢ / ١٤٦٩ فإنّ أمير المؤمنين قد رضي عني ، وأمرني بالمسير ، ووكّل بي من يخرجني قال : قلت : مَنْ أنت يرحمك الله ؟ قال : خالد بن عبدالله القسريّ ، قال : ومُرْهم يا فتى أن يعطوك منديل ثيابي وبرْذوني الأصفر . فلما جُزْت قليلاً ناداني ، فقال : يا فتى ، وإن سمعت بي قد وُلّيت العراق يومًا فالحق بي . قال : فذهبتُ إليهم ، فقلت : إنّ الأمير قد أرسلني إليكم بأنّ أمير المؤمنين قد رضي عنه ؛ وأمره بالمسير . فجعل هذا يحتضنني وهذا يقبّل رأسي ، فلما رأيتُ ذلك منهم ، قلت : وقد أمرني أن تعطوني منديل ثيابه وبِرْذونه الأصفر ، قالوا : إي والله وكرامةً ، قال : فأعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر ، فما أمسى بالعسكر أحد أجودَ ثيابًا[1] منّي ، ولا أجوَد مركبا منّي ، فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل : قد وُلّيَ خالد العراق ، فركبني من ذلك همّ ، فقال لي عريف لنا : ما لي أراك مهمومًا ! قلت : أجل قد وُلّي خالد كذا وكذا ، وقد أصبتُ ها هنا رُزَيقا عشت به ، وأخشى أن أذهب إليه فيتغيّر عليّ فيفوتني ها هنا وها هنا ، فلست أدري كيف أصنع ! فقال لي : هل لك في خصلة ؟ قلت : وما هي ؟ قال : توكّلني بأرزاقك وتخرج ، فإن أصبتَ ما تحبّ فلي أرزاقك ، وإلاّ رجعتَ فدفعتها إليك ، فقلت نعم .

وخرجت ، فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي. وأذِن للناس ، فتركتُهم حتى أخذوا مجالسَهم ، ثم دخلت فقمت بالباب ، فسلمت ودعوت وأثنيت ، فرفع رأسه ، فقال : أحسنت بالرّحب[2] والسعة ، فما رجعتُ إلى منزلي حتى أصبت ستّمائة دينار بين نَقْد وعَرْض[3] .
٢ / ١٤٧٠

ثم كنت أختلفُ إليه ، فقال لي يومًا : هل تكتب يا زياد ؟ فقلت :

---

(١) ب : « ثوباً » . (٢) ف : « بالقرب » . (٣) العرض : ما سوى النقدين من المتاع .

أقرأ ولا أكتب ، أصلح الله الأمير ! فضرب بيده على جبينه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك ، وبقى لك واحدة فيها غنى الدّهر قال : قلت : أيها الأمير ، هل فى تلك الواحدة ثمن غلام ؟ قال : وماذا حينئذ ! قلت : تشترى غلامًا كاتبًا تبعث به إلىّ فيعلّمنى ، قال : هيهات ! كبرتَ عن ذلك ، قال : قلت : كلاّ ، فاشترى غلاما كاتبًا حاسبًا بستين ديناراً ، فبعث به إلىّ ، فأكببتُ على الكتاب ، وجعلت لا آتيه إلا ليلاً ، فما مضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبتُ ما شئت وقرأت ما شئت . قال : فإنى عنده ليلةً ، إذ قال : ما أدرى هل أنجحت من ذلك الأمر شيئًا ؟ قلت : نعم ، أكتب ما شئت ، وأقرأ ما شئت ، قال : إنّى أراك ظفرت منه بشىء يسير فأعجبك ، قلت : كلا ، فرفع شاذَكونه[1] ، فإذا طومار ، فقال : اقرأ هذا الطومار ، فقرأت ما بين طرفيه ، فإذا هو من عامله على الرىّ ، فقال : اخرج فقد ولّيتك عمله ، فخرجت حتى قدمت الرّىّ ، فأخذت عامل الخراج ، فأرسل إلىّ : إن هذا أعرابىّ مجنون ، فإنّ الأمير لم يولّ على الخراج عربيًّا قطّ ، وإنما هو عامل المعونة ، فقل له : فليقرّنى على عملى وله ثلثمائة ألف ، قال : فنظرتُ فى عهدى ، فإذا أنا
٢/١٤٧١ على المعونة ، فقلت : والله لا انكسرت ، ثم كتبت إلى خالد : إنك بعثتنى على الرّىّ ، فظننت أنك جمعتها لى . فأرسل إلىّ صاحب الخراج أن أقرّه على عمله ويعطينى ثلثمائة ألف درهم . فكتب إلىّ أن اقبل ما أعطاك ، واعلم أنّك مغبون . فأقمت بها ما أقمت ، ثم كتبت : إنى قد اشتقت إليك فارفعنى إليك ، ففعل ، فلما قدمت عليه ولاّنى الشرطة .

* * *

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضْرىّ وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكِنْدىّ ، وعلى قضاء البَصْرة موسى بن أنس . وقد قيل إنّ هشاماً إنما استعمل خالد بن عبد الله القسرىّ على العراق وخراسان فى سنة ست ومائة ، وإن عامله على العراق وخراسان فى سنة خمس ومائة كان عمر بن هبيرة .

---

(١) ط : « شادكونه » ؛ وفى القاموس : « الشاذكونة ، بفتح الذال : ثياب غلاظ مضربة تعمل باليمن ؛ وإلى بيعها نسب أبو أيوب الحافظ ؛ لأن أباه كان يبيعها » .

ثم دخلت سنة ست ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبدَ الواحد بن عبد الله النضْرىّ وعن مكة والطائف ، وولّى ذلك كله خالَه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ ، فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة[١] مضت من جمادى الآخرة سنة ست ومائة ، فكانت ولاية النّضْرىّ على المدينة سنة وثمانية أشهر .

وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة . ١٤٧٢/٢

وفيها غزا الحجاج بن عبد الملك اللّان ، فصالح أهلَها ، وأدّوا الجزْية .

وفيها ولد عبد الصمد بن علىّ فى رجب .

وفيها مات الإمام طاوس مولى بَحِير بن رَيْسان الحميرىّ بمكة وسالم ابن عبد الله بن عمر ، فصلّى عليهما هشام . وكان موت طاوس بمكة وموت سالم بالمدينة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى عبد الحكيم بن عبد الله بن أبى فروة ، قال : مات سالم بن عبد الله سنة خمس ومائة فى عقب ذى الحجة ، فصلى عليه هشام بن عبد الملك بالبَقيع ، فرأيت القاسم بن محمد بن أبى بكر جالساً عند القبر وقد أقبل هشام ما عليه إلا دُرّاعة[٢] ، فوقف على القاسم فسلم عليه ، فقام إليه القاسم فسأله هشام : كيف أنت يا أبا محمد ؟ كيف حالك ؟ قال : بخير ، قال : إنى أحبّ والله أن يجعلكم بخير . ورأى فى الناس كثْرة ، فضرب[٣] عليهم بعث أربعة آلاف ؛ فسمّى عام الأربعة الآلاف .

وفيها استقضى إبراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجُمحىّ ثم عزله ، واستقضى الصّلت الكندىّ .

* * *

---

(١) ح : « لتسع عشرة » .
(٢) ح : « درعه » .
(٣) ح : « فبعث » .

[ذكرالخبر عن الحرب بين اليمانية والمضرية وربيعة]

وفى هذه السنة كانت الوقعة التى كانت بين المضرية واليمانية وربيعة بالبَرُوقان من أرض بلْخ .

٢/١٤٧٣ * ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة :

وكان سبب ذلك — فيما قيل — أنّ مسلم بن سعيد غزا ، فقطع النّهر ، وتباطأ الناس عنه؛ وكان ممّن تباطأ عنه البخْتَرىّ بن درهم ، فلما أتى النّهر ردّ نصر بن سيار وسليم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبرىّ وأبا حفص بن وائل الحنظلىّ وعُقبة بن شهاب المازنىّ وسالم بن ذؤابة إلى بلْخ ، وعليهم جميعًا نصْر بن سيار ،وأمرهم أن يخرِجوا النّاس إليه . فأحرق نصر باب البَخْترىّ وزياد بن طريف الباهلىّ ، فمنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلْخ — وكان عليها — وقطع مسلم بن سعيد النهر فنزل نصرالبَرُوقان ، فأتاه أهل صَغَانيَان ، وأتاه مسلمة العُقْفانىّ من بنى تميم ، وحسان بن خالد الأسدىّ ؛ كلّ واحد منهما فى خمسمائة ، وأتاه سنان الأعرابىّ وزُرْعة بن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النميرىّ فى أهل بيته ، وتجمّعت بكْر والأزد بالبَرُوقان ، رأسهم البخترىّ ، وعسكر بالبَرُوقان على نصف فرسخ منهم ، فأرسل نصْر إلى أهل بلْخ : قد أخذتم أعطياتكم فالحقوا بأميركم ، فقد قطع النّهر . فخرجت مُضَر إلى نصر ، وخرجت ربيعة والأزْد إلى عمرو ابن مسلم ، وقال قوم من ربيعة : إنّ مسلم بن سعيد يريد أن يخلع ؛ فهو يكرهنا على الخروج . فأرسلت تَغلب إلى عمرو بن مسلم : إنك منا ،وأنشدوه[1] ٢/١٤٧٤ شعراً قاله رجل عزا باهلة إلى تَغْلب[2] — وكان بنو قتيبة من بَاهلة — فقالوا : إنّا من تِغلب ، فكرهتْ بكْر أن يكونوا فى تَغلب فتكثر تغِلب ، فقال رجل منهم :

زَعمَتْ قتيبةُ أنها مِنْ وَائِل نَسَبٌ بعيدٌ ياقتيبةُ فاصْعَدِى

وذكر أن بنى مَعن من الأزد يُدْعَوْن باهلة ، وذكر عن شريك بن

(١) ب : « وأنشدوا » . (٢) ابن الأثير : « قاله رجل من باهلة إلى تغلب » .

أبى قيلة المعنىّ أن عمرو بن مسلم كان يقف على مجالس بنى معْن، فيقول: لئن لم نكن منكم ما نحن بعرب ؛ وقال عمرو بن مسلم حين عزاه التّغلبىّ إلى بنى تغلب : أما القرابة فلا أعرفها ، وأما المنع فإنى سأمنعكم ؛ فسفر الضّحاك بن مزاحم ويزيد بن المفضل الحُدّانىّ ، وكلما نصراً وناشداه فانصرف . فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبختَرىّ على نصر، ونادوا: ياَلَ بكر! وجالوا، وكرّ نصر عليهم ؛ فكان أوّلَ قتيل رجلٌ من باهلة ، ومع عمرو بن مسلم البختَرىُّ وزياد بن طَريف الباهلىّ ، فقتِل من أصحاب عمرو بن مسلم فى المعركة ثمانية عشر رجلا ، وقتِل كردان أخو الفُرافِصَة ومَسْعَدة ورجل من بكر بن وائل يقال له إسحاق ، سوى مَنْ قتِل فى السكك ، وانهزم عمرو بن مسلم ٢/١٤٧٥ إلى القصر وأرسل إلى نصر : ابعث إلى بلْعاء بن مجاهد، فأتاه بلعاء ، فقال: خذْ لى أماناً منه ، فآمنه نصر ، وقال : لولا أنى أُشمِت بك بكر بن وائل لقتلتك .

وقيل : أصابوا عمرو بن مسلم فى طاحونة ، فأتوا به نصراً فى عُنقه حبْل ، فآمنه نصر [1] ، وقال له ولزياد بن طريف والبختَرىّ بن دِرْهَم: الحقوا بأميركم .

وقيل : بل التقى نصر وعمرو بالبرُوقان ، فقتِل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون ، فقالت بكر : علام نقاتل إخواننا وأميرنا،وقد تقرّبنا إلى هذا الرجل فأنكر قرابتنا ! فاعتزلوا . وقاتلت الأزْد ، ثم انهزموا ودخلوا حصناً فحصرهم نصر، ثم أخذ عمرو بن مسلم والبختَرىّ أحد بنى عبّاد وزياد بن طريف الباهلىّ ، فضربهم نصر مائة مائة ، وحلَق رءوسهم ولحاهم ، وألبسهم المُسوح. وقيل: أخذ البَختَرىّ فى غيضة كان دخلها ، فقال نصر فى يوم البرُوقان :

أَرَى العينَ لجّتْ فى ابتدارٍ وما الذى[2] … يَرُدّ عليها بالدموعِ ابتدارُها!
فما أَنا بالوانى إذا الحربُ شمَّرَتْ … تَحَرَّقُ فى شَطْرِ الخميسَين نارُها
وَلكنَّنى أَدعو لها خِنذِفَ التى … تطلّعُ بالعِبءِ الثَّقيلِ فِقارَها[3] ٢/١٤٧٦

---

(١) ب : « فانصرف » .
(٢) ب : « فما الذى » .
(٣) ب ، ح : « قفارها »

وَمَا حَفظتْ بكرٌ هنالك حِلفَهـا فصار عليها عارُ قيسٍ وعارُهـا
فإن تكُ بَكرٌ بالعِراقِ تَنَزَّرَتْ ففى أَرضِ مَرْوٍ عَلُّها وازْوِرارُهـا
وقد جَرَّبَتْ يَومَ البَرُوقان وقعـةً لِخِنْدِفَ إذ حَانَتْ وآنَ بوارُهـا
أَتتنى لِقَيْسٍ فى بَجيلَةَ وقعةٌ وقد كان قبلَ اليومِ طالَ انتظارُها

يعنى حين أخذ يوسف بن عمر خالداً وعياله[1] .

وذكر علىّ بن محمد أن الوليد بن مسلم قال: قاتل عمرو بن مسلم نصر بن سيار فهزمه عمرو ، فقال لرجل من بنى تميم كان معه: كيف ترى أستاه قومك يا أخا بنى تميم ؟ يعيّره بهزيمتهم ، ثم كرّت تميم فهزموا أصحاب عمرو ، فانجلى الرّهج وبلعاء بن مجاهد فى جمع من بنى تميم يشلُّهم ، فقال التميمىّ لعمرو : هذه أستاه قومى . قال : وانهزم عمرو ، فقال بلعاء لأصحابه: لا تقتلوا
١٤٧٧/٢ الأسرى ولكن جرّدوهم ، وجوبوا سراويلاتهم عن أدبارهم ، ففعلوا ، فقال بيان العنبرىّ يذكر حربهم بالبَرُوقان :

أَتانى وَرَحْلى بالمدينةِ وقعـةٌ لآلِ تميمٍ أَرْجَفَتْ كلَّ مُرجَفِ
تَظَلُّ عُيونُ البُرْشِ بكرِ بن وائلٍ إذا ذُكِرَت قتلى البَرُوقانِ تَذْرِفُ
هُمُ أَسلموا للموتِ عَمْرو بنَ مسلِمٍ وَوَلَّوْا شِلَالاً والأَسنةُ تَرْعُف
وكانت من الفتيانِ فى الحربِ عادة ولم يصبرُوا عندَ القنا المُتَقَصِّفِ

* * *

[خبر غزو مسلم بن سعيد الترك]

وفى هذه السنة غزا مُسلم بن سعيد الترك؛ فورد عليه عزله من خراسان من خالد بن عبد الله، وقد قطع النّهر لحربهم وولاية أسد بن عبد الله عليها .

* ذكر الخبر عن غزوة مسلم بن سعيد هذه الغزوة :

ذكر علىّ بن محمد عن أشياخه أنّ مسلماً غزا فى هذه السنة ، فخطب الناس فى ميدان يزيد، وقال : ما أُخلّفُ بعدى شيئاً أهمّ عندى من قوم

(١) ب : « وعماله » .

يتخلّفون بعدى مخلِّقِى الرقاب، يتواثبون الجُدران على نساء المجاهدين؛ اللهمّ
افعل بهم وافعل ! وقد أمرتُ نصراً ألاّ يجد متخلّفاً إلاّ قتله، وما أرى لهم ١٤٧٨/٢
من عذاب ينزله الله بهم[1] — يعنى عمرو بن مسلم وأصحابه — فلما صار
ببخارى أتاه كتاب من خالد بن عبد الله القسرىّ بولايته على العراق ، وكتب
إليه : أتممْ غزاتك . فسار إلى فَرْغانة ، فقال أبو الضحاك الرَّوَاحىّ —
أحد بنى رَوَاحة من بنى عبس ، وعِداده فى الأزد ، وكان ينظر فى الحساب :
ليس على متخلّفِ العامَ معصية ، فتخلّف أربعة آلاف . وسار مسلم بن
سعيد ، فلما صار بفَرْغانة بلغه أن خاقان قد أقبل إليه، وأتاه شُمَيْل — أو
شُبَيْل — بن عبد الرحمن المازنىّ ، فقال : عاينت عسكر خاقان فى موضع
كذا وكذا ، فأرسل إلى عبد الله بن أبى عبد الله الكرْمانىّ مولى بنى سليم ،
فأمره[2] بالاستعداد للمسير ، فلما أصبح ارتحل بالعسكر ، فسار ثلاث
مراحل فى يوم ؛ ثم سار من غد حتى قطع وادى السَّبوح ، فأقبل إليهم خاقان،
وتوافت إليه الخيل ؛ فأنزل عبد الله بن أبى عبد الله قوماً من العُرَفاء والموالى ،
فأغار الترك على الذين أنزلهم عبد الله ذلك الموضع فقتلوهم ، وأصابوا دوابّ لمسلم
وقتِل المسيّب بن بشر الرّياحىّ ، وقتِل البراء — وكان من فرسان المهلّب —
وقتل أخو غوْزك ، وثار النّاس فى وجوههم ، فأخرجوهم من العسكر ، ودفع[3]
مسلم لواءه إلى عامر بن مالك الحِمّانىّ ، ورحل بالناس فساروا ثمانية أيام ، وهم ١٤٧٩/٢
مطيفون بهم ؛ فلما كانت الليلة التاسعة أراد النزول ، فشاور الناس فأشاروا
عليه بالنزول ، وقالوا : إذا أصبحنا وردنا الماء ، والماءُ منا غير بعيد ؛ وإنك
إن نزلت المرْج تفرّق الناس فى الثمار ، وانتُهب عسكرك ، فقال لسورة بن
الحرّ : يا أبا العلاء ، ما ترى ؟ قال : أرى ما رأى الناس ونزلوا . قال : ولم
يرفع بناء فى العسكر ، وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والأمتعة ، فحرّقوا
قيمة ألف ألف ، وأصبح الناس فساروا ، فوردوا الماء فإذا دون النّهر أهلُ
فرغانة والشّاش ، فقال مسلم بن سعيد : أعزِم على كلّ رجل إلاّ اخترط
سيفه ؛ ففعلوا فصارت الدنيا كلها سيوفاً ، فتركوا الماء وعبروا ، فأقام يوماً ،

(١) ح : « عليهم » . (٢) ب : « فأمر » .
(٣) ب : « ورفع » .

ثم قطع من غدٍ ، وأتبعهم ابن الخاقان . قال : فأرسل حُميد بن عبد الله وهو على الساقة إلى مسلم : قف ساعةً فإنّ خلفى مائتى رجل من الترك حتى أقاتلهم –وهو مثقَلٌ جراحةً– فوقف الناس ، فعطف على الترك، فأسر أهل السُّغد وقائدهم وقائد الترك فى سبعة ، وانصرف البقيّة ، ومضى حميد ورُمى بنشّابة فى ركبته ، فمات .

٢/١٤٨٠ وعطش الناس ،وقد كان عبد الرحمن بن نعيم العامرى حمل عشرين قربة على إبله ، فلما رأى جهد الناس أخرجها ، فشربوا جُرَعًا ، واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فأتوه بإناء،فأخذه جابر –أو حارثة(١)– بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه ، فقال مسلم : دعوه ، فما نازعنى شَرْبَتى إلا من حرّ دخَله ، فأتوا خُجَنْدة ، وقد أصابتهم مجاعة وجَهد ، فانتشر الناس فإذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم ،فأتياه بعهده على خُراسان من أسد بن عبد الله ، فأقرأه عبد الرحمن مسلمًا ، فقال : سمعاً وطاعة،قال : وكان عبد الرحمن أوّل من اتخذ الخيام فى مفازة آمُل .

قال : وكان أعظم الناس غنًى يوم العطش إسحاق بن محمد الغُدانىّ ، فقال حاجب الفيل لثابت قُطْنة ، وهو ثابت بن كعب :

نقْضى الأُمورَ وبكرٌ غيرُ شاهدها بين المجاذيفِ والسُّكانِ مشغولُ
مَا يَعْرِفُ الناسُ منه غيرَ قُطْنَتِه وما سواها مِنَ الآباءِ مجْهُولُ

وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نُعَيم وشَديد وعبد السلام وإبراهيم والمِقْداد ، وكان أشدّهم نُعَيم وشَديد ، فلما عُزل مسلم بن سعيد ، قال

٢/١٤٨١ الخزرج التغلَبىّ : قاتلنا الترك ، فأحاطوا بالمسلمين حتى أيقنوا بالهلاك ؛ فنظرت إليهم وقد اصفرّت وجوههم ، فحمل حَوْثرة بن يزيد بن الحرّ بن الحُنَيف بن نصر بن يزيد بن جَعْوَنة على الترك فى أربعة آلاف ، فقاتلهم ساعة ثم رجع ، وأقبل نصر بن سيار فى ثلاثين فارسًا ، فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم ، وحمل الناس عليهم ؛ فانهزم الترك .

قال : وحوثرة هذا هو ابن أخى رَقَبة بن الحرّ . قال : وكان عمر بن

(١) ح : « أو جارية » ، ابن الأثير : « وحارثة » .

هبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولاّه خراسان : ليكن حاجبُك من صالح مواليك ، فإنه لسانك والمعبّر عنك ، وحُثّ صاحب شُرطتك على الأمانة ، وعليك بعمال العذر . قال : وما عمال العُذْر ؟ قال : مرْ[١] أهلَ كلّ بلد أن يختاروا لأنفسهم ، فإذا اختاروا رجلاً فولّه ، فإن كان خيراً كان لك ، وإن كان شرًّا كان لهم دونك ، وكنت معذوراً .

قال : وكان مسلم بن سعيد كتب إلى ابن هُبيرة أن يوجه إليه توبة بن أبى أسيْد مولى بنى العنبر ، فكتب ابن هبيرة إلى عامله بالبصرة : احمل إلىّ توبة بن أبى أسَيْد ، فحمله فقدم — وكان رجلا جميلا جهيراً له سَمْتٌ — فلما دخل على ابن هبيرة ، قال ابن هبيرة : مثل هذا فليولّ ، ووجّهه[٢] به
٢/١٤٨٢ إلى مسلم ، فقال له مسلم : هذا خاتمى فاعمل برأيك ؛ فلم يزل معه حتى قدم أسد بن عبد الله ، فأراد توبة أن يشخص مع مسلم ، فقال له أسد : أقم معى فأنا أحوَج إليك من مسلم . فأقام معه ، فأحسن إلى الناس وألان جانبه ، وأحسن إلى الجند وأعطاهم أرزاقهم ، فقال له أسَد : حلّفهم بالطلاق فلا[٣] يتخلف أحد عن مغزاه ، ولا يدخل بديلاً ، فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق .

قال : وكان الناس بعد توبة[٤] يُحلّفون الجند بتلك الأيمان ، فلما قدم عاصم ابن عبد الله أراد أن يحلّف الناس بالطلاق فأبوا ، وقالوا : نحلف بأيمان توبة . قال : فهم يعرفون ذلك ، يقولون : أيمان توبة .

* * *

[حجّ هشام بن عبد الملك]

وحجّ بالناس فى هذه السنة هشام بن عبد الملك ؛ حدّثنى بذلك أحمد ابن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ وغيره ، لا خلاف بينهم فى ذلك .

قال الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى الزّناد ، عن أبيه ، قال : كتب إلىّ

---

(١) ابن الأثير : « تأمر » . (٢) ب : « ووجهه إلى مسلم » .
(٣) كذا فى ح وفى ط : « ولا » . (٤) ح : « موته » .

هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتب لى سُنَن الحج ، فكتبتها له ، وتلقاه أبو الزناد . قال أبو الزّناد : فإنى يومئذ فى الموكب خلفه ، وقد لقيَه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ، وهشام يسير ، فنزل له ، فسلم عليه ، ثم سار إلى جَنْبه ، فصاح هشام : أبو الزناد ! فتقدّمتُ ، فسرت إلى جنبه الآخر ، فأسمع سعيداً يقول : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الله لم
١٤٨٣/٢ يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين ، وينصر خليفته المظلوم ، ولم يزالوا يلعنون فى هذه المواطن الصالحة أبا تراب ، فأمير المؤمنين ينبغى له أن يلعنه فى هذه المواطن الصالحة ؛ قال : فشقّ على هشام ، وثقل عليه كلامه ، ثم قال : ما قدمنا لشتم أحد ولا للعنه ، قدمنا حجّاجاً . ثم قطع كلامه وأقبل علىّ فقال : يا عبد الله بن ذكوان ، فرغتَ مما كتبتُ إليك ؟ فقلت : نعم ، فقال أبو الزناد : وثقُل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام ، فرأيته منكسراً[1] كلما رآنى .

وفى هذه السنة كلّم إبراهيم بن محمد بن طلحة هشامَ بن عبد الملك — وهشام واقف قد صلّى فى الحِجْر — فقال له : أسألك بالله وبحُرْمة هذا البيت والبلد الذى خرجتَ معظّماً لحقه ، إلا رددتَ علىّ ظلامتى ! قال : أىّ ظلامة ؟ قال : دارى ، قال : فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : ظلمنى والله ، قال : فعن الوليد بن عبد الملك ؟ قال : ظلمنى والله ، قال : فعن سليمان ؟ قال : ظلمنى ، قال : فعن عمر بن عبد العزيز ؟ قال : يرحمه الله ، ردّها والله علىّ ، قال : فعن يزيد بن عبد الملك ؟ قال : ظلمنى والله ، هو قبضها منى بعد قبضى لها ، وهى فى يديك . قال هشام : أما والله لو كان فيك ضربٌ لضربتك ، فقال إبراهيم : فىّ والله ضرب بالسيف والسوط .
١٤٨٤/٢ فانصرف هشام والأبرش خلفه فقال : أبا مجاشع ، كيف سمعتَ هذا اللسان ؟ قال : ما أجود هذا اللسان ! قال : هذه[2] قريش وألسنتها ، ولا يزال فى الناس بقايا[3] ما رأيتَ مثل هذا .

---

(١) ابن الأثير : « وكان منكسراً » .
(٢) ط : « هذا » ، وما أثبته من ب .
(٣) ف : « الناس فى بقايا » .

وفى هذه السنة قدم خالد بن عبد الله القسرىّ أميراً على العراق .

* * *

[ولاية أسد بن عبد الله القسرىّ على خراسان]

وفيها استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميراً على خراسان ، فقدمها ومسلم بن سعيد غازٍ بفرغانة ، فذكر عن أسد أنه لما أتى النهر ليقطع ، منعه الأشهب بن عبيد التميمىّ أحد بنى غالب ، وكان على السفن بآمُل ، فقال له أسد : أقطِعنى ، فقال : لا سبيل إلى إقطاعك ؛ لأنى نُهِيت عن ذلك ، قال : لاطفوه وأطمعوه[١] ، فأبى ؛ قال : فإنى الأمير ، ففعل ، فقال أسد : اعرفوا هذا حتى نَشْرَكه فى أمانتنا ، فقطع النهر ، فأتى السُّغد ، فنزل مرْجها[٢] ، وعلى خراج سَمرقند هانئ بن هانئ ، فخرج فى الناس يتلقّى[٣] أسدًا ، فأتوه بالمرْج ، وهو جالس على حَجَر ، فتفاءل الناس ، فقالوا : أسد على حَجر ! ما عند هذا خير . فقال له هانئ : أقدمتَ أميراً فنفعل بك ما نفعل بالأمراء ؟ قال : نعم ، قدمتُ أميراً . ثم دعا بالغداء فتغدّى بالمرج ، وقال : مَن ينشط بالمسير وله أربعة عشر درهمًا - ويقال : قال ثلاثة عشر درهمًا - وها هى ذى فى كمّى ؟ وإنه ليبكى ويقول : إنما أنا رجل مثلكم[٤] . وركب فدخل سَمرْقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على الجند ، فقدم الرّجلان ٢/١٤٨٥
على عبد الرحمن بن نعيم ، وهو فى وادى أفشين[٥] على السّاقة — وكانت الساقة على أهل سَمرْقند الموالى[٦] وأهل الكوفة — فسألا عن عبد الرحمن فقالوا : هو فى الساقة ، فأتياه بعهد وكتاب بالقَفْل والإذن لهم فيه ، فقرأ الكتاب . ثمّ أتى به مسلمًا وبعهده ، فقال مسلم : سمعًا وطاعة ، فقام عمرو ابن هلال السدوسىّ — ويقال التيمىّ — فقنّعه سوطين لما كان منه بالبَروقان إلى بكر بن وائل ، وشتمه حسين بن عثمان بن بشر بن المحتفز ، فغضب

---

(١) ب : « وأطيعوه »

(٢) ابن الأثير : « بالمرج » .

(٣) ف : « ليلقى » .

(٤) ح : « منكم » .

(٥) ح : « أدانى أفشين » .

(٦) ب : « والموالى » .

عبد الرحمن بن نعيم ، فزجرهما ثم أغلظ لهما ، وأمر بهما فدفعا ، وقفل بالناس وشخص معه مسلم .

فذكر علىّ بن محمد عن أصحابه ، أنهم قدموا على أسد، وهو بسمرقند، فشخص أسد إلى مرو، وعزل هانئاً ، واستعمل على سمرقند الحسن بن أبى العمرّطة الكندىّ من ولد آكل المرار . قال : فقدمت على الحسن امرأته الجنوب ابنة القعقاع بن الأعلم رأس الأزد ، ويعقوب بن القعقاع قاضى خراسان ؛ فخرج يتلقاها ، وغزاهم الترك ، فقيل له : هؤلاء الترك[١] قد أتوك — وكانوا[٢] سبعة آلاف — فقال : ما أتونا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم

١٤٨٦/٢ واستعبدناهم ، وايمُ الله مع هذا لأدنينّكم منهم ، ولأقرننّ[٣] نواصى خيلكم بنواصى خيلهم .

قال : ثم خرج فتباطأ حتى أغاروا وانصرفوا ، فقال الناس : خرج إلى امرأته يتلقاها مسرعًا ، وخرج إلى العدوّ متباطئًا . فبلغه فخطبهم ، فقال : تقولون وتعيبون ! اللهمّ اقطع آثارهم وعجّل أقدارهم ، وأنزل بهم الضّراء وارفع عنهم السراء ! فشتمه الناس فى أنفسهم .

وكان خليفته حين خرج إلى الترك ثابت قُطْنة ، فخطب الناس فحصر فقال : من يطع اللهَ ورسوله فقد ضلّ ، وأرتِج عليه، فلم ينطق بكلمة، فلما نزل عن المنبر قال :

إنْ لم أكنْ فيكمْ خَطيباً فإننى ... بسيفى إذا جَدَّ الوغى لخَطيبُ[٤]

فقيل له : لو قلت هذا على المنبر ، لكنت خطيبًا ، فقال حاجب الفيل اليشكرىّ يعيره حَصَرَه :

أبا العَلاَءِ لقد لاقيتَ مُعْضِلةً ... يَومَ العَرُوبة مِنْ كَربٍ وتَخنِيق
تَلوِى اللسانَ إذا رُمتَ الكلامَ به ... كما هوى زَلَقٌ منْ شاهِقِ النِّيق

---

(١) ب : « الأتراك » . (٢) ح : « وهم » .
(٣) ابن الأثير : « ولأقربن » .
(٤) أورد الجاحظ الشعر فى البيان والتبيين ١ : ٢٣١ ، وروايته :

فإلاّ أكُنْ فيهمْ خِطيباً فإنّنى ... بسُمْرِ القَنا والسَّيْفِ جدُّ خطيب

لمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ الناسِ ضــاحيةً أَنشأْتَ تَجْرَضُ لمَّا قمتَ بالرِّيق ١٤٨٧/٢
أَمَّا القرانُ فَلا تُهدَى لِمُحْكَمَةٍ مِنَ القرانِ وَلَا تُهْدَى لِتَوْفِيقِ

وفى هذه السنة ولد عبد الصمد بن علىّ فى رجب .

* * *

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف فى هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومىّ . وعلى العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسرىّ ، وعامل خالد على صلاة البصرة عقبة بن عبد الأعلى ، وعلى شُرْطتها مالك بن المنذر بن الجارود، وعلى قضائها ثُمامة بن عبد الله بن أنس ، وعلى خرُاسان أسد بن عبد الله .

ثم دخلت سنة سبع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عبّاد الرُّعيْنىّ باليمن محكِّماً، فقتله يوسف ابن عمر ، وقتل معه أصحابه كلهم وكانوا ثلثمائة .

وفيها غزا الصّائفة معاوية بن هشام ، وعلى جيش الشأم ميمون بن مهران ، فقطع البحر حتى عبر إلى قُبرُس، وخرج معهم البَعْث الذى هشام كان أمر به
٢/١٤٨٨ فى حجته سنة ستّ، فقدموا فى سنة سبع على الجعائل(١) ، غزا منهم نصفهم(٢) وقام النصف . وغزا البرّ(٣) مسلمة بن عبد الملك .

وفيها وقع بالشأم طاعون شديد .

وفيها وجّه بكير بن ماهان أبا عِكْرمة وأبامحمد الصّادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادىّ فى عِدّة من شيعتهم ، معهم زياد خال الوليد الأزرق دعاة إلى خراسان ، فجاء رجل من كندة إلى أسد بن عبد الله ، فوَشى بهم إليه ، فأتى بأبى عكرمة ومحمد بن خُنيس وعامة أصحابه، ونجا عمّار، فقطع أسد أيدى مَن ظفر به منهم وأرجلهم ، وصلبهم . فأقبل عمار إلى بكير بن ماهان، فأخبره الخبر ، فكتب به إلى محمد بن علىّ ، فأجابه : الحمد لله الذى صدّق مقالتكم ودعوتكم ، وقد بقيت منكم قتلى ستُقتل .

وفى هذه السنة حُمل مسلم بن سعيد إلى خالد بن عبد الله ، وكان أسد ابن عبد الله له مكرِّماً بخراسان لم يعرض له ولم يحبسه، فقدم مسلم وابن هبيرة مُجْمعٌ على الهرب ، فنهاه عن ذلك مسلم ، وقال له : إن القوم فينا أحسن رأياً منكم فيهم .

٢/١٤٨٩ وفى هذه السنة غزا أسد جبال نَمرون ملك الغَرْشسْتان مما يلى جبال الطالقان ، فصالحه نمرُون وأسلم على يديه ، فهم اليوم يتولوْن اليمن .

* * *

[غَزو الغُور]

وفيها غزا أسد الغُور وهى جبال هَراة .

(١) ب : « الجعال » . (٢) ح : « النصف » . (٣) ابن الأثير : « فى البر » .

* ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة :

ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه ، أنّ أسدًا غزا الغُور ، فعمد أهلُها إلى أثقالهم فصيّروها فى كهف ليس إليه طريق ، فأمر أسد باتّخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ، ودلّاها بالسلاسل ، فاستخرجوا ما قدروا عليه ، فقال ثابت قُطْنة :

أَرَى أَسَدًا تَضَمَّنَ مُفْظِعَاتٍ تَهيَّبَهَا الملوكُ ذَوُو الحجابِ
سَمَا بالخيل فى أكنافِ مرو وتوفِزُهُنَّ بين هلَا وهَابِ
إلى غُورين حيثُ حَوَى أَزَبٌّ وصكٌّ بالسُّيوفِ وبالحرابِ
هَـدانا اللهُ بالقتلى تَراها مُصَلَّبَةً بأفواهِ الشِّعابِ
مَلاحِمُ لم تَدَعْ لِسراةِ كلبٍ مُهـاتَرَةً وَلَا لبنى كِلَابِ
فأوردها النِّهابَ وآبَ منها بأفضلِ ما يصابُ مِنَ النهابِ
وكان إذا أناخَ بِدارِ قومٍ أراها المُخزياتِ من العذاب
ألم يُزِرِ الجبالَ جبالَ مُلع ترى من دونها قِطَعَ السَّحابِ
بِأَرْعَنَ لم يدع لهمُ شَرِيدًا وعاقَبَهَا المُمِضَّ مِنَ العقابِ

وملع من جبال خُوط فيها تعمل الحزُم الملعيّة . ١٤٩٠/٢

* * *

وفى هذه السنة نقل أسد مَن كان بالبَرُوقان من الجند إلى بلْخ ، فأقطع كلّ مَن كان له بالبَرُوقان مسكنٌ مسكنًا بقدر مسكنه ، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنًا ، وأراد أن ينزلهم على الأخماس ، فقيل له : إنهم يتعصّبون ، فخلط بينهم ، وكان قسم لعمارة مدينة بلْخ الفَعَلَة على كلّ كُورة على قدر خراجها ، وولّى بناء مدينة بلْخ برمك أبا خالد بن برمك ، — وكان البَرُوقان منزل الأمراء وبين البَرُوقان وبين بلْخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غَلْوتين — فقال أبو البريد فى بنيان أسد مدينة بلْخ :

شَعفَتْ فؤادكَ فالهوى لك شاغِفُ رِئمٌ على طِفل بحَوْمَلَ عاطفُ

تَرعَى البَريرَ بجانبيْ مُتَهدِّلٍ رَيَّانَ لا يَغْشُو إليه آلِفُ
بمَحاضِرٍ مِنْ مُنْحنًى عَطفَتْ له بَقَرٌ تَرَجَّحُ زانَهنَّ روَادفُ
إنَّ المباركَةَ التى أحْصنتَها عُصِمَ الذَّلِيلُ بها وقَرَّ الخائِفُ
١٤٩١/٢ فأَراك فيها ما رَأَى مِنْ صَالحٍ فتحاً وأَبوابُ السماءِ رَواعِفُ
فمضى لكَ الإسمُ الذى يَرضى به عنك البصيرُ بما نويتَ اللّاطف
يا خيْرَ ملكٍ ساسَ أَمرَ رَعِيَّة إنى على صِدْقِ اليمينِ لحالِفُ
اللهُ آمنَها بصُنعِكَ بَعدَما كانت قلوبٌ خوفهنَّ رَواجفُ

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام، حدثنى بذلك أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبى معشر. وكذلك قال الواقدىّ وهشام وغيرهما .

وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة عمالها الذين ذكرناهم قبل فى سنة ست ومائة .

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيساريّة، مدينة الرّوم مما يلى الجزيرة، ففتحها الله على يديه.

وفيها أيضًا غزا إبراهم بن هشام ففتح أيضًا حصنًا من حصون الروم.

وفيها وجّه بكير بن ماهان إلى خراسان عدّة؛ فيهم عمّار العبادىّ؛ ١٤٩٢/٢
فوشى بهم رجل إلى أسد بن عبد الله، فأخذ عمّارًا فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه، فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر، فكتب بذلك إلى محمد بن علىّ، فكتب إليه فى جواب الكتاب: الحمد لله الذى صدّق دعوتكم ونجّى شيعتكم.

وفيها كان الحريق بدابق؛ فذكر محمد بن عمر أنّ عبد الله بن نافع حدّثه عن أبيه، قال: احترق المرعى حتى احترق الدوابّ والرجال.

* * *

[غزو الخُتَّل]

وفيها غزا أسد بن عبد الله الختَّل؛ فذكر عن علىّ بن محمد أن خاقان أتى أسدًا وقد انصرف إلى القوادَيان، وقطع النهر، ولم يكن بينهم قتال فى تلك الغزاة. وذكر عن أبى عبيدة، أنه قال: بل هزموا أسداً وفضحوه؛ فتغنّى عليه الصبيان:

أَزْ خُتَّلاَن آمـــذِى بِرُو تَبـــاهْ آمذِى(1)

قال: وكان السبْل محارباً له، فاستجلب خاقان، وكان أسد قد أظهر أنه يشتو بسُرْخ درَه، فأمر أسد الناس فارتحلوا، ووجه راياته، وسار فى ليلة ١٤٩٣/٢
مظلمة إلى سرخ دره، فكبّر الناس، فقال أسد: ما للناس؟ قالوا:

(1) شعر فارسى معناه: «لقد قدم من بلاد الختل عليه الخزى والعار».

هذه علامتهم إذا قفلوا ، فقال لعروة المنادى : نادِ إنّ الأمير يريدغورين ؛ ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا إلى غورين النهر فقطع النهر ، فلم يلتق هو ولا هم ، ورجع إلى بلْخ ، فقال الشاعر فى ذلك يمدح أسد بن عبد الله :

ندبْتُ لى من كل خُمسٍ أَلفيْن[1] من كلّ لحّاف عريضِ الدَّفَّيْنِ

قال : ومضى المسلمون إلى الغُوريان فقاتلوهم يومًا ، وصبروا لهم ، وبرز رجل من المشركين ، فوقف أمام أصحابه وركز رمحه ، وقد أعلِم بعصابة خضراء — وسَلْم بن أحوَز واقف مع نصر بن سيّار — فقال سلم لنصر : قد عرفت رأى أسد ، وأنا حامل على هذا العِلْج ؛ فلعلى أن أقتله فيرضى . فقال : شأنك ، فحمل عليه ، فما اختلج رمحه حتّى غشيه سلم فطعنه ، فإذا هو بين يدى فرسه ، ففحص برجله ، فرجع سلم فوقف ، فقال لنصر : أنا حامل حملة أخرى ؛ فحمل حتّى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدوّ ، فاختلفا ضربتيْن ، فقتله سلْم ، فرجع سلم جريحًا ، فقال نصر لسلم : قفْ لى حتّى أحمل عليهم ؛ فحمل حتّى خالط العدوّ ، فصرع رجلين ورجع جريحًا ، فوقف فقال : أترى ما صنعنا يرضيه ؟ لا أرضاه الله ! فقال : لا والله فيما أظنّ . ١٤٩٤/٢
وأتاهما رسول أسد فقال : يقول لكما[2] الأمير : قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين ، لعنكما الله ! فقالا : آمين إن عدنا لمثل هذا . وتحاجزوا يومئذ ، ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون أن انهزموا ، وحوى المسلمون عسكرهم ، وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا ، وقال بعضهم رجع أسد فى سنة ثمان ومائة مفلولا من الختّل ، فقال أهل خراسان :

أَز ختّلان آمذى * برو تباه آمذى * بيـــدَل فَراز آمذى[3]

قال : وكان أصاب الجند فى غزاة الختّل جوع شديد ، فبعث أسد

---

(١) كذا فى ح ، وفى ط : « نديت » ، وفى ب : « بديت » .
(٢) ب : « لكم » .
(٣) مثل سابقه وزاد عليه ما معناه : « رجع مكسور الخاطر » .

بكبشين مع غلام له ، وقال : لا تبعْهما بأقلّ من خمسمائة ، فلما مضى الغلام ، قال أسد : لا يشتريهما إلا ابن الشِّخِّير ، وكان فى المسلحة ، فدخل ابن الشِّخِّير حين أمسى ، فوجد الشاتين فى السوق ، فاشتراهما بخمسمائة ، فذبح إحداهما وبعث بالأخرى إلى بعض إخوانه ، فلما رجع الغلام إلى أسد أخبره بالقصة ، فبعث إليه أسد بألف درهم .

قال : وابن الشخّير هو عثمان بن عبد الله بن الشِّخّير ، أخو مطرّف بن عبد الله بن الشِّخِّير الحَرَشىّ .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف . حدثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن ١٤٩٥/٢
أبى معشر ، وكذلك قال محمد بن عمر الواقدىّ .

وكان العمّال فى هذه السنة على الأمصار فى الصلاة والحروب والقضاء هم العمال الذين كانوا فى السنة التى قبلها ، وقد ذكرناهم قبل .

ثم دخلت سنة تسع ومائة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فممّا كان فيها من ذلك غَزْوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهريّ على جيش في البَحْر وغزوة معاوية بن هشام أرضَ الروم ، ففتح حصنًا بها يقال له طيبة ، وأصيب معه قوم من أهل أنطاكية

* * *

[خبر مقتل عمر بن يزيد الأُسيِّديّ]

وفيها قتِل عمر بن يزيد الأسيِّديّ ؛ قتله مالك بن المنذر بن الجارود .

* ذكر الخبر عن ذلك :

وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب ، فأعجب به يزيد بن عبد الملك ، وقال : هذا رجل
١٤٩٦/٢ العراق ؛ فغاظ ذلك خالدًا ، فأمر مالك بن المنذر وهو على شُرْطة البصرة أن يعظّم عمر بن يزيد ، ولا يعصى له أمراً حتى يعرّفه الناس ، ثم أقبل يعتلّ عليه حتى يقتله ، ففعل ذلك ، فذكر يومًا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، فافترى عليه مالك ، فقال له عمر بن يزيد : تفترى على مثل عبد الأعلى ! فأغلظ له مالك ، فضربه بالسياط حتى قتله .

* * *

[غزو غورين]

وفيهاغزا أسد بن عبد الله غُورين ، وقال ثابت قُطْنة :

أَرَى أَسَدًا فى الْحَربِ إِذْ نَزَلَتْ به ... وقَارَعَ أَهْلَ الحَرْبِ فازَ وأَوجبَا
تَنَاوَل أَرضَ السَّبْل ، خاقانُ رِدؤه ... فَحَرَّقَ ما استَعصَى عليه وخَرّبا
أَتَتْكَ وُفُودُ التّرْك ما بَيْنَ كابلٍ ... وغُورِينَ إذ لم يَهْرُبُوا منْكَ مَهْرَبا
فما يَغْمُرُ الأَعدَاءَ من ليْثِ غابَة ... أَبِى ضارِياتٍ حَرَّشُوهُ فَعَقّبا

أَزَبَّ كأَنَّ الوَرْسَ فَوْقَ ذِراعِــهِ كَرِيهَ المُحَيَّا قَدْ أَسنَّ وجرَّبا
أَلم يَكُ فى الحِصْنِ المبارَكِ عصمةٌ لِجندِكَ إذ هابَ الْجَبانُ وأَرْهبا !
بنى لكَ عَبْدُ اللهِ حِصناً وَرِثْتَــهُ قَدِيماً إذا عُدَّ القديمُ وأَنجَبا ٢/١٤٩٧

* * *

وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خُراسان وصرف أخاه أسداً عنها .

* ذكر الخبر عن عزل هشام خالداً وأخاه عن خراسان :

وكان سبب ذلك أن أسداً أخا خالد تعصّب حتى أفسد الناس ، فقال أبو البريد ـ فيما ذكر علىّ بن محمد لبعض الأزد : أدخلنى على ابن عمّك عبد الرحمن ابن صبح ، وأوصِه بى ، وأخبِرْه عنى ، فأدخله عليه ـ وهو عامل لأسَد على بلْخ ـ فقال : أصلح الله الأمير ! هذا أبو البريد البكرىّ أخونا وناصرنا ، وهو شاعر أهل المشرق ، وهو الذى يقول :

إنْ تَنقُضِ الأَزْدُ حِلْفاً كان أَكَّدَهُ فى سالف الدَّهر عَبَّادٌ ومَسْعُود
ومالكٌ وَسُوَيدٌ أكّداه معاً لما تُجَرَّدُ فيها أَىَّ تجريدِ
حتّى تَنادوْا أَتاكَ اللهُ ضاحيَةً وفى الجُلود من الإيقاع تَقْصيدُ

قال : فجذب أبو البريد يدَه ، وقال : لعنك الله من شفيع كذب ! أصلحك الله ! ولكنى الذى أقول : ٢/١٤٩٨

الأَزْدُ إِخوَتُنا وَهُمْ حُلَفَاؤنا ما بيْنَنَا نكْثٌ ولا تَبْدِيلُ

قال : صدقت ، وضحك . وأبو البريد من بنى عِلْباء بن شيبان بن ذُهل ابن ثعلبة .

قال : وتعصّب على نصر بن سيار ونفر معه من مُضر ، فضربهم بالسياط ، وخطب فى يوم جمعة فقال فى خطبته : قبح الله هذه الوجوه ! وجوه أهل الشقاق والنفاق ، والشغَب والفساد . اللهم فرّق بينى وبينهم ، وأخرجنى إلى مهاجرى ووطنى ، وقلّ مَن يروم ما قِبَلى أو يترمرم ، وأمير المؤمنين خالى ، وخالد بن عبد الله أخى ، ومعى اثنا عشر ألف سيف يمانٍ .

ثم نزل عن منبره، فلما صلى ودخل عليه الناس ، وأخذوا مجالسهم ، أخرج كتاباً من تحت فراشه، فقرأه على الناس ، فيه ذكر نَصْر بن سيار وعبد الرحمن بن نعيم الغامديّ وسوْرة بن الحرّ الأبانيّ — أبان بن دارم — والبَختريّ بن أبي درهم من بني الحارث بن عبّاد، فدعاهم فأنّبهم ، فأزم القوم، فلم يتكلم منهم أحد ، فتكلم سوْرة ، فذكر حاله وطاعتَه ومناصحته، وأنه ليس ينبغي له أن يقبل قول عدوّ مبطل، وأن يجمع بينهم وبين من قَرَفهم[1]
١٤٩٩/٢ بالباطل . فلم يقبل قولَه، وأمر بهم فجُرّدوا، فضرب عبد الرحمن بن نعيم، فإذا رجل عظيم البطن، أرسح[2] ؛ فلما ضرب التوى، وجعل سراويله يزل[3] عن موضعه ، فقام رجل من[4] أهل بيته، فأخذ رداءاله هَرَوِيًّا ، وقام مادًّا ثوبه بيده ، وهو ينظر إلى أسَد، يريد أن يأذن له فيؤزّره . فأومَى إليه أن افعل ، فدنا منه فأزّره — ويقال بل أزّره أبو نميلة — وقال له: اتّزر أبا زهير ، فإن الأمير والٍ مؤدب . ويقال : بل ضَربهم في نواحي مجلسه .

فلما فرغ قال : أين تيس بني حِمّان ؟ — وهو يريد ضربه؛ وقد كان ضربه قبل — فقال: هذا تيس بني حِمان؛ وهو قريب العَهْد بعقوبة الأمير ، وهو عامر بن مالك بن مسلمة بن يزيد بن حجر بن خيْسق بن حِمّان بن كعب بن سعد . وقيل إنه خلفهم بعد الضّرب، ودفعهم إلى عبد ربه بن أبي صالح مولى بني سليم — وكان من الحرس — وعيسى بن أبي بُرَيق، ووجّههم إلى خالد ، وكتب إليه : إنّهم أرادوا الوثوب عليه ؛ فكان ابن أبي بريق كلما نبت شعر أحدهم حلَقه ، وكان البختريّ بن أبي درهم، يقول : لَوددت أنه ضربني وهذا شهراً — يعني نصر بن سيار لما كان بينهما[5] بالبرُوقان — فأرسل بنو تميم إلى نصْر : إن شئتم انتزعناكم من أيديهم، فكفّهم نصر،
١٥٠٠/٢ فلما قدم بهم على خالد لام أسداً وعنّفه ، وقال : ألا بعثت برءوسهم ! فقال عرفجة التميميّ :

فكَيفَ وأَنصارُ الخَليفَةِ كُلُّهُمْ عُناةٌ وأَعداءُ الخَليفَةِ تُطْلَقُ!

(١) ح ، ف : « فرقهم » .
(٢) الرسح : قلة لحم العجز والفخذين .
(٣) ب : « ينزل » .
(٤) ح ، ف : « من بعض أهل بيته » .
(٥) ح ، ف : « بينهم » .

بكَيْتُ ولم أملك دُمُوعى وَحُقّ لى ... ونَصْرٌ شهابُ الْحَرْبِ فى الغلّ موثقُ

وقال نصر :

بَعَثَتْ بالعِتابِ فى غَيْرِ ذَنْبٍ ... فى كتاب تَلومُ أُم تميمِ

إنْ أكن موثقاً أَسِيرًا لدَيْهِمْ ... فى هُمُومٍ وكُربَة وَسُهُومِ

رهْنَ قَسْرٍ فما وَجَدْتَ بَلاءً ... كإسارِ الكِرَامِ عندَ اللئيمِ

أَبلغِ المُدّعينَ قسرًا وقَسْرٌ ... أَهلُ عود القَناةِ ذاتِ الوُصومِ

هَلْ فطِمْتُمْ عنِ الخيانَةِ والغدْ ... رِ أَم أنتمْ كالحاكرِ المُسْتَدِيم؟

وقال الفرزدق :

أخالِدُ لَوْلا اللهُ لَمْ تعطَ طاعَةً ... ولولا بنو مروانَ لمْ توثقُوا نصرَا

إذًا للقِيتُمْ دُونَ شَدِّ وِثاقِهِ ... بنِى الحرْب لا كُشْفَ اللقاءِ ولا ضَجْرَا

وخطب أسد بن عبد الله على مِنْبر بلْخ ، فقال فى خطبته : يا أهلَ بلْخ ، لقبتمونى الزّاغ والله لأزيغنّ قلوبكم .

١٥٠١/٢ فلما تعصّب أسد وأفسد الناس بالعصبية ، كتب هشام إلى خالد بن عبد الله : اعزلْ أخاك ، فعزله فاستأذن له فى الحجّ ، فقفل أسد إلى العراق ومعه دهاقين خراسان ، فى شهر رمضان سنة تسع ومائة ، واستخلف أسدٌ على خراسان الحكم بن عوانة الكلبىّ ، فأقام الحكم صيفيّة ، فلم يغز .

* * *

[ذكر الخبر عن دعاة بنى العباس]

وذكر علىّ بن محمد أنّ أوّل من قدِم خراسان من دعاة بنى العباس زياد أبو محمد مولى همْدان فى ولاية أسد بن عبد الله الأولى ، بعثه محمد بن علىّ ابن عبد الله بن العباس ، وقال له : ادع الناس إلينا وانزلْ فى اليمن ، والطف بمُضر[1] . ونهاه عن رجل من أبْرشهر[2] ، يقال له غالب ؛ لأنه كان مفرطًا فى حبّ بنى فاطمة .

(١) ابن الأثير : « مضر » .

(٢) ابن الأثير : « نيسابور » .

ويقال : أوّل من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن علىّ حرْب بن عثمان ، مولى بنى قيس بن ثعلبة من أهل بَلْخ .

قال : فلما قدِم زيادأبو محمد، ودعا إلى بنى العباس، ذكر سيرة بنى مروان وظلمهم، وجعل يُطعم الناس الطعام، فقدم عليه غالب من أبرشهر؛ فكانت بينهم منازعة؛ غالب يفضّل آل أبى طالب وزياد يفضّل بنى العباس. ففارقه غالب، وأقام زياد بمرْو شتوةً ، وكان يختلف إليه من أهل مرْو يحيى بن عقيل الخُزاعىّ وإبراهيم بن الخطاب العدوىّ .

قال : وكان ينزل بِرْزَن سويد الكاتب فى دور آل الرقاد، وكان على ١٥٠٢/٢ خراج مرْو الحسن بن شيخ، فبلغه أمرُه ، فأخبر به أسد بن عبد الله ، فدعا به[1]— وكان معه رجل يكنى أبا موسى —فلما نظر إليه أسد، قال له: أعرّفك ؟ قال : نعم، قال له أسد: رأيتك فى حانوت بدمشق ، قال : نعم، قال لزياد: فما هذا الذى بلغنى عنك؟ قال : رُفع إليك الباطل ، إنما قدمت خراسان فى تجارة ، وقد فرّقت مالى على الناس ، فإذا صارَ إلىّ خرجت . قال له أسد : اخرج عن بلادى، فانصرف، فعاد إلى أمره[2]، فعاود الحسن أسداً ، وعظّم عليه أمره ، فأرسل إليه ، فلما نظر إليه، قال: ألم أنهك عن المقام بخراسان! قال :[3] ليس عليك أيها الأمير منى بأس، فأحفظه وأمر بقتلهم ، فقال له أبو موسى : فاقض[4] ماأنتَ قاض . فازداد غضبا ، وقال له : أنزلتَنى منزلة فرعون ! فقال له : ما أنزلتُك ولكن الله أنزلك . فقتلوا، وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة، فلم ينجُ منهم يومئذ إلاّ غلامان استصغرهما ، وأمر بالباقين فقتلوا بكشانشاه.

وقال قوم : أمر أسد بزياد أن يُحطّ وسطه، فمُدّ بين اثنين ، فضرب فنبا السيف عنه، فكبّر أهل السوق ، فقال أسد: ماهذا؟ فقيل له، لم يحلِك السيف فيه ، فأعطى أبا يعقوب سيفًا ، فخرج فى سراويل ، والناس قد اجتمعوا عليه ، فضربه ، فنبا السيف، فضربه ضربة أخرى، فقطعه باثنتين .

(١) ابن الأثير : « فدعاه » . (٢) ح : « مرو » .
(٣) ح ، ف : « فقال له زياد » . (٤) ب ، ف : « اقض » .

وقال آخرون: عرض عليهم البراءة، فمن تبرّأ منهم مما[1] رفع عليه خلّى سبيله، فأبى البراءة ثمانية منهم، وتبرّأ اثنان. ١٥٠٣/٢

فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد فى مجلسه المشرف على السوق بالمدينة[2] العتيقة، فقال: أليس هذا أسيرنا بالأمس! فأتاه، فقال له: أسألك أن تلحقنى بأصحابى، فأشرفوا به على السوق، وهو يقول: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا[3]؛ فدعا أسد بسيف بُخاراخُداه، فضرب عنقه بيده قبل الأضحى بأربعة أيام، ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمّى كثيرًا، فنزل على أبى النجم، فكان يأتيه الذين لقوا زيادًا فيحدّثهم ويدعوهم، فكان على ذلك سنة أو سنتين، وكان كثير أميًّا، فقدم عليه خدّاش، وهو فى قرية تدعى مرعم، فغلب كثيرًا على أمره. ويقال: كان اسمه عمار فسمّى خدّاشًا، لأنه خدش الدين.

وكان أسد استعمل عيسى بن شداد البُرْجُمىّ إمْرته الأولى فى وجه وجّهه على ثابت قطنة، فغضب، فهجا أسدًا، فقال:

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَعْرِفونَ أَباهُمُ وأَبُو بَجِيلَةَ بَيْنَهُمْ يَتَذَبْذَبُ
إِنى وجَدْتُ أَبِى أَباكَ فلا تكنْ إِلْبًا علىَّ مع العَدُوّ تُجَلِّبُ
أَرْمِى بِسَهْمِى من رماكَ بِسَهْمِهِ وعدُوّ من عادَيتَ غَيْرُ مكَذَّبِ
أَسدُ بن عبدِ اللهِ جلَّلَ عفْوُهُ أهلَ الذنوبِ فكَيف من لم يُذْنِبِ!
أَجعلتَنِى للبُرْجُمِىِّ حَقِيبَةً والبُرْجُمِىُّ هو اللئيمُ المُحْقَبُ
عبدٌ إِذا استَبَقَ الكِرامُ رَأَيتَهُ يأْتِى سُكَيْنًا حاملًا فى الموكِبِ ١٥٠٤/٢
إِنى أَعوذُ بقَبْرِ كرز أن أُرَى تَبَعًا لِعَبْدٍ من تَمِيمٍ مُحْقَبِ

* * *

[ولاية أشرس بن عبد الله على خراسان]

وفى هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرسَ

---

(١) ح: «ممن». (٢) ح، ف: «فى المدينة».
(٣) ف: «إماما».

ابن عبد الله السُّلمىّ، فذكر علىّ بن محمد، عن أبى الذيّال العدوىّ ومحمد بن حمزة، عن طرخان ومحمد بن الصلت الثقفىّ أن هشام بن عبد الملك عزل أسد ابن عبد الله عن خراسان، واستعمل أشرس بن عبد الله السُّلمىّ عليها، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسرىّ — وكان أشرس فاضلا خيّراً، وكانوا يسمونه الكامل لفضله عندهم — فسار إلى خُراسان، فلما قدمها فرحوا بقدومه، فاستعمل على شُرطته عميرة أبا أمية اليشكرىّ ثم عزله وولّى السمط، واستقضى على مرْو أبا المبارك الكندىّ، فلم يكن له عِلم بالقضاء، فاستشار مقاتل بن حيّان، فأشار عليه مقاتل بمحمد بن زيد فاستقضاه، فلم يزل قاضياً حتى عزل أشرس.

وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان واستعمل على الرابطة عبد الملك بن دثار الباهلىّ، وتولى أشرس صغير الأمور وكبيرها بنفسه.

قال: وكان أشرس لما قدم خراسان كبَّر الناس فرحًا به، فقال رجل:

٢/١٥٠٥ لَقَدْ سَمِعَ الرَّحْمٰنُ تكْبِيرَ أُمَّةٍ غداةَ أَتاها من سليمٍ إمامُها
إمامُ هُدًى قَوَّى لهم أَمرَهُمْ بِهِ وكانت عجافاً ما تُمِخُّ عظامُها(١)

وركب(٢) حين قدم حماراً، فقال له حيّان النبطىّ: أيها الأمير، إن كنت تريد أن تكون والى خراسان فاركب الخيل، وشدّ حزام فرسك، وألزم السوط خاصرته حتى تقدم النار، وإلاّ فارجع. قال: أرجع إذن، (٣) ولا أقتحم النار يا حيّان. ثم أقام وركب الخيل.

قال علىّ: وقال يحيى بن حُضَين: رأيتُ فى المنام قبل قدوم أشرس قائلا يقول: أتاكم الوعْر الصّدر، الضّعيف الناهضة، المشئوم الطائر، فانتبهت فزعًا ورأيت فى الليلة الثانية: أتاكم الوعْر الصدر، الضعيف الناهضة، المشئوم الطائر، الخائن قومه؛ جغر، ثم قال:

لقد ضاعَ جَيْشٌ كانَ جَغرٌ أَميرَهُم فَهَل من تلافٍ قبل دَوْس القبَائِلِ!

(١) ب: «تمج»، ح، ف: «تصح». (٢) ح، ف: «فركب».
(٣) ح، ف: «إذاً أرجع».

فإن صُرِفَتْ عنْهُم به فلَعلّهُ وَإلا يكونوا من أحادِيثِ قائلِ

وكان أشرس يلقب جَغْراً بخراسان .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنةإبراهيم بن هشام ، كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر. وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

١٥٠٦/٢ وقال الواقدىّ : خطب الناس إبراهيم بن هشام بمنًى فى هذهالسنة الغد من يوم النحر بعد الظهر . فقال سلونى ، فأنا ابن الوحيد ، لاتسألون أحداً أعلمَ منى . فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية ؛ أواجبةٌ[1] هى أم لا ؟ فما درى أىّ شىء يقول له ! فنزل .

* * *

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكةوالطائف إبراهيم بن هشام ، وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله ، وعلى الصلاةبالبصرة أبان بن ضُبارة اليزنىّ ، وعلى شُرْطتها بلال بن أبى بُردة ، وعلى قضائها ثمامةبن عبد الله الأنصارىّ ؛ من قِبَل خالد بن عبد الله ، وعلى خُراسانأشرس بن عبد الله .

---

(١) ح ، ف : «واجبة هى» .

ثم دخلت سنة عشر ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة مَسلمة بن عبد الملك التّرك؛ سار إليهم نحو باب اللّان حتى لقِيَ خاقان فى جموعه، فاقتتلوا قريبًا من شهر، وأصابهم مطر شديد، فهزم الله خاقان، فانصرف، فرجع مَسْلمة فسلك على مسجد ذى القرنين.

وفيها غزا - فيما ذُكر - معاوية بن هشام أرضَ الروم، ففتح صمّاله[1].

١٥٠٧/٢ وفيها غزا الصائفةَ عبدُالله بن عُقْبة الفِهْرىّ. وكان على جيش البحر - فيما ذكر الواقدىّ - عبدُ الرحمن بن معاوية بن حُديج.

وفى هذه السنة دعا الأشرس أهلَ الذّمة من أهل سمرْقَنْد ومَن وراء النهر إلى الإسلام، على أن تُوضَع عنهم الجزية، فأجابوا[2] إلى ذلك، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية، وطالبهم[3] بها، فنصبوا له الحرب.

* * *

ذكر الخبر عمّا كان من أمْر أشْرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم فى ذلك

ذكِر أن أشرس قال فى عَمله بخراسان: ابغونِى رجلاً له ورع وفضل أوجّهه إلى مَن وراء النهر، فيدعوهم[4] إلى الإسلام. فأشاروا عليه بأبي الصّيداء صالح بن طريف، مولى بنى ضبّة، فقال: لستُ بالماهر بالفارسيّة، فضموا معه[5] الربيع بن عمران التميمىّ، فقال أبو الصيداء: أخرج على شريطة أنّ مَن أسلم لم يؤخذ منه الجزية، فإنما خراج خُراسان على رءوس الرجال، قال أشرس: نعم، قال أبو الصيداء لأصحابه: فإنى أخرج فإن لم يف العمال أعنتمونى عليهم، قالوا: نعم.

(١) ح: «صملة».
(٢) ح: «فأجابوه».
(٣) ح: «وطلبهم».
(٤) ح، ف: «يدعوهم».
(٥) ح، ف: «إليه».

فشخص إلى سَمَرْقند ، وعليها الحسن بن أبى العَمَرّطة الكندىّ على ٢/١٥٠٨
حربها وخراجها(١) ، فدعا أبو الصيداء أهلَ سمرْقند ومَن حولها إلى الإسلام ، على أن تُوضع عنهم الجِزية ، فسارع الناس ، فكتب غوزك إلى أشرس : إنّ الخراج قد انكسر ؛ فكتب أشرس إلى ابن أبى العمرّطة : إنّ فى الخراج قوّة للمسلمين ؛ وقد بلغنى أنّ أهل السُّغد وأشباههم لم يُسلموا رغبة ، وإنما دخلوا فى الإسلام تعوّذا من الجِزْية ؛ فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحَسُن إسلامه ، وقرأ سورةً من القرآن ، فارفع عنه خراجَه . ثم عزل أشرس ابنَ أبى العمرّطة عن الخراج ، وصيّره إلى هانئ بن هانئ ، وضم إليه الأشحيذ ، فقال ابنُ أبى العمرّطة لأبى الصيداء : لستُ من الخراج الآن فى شىء ، فدونك هانئًا والأشحيذ ؛ فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم ، فكتب هانئ : إنّ الناس قد أسلموا وبنوا المساجدَ . فجاء دهاقين بُخارى إلى أشرس فقالوا : ممن تأخذ الخراج ، وقد صار الناس كلهم عربًا ؟ فكتب أشرس إلى هانئ وإلى العمال : خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه ، فأعادوا الجِزْية على مَن أسلم ، فامتنعوا ؛ واعتزل من أهل السُّغد سبعة آلاف ، فنزلوا على سَبْعة فراسخ من سَمَرْقند ، وخرج إليهم أبو الصّيداء وربيع بن عمران التميمىّ والقاسم(٢) الشيبانىّ وأبو فاطمة الأزدىّ وبِشر بن جرموز الضبّىّ
٢/١٥٠٩ وخالد بن عبد الله النحوىّ وبشر بن زنبور الأزدىّ وعامر بن قشير — أو بشير ، الخُجَنْدىّ(٣) ، وبيان(٤) العنبرىّ وإسماعيل بن عُقْبة ، لينصروهم .

قال : فعزل أشرسُ ابنَ أبى العمرّطة عن الحرب ، واستعمل مكانه المجشرّ بن مزاحم السلمىّ ، وضمّ إليه عُمَيرة بن سعد الشيبانىّ .

قال : فلما قدم المجشّر كتب إلى أبى الصيداء يسأله أن يقدم عليه هو وأصحابُه ، فقدم أبو الصيداء وثابت قطنة ، فحبسهما ، فقال أبو الصيداء : غدرتم(٥) ورجعتم(٦) عما قلتم ! فقال له هانئ : ليس بغدر

---

(١) ف : « وعلى خراجها » .
(٢) فى ابن الأثير : « والهيثم الشيبانى » .
(٣) ابن الأثير : « وبحير الخجندى » .
(٤) ابن الأثير : « بنان » .
(٥) ب : « أغدرتم » .
(٦) ح ، ف : « ثم رجعتم » .

ما كان فيه حَقْنَ الدماء . وحمل أبا الصيداء إلى الأشرس ، وحبس ثابت قطنة عنده ؛ فلما حُمل أبو الصيداء اجتمع أصحابُه وولوا أمرهم أبافاطمة ، ليقاتلوا هانئاً ، فقال لهم : كفّوا حتى أكتبَ إلى أشرس فيأتينَا رأيُه فنعمل بأمره . فكتبوا إلى أشرس ، فكتب أشْرس : ضعوا عليهم الخراج ، فرجع أصحاب أبي الصَّيداء ، فضعف أمرهم ، فتُتبِّع الرّؤساء منهم فأخذوا ، وحملوا إلى مَرْو ، وبقى ثابت محبوسًا ، وأشرك أشرس مع هانئ بن هانئ سليمانَ بن أبي السريّ مولى بني عوافة في الخراج ، فألحّ هانئ والعمال في جباية الخراج ، واستخفّوا بعظماء العجم ، وسلّط المجشّر عميرة بن سعد على الدّهاقين ، فأقيموا وخُرّقت ثيابهم ، وألقيت مناطقهم في أعناقهم ، وأخذوا[1] الجِزْية ٢/١٥١٠
ممن أسلم من الضُّعفاء ، فكفرت السُّغْد وبُخارى ، واستجاشوا الترك ، فلم يزل ثابت قطنة في حبس المجشّر ، حتى قدم نصر بن سيار واليًا على المجشّر ، فحمل ثابتًا إلى أشرس مع إبراهيم بن عبد الله الليثيّ فحبسه . وكان نصر بن سيَّار ألطفه ، وأحسن إليه ، فمدحه ثابت قُطْنة ، وهو محبوس عند أشرس فقال :

ما هاجَ شوقك من نؤْيٍ وأحجارِ ... ومنْ رُسُومٍ عفاها صَوبُ أمطارِ!
لم يَبقَ منها وَمِنْ أعلام عَرْصتِها ... إلا شَجِيجٌ وإلاّ موقَدُ النارِ
ومائِلٌ في ديار الحَيّ بعدَهُمُ ... مثلُ الرَّبيئة في أهدامِهِ العاري
دِيارُ ليلَى قِفارٌ لا أنيسَ بها ... دون الجَحُونِ وأينَ الحجن مِنْ داري ![2]
بُدِّلتُ منها وقد شَطَّ المَزارُ بها ... وَادِي المخافة لا يَسْرى بها الساري
بَيْنَ السَّماوة في حَزمٍ مُشرّقة ... ومُعْنقٌ دوننا آذيُّهُ جار[3]
نُقارِعُ التركَ ما تَنفكّ نائِحةٌ ... مِنَّا وَمِنهُم على ذي نَجْدةٍ شار ٢/١٥١١
إن كانَ ظني بنصْر صادِقاً أبَدًا ... فيما أُدبِّرُ مِنْ نَقْضى وَإمراري
يَصْرفُ الجُنْدَ حتى يَسْتَفِيءَ بهم ... نهْباً عظِيماً ويَحْوِى مُلكَ جبَّار

(١) ف : « وأخذت الجزية » .
(٢) ف : « واين الحجر » .
(٣) ب : « ومغرق » .

وَتَعثُرُ الخَيْلُ فى الأَقيادِ آونَةً تحوى النِّهابَ إلى طُلاَّبِ أَوتارِ
حتى يَرَوْها دُوَيْنَ السَّرْحِ بارِقَةً فيها لواءٌ كَظِلِّ الأَجدَلِ الضارِى
لا يَمْنعُ الثَّغْرَ إلا ذُو مُحافَظةٍ مِنَ الخَضارِمِ سبّاق بأَوتارِ
إِنى وإن كُنْتُ مِنْ جِذْمِ الذى نَضُرتْ منْهُ الفروعُ وَزَنْدِى الثاقِبُ الوارِى
لذاكِرٌ مِنْكَ أمرًا قَدْ سَبَقْتَ بِهِ من كان قَبْلَكَ يا نَصْر بن سَيَّار
ناضَلْتَ عَنِّى نِضالَ الحُرِّ إِذْ قَصُرَتْ دونى العَشِيرَةُ واسْتبْطَأْتُ أَنصارِى
وصارَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ أَلباً عَلَىّ وَرَثَّ الحَبْلُ من جارِى ٢/١٥١٢
وَما تَلبَّسْتُ بالأَمْرِ الذى وَقَعُوا بِهِ علىَّ وَلا دَنَّسْتُ أَطمارِى
ولا عَصَيْتُ إماماً كان طاعَتُهُ حَقًّا علىَّ ولا قَارفْتُ من عارِ

قال علىّ : وخرج أشرس غازيًا فنزل آمُل ، فأقام ثلاثة أشهر ، وقدّم قطَن بن قُتَيبة بن مسلم فعبر النهر فى عشرة آلاف ، فأقبل أهلُ السُّغْد وأهلُ بُخارى ؛ معهم خاقان والترك ، فحصروا قطَن بن قتيبة فى خَنْدقه ، وجعل خاقان ينتخب كلّ يوم فارسًا ، فيعبرُ فى قطعة من الترك النهر . وقال قوم : أقحموا دوابّهم عُرْياً ، فعبروا وأغاروا على سرْح الناس ، فأخرج أشرس ثابت قُطْنة بكفالة عبدالله بن بِسْطام بن مسعود بن عمرو ، فوجّهه مع عبد الله بن بِسطام فى الخيل[1] فاتبعوا الترك ، فقاتلوهم بآمُل حتى استنقذوا ما بأيديهم ؛ ثم قطع الترك النهر إليهم راجعين ، ثم عبر أشرس بالناس إلى قطن بن قتيبة ، ووجّه أشرس رجلاً يقال له مسعود — أحد بنى حيّان — فى سريّة ، فلقيهم العدوّ ، فقاتلوهم ، فأصيب[2] رجال من المسلمين ٢/١٥١٣
وهزِم مسعود ؛ حتى رجع إلى أشرس ، فقال بعض شعرائهم :

خابَتْ سَرِيَّة مَسْعُودٍ وما غنِمَتْ إلا أفانِينَ من شَدٍّ وتَقْرِيبِ
حَلُّوا بأَرضٍ قِفَارٍ لا أَنِيسَ بها وَهُنَّ بالسَّفح أمثالُ اليعاسيبِ

(١) ب : « فى خيل » .
(٢) ح ، ف : « وأصيب » .

وأقبل العدوّ ، فلما كانوا بالقرب لقيَهم المسلمون فقاتلوهم ، فجالوا جَوْلة ، فقتِل فى تلك الجوْلة رجال من المسلمين ، ثم كرّ المسلمون وصبروا لهم ، فانهزم المشركون. ومضى أشرس بالناس ؛ حتى نزل بِيكَنْد ، فقطع العدوّ عنهم الماء ، فأقام أشرس والمسلمون فى عسكرهم يومَهم ذلك وليلتَهم ، فأصبحوا وقد نفِد ماؤهم ، فاحتفروا فلم يُنبطوا ، وعطشوا فارتحلوا إلى المدينة التى قطعوا عنهم المياه منها ، وعلى مقدّمة المسلمين قطن بن قُتيبة ، فلقيَهم العدوّ فقاتلوهم ، فجهِدوا من العطش ، فمات منهم سبعمائة ، وعجز الناس عن القتال ، ولم يبقَ فى صفّ الرّباب إلا سبعة ، فكاد ضرار بن حصين يؤسَرُ من الجهد الذى كان به ، فحضّ الحارث بن سُريج[١] الناس ، فقال : أيها الناس ، القتل بالسيْف أكرم فى الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشاً . فتقدّم الحارث بن سُريج وقَطَن بن قُتيبة وإسحاق بن محمد ،
١٥١٤/٢ ابن أخى وكيع ، فى فوارس من بنى تميم وقيس ، فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء ، فابتدره الناس فشربوا وارتووا .

قال : فمرّ ثابت قُطْنة بعبد الملك بن دثار الباهلىّ ، فقال له : يا عبد الملك ، هل لك فى آثار الجهاد ؟ فقال : أنظِرْنى ريثما أغتسل وأتحنّط ، فوقف له حتى خرج ومضيا ، فقال ثابت لأصحابه : أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم ، وحضّهم ، فحملوا على العدوّ[٢] ، واشتدّ القتال ، فقُتِل ثابت فى عدّة من المسلمين ؛ منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدىّ وعبد الملك بن دثار الباهلىّ والوجيه الخُراسانىّ والعقّار بن عقبة العودىّ. فضمّ قطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد بن حسان[٣] خيلاً من بنى تميم وقيس ؛ تبايعوا على الموت ، فأقدموا على العدوّ ، فقاتلوهم فكشفوهم ؛ وركبهم المسلمون يقتلونهم ؛ حتى حجزهم الليل ، وتفرّق العدوّ . فأتى أشرس بُخارى فحصر أهلها .

قال علىّ بن محمد ، عن عبد الله بن المبارك : حدّثنى هشام بن عُمارة

---

(١) سريج ، ضبطها ابن الأثير : « بالسين المهملة والجيم » ؛ وفى ب : « شريح » .
(٢) ح : « فحملهم على لقاء العدوّ » .
(٣) ابن الأثير : « إسحاق بن محمد بن حبان » .

ابن القعقاع الضبىّ عن فُضيل بن غَزْوان ، قال : حدّثنى وجيه البُنانىّ ونحن نطوف بالبيت ، قال : لقيَنا الترك ، فقتلوا مناقوماً ، وصُرعتُ وأنا أنظر إليهم ، يجلسون فيستقُون حتّى انتهوا إلىّ ، فقال رجل منهم : دعوه فإن له أثراً هو واطئه ، وأجلاً هو[1] بالغُه ؛ فهذا أثر قد وطئته ، وأنا أرجو
٢/١٥١٥ الشهادة . فرجع إلى خراسان ؛ فاستشهد مع ثابت .

قال : فقال الوازع بن مائق : مرّ بى الوجيه فى بغلين يوم أشرس ، فقلت : كيف أصبحت يا أبا أسماء ؟ قال : أصبحتُ بين حائر[2] وحائز ؛[3] اللهمّ لفّ بين الصفين ؛ فخالط[4] القوم وهو متنكّب قوسه وسيفه ، مشتمل فى طَيْلسان واستُشهد[5]، واستُشهد الهيثم بن المنخّل العبدىّ.

قال علىّ ، عن عبد الله بن المبارك ، قال : لما التقى أشرس والترك ، قال ثابت قُطْنة : اللهمّ إنّى كنت ضيف ابن بِسطام البارحة ، فاجعلنى ضيفَك الليلة ؛ والله لا ينظر إلىّ بنو أمية مشدوداً فى الحديد ؛ فحمل وحمل أصحابُه ، فكذب أصحابُه وثبت ؛ فرُمِىَ بِرْذونه فشبّ ، وضربه فأقدم ، وضُرب فارتُثّ ، فقال وهو صريع : اللهمّ إنى أصبحتُ ضيفاً لابن بسطام ، وأمسيت ضيفك ؛ فاجعل قِراىَ من ثوابك الجنة .

قال علىّ : ويقال إنّ أشْرس قطع النهر ، ونزل بِيكنْد ؛ فلم يجد بها ماء ؛ فلما أصبحوا ارتحلوا ، فلما دنوْا من قصر بُخاراخداه — وكان منزله منهم على مِيل — تلقّاهم ألفُ فارس ، فأحاطوا بالعسكر وسطع رَهج الغُبار ، فلم يكن الرّجل يقدر أن ينظر إلى صاحبه . قال : فانقطع منهم ستة آلاف ، فيهم
٢/١٥١٦ قطن بن قتيبة وغَوْزك من الدّهاقين ، فانتهوا إلى قصر من قصور بُخارى ، وهم يروْن أنّ أشرس قد هلك ، وأشرس فى قصور بخارى ؛ فلم يلتقُوا إلا بعد يومين ، ولحق غوزك فى تلك الوقعة بالترك ، وكان قد دخل القصر مع قَطن ، فأرسل إليه قَطَن رجلا ، فصاحوا برسول قطن ؛ ولحق بالترك .

---

(١) ح : « فهو » .
(٢) ف : « جائر » .
(٣) ب : « وحائن » .
(٤) ح ، ف : « ثم خالط » .
(٥) ب : « فاستشهدوا » .

قال : ويقال إن غوزك وقع يومئذ وسط خيل ، فلم يجد بدًّا من اللحاق بهم . ويقال إنّ أشرس أرسل إلى غَوْزك يطلب منه طاسًا ، فقال لرسول أشرس : إنه لم يبقَ معى شىء أتدهن به غير الطاس ، فاصفَحْ عنه . فأرسل إليه : اشرب فى قَرْعة ، وابعث إلىّ بالطاس ، ففارقه.

قال : وكان على سَمَرْقَنْد نصر بن سيار ، وعلى خراجها عُميرة بن سعد الشيبانىّ ، وهم محصورون ، وكان عميرة ممّن قدم مع أشرس ، وأقبل قُريش ابن أبى كهْمَس على فرس ، فقال لقَطَن : قد نزل الأمير والناس ؛ فلم يُفْقَد أحد من الجند غيرك ، فمضى قطن والناس إلى العسكر ؛ وكان بينهم ميل .

* * *

[ذكر وقعة كمرجة]

قال : ويقال إنّ أشرس نزل قريبًا من مدينة بُخارى على قدْر فرسخ ؛ وذلك المنزل يقال له المسجد ؛ ثم تحول منه إلى مَرْج يقال له[1] بوادرة ، فأتاهم سبابة — أو شبابة — مولى قيس بن عبد الله الباهلىّ ؛ وهم نزول بكَمَرْجة — وكانت كَمَرْجة من أشرف مدن خراسان وأعظمها أيام أشرس فى ولايته[2] —
١٥١٧/٢ فقال لهم : إن خاقان مارٌّ بكم غدًا ، فأرى لكم أن تُظهِروا عُدّتكم ، فيرى جِدًّا واحتشادًا، فينقطع طمعه منكم . فقال له رجل منهم : استوثِقوا من هذا فإنه جاء ليَفتّ فى أعضادكم ، قالوا : لا نفعل ، هذا مولانا وقد عرفناه بالنصيحة ، فلم يقبلوا منه ، وفعلوا ما أمرهم به المولى ، وصبّحهم خاقان ، فلما حاذَى بهم ارتفع إلى طريق بُخارى كأنه يريدها ؛ فتحدّر بجنوده من وراء تلّ بينهم وبينه ، فنزلوا وتأهبوا وهم لا يشعرون بهم ، فلما كان ذلك مافاجأهم أن طلعوا على التلّ ، فإذا جبل حديد : أهل فَرْغانة والطارَبَنْد وأفشينة ونَسَف وطوائف من أهل بخارى . قال : فأسقِط فى أيدى القوم ، فقال لهم كليب بن قَنَان الذهلىّ : هم يريدون مزاحفَتكم فسرِّبُوا دوابكم المجفّفة فى طريق النهر ، كأنكم تريدون أن تسقوها ، فإذا جرّدتموها فخذوا طريق الباب ،

(١) ح ، ف : « يسمى » . (٢) ب ، ف : « وولايته » .

وتسرّبوا الأوّل فالأوّل ؛ فلما رآهم الترك يتسرّبون شدّوا عليهم فى مضايق ؛ وكانوا هم أعلم بالطريق من الترك، فسبقوهم إلى الباب فلحقوهم عنده ، فقتلوا رجلاً كان يقال له المهلب ، كان حاميتهم ، وهو رجل من العرب ، فقاتلوهم فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق فدخلوه ، فاقتتلوا ، وجاء رجلٌ من العرب بحُزمةِ قصب قد أشعلها[1] ، فرمى بها وُجوههم فتنحوْا ، وأخلَوْا ١٠١٨/٢
عن قتلى وجرحى ، فلما أمسوْا انصرف الترك ، وأحرق العربُ القنطرة ، فأتاهم خُسرو بن يَزْدَجِرْد فى ثلاثين رجلاً ، فقال : يا معشَر العرب ، لِمَ تقتلون أنفسكم وأنا الذى جئت بخاقان ليرد علىّ مملكتى ، وأنا آخذ لكم الأمان ! فشتموه ، فانصرف .

قال : وجاءهم[2] بازغرى فى مائتين — وكان داهية — من وراء النهر ، وكان خاقان لا يخالفه ، ومعه رجلان من قرابة خاقان ، ومعه أفراس من رابطة أشرس ، فقال : آمِنونا حتى ندنُوَ منكم ، فأعرِض[3] عليكم ما أرسلنى إليكم به خاقان . فآمنوه ، فدنا من المدينة ، وأشرفوا عليه ومعه أسَراء من العرب ، فقال بازغرى : يا معشَر العرب ، أحدِروا إلىّ رجلا منكم أكلمه برسالة خاقان ، فأحدروا حبيبًا مولى مَهرة من أهل درقين ، فكلموه فلم يفهم ، فقال : أحدِروا إلىّ رجلا يعقل عنى ، فأحدروا يزيد بن سعيد الباهلىّ ، وكان يشدُو شدواً من التركية[4] ، فقال : هذه خيل الرابطة ووجوه العرب معه أسراء . وقال : إن خاقان أرسلنى إليكم ؛ وهو يقول لكم : إنى أجعل مَنْ كان عطاؤه منكم ستمائة ألفًا ، ومَن كان عطاؤه ثلثمائة ستمائة ؛ وهو مجمع بعد هذا على الإحسان إليكم ، فقال له يزيد : هذا أمر لا يلتئم ؛ كيف ١٠١٩/٢
يكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاءٌ ! لا يكون بيننا وبينكم[5] صلح . فغضب بازغرى ، فقال التركيان اللذان معه : ألا نضرب عنقه ؟ قال : لا ، نزل إلينا[6] بأمان . وفهم ما قالا له يزيد ، فخاف فقال : بلى يا بازغرى إلاّ أن

---

(١) ب : « فأشعلها » . (٢) ابن الأثير : « وأتاهم » .
(٣) ب : « وأعرض » . (٤) ابن الأثير : « وكان يفهم بالتركية يسيراً » .
(٥) ب : « وبينهم » .
(٦) « ابن الأثير : إنه نزل إلينا بأمان » .

تجعلونا نصفين ، فيكون نصفٌ فى أثقالنا ويسير النّصف معه؛ فإن ظفر خاقان فنحن معه ؛ وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السُّغد . فرضى بازغرى والتركيان بما قال ، فقال له : أعرض على القوم ما تراضيْنا به ، وأقبل فأخذ بطرَف الحبْل فجذبوه حتى صار على سُور المدينة ، فنادى : يا أهل كَمَرْجة ، اجتمعوا ، فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان ، فما ترون ؟ قالوا : لا نجيب ولا نرضى ، قال : يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين ، قالوا : نموت جميعًا قبل ذلك . قال : فأعلموهم .

قال : فأشرفوا عليهم ، وقالوا : يا بازغرى ، أتبيع الأسرى فى أيديكم فنفادى بهم ؟ فأما ما دعوتَنا إليه فلا نجيبكم إليه ، قال لهم : أفلا تشترون أنفسكم منا ؟ فما أنتم عندنا إلا بمنزلة مَن فى أيدينا منكم – وكان فى أيديهم الحجاج بن حُميد النضرىّ – فقالوا له : يا حجاج ، ألا تكلّم ؟ قال : علىّ رقباءُ ، وأمر خاقان بقطْع الشجر[1] ، فجعلوا يلقُون الحطب الرّطب ، ويلقى أهل
١٥٢٠/٢ كَمَرْجة الحطَب اليابس ، حتى سوّى الخندق ، ليقطعوا إليهم[2] ، فأشعلوا فيه النيران ، فهاجت ريحٌ شديدة – صُنْعاً من الله عزّ وجلّ – قال : فاشتعلت النار فى الحطب ، فاحترق ما عملوا فى ستة[3] أيام فى ساعة من نهار ، ورميناهم فأوجعناهم وشغلناهم بالجراحات . قال : وأصابتْ بازغرى نُشابة فى سرّته ، فاحتقن بوله ، فمات من ليلته ، فقطع أتراكه آذانَهم ، وأصبحوا بشرٍّ ، منكّسين رءوسهم يبكونه ، ودخل عليهم أمر عظيم . فلما امتدّ النهار جاءوا بالأسْرى وهم مائة ؛ فيهم أبو العوْجاء العتكىّ وأصحابه ، فقتلوهم ، ورمَوْا إليهم برأس الحجاج ابن حُميد النضرىّ . وكان مع المسلمين مائتان من أولاد المشركين كانوا رهائن فى أيديهم ، فقتلوهم واستماتوا ، واشتدّ القتال ، وقاموا على باب الخندق فسار على السور خمسة أعلام ، فقال كليب : مَنْ لى بهؤلاء ؟ فقال ظهير بن مقاتل الطُّفاوىّ : أنا لك بهم ؛ فذهب يسعى . وقال لفتيان : امشوا خلْفِى ، وهو جريح ، قال : فقتل يومئذ من الأعلام اثنان ، ونجا ثلاثة . قال : فقال ملك من الملوك لمحمد بن وساج : العجَب أنه لم يبقَ ملِك فيما وراء النهر إلاّ

---

(١) ابن الأثير : « وأمر خاقان فقطع الشجرة » . (٢) ح ، ف : « ليقطعوا النهر » .
(٣) ابن الأثير : « سبعة أيام » .

قاتل بكَمَرْجة غيرى ، وعزّ علىّ ألا أقاتل مع أكفائى ولم يُرَ مكانى . فلم يزل أهلُ كَمَرْجة بذلك ؛ حتى أقبلت جنود العرب ، فنزلت فَرْغانة .
فعيّر خاقانُ أهلَ السُّغد وفرغانة والشاش والدهاقين ، وقال لهم : زعمتم أن فى ١٥٢١/٢
هذه خمسين حماراً ، وأنّا نفتحها فى خمسة أيام ؛ فصارت الخمسة الأيام شهريْن . وشتمهم وأمرهم بالرحلة ، فقالوا : ما ندع جُهدًا ، ولكن أحضرنا غداً فانظر ؛ فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف ، فقام إليه ملك الطارَبَنْد ؛ فاستأذنه فى القِتال والدّخول عليهم ، قال : لا أرى أن تقاتل فى هذا الموضع — وكان خاقان يعظّمه — فقال : اجعل لى جاريتيْن من جوارى العرب ، وأنا أخرج عليهم ؛ فأذن له ، فقاتل فقتِل منهم ثمانية ، وجاء حتى وقف على ثُلْمة وإلى جنب الثلمة بيت فيه خَرْق يفضِى إلى الثلْمة ، وفى البيت رجلٌ من بنى تميم مريض ، فرماه بكَلُّوب(١) فتعلق بدرعه ، ثم نادى النساء والصبيان ، فجذبوه فسقط لوجهه وركبته ؛ ورماه رجلٌ بحجَر ؛ فأصاب أصلَ أذنه فصُرِع ، وطعنه رجل فقتله . وجاء شابّ أمرد من الترك ، فقتله وأخذ سلبه وسيفه ، فغلبناهم على جسده — قال : ويقال : إنّ الذى انتدب لهذا فارس أهل الشاش — فكانوا قد اتخذوا صنَاعًا ، وألصقوها(٢) بحائط الخندق ، فنصبوا قبالة ما اتخذوا أبوابًا له ؛ فأقعدوا الرُّماة وراءها ؛ وفيهم غالب بن المهاجر
الطائىّ عمّ أبى العباس الطوسىّ ورجلان ، أحدُهما شيبانىّ والآخر ناجىّ ؛ ١٥٢٢/٢
فجاء فاطلع فى الخندق ، فرماه الناجىّ فلم يخطئْ قَصَبةَ أنفه ، وعليه كاشخودة تبّتيّة ، فلم تضرّه الرمية ، ورماه الشيبانىّ وليس يرى منه غير عينيه ؛ فرماه غالب ابن المهاجر ، فدخلت النشابة فى صدره ، فنكس فلم يدخل خاقانَ شىءٌ أشدّ منه .

قال : فيقال : إنه إنما قتل الحجاج وأصحابه يومئذ لما دخله من الجَزَع ، وأرسل إلى المسلمين أنه ليس مِنْ رأينا أن نرتحل عن مدينة ننزلها دون افتتاحها ، أو ترحّلهم عنها . فقال له كليب بن قَنَان : وليس من ديننا أن نعطى

---

(١) الكلوب : المهماز .
(٢) ف : « فألصقوها » .

بأيدينا حتى نُقْتَل ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فرأى التّرك أن مقامهم عليهم ضرر ، فأعطوهم الأمان على أن يرحل هو وهم عنهم بأهاليهم وأموالهم إلى سَمَرْقند أو الدَّبُوسيَة ، فقال لهم : اختاروا لأنفسكم فى خروجكم من هذه المدينة .

قال : ورأى أهل كَمَرْجة ما هم فيه من الحصار والشدّة ، فقالوا : نشاور أهل سَمَرْقند ، فبعثوا غالب بن المهاجر الطائىّ ، فانحدر فى موضع من الوادى ، فمضى إلى قصر يسمى فرزاونة ، والدّهقان الذى بها صديق له ، ١٥٢٣/٢ فقال له : إنّى بُعثت إلى سَمَرْقند ؛ فاحملْنى ، فقال : ما أجد دابة إلا بعض دوابّ خاقان ، فإن له فى روضة خمسين دابة ؛ فخرجا جميعًا إلى تلك الرّوْضة ، فأخذ برذونًا فركبه ، وكان إلْفه برْذون آخر ، فتبعه فأتى سَمَرْقند من ليلته ، فأخبرهم بأمرهم ، فأشاروا عليه بالدّبُوسيَة ، وقالوا : هى أقرب ، فرجع إلى أصحابه ، فأخذوا من التّرك رهائن ألاّ يعرضوا لهم ، وسألوهم رجلا من التّرك يتقوّوْن به مع رجال منهم ، فقال لهم التّرك : اختاروا مَنْ شئتم ، فاختاروا كورصول يكون معهم ، فكان معهم حتى وصلوا إلى حَيْث أرادوا . ويقال : إن خاقان لما رأى أنه لا يصل إليهم شتم أصحابَه ، وأمرهم بالارتحال عنهم ؛ وكلمه المختار بن غوزك وملوك السُّغْد وقالوا : لا تفعل أيها الملك ؛ ولكن أعطِهم أمانًا يخرجون عنها ، ويروْن أنك إنما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك أنه مع العرب فى طاعتها ، وأن ابنه المختار طلب إليك فى ذلك مخافة على أبيه ؛ فأجابهم إلى ذلك ، فسرّح إليهم كورصول يكون معهم ، يمنعهم ممن أرادهم .

قال : فصار الرّهن من التّرك فى أيديهم ، وارتحل خاقان ، وأظهر أنه يريد سَمَرْقند — وكان الرّهن الذى فى أيديهم من ملوكهم — فلما ارتحل خاقان — قال كور صول للعرب : ارتحلوا ، قالوا : نكره أن نرتحل والتّرك لم يمضوا ، ولا نأمنهم أن يعرضوا لبعض النساء فتحمى العرب فنصير إلى مثل ما كنا فيه من الحرب .

قال : فكفّ عنهم ؛ حتّى مضى خاقان والتّرك ، فلما صلوا الظهر أمرهم

كور صول بالرحلة ، وقال : إنما الشدّة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخَيْن ،
١٠٢٤/٢ ثم تصيروا إلى(١) قرى متصلة ؛ فارتحلوا وفى يد الترك من الرّهن من العرب
نفر ، منهم شعيب البكرىّ أو النصرىّ ، وسِباع بن النعمان وسعيد بن عطية ،
وفى أيدى العرب من الترك خمسة ، قد أردفوا خلْف كلّ رجل من الترك رجلا
من العرب معه خنجر ، وليس على التركىّ غير قَباء ، فساروا بهم .

ثم قال العجم لكورصول : إنّ الدبُوسيّة فيها عشرة آلاف مقاتل ؛
فلا نأمن أن يخرجوا علينا ، فقال لهم العرب : إن قاتلوكم قاتلناهم معكم .
فساروا ، فلما صار بينهم وبين الدّبُوسيّة قدر فرسخ أو أقلّ نظر أهلها إلى
فرسان وبياذقة(٢) وجمعْ . فظنوا أن كَمَرْجة قد فُتِحت ، وأنّ خاقان قصد
لهم . قال : وقربنا منهم وقد تأهّبوا للحرب ؛ فوجّه كليب بن قَنان رجلاً
من بنى ناجية يقال له الضّحاك على بِرذَوْن يركض ، وعلى الدبُوسيّة عَقيل بن
ورّاد السّغدىّ ، فأتاهم الضّحاك وهم صفوف ؛ فرسان ورجّالة ، فأخبرهم
الخبر ، فأقبل أهل الدبُوسيّة يركُضون ، فحمل مَن كان يضعف عن المشى
ومَنْ كان مجروحًا .

ثمّ إن كليبًا أرسل إلى محمد بن كرّاز ومحمد بن دِرْهَم ليُعلِما سِباع
ابن النعمان وسعيد بن عطية أنهم قد بلغوا مأمنهم ، ثم خلّوا عن الرّهن ؛
فجعلت العرب ترسل رجلاً من الرّهن الذين فى أيديهم من الترك ، وترسل الترك
١٠٢٥/٢ رجلا من الرّهن الذين فى أيديهم من العرب ؛ حتى بقىَ سِباع بن النعمان فى
أيدى الترك ، ورجل من الترك فى أيدى العرب ، وجعل كلّ فريق منهم يخاف
على صاحبه الغَدْر ، فقال سِباع : خلّوا رهينة الترك ، فخلّوه وبقى سِباع
فى أيديهم ، فقال له كورصول : لمَ فعلت هذا ؟ قال : وثقتُ برأيك فىّ ،
وقلت : ترفَعُ نفسك عن الغدْر فى مثل هذا ؛ فوصله وسلّحه وحمله على
برْذون ، ورده إلى أصحابه .

قال : وكان حصار كَمَرْجة ثمانية وخمسين يومًا ، فيقال إنهم لم
يسقوا إبلَهم خمسة وثلاثين يومًا .

---

(١) ح : « فى » . (٢) البياذقة : الرجالة ، وفى ط : « بيارقة » .

قال : وكان خاقان قسّم فى أصحابه الغنم ، فقال : كُلُوا لحومها واملئوا جلودها ترابًا ، واكبسوا خندقكم ؛ ففعلوا فكبسوه ، فبعث الله عليهم سحابة فطرت ، فاحتمل المطر ما ألقوا ، فألقاه فى النهر الأعظم .

وكان مع أهل كَمَرْجة قومٌ من الخوارج ؛ فيهم ابن شُنْجٍ مولى بنى ناجية .

* * *

[ذكر ردّة أهل كرْدر]

وفى هذه السنة ارتدّ أهل كُرْدر ، فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم ؛ وقد كان الترك أعانوا أهل كُرْدَر ؛ فوجّه أشرس إلى مَنْ قرب من كُرْدَر من المسلمين ألف رجل ردْءاً لهم؛ فصاروا إليهم، وقد هزم المسلمون الترك ، فظفروا بأهل كردر . وقال عرْفجة الدارمىّ :

نحْن كَفَينا أَهْلَ مروٍ وغَيْرَهُمْ ... ونحنُ نَفَيْنا التُّرْكَ عن أَهْل كُرْدَرِ

١٥٢٦/٢ فإن تجعَلوا ما قد غَنِمْنَا لِغَيْرِنا ... فَقَدْ يُظلَمُ المَرءُ الكَرِيمُ فيَصْبرِ

* * *

وفى هذه السنة جعل خالد بن عبد الله الصّلاة بالبصرة مع الشّرْطة ؛ والأحداث والقضاء إلى بلال بن أبى بُردة ؛ فجمع ذلك كلّه له، وعزل به ثُمامة بن عبد الله بن أنس عن القضاء .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدىّ وغيرهما ؛ حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام ، وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله ، وعلى خُراسان أشرس ابن عبد الله .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصّائفة اليسرى وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيساريّة .

قال الواقديّ : غزا سنة إحدى عشرة ومائة على جيش البحر عبد الله بن أبي مريم ، وأمّر هشام على عامّة الناس من أهل الشأم ومصر الحكمَ بن قيس ابن مخرَمة بن المطلب بن عبد مناف .

وفيها سارت الترك إلى أذْربيجان ، فلقيهم الحارث بن عمرو فهزمهم .

وفيها ولّى هشام الجرّاحَ بن عبد الله الحكَميّ على أرمينيَة .

١٥٢٧/٢ وفيها عزل هشام أشرَس بن عبدالله السُّلميّ عن خُراسان ، وولاها الجُنيدَ ابن عبد الرحمن المرّيّ[١] .

* * *

ذكر السبب الذى من أجله عزل هشام أشرس عن خراسان واستعماله الجنيد

ذكر عليّ بن محمد ، عن أبي الذّيال ، قال : كان سببُ عزل أشرس أنّ شدّاد بن خالد[٢] الباهليّ شخص إلى هشام فشكاه ، فعزله واستعمل الجُنَيْد بن عبد الرحمن[٣] على خراسان سنة إحدى عشرة ومائة .

قال : وكان سبب استعماله إيّاه أنه أهدى لأمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر ، فأعجبت هشاماً ، فأهدى لهشام قلادة أخرى ، فاستعمله على خراسان ، وحمله على ثمانية من البريد ؛ فسأله أكثرَ من تلك الدوابّ فلم يفعل ؛ فقدم خراسان فى خمسمائة — وأشرسُ بن عبد الله

---

(١) ط : « المزنى » ، تحريف . (٢) ابن الأثير : « خويلد » .

(٣) فى ابن الأثير : « وهو الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان ابن أبي حارثة المرى » .

يقاتل أهلَ بخارى والسُّغْد — فسأل عن رجل يسير معه إلى ما وراء النهر ، فدُلَّ على الخطّاب(١) بن محرز السلَمىّ خليفة أشرس ، فلما قدم آمُل
١٥٢٨/٢ أشار عليه الخطاب أن يقيم ويكتب إلى من بزَمّ ومن حوله ؛ فيقدَموا عليه ، فأبى وقطع النهر ، وأرسل إلى أشرس أن أمدّنى بخيل ، وخاف أن يقتطع قبل أن يصل إليه ، فوجّه إليه أشرس عامرَ بن مالك الحِمّانى ، فلما كان فى بعض الطريق عرض له الترك والسُّغدليقطعوه قبل أن يصل إلى الجُنيد، فدخل عامرحائطًا حصينًا ، فقاتلهم على ثُلْمة الحائط ، ومعه وَرْد بن زياد بن أدهم بن كلثوم ؛ ابن أخى الأسود بن كلثوم ؛ فرماه رجل من العدوّ بنُشّابة ، فأصاب عَرْض منخره ، فأنفذ المنخرين ، فقال له عامر بن مالك : يا أبا الزاهريّة ؛ كأنك دجاجة مقرّق(٢). وقتِل عظيم من عظماء الترك عند الثلمة ، وخاقان على تلّ خلفه أجمَةٌ ، فخرج عاصم بن عمير السمَرقندىّ وواصل بن عمرو القيسىّ فى شاكريّة ، فاستدارا حتى صارا من وراء ذلك الماء ، فضمّوا خشباً وقصَباً وما قدروا عليه ، حتى اتّخذوا رَصَفاً(٣) ، فعبروا عليه فلم يشعر خاقان إلا بالتكبير ، وحمل واصل والشاكريّة على العدوّ فقاتلوهم ؛ فقُتِل تحت واصل برذون ، وهُزم خاقان وأصحابه .

وخرج عامر بن مالك من الحائط ، ومضى إلى الجُنيد وهو فى سبعة آلاف ؛
١٥٢٩/٢ فتلقى الجنيد وأقبل معه ، وعلى مقدّمة الجنيد عُمارة بن حُرَيم . فلما انتهى إلى فرسخين من بِيكَنْد ، تلقته خيل الترك فقاتلهم ؛ فكاد الجنيد أن يهلك ومن معه ، ثم أظهره الله ؛ فسار حتى قدم العسكر . وظفر الجنيد ، وقتل الترك ، وزحف إليه خاقان فالتقوا دون زَرْمان(٤) من بلاد سمَرْقند ؛ وقطن ابن قتيبة على ساقة الجنيد ، وواصل فى أهل بخارى — وكان ينزلها — فأسر(٥) ملك الشاش ، وأسرَ الجُنيد من الترك ابن أخى خاقان فى هذه الغزاة ؛ فبعث به إلى الخليفة ، وكان الجنيد استخلف فى غزاته هذه مجشِّر بن مزاحم على مَرْو ،

(١) ابن الأثير : « حطاب بن محرز السلمى » .
(٢) القرق : صوت الدجاجة ، والدجاجة تقع على الذكر والأنثى والتاء دخلته على أنه الواحد .
(٣) الرصف : مايرصف بعضه إلى بعض فى مسيل ؛ خشب أو حجارة .
(٤) ابن الأثير : « رزمان » .
(٥) كذا فى ح ، وفى ط : « فأسم » .

وولّى سورة بن الحُرّ من بنى أبان بن دارم بلْخ ، وأوفد لما أصاب فى وجهه ذلك عُمارة بن معاوية العدوىّ ومحمد بن الجرّاح العبدىّ وعبد ربّه بن أبى صالح السُّلمىّ إلى هشام بن عبد الملك ثم انصرفوا؛ فتواقفوا بالتِّرمذ ، فأقاموا بها شهرين .

ثم أتى الجُنيد مَرْو وقد ظفر ، فقال خاقان : هذا غلام مترَف ، هَزَمنى العامَ وأنا مهلكه فى قابل؛ فاستعمل الجنيد عُمّاله ، ولم يستعمل إلا مُضَريًّا ؛ استعمل قَطَن بن قتيبة على بُخارى ، والوليد بن القعقاع العبسىّ على هَرَاة ، وحبيب بن مرّة العبسىّ على شرَطه ، وعلى بلْخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلىّ . وكان نصر بن سيار على بلْخ ؛ والذى بينه وبين الباهليّين متباعد ١٥٣٠/٢
لما كان بينهم بالبَرُوقان ، فأرسل مسلم إلى نصر فصادفوه نائمًا ، فجاءوا به فى قميص ليس عليه سَراويل ، ملبَّبًا ، فجعل يضمّ عليه قميصَيْه ، فاستحيا مسلم ، وقال : شيخ من مُضَر جئتم به على هذه الحال ! ثم عزل الجُنيد مسلمًا عن بَلْخ ، وولّاها يحيى بن ضُبَيعة ، واستعمل على خراج سَمرْقند شداد بن خالد الباهلىّ ، وكان مع الجنيد السَّهْرىّ بن قَعْنب .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومىّ ؛ وكان إليه من العمل فى هذه السنة ما كان إليه فى السنة التى قبلها ؛ وقد ذكرت ذلك قبل .

وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله ، وعلى خراسان الجُنيد بن عبد الرحمن .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة، وحرق فرنديّة من ناحية ملطية.

* * *

[ذكر خبر قتل الجراح الحكمى]

وفيها سار الترك من اللّان، فلقيهم الجرّاح بن عبد الله الحكمىّ فيمن
١٠٣١/٢ معه من أهل الشأم وأذربيجان، فلم يتتامّ إليه جيشه؛ فاستشهد الجرّاح ومن كان معه بمرج (١) أردبيل؛ وافتتحت الترك أردبيل؛ وقد كان استخلف أخاه الحجاج بن عبد الله على أرمينية.

ذكر محمد بن عمر أنّ الترك قتلت الجراح بن عبد الله ببلنجر، وأن هشامًا لما بلغه خبره دعا سعيد بن عمرو الحرشىّ، فقال له: إنه بلغنى أن الجرّاح قد انحاز عن المشركين، قال: كلّا يا أمير المؤمنين، الجرّاح أعرف بالله من أن ينحاز عن العدوّ، ولكنه قتل، قال: فما الرأى؟ قال: تبعثنى على أربعين دابة من دوابّ البريد؛ ثم تبعث إلىّ كلّ يوم أربعين دابّة عليها أربعون رجلا، ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافوننى. ففعل ذلك هشام.

فذكر أن سعيد بن عمرو أصاب للترك ثلاثة جموع وفودا إلى خاقان بمن أسروا من المسلمين وأهل الذمّة، فاستنقذ الحرشىّ ما أصابوا وأكثروا القتل فيهم.

وذكر علىّ بن محمد أنّ الجنيد بن عبد الرحمن قال فى بعض ليالى حربه (٢) الترك بالشّعب: ليلةٌ كليلة الجراح ويومٌ كيومه؛ فقيل له: أصلحك الله!

(١) ب «بأرض». (٢) ح: «حروبه».

إنّ الجرّاح سِيرَ إليه فقتِل أهل الحجى والحفاظ ، فجنّ عليه الليل ، فانسلّ الناس من تحت الليل إلى مدائن لهم بأذْرَبيجان ، وأصبح الجرّاح فى قلة فقتل .

* * *

وفى هذه السنة وجّه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك فى أثر الترك فسار فى شتاء شديد البرد والمطر والثلوج فطلبهم — فيما ذكر — حتى جاز الباب فى آثارهم ، وخلّف الحارث بن عمرو الطائىّ بالباب . ١٥٣٢/٢

* * *

[ذكر وقعة الجنيد مع الترك]

وفى هذه السنة كانت وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشِّعب . وفيها قتل سَوْرة بن الحرّ ؛ وقد قيل إن هذه الوقعة كانت فى سنة ثلاث عشرة ومائة .

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كانت :

ذكر علىّ بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن خرج غازياً فى سنة اثنتى عشرة ومائة يريد طَخَارستان ، فنزل على نهر بَلْخ ، ووجّه عُمارة ابن حُرَيم إلى طَخَارستان فى ثمانية عشر ألفاً وإبراهيم بن بسام الليثىّ فى عشرة آلاف فى وجه آخر ، وجاشت الترك فأتوْا سَمَرْقند ، وعليها سَوْرة بن الحُرّ ؛ أحد بنى أبان بن دارم ، فكتب سَوْرة إلى الجنيد : إن خاقان جاش بالترك ، فخرجتُ إليهم فما قدرتُ أن أمنع حائط سَمَرْقند ؛ فالغوْث[١] !

فأمر الجنيد الناس بالعُبور ، فقام إليه المجشِّر بن مزاحم السلمىّ وابن بسطام الأزْدىّ وابن صُبْح الخَرَقىّ ، فقالوا : إن التُّرك ليسوا كغيرهم ، لا يلقوْنك صفاً ولا زحفاً ، وقد فرّقت جندك ، فسلم بن عبد الرحمن بالنّيرُوذ ، والبخترىّ بهرَاة ، ولم يحضرك أهل الطالَقان ، وعمارة بن حُرَيم غائب[٢] . وقال له ١٥٣٣/٢ المجشِّر : إن صاحب خراسان لا يعبر النهر فى أقلّ من خمسين ألفاً ؛ فاكتب إلى

---

(١) ابن الأثير : « فالغوث الغوث » . (٢) بعدها فى ابن الأثير : « بطخارستان » .

عمارة فليأتك ، وأمهل ولا تعجَل(١) ، قال : فكيف بسَوْرة ومَن معه من المسلمين ! لو لم أكن إلّا فى بنى مُرّة ، أو من طلع معى من أهل الشأم لعبرتُ . وقال :

أَليس أَحقَّ الناسِ أَن يَشهَدَ الوغى(٢) وأَن يقتلَ الأَبطال ضَخْمٌ على ضخم(٣)

وقال :

ما عِلَّتِى ما علّتى ما عِلّتى ! إنْ لم أقاتِلْهُمْ فجُزّوا لِمَّتِى

قال : وعبر فنزل كِس ؛ وقد بعث الأشهب بن عبيد الحنظلىّ ليعلم علمَ القوم ، فرجع إليه وقال : قد أتوْك فتأهبْ للمسير .

وبلغ الترك فعوّروا(٤) الآبار التى فى طريق كِسّ وما فيه من الركايا ، فقال الجُنيد : أىّ الطريقين إلى سَمَرْقند أمثل ؟ قالوا : طريق المحترقة . قال المجشِّر بن مزاحم السلمىّ : القتل بالسيف أمثلُ من القتل بالنار ؛ إن طريق المحترقة فيه الشجر والحشيش ولم يُزْرَع منذ سنين ، فقد تراكم بعضه على بعض ، فإن لقيتَ خاقان أحرق ذلك كله ، فقتلنا بالنار والدخان ؛ ولكن خذ طريق العقَبة ، فهو بيننا وبينهم سواء . ١٥٣٤/٢

فأخذ الجُنيد طريقَ العقَبة ، فارتقى فى الجبل ، فأخذ المجشّر بعنان دابته ، وقال : إنه كان يقال : إنّ رجلا من قيس مترَفًا يهلك على يديه جند من جنود خراسان ؛ وقد خِفْنا أن تكونه . قال : أفرِخْ رَوْعاك ، فقال المجشِّر : أمّا إذا كان بيننا مثلك فلا يُفرِخ . فبات فى أصل العقبة ، ثم ارتحل حين أصبح ؛ فصار الجُنيد بين مرتحل ومقيم ؛ فتلقى فارسًا ، فقال : ما اسمك ؟ فقال : حرب ؛ قال : ابن مَنْ ؟ قال : ابن محرَبة ، قال : من بنى مَن ؟ قال : من بنى حَنْظلة ، قال : سلط الله عليك الحرْب والحرَب والكلَب. ومضى بالناس حتى دخل الشِّعب وبينه وبين مدينة سَمَرْقند أربعة(٥) فراسخ ، فصبّحه خاقان فى جمع عظيم(٦) ، وزحف إليه أهلُ السُّغد والشاش وفرْغانة وطائفة من الترك . قال : فحمل خاقان على المقدّمة وعليها(٧) عثمان

(١) « تستعجل » . (٢) ف : « أن يشهدوا » . (٣) كذا فى ح ، ف ، وفى ط : « ضخماً على ضخم » . (٤) فى اللسان عن شمر : « عورت عيون المياه إذا دفنتها وسددتها ، وعورت الركية إذا كبستها بالتراب حتى تنسد عيونها » . (٥) ط : « أربع » .
(٦) ب : « كبير » . (٧) ح : « عليها » .

ابن عبدالله بن الشِّخِّير ، فرجعوا إلى العسكر والترك تتبعهم ؛ وجاءوهم من كلّ وجه ؛ وقد كان الإخريد قال للجنيد : ردّ الناس إلى العسكر ؛ فقد جاءك جمع كثير ؛ فطلع أوائل العدوّ والناس يتغدّوْن ، فرآهم عبيد الله بن زهير بن حيّان ، فكره أن يُعلِم النّاس حتى يفرغوا من غدائهم ؛ والتفت أبو الذّيال ، فرآهم ، فقال : العدوّ ! فركب النّاس إلى الجنيد ، فصيّر تميماً والأزد فى الميمنة وربيعة فى الميسرة مما يلى الجبل ؛ وعلى مجفّفة[1] خيل
٢/١٥٣٥ بنى تميم عبيد الله بن زهير بن حيّان ، وعلى المجرّدة عمر — أو عمرو — بن جرْفاس[2] بن عبد الرحمن بن شقران المنقرىّ ، وعلى جماعة بنى تميم عامر ابن مالك الحِمّانىّ ، وعلى الأزد عبد الله بن بِسْطام بن مسعود بن عمرو المعنىّ ؛ وعلى خيلهم : المجفّفة والمجرّدة فُضَيل بن هناد وعبد الله بن حوْذان ؛ أحدهما على المجفّفة ، والآخر على المجرّدة — ويقال : بل كان بشر بن حوذان أخو عبد الله بن حوذان الجهضمىّ — فالتقوْا وربيعة ممّا يلى الجبل فى مكان ضيّق ؛ فلم يقدم عليهم أحد ؛ وقصد العدوّ للميمنة وفيها تميم والأزْد فى موضع واسع فيه مجال للخيل . فترجّل حيان بن عبيد الله بن زهير بين يدى أبيه ، ودفع بِرْذونه إلى أخيه عبد الملك ، فقال له أبوه : يا حيّان ، انطلق إلى أخيك فإنه حَدَث وأخاف عليه . فأبى ، فقال : يا بُنَىّ ، إنك إن قُتِلت على حالك هذه قُتِلت عاصياً . فرجع إلى الموضع الذى خلّف فيه أخاه والبرذوْن ؛ فإذا أخوه قد لحق بالعسكر ، وقد شدّ البرذون ، فقطع حيّان مِقوَده وركبه ؛ فأتى العدوّ ؛ فإذا العدوّ قد أحاط بالموضع الذى خلف فيه أباه وأصحابه ،
٢/١٥٣٦ فأمدّهم الجُنيد بنصر بن سيار فى سبعة معه ؛ فيهم جميل بن غزوان العدوىّ ، فدخل عبيد الله بن زهير معهم ، وشدّوا على العدوّ فكشفوهم ثم كرّوا عليهم ؛ فقتلوا جميعاً ، فلم يفلت منهم أحد ممن كان فى ذلك الموضع ، وقُتل عبيد الله بن زهير وابن حوذان وابن جِرْفاس والفُضيل بن هنّاد .

وجالت الميمنة والجُنيد واقف فى القلْب ، فأقبل إلى الميمنة ، فوقف تحت

---

(١) يقال : فرس مجفف ، عليه تجفاف ، وهو ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح .

(٢) ابن الأثير : « جرقاش » .

راية الأزْد — وقد كان جفاهم — فقال له صاحب راية الأزد: ماجئتنا لتحبوَنا ولا لتكرمنا؛ ولكنّاك قد علمت أنه لا يوصَل إليك ومنّا رجل حىّ؛ فإن ظفرنا كان لك؛ وإن هلكنا لم تبْك علينا . ولعمرى لئن ظفرنا وبقيتُ لا أكلّمك كلمة أبداً . وتقدّم فقتِل . وأخذ الرّاية ابن مُجّاعة فقُتِل، فتداول الرّاية ثمانية عشر رجلا منهم فقتِلوا ، فقتِل يومئذ ثمانون رجلاً من الأزْد .

قال : وصبَر الناس يقاتلون حتى أعيَوْا؛ فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيئاً ، فقطع عبيدُهم الخشب يقاتلون به ، حتّى ملّ الفريقان فكانت المعانقة ، فتحاجزوا ، فقتل من الأزد حمزة بن مُجّاعة العتكىّ ومحمد بن عبد الله بن حَوْذان الجهضمىّ ، وعبدالله بن بِسطام المعنىّ وأخوه زُنيم والحسن
١٥٣٧/٢ ابن شيخ والفُضيل الحارثىّ — وهو صاحب الخيل — ويزيد بن المفضّل الحُدّانىّ؛ وكان حجّ فأنفق فى حجه ثمانين ومائة ألف؛ فقال لأمه وحشيّة: ادعِى الله أن يرزقنى الشهادة ، فدعتْ له ، وغُشِى عليه ؛ فاستُشهد بعد مَقْدَمه من الحج بثلاثة عشر يوماً، وقاتل معه عبدان له ؛ وقد كان أمرهما بالانصراف فقتِلا ؛ فاستُشهدا .

قال : وكان يزيد بن المفضّل حمل يوم الشّعب على مائة بعير سويقاً للمسلمين؛ فجعل يسأل عن الناس، ولا يسأل عن أحد إلا قيل له: قد قتل؛ فاستقدم وهو يقول : لا إله إلا الله؛ فقاتل حتى قُتِل .

وقاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حَوْذان وهو على فرس أشْقر ، عليه تِجفاف مذهّب ، فحمَل سبع مرات يقتل فى كلّ حملة رجلاً ، ثم رجع إلى موقفه، فهابه مَن كان فى ناحيته ، فناداه تَرجمان للعدوّ[1] : يقول لك الملك : لا تقبل وتحوّل إلينا؛ فنرفض صنمنا الذى نعبده ونعبدك ؛ فقال محمد: أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده . فقاتل واستُشهد .

وقتِل جُشَم بن قرط الهلالىّ من بنى الحارث ، وقُتِل النّضْر بن راشد العبدىّ ؛ وكان دخل على امرأته والناس يقتتلون ، فقال لها : كيف أنت إذا
١٥٣٨/٢ أتيت بأبى ضمرة فى لبد مضرّجا بالدماء ؟ فشقّت جيبها ودعت بالويْل؛

(١) ح ، ف : « ترجمان الملك » .

فقال : حسبك ، لو أعولتْ علىّ كلّ أنثى لعصيتُها شوقًا إلى الحُــور العِين ؛ ورجع فقاتل حتى استُشهِد رحمه الله . قال : فبينا النّاس كذلك إذ أقبل رَهَج ، فطلعت فُرسان؛ فنادى منادى الجُنيد : الأرضَ ، الأرضَ ! فترجّل وترجّل الناس ، ثم نادى منادى الجُنيد: ليخندقْ كلّ قائد على حياله ؛ فخندق الناس . قال : ونظر الجُنيد إلى عبد الرحمن بن مكيّة يحمل على العدوّ، فقال : ما هذا الخرطوم السائل؟ قيل له : هذا ابن مكيّة ، قال : ألسان البقرة ! لله درّه أىّ رجل هو ! وتحاجزوا ، وأصيب من الأزْد مائة وتسعون .

وكانوا لقوا خاقان يوم الجمعة ، فأرسل الجنيد إلى عبد الله بن معمر بن سُمَير اليشكرىّ أن يقف فى الناحية التى تلى كِسّ ويحبس مَن مرّ به ، ويحوز الأثقال والرّجالة ؛ وجاءت الموالى رجّالة ، ليس فيهم غير فارس واحد والعدوّ يتبعونهم ؛ فثبت عبد الله بن معمَر للعدوّ ، فاستُشهد فى رجال من بَكْر ، وأصبحوا يوم السَّبت ، فأقبل خاقان نصفَ النهار ؛ فلم ير موضعًا للقتال فيه أيسر من موضع بكر بن وائل ، وعليهم زياد بن الحارث ، فقصد لهم ، فقالت بكر لزياد : القوم قد كثّرونا ، فخلّ عنا نحمل عليهم قبل أن يحمِلوا علينا ، فقال لهم : قد مارست[1] سبعين سنة ، إنكم إن حملتم
٢/١٥٣٩ عليهم فصعدتم انهزمتم ؛ ولكن دعوهم حتى يقربوا . ففعلوا ، فلما قربوا منهم حملوا عليهم فأفرجوا لهم ، فسجد الجُنيد ، وقال خاقان يومئذ : إنّ العرب إذا أحْرِجوا استقتلوا ؛ فخلّوهم حتى يخرجوا ؛ ولا تَعرّضوا لهم ؛ فإنكم لا تقومون لهم .

وخرج جوارٍ للجنيد يولولْنَ ؛ فانتدب رجال من أهل الشأم، فقالوا : الله الله يأهلَ خراسان ! إلى أين ؟ وقال الجنيد : ليلة كليلة الجرّاح ، ويوم كيومه .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحرّ]

وفى هذه السنة قتل سَوْرة بن الحرّ التميمىّ .

---

(١) بعدها فى ح ، ف : « منذ » .

• ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر عليّ عن شيوخه ، أن عبيد الله بن حبيب قال للجنيد : اختر بين أن تهلك أنت أو سوْرة ، فقال : هلاك سَوْرة أهون عليّ ، قال : فاكتب إليه فليأتك فى أهل سَمَرْقند ؛ فإن الترك إن بلغهم أن سَوْرة قد توجّه إليك انصرفوا إليه فقاتلوه . فكتب إلى سورة يأمره بالقدوم — وقيل : كتب أغثْنى — فقال عبادة بن السليل المحاربىّ أبو الحكم بن عبادة لسَوْرة : انظر أبْرَد بيت بسَمَرْقند فنمْ فيه ، فإنك إن خرجت لا تبالى أسخط عليك الأمير أم رضى . وقال له حُلَيْس بن غالب الشيبانىّ : إن التّرك بينك وبين الجنيد ؛ فإن خرجت كرّوا عليك فاختطفوك .

١٥٤٠/٢ فكتب إلى الجنيد : إنى لا أقدر على الخروج ؛ فكتب إليه الجُنيد : يابن اللخناء ، (١تخرج وإلا وجّهت إليك١) شدّاد بن خالد[٢] الباهلىّ — وكان له عدوًّا — فاقدَم وضع فلانًا بفرخشاذ فى خمسمائة ناشب ، والزم الماء فلا تفارقه .

فأجمع على المسير ، فقال الوَجَف بن خالد العبدىّ : إنك لمهلك نفسك والعرب بمسيرك ؛ ومهلك من معك ، قال : لا يُخْرَج حمَلى[٣] من التنّور حتى أسير ؛ فقال له عبادة وحُليس : أما إذ أبيتَ إلا المسير فخذ على النهر ، فقال : أنا لا أصل إليه على النهر فى يوميْن ، وبينى وبينه من هذا الوجه ليلة فأصبّحه ؛ فإذا سكنت الزُّجَل[٤] سرتُ فأعبره[٥] .

فجاءت عيون الأتراك فأخبروهم ، وأمر سَوْرة بالرحيل ؛ واستخلف على سَمَرْقند موسى بن أسود ؛ أحد بنى ربيعة بن حنظلة ، وخرج فى اثنى عشر ألفًا ، فأصبح على رأس جبل ؛ وإنما دلّه على ذلك الطريق عِلْج يسمى كارتقبد ؛ فتلقّاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ ، وبينه وبين

(١ — ١) ح ، ف : « لتقدمن أو لأوجهن » .
(٢) ابن الأثير : « خليد » .
(٣) ح : « حمل » .
(٤) الزجل : جمع زجلة ؛ وهى الجماعة من الناس ، وفى ابن الأثير : « سكنت الرجل » ، وما أثبته من تصويبات ط .
(٥) ح ، ف : « فأصبحه » .

الجنيد فرسخ : فقال أبو الذيّال : قاتلهم فى أرض خـَوّارة ، فصبر وصبروا حتى اشتدّ الحرّ .

وقال بعضهم : قال له غوزك: يومك يوم حارّ فلا تقاتلهم حتى تحمى
٢/١٥٤١ عليهم الشمس وعليهم السلاح تثقلهم . فلم يقاتلهم خاقان ؛ وأخذ برأى غوزك ، وأشعل النار[(١)] فى الحشيش ، وواقفهم وحال بينهم وبين الماء ، فقال سـَوْرة لعبادة : ما ترى يا أبا السليل ؟ قال : أرى والله أنه ليس من الترك أحد إلا وهو يريد الغنيمة ؛ فاعـقِرْ هذه الدوابّ وأحرِق هذا المتاع ، وجرّد السيف ؛ فإنهم يُخلّون لنا الطريق . قال أبو الذّيال: فقال سـَوْرة لعبادة : ما الرأى ؟ قال : تركت الرأى ، قال : فما ترى الآن ؟ قال : أن ننزل فنُشرع الرّماح ، ونزحف زحفاً ، فإنما هو فرسخ حتى نصل إلى العسكر ، قال : لا أقوى على هذا ؛ ولا يقوى فلان وفلان . . . وعدّد رجالاً ؛ ولكن أرى أن أجمع الخيل ومـَنْ أرى أنه يقاتل فأصكـّهم ؛ سلمتُ أم عـَطِبتُ ؛ فجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك ، وثار الغُبار فلم يبصروا ، ومن وراء الترك اللـّهبُ[(٢)] ؛ فسقطوا فيه ، وسقط فيه العدوّ والمسلمون ، وسقط سـَوْرة فاندقـّت فخذه ، وتفرّق الناس ، وانكشفت الغمة والناس متفرّقون ، فقطعتهم الترك ، فقتلوهم فلم ينجُ منهم غير ألفين — ويقال : ألف — وكان ممن نجا عاصم بن عمير السـّمـَرقنديّ ،
٢/١٥٤٢ عرفه رجل من الترك فأجاره ؛ واستُشهد حـُليس بن غالب الشيبانىّ ، فقال رجل من العرب : الحمد لله ؛ استُشهد حـُلَيس ، ولقد رأيته يرمى البيت أيام الحجاج ويقول : درّى عـُقاب ، بلبن وأخشاب ؛ وامرأة قائمة ، فكلـّما رمى بحـَجر قالت المرأة : يا ربّ بى ولا ببيتك ! ثم رُزق الشهادة .

وانحاز المهلّب بن زياد العـِجلىّ فى سبعمائة ومعه قريش بن عبد الله العبدىّ إلى رُستاق يسمى المرغاب ؛ فقاتلوا أهل قـَصْر من قصورهم ؛ فأصيب المهلّب بن زياد ، وولـَّوْا أمرهم الوجـَف بن خالد ، ثم أتاهم الأشكند صاحب نـَسف فى خـَيْل ومعه غوزك ، فقال غوزك : يا وَجـَف ، لكم الأمان ، فقال

---

(١) ب : « النيران » .

(٢) اللهب : الصدع فى الجبل ، أو الشعب الصغير فيه .

قريش : لا تثقوا بهم ؛ ولكن إذا جنّنا الليل خرجنا عليهم حتى نأتى سَمَرْقند ؛ فإنا إن أصبحنا معهم قتلونا .

قال : فعصوْه وأقاموا ، فساقوهم إلى خاقان ؛ فقال : لا أجيز أمان غَوْزك ، فقال غوزك للوجَف : أنا عبد لخاقان من شاكريّته ، قالوا : فلمَ غَرَرْتنا [١] ؟ فقاتلهم الوجف وأصحابه ، فقُتلوا غير سبعة عشر رجلا دخلوا الحائط . وأمسوا ، فقطع المشركون شجرة فألقوْها على ثلمة الحائط ؛ فجاء
٢/١٥٤٣ قريش بن عبد الله العبدىّ إلى الشجَرة فرمى بها ؛ وخرج فى ثلاثة فباتوا فى ناووس[٢] فكمنوا [٣] فيه وجبن الآخرون فلم يخرجوا ، فقتِلوا حين أصبحوا . وقتِل سَوْرة ؛ فلما قُتل خرج الجنيد من الشِّعب يريد سمرقند مبادراً ، فقال له خالد بن عبيد الله بن حبيب : سِرْ سِر[٤] ، ومجشّر بن مزاحم السّلمىّ يقول : أذكرك الله أقم ؛ والجنيد يتقدّم ، فلما رأى المجشِّر ذلك نزل فأخذ بلجام الجنيد ، فقال : والله لا تسير ولتنزلنّ طائعاً أو كارهاً ، ولا ندعك تُهلكنا بقول هذا الهجرىّ ، انزل . فنزل ونزل الناس فلم يتتامّ[٥] نزولهم حتى طلع الترك ، فقال المجشّر : لو لقونا ونحن نسير ، ألم يستأصلونا ! فلما أصبحوا تناهضوا ، فانكشفت طائفة ، وجال الناس ، فقال الجنيد : أيّها الناس ؛ إنها النّار ؛ فتراجعوا . وأمر الجنيد رجلاً فنادى : أىّ عبد قاتَلَ فهو حرٌّ ؛ فقاتل العبيد قتالاً شديداً عجب الناس منه ؛ جعل أحدهم يأخذ اللِّبد فيجوبه ويجعله فى عنقه ، يتوقّى به . فسرّ الناس بما رأوْا من صبرهم ، فكرّ العدوّ ، وصبر الناس حتى انهزم العدوّ . فمضوا ، فقال موسى بن النعر[٦] للناس : أتفرحون بما رأيتم من العبيد !
٢/١٥٤٤ والله إنّ لكم منهم ليوماً أرْوَنان[٧] . ومضى الجُنيد فأخذ العدوّ رجلا من عبد القيس فكتفوه ، وعلّقوا فى عنقه رأس بلعاء العنبرىّ بن مجاهد بن بلعاء ؛ فلقيه الناس فأخذ بنو تميم الرأس فدفنوه ، ومضى الجُنيد إلى سَمَرْقند ؛ فحمل

---

(١) ب : « عرضتنا » .
(٢) ح ، ف : « فأتوا ناووساً » .
(٣) ب : « كنوا » .
(٤) ابن الأثير : « سروأسرع » .
(٥) ابن الأثير : « فلم يستتم » .
(٦) ابن الأثير : « النعراء » .
(٧) يوم أرونان ، قال فى اللسان : الشديد فى كل شىء من حر أو برد أو جلبة أو صياح ، قال النابغة الجعدى :

فظلّ لنسوة النعمان منّا على سفوان يومٌ أرونانُ

عيال مَن كان مع سَوْرة إلى مَرْو ، وأقام بالسُّغْد أربعة أشهر ؛ وكان صاحبَ رأى خراسان فى الحرب المجشِّر بن مزاحم السُّلَمىّ وعبد الرحمن بن صبح الخَرَقىّ وعبيد الله بن حبيب الهجرىّ ، وكان المجشِّر يُنزل الناس على راياتهم ، ويضع المسالح ليس لأحد مثل رأيه فى ذلك ، وكان عبد الرحمن ابن صبح إذا نزل الأمر العظيم فى الحرب لم يكن لأحد مثل رأيه ؛ وكان عبيد الله بن حبيب على تعبئة القتال ، وكان رجال من الموالى مثل هؤلاء فى الرّأى والمشورة والعلم بالحرب ؛ فمنهم الفضل بن بسّام مولى بنى ليث وعبد الله ابن أبى عبد الله مولى بنى سليم والبَختَرىّ بن مجاهد مولى بنى شيبان .

قال : فلما انصرف الترك إلى بلادهم بعث الجُنيد سيفَ بن وصّاف العجلىّ من سَمَرْقند إلى هشام ، فجبُن عن السير وخاف الطريق ، فاستعفاه فأعفاه ؛ وبعث نهار بن تَوْسعة أحد بنى تيم اللات وزُمَيل بن سُوَيد[1] المرّىّ ؛ مرّة غطفان ، وكتب إلى هشام : إن سَوْرة عصانى ، أمرته بلزوم الماء فلم يفعل ، فتفرّق عنه أصحابه ، فأتتنى طائفة إلى كِسّ ، وطائفة إلى نَسَف ، ٢/١٥٤٥
وطائفة إلى سَمَرْقند ، وأصيب سَوْرة فى بقيّة أصحابه .

قال : فدعا هشام نهارَ بن توسعة ، فسأله عن الخبر فأخبره بما شهد ، فقال نهار بن توسعة :

لعمرُكَ ما حابَيْتنى إذْ بَعَثتَنى ... ولكنّما عَرّضْتنى للمَتَالِفِ
دعوتَ لها قوماً فهابوا ركوبَها ... وكنتُ امْرَأً رَكّابةً للمَخاوفِ[2]
فأيقنتُ إنْ لم يَدْفَع اللهُ أنّنى ... طَعامُ سِباعٍ أو لطَيْرٍ عوائفِ
قَرينُ عِرَاكٍ وهوَ أيسَرُ هالك ... عليك وقد زَمّلْتَهُ بِصَحَائفِ
فإنى وإن آثرتَ منه قَرابَةً ... لأَعظمُ حظًّا فى حِبَاءِ الخلائف
على عهدِ عثمانٍ وَفَدْنا وقبْلَهُ ... وكنّا أُولِى مجد تليدٍ وطارِفِ

قال : وكان عراك معهم فى الوفد ، وهو ابن عمّ الجنيد ، فكتب إلى الجنيد : قد وجّهت إليك عشرين ألفا مدداً ؛ عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم ، ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن

(١) ابن الأثير : « وزبل بن سويد » .
(٢) ط : « ركابه للمخاوف »

ابن نُعيم ، ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها تِرَسة ، فافرض فلا غاية لك فى الفريضة لخمسة عشر ألفًا .

قال : ويقال إن الجُنيد أوفد الوفد إلى خالد بن عبد الله، فأوفد خالد إلى هشام : إنّ سَوْرة بن الُحرّ خرج يتصيّد مع أصحاب له فهجم عليهم التّرك، فأصيبوا. فقال هشام حين أتاه مصاب سورة : إنا لله وإنا إليه راجعون !
١٠٤٦/٢ مُصاب سَوْرة بن الحرّ بخراسان والجرّاح بالباب! وأبْلى[1] نصر بن سيّار يومئذ بلاء حسنًا ، فانقطع سيفه، وانقطع سيور ركابه ؛ فأخذ سيور ركابه ؛ فضرب بها رجلا حتّى أثخنَه ، وسقط فى اللّهْب مع سَوْرة يومئذ عبد الكريم ابن عبد الرحمن الحنفىّ وأحد عشر رجلا معه . وكان ممّن سلم من أصحاب سَوْرة ألف رجل ، فقال عبد الله بن حاتم بن النعمان: رأيت فساطيطَ مبنيّة بين السماء والأرض ؛ فقلت : لمن هذه ؟ فقالوا : لعبد الله بن بسْطام وأصحابه، فقتِلوا من غد ؛ فقال رجل : مررت فى ذلك الموضع بعد ذلك بحين فوجدت رائحة المسك ساطعة . قال : ولم يشكر الجُنيد لنصر ما كان من بلائه ، فقال نصر :

إنْ تحسُدُونى على حُسن البلاءِ لكُمْ ... يوماً ، فمِثْلُ بَلائى جَرَّ لِى الحَسَدَا
يـأبَى الإلهُ الذى أعلى بقـــدرتِهِ ... كَعبى عليكمْ وأعطى فوقَكم عَضُدا
وضَرْبىَ التركَ عنكم يوم فَرْقِكُمُ ... بالسَّيفِ فى الشِّعبِ حتى جا وزالسَّنَدَا

قال : وكان الجُنيد يوم الشِّعب أخذ فى الشِّعب ، وهو لا يرى أنّ أحداً يأتيه من الجبال، وبعث ابنَ الشّخِّير فى مقدمته ، واتخذ ساقةً[2] ؛ ولم
١٠٤٧/٢ يتخذ مجنِّبتين .

وأقبل خاقان فهزم المقدّمة ، وقتل مَنْ قتل منهم ، وجاءه خاقان من قبَل ميسرته وجبغويه من قبَل الميمنة، فأصيب رجال من الأزْد وتميم، وأصابوا له سرادقات وأبنية ، فأمر الجنيد حين أمسى رجلا من أهل بيته ، فقال له : امش فى الصفوف والدرّاجة ، وتسمّع ما يقول الناس ؛ وكيف حالهم ؛ ففعل

(١) ب : « فأبلى » .
(٢) ب : « ساقته » .

ثم رجع إليه ، فقال : رأيتُهم طيبةً أنفسهم ، يتناشدون الأشعار ، ويقرءون القرآن ؛ فسرّه ذلك ، وحمد الله .

قال : ويقال نهضت العبيد يوم الشِّعب من جانب العسكر وقد أقبلت الترك والسُّغد ينحدرون ؛ فاستقبلهم العبيد وشدّوا عليهم بالعَمَد ، فقتلوا منهم تسعة ، فأعطاهم الجنيد أسلابهم .

وقال ابن السِّجْف في يوم الشِّعب ؛ ويعني هشامًا :

أذكُرْ يَتامَى بأَرضِ التُّركِ ضائعَةً هَزْلَى كأَنَّهُمُ فى الحائطِ الحَجَلُ
وارحم ، وَإلاَّ فهبْهَا أمةً دَمِـرَتْ لا أنفُسٌ بَقِيَتْ فيها ولا ثَقَلُ
لا تأمُلَنَّ بقاءَ الدَّهرِ بَعدَهُمُ والمَرْءُ ما عاشَ مَمْدودٌ له الأَمَلُ
١٠٤٨/٢ لاَقَوْا كتائِبَ مِنْ خاقانَ مُعْلِمَةً عنهم يَضيقُ فضاءُ السَّهلِ والجبلُ
لَمَّا رَأوهُمْ قَليلاً لَا صَريخَ لهمْ مَدُّوا بأَيْديهمُ للهِ وابْتَهَلوا
وَبَايَعُوا رَبَّ موسى بيعةً صَدَقت ما فى قُلوبِهمُ شكٌّ وَلَا دَغَلُ

قال : فأقام الجُنيد بسَمَرْقَنْد ذلك العام ، وانصرف خاقان إلى بُخارى وعليها قَطَن بن قتيبة ، فخاف الناس الترك على قَطَن ، فشاورهم الجنيد ، فقال قوم : الزم سَمَرْقند ، واكتب إلى أمير المؤمنين يمدّك بالجنود . وقال قوم : تسير فتأتى رَبِنْجَن ، ثم تسير منها إلى كِسّ ، ثم تسير منها إلى نَسَف ، فتصل منها إلى أرض زَمّ ؛ وتقطع النهر وتنزل آمُل ، فتأخذ عليه بالطريق .

فبعث إلى عبد الله بن أبى عبد الله ، فقال : قد اختلف الناس علىّ — وأخبره بما قالوا — فما الرأى ؟ فاشترط عليه ألاّ يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال أو نزول أو قتال ، قال : نعم ؛ قال : فإنى أطلب إليك خِصالاً ؛ قال : وما هى ؟ قال : تخندق حيثما نزلْت ؛ ولا يفوتنّك حمل الماء ولو
١٠٤٩/٢ كنت على شاطئ نهر ، وأن تطيعنى[1] فى نزولك وارتحالك . فأعطاه ما أراد . قال : أما ما أشاربه عليك فى مُقامك بسَمَرْقند حتى يأتيك الغياث ، فالغياث يبطئ عنك[2] ، وإن سرتَ فأخذت بالناس غيرَ الطريق فتتّ فى أعضادهم ؛

(١) ح : « وألا تعصينى » . (٢) ح ، ف : « عليك » .

فانكسروا عن عدوّهم ، فاجترأ عليك خاقان ؛ وهواليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له ، فإن أخذت بهم غير الطريق تفرّق الناس عنك مبادرين إلى منازلهم ، ويبلغ أهل بخارى فيستسلموا لعدوّهم ؛ وإن أخذت الطريق الأعظم هابك العدوّ؛ والرأى لك أن تعمِد إلى عيالات مَنْ شهِد الشِّعب من أصحاب سَوْرة فتقسّمهم على عشائرهم وتحملهم معك ؛ فإنى أرجو بذلك أن ينصرك الله على عدوّك ، وتعطى كلّ رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرسًا .

قال : فأخذ برأيه ، فخلّف فى سمرقند عثمان بن عبد الله بن الشِّخِّير فى ثمانمائة: أربعمائة فارس وأربعمائة راجل ، وأعطاهم سلاحًا . فشتم الناس عبدَ الله بن أبى عبدالله مولى بنى سليم ، وقالوا : عرّضنا لخاقان والترك ، ما أراد إلا هلاكنا !

فقال عبيد[1] الله بن حبيب لحرب بن صبح : كم كانت لكم الساقة
٢/١٥٥٠ اليوم ؟ قال : ألف وستمائة ، قال : لقد عُرِّضنا للهلاك . قال : فأمر الجنيد بحمْل العيال .

قال : وخرج والناس معه ، وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسىّ وزياد ابن خَيران الطائىّ ، فسرّح الجُنيد الأشهب بن عبيد[2] الحنظلىّ ، ومعه عشرة من طلائع الجند ، وقال له : كلما مضيت مرحلة فَسَرِّحْ إلىّ رجلا يعلمنى الخبر .

قال : وسار الجُنيد ؛ فلما صار بقصْر الريح[3] أخذ عطاء الدّبُوسىّ بلجام الجُنيد وكبحه ، فقرع رأسه هارون الشاشىّ مولى بنى حازم بالرّمح حتى كسره على رأسه ، فقال الجنيد لهارون : خلّ عن الدبوسىّ ، وقال له : مالك يا دبوسىّ ؟ فقال : انظر أضعفَ شيخ فى عسكرك فسلّحه سلاحًا تامًّا ، وقلّدْه سيفًا وجعبة وتِرْسا ، وأعطه رمحًا ، ثم سِرْ بنا على قدر مشيه ؛ فإنا لا نقدر على السوْق والقتال وسرعة السير ونحن رجّالة . ففعل ذلك الجُنيد ؛

(١) ط : « عبد » ؛ وما أثبته من تصويبات ط .
(٢) ط : « عبيد الله » ؛ وأثبت ما فى التصويبات .
(٣) ح : « الرمح » .

فلم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الأماكن المخوفة ، ودنا من الطواويس، فجاءتنا الطلائع بإقبال خاقان، فعرضوا له بكَرْمِينِيَة ، أوّل يوم من رمضان . فلما ارتحل الجُنيد من كرْمِينيَة قدم محمد بن الرُّندىّ فى الأساورة آخر الليل ؛ فلما كان فى طرف مفازة كَرْمِينيَة رأى ضعف العدوّ ؛ فرجع
٢/١٥٥١ إلى الجنيد فأخبره ؛ فنادى منادى الجنيد : ألا يخرج المكتّبون[1] إلى عدوّهم ؟ فخرج الناس، ونشبت الحرب، فنادَى رجل : أيها الناس، صرتم حروريّة فاستقتلتم . وجاء عبد الله بن أبى عبد الله إلى الجنيد يضْحك ، فقال له الجنيد : ما هذا بيوم ضحك ! فقيل له : إنه ضحك تعجبًا، فالحمد لله الذى لم يلقك هؤلاء إلا فى جبال معطّشة؛ فهم على ظهر وأنت مخندق آخر النهار ، كالّين وأنت معك الزّاد ؛ فقاتلوا قليلا ثم رجعوا . وكان عبد الله بن أبى عبد الله قال للجُنيد وهم يقاتلون: ارتحل ، فقال الجنيد : وهل من حيلة ؟ قال : نعم، تمضى برايتك قَدْر ثلاث غِلاء[2] ، فإنّ خاقان ودّ أنك أقمت فينطوى عليك إذا شاء . فأمر بالرحيل وعبد الله بن أبى عبد الله على الساقة . فأرسل إليه : انزل ، قال : أنزل على غير ماء ! فأرسل إليه : إن لم تنزل ذهبت خراسان من يدك ؛ فنزل وأمر الناس أن يسقوا ، فذهب الناس الرّجالة والناشبة ؛ وهم صَفّان ؛ فاستقوْا وباتوا ، فلما أصبحوا ارتحلوا ، فقال عبد الله ابن أبى عبد الله : إنكم معشَر العرب أربعة جوانب ؛ فليس يعيب بعضهم بعضًا ؛ كلّ ربع لا يقدر أن يزول عن مكانه : مقدِّمة — وهم القلب — ومجنِّبتان
٢/١٥٥٢ وساقة ؛ فإن جمع خاقان خيله ورجاله ثم صدم جانبًا منكم — وهم الساقة — كان بوارُكم ، وبالحَرَى أن يفعل؛ وأنا أتوقّع ذلك فى يومى، فشدُّوا الساقة بخيل . فوجّه الجُنَيد خيل بنى تميم والمجفّفة ، وجاءت الترك فمالت على الساقة ؛ وقد دنا المسلمون من الطواويس فاقتتلوا ، فاشتدّ الأمر بينهم، فحمل سلْم بن أحوَز على رجل من عظماء الترك فقتله . قال : فتطيّر الترك ، وانصرفوا من الطوَاويس ؛ ومضى المسلمون ؛ فأتوا بُخَارى يوم المهرجان . قال : فتلقّوْنا بدراهم بخارية ، فأعطاهم عشرة عشرة ، فقال عبد المؤمن بن خالد : رأيتُ

---

(١) ب : « المكذبون » . (٢) غلاء : جمع غلوة ؛ وهى مرمى السهم .

عبدَ الله بن أبى عبد الله بعد وفاته فى المنام ، فقال : حدَّث الناس عنى برأيى يوم الشِّعب .

قال : وكان الجُنيد يذكر خالد بن عبد الله ، ويقول : ربَذَة من الربَذ[1] ، صنبور ابن صنبور[2] ، قُلّ ابن قُلّ ، هيْفة من الهيف — وزعم أن الهيْفة الضّبُع ، والعُجْرة الخنزيرة ، والقلّ : الفرد — قال : وقدمت الجنود مع عمرو بن مسلم الباهلىّ فى أهل البصرة وعبدالرحمن بن نعيم الغامدىّ[3]
١٥٥٣/٢ فى أهل الكوفة وهو بالصّغانيان ، فسرح معهم الحوثرة بن يزيد[4] العنبرىّ فيمن انتدب معه من التجار وغيرهم ، وأمرهم أن يحملوا ذرارىّ أهل سمرقند ، ويدَعوا فيها المقاتلة . ففعلوا .

قال أبو جعفر : وقد قيل : إنّ وقعة الشِّعب بين الجُنيد وخاقان كانت فى سنة ثلاث عشرة ومائة .

وقال نصر بن سيّار يذكر يوم الشِّعب وقتال العبيد :

إنّى نَشأْتُ وحُسّادِى ذَوُو عَدَدٍ ... ياذا المعارج لا تَنقصْ لهمْ عَدَدا
إن تحسدونى على مثل البلاءِ لكُمْ ... يوماً فمثلُ بلائى جَرَّ لى الحَسدَا
يأْبَى الإلهُ الذى أعلَى بقدرته ... كعبى عليكم وأعطى فوقكم عُددا
أرْمِى العَدُوّ بأفراسٍ مُكلَّمةٍ ... حتى اتخذْنَ على حُسّادِهنّ يدا[5]
من ذا الذى منكمُ فى الشِّعب إذ وردُوا ... لَمْ يَتَّخِذْ حَوْمة الأثقالِ مُعْتَمَدَا !
فما حفظتمْ منَ اللهِ الوَصاة ولا ... أنتم بصَبْرٍ طَلَبتُمْ حُسْنَ ماوَعَدَا
ولا نَهاكمْ عَنِ التَّوْثابِ فى عتَبٍ ... إلّا العَبيدُ بضَرْبٍ يَكسِرُ العَمَدا
هَلّا شكرتمْ دِفاعِى عَنْ جُنَيدِكُمُ[6] ... وَقْعَ القَنا وشِهابُ الحربِ قدْ وَقَدا !

---

(١) فى اللسان عن اللحيانى : « إنما أنت ربذة من الربذ » ، أى منتن لاخير فيك » .
(٢) فى ابن الأثير : « الصنبور الذى لا أخ له . وقيل : الملصق » .
(٣) ط : « العامرى » ، وما أثبته من تصويبات ط .
(٤) ابن الأثير : « زيد » . (٥) ط : «حسادها» ، وهو خطأ وصوابه فى ابن الأثير .
(٦) ابن الأثير : « هلا شهدتم » .

وقال ابن عرس العبدىّ ، يمدح نَصرًا يوم الشِّعب ويذمّ الجُنيد ؛ لأن ٢/١٠٠٤
نصراً أبلى يومئذ :

يا نصرُ أنت فتى نزارٍ كُلِّها ... فلكَ المآثِرُ والفَعالُ الأَرفَعُ
فَرَّجْتَ عَنْ كلِّ القَبائلِ كُربَةً ... بالشِّعبِ حِينَ تَخاضَعُوا وتَضعْضَعُوا
يَومَ الجُنيدِ إذ القنا مُتَشاجِرٌ ... والنَّحرُ دامٍ والخَوافِقُ تلمَعُ(١)
ما زلتَ تَرمِيهمْ بنفسٍ حُرَّةٍ ... حتى تَفَرَّجَ جَمْعُهُمْ وَتَصَدَّعُوا
فالناسُ كُلٌّ بَعْدَها عُتَقاؤُكمْ ... ولكَ المكارمُ والمعالِى أَجْمَعُ

وقال الشرعىّ الطائىّ :

تَذَكَّرتُ هِندًا فى بِلادٍ غَرِيبَةٍ ... فيالكَ شَوْقاً ، هل لِشَملِكَ مَجْمَع!
تذكَّرتُهَا والشاشُ بَيْنى وبينها ... وَشِعْبُ عِصامٍ والمنايا تَطلَّعُ
بلادٌ بها خاقانُ جَمٌّ زُحُوفُهُ ... وَنيلانُ فى سبعينَ أَلفاً مُقَنَّعُ
إذا دَبَّ خاقانٌ وسارت جنودُهُ ... أَتتنَا المَنايا عندَ ذلك شُرَّعُ
هنالك ــ هندُ ــ مالَنا النِّصفُ منهمُ ... وما إنْ لنا ياهندُ فى القومِ مَطْمَعُ ٢/١٠٠٥
أَلَا رُبَّ خَوْدٍ خَدْلَةٍ قد رأَيتُهَا ... يَسُوق بها جَهمٌ مِنَ السُّغدِ أَصْمَعُ
أُحامِى عليها حين وَلَّى خليلُها ... تُنادِى إليها المسلمينَ فتُسمعُ(٢)
تنادى بأَعلى صوتِها صَفٌّ قومِها ... أَلَا رجلٌ منكم يَغارُ فَيَرجعُ!
أَلا رجلٌ منكُم كَريمٌ يَرُدُّنِى ... يَرَى الموتَ فى بعضِ المواطنِ ينفع!
فما جاوبُوها غير أَنَّ نَصيفَهَا ... بكَفِّ الفتى بين البرازيقِ أَشْنَعُ
إلى اللهِ أشكُو نَبوَةً فى قلوبِهَا ... وَرُعباً مَلا أَجوافها يَتَوَسَّعُ
فَمَن مُبْلِغٌ عَنّى أَلوكاً صحيفةً ... إلى خالِدٍ مِنْ قبلِ أَن نَتَوزَّعُ
بأَنَّ بقايانا وأَنَّ أَميرنا ... إذا ما عَدَدْناهُ الذَّلِيلُ المُوَقَّعُ

---

(١) ابن الأثير : « والبحر دام » . (٢) ح : « تنادى إليها المسلمون » .

١٠٥٦/٢ هُمُ أطْمَعُوا خاقانَ فينا وَجُنْدَهُ ... ألَا ليتَنَا كُنَّا هَشِيماً يُزَعْزَعُ

وقال ابن عرس – واسمه خالد بن المعارك من بنى غَنْم بن وديعة بن لكيز بن أفصى . وذكر علىّ بن محمد عن شيخ من عبد القيس أنّ أمه كانت أمَة ، فباعه أخوه تميم بن معارك من عمرو بن لقيط أحد بنى عامر بن الحارث ؛ فأعتقه عمرو لما حضرته الوفاة ، فقال : يا أبا يعقوب ؛ كم لى عندك من المال ؟ قال : ثمانون ألفًا ، قال : أنت حرّ وما فى يديك لك . قال : فكان عمرو ينزل مَرْو الرّوذ ؛ وقد اقتتلت عبد القيس فى ابن عُرْس ؛ فردّوه إلى قومه ، فقال ابنُ عرس للجُنيد :

أينَ حُماةُ الحرب منْ معشَرٍ ... كانوا جَمالَ المنسَرِ الحاردِ!
بَادُوا بآجالٍ تَوَافَوْا لهــا ... والعــائِرُ المُمْهَلُ كالبائِدِ
فالعينُ تُجرِى دَمْعها مُسْبَلاً ... ما لِدُمُوعِ العينِ من ذائد
انظرْ ترى للميْتِ مِنْ رَجْعَةٍ ... أمْ هل ترى فى الدهر من خالد!
١٠٥٧/٢ كنَّا قديمــاً يُتَّقى بأْسُــنا ... وَنَدْرَأ الصَّادِرَ بالوارِدِ
حتى مُنِينــا بالذى شامَنا ... من بعدِ عِزٍّ ناصرٍ آئِدِ
كعاقِرِ الناقةِ لا يَنثنِى ... مُبْتَدِئاً ذِى حَنَقٍ جاهِدِ
فَتَقْتَ ما لم يلتئِم صَدْعُهُ ... بالجَحْفَلِ المحْتَشِدِ الزائدِ
تَبكى لها إنْ كَشَفت ساقَها ... جَــدْعاً وَعَقرًا لك من قائدِ!
ترَكْتَنا أجزاءَ مَعْبُوطــةٍ ... يَقسِمُها الجازرُ للناهِدِ
تَرَقّتِ الأسيافُ مَسْلولَةً ... تُزيلُ بينَ العَضْدِ والساعدِ
تَساقَطُ الهاماتُ من وقعِها ... بينَ جَناحَىْ مُبرِقٍ راعِــد
إذْ أنت كالطِّفلةِ فى خِدرِها ... لَمْ تَدرِ يومًا كَيْدَةَ الكائِدِ
١٠٥٨/٢ إنَّا أناسٌ حَربُنا صَعبَةٌ ... تَعصِفُ بالقائِمِ والقَاعد
أضحَتْ سمرْقندُ وأشياعُها ... أُحدوثَةَ الغائِبِ والشاهِدِ

وكم ثَوَى فى الشِّعبِ من حازمٍ جَلْدِ القُوَى ذى مِرَّةٍ ماجد
يَستَنجدُ الخَطْبَ ويَغشَى الوغى لا هائبٍ غُسٍّ ولا ناكِدِ[١]
لَيتَكَ يومَ الشِّعب فى حُفرَةٍ مرمُوسَةٍ بالمَدَرِ الجامِدِ
تلعبْ بك الحربُ وأبناؤها لَعْبَ صُقُورٍ بِقَطًا واردِ
طارَ لها قلبُكَ من خيفَةٍ ما قلبك الطائرُ بالعائِدِ
لا تَحسِبَنَّ الحربَ يومَ الضحى كَشُربِكَ المُزَّاءَ بالبارِدِ[٢]
أبغَضتُ من عَينِكَ تَبْرِيجَها وصورةً فى جسدٍ فاسِدِ
جُنيدُ ما عِيصُكَ منسوبةٌ[٣] نَبْعاً ولا جَدُّكَ بالصَّاعد
خمسون ألفاً قُتِلوا ضِيعَةً وأنتَ منهم دعوة الناشد ٢/١٥٥٩
لا تَمرِيَنَّ الحربَ من قابِلٍ ما أنتَ فى العَدوَةِ بالحامد[٤]
قَلَّدتُه طَوْقاً على نحرِهِ طوق الحمامِ الغرِدِ الفارِد
قصيدَةً حبَّرَها شاعِرٌ تسعَى بها البُرْدُ إلى خالِدِ

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومىّ ؛ كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وقد قيل : إن الذى حجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن هشام .

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة عمّالها الذين كانوا فى سنة إحدى عشرة ومائة ، وقد ذكرناهم قبل .

---

(١) الغس : الضعيف اللئيم .
(٢) المزاء : الخمر اللذيذة الطعم ، سميت بذلك للذعها فى الفم .
(٣) منسوبه ، بالرفع بدل اشتمال مما قبله .
(٤) ب وابن الأثير : « بالجامد » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[قتل عبد الوهاب بن بخت]

فممّا كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بُخت ، وهو مع البطّال
٢/١٥٦٠ عبد الله بأرض الرّوم ؛ فذكر محمد بن عمر ، عن عبد العزيز بن عمر ؛ أن عبد الوهاب بن بُخْت غزا مع البطّال سنة ثلاث عشرة ومائة ، فانهزم الناس عن البطّال وانكشفوا ، فجعل عبد الوهاب يكرّ فرسه وهو يقول [١] : ما رأيتُ فرسًا أجبَن منه ، وسَفَكَ الله دمى إن لم أسفك دمك . ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح : أنا عبد الوهاب بن بُخت ؛ أمِن الجنة تفرّون ! ثم تقدّم فى نحور العدوّ ؛ فمرّ برجل وهو يقول : واعطشاه ! فقال : تقدّم ؛ الرِّىّ أمامك ؛ فخالط القوم فقُتِل وقُتل فرسه .

* * *

ومن ذلك ما كان من تفريق مسلمة بن عبد الملك الجيوشَ فى بلاد خاقان ففتِحت مدائن وحصون على يديه ، وقتل منهم ، وأسر وسبَى ، وحرّق خلق كثير من التّرك أنفسَهم بالنار ؛ ودان لمسلمة مَن كان وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان .

ومن ذلك غَزْوة معاوية بن هشام أرضَ الروم فرابط من ناحية مَرْعش ثم رجع .

وفى هذه السنة صار من دُعاة بنى العباس جماعة [٢] إلى خراسان ، فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم فقتله ، وقال : من أصيب [٣] منهم فدمه هدرٌ .

* * *

(١) ب ، ح : « ويقول » .
(٢) ف : « دعاة » .
(٣) ابن الأثير : « أصبت » .

وحجّ بالناس فى هذه السنة — فى قول أبى معشر — سليمان بن هشام بن ١٥٦١/٢
عبد الملك؛ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ .

وقال بعضهم : الذى حجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومىّ .
وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة هم الذين كانوا عمّالها فى سنة إحدى عشرة واثنتى عشرة ؛ وقد مضى ذكرنا لهم .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

ذكر الإخبار عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفةَ اليسرى وسليمان بن هشام على الصّائفة اليمنى ؛ فذُكر أنّ معاوية بن هشام أصاب رَبَضَ[1] أقرن ، وأن عبدالله البطال التقى وقسطنطين في جَمْعٍ فهزمهم ؛ وأسر قسطنطين ؛ وبلغ سليمان ابن هشام قيساريّة .

* * *

وفي هذه السنة عزلَ هشام بن عبد الملك إبراهيمَ بن هشام عن المدينة ، وأمّر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم . قال الواقديّ : قدم خالد بن عبد الملك المدينة للنصف من شهر ربيع الأول ؛ وكانت إمْرة إبراهيم ابن هشام على المدينة ثماني سنين .

وقال الواقديّ : في هذه السنة وليَ محمد بن هشام المخزوميّ مكة .

وقال بعضُهم : بل وليَ محمد بن هشام مكة سنة ثلاث عشرة ومائة ، فلما عزل إبراهيم أقرّ محمد بن هشام على مكة .

وفي هذه السنة وقع الطاعون — فيما قيل — بواسط .

وفيها قفل[2] مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعد ما هزم خاقان وبنى الباب فأحكم ما هنالك . ١٥٦٢/٢

وفي هذه السنة ولّى هشام مروانَ بن محمد أرمينيَة وأذْرَبيجان .

* * *

واختلف فيمَن حجّ بالناس في هذه السنة ، فقال أبو معشر — فيما حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه : حجّ بالناس سنة أربع عشرة ومائة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ؛ وهو على المدينة .

---

(١) الربض : سور المدينة .

(٢) ابن الأثير : « أقبل » .

وقال بعضهم : حجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام ؛ وهو أمير مكة ، فأقام خالد بن عبد الملك تلك السنة ، لم يشهد الحجّ .

قال الواقدىّ : حدثنى بهذا الحديث عبد الله بن جعفر ، عن صالح بن كيسان .

قال الواقدىّ : وقال لى أبو معشر : حجّ بالناس سنة أربع عشرة ومائة خالد بن عبد الملك ، ومحمد بن هشام على مكة . قال الواقدىّ : وهو الثَّبَت عندنا .

* * *

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمّال الذين كانوا فى السنة التى قبلها ؛ غير أنّ عامل المدينة فى هذه السنة كان خالد بن عبد الملك ، وعامل مكة والطائف محمد بن هشام ، وعامل أرمينيَة وأذْرَبيجان مروان بن محمد .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام أرضَ الروم .

١٥٦٣/٢ وفيها وقع الطاعون بالشام .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ؛ وهو أمير مكة والطائف ، كذلك قال أبو معشر ، فيما حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة عمّالها فى سنة أربع عشرة ومائة ، غير أنه اختُلف فى عامل خراسان فى هذه السنة ، فقال المدائنىّ : كان عاملها الجنيد بن عبد الرحمن ، وقال بعضهم : كان عاملها عمارة بن حُرَيم المرّىّ . وزعم الذى قال ذلك أنّ الجنيد مات فى هذه السنة ، واستُخلف عمارة بن حُرَيم . وأما المدائنىّ فإنه ذكر أن وفاة الجنيد كانت فى سنة ست عشرة ومائة.

* * *

وفى هذه السنة أصاب الناس بخُراسان قحط شديد ومجاعة ، فكتب الجُنيد إلى الكور : إنّ مرْو كانت آمِنة مطمئنّة يأتيها رزقُها رغداً من كلّ مكان ، فكفرت بأنعُم الله ، فاحملوا إليها الطعام .

قال علىّ بن محمد : أعطى الجُنيد فى هذه السنة رجلاً درهمًا ، فاشترى به رغيفًا ، فقال لهم : تشكون الجوع ورغيف بدرهم ! لقد رأيتُنى بالهند وإن الحبّة من الحبوب لتباع عدداً بالدرهم ؛ وقال : إنّ مرْو كما قال الله عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾[1] .

---

(١) سورة النحل آية ١١٢ .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة ٢/١٥٦٤

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة معاوية بن هشام أرض الرّوم الصائفة .

وفيها كان طاعونٌ شديد بالعراق والشأم ؛ وكان أشدّ ذلك – فيما ذكر – بواسط .

* * *

[وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله خراسان]

وفيها كانت وفاة الجُنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالىّ خراسان .

* ذكر الخبر عن أمرهما :

ذكر علىّ بن محمد، عن أشياخه ، أنّ الجُنيد بن عبد الرحمن تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن المهلّب ، فغضب هشام على الجُنيد، وولّى عاصم بن عبد الله خراسان؛ وكان الجُنيد سَقِىَ[1] بطنُه، فقال هشام لعاصم : إن أدركتَه وبه رمَق فأزهِقْ نفسه ، فقدم عاصم وقد مات الجنيد .

قال : وذكروا أنّ جبلة بن أبى روّاد دخل على الجُنيد عائداً، فقال : يا جبلة ، ما يقول الناس ؟ قال : قلت يتوجّعون[2] للأمير ؛ قال : ليس عن هذا سألتك ، ما يقولون ؟ وأشار نحو الشأم بيده . قال : قلت : يقدم على خراسان يزيد بن شجرة الرّهاوىّ، قال : ذلك سيّد أهل الشأم ، قال : ومن ؟ قلت : عصمة أو عصام ، وكنّيت عن عاصم ، فقال : إن قدِم عاصم فعدوّ جاهد ؛ لا مرحباً به ولا أهلا . ٢/٥

قال : فمات فى مرضه ذلك فى المحرّم سنة ست عشرة ومائة، واستخلف عمارة بن حُرَيم . وقدم عاصم بن عبد الله ، فحبس عُمارة بن حُرَيم وعمال الجنيد وعذّبهم . وكانت وفاته بمرْو ، فقال أبو الجُوَيرية عيسى ابن عصمة يرثيه :

---

(١) ح : « يشكو بطنه » ، والسق : ماء أصفر يقع فى البطن ، يقال : سق بطنه ، أى اجتمع فيه ماء أصفر .

(٢) ب : « يتوجمون » .

هلك الجُودُ والجنيدُ جميعاً فعلى الجود والجُنيدِ السّلامُ
أَصبحا ثاوِيَيْن في أَرضِ مَرْوٍ ماتغَنَّتْ على الغُصونِ الحمامُ(١)
كنتُمَا نُزْهَةَ الكرامِ فلما مِتّ ماتَ النَّدى وماتَ الكِرامُ

ثم إنّ أبا الجويرية أتى خالد بن عبد الله القسريّ وامتدحه ، فقال له خالد : ألست القائل :

* هلك الجود والجُنيد جميعاً *

مالك عندنا شيء ، فخرج فقال :

تظَلّ لامِعَة الآفاقِ تَحْمِلُنَا إلى عُمارَةَ والقُودُ السَّراهِيدُ

قصيدة امتدح بها عُمارة بن حُرَيم ، ابنَ عمّ الجنيد ؛ وعُمارة هو جدّ أبي الهَيْذام صاحب العصبيّة بالشأم .

قال : وقدم عاصم بن عبدالله فحبس عمارة بن حُرَيم وعمال الجنيد وعذّبهم .

* * *

[ذكر خلع الحارث بن سريج]

وفي هذه السنة خَلَع الحارث بن سُرَيج ، وكانت الحرب بينه وبين عاصم بن عبد الله .

١٥٦٦/٢ * ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر عليّ عن أشياخه ، قال : لما قدم عاصم خراسان واليًا ، أقبل الحارث ابن سُرَيج من النّخُذ حتى وصل إلى الفارِياب ، وقدم أمامه بشر بن جُرْمُوز . قال : فوجّه عاصم الخطّابَ بن محرز السُّلَميّ ومنصورَ بن عمر بن أبي الخَرْفاء السُّلَميّ وهلال بن عُلَيم التميميّ والأشهبَ الحنظليّ وجرير بن هميان السدوسيّ ومقاتل بن حيّان النبَطيّ مولى مصقلة إلى الحارث ؛ وكان خطّاب ومقاتل بن حيّان قالا : لا تلقوْه إلا بأمان ، فأبى عليهما القوم ؛ فلما انتهوا إليه بالفارياب قيّدهم وحبَسهم ، ووكّل بهم رجلا يحفظهم . قال : فأوثقوه وخرجوا من السّجن ، فركبوا دوابّهم ، وساقوا دوابّ البريد ، فمرّوا بالطالَقان

(١) ح ، ف : « ما تغنى » .

فهم سهْرَب صاحب الطالَقان بهم ، ثم أمسك وتركهم . فلما قدموا مَرْو أمرهم عاصم فخطبوا وتناولوا الحارث ، وذكروا خبث سيرته وغدره . ثم مضى الحارث إلى بَلْخ وعليها نصر ، فقاتلوه ؛ فهزم أهل بلْخ ومضى نصر إلى مرْو .

١٥٦٧/٢ وذكر بعضهم : لما أقبل الحارث إلى بلخ وكان عليها التُّجيبىّ بن ضُبَيعة المرّىّ ونصر بن سيار ، وولاّهما الجنيد . قال : فانتهى إلى قنطرة عطاء وهى على نهر بلْخ على فرسخين من المدينة ، فتلقّى نصر بن سيار فى عشرة آلاف والحارث بن سُريج فى أربعة آلاف ، فدعاهم الحارث إلى الكتاب والسنّة والبيعة للرضا ؛ فقال قطن بن عبد الرحمن بن جُزىّ الباهلىّ : يا حارث ؛ أنت تدعو إلى كتاب الله والسنّة ؛ والله لو أنّ جبريل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ما أجبتُك ؛ فقاتلهم فأصابته رمية فى عينه ؛ فكان أوّلَ قتيل . فانهزم أهلُ بلخ إلى المدينة ، وأتبعهم الحارث حتى دخلَها ؛ وخرج نصر من باب آخر ، فأمر الحارثَ بالكفّ عنهم ، فقال رجل من أصحاب الحارث : إنى لأمشى فى بعض طرق بلْخ إذ مررت بنساء يبكين وامرأة تقول : يا أبتاه ! ليت شعرى من دهاك ! وأعرابىّ إلى جَنْبى يسير ؛ فقال : مَنْ هذه الباكية ؟ فقيل له : ابنة قَطَن بن عبد الرحمن بن جزىّ ، فقال الأعرابىّ : أنا وأبيك دهيْتُك ، فقلت : أنت قتَلته ؟ قال : نعم .

قال : ويقال : قدم نصر والتُّجيبىّ على بلْخ ، فحبسه نصر ، فلم يزل محبوسًا حتى هزم الحارث نصراً ؛ وكان التُّجيبىّ ضرب الحارث أربعين سوطًا فى إمْرة الجنيد ، فحوّله الحارث إلى قلعة باذكر بزَمّ ، فجاء رجل من بنى حَنيفة ١٥٦٨/٢ فادّعى عليه أنه قتل أخاه أيام كان على هَرَاة ، فدفعه الحارث إلى الحنفىّ ، فقال له التُّجيبىّ : أفتدى منك بمائة ألف ، فلم يقبل منه وقتله . وقوم يقولون : قُتِل التُّجيبىّ فى ولاية نصر قبل أن يأتيَه الحارث .

قال : ولما غلب الحارث على بلْخ استعمل عليها رجلاً من ولَد عبد الله ابن خازم ، وسار ، فلما كان بالجُوزجان دعا وابصة بن زُرارة العبدىّ ، ودعا دجاجة ووحشًا العجليَّيْن وبشر بن جُرموز وأبا فاطمة ، فقال :

ما ترون ؟ فقال أبو فاطمة : مَرْو بَيْضة خراسان ؛ وفرسانهم كثير ؛ لولم يلقوْك إلاّ بعبيدهم لانتصفوا منك ، فأقم فإنْ أتوْك قاتلتَهم وإن أقاموا قطعت المادة عنهم ، قال : لا أرى ذلك ، ولكن (١) أسير إليهم . فأقبل الحارث إلى مَرْو ، وقد غلب على بلْخ والجُوزجان والفارياب والطالَقان ومرْو الرّوذ ، فقال أهل الدين(٢) من أهل مَرْو : إن مضى إلى أبرشهر ولم يأتنا فرّق جماعتنا ، وإن أتانا نكب(٣) .

قال : وبلغ عاصمًا أن أهل مَرْو يكاتبون الحارث ، قال : فأجمع على الخروج وقال : يا أهل خراسان ، قد بايعتم الحارث بن سُريج(٤) ، لا يقصد مدينة إلا خلّيتموها له ، إنى لاحق بأرض قومى أبرشهر ، وكاتبٌ منها إلى أمير المؤمنين حتى يمدّنى بعشرة آلاف من أهل الشأم . فقال له المجشّر بن مزاحم : إن أعطوْك بيعتَهم بالطلاق والعَتاق فأقم ، وإن أبوْا فسرحتى تنزل أبرشهر ،
١٠٦٩/٢ وتكتب إلى أمير المؤمنين فيمدّك بأهل الشأم . فقال خالد بن هريم أحد بنى ثعلبة بن يربوع وأبو محارب هلال بن عُلَيْم : والله لا نخلّيك والذهاب ، فيلزمنا دَيْنك عند أمير المؤمنين ، ونحن معك حتى نموت إن بذلت الأموال . قال : أفعل ، قال يزيد بن قرّان الرّياحىّ : إن لم أقاتل معك ما قاتلتَ فابنةُ الأبرد بن قُرّة الرياحىّ طالق ثلاثًا — وكانت عنده — فقال عاصم : أكلّكم على هذا ؟ قالوا : نعم . وكان سلمة بن أبى عبد الله صاحب حَرَسه يحلّفهم بالطلاق .

قال : وأقبل الحارث بن سُريج إلى مَرْو فى جمع كثير — يقال فى ستين ألفًا — ومعه فرسان الأزْد وتميم ؛ منهم محمد بن المثنّى وحمّاد بن عامر ابن مالك الحِمانىّ وداود الأعسر وبشْر بن أنَيف الرياحىّ وعطاء الدّبُوسىّ . ومن الدهاقين الجوزجان وترسل دهقان الفارياب(٥) وسهرب(٦) ملك الطّالقان ، وقرياقس دهقان مَرْو ، فى أشباههم .

قال : وخرج عاصم فى أهل مَرْو وفى غيرهم ؛ فعسكر بجياسر عند البيعة ،

---

(١) ح : « ولكنى » . (٢) ابن الأثير : « أهل الرأى » .
(٣) ب : « نكث » . (٤) ط : « شريح » والصواب ما أثبته من التصويبات .
(٥) ط : « لفارياب » .
(٦) ط : « سهرك » ، وانظر ص ٩٥ س ١ .

وأعطى الجند ديناراً ديناراً ، فخفّ عنه الناس ، فأعطاهم ثلاثة دنانير ٢/١٥٧٠
ثلاثةدنانير ، وأعطى الجند وغيرهم ؛ فلما قرب بعضهم من بعض أمر بالقناطر فكسرت ، وجاء أصحاب الحارث فقالوا: تحصروننا فى البرّيّة! دعونا نقطع إليكم فنناظركم فيما خرجنا له ، فأبَوْا وذهب رجّالتهم يُصلحون القناطر ، فأتاهم رجّالة أهل مَرْو فقاتلوهم ؛ فمال محمد بن المثنّى الفراهيذىّ برايته إلى عاصم فأمالها فى ألفين فأتى الأزْد ؛ ومال حماد بن عامر بن مالك الحِمّانىّ إلى عاصم ، وأتى بنى تميم .

قال سلمة الأزدىّ : كان الحارث بعث إلى عاصم رسلاً — منهم محمد ابن مسلم العنبرىّ — يسألونه العملَ بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم . قال : والحارث بن سريج يومئذ على السواد . قال : فلمّا مال محمد بن المثنى بدأ أصحاب الحارث بالحملة ، والتقى الناس ؛ فكان أوّل قتيل غياث بن كلثوم من أهل الجارُود ، فانهزم أصحاب الحارث ، فغرِق بشر كثير من أصحاب الحارث فى أنهار مَرْو والنهر الأعظم ، ومضت الدّهاقين إلى بلادهم ؛ فضُرِب يومئذ خالد بن علباء[1] بن حبيب بن الجارود على وجهه ، وأرسل
٢/١٥٧١ عاصم بن عبد الله المؤمنَ بن خالد الحنفىّ وعِلباء بن أحمر اليشكرىّ ويحيى بن عقَيل الخُزاعىّ ومقاتل بن حيّان النَّبَطى إلى الحارث يسأله ما يريد؟ فبعث الحارث محمدَ بن مسلم العنبرىّ وحدَه ، فقال لهم : إنّ الحارث وإخوانكم يقرءونكم السلام ، ويقولون لكم : قد عطشنا وعطشت دوابّنا ، فدعونا ننزل الليلة ، وتختلف الرّسل فيما بيننا ونتناظر ؛ فإن وافقناكم على الذى تريدون وإلاّ كنتم مِنْ وراء أمركم ؛ فأبوا عليه وقالوا مقالا غليظًا ؛ فقال مقاتل ابن حيّان النبطىّ : يا أهلَ خراسان ؛ إنا كنا بمنزلة بيت واحد وثغرنا واحد ؛ ويدنا على عدوّنا واحدة ؛ وقدأنكرنا ما صنع صاحبكم ؛ وجّه إليه أميرنا بالفقهاء والقرّاء من أصحابه ؛ فوجّه رجلاً واحدًا . قال محمد : إنما أتيتُكم مبلِّغًا ، نطلب كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وسيأتيكم الّذى تطلبون من غد إن شاء الله تعالى .

---

(١) ف : «غلباء» .

وانصرف محمّد بن مسلم إلى الحارث ، فلما انتصف الليل سار الحارث فبلغ عاصمًا ، فلما أصبح سار إليه فالتقوْا ، وعلى ميمنة الحارث رابض بن عبدالله بن زرارة التغلبىّ ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، فحمل يحيى بن حُضَين —
١٥٧٢/٢ وهو رأس بكر بن وائل ، وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج — فقتلوا قتلاً ذريعًا ، فقطع الحارث وادى مَرْو ؛ فضرب رواقاً عند منازل الرّهبان ، وكفّ عنه عاصم . قال : وكانت القتلى مائة ، وقتل سَعيد بن سعد بن جَزء الأزدىّ ، وغرق خازم بن موسى بن عبد الله بن خازم — وكان مع الحارث بن سُريج — واجتمع إلى الحارث زُهاء ثلاثة آلاف ، فقال القاسم بن مسلم : لما هُزِم الحارث كفّ عنه عاصم ، ولو ألحّ عليه لأهلكه . وأرسل إلى الحارث : إنى رادّ عليك ما ضمنت لك ولأصحابك ؛ على أن ترتحل ؛ ففعل .

قال : وكان خالد بن عبيد الله بن حبيب أتى الحارث ليلة هزم ، وكان أصحابه أجمعوا على مفارقة الحارث ، وقالوا : ألم تزعم أنه لا يردّ لك راية ! فأتاهم فسكّنهم .

وكان عطاء الدّبوسىّ من الفُرسان، فقال لغلامه يوم زَرْق : أسرِج لى بِرذَوْنى لعلّى ألاعب هذه الحمارة ، فركب ودعا إلى البراز ، فبرز له رجل من أهل الطالَقان ، فقال بلغته : إى كير خَر .

* * *

قال أبو جعفر الطبرىّ رحمه الله : وحجّ بالناس فى هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو ولىّ العهد ؛ كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن
١٥٧٣/٢ ذكره، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وكانت عمال الأمصار فى هذه السّنة عمالها فى التى قبلها إلاّ ما كان من خُراسان فإن عاملها فى هذه السنة عاصم بن عبد الله الهلالىّ .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة
ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأَحداث

فممّا كان فيها غزوة معاوية بن هشام الصّائفة اليسرى وغزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصّائفة اليمنى من نحو الجزيرة ، وفرّق سراياه فى أرض الروم .

وفيها بَعث مرْوان بن محمد — وهو على أرمينيَة — بعثين ، فافتتح أحدهما حصونًا ثلاثة من اللاّن ونزل الآخر على تُومانشاه ، فنزل أهلها على الصلح .

وفيها عزل هشام بن عبد الملك عاصمَ بن عبد الله عن خراسان، وضمها إلى خالد بن عبد الله ، فولاّها خالد أخاه أسدَ بن عبد الله .

وقال المدائنىّ : كان عزل هشام عاصمًا عَن خراسان وضمّ خراسان إلى خالد بن عبد الله فى سنة ستّ عشرة ومائة .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصمًا وتوليته خالدًا خراسان

وكان سبب ذلك — فيما ذكر علىّ عن أشياخه — أنّ عاصم بن عبد الله كتب إلى هشام بن عبد الملك : أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فإنّ الرائد لا يكذب أهله ؛ وقد كان من أمر أمير المؤمنين إلىّ ما يحقّ به علىّ نصيحته ؛ وإنّ خراسان لا تصلح إلاّ أن تضمّ إلى صاحب العراق ؛ فتكون موادُّها ومنافعها ومعونتها[١] فى الأحداث والنوائب[٢] من قريب ؛ لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطؤ غياثه عنها . ١٥٧٤/٢

فلما مضى كتابه خرج إلى أصحابه يحيى بن حُضَين والمجشّر بن مزاحم وأصحابهم ، فأخبرهم ، فقال له المجشّر بعد ما مضى الكتاب : كأنّك بأسد قد طلع عليك . فقدم أسد بن عبد الله ؛ بعث به هشام بعد كتاب عاصم بشهر ، فبعث الكُميت بن زيد الأسدىّ إلى أهل مَرْو بهذا الشعر :

(١) ح : « ويعوثها » .
(٢) ب : « المصائب » .

أَلا أَبْلِغْ جماعَةَ أَهْلِ مَرْوٍ   على ما كانَ مِنْ نَأْى وَبُعْدِ[1]
رِسالةَ ناصِحٍ يُهْدِى سلاماً   ويَأْمُرُ فى الذى رَكِبُوا بِجَدِّ
وأَبْلِغْ حارِثاً عَنَّا اعْتِذارًا   إِلَيْهِ بِأَنَّ مَنْ قِبَلِى بِجُهْدِ
وَلَوْلا ذاك قَدْ زارَتْك خَيْلٌ   مِنَ المِصْرَيْنِ بالفُرْسانِ تُرْدِى
فلا تهِنُوا ولا ترْضَوْا بِخَسْفٍ   ولا يَغْرُرْكُمُ أَسدٌ بِعَهْدِ
وَكونوا كالبَغايا إِنْ خُدِعْتُمْ   وإِنْ أَقرَرْتُمُ ضَيْماً لِوَغْدِ
١٠٧٥/٢ وَإِلاَّ فارْفَعُوا الراياتِ سُودًا   على أَهلِ الضلالَةِ والتَّعَدِّى
فَكَيْفَ وأَنتُمُ سَبْعُونَ أَلْفاً   رَماكُمْ خالِدٌ بِشَبيهِ قِرْدِ
وَمَنْ وَلَّى بِذِمَّتِهِ رَزِيناً   وَشِيعَتَهُ وَلَمْ يُوفِ بِعَهْدِ
وَمَنْ غَشَّى قُضاعَةَ ثَوْبَ خِزْىٍ   بِقَتْلِ أَبِى سلامَانَ بْنِ سَعْدِ
فَمَهلاً يا قُضاعَ فلاَ تكونِى   تَوابِعَ لا أُصُولَ لَها بِنَجْدِ
وكُنْتَ إِذا دَعَوْتَ بَنِى نِزارٍ   أَتاكَ الدُّهْمُ مِنْ سَبْطٍ وَجَعْدِ
فجُدِّعَ مِنْ قُضاعَةَ كلُّ أَنفٍ   ولا فازَتْ عَلى يَوْمٍ بِمَجْدِ

قال : وَرَزِين الذى ذُكِر كان خرج على خالد بن عبد الله بالكوفة ، فأعطاه الأمان ثم لم يَفِ به .

وقال فيه نصر بن سيّار حين أقبل الحارث إلى مَرْو وسوّد راياته — وكان الحارث يرى رأى المرجئة :

دَعْ عَنكَ دُنيا وَأَهْلاً أَنْتَ تارِكُهمْ   ما خَيْرُ دُنيَا وأَهْلٍ لا يَدُومُونا !
إِلا بَقيَّةَ أَيامٍ إلى أَجَلٍ   فاطلُبْ مِنَ اللهِ أهلا لا يَمُوتونا
أَكثِر تقَى اللهِ فى الإِسْرارِ مُجْتَهِدًا   إِنَّ التُّقَى خَيْرُهُ ما كان مكْنُونا
واعْلَم بأَنَّكَ بالأَعمالِ مُرْتَهَنٌ   فكن لذاكَ كثِيرَ الهَمّ مَحْزُونا
إِنى أَرَى الغَبْنَ المُردِى بصاحِبِهِ   مَنْ كان فى هٰذه الأَيّامِ مَغْبُونا

(١) ط : « من ناء » ، وأثبت ما فى التصويبات .

تكونُ للمَرءِ أَطْوارًا فَتمنَحُهُ(١) — يَوماً عِثارًا وطَوْرًا تمنحُ اللينا(٢)
بَينا الفَتَى فى نعيمِ العَيْشِ حَوّلَهُ — دَهْرٌ فأَمسى به عَنْ ذاك مَزبُونا ١٥٧٦/٢
تحْلو له مَرَّةً حَتَّى يُسَرَّ بهَا — حِينـاً وَتُمقِرُهُ(٣) طَعماً أَحايينا
هلْ غابرٌ مِنْ بقَايا الدّهرِ تَنْظُرُهُ — إلاَّ كما قد مضى فيما تُقَضُّونا
فامْنحْ جهادَكَ مَنْ لم يَرْجُ آخِرَةً — وكن عَدُوًّا لِقَومٍ لا يُصَلُّونا
واقتُلْ مُواليَهمُ مِنَّا ونَاصِرَهُمْ — حيناً تكفِّرُهُمْ والعَنْهُمْ حينا
وَالعَائبينَ علينا دِينَنَا وَهُمُ — شَرُّ العِبادِ إذا خابَرْتَهُمْ دِينا
والقائلينَ سَبيلُ اللهِ بغْيَتُنـا — لَبُعدَ ما نكَبُوا عَمَّا يَقولونا
فاقتُلهُمُ غَضَباً للهِ مُنْتَصِرًا — مِنهُم بِهِ وَدَعِ المُرتابَ مَفْتُونا
إرْجاؤُكُم لزَّكُمْ والشركَ فى قَرَنٍ — فأَنتُمُ أَهْلُ إشراكٍ وَمُرْجُونا
لا يُبْعِدِ اللهُ فى الأجْداثِ غَيْرَكُمُ — إذ كَانَ دِينكُمُ بالشِّرْكِ مَقْرُونا
أَلقَى بِهِ اللهُ رُعباً فى نُحُورِكُمُ — واللهُ يَقضِى لنَا الحُسْنى وَيُعْلينا
كَيْما نكُونَ المُوَالِى عِندَ خائِفَةٍ — عمَّا تَرُومُ به الإِسْلَام والدينا
وهَلْ تَعيبُونَ مِنَّا كاذِبين بِهِ — غالٍ وَمُهْتَضِمٍ ، حَسْبى الذى فينا
يـأْبَى الذى كانَ يُبْلِى اللهُ أَوّلَكُمْ — على النِّفاقِ وما قد كان يُبْلينا

قال : ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم ، فلمّا بلغ عاصمًا أن أسد بن عبد الله ١٥٧٧/٢
قد أقبل ، وأنّه قد سيّر على مقدمته محمد بن مالك الهمْدانىّ ، وأنه قد نزل الدندانقان ، صالح الحارث ، وكتب بينه وبينه كتاباً على أن ينزل الحارث أىّ كور خراسان شاء ، وعلى أن يكتبا جميعًا إلى هشام ؛ يسألانه كتاب الله وسنة نبيه ؛ فإن أبى اجتمعا جميعًا عليه . فختم على الكتاب بعض الرؤساء ، وأبى يحيى

---

(١) ف : « أحياناً » .
(٢) ب : « منها عثاراً » .
(٣) تمقره : أى تمر الطعم له .

ابن حُضَين أن يَختِم ، وقال : هذا خَلْعٌ لأمير المؤمنين ؛ فقال خَلَف بن خليفة ليحيى :

أَبَى هَمٌّ قلبِكَ إلاَّ اجتماعا ... وَيَأْبَى رُقادُكَ إلا امْتناعَا
بِغيرِ سماعٍ ولم تَلقَنِى ... أُحاوِلُ مِنْ ذَاتِ لهوٍ سماعا
حَفِظنا أُميةَ فى مُلْكِها ... ونَخْطِرُ مِنْ دونها أَنْ تُراعَى
ندافِعُ عنها وعَنْ مُلْكِهَا ... إِذَا لم نَجِدْ بِيَدَيْها امتِناعا
أَبِى شَعْبُ ما بينَنَا فى القديمِ ... وبَينَ أُمَيَّةَ إلا انصِداعا
أَلَمْ نَختَطِفْ هامَةَ ابنِ الزُّبيرِ ... ونَنتَزِعِ المُلكَ منه انتِزاعا
جعلنا الخِلافَةَ فى أَهلِها ... إذا اصطرَعَ الناسُ فيها اصطراعا
نَصرْنا أُميةَ بالمَشْرَفِىِّ ... إذا انْخلَعَ الملكُ عنها انخلاعا
ومنَّا الذى شَدَّ أَهلَ العراق ... ولو غابَ يَحيَى عن الثَّغْرِ ضاعا
على ابنِ سُرَيجٍ نَقَضْنَا الأُمورَ ... وقد كان أَحكَمَها ما استطاعا
حَكيمٌ مقالَتُهُ حِكْمَةٌ ... إِذَا اشتدّت القوم كانت جِماعا ٢/١٥٧٨
عَشيَّةَ زَرْقٍ وقد أَزْمَعُوا ... قَمَعْنا مِنَ الناكِثِين الزَّماعا
ولولَا فتى وائِلٍ لَمْ يكنْ ... لِيُنْضِجَ فيها رَئيسٌ كُراعا
فَقلْ لأُمَيَّةَ تَرْعَى لنا ... أَيادِىَ لمْ نُجْزَها واصْطِناعا
أَتَلهِينَ عَنْ قتلِ ساداتِنا ... ونَأْبَى لحقِّكِ إلاَّ اتّباعا
أَمَنْ لَمْ يُبِعْكِ مِنَ المُشتَرِينَ ... كآخَرَ صادَفَ سُوقاً فَباعا !
أَبى ابنُ حُضَيْنٍ لِما تَصْنَعِينَ إلاَّ اضطلاعا وإلّا اتّباعا
ولو يَأْمَنُ الحارثُ الوائلينَ ... لراعكِ فى بعضِ مَنْ كان راعا
وقد كانَ أَصْعَرَ ذَا نَيْرَبٍ ... أَشاعَ الضَّلالةَ فيما أَشاعا
كَفَيْنَا أُميةَ مَختُومةً ... أَطاعَ بها عاصمٌ مَنْ أَطاعا

فلولَا مَرَاكِزُ رايَاتِنَــا مِنَ الجندخافَ الجنودُ الضَّياعا
وَصَلْنَا القَدِيمَ لَهَا بالحَدِيث وتَأْبَى أُمَيَّةُ إلا انْقطَاعا
ذَخائِرُ فى غَيْرِنَا نَفْعُها وما إنْ عَرَفنا لَهُنَّ انتفاعا
وَلَوْ قَدَمَتْها وَبَانَ الحجا بُ لارْتَعْتِ بيْنَ حشاكِ ارتياعا
فأَين الوَفَاءُ لأَهْلِ الوَفَاءِ والشُّكْرُ أَحْسَنُ مِنْ أَن يُضاعا!
وَأَيْنَ ادِّخارُ بَنِى وائلٍ إذاالذُّخرُ فى الناسِ كانارتجاعا!
أَلَمْ تَعلَمِى أَنَّ أَسيافَنَا تُداوِى العَلِيلَ وتَشْفِى الصُّداعا! ١٥٧٩/٢
إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدا باللواءِ أَسلمَ أَهلُ القِلاعِ القِلاعا
إذا ابنُ حُضَين غدًا باللــواءِ أشارَ النُّسُورَ به والضِّباعا
إذا ابن حضينٍ غدا باللواءِ ذَكَّى وكانَتْ مَعَدٌّ جُداعا

قال : وكان عاصم بن سليمان بن عبد الله بن شَراحيل اليشكرىّ من أهل الرّأى ، فأشار على يحيى بنقض الصحيفة ؛ وقال له : « غمراتٌ ثم ينجلينَ » ، وهى المغمِّضات ، فغمَّض .

قال : وكان عاصم بن عبدالله فى قرية بأعلى مَرْو لكندة ، ونزل الحارث قرية لبنى العنبر ؛ فالتقوْا بالخيل والرّجال ، ومع عاصم رجل من بنى عَبْس فى خمسمائة من أهل الشأم وإبراهيم بن عاصم العُقَيلىّ فى مثل ذلك ؛ فنادى منادى عاصم : مَنْ جاء برأسٍ فله ثلثمائة درهم ؛ فجاء رجل من عمّاله برأس وهو عاضّ على أنفه ، ثم جاءه رجل من بنى ليث – يقال له ليث بن عبد الله – برأس ، ثم جاء آخر برأس ، فقيل لعاصم : إن طمع الناس فى هذا لم يَدَّعوا ملاّحا ولا علْجاً إلا أتوْك برأسه ؛ فنادى مناديه : لا يأتنا أحد برأس ؛ فمن أتانا به فليس له عندنا شىء ؛ وانهزم أصحابُ الحارث فأسروا منهم أسارَى ، ١٥٨٠/٢
وأسروا عبد الله بن عمرو المازنىّ رأس أهل مَرْو الرّوذ . وكان الأسراء ثمانين ؛ أكثرهم من بنى تميم ، فقتلهم عاصم بن عبد الله على نهر الداندانقان . وكانت اليمانية بعثت من الشأم رجلا يعدل بألف يكنى أبا داود ، أيّام العصبيّة فى

خمسمائة ؛ فكان لا يمرّ بقرية من قُرى خراسان إلا قال : كأنكم بى قد مررتُ راجعًا حاملا رأس الحارث بن سُريج ؛ فلما التقوْا دعا إلى البراز ، فبرز له الحارث بن سُريج ؛ فضربه فَوْق منكبه الأيسر فصرعه ، وحامى عليه أصحابه فحملوه فخولط ؛ فكان يقول : يا أبرشهر الحارث بن سريجاه ! يا أصحاب المعموراه ! ورمِىَ فرس الحارس بن سريج فى لَبَانه، فنزع النّشابة؛ واستحضره وألحّ عليه بالضّرب حتى نزّقه(١) وعرّقه ، وشغله عن ألم الجراحة .

قال : وحمل عليه رجل من أهل الشأم ؛ فلما ظنّ أن الرمح مخالطُه ؛ مال عن فرسه واتّبع الشأمىّ، فقال له : أسألك بحرمة الإسلام فى دمى ! قال : انزل عن فرسك ؛ فنزل وركبه الحارث ، فقال الشأمىّ : خذ السرج ؛ فوالله إنه خير من الفرس، فقال رجل من عبد القيس :

تَوَلَّتْ قرَيشٌ لَذَّةَ العَيْشِ وَاتَّقَتْ بِنا كُلَّ فَجٍّ من خُراسان أَغْبَرا

٢/١٥٨١ فلَيتَ قُرَيشاً أصبحوا ذات ليلَةٍ يَعومُونَ فى لُجٍّ من البحرِ أخضَرا

قال : وعظّم أهل الشأم يحيى بن حُضَين لِما صنع فى أمر الكتاب الذى كتبه عاصم ، وكتبوا كتابًا ، وبعثوا مع محمد بن مسلم العنبرىّ ورجل من أهل الشأم ، فلقوا أسد بن عبد الله بالرّىّ — ويقال : لقوه ببيْهق — فقال: ارجعوا فإنى أصلح هذا الأمر ، فقال له محمد بن مسلم : هُدمتْ دارى ، فقال : أبنيها لك ، وأردّ عليكم كلّ مظلمة .

قال : وكتب أسد إلى خالد ينتحل أنه هزم الحارث ، ويخبره بأمر يحيى .
قال : فأجاز خالد يحيى بن حُضين بعشرة آلاف دينار وكساه مائة حُلّة(٢) .
قال: وكانت ولاية عاصم أقلّ من سنة — قيل كانت سبعة أشهر — وقدم أسد ابن عبد الله وقد انصرف الحارث ، فحبس عاصماً وسأله عمّا أنفق ، وحاسبه فأخذه بمائة ألف درهم ، وقال : إنك لم تغزُ ولم تخرج من مَرْو ، ووافق عمارة بن حُرَيم(٣) وعمّال الجُنيد محبوسين عنده؛ فقال لهم : أسير فيكم بسيرتنا أم بسيرة قومكم ؟ قالوا : بسيرتك ، فخلّى سبيلَهم .

---

(١) نزقة : ضربه ضرباً شديداً . (٢) ابن الأثير : « ومائة من الخيل » .
(٣) ابن الأثير : « وأطلق عمارة بن حريم » .

قال عليّ عن شيوخه : قالوا : لما بلغ هشامَ بن عبد الملك أمرُ الحارث ٢/١٥٨٢
ابن سريج ، كتب إلى خالد بن عبد الله : ابعث أخاك يصلح ما أفسد ؛ فإن كانت رجيّة فلتكن به . قال : فوجّه أخاه أسداً إلى خراسان ، فقدِم أسد وما يملك عاصم من خراسان إلاّ مَرْو وناحية أبرشهر ، والحارث بن سريج بمرْو الرّوذ وخالد بن عبيد الله الهجرىّ بآمُل ، ويخاف(١) إن قصد للحارث بمرْو الروذ دخل خالد بن عبيد الله مَرْو من قِبَل آمُل ، وإن قصد لخالد دخلها الحارث من قِبَل مَرْو الرّوذ ، فأجمع على أن يوجّه عبد الرحمن بن نُعيم الغامدىّ فى أهل الكوفة وأهل الشام فى طلب الحارث إلى ناحية مَرْو الرّوذ . وسار أسد بالناس إلى آمُل ، واستعمل على بنى تميم الكوثرة بن يزيد العنبرىّ ، فلقيهم خيل لأهل آمُل ، عليهم زياد القرشىّ مولى حيّان النّبَطىّ عند ركايا عثمان ، فهزمهم حتى انتهوا إلى باب المدينة ، ثم كرُّوا على الناس ، فقتِل غلام لأسد بن عبدالله يقال له جَبَلة ؛ وهو صاحب علَمه ، وتحصّنوا فى ثلاث مدائن لهم .

قال : فنزل عليهم أسد وحصَرهم ، ونصب عليهم المجانيق ، وعليهم خالد ابن عبيد الله الهجرىّ من أصحاب الحارث ، فطلبوا الأمان ، فخرج إليهم رويد
ابن طارق القطعىّ ومولى لهم ، فقال : ما تطلبون ؟ قالوا : كتاب الله وسنة نبيه ٢/١٥٨٣
صلى الله تعالى عليه وسلم ، قال : فلكم ذلك ، قالوا : على ألاّ تأخذ أهل هذه المدن بجنايتنا . فأعطاهم ذلك ، واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيبانىّ أحد بنى ثعلبة بن شيبان ، ابن أخى مصقلة بن هبيرة. ثم أقبل أسد فى طريق زمّ يريد مدينة بلْخ ؛ فتلقاه مولًى لمسلم بن عبد الرحمن ، فأخبره أنّ أهل بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم . فقدم بلخ ، واتّخذ سفناً وسار منها إلى التّرمذ ، فوجد الحارث محاصراً سناناً الأعرابىّ السُّلَمِىّ ، ومعه بنو الحجّاج بن هارون النميرىّ ، وبنو زُرْعة وآل عطية الأعور النّضرىّ فى أهل التّرمذ ، والسبل مع الحارث ، فنزل أسد دون النّهر ، ولم يطق القطوع إليهم ولا أن يمدّهم ، وخرج أهل التّرمذ من المدينة ، فقاتلوا الحارث قتالا شديداً ، وكان الحارث استطرد لهم ، ثم كرّ عليهم ، فانهزموا فقتل يزيد بن الهيثم بن

(١) ب : « يخاف » ، ابن الأثير : « فخاف » .

المنخّل وعاصم بن معوّل النّجليّ فى خمسين ومائة من أهل الشأم وغيرهم؛ وكان بشر بن جُرموز وأبو فاطمة الأيادىّ ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب التِّرمذ، فيبكون ويشكون بنى مَرْوان وجَوْرَهم؛ ويسألونهم النُّزول إليهم على أن يمالئوهم على حَرْب بنى مروان فيأبَوْن عليهم؛ فقال السّبل
١٥٨٤/٢ وهو مع الحارث: يا حارث؛ إن الترمذ قد بُنيت بالطبول والمزامير؛ ولا تُفتَح بالبكاء وإنما تفتح بالسيف، فقاتِل إن كان بك قتال. وتركه السبل وأتى بلاده.

قال: وكان أسد حين مرّ بأرض زَمّ تعرّض للقاسم الشيبانىّ وهو فى حصن بزَمّ يقال له باذكر؛ ومضى حتى أتى التِّرْمذ، فنزل دون النهر، ووضع سريره على شاطئ النهر؛ وجعل الناس يعبرون؛ فمن سفلت سفينته عن سفن المدينة قاتلهم الحارث فى سفينة؛ فالتقوْا فى سفينة فيها أصحاب أسَد، فيهم أصغر بن عيناء الحميرىّ، وسفينةُ أصحاب الحارث فيها داود الأعسر، فرمى أصغر فصكّ السفينة، وقال: أنا الغلام الأحمرىّ، فقال داود الأعسر: لأمْرٍ ما انتميت إليه، لا أرض لك! وألزق سفينته بسفينة أصغر فاقتتلوا؛ وأقبل الأشكند ــ وقد أراد الحارث الانصراف ــ فقال له: إنما جئتك ناصراً لك؛ وكمن الأشكند وراء دير؛ وأقبل الحارث بأصحابه؛ وخرج إليه أهل التِّرمذ، فاستطرد لهم فاتّبعوه، ونصر مع أسد جالس ينظر؛ فأظهر الكراهية، وعرف أنّ الحارث قد كادهم، فظنّ أسد أنه إنما فعل ذلك شفقة على الحارث
١٥٨٥/٢ حين ولّى؛ فأراد أسد معاتبة نصر؛ فإذا الأشكند قد خرج عليهم؛ فحمل على أهل التِّرمذ فهربوا. وقتِل فى المعركة يزيد بن الهيثم بن المنخّل الجرموزىّ من الأزْد وعاصم بن معوّل ــ وكان من فرسان أهل الشأم ــ ثم ارتحل أسد إلى بلْخ، وخرج أهل التِّرمذ إلى الحارث فهزموه؛ وقتلوا أبا فاطمة وعِكْرمة وقوماً من أهل البصائر، ثم سار أسد إلى سَمَرْقند فى طريق زَمّ؛ فلما قدم زَمّ بعث إلى الهيثم الشيبانىّ ــ وهو فى باذكر؛ وهو من أصحاب الحارث ــ فقال: إنكم إنما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم؛ ولم يبلغ ذلك النّساء ولا استحلال الفُروج ولا غلبة المشركين على مثل سمَرْقند؛ وأنا أريد سمَرْقند؛

وعلىّ عهد الله وذمّته ألّا يبدأك منى شرٌّ ؛ ولك المؤاساة واللطف والكرامة والأمان ولمن معك ؛ وأنت إن غمصت ما دعوتُك إليه فعلىّ عهد الله وذمّة أمير المؤمنين وذمّة الأمير خالد إن أنت رميتَ بسهمٍ ألّا أؤمّنك بعده؛ وإن جعلتُ لك ألف أمان لا أفى لك به . فخرج إليه على ما أعطاه من الأمان فآمنه ، وسار معه إلى سَمَرْقند فأعطاهم عطاءين ، وحملهم على ما كان من دوابّ ساقها معه ، وحمل معه طعامًا من بُخارى، وساق معه شاءً كثيرة ٢/١٥٨٦ من شاء الأكراد قسمها فيهم ؛ ثم ارتفع إلى ورغْسَر وماءُ سمرقند منها ، فسكر الوادى وصرفه عن سَمَرْقند ؛ وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها فى السَّكْر[1] ، ثم قفل من سَمَرْقند حتى نزل بلْخ .

وقد زعم بعضُهم أن الذى ذكرت من أمر أسد وأمر أصحاب الحارث كان فى سنة ثمان عشرة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السّنة خالد بن عبد الملك .

وكان العامل فيها على المدينة ، وعلى مكة والطائف محمد بن هشام بن إسماعيل ، وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله ، وعلى أرمينيّة وأذربيجان مروان بن محمد .

وفيها توفّيت فاطمة بنت علىّ وسكينة ابنة الحسين بن علىّ .

* * *

[أمر أسد بن عبد الله مع دعاة بنى العباس]

وفى هذه السنة أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دُعاة بنى العباس بخراسان ، فقتل بعضهم، ومثّل ببعضهم، وحبس بعضهم؛ وكان فيمن أخذ سليمان بن كَثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن إبراهيم وطلحة بن رُزَيق ؛ فأُتِىَ بهم، فقال لهم: يا فَسَقة، ألم يقل الله تعالى: ﴿عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ![2]

(١) سكر النهر : سد فاه . والسكر : الشق ومنفرج الماء .
(٢) سورة المائدة، الآية ٩٥ .

فذُكر أن سليمان بن كثير قال : أتكلم أم أسكت ؟ قال : بل تكلّم ،
١٠٨٧/٢ قال : نحن والله كما قال الشاعر :

لو بغير الماء حَلْقِى شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ ؛ بالماءِ اعْتِصارِى[١]

تدرى ما قصتنا ؟ صِيدت والله العقارب بيدك أيّها الأمير ؛ إنا أناس من قومك ، وإن هذه المضرّية إنما رفعوا إليك هذا لأنا كنا أشدّ الناس على قتيبة بن مسلم ؛ وإنما طلبوا بثأرهم . فتكلّم ابنُ شريك بن الصامت الباهلىّ ، وقال : إنّ هؤلاء القوم قد أخذُوا مرّة بعد مرّة ، فقال مالك بن الهيثم : أصلح الله الأمير ! ينبغى لك أن تعتبر كلام هذا بغيره ؛ فقالوا : كأنك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة ! نحن والله كنا أشدّ الناس عليه ؛ فبعث بهم أسد إلى الحبس ، ثم دعا عبد الرحمن بن نُعيم فقال له : ما ترى ؟ قال : أرى أن تمنّ بهم على عشائرهم ؛ قال : فالتميميان اللذان معهم ؟ قال : تخلّى سبيلهما ، قال : أنا إذاً من عبد الله بن يزيد نفِىّ ، قال : فكيف تصنع بالرّبعىّ ؟ قال : أخلّى والله سبيله . ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم[٢] بلجام حمار ، وأمر باللجام أن يجذب فجذِب حتى تحطّمت أسنانه ، ثم قال : اكسروا وجهه ، فدُقّ أنفه ، ووجأ لحيته ، فندَر ضرس له . ثم دعا
١٠٨٨/٢ بلاهز بن قريط ، فقال لاهز : والله ما فى هذا الحق[٣] أن تصنع بنا هذا ، وتترك اليمانيّين والرّبَعيين ، فضربه ثلثمائة سوط ، ثم قال : اصلبوه ، فقال الحسن بن زيد الأزدىّ : هو لى جار وهو برىء مما قُذِف به ؛ قال : فالآخرون ؟ قال : أعرفهم بالبراءة ، فخلّى سبيلهم .

(١) لعدى بن زيد ، الأغانى ٢ : ١٦٤ . والاعتصار أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر الماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا .
(٢) ح : « وألجم » . (٣) ابن الأثير : « ما هذا بحق » .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك غزوة معاوية وسليمان ابنى هشام بن عبد الملك أرض الروم .

* * *

[ولاية عمار بن يزيد على شيعة بنى العباس بخراسان]

وفيها وجّه بكير بن ماهان عمّار بن يزيد إلى خُراسان واليًا على شيعة بنى العباس ؛ فنزل — فيما ذكر — مرْو ، وغيّر اسمه وتَسمى بخِداش، ودعا إلى محمد بن علىّ ؛ فسارع إليه الناس ، وقبلوا ما جاءهم به ؛ وسمعوا إليه وأطاعوا ، ثم غيّر ما دعاهم إليه ، وتكذّب وأظهر دين الخُرّميّة ؛ ودعا إليه ورخّص لبعضهم فى نساء بعض؛ وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علىّ ؛ فبلغ أسد بن عبد الله خبرُه ، فوضع عليه العيون حتى ظفر به ، فأُتِىَ به ؛ وقد تجهّز لغزو بلخ؛ فسأله عن حاله ، فأغلظ خِداش له القول ، فأمر به فقطِعت يده ، وقلع لسانه وسُملت عينه .

* * *

[ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع أصحابه]

١٥٨٩/٢ فذكر علىّ بن محمد عن أشياخه ، قال : لما قدم أسد آمُل فى مبدئه ، أتوه بخِداش صاحب الهاشميّة ، فأمر به قُرْعة الطبيب ، فقطع لسانه ، وسمل عينه ، فقال : الحمد لله الذي انتقم لأبى بكر وعمر منك ! ثم دفعه إلى يحيى بن نعيم الشّيبانىّ عامل آمُل . فلما قفل من سَمَرْقند كتب إلى يحيى فقتله وصلبه بآمُل ، وأُتِىَ أسد بحزَوّر مولى المهاجر بن دارة الضّبىّ ، فضرب عنقه بشاطئ النهر . ثم نزل أسد منصرفَه من سَمَرْقند بلْخ ، فسرّح جُدَيْعاً الكِرمانىّ إلى القلعة التى فيها ثَقَل الحارث وثقل أصحابه —[1] واسم القلعة التَبوشكان من طخارستان العليا ، وفيها بنو بَرْزَى التَغلَبيّون ، وهم أصهار الحارث — فحصرهم الكرمانىّ حتى فتحها ، فقتل مقاتلَتهم وقتل بنى بَرْزَى ،

---

(١) من هنا تبدأ المقابلة على نسخة ا ، الجزء الحادى عشر من تجزئة هذه النسخة .

وسبى عامّة أهلها من العرب والموالى والذرارىّ، وباعهم فيمن يزيد فى سوق بلخ، فقال علىّ بن يَعْلَى — وكان شهد ذلك: نقم على الحارث أربعمائة وخمسون رجلاً من أصحابه؛ وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضى؛ وفيهم بشر بن أنيف الحنظلىّ وداود الأعسر[1] الخوارزمىّ. فقال الحارث: إن كنتم لا بد مفارقىّ
٢/١٥٩٠ وطلبتم الأمان، فاطلبوه وأنا شاهد؛ فإنه أجدر أن يجيبوكم، وإن ارتحلتُ قبل ذلك لم يعطوا الأمان، فقالوا: ارتحل أنت وخلّنا. ثم بعثوا بشر بن أنيف ورجلا آخر، فطلبوا الأمان فأمّنهما أسد ووصلهما، فغدروا بأهل القلْعة، وأخبراه أنّ القوم ليس لهم طعامٌ ولا ماءٌ، فسرّح أسد الكرمانىّ فى ستة آلاف؛ منهم سالم بن منصور البَجَلىّ[2]، على ألفين، والأزهر بن جُرموز النميرىّ فى أصحابه، وجند بلْخ وهم ألفان وخمسمائة من أهل الشأم؛ وعليهم صالح بن القعقاع الأزدىّ؛ فوجّه الكِرمانىّ منصور بن سالم فى أصحابه، فقطع نهر ضرغام؛ وبات ليله[3] وأصبح، فأقام حتى متَع النهار؛ ثم سار يومَه قريبًا من سبعة عشر فرسخًا، فأتعب خيله، ثم انتهى إلى كشتم من أرض جبغويه؛ فانتهى إلى حائط فيه زَرْع قد قُصّب، فأرسل أهل العسكر دوابّهم فيه، وبينهم وبين القلعة أربعة فراسخ. ثم ارتحل فلما صار إلى الوادى جاءته الطلائع فأخبرته بمجىء القوم ورأسهم المهاجر بن ميمون؛ فلما صاروا إلى الكِرمانىّ كابدهم[4] فانصرفوا، وسار حتى نزل جانبًا من القلعة؛ وكان أول ما نزل فى زهاء[5] خمسمائة فى مسجد كان الحارث بناه؛ فلما أصبح تتامّت إليه الخيل، وتلاحقت من أصحاب الأزهر وأهل بلْخ.

٢/١٥٩١ فلما اجتمعوا خطبهم الكرمانىّ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يأهلَ بلخ؛ لا أجد لكم مثلا غيرَ الزّانية؛ مَنْ أتاها أمكنته[6] من رجلها[7]؛ أتاكم الحارث فى ألف رجل من العجم فأمكنتموه من مدينتكم، فقتل أشرافكم، وطرد أميرَكم، ثم سرتم معه من مكانفيه إلى مَرْو فخذلتموه، ثم انصرف إليكم منهزمًا فأمكنتموه من المدينة؛ والذى نفسى بيده لا يبلغنى عن رجل

(١) ا: «الأعشر».
(٢) ح، ف: «العجلىّ».
(٣) ا: «ليلته».
(٤) ح، ف: «كاتبهم».
(٥) ف: «رهط».
(٦) ف: «مكنته».
(٧) ا: «رحلها».

منكم كتب كتابًا إليهم فى سَهْم إلا قطعتُ يده ورجله وصلبتُه ؛ فأما مَن كان معى من أهل مَرْو فهم خاصتى ، ولست أخاف غدرهم ، ثم نهد إلى القلعة فأقام بها يومًا وليلة من غير قتال ؛ فلما كان من الغد نادى مناد : إنا قد نبذْنا إليكم بالعهد ؛ فقاتلوهم ؛ وقد عطش القوم وجاعوا ؛ فسألوا أن ينزلوا على الحكم ويُترك لهم نساؤهم وأولادهم ، فنزلوا على حكم أسد ، فأقام أيامًا . وقدم المهلب بن عبد العزيز العتكىّ بكتاب أسد ، أن احملوا إلىّ خمسين رجلا منهم ؛ فيهم المهاجر بن ميمون ونظراؤه من وجوههم ؛ فحملوا إليهم فقتلهم ؛ وكتب إلى الكرمانىّ أن يصيّر الذين بقوا عنده أثلاثًا ، فثلث يصلّبهم ، وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم ، وثلث يقطع أيديهم ؛ ففعل ذلك الكرمانىّ ، وأخرج أثقالهم فباعها فيمن يزيد ، وكان الذين قتلهم وصلبهم أربعمائة. واتّخذ أسد مدينة بلخ دارًا فى سنة ثمان عشرة ومائة ، ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع ، ثم غزا طخارستان ثم أرض جبْغويه ، ففتح وأصاب سَبْيًا .

* * *

١٥٩٢/٢ وفى هذه السنة عزل هشام خالدَ بن عبد الملك بن الحارث بن الحكَم عن المدينة ، واستعمل عليها محمد بن هشام بن إسماعيل . ذكر الواقدىّ أن أبا بكر بن عمرو بن حَزْم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بإمْرته[١] على المدينة ؛ فصعد المنبر ، وصلى بالنّاس ستّة أيام ، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملا على المدينة .

* * *

وفى هذه السنة مات علىّ بن عبد الله بن العباس ؛ وكان يكنى أبا محمد ، وكانت وفاته بالُحمَيْمة من أرض الشأم ؛ وهو ابن ثمان — أو سبع — وسبعين سنة. وقيل إنه ولد فى الليلة التى ضرب فيها علىّ بن أبى طالب وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة أربعين ، فسماه أبوه عليًّا ، وقال : سميته باسم أحبّ الخلق إلىّ ، وكناه أبا الحسن ، فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريره ، وسأله عن كنيته فأخبره ، فقال : لا يجتمع فى عسكرى هذا

---

(١) ف : « أمرته » .

الاسم والكنية لأحد ؛ وسأله : هل وُلِدَ له من ولد ؟ وكان قد ولد له يومئذ محمد بن عليّ ، فأخبره بذلك ، فكناه أبا محمد .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف .

وقد قيل إنما كان عامل المدينة فى هذه السنة خالد بن عبد الملك ، وكان إلى محمد بن هشام فيها مكة والطائف ؛ والقول الأول قول الواقدىّ .

١٥٩٣/٢ وكان على العراق خالد بن عبدالله، وإليه المشرق كله ، وعامله على خُراسان أخوه أسد بن عبد الله ، وعامله على البصرة وأحداثها وقضائها والصّلاة بأهلها بلال بن أبى بُرْدة، وعلى أرمينيَة وأذْرَبيجان مَرْوان بن محمد بن مروان .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة الوليد بن القعقاع العبسىّ أرضَ الروم .

وفيها غزا أسد بن عبد الله الخُتَّل ، فافتتح قلعة زغرزك ؛ وسار منها إلى خِداش ، وملأ يديه من السّبى والشاء ؛ وكان الجيش قد هرب إلى الصين .

* * *

[ذكر غزو الترك ومقتل خاقان]

وفيها لقى أسد خاقان صاحب الترك فقتله ، وقتل بشرًا كثيراً من أصحابه ، وسلم أسد والمسلمون ، وانصرفوا بغنائم كثيرة وسَبْى .

ذكر الخبر عن هذه الغزوة :

ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه ؛ أنهم قالوا : كتب ابن السائجىّ إلى خاقان أبى مُزاحم — وإنما كنى أبا مزاحم لأنه كان يزاحم العرب — وهو مُوالث(١) ، يعلمه دخول أسد الختّل وتفرّق جنوده فيها ؛ وأنه بحال مَضيعة (٢) . ٢/١٥٩٤
فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز — وكان لخاقان مرْج وجبل حمًى لا يقربهما أحد ، ولا يتصيّد فيهما ، يتركان للجهاد فضاء ، ما كان فى المرْج ثلاثة أيام ، وما فى الجبل ثلاثة أيام — فتجهّزوا وارتعوا ودبغوا مُسوك الصّيد ؛ واتخذوا منها أوعية ؛ واتخذوا القسىّ والنّشّاب ، ودعا خاقان ببرذون مسرَج ملجَم ، وأمر بشاة فقُطِعت ثم عُلّقت فى المعاليق ، ثم أخذ شيئًا من مِلْح فصيّره فى كيس ، وجعله فى منطقته ؛ وأمر كلّ تركىٍّ أن يفعل مثل ذلك ، وقال : هذا زادكم حتى تلقوا العرب بالخُتَّل .

وأخذ طريق خُشوراغ ؛ فلما أحسّ ابن السائجىّ أنّ خاقان قد أقبل بعث إلى أسد : اخرج عن الختّل فإن خاقان قد أظلّك . فشتم رسولَه ، ولم يصدّقه ؛ فبعث صاحب الخُتّل : إنى لم أكذبك ؛ وأنا الذى أعلمته دخولك ؛

---

(١) كذا فى ا ، والولث : العهد . (٢) المضيعة : الهوان .

وتفرّق جندك ، وأعلمته أنها فُرْصة له ، وسألته المدد ، غير أنك أمعرت(١) البلاد ، وأصبت الغنائم ؛ فإن لقيك على هذه الحال ظفِر بك ؛ وعادتني العرب أبدًا ما بقيت . واستطال عليّ خاقان واشتدّت مؤونته ؛ وامتنّ عليّ بقوله : أخرجتُ العرب من بلادك ، ورددت عليك ملكك ؛ فعرف أسد أنه قد صدقه ، فأمر بالأثقال أن تُقدّم ، وولّى عليها إبراهيم بن عاصم العقيليّ
١٠٩٥/٢ الجَزَرِيّ ، الذي كان ولِيَ سجستان بعدُ ، وأخرج معه المشيخة ، فيهم كَثير ابن أمية وأبو سليمان بن كثير الخُزاعيّ وفُضَيل بن حيّان المهريّ وسنان بن داود القطعيّ ، وكان على أهل العالية سِنان الأعرابيّ السُّلَميّ ، وعلى الأقباض عثمان ابن شباب الهمَذانيّ ، جدّ قاضي مَرْو ، فسارت الأثقال ؛ فكتب أسد إلى داود بن شُعيب والأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ — وقد كان وجّههما في وجه : إنّ خاقان قد أقبل ، فانضمّا إلى الأثقال ؛ إلى إبراهيم بن عاصم .

قال : ووقع إلى داود والأصبغ رجل دَبُوسيّ ، فأشاع أنّ خاقان قد كسر(٢) المسلمين ، وقتل أسداً .

وقال الأصبغ : إن كان أسد ومَن معه أصيبوا فإنّ فينا هشامًا ننحاز إليه ؛ فقال داود بن شعيب : قبح الله الحياة بعد أهل خراسان ! فقال الأصبغ : حبّذا الحياة بعد أهل خراسان ! قتِل الجرّاح ومن معه فما ضرّ المسلمين كثير ضرّ ، فإن هلك أسد وأهل خراسان فلن يخذل الله دينَه ، وإنّ الله حيّ قيوم ؛ وأمير المؤمنين حيّ وجنود المسلمين كثير . فقال داود : أفلا ننظر ما فعل أسد فنخرج على علم ! فسارا حتى شارفا عسكر إبراهيم فإذا هما بالنِّيران ، فقال داود : هذه نيران المسلمين أراها متقاربة ونيران الأتراك متفرّقة ؛ فقال الأصبغ : هم في مَضيق . ودنَوا فسمعوا نهيق الحمير ،
١٠٩٦/٢ فقال داود : أما علمت أنّ التّرك ليس لهم(٣) حمير ! فقال الأصبغ : أصابوها بالأمس ؛ ولم يستطيعوا أكلها في يوم ولا اثنين ؛ فقال داود : نسرّح فارسين فيكبِّران ؛ فبعثا فارسين ؛ فلما دنوَا من العسكر كبّرا ، فأجابهما(٤) العسكر

---

(١) أمعرت البلاد ، أي سلبت ما فيها .
(٢) ح ، ف : « هزم » .
(٣) ب : « لها » .
(٤) أ : « فأجابهم » .

بالتكبير ، فأقبلوا إلى العسكر الذى فيه الأثقال ؛ ومع إبراهيم أهل الصغانيان وصَغان خُذاه ؛ فقام إبراهيم بن عاصم مبادراً .

قال : وأقبل أسد[1] من الختّل نحو جبل المِلْح يريد أن يخوض نهر بَلْخ ، وقد قطع إبراهيم بن عاصم بالسبى وما أصاب . فأشرف أسد على النهر وقد أتاه أن خاقان قد سار من سوياب[2] سبع عشرة ليلة ، فقام إليه أبو تمام بن زَحْر وعبد الرحمن بن خنفر الأزديّان ، فقالا : أصلح الله الأمير ! إن الله قد أحسن بلاءك فى هذه الغزوة فغنمت وسلمت فاقطعْ هذه النّطفة ، واجعلها وراء ظهرك . فأمر بهما فُوجئَت رقابهما ، وأُخرجا من العسكر وأقام يومه . فلما كان من الغد ارتحلَ وفى النّهر ثلاثة وعشرون موضعاً يخوضه النّاس ، وفى موضع مجتمع ماء يبلغ دفّتى السرج ، فخاضه الناس ، وأمر أن يحمل كلّ رجل شاة ، وحمل هو بنفسه شاة ؛ فقال له عثمان بن عبد الله بن مطرِّف ابن الشِّخِّير : إنّ الذى أنت فيه من حمل الشاة ليس بأخطر مما تخاف ؛ ١٥٩٧/٢
وقد فرّقتَ الناس وشغلتهم ، وقد أظلك عدوُّك ، فدَعْ هذا الشاء[3] لعنة الله عليه ، وأمر الناس بالاستعداد . فقال أسد : والله لا يعبُر رجل ليست معه شاة حتى تفنى هذه الغنم إلا قطعت يدَه ، فجعل الناس يحملون الشّاء ؛ الفارس يحملها بين يديه والراجل على عُنقه ؛ وخاض الناس . ويقال : لما حفرت سنابك الخيل النهر صار بعض المواضع سباخة[4] فكان بعضهم يميل فيقع عن دابته ، فأمر أسد بالشاء أن تقذف ، وخاض الناس ، فما استكملوا العبور حتى طلعت عليهم الترك بالدّهْم ؛ فقتلوا مَن لم يقطع ، وجعل الناس يقتحمون النّهر — ويقال كانت المسلحة على الأزْد وتميم ، وقد خلّف ضَعَفة الناس — وركب أسد النّهر ، وأمر بالإبل أن يقطع بها إلى ما وراء النهر ، حتّى تحمل عليها الأثقال ؛ وأقبل رَهَجٌ من ناحية الخُتَّل ؛ فإذا خاقان ؛ فلما توافَى معه صدْر من جنده حمل على الأزْد وبنى تميم فانكشفوا ، وركض أسد حتى انصرف إلى معسكره ، وبعث إلى أصحاب الأثقال الذين كان سرّح أمامه . أن انزلوا وخندقوا مكانكم فى بطن الوادى . قال : وأقبل خاقان ، فظنّ المسلمون

(١) ا : « إبراهيم » . (٢) ط : « سويات » ، وما أثبته من التصويبات .
(٣) ف : « الشاة » . (٤) ط : « سباحة » .

أنه لا يقطع إليهم وبينهم وبينه النهر ؛ فلما نظر خاقان إلى النّهر أمر الأشكند — وهو يومئذ أصبهبذ نسف[١] — أن يسير في الصفّ حتى يبلغ أقصاه ،
١٠٩٨/٢ ويسأل الفرسان وأهل البَصَر بالحرب والماء : هل يطاق قطوع النهر والحمل على أسد ؟ فكلّهم يقول : لا يطاق ؛ حتى انتهى إلى الأشتيخَن ، فقال : بلى يطاق ، لأنّا خمسون ألف فارس ؛ فإذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة ردّ بعضنا عن بعض الماء فذهب جِرْيته . قال : فضربوا بكوساتهم[٢] فظنّ أسد ومن معه أنه منهم وعيد ، فأقحموا دوابّهم ، فجعلت تنخر أشدّ النخير ؛ فلما رأى المسلمون اقتحامَ الترك ولّوا إلى العسكر ، وعبرت الترك فسطع رَهَجٌ عظيم لا يبصر الرّجل دابّته ، ولا يعرف بعضهم بعضًا ؛ فدخل المسلمون عسكَرهم وحَوَوْا ما كان خارجًا ، وخرج الغلمان بالبراذع والعَمَد ، فضربوا وجوه الترك ؛ فأدبروا ، وبات أسد ؛ فلما أصبح — وقد كان عبّأ أصحابه من الليل تخوّفًا من غَدْر خاقان وغدّوه عليه ، ولم ير شيئًا — دعا وجوه الناس فاستشارهم ، فقالوا له : اقبل العافية ، قال : ما هذه عافية ، بل هي بليّة ، لقينا خاقان أمس فظفر بنا وأصاب من الجند والسلاح ؛ فما منعه منّا اليوم إلا أنه قد وقع في يديه أسراء فأخبروه بموضع الأثقال أمامنا ، فترك لقاءنا طمعًا فيها . فارتحل فبعث أمامه الطلائع ، فرجع بعضهم فأخبره أنه عاين طوقات[٣] الترك وأعلامًا من أعلام الإشكند، في بشر قليل . فسار والدوابّ مثقلة ، فقيل له : انزل[٤] أيها الأمير واقبل العافية ، قال : وأين العافية فأقبلها !
١٠٩٩/٢ إنما هي بليّة وذهاب الأنفس والأموال . فلما أمسى أسد صار إلى منزل ، فاستشار الناس : أينزلون أم يسيرون ؟ فقال الناس : اقبل العافية ؛ وما عسى أن يكون ذهاب المال بعافيتنا وعافية أهل خراسان ! ونصر بن سيار مطرق ، فقال أسد : مالك يابن سيار مطرقًا لا تتكلم ! قال : أصلح الله الأمير ! خَلّتان كلتاهما لك ، إن تَسِرْ تُغِثْ مَنْ مع الأثقال وتخلّصهم ، وإن أنت انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطعتَ قُحْمة لا بدّ من قطوعها . فقبل رأيه وسار يومه كلّه .

---

(١) ط : « نسا » ؛ وأثبت ما في التصويبات . (٢) الكوس : الطبل .
(٣) في اللسان : الطاق : ضرب من الملابس ، قيل هو الطيلسان الأخضر . (٤) ب : «أقبل».

قال : ودعا أسد سعيداً الصغير — وكان فارساً مولى باهلة ، وكان عالمًا بأرض الخُتّل — فكتب كتاباً إلى إبراهيم يأمره بالاستعداد ؛ فإنّ خاقان قد توجّه إلى ما قِبَلك ، وقال : سِرْ بالكتاب إلى إبراهيم حيث كان قبل الليل ؛ فإن لم تفعل فأسد برىء من الإسلام إن لم يقتلْك ؛ وإن أنت لحقت بالحارث فعلى أسد مثلُ الذى حلَف ، إن لم يبع امرأتك الدلاّلُ فى سوق بلْخ وجميع أهلِ بيتك . قال سعيد : فادفع إلىّ فرسك الكُمَيت الذّنوب(١) قال : لعمرى لئن جُدْتَ بدمك ، وبخلتُ عليك بالفرس إنى للئيم . فدفعه إليه ، فسار على دابّة من جنائبه ، وغلامه على فرس له ، ومعه فرس أسد يجنُبه ؛ ٢/١٦٠٠
فلمّا حاذى(٢) الترك وقد قصدوا الأثقال طلبته طلائعهم ؛ فتحوّل على فرس أسد ، فلم يلحقوه ، فأتى إبراهيم بالكتاب ، وتَبِعه بعض الطلائع — يقال عشرون رجلا — حتى رأوْا عسكر إبراهيم(٣) ، فرجعوا إلى خاقان فأخبروه . فغدا خاقان على الأثقال ، وقد خندق إبراهيم خندقاً ؛ فأتاهم وهم قيام عليه ؛ فأمر أهل السُّغد بقتالهم ؛ فلما دنوا من مسلحة المسلمين ثاروا فى وجوههم فهزموهم ، وقتلوا منهم رجلاً ، فقال خاقان : اركبوا ، وصعد خاقان تلاًّ فجعل ينظر العورة ، ووجّه القتال ، قال : وهكذا كان يفعل ؛ ينفرد فى رجلين أو ثلاثة ، فإذا رأى عَوْرة أمر جنوده فحملت من ناحية العَوْرة . فلما صعد التلّ رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة ، فدعا بعض قوّاد الترك ، فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر فى مقطع وصفه حتى يصيروا إلى الجزيرة ، ثم ينحدروا فى الجزيرة حتى يأتوا عسكر المسلمين من دُبُر ، وأمرهم أن يبدءوا بالأعاجم وأهل الصغانيان ، وأن يدَعوا غيرهم ؛ فإنهم من العرب ، وقد عرفهم بأبنيتهم وأعلامهم ، وقال لهم : إن أقام القوم فى خندقهم فأقبلوا إليكم دخلنا نحن خندقهم ؛ وإن ثبتوا على خندقهم فادخلوا من دُبُره عليهم . ففعلوا ودخلوا عليهم من ناحية الأعاجم ، فقتلوا صغان خُذاه وعامّة أصحابه ، واحتووا ٢/١٦٠١
على أموالهم ، ودخلوا عسكر إبراهيم فأخذوا عامة ما فيه ، وترك المسلمون التعبئة واجتمعوا فى موضع ، وأحسوا بالهلاك ، فإذا رهج قد ارتفع وتربة سوداء ؛

(١) الكميت : الذى خالط حمرته قنوء . والذنوب : الفرس الوافر الذنب .
(٢) ب : « حاذته » . (٣) ب : « إبراهيم وعسكره » .

فإذا أسد فى جنده قد أتاهم ، فجعلت التّرك ترتفع عنهم إلى الموضع الذى كان فيه خاقان ، وإبراهيم يتعجّب من كَفّهم وقد ظفروا وقتلوا مَن قتلوا وأصابوا ما أصابوا ، وهو لا يطمع فى أسد .

قال : وكان أسد قد أغذّ السير ، فأقبل حتى وقف على التّلّ الذى كان عليه خاقان ، وتنحّى خاقان إلى ناحية الجبل ، فخرج إليه مَن بقى ممّن كان مع الأثقال ، وقد قُتِل منهم بشرٌ كثير ؛ قتل يومئذ بركة بن خوْلىّ الراسبىّ وكثير بن (١) أمية ومشيخة من خُزاعة. وخرجت امرأة صَغَان خُذاه إلى أسد ، فبكت زوجها ، فبكى أسد معها حتى علا صوته ، ومضى خاقان يقود الأسرَاء من الجند فى الأوْهاق(٢) ويسوق الإبل موقَرة والجوارى .

قال : وكان مصعب بن عمرو الخزاعىّ ونفر من أهل خراسان قد أجمعوا على مواقفتهم ، فكفّهم أسد ، وقال : هؤلاء قوم قد طابت لهم الرّيح واستكلبوا ، فلا تعرّضوا لهم . وكان مع خاقان رجل من أصحاب الحارث بن سُريج فأمره فنادى : يا أسد ؛ أما كان لك فيما وراء النهر مغزى ! إنك لشديد الحرْص ، ١٦٠٢/٢ قد كان لك عن الخُتّل مندوحةٌ ؛ وهى أرض آبائى وأجدادى . فقال أسد : كان ما رأيت ؛ ولعلّ الله أن ينتقم منك . قال كورمغانون — وكان من عظماء التّرك : لم أرَ يومًا كان أحسن من يوم الأثقال ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : أصبت أموالا عظيمة ، ولم أر عدوًّا أسمجَ من أسراء العرب ؛ يعدو أحدهم فلا يكاد يبرح مكانه .

وقال بعضهم : سار خاقان إلى الأثقال ، فارتحل أسد ؛ فلما أشرف على الظّهر ، ورأى المسلمين التّرك امتنعوا ، وقد كانوا قاتلوا المسلمين فامتنعوا ، فأتوا الأعاجم الذين كانوا مع المسلمين فقاتلوهم ، فأسروا أولادهم .

قال : فأردف كلّ رجل منهم وصيفًا أو وصيفة ، ثم أقبلوا إلى عسكر أسد عند مغيب الشمس . قال : وسار أسدٌ بالنّاس ، حتى نزل مع الثقل . وصبّحوا أسداً من الغدِ ؛ وذلك يوم الفِطْر ، فكادوا يمنعونهم من الصلاة . ثم انصرفوا ومضى أسد إلى بلْخ ؛ فعسكر فى مَرْجها حتى أتى الشتاء ، ثم

(١) ط : « أبو » ، وانظر الفهرس . (٢) الوهق : الحبل .

تفرّق الناس فى الدور ، ودخل المدينة ، فى هذه الغَزاة قيل له بالفارسية :

أَزْ خُتَّلانْ آمديه بَرُوتبــاهْ آمَديه[1]

آبار بــازْ آمَديه خُشك نِزار آمَديه

١٦٠٣/٢ قال : وكان الحارث بن سريج بناحية طَخارستان ؛ فانضمّ إلى خاقان ؛ فلمّا كان ليلة الأضحى قيل لأسد : إنّ خاقان نزل جزّة ، فأمر بالنِّيران فرفعت على المدينة ، فجاء الناس من الرّساتيق إلى مدينة بلْخ ، فأصبح أسد فصلّى وخطب الناس ، وقال : إن عدوّ الله الحارث بن سُريج استجلب طاغيته ليطفئ نور الله ، ويبدّل دينه ، والله مذلّه إن شاء الله . وإن عدوّكم الكلب أصاب من إخوانكم مَنْ أصاب ، وإن يُرِدِ الله نصركم لم يضرّكم قلّتكم وكثرتُهم ، فاستنصروا الله . وقال : إنه بلغنى أن العبد أقربُ ما يكون إلى الله إذا وضع جبهته لله ؛ وإنى نازل وواضع جبهتى ، فادعوا الله واسجدوا[2] لربّكم ، وأخلصوا له الدعاء . ففعلوا ثم رفعوا رءوسهم ، وهم لا يشكّون فى الفتح ، ثم نزل عن المنبر . وضحّى وشاوَر الناس فى المسير إلى خاقان ، فقال قوم : أنت شابٌّ ، ولستَ ممن تخوّف من غارة ، على شاة ودابة تخاطر ١٦٠٤/٢ بخروجك . قال : والله لأخرجنّ ؛ فإما ظَفَر وإما شهادة .

ويقال : أقبل خاقان ، وقد استمدّ مَن وراء النهر وأهل طَخارستان وجَبْغويه الطُّخارىّ بملوكهم وشاكريّتهم بثلاثين ألفًا ، فنزلوا خُلْم ، وفيها مسلّحة ؛ عليها أبو العوجاء بن سعيد العبدىّ ، فناوشهم فلم يظفروا منه بشىء ، فساروا على حاميتهم فى طريق فيروزبخشين من طخارستان . فكتب أبوالعوجاء إلى أسد بمسيرهم . قال : فجمع الناس ، فأقرأهم كتاب أبى العوجاء وكتاب الفُرافِصة صاحب مسلحة جَزّة بعد مرور خاقان به ، فشاور أسد الناس ، فقال قوم : تأخذ بأبواب مدينة بلْخ ، وتكتب إلى خالد والخليفة تستمدّه . وقال آخرون : تأخذ فى طريق زمّ ، وتسبق خاقان إلى مَرْو .

وقال قوم : بل تخرج إليهم وتستنصر الله عليهم ؛ فوافق قولُهم رأىَ أسد

---

(١) انظر ص ٤٣ و ٤٤ من هذا الجزء .

(٢) ف : « فاسجدوا » .

وما كان عزم عليه من لقائهم . ويقال : إن خاقان حين فارق أسداً ، ارتفع حتى صار بأرض طخارستان عند جبغويه ، فلمّا كان وسط الشتاء أقبل فرّ
٢/١٦٠٥ بجزّة ، وصار إلى الجوزجان وبثّ الغارات ؛ وذلك أن الحارث بن سريج أخبره أنه لا نهوض بأسد ، وأنه لم[١] يبق معه كبير[٢] جند ؛ فقال البختريّ ابن مجاهد مولى بني شيبان : بل بثّ الخيول حتى تنزل الجوزجان . فلما بثّ الخيل ، قال له البختريّ : كيف رأيت رأيي ؟ قال : وكيف رأيتَ صنع الله عز وجل حين أخذ برأيك ! فأخذ أسد من جبلة بن أبي روّاد عشرين ومائة ألف درهم ، وأمر للناس بعشرين عشرين ، ومعه من الجنود من أهل خراسان وأهل الشأم سبعة آلاف رجل ، واستخلف على بَلْخ الكرمانيّ بن عليّ ، وأمره ألاّ يدع أحداً يخرج من مدينتها ، وإن ضرب الترك باب المدينة . فقال له نصر بن سيار الليثيّ والقاسم بن بُخيت المراغيّ من الأزد وسليم بن سليمان السُّلميّ وعمرو بن مسلم بن عمرو ومحمد بن عبد العزيز العتكيّ وعيسى الأعرج الحنظليّ والبختريّ بن أبي درهم البكريّ وسعيد الأحمر وسعيد الصغير مولى باهلة : أصلح الله الأمير ؛ ائذن لنا في الخروج ، ولا تهجّن طاعتنا . فأذن لهم ثم خرج فنزل بابًا من أبواب بلخ وضُربت له قُبّةٌ ، فازتان[٣] ، وألصق إحداهما بالأخرى ، وصلى بالناس ركعتين طوّلهما ، ثم استقبل القبلة ونادى في الناس :
٢/١٦٠٦ ادعوا الله ؛ وأطال في الدعاء ، ودعا بالنّصر ، وأمّن الناس على دعائه ؛ فقال : نُصرتم وربّ الكعبة ! ثم انفتل من دعائه فقال : نصرتم وربّ الكعبة إن شاء الله ، ثلاث مرات ، ثم نادى مناديه : برئتْ ذمّة الله من رجل حمل امرأة ممّن كان من الجند ، قالوا : إنّ أسداً إنما خرج[٤] هاربًا ، فخلّف أمّ بكر أمّ ولده وولده ؛ فنظر فإذا جارية على بَعير ، فقال : سلوا لمن هذه الجارية ؟ فذهب بعض الأساورة فسأل ثم رجع ، فقال : لزياد بن الحارث البكريّ — وزياد جالس — فقطّب أسد ، وقال : لا تنتهون حتى أسطوَ بالرجل منكم يكرُم عليّ ، فأضربِ ظهره وبطنه ؛ فقال زياد : إن كانت لي فهي حُرّة ،

---

(١) ح : « ولم يبق » . (٢) ح : « كثير » .
(٣) الفازة : بناء من خرق وغيرها يبنى للعساكر (٤) ب : « جاء » .

لا والله أيّها الأمير ما معى امرأة ، فإنّ هذا عدوّ حاسد .

وسار أسدٌ ، فلما كان عند قنطرة عطاء، قال لمسعود بن عمرو الكرمانىّ ، وهو يومئذ خليفة الكرمانىّ على الأزد : ابغنى خمسين رجلاً ودابّة أخلفهم على هذه القنطرة ، فلا تدَع أحداً ممن جازها أن يرجع إليها ، فقال مسعود : ومِنْ أين أقدر على خمسين رجلاً ! فأمر به فصُرِع عن دابّته ، وأمر بضرب عنقه ، فقام إليه قومٌ فكلّموه فكفّ عنه ؛ فلما جاز القنطرة نزل منزلاً ، فأقام فيه حتى أصبح ؛ وأراد المقام يومه ، فقال له العُذافر[1] بن زيد: ليأتمر الأمير على المقام يومه حتى يتلاحق الناس. قال: فأمر بالرحيل وقال: لا حاجة ١٦٠٧/٢ لنا[2] إلى المتخلّفين ، ثم ارتحل ، وعلى مقدّمته سالم بن منصور البجَلىّ فى ثلثمائة ، فلقى ثلثمائة من الترك طليعة لخاقان ، فأسر قائدهم وسبعة منهم معه ، وهرب بقيّتهم ، فأتى به أسد . قال : فبكى التركىّ ، قال: ما يبكيك؟ قال: لستُ أبكى لنفسى ، ولكنى أبكى لهلاك خاقان ، قال : كيف؟ قال : لأنه قد فرّق جنوده فيما بينه وبين مَرْو .

قال : وسار أسد ؛ حتى نزل السِّدْرة — قرية ببلخ — وعلى خيل أهل العالية ريحان بن زياد العامرىّ العبدلىّ من بنى عبد الله بن كعب . قال : فعزله ، وصيّر على أهل العالية منصور بن سالم ، ثم ارتحل من السِّدرة ، فنزل خريستان ، فسمع أسد صهيل فرس ، فقال : لمن هذا ؟ فقيل : للعقّار بن ذُعيَيْر ، فتطيّر من اسمه واسم أبيه، فقال : ردّوه، قال : إنى مقتول بجرأتى[3] على الترك ، قال : أسد : قتلك الله ! ثم سار حتى إذا شارف العيْن الحارّة استقبله بشْر بن رزين — أو رزين بن بشر — فقال بشارة ورزانة ؛ ما وراءك يا رزين ؟ قال : إن لم تغثنا غلبنا على مدينتنا، قال : قل للمقدام بن عبدالرحمن يطاول رمحى ، فسار فنزل [4] من مدينة الجُوزجان بفرسخين ، ثم أصبحنا ١٦٠٨/٢ وقد تراءتْ الخيلان ، فقال خاقان للحارث : مَنْ هذا ؟ فقال : هذا محمد ابن المثنى ورايته؛ ويقال: إن طلائع الخاقان انصرفت إليه فأخبرته. أنّ رهجًا

(١) ط : « الغدافر » ، تصحيف . (٢) ابن الأثير : « بنا » .
(٣) كذا فى ا ، وفى تصويبات ط : « أنى تفوئل بجرارتى » . (٤) ف : « ونزل » .

ساطعًا طلع من قِبَل بلْخ ، فدعا خاقان الحارث ، فقال : ألم تزعم أنّ أسداً ليس به نهوض ! وهذا رَهَج قد أقبل من ناحية بلْخ ، قال الحارث : هذا اللصّ الذى كنت قد أخبرتُك أنه من أصحابى . فبعث خاقان طلائع ، فقال : انظروا هل ترون على الإبل سريراً وكراسىّ ؟ فجاءته الطلائع ، فأخبروه أنّهم عاينوها ، فقال خاقان : اللصوص لا يحملون الأسرّة والكراسىّ ، وهذا أسد قد أتاك . فسار أسد غَلْوة فلقيه سالم بن جناح ، فقال : أبشر أيّها الأمير ، قد حزرتُهم ولا يبلغون أربعة آلاف ، وأرجو أن يكون(١) عقيرة الله . فقال المجشّر بن مزاحم ، وهو يسايره : أنزلْ أيّها الأمير رجالك ؛ فضرب وجْه دابته ، وقال : لو أطِعْتَ يا مجشّر ما كنّا قدمنا هاهنا ، وسار غير بعيد ، وقال : يأهلَ الصّباح ، انزلوا ، فنزلوا وقرّبوا دوابّهم ، وأخذوا النّبْل والقسىّ . قال : وخاقان فى مرْج قد بات فيه تلك الليلة .

قال : وقال عمرو بن أبى موسى : ارتحل أسد حين صلّى الغداة ، فمرّ
١٦٠٩/٢ بالجوزجان وقد استباحها خاقان حتى بلغت خيله الشُّبُورقان . قال : وقصور الجوزجان إذ ذاك ذليلة . قال : وأتاه المقدام بن عبد الرحمن بن نُعيم الغامدىّ فى مقاتلته وأهل الجوزجان — وكان عاملها — فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : أقيموا فى مدينتكم ، وقال للجوزجان بن الجوزجان : سِرْ معى ؛ وكان على التعبئة القاسم بن بُخَيت المراغىّ ؛ فجعل الأزد وبنى تميم والجوزجان بن الجوزجان وشاكريّته ميمنته(٢) ، وأضاف إليهم أهل فلسطين ، عليهم مصعب بن عمرو الخزاعىّ ، وأهل قنّسرين عليهم صغراء بن أحمر ، وجعل ربيعة ميسرة ، عليهم يحيى بن حُضَين ، وضمّ إليهم أهل حِمْص عليهم جعفر بن حنظلة البهْرانىّ ، وأهل الأزد وعليهم سليمان بن عمرو المقرئ من حِمْيَر ؛ وعلى المقدّمة منصور بن مسلم البَجَلىّ ، وأضاف إليهم أهلَ دمشق عليهم حملة بن نُعيم الكلبىّ ، وأضاف إليهم الحرس والشرطة وغلمان أسد .

قال : وعبّى خاقان الحارث بن سُرَيج وأصحابه وملك السُّغد وصاحب الشّاش وخرا بُغَرة أبا خاناخرّة ، جدّ كاوس وصاحب الخُتّل وجبغويه ، والترك

(١) بعدها فى ابن الأثير : « خاقان » .
(٢) ب : « ميمنة » .

كلهم ميمنة. فلمّا التقوا حمل الحارث ومَن معه من أهل السُّغد والبابيّة[١] وغيرهم على الميسرة ، وفيها ربيعة وجندان من أهل الشأم ؛ فهزمهم فلم يردّهم ٢/١٦١٠ شيء دون رواق أسد؛ فشدّت عليهم الميمنة — وهم الأزْد وبنو تميم والجوزجان — فما وصلوا إليهم حتى انهزم الحارث والأتراك ، وحمل الناس جميعًا ، فقال أسد : اللهمّ إنهم عصوْنى فانصرهم ؛ وذهب التُّرك فى الأرض عباديد لا يلوون على أحد ، فتبعهم النّاس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون مَن يقدرون عليه ، حتى انتهوْا إلى أغنامهم ؛ فاستاقوا أكثر من خمس وخمسين[٢] ومائة ألف شاة ودوابّ كثيرة . وأخذ خاقان طريقًا غير الجادّة فى الجبل ، والحارث بن سُرَيج يحميه ، ولحقهم أسد عند الظهر . ويقال : لما واقف أسد خاقان يوم خريستان كان بينهم نهر عميق ، فأمر أسد برواقه فرفع ، فقال رجل من بنى قيس بن ثعلبة : يأهلَ الشأم ؛ أهكذا [٣] رأيكم ، إذا حضر الناس رفعتم الأبنية[٤]! فأمر به فحُطّ ، وهاجت ريح الحرب التى تسمى الهفّافة ، فهزمهم الله ، واستقبلوا القبلة يدْعون الله ويكبّرون . وأقبل خاقان فى قريب من أربعمائة فارس عليهم الحُمرة ، وقال لرجل يقال له سورى : إنما أنت ملك الجوزجان إن أسلمتَ العرب ، فمن رأيت من أهل الجوزجان مولّيًا[٥] فاقتله . وقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله الشِّخّير : إنى لأعلم ببلادى وطُرقها ؛ فهل لك فى أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكرٌ ما بقيت ؟ قال : ما هو ؟ قال : تتبعنى ؛ قال : نعم ؛ فأخذ طريقًا يسمّى ورادك ، فأشرفوا ٢/١٦١١ على طوقات خاقان وهم آمنون ، فأمر خاقان بالكُوسات فضربت ضربة الانصراف . وقد شبّت الحرب ، فلم يقدر التّرك على الانصراف ، ثم ضربت الثانية فلم يقدروا ، ثم ضربت الثالثة فلم يقدروا لاشتغالهم ، فحمل ابن الشِّخّير والجوزجان على الطوقات ، وولّى خاقان مدبراً منهزمًا ، فحوى المسلمون عسكرهم وتركوا قدورهم تغلى ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء الترك ، ووحل بخاقان برْذونه فحماه الحارث بن سريج . قال : ولم يعلم الناس أنه

(١) ف : « والثابته » . (٢) ح ، ف : « خمسين » .
(٣) ح ، ف : « هكذا » . (٤) ف : « الأاوية » .
(٥) كذا فى ا ، ب ، وهو الصواب ، وفى ط : « قد أتاه » .

خاقان، ووجد عسكر التّرك مشحونًا من كلّ شيء من آنية الفضة وصنّاجات التّرك . وأراد الخصىّ أن يحمل امرأة خاقان ، فأعجلوه عن ذلك ، فطعنها بخنجر فوجدوها تتحرّك ، فأخذوا خفّها وهو من لُبود[1] مضرّب .

قال : فبعث أسد بجوارى التّرك إلى دهاقين خُراسان ، واستنقذ مَن كان فى أيديهم من المسلمين .

قال : وأقام أسد خمسة أيام . قال : فكانت الخيول التى فرّق تقبل فيصيبهم أسد ، فاغتنم الظفر وانصرف إلى بلْخ يوم التاسع من خروجه ، فقال ابن السِّجْف المجاشعىّ :

لو سرْتَ فى الأَرْضِ تَقِيس الأَرْضَا ... تَقِيسُ منها طُولَها والعَرْضا
لَمْ تَلْقَ خَيْرًا مِرَّةً ونقْضا ... مِنَ الأَميرِ أسدٍ وَأَمْضَى
١٦١٢/٢ أَفْضَى إلَيْنا ، الخَيْرُ حِين أفضى ... وَجَمَعَ الشَّملَ وكانَ رَفْضا
ما فاتَهُ خاقانُ إلا رَكْضا ... قد فُضَّ مِنْ جُمُوعِهِ مافُضَّا
يابْنَ سُرَيج قَدْ لَقِيتَ حَمْضَا ... حَمْضًا بِهِ يُشْفَى صُداعُ المرضى

قال : وارتحل أسد ، فنزل جزّة الجوزجان من غد ، وخاقان بها ، فارتحل هاربًا منه . وندب أسد الناس ، فانتدب ناسٌ كثير من أهل الشأم وأهل العراق ، فاستعمل عليهم جعفر بن حنظلة البهرانىّ ، فساروا ونزلوا مدينة تسمّى ورد من أرض جزّة ، فباتوا بها فأصابهم ريح ومطر — ويقال : أصابهم الثّلج — فرجعوا . ومضى خاقان فنزل على جبغويه الطخارىّ ، وانصرف البهرانىّ إلى أسد ، ورجع أسد إلى بلْخ ، فلقوا خيل التّرك التى كانت بمرْو الرّوذ منصرفة لتغير على بلْخ ، فقتلوا مَنْ قدروا عليه منهم ؛ وكان التّرك قد بلغوا بيعة مَرْو الرّوذ ، وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف دِرْع ؛ فلمّا صار ببلْخ أمر الناس بالصّوم لافتتاح الله عليهم .

قال : وكان أسد يوجّه الكرمانىّ فى السرايا ، فكانوا لا يزالون يصيبون الرّجل والرجلين والثلاثة وأكثر من التّرك ؛ ومضى خاقان إلى طخارستان العليا ،

---

(١) فى اللسان : «كل شعر أو صوف متلبد بعضه على بعض فهو لبد ولبدة ، والجمع ألباد ولبود على توهم طرح الهاء» .

فأقام عند جبغويه الخَزْلخيّ تعززاً به ، وأمر بصنيعة الكُوسات ، فلما جفّت وصلَحت(١) أصواتها ارتحل إلى بلاده ؛ فلما ورد شروسنة ، تلقّاه خرابغره ٢/١٦١٣
أبو خاناخره ، جدّ كاوس أبى أفشين بالّلعّابين ، وأعدّ له هدايا ودوابّ له ولجنده — وكان الذى بينهما متباعداً — فلما رجع منهزمًا أحبّ أن يتخذ عنده يداً ، فأتاه بكلّ ما قدر عليه . ثم أتى خاقان بلاده ، وأخذ فى الاستعداد للحرب ومحاصرة سَمرْقند ، وحَمل الحارث بن سُرَيج وأصحابه على خمسة آلاف بِرذْون ، وفرّق براذين فى قوّاد الترك ، فلاعب خاقان يومًا كُورصُول بالنّرد على خَطَر(٢) تُدْرجة ، فقمَر كورصول الترقشيّ ، فطلب منه التُّدرجة ، فقال : أنثى ، فقال : الآخر ذكر ؛ فتنازعا ، فكسر كُورصول يَد خاقان ، فحلف خاقان ليكسرنّ يد كُورصُول ؛ وبلغ كورصول ، فتنحّى وجمع جمعًا من أصحابه ، فبيّت خاقان فقتله ؛ فأصبحت الترك فتفرّقوا عنه وتركوه مجرّداً ، فأتاه زُريق بن طُفَيل الكُشانىّ وأهل بيت الحموكيّين — وهم من عظماء الترك — فحمله ودفنه ، وصنع به ما يصنع بمثله إذا قتل . فتفرّقت الترك فى الغارات بعضها على بعض ، وانحاز بعضهم إلى الشّاش ؛
فعند ذلك طمع أهل السُّغد فى الرَّجعة إليها . قال : فلم يسلمْ من خَيْل الترك ٢/١٦١٤
التى تفرّقت فى الغارات إلّا زرّ بن الكسىّ ، فإنه سلم حتى صار إلى طَخارستان ، وكان أسد بعث من مدينة بلخ سيفَ بن وصّاف العجلىّ على فرس ، فسار حتى نزل الشُّبورقان(٣) . قال : وفيها إبراهيم بن هشام مسلحة ، فحمله منها على البريد حتى قدم على خالد بن عبد الله ، فأخبره ، ففظع به هشام فلم يصدّقه ، وقال للربيع حاجبه : ويحك ! إن هذا الشيخ قد أتانا بالطامّة الكبرى إذا كان صادقًا ؛ ولا أراه صادقًا ، اذهب فعِدْه ثم سله عمّا يقوله وأْتِنى بما يقول . فانطلق إليه ففعل الذى أمره به ، فأخبره بالذى أخبر به هشامًا . قال : فدخل عليه أمر عظيم ؛ فدعا به بعد ، فقال : من القاسم بن بُخَيت منكم ؟ قال : ذلك صاحب العسكر ، قال : فإنه قد أقبل ، قال : فإن كان قد أقبل فقد

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « صلح » .

(٢) الخطر : السبق يتراهن عليه .

(٣) ب : « النسور » ، ح : « السبوريان » ، ف : « البشوريان » .

فتح الله على أمير المؤمنين — وكان أسد وجّهه حين فتح الله عليه — فأقبل القاسم بن بُخيت ، فكبّر على الباب ، ثم دخل يكبّر وهشام يكبّر لتكبيره، حتى انتهى إليه ، فقال : الفتح يا أميرَ المؤمنين ؛ وأخبره الخبر ، فنزل هشام عن سريره فسجد سجدة الشكر ؛ وهى واحدة عندهم . قال : فحسدت
٢/١٦١٥ القيسيّة أسداً وخالداً ؛ وأشاروا على هشام أن يكتب إلى خالد بن عبد الله ، فيأمرَ أخاه أن يوجّه مقاتل بن حيّان ، فكتب إليه ، فدعا أسد مقاتل بن حيّان على رءوس الناس ، فقال: سر إلى أمير المؤمنين فأخبِرْه بالذى عاينت وقل الحقّ ؛ فإنك لا تقول غير الحقّ إن شاء الله ، وخذ من بيت المال حاجتك. قالوا : إذاً لا يأخذ شيئاً[1] ، قال: أعطه من المال كذا وكذا ، ومن الكسوة كذا وكذا ، وجهّزه .

فسار فقدم[2] على هشام بن عبد الملك وهو والأبرش جالسان ، فسأله فقال : غزونا الختّل ، فأصبنا أمراً عظيماً ، وأنذر أسد بالترك فلم نحفل بهم حتى لحقوا واستنقذوا من غنائمنا ، واستباحوا[3] بعض عسكرنا ، ثم دفعونا دفعة قريبًا من خُلْم ، فانتهى الناس إلى مشاتيهم ، ثم جاءنا مسير خاقان إلى الجوزجان ، ونحن قريبو العهد بالعدوّ[4] ؛ فسار بنا حتى التقينا برُستاق بيننا وبين أرض الجُوزجان ، فقاتلناهم وقد حازوا ذراريّ من ذراريّ المسلمين ، فحملوا على ميسرتنا فكشفوهم . ثم حملت ميمنتنا عليهم ، فأعطانا الله عليهم الظّفر ، وتبعناهم فراسخ حتى استبحنا عسكر خاقان ؛ فأُجْلِيَ عنه — وهشام متكئ فاستوى جالساً عند ذكره عسكر خاقان — فقال ثلاثاً : أنتم استبحتم عسكر خاقان! قال : نعم ، قال : ثمّ ماذا ؟ قال : دخلوا الخُتّل وانصرفوا[5] .
٢/١٦١٦ قال هشام : إن أسداً لضعيف ، قال : مهلا يا أمير المؤمنين ؛ ما أسدٌ بضعيف وما أطاق فوق ما صنع ، فقال له هشام : حاجتك ؟ قال : إنّ يزيد بن المهلب أخذ من أبى حيّان مائة ألف درهم بغير حقّ ؛ فقال له هشام : لا أُكلفك شاهداً ، احلف بالله إنه كما قلت ، فحلف ، فردّها عليه من بيت

(١) ساقطة من ح ، ف .
(٢) ب : « وقدم » .
(٣) ف : « واستباحونا » .
(٤) ب : « عهد بغزو » .
(٥) كذا فى ا ، ب .

مال خراسان ؛ وكتب إلى خالد أن يكتب إلى أسد فيها ؛ فكتب إليه، فأعطاه أسدٌ مائة ألف درهم ، فقسمها بين ورثة حيّان على كتاب الله وفرائضه . ويقال : بل كتب إلى أسد أن يستخبر عن ذلك ، فإن كان ما ذكر حقًّا أعطى مائة ألف درهم .

وكان الذي جاء بفتح خُراسان إلى مَرْو عبد السلام بن الأشهب بن عتبة الحنظليّ . قال : فأوفد أسد إلى خالد بن عبد الله وفدًا في هزيمته يوم سان، ومعهم طوقات خاقان ورءوس مَنْ قُتِلوا منهم ، فأوفدهم خالد إلى هشام ، فأحلفهم أنهم صَدقوا ، فحلفوا ، فوصلهم ، فقال أبو الهنديّ الأسديّ لأسد يذكر وقعة سان :

أبا مُنذِرٍ رُمْتَ الأُمُورَ فَقِسْتها(١) وساءَلْتَ عَنْها كالحريصِ المُساوِمِ
فَما كانَ ذو رَأْيٍ من الناسِ قِسْتَهُ برَأْيِك إلا مِثلَ رَأْيِ البهائِم ٢/١٦١٧
أبا مُنْذِرٍ لوْلَا مَسِيرُكَ لم يَكُن عِراق وَلا انْقادَتْ مُلوكُ الأَعاجم
وَلَا حَجَّ بَيْتَ اللهِ مذْ حُجّ راكبٌ(٢) ولا عَمَر البَطْحاء بَعْدَ المَواسِم
فكمْ مِنْ قَتِيل بَيْنَ سانٍ وَجَزَّةٍ كثِيرِ الأَيادى من مُلوكٍ قَماقِم(٣)
تَركتَ بأَرْضِ الجوْزَجانِ تزورُهُ سِباعٌ وعِقْبانٌ لِحَز الغَلاصِم
وَذى سُوقَة فيه منَ السيف خُطّة بهِ رَمَق حامتَ عَليْهِ الحَوائم(٤)
فمن هارِب مِنَّا وَمِنْ دَائِنٍ لنَا أَسير يُقَاسِي مُبْهَمَاتِ الأَداهِم(٥)
فلِدْتكَ نُفُوسٌ من تَميمٍ وعامِرٍ وَمن مُضَرَ الحَمْراءِ عِنْدَ المآزِم
هُمُ أطْمَعُوا خاقانَ فينا فأَصبحَتْ جلائبهُ ترْجو احْتِواءَ المغانِم(٦) ٢/١٦١٨

قال : وكان السّبل أوصى عند موته ابنَ السائجيّ حين استخلفه بثلاث خصال ، فقال : لا تستطل على أهل الخُتّل استطالتى التى كانت عليهم ؛

---

(١) ابن الأثير : « وقستها » . (٢) ابن الأثير : « من حج » .
(٣) ابن الأثير : « كسير الأيادى » بالسين .
(٤) ابن الأثير : « به رمق ملقى لحوم الحوائم » .
(٥) ابن الأثير : « مهمهات الأداهم » .
(٦) ابن الأثير : « حلائبه ترجو خلوّ المغانم » .

فإنى ملِك ولستَ بملِك ؛ إنما أنت رجل منهم ، فلا يحتملون لك ما يحتلمون للملوك ، ولا تدَعْ أن تطلب الجيش(١) حتى تردّه إلى بلادكم ، فإنه الملك بعدى والملوك هم النظّام ، والناس ما لم يكن لهم نظام طَغام ، ولا تحاربوا العرب واحتالوا لهم كلّ حيلة تدفعونهم بها عن أنفسكم ما قدرتم . فقال له ابن السائجىّ : أما ما ذكرت من تركى الاستطالة على أهل الختّل فإنى قد عرفت ذلك ، وأما ما أوصيتَ من ردّ الجيش(٢) فقد صدق الملك ، وأما قولك : لا تحاربوا العرب ، فكيف تنهى عن حربهم ، وقد كنتَ أكثر الملوك لهم محاربة ! قال : قد أحسنتَ إذ سألتَ عمّا لا تعلم ؛ إنى قد جرّبت قوّتكم بقوّتى ، فلم أجدكم تقعون منى موقعًا ، فكنت إذا حاربتُهم لم أفلِت منهم إلا جريضًا ، وإنكم إن حاربتموهم هلكتم فى أول محاربتكم إياهم .

١٦١٩/٢ قال وكان الجيش(٢) ، قد هرب إلى الصين ، وابن السائجى الذى أخبر أسد بن عبد الله بمسير خاقان إليه ، فكره محاربة أسد .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه]

وفى هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان فى نفر ، فأخذهم خالد فقتلهم .

* ذكر الخبر عن مقتلهم :

أما المغيرة بن سعيد ، فإنه كان — فيما ذكر — ساحراً . حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن الأعمش ، قال : سمعت المغيرة بن سعيد ، يقول : لو أردتُ أن أحيِىَ عاداً أو ثمودًا وقرونًا بين ذلك كثيراً لأحييتهم . قال الأعمش : وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فيتكلّم ، فيُرى مثل الجراد(٣) على القبور ؛ أو نحو هذا من الكلام .

وذكر أبو نعيم ، عن النّضر بن محمد ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، قال : قدم علينا رجلٌ من أهل البَصْرة يطلب العلم ؛ فكان عندنا ، فأمرتُ جاريتى يومًا أن تشترىَ لى سمكًا بدرهمين ، ثم انطلقت أنا

(١) ابن الأثير : « الحنيش » ، والعبارة فيه : « اطلب الحنيش حتى ترد إلى بلادكم ؛ فإنه الملك بعدى — وكان الحنيش هرب إلى الصين » .
(٢) ابن الأثير : « الحنيش » . (٣) ا ، ب : « الجرى » .

والبصرىّ إلى المغيرة بن سعيد ، فقال لى : يا محمد، أتحب أن أخبرك، لم افترق حاجباك ؟ قلت : لا ، قال أفتحبّ أن أخبرك لم سماك أهلك محمداً ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك قد بعثت خادمك يشترى لك سمكًا بدرهمين . قال : فنهضنا عنه . قال أبو نعيم : وكان المغيرة قد نظر فى السحر ، فأخذه خالد القسرىّ فقتله وصلبه . ١٦٢٠/٢

وذكر أبو زيد أن أبا بكر بن حفص الزهرىّ ، قال : أخبرنى محمد بن عقيل ، عن سعيد بن مرادابند، مولى عمرو بن حُرَيث ، قال : رأيتُ خالداً حين أتِىَ بالمغيرة وبيان فى ستّة رهط أو سبعة ، أمر بسريره فأخرِج إلى المسجد الجامع ، وأمر بأطنان[1] قصب ونِفْط فأحضرا، ثم أمر المغيرة أن يتناول طنًّا فكعّ عنه وتأنّى ، فصبّت السياط على رأسه، فتناول طنًّا فاحتضنه، فشُدّ عليه ، ثم صُبّ عليه وعلى الطنّ نِفط ، ثم ألهبت فيهما النار فاحترقا، ثم أمر الرهط ففعلوا ، ثم أمر بيانًا آخرهم فقدِم إلى الطنّ مبادراً فاحتضنه ، فقال خالد : ويلكم ! فى كل أمر تحمقون ، هلا رأيتم هذا المغيرة ! ثم أحرقه .

قال أبو زيد : لما قتل خالد المغيرة وبيانًا أرسل إلى مالك بن أعين الجُهَنىّ فسأله فصدّقه عن نفسه ، فأطلقه ، فلما خلا مالك بمن يثق به — وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان — قال :

ضَرَبْتُ له بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ لاحبًا ... وَطِنْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ فيمَنْ يطينُها
وألقيْتهُ فى شبْهَةٍ حِينَ سالنى ... كما اشتَبَهَا فى الخَطِ سِينٌ وشينُها ١٦٢١/٢

فقال أبو مسلمٍ حين ظهر أمره : لو وجدته لقتلته بإقراره على نفسه .

قال أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمد ، قال : خرج المغيرة بن سعيد فى سبعة نفر ، وكانوا يُدعون الوصفاء، وكان خروجهم بظهر الكوفة، فأخبِر خالد القسرىّ بخروجهم وهو على المنبر ، فقال: أطعمونى ماء ، فنعَى ذلك عليه ابن نوفل[2] ، فقال :

أَخالد لا جزَاكَ اللهُ خيْرًا ... وأَيْرٌ فى حِرِ امكَ مِنْ أَمِيرِ

---

(١) أطنان : جمع طن ؛ وهو حزمة القصب .
(٢) هو يحيى بن نوفل ، والشعر فى البيان والتبيين ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، مع اختلاف فى الرواية .

تَمَنَّى الفَخْرَ فى قَيْس وقَسْر ... كأنَّكَ من سَراةِ بنى جَرير
وأُمُّك عِلجَةٌ وأَبُوكَ وَغْـدٌ ... وما الأذنابُ عِدْلاً للصُّدُورِ
جَرِيرٌ مِنْ ذوى يَمَنٍ أَصيلٌ ... كَرِيمُ الأَصل ذوخطرٍ كبيرِ
وأنتَ زعمْتَ أنكَ مِنْ يزيدٍ ... وَقَدْ أُدْحِقْتُمُ دحق العبُورِ (١)
وكُنْتَ لدَى المُغِيرةِ عَبْدَسوْءٍ ... تَبُول مِن المَخافَةِ للزَّئيرِ
وَقلتَ لِما أَصابكَ: أَطعِمُونى ... شَراباً ثُمَّ بُلتَ على السريرِ
٢/١٦٢٢ لأعلاج ثمانِيَة وَشيخٍ ... كَبيرِ السن ليْسَ بِذِى نَصِيرِ

* * *

[خبر مقتل بهلول بن بشر]

وفى هذه السنة حكَّم بُهلول بن بشر الملقب كثارة فقتِل .

* ذكر الخبر عن مخرجه ومقتله :

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنّى أن بُهْلولاً كان يتألّه (٢) ، وكان له قوت دانق ، وكان مشهوراً بالبأس عند هشام بن عبد الملك ، فخرج يريد الحجّ ، فأمر غلامه أن يبتاع له خلاًّ بدرهم ، فجاءه غلامه بخمر ، فأمر بردّها وأخذ الدراهم ، فلم يُجَب إلى ذلك ، فجاء بُهلول إلى عامل القرية — وهى من السواد — فكلّمه ، فقال العامل: الخمر خير منك ومن قومك ؛ فمضى بهلول فى حجّه حتى فرغ منه ، وعزم على الخروج على السلطان ، فلقىَ بمكة مَن كان على مثل رأيه ، فاتّعدوا قرية من قرى الموصل ، فاجتمع بها أربعون رجلا ، وأمّروا عليهم البهلول ، وأجمعوا على ألاّ يمرّوا بأحد إلا أخبروه أنّهم أقبلوا من عند هشام على بعض الأعمال ، ووجّههم (٣) إلى خالد ليُنفِذهم فى أعمالهم ، فجعلوا لا يمرّون بعامل إلا أخبروه بذلك . وأخذوا دوابّ من دوابّ البريد ، فلما انتهوا ٢/١٦٢٣ إلى القرية التى كان ابتاع فيها الغلام الخلّ فأعطِىَ خمراً ، قال بهلول : نبدأ بهذا العامل الذى قال ما قال ؛ فقال له أصحابه : نحن نريد قتل خالد ؛ فإن

(١) الدحق : الدفع . (٢) يتأله : يتعبد . (٣) كذا فى ح ، وفى ط : « وجههم » .

بدأنا بهذا شُهِرنا وحذِرنا خالد وغيره ؛ فننشدك الله أن تقتل(١) هذا فيفلت منا خالد الذى يهدم المساجد ؛ ويبنى البيَع والكنائس ، ويولّى المجوس على المسلمين ، ويُنكح أهلَ الذّمة المسلمات؛ لعلنا نقتله فيريح الله منه . قال : والله لا أدَعُ ما يلزمنى لما بعده ؛ وأرجو أن أقتل هذا الذى قال لى ما قال وأدرك خالداً فأقتله؛ وإن تركتُ هذا وأتيتُ خالداً شُهِر أمرنا فأفلت هذا ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾(٢) ، قالوا : أنت ورأيك . فأتاه فقتله ، فنذِر بهم الناس وعلموا أنهم خوارج ، وابتدروا إلى الطريق هرّاباً ، وخرجت البرُد إلى خالد فأخبروه(٣) أن خارجةً قد خرجت ؛ وهم لا يدرون حينئذ مَن رئيسهم .

فخرج خالد من واسط حتى أتى الحِيرة وهو حينئذ فى الحلَق(٤) ، وقد قدم فى تلك الأيام قائد من أهل الشأم من بنى القَيْن فى جيش قد وُجّهوا مدداً(٥) لعامل خالد على الهند، فنزلوا الحيرة، فلذلكَ قصدها خالد، فدعا رئيسهم ١٦٢٤/٢
فقال : قاتلْ هؤلاء المارقة ؛ فإنّ من قتل منهم رجلاً أعطيته عطاء سوى ما قبض بالشأم ، وأعفيته من الخروج إلى أرض الهند — وكان الخروج إلى أرض الهند شاقًّا عليهم — فسارعوا إلى ذلك ، فقالوا : نقتل هؤلاء النّفر ونرجع إلى بلادنا . فتوجّه القيْنىّ إليهم فى ستمائة ، وضمّ إليهم خالد مائتين من شُرَط الكوفة ، فالتقوا على الفُرات ، فعبأ القيْنىّ أصحابه ، وعزل شرط الكوفة ، فقال : لا تكونوا معنا — وإنما يريد فى نفسه أن يخلوَ هو وأصحابه بالقوم فيكون الظفر لهم دون غيرهم لما وعدهم خالد — وخرج إليهم بُهلول ، فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه، ثم تنكّر(٦) له ، ومعه لواء أسود ، فحمل عليه فطعنه فى فرْج درعه؛ فأنفذه . فقال : قتلتَنى قتلك الله ! فقال بهلول : إلى النار أبعدك الله .

وولّى أهل الشأم مع شرط أهل الكوفة منهزمين حتى بلغوا باب الكوفة ، وبُهلول وأصحابه يقتلونهم. فأما الشاميون فإنهم كانوا على خيل جياد ففاتوه ؛ وأما شُرَط الكوفة فإنه لحقهم ، فقالوا : اتق الله فينا فإنا مكرهون مقهورون ؛

---

(١) ف : « تفعل » . (٢) سورة التوبة:١٢٣ (٣) ابن الأثير : « فأعلموه » .
(٤) ط : « الخلق » . (٥) ح : « أمداداً » . (٦) كذا فى ا .

فجعل يقرع رءوسهم بالرّمح ، ويقول : الحقوا! النّجاء النّجاء ! ووجد البهلول مع القينىّ بَدْرة فأخذها .

وكان بالكوفة ستة نفر يرون رأى البهلول ، فخرجوا إليه يريدون اللّحاق به
١٦٢٥/٢ فقتِلوا ، وخرج إليهم البُهلول وحمل البَدْرة بين يديه ، فقال : مَنْ قتل هؤلاء النفر حتّى أعطيَه هذه الدراهم ؟ فجعل هذا يقول[1] : أنا ، وهذا يقول : أنا ؛ حتّى عرفهم ؛ وهم يروْن أنه من قِبَل خالد جاء ليعطيهم مالاً لقتلهم مَنْ قتلوا . فقال بُهلول لأهل القرية : أصَدق هؤلاء ، هم قتلوا النفر[2] ؟ قالوا : نعم ؛ وخشى بهلول أنهم ادّعوا ذلك طمعًا فى المال ، فقال لأهل القرية : انصرفوا أنتم ؛ وأمر بأولئك فقُتِلوا ، وعاب عليه أصحابه فحاجّهم ، فأقرّوا له بالحجّة .

وبلغت هزيمةُ القوم خالداً وخبر مَنْ قُتِل من أهل صَرِيفين ، فوجّه قائداً من بنى شَيْبان أحد بنى حوْشب بن يزيد بن رويم ؛ فلقيهم فيما بين الموصل والكوفة ، فشدّ عليهم البُهلول ، فقال : نشدتك بالرحم ! فإنى جانح مستجير ! فكفّ عنه ؛ وانهزم أصحابه ، فأتوْا خالداً وهو مقيم بالحيرة ينتظر ، فلم يرعْه إلا الفَلّ قد هجم عليه ؛ فارتحل البُهلول من يومه يريد الموصل ؛ فخافه عامل الموصل ، فكتب إلى هشام : إنّ خارجةً خرجت فعاثت وأفسدت ؛ وأنه لا يأمن على ناحيته ، ويسأله جنداً يقاتلهم به ؛ فكتب إليه هشام : وجّه إليهم كُثارة بن بشر — وكان هشام لا يعرف البهلول إلا بلقبه — فكتب
١٦٢٦/٢ إليه العامل : إن الخارج هو كُثارة .

قال : ثم قال البهلول لأصحابه : إنا والله ما نصنع بابن النصرانيّة شيئًا — يعنى خالداً — وما خرجت إلا لله ، فلمَ لا نطلب الرأس الّذى يسلط[3] خالداً وذوى خالد ! فتوجّه يريد هشامًا بالشام ، فخاف عمّال هشام مَوْجِدته إن تركوه يجوز بلادهم حتى ينتهى إلى الشأم ، فجنّد له خالد جنداً من أهل العراق ، وجنّد له عامل الجزيرة جنداً من أهل الجزيرة ، ووجّه إليه هشام جنداً من أهل الشأم ؛ فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل ، وأقبل بُهلول حتّى انتهى

---

(١) ف : « يقول هذا » . (٢) ا : « قتلوا من قتلوا من النفر » .
(٣) ابن الأثير : « سلط » .

إليهم — ويقال : التقوْا بالكُحَيل دون الموصل — فأقبل بهلول ، فنزل على باب الدَّيْر ، فقالوا له : تزحزح عن باب الدير حتى نخرج إليك ، فتنحّى وخرجوا ؛ فلما رأى كثرتهم وهو فى سبعين جعل من أصحابه ميمنة وميسرة ، ثم أقبل عليهم فقال : أكلّكم يرجو أن يقتلنا ثم يأتى بلده وأهله سالمًا ؟ قالوا : إنا نرجو ذلك إن شاء الله ، فشدّ على رجل منهم فقتله ، فقال : أما هذا فلا يأتى أهله أبداً ؛ فلم يزل ذلك ديدنَه حتى قتل منهم ستة نفر ؛ فانهزموا ، فدخلوا الدَّير فحاصرهم ، وجاءتهم الأمداد فكانوا عشرين ألفًا ، فقال له أصحابه : ألاّ نعقر دوابّنا ، ثم نشدّ عليهم شدة واحدة ؟ فقال : لا تفعلوا حتى نبلى الله عذراً ما استمسكنا[1] على دوابّنا ، فقاتلوهم يومهم ذلك كله إلى جنح العصر حتى أكثروا[2] فيهم القتل والجراح . ١٦٢٧/٢

ثم إن بهلولا وأصحابه عقروا دوابّهم وترجّلوا ، وأصلتوا لهم السيوف ، فأوجعوا فيهم ؛ فقتِل عامة أصحاب بُهلول وهو يقاتل ويذود عن أصحابه ، وحمل عليه رجل من جَدِيلة قيس يكنى أبا الموت ، فطعنَه فصرعه ، فوافاه مَن بقى من أصحابه ، فقالوا له : وَلِّ أمرنا مِن بعدك من يقوم به ؛ فقال : إن هلكت فأمير المؤمنين دِعامة الشيبانىّ ، فإن هلك دعامة فأمير المؤمنين عمرو اليشكرىّ ، وكان أبو الموت إنما ختل البهلول . ومات بهلول من ليلته ، فلما أصبحوا هرب دِعامة وخلاّهم ، فقال رجل من شعرائهم :

لبئس أميرُ المؤمنينَ دِعامةٌ[3] دِعامَةُ فى الهَيْجاءِ شَرُّ الدَّعائم

وقال الضحاك بن قيس يرثى بُهلولا ، ويذكر أصحابه :

بُدِّلتُ بعد أَبى بِشر وصحبتِه قوماً علىَّ معَ الأَحزاب أَعوانا
كأَنهمْ لم يكونوا من صَحابتِنا ولم يكونوا لنا بالأَمسِ خُلَّانا
يا عينُ أَذرِى دُمُوعاً منك تَهتانا وابكى لنا صحبةً بانوا وإخوانا
خَلَّوا لنا ظاهِرَ الدنيا وباطنَها وأَصبحوا فى جنان الخلد جيرانا

قال أبو عبيدة : لما قتل بهلول خرج عمرو اليشكرىّ فلم يلبث أن قتل . ثم

(١) ب : « ما استمكنا » . (٢) ف : « فأكثروا » .
(٣) ا : « معترفاً به » .

خرج العنزىّ صاحب[1] الأشهب — وبهذا كان يعرف — على خالد فى ستّين ،
٢/١٦٢٨ فوجّه إليه خالد السّمط بن مسلم[2] البَجلىّ فى أربعة آلاف ، فالتقوا بناحية الفرات ، فشدّ العنزىّ على السّمط ، فضربه بين أصابعه فألقى سيفه ، وشلّت يده ، وحمل عليهم فانهزمت الحَروريّة فتلقاهم عَبيد أهل الكوفة وسفلتهم ، فرموْهم بالحجارة حتّى قتلوهم .

قال أبو عبيدة : ثم خرج وزير السختيانىّ على خالد فى نفر ؛ وكان مخرجه بالحيرة ، فجعل لا يمرّ بقرية إلا أحرقها ، ولا أحد إلا قتله ؛ وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال ، فوجّه إليه خالد قائداً من أصحابه وشُرَطاً من شُرَط الكوفة ، فقاتلوه وهو فى نفير ؛ فقاتل حتّى قتِل عامة أصحابه ، وأثخِن بالجراح ؛ فأخِذ مرتثّاً ، فأتِىَ به خالد ، فأقبل على خالد فوعظه ، وتلا عليه آيات من القرآن . فأعجب خالداً ما سمع منه ، فأمسك عن قتله وحبسه عنده ، وكان لا يزال يبعث إليه فى الليالى فيؤتَى به فيحادثه ويسائله ، فبلغ ذلك هشاماً وسُعِى به إليه ، وقيل : أخذ حروريّاً قد قتَل وحرق وأباح الأموال ، فاستبقاه فاتّخذه سميراً . فغضب هشام ، وكتب إلى خالد يشتمه ، ويقول : لا تستبق فاسقاً قتَل وحرق ، وأباح الأموال ؛ فكان خالد يقول : إنى أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته . فكتب فيه إلى هشام
٢/١٦٢٩ يرقّق من أمره — ويقال : بل لم يكتب ولكنه كان يؤخّر أمره ويدفع عنه — حتّى كتب إليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله وإحراقه ؛ فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث إليه وإلى نفر من أصحابه كانوا أخِذوا معه ؛ فأمر بهم فأدخلوا المسجد ، وأدخلت أطنان القَصب فشدُّوا فيها ، ثم صبّ عليهم النّفْط ، ثم أخرِجوا فنصبوا فى الرّحبة ، ورُموا بالنّيران ؛ فما منهم أحد إلا من اضطرب وأظهر جَزَعاً ، إلا وزيراً فإنه لم يتحرك ، ولم يزل يتلو القرآن حتّى مات .

* * *

وفى هذه السنة غزا أسد بن عبد الله الخُتّل . وفيها قتل أسد بدرطرخان ملك الخُتَّل .

---

(١) ابن الأثير : « وخرج البخترى صاحب الأشهب » .
(٢) ابن الأثير : « الشمط بن مسلم » .

ذكر الخبر عن غزوة أسد الخُتّل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طرخان

ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل أنهم قالوا : غزا أسد ابن عبد الله الختّل وهى غزوة بدر طرخان، فوجّه مصعب بن عمرو الخزاعيّ إليها ، فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدر طرخان ؛ فطلب الأمان على أن يخرج إلى أسد . فأجابه مُصعب ، فخرج إلى أسد فطلب منه أشياء[1] فامتنع ، ثم سأله بدرطرخان أن يقبل منه ألف ألف درهم ، فقال له أسد : إنك رجل غريب من أهل الباميان ، اخرج من الختّل كما دخلتها. فقال له ١٦٣٠/٢ بدر طرخان : دخلتَ أنت خراسان على عشرة من المحذّفة[2] ، ولو خرجت منها اليوم لم تستقلّ على خمسمائة بعير ؛ وغيرُ ذلك أنّى[3] دخلت الخُتّل بشىء فارْدُدْه علىّ حتى أخرج منها كما دخلتها . قال : وما ذاك ؟ قال: دخلتُها شابًّا[4] فكسبت المال بالسيف ، ورزق الله أهلاً وولداً، فاردد علىّ شبابى حتى أخرج منها ؛ هل ترى أن أخرج من أهلى وولدى ! فما بقائى بعد أهلى وولدى ! فغضب أسد .

قال : وكان بدرطرخان يثق بالأمان ، فقال له أسد : أختم فى عنقك ؛ فإنى أخاف عليك معرّة الجند، قال : لستُ أريد ذلك؛ وأنا أكتفى من قِبَلك برجل يبلغ[5] بى مصعباً . فأبى أسد إلاّ أن يختم فى عنقه ، فختم فى رقبته ودفعه إلى أبى الأسد مولاه ، فسار به أبو الأسد ، فانتهى إلى عسكر المصعب عند المساء . وكان سلمة بن أبى عبد الله فى الموالى مع مُصعب ، فوافى أبو الأسد سلمةَ ، وهو يضع الدّراجة[6] فى موضعها ، فقال سلمة لأبى الأسد : ما صنع الأمير فى أمر بدر طرخان ؟ فقصّ الذى عرض عليه بدر طرخان وإباء أسد ذلك ، وسرْحه معه إلى المصعب ليدخله الحصن ، فقال سلمة : إن الأمير لم يُصِبْ

(١) ح ، ف : « أسيافاً » .
(٢) ابن الأثير : « الدواب » .
(٣) ابن الأثير : « فإنى » .
(٤) ح : « سباباً » .
(٥) ب : « يبلغنى » .
(٦) الدراجة : العجلة التى يدب الشيخ والصبى عليها .

٢/١٦٣١ فيما صنع ، وسينظر فى ذلك ويندم ؛ إنما كان ينبغى له أن يقبض ما عرض عليه أو يحبسه فلا يدخله حصنه ؛ فإنا إنما دخلناه(١) بقناطر اتّخذناها ، ومضايق أصلحناها ؛ وكان يمنعه أن يغير علينا رجاءُ الصلح ؛ فأما إذ يئس من الصّلح فإنه لايدَع الجهد . فدعْه الليلة فى قُبّتى ؛ ولا تنطلق به إلى مصعب ؛ فإنه ساعة ينظر إليه يُدخله حصنه .

قال : فأقام أبو الأسد وبدر طرخان معه فى قبّة سلمة ، وأقبل أسدٌ بالناس فى طريق ضيّق ، فتقطّع(٢) الجند ، ومضى أسد حتّى انتهى إلى نهر وقد عطش – ولم يكن أحد من خَدَمه – فاستسقى ؛ وكان السُّغدىّ بن عبد الرحمن أبو طعمة الجرمىّ معه شاكرىّ له ، ومع الشاكرىّ قَرْن تُبّتىّ ؛ فأخذ السُّغدىّ القرن ؛ فجعل فيه سَويقا ، وصبّ عليه ماء من النهر ، وحرّكه وسقى أسداً وقوماً من رؤساء الجند ، فنزل أسد فى ظلّ شجرة ، ودعا برجل من الحرَس ، فوضع رأسه فى فخذه ، وجاء المجشّر بن مُزاحم السُّلمىّ يقود فرَسه حتّى قعد تُجاهه حيث ينظر أسداً ، فقال أسد : كيف أنت يا أبا العدَبّس ؟ قال : كنتُ أمسِ أحسنَ حالا منّى اليوم ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : كان بدر طرخان فى أيدينا وعرض ما عرض ؛ فلا الأمير قبِل منه ما عرض عليه

٢/١٦٣٢ ولا هو شدّ يده عليه ؛ لكنه خلّى سبيله ؛ وأمر بإدخاله حصنه لما عنده – زعم – من الوفاء . فندم أسد عند ذلك ، ودعا بدليل من أهل الختّل ورجل من أهل الشأم نافذ ، فاره الفرسِ فأتى بهما ، فقال للشامىّ : إن أنت أدركتَ بدر طرخان قبل أن يدخل حصنه فلك ألف درهم ؛ فتوجّها حتّى انتهيا إلى عسكر مُصعب ؛ فنادى الشأمىّ : ما فعل العِلْج ؟ قيل : عند سلمة ، وانصرف الدّليل إلى أسد بالخبر ، وأقام الشامىّ مع بدر طرخان فى قُبّة سلَمة ، وبعث أسد إلى بَدر طرخان فحوّله إليه فشتمه ، فعرف بدر طرخان أنه قد نقض عهده ، فرفع حصاة فرمى بها إلى السماء ، وقال : هذا عهد الله ؛ وأخذ أخرى فرمى بها إلى السماء ، وقال : هذا عهد (محمد صلى الله عليه) ، وأخذ يصنع كذلك بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين ؛ فأمر أسد بقطع يده ، وقال أسد : مَنْ ها هنا من أولياء

---

(١) ب : « دخلنا » . (٢) ا : « نقطع » .

أبى فديك ؟ (رجل من الأزد قتله بدر طرخان) ، فقام رجل من الأزد فقال : أنا ، قال : اضرب عنقه ؛ ففعل . وغلب أسد على القلعة العظمى ، وبقيت قلعة فوقها صغيرة فيها ولده وأمواله ، فلم يوصل إليهم[1] ، وفرّق أسد الخيل فى أودية الخُتّل .

قال : وقدم أسد مَرْو ، وعليها أيّوب بن أبى حسان التميمىّ[2] ، فعزله واستعمل خالد بن شديد ، ابن عمه . فلما شخص إلى بلْخ بلغه أنّ عمارة بن حُرَيم[3] تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، فكتب إلى خالد بن شديد : احمل عُمارة على طلاق ابنة يزيد ؛ فإن أبى فاضربه مائة سوط ؛ فبعث إليه فأتاه وعنده العذافر بن زيد التميمىّ ، فأمره بطلاقها ، ففعل بعد إباء منه ؛ وقال عذافر : عمارة والله فتى قيس وسيّدها ، وما بها عليه أبّهة ؛ أى ليست بأشرف منه . فتوفّىَ خالد بن شديد ، واستخلف الأشعث بن جعفر البَجَلىّ . ١٦٣٣/٢

* * *

[ظهور الصحارى بن شبيب الخارجىّ]

وفيها شرى[4] الصحارىّ بن شبيب ، وحكم بجبُّل .

* ذكر خبره :

ذكر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى أن الصحارىّ بن شبيب أتى خالداً يسأله الفريضة ، فقال : وما يصنع ابن شبيب بالفريضة ! فودّعه ابن شبيب ، ومضى ، وندم خالد وخاف أن يفتق عليه فتقاً ، فأرسل إليه يدعوه ، فقال : أنا كنت عنده آنفًا ؛ فأبوْا أن يَدَعوه ، فشدّ عليهم بسيفه ، فتركوه فركب وسار[5] حتى جاوز واسطًا ، ثم عقَر فرسه وركب زورقًا ليخفى مكانه ، ثم قصد إلى نفر من بنى تَيْم اللات بن ثعلبة ، كانوا بَجبُّل ، فأتاهم متقلداً سيفًا فأخبرهم خبره وخبر خالد ، فقالوا له : وما كنت ترجو بالفريضة ! كنتَ لأن تخرج إلى ابن النصرانيّة فتضربه بسيفك أحْرَى . فقال : إنى والله ما أردت ١٦٣٤/٢

---

(١) ابن الأثير : « إليها » . (٢) ب : « التيمى » .
(٣) ف : « خزيم » .
(٤) شرى ؛ أى اتخذ مذهب الشراة ؛ وهم الخوارج ؛ وفى الأثير : « خرج الصحارى » .
(٥) ح ، ف : « فسار » .

الفريضة ، وما أردت إلا التوصّل إليه لئلا ينكرنى ، ثم أقتل ابن النصرانيّة غيلةبقتله فلانًا — وكان خالد قَبْلَ ذلك قد قتل رجلا من قَعَدة الصُّفْرِيّة صَبْرًا — ثم دعاهم الصحارىّ إلى الوثوب معه فأجابه بعضهم ، وقال بعضهم : ننتظر (١) ؛ وأبى بعضهم وقالوا : نحن فى عافية ، فلما رأى ذلك قال :

لم أُردْ منه الفريضةَ إلّا(٢) طَمَعاً فى قتله أَنْ أنالا
فأُرِيحَ الأَرضَ منه ومِمّن عاثَ فيها وعَنِ الحقِّ مالا
كُلَّ جبارٍ عنيدٍ أَراهُ تَرَكَ الحق وَسَنَّ الضلالا
إنّنى شَارٍ بنفسى لربّى تَارِكٌ قِيلا لديهمْ وقالا
بَائعٌ أهلى ومَالِىَ أَرجو فى جنانِ الخلدِ أَهلاً ومالا

قال : فبايعه نحو من ثلاثين ، فسرَى بجَبُّل ، ثم سار حتى أتى المبارَك . فبلغ ذلك خالداً ، فقال : قد كنت خفتُها منه . ثم وجه إليه خالد جنداً ، فلقوه بناحية المنَاذِرِ ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم انطووا عليه فقتلوه وقتلوا جميع أصحابه(٣) .

* * *

٢/١٦٣٥ قال أبو جعفر : وحجّ بالناس فى هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام ابن عبد الملك ، وحجّ معه ابن شهاب الزُّهرىّ فى هذه السنة .

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام ، وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله القسرىّ ، وعامل خالد على خراسان أخوه أسد بن عبد الله .

وقد قيل : إنّ أخا خالد أسداً هلك فى هذه السنة ، واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهرانىّ .

وقيل : إنّ أسداً أخا خالد بن عبد الله إنّما هلك فى سنة عشرين ومائة .

وكان على أرْمينيَة وأذرَبيجان مَرْوان بن محمد .

---

(١) ب : « ننظر » . (٢) ب : «لم أرد قولى الفريضة » .
(٣) ح ، ف : « فقتلوه وجميع أصحابه » .

ثم دخلت سنة عشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصّائفة وافتتاحه — فيما ذكر — سندرة ، وغزوة إسحاق بن مسلم العُقيليّ وافتتاحه قلاع تُومانشاه وتخريبه أرضه ، وغزوة مَرْوان بن محمد أرض التّرك .

* * *

[خبر وفاة أسد بن عبد الله القسريّ]

وفيها كانت وفاة أسد بن عبد الله في قول المدائنيّ .

* ذكر الخبر عن سبب وفاته :

وكان سبب ذلك أنه كانت به — فيما ذكر — دُبَيْلة[1] في جوفه ؛ فحضر المِهرجان وهو ببلْخ ، فقدم عليه الأمراءُ والدّهاقين ؛ فكان ممن قدم عليه إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفيّ عامله على هَراة وخُراسان ، ودهقان هراة ؛ ٢/١٦٣٦ فقدِما بهديّة قُوّمت بألف ألف ؛ فكان فيما قدِما به قَصْران : قصر من فضّة وقصر من ذهب ، وأباريق من ذهب وأباريق من فضّة وصحاف[2] من ذهب وفضة ؛ فأقبلا وأسد جالس على السرير ، وأشراف خُراسان على الكراسيّ ، فوضعا القَصْرين ؛ ثم وضعا خلْفهمَا الأباريق والصِّحاف[3] والديباج المرويّ والقوهيّ والهرويّ وغير ذلك ؛ حتى امتلأ السماط ؛ وكان فيما جاء به الدّهقان أسداً كُرَة[4] من ذهَب ؛ ثم قام الدهقان خطيبًا ، فقال : أصلح الله الأمير ! إنّا معشر العَجم ؛ أكلنا الدّنيا أربعمائة سنة ؛ أكلناها بالحلْم والعقل والوقار ؛ ليس فينا كتاب ناطق ، ولا نبيّ مرسل ؛ وكانت الرّجال عندنا ثلاثة : ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله على يده ، والذى يليه رجل تمتّ مُروّته في بيته فإن كان كذلك رُجِيَ[5] وعُظِّم ، وقوّد وقدّم ؛ ورجل رحُب صدره ، وبسط

(١) الدبيلة : دمل كبير يظهر في الجوف . (٢) ح ، ف : « وصحائف » .
(٣) ح ، ف : « والصحائف » . (٤) ا : « أكرة » ، وهما بمعنى ، واللغة الجيدة « كرة » .
(٥) كذا في ا ، ب وفي ط : « رحب وحيى » .

يده فُرجِيَ ؛ فإذا كان كذلك قُوِّد وُقدِّم؛ وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة الذين أكلنا الدّنيا بهم أربعمائة سنة فيك أيها الأمير؛ ومانعلم أحداً هو
١٦٣٧/٢ أتمّ كَتَخُدانيّة منك ؛ إنك(١) ضبطتَ أهل بيتك وحشمك ومواليك ؛ فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدّى على صغير ولا كبير ، ولا غنيّ ولا فقير ، فهذا تمام الكُتْخدانيّة ، ثم بنيتَ الإيوانات فى المفاوز ؛ فيجىءُ الجائى من المشرق والآخر من المغرب ؛ فلا يجدان عيباً إلا أن يقولا : سبحان الله ما أحسن ما بُنى ! ومن يُمن نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو فى مائة ألف ، معه الحارث ابن سريج فهزمتَه وفللتَه(٢) ، وقتلت أصحابَه، وأبحت عسكره . وأما رُحْب صدرك وبَسْط يدك ، فإنّا ما ندرى أىّ المالين أقرّ لعينك؟ أمالٌ قدم عليك ، أم مال خرج من عندك! بل أنتَ بما خرج أقرّ عيناً . فضحك أسد، وقال: أنت خير دهاقين خُراسان وأحسنهم هديّة، وناوله تفاحة كانت فى يده ؛ وسجد له دِهْقان هَراة ، وأطرق أسد ينظر إلى تلك الهدايا ؛ فنظر عن يمينه ، فقال : يا عُذافر بن يزيد ، مُرْ من يحمل هذا القَصْر الذهب ، ثم قال : يا معن بن أحمر رأس قيس — أو قال قنّسرين — مرْ بهذا القصر يحمَل ، ثم قال : يا فلان خذ إبريقاً ، ويا فلان خذ إبريقاً ، وأعطى الصِّحاف(٣) حتى بقيت صحفتان ، فقال : قم يابن الصيداء ، فخذ صُحيفة(٤) ، قال :
١٦٣٨/٢ فأخذ واحدة فرزنها(٥) فوضعها، ثم أخذ الأخرى فرزنها، فقال له أسد: مالك؟ قال : آخذ أرزنهما ، قال : خذهما جميعاً ؛ وأعطى العُرَفاء وأصحاب البلاء ؛ فقام أبو اليعفور — وكان يسير أمام صاحب خراسان فى المغازى — فنادى: هلمّ إلى الطريق ، فقال أسد : ما أحسن ما ذكّرت بنفسك ! خذ ديباجتين ، وقام ميمون العذّاب فقال: إلىّ، إلى يساركم، إلى الجادّة؛ فقال: ما أحسن ما ذكّرت نفسك ! خذ ديباجة ، قال : فأعطى ما كان فى السماط كلّه ، فقال نهار بن تَوْسعة :

تقِلُّون إنْ نادى لِرَوعٍ مُثوِّبٌ وأنتم غداةَ المهرَجانِ كثيرُ

(١) ا ، ب : « لأنك » .
(٢) ابن الأثير : « وقتلته » .
(٣) ح ، ف : « الصحائف » .
(٤) ا ، ح : « صحفة » .
(٥) رزن الشىء : رفعه لينظر ما ثقله .

ثم مرض أسد ، فأفاق إفاقة فخرج يومًا ، فأتِىَ بكمّثرى أوّل ما جاء ، فأطعمَ الناس منه واحدة واحدة ؛ وأخذ كُمّثْراة فرمى بها إلى خراسان دهقان هراة ، فانقطعت الدُّبَيلة ، فهلك . واستخلف جعفرًا البهرانىّ ، وهو جعفر بن حنظلة سنة عشرين ومائة فعمل أربعة أشهر ، وجاء عهد نصر بن سيّار فى رجب سنة إحدى وعشرين ومائة ، فقال ابن عِرْس العبدىّ :

نَعَى أَسَدَ بنَ عبد اللهِ نَاعٍ فَرِيعَ القلبُ للملِكِ المُطاعِ
ببَلخٍ وافَقَ المِقدارُ يُسْرِى وما لقضاءِ ربك مِنْ دَفاعِ
فجودِى عَينُ بالعَبَراتِ سَحًّا أَلم يُحْزِنْكِ تَفرِيقُ الجماعِ !
أَتَاهُ حِمامُهُ فى جوف صِيغٍ[1] وكم بالصيغِ من بطلٍ شجاعِ !
كتائبُ قد يُجيبُونَ المنادى على جُرْدٍ مسوّمة سِراعِ ٢/١٦٣٩
سُقِيتَ الغيثَ إنّكَ كنت غيثاً مَريعاً عِندَ مُرْتَادِ النَّجاعِ

وقال سليمان بن قتّة مولى بنى تيم بن مرة — وكان صديقًا لأسد :

سَقَى اللهُ بلْخاً ، سَهْلَ بلخ وحَزْنَها ومَرْوَىْ خُراسانَ السَّحابَ المُجمَّمَا
ومَا بى لِتُسْقاهُ ولكنَّ حُفرَةً بها غَيَّبُوا شِلْوًا كريماً وأَعظُمَا
مُرَاجِمَ أَقوامٍ ومُرْدِى عَظيمةٍ وطَلَّابَ أَوتارٍ عِفَرْناً عَثَمْثَمَا
لقد كان يُعطِى السَّيفَ فى الرَّوْعِ حقَّهُ ويُرْوِى السنانَ الزَّاغِبىَّ المُقَوَّمَا

* * *

[أمر شيعة بنى العباس بخراسان]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة وجّهت شيعة بنى العباس بخراسان إلى محمد بن علىّ بن العباس سليمانَ بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه .

* ذكر الخبر عن سبب توجيههم سليمان إلى محمد :

وكان السبب فى ذلك موجِدة كانت من محمد بن علىّ علَى مَنْ كان بخُراسان من شيعته من أجل طاعتهم ، كانت لخداش الذى ذكرنا خبره قبل ٢/١٦٤٠
وقبولهم منه ما روى عليه من الكذب ؛ فترك مكاتبتهم ؛ فلما أبطأ عليهم

(١) ا : « صبغ » .

كتابَه ، اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم؛ فأجمعوا على الرِّضا بسليمان بن كَثير ليلقاه بأمرهم ، ويخبره عنهم ، ويرجع إليهم بما يردّ عليه ؛ فقدم — فيما ذُكر — سليمان بن كَثير على محمد بن علىّ وهو متنكّر لمن بخُراسان من شيعته، فأخبره عنهم ، فعنّفهم فى اتّباعهم خداشاً وما كان دعا إليه ، وقال : لعن الله خداشا ومَنْ كان على دينه ! ثم صرف سليمان إلى خراسان ، وكتب إليهم معه كتاباً ، فقدم عليهم، ومعه الكتاب مختوماً ، فَفَضّوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيئاً ، إلاّ : «بسم الله الرحمن الرحيم»، فغلظ ذلك عليهم وعلموا أنّ ما كان خداش أتاهم به لأمره مخالف .

وفى هذه السنة وجّه محمد بن علىّ بكير بن ماهان إلى شيعته بخُراسان بعد منصرَف سليمان بن كَثير من عنده إليهم ، وكتب معه إليهم كتاباً يعلمهم أن خِداشاً حمل شيعته على غير مِنهاجه . فقدم عليهم بكير بكتابه فلم يصدّقوه واستخفّوا به؛ فانصرف بكير إلى محمد بن علىّ ، فبعث معه بعصىّ مضبّبة بعضها بالحديد وبعضها بالشَّبَه ؛ فقدم بها بكير وجمع النقباء والشّيعة ، ودفع إلى كلّ رجل منهم عصاً ، فعلموا أنهم مخالفون لسيرته ، فرجعوا وتابوا .

• • •

وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالدَ بن عبد الله عن أعماله التى كان ولاه إياها كلّها .

ذكر سبب عزل هشام خالدًا

قد قيل فى ذلك أقوال ، نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره ؛ فممّا قيل فى ذلك : إن فرّوخ أبا المثنى كان قد تقبّل(١) من ضياع هشام بن عبد الملك بموضع يقال له رُستاق الرّمان أو نهر الرّمان — وكان يُدعى بذلك فرّوخ الرّمانىّ — فثقل مكانه على خالد ، فقال خالد لحسان (٢) النّبَطىّ : ويحك ! اخرج إلى أمير المؤمنين فزِدْ على فرّوخ ، فخرج فزاد عليه

(١) التقبل : أن يأخذ العامل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى .
(٢) فى ابن الأثير : «حيان» ؛ وكذلك فى كل ما يأتى بعد .

ألف ألف درهم ؛ فبعث هشام رجلين من صُلحاء أهل الشأم، فحازَا الضياع ، فصار حسان أثقلَ على خالد من فرّوخ ؛ فجعل يضرّ به ، فيقول له حسّان: لا تفسدنى وأنا صنيعتك ! فأبى إلاّ الإضرار به ، فلما قدم عليه بثق البثوق على الضّياع ، ثم خرج إلى هشام، فقال : إن خالداً بثَق البثُوق على ضياعك . فوجّه هشام رجلا ، فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره ، فقال حسان لخادم مِن خدم هشام : إن تكلّمتَ بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام، فلك عندى ألف دينار ، قال : فعجِّل لى الألف وأقول ما شئت ، قال : فعجّلها له وقال له : بَكِّ صبيًّا من صبيان هشام ؛ فإذا بكى فقل له : اسكت ؛ والله لكأنك ابنُ خالد القسرىّ الذى غلّته ثلاثة عشر ألف ألف . فسمعها هشام ٢/١٦٤٢
فأغضى عليها . ثم دخل عليه حسّان بعد ذلك ، فقال له هشام : ادنُ منى فدنا منه ، فقال : كم غلّة خالد ؟ قال : ثلاثة عشر ألف ألف ، قال : فكيف لم تخبرنى بهذا ! قال : وهل سألتَنى ؟ فوقرَتْ فى نفس هشام ، فأزمع على عزله .

وقيل : كان خالد يقول لابنه يزيد : ما أنت بدون مسلمة بن هشام ؛ فإنّك لتفخر علَى الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحدٌ : سكَرْتُ دجلة ولم يتكلّف ذلك أحد ، ولى سِقايةٌ بمكة ، ولى ولاية العراق .

وقيل : إنّما أغضب هشامًا على خالد أنّ رجلا من قريش دخل على خالد فاستخفّ به وعضّه بلسانه ، فكتب إلى هشام يشكوه ، فكتب هشام إلى خالد :

أمّا بعد ؛ فإنّ أمير المؤمنين – وإن كان أطلق لك يدك ورأيك فيمن استرعاك أمره ، واستحفظك عليه ، للّذى رجا من كفايتك، ووثِق به من حسن تدبيرك – لم يُفرشك[1] غُرّة أهل بيته لتطأه بقدميك، ولا تحدّ إليه بصرك ؛ فكيف بك وقد بسطت على غُرّتهم بالعراق لسانَك بالتوبيخ ؛ تريد بذلك تصغير خَطَره[2] ، واحتقار قدره ؛ زعمت بالنّصفة[3] منه حتى

(١) كذا فى ا ،ب، وفى ط: «لم يفترشك» . ولم يفرشك؛ أى لم يجعلهم لك بساطاً لتبسط نفوذك عليهم . (٢) الخطر : القدر ؛ وفى ب : « حظه » .
(٣) النصفة : الانتصاف .

١٦٤٣/٢ أخرجك ذلك إلى الإغلاظ فى اللفظ عليه فى مجلس العامة ، غير متحلحل[١] له حين رأيته مقبلا من صدر مهادك الذى مهد له الله، وفى قومك مَن يعلوك بحسبه ، ويغمرُك بأوّليته، فنلتَ مهادك بمارفع به آل عُمرو من ضَعَتك خاصّةً ، مساوين بك فروع غُرَر القبائل وقرومها[٢] قبَل أمير المؤمنين ؛ حتى حللتَ هضبةً أصبحتَ تنحو[٣] بها عليهم مفتخراً . هذا إن لم يدهده بك قلة شكرك متحطّماً وقيذاً[٤] . فهلا — يابن مجرّشة[٥] قومك — أعظمت رجلَتهم عليك داخلا ، ووسّعت مجلسه إذ رأيته إليك مقبلاً ، وتجافيتَ له عن صدر فراشك مكرّماً ، ثم فاوضته مقبلا ببِشْرك ، إكراماً لأمير المؤمنين، فإذا اطمأنّ به مجلسه نازعته بحيِيّ السرار[٦] ، معظّماً لقرابته، عارفاً لحقه؛ فهو سِنّ البيتَيْن ونابهم[٧] ، وابن شيخ آل أبى العاص وحَرْبٍ وغُرّتهم . وبالله يقسم أمير المؤمنين لك لولا ما تقدّم من حُرُمَتك وما يكره من شماتة عدوك بك لوضع[٨] منك ما رفع ؛ حتى يردّك إلى حال تفتقد بها أهلَ الحوائج بعراقك ، وتزاحم المواكب ببابك[٩] . وما أقربنى من أن أجعلك

١٦٤٤/٢ تابعاً لمن كان لك تبَعاً ؛ فانهض على أىّ حالٍ ألفاك رسولُ أمير المؤمنين وكتابُه، من ليل أو نهار، ماشياً على قدمك بمن معك من خَوَلك[١٠] ؛ حتى تقف على باب ابن عمرو صاغراً[١١] ، مستأذناً عليه، متنصّلا إليه ؛ أذِن لك أو منعك؛ فإن حركتْه عواطف رحمة احتملك، وإن احتملتْه أنَفة وحميّة[١٢] من دخولك عليك فقف ببابه حَوْلا غير متحلحل ولا زائل؛ ثم أمرُك بعدُ إليه؛ عزل[١٣] أو ولّى، انتصر[١٤] أو عفا؛ فلعنك الله من متّكل عليه بالثقة؛ ما أكثر هفواتك ، وأقذع[١٥] لأهل الشرف ألفاظك ؛ التى لا تزال تبلغ أمير المؤمنين

---

(١) غير متحلحل ؛ أى غير متزحزح ؛ يقال : حلحله ؛ إذا أزاله عن مكانه .
(٢) القروم : جمع قرم ؛ وهو السيد . (٣) تنحو بها ؛ أى تطل وتشرف .
(٤) دهده الحجر فتدهده : دحرجه فتدحرج ، والوقيذ : الصريع .
(٥) المجرشة : الماشطة ؛ يقال : جرش رأسه بالمشط ؛ إذا حكه .
(٦) السرار : المسارة ؛ أى جادلته فى سرار مقرون بالحياء .
(٧) ناب القوم : سيدهم . (٨) ح : « لحط » .
(٩) ف : « على بابك » . (١٠) الخول : الحاشية .
(١١) صاغراً : ذليلا . (١٢) ح ، ف : « حميته وأنفته » .
(١٣) ف : « عزلك » . (١٤) ح : « وانتصر » .
(١٥) القذع : الخنا والفحش .

من إقدامك بها علَى مَنْ هو أولى بما أنت فيه من ولاية مِصْرَيِ العراق ، وأقدم وأقوم . وقد كتب أمير المؤمنين إلى ابن عمّه بما كتب به إليك من إنكاره عليك ، ليرى فى العفو عنك والسخط عليك رأيه ، مفوّضًا ذلك إليه مبسوطة فيه يدُه ، محموداً عند أمير المؤمنين على أيّهما آتى إليك ، موفقًا إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى ابن عمرو[1] :

أما بعد ، فقد بلغ أميرَ المؤمنين كتابُك ، وفهِم ما ذكرت من بَسْطِ خالد عليك لسانَه فى مجلسِ العامة محتقِراً لقَدْرك ، مستصغراً لقرابتك من أمير المؤمنين ، وعواطف رحِمه عليك وإمساكِك عنه ، تعظيماً لأمير المؤمنين وسلطانه ، وتمسكًا بوثائق عِصَم[2] طاعته، مع مؤلم ما تداخلك من قبائح ألفاظه وشرارة منطقه ، وإكثابه عليك عند إطراقك عنه ، مروّياً فيما أطلق أمير المؤمنين من لسانه[3] ،وأطالَ من عنانه، ورفع من ضعته، ونوّه من خموله ؛ وكذلك أنتم آل سعيد فى مثلها عند هَذْر الذّنابى[4] وطائشةِ أحلامها ، صُمْتٌ من غير إفحام، بل بأحلام تَخِفّ بالجبال[5] وزناً . وقد حمِد أمير المؤمنين تعظيمَك إياه ، وتوقيرك سلطانه وشكره ؛ وقد جعل أمر خالد إليك فى عزلك إياه أو إقراره[6] ؛ فإن عزلتَه أمضى عزلك إيّاه، وإن أقررتَه فتلك منّة لك عليه لا يشركك أمير المؤمنين فيها . وقد كتب إليه أمير المؤمنين بما يطردعنه سِنَةَالهاجع عند وصوله إليه، يأمره بإتيانك راجلاً على أيّة حال صادفه كتابُ أمير المؤمنين فيها ، وألفاه رسولُه الموجّه إليه من ليله أو نهاره ، حتّى يقف ببابك ؛ أذنت له أوحجبته، أقررتَه أو عزلته ،وتقدّم أمير المؤمنين إلى رسوله فى ضربه بين يديك على رأسه عشرين سوطًا إلا أن تكره أن يناله ٢/١٦٤٥

(١) فى ابن الأثير : «رجل من آل عمرو بن سعيد بن العاص» ، وهو القرشى الذى دخل على خالد ، وانظر ص ١٤٣ .

(٢) العصم : جمع عصمة ؛ وهى ما يعتصم به من عقد أو سبب .

(٣) الشرارة : مصدر ؛ كالشر ، وأكثب عليه : حمل وكر ، وروى فى الأمر : نظر وفكر .

(٤) هذر فى كلامه ، كضرب ونصر : هذى ، والذنابى : أذناب الناس وسفلتهم .

(٥) أى تخف وزن الجبال ؛ وفى ط : «تحف» ، تحريف .

(٦) ح : «وإقراره» .

ذلك بسببك لحرمة خدمته؛ فأيّهما رأيت إمضاءه كان لأمير المؤمنين فى برّك وعظم حُرْمتك وقرابتك وصلة رحمك موافقًا ، وإليه حبيبًا ، فيما ينوى من قضاء حقّ آل أبى العاص وسعيد . فكاتبْ أميرَ المؤمنين فيما بدا لك مبتدئًا ومجيبًا[1] ومحادثًا وطالبًا ؛ ما عسى أن يُنزل بك أهلك من أهل بيت أمير المؤمنين من
٢/١٦٤٦ حوائجهم التى تقعد بهم الحشمة عن تناولها من قبَله لبعد دارهم عنه ، وقلة إمكان الخروج لإنزالها به؛ غير محتشم من أمير المؤمنين ، ولا مستوحش من تكرارها عليه ، على قَدْرِ قرابتهم وأديانهم[2] وأنسابهم ، مستمنحاً[3] ومسترفداً ، وطالبًا مستزيداً. تجد أمير المؤمنين إليك سريعًا بالبرّ لما يحاول من صلة قرابتهم ، وقضاء حقوقهم ، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوى ، وإليه يرغب فى العَوْن على قضاء حقّ قرابته ، وعليه يتوكّل ، وبه يثق. والله وليّه ومولاه . والسلام .

* * *

وقيل : إنّ خالداً كان كثيراً ما يذكر هشامًا ، فيقول: ابن الحمقاء. وكانت أم هشام تستحمق ، وقد ذكرنا خبرها قبلُ .

وذكر أنه كتب إلى هشام كتابًا غاظه ، فكتب إليه هشام : يا بن أمّ خالد؛ قد بلغنى أنك تقول: ما ولاية العراق لى بشرف ؛ فيابن اللخناء، كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفًا ، وأنت مِنْ بَجيلة القليلة الذليلة ! أما والله إنى لأظنّ أنّ أوّل من يأتيك صغير من قريش ؛ يشدّ يديك إلى عنقك .

وذكر أن هشاماً كتب إليه : قد بلغنى قولك : أنا خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز ؛ ما أنا بأشرف الخمسة. أما والله لأردّنك إلى بَغْلتِك
٢/١٦٤٧ وطَيْلسانك الفيروزىّ .

وذكر أن هشاماً بلغه أنه يقول لابنه : كيف أنت إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين ! فظهر الغضب فى وجهه .

وقيل : إن هشاماً قدم عليه رجل من أهل الشأم ، فقال : إنى سمعت خالداً ذكر أمير المؤمنين بما لا تنطلق به الشفتان ؛ قال : قال : الأحول ؟ قال : لا ، بل قال أشدّ من ذلك ، قال : فما هو ؟ قال : لا أقوله أبداً ،

---

(١) ب : « ومجنباً » . (٢) ب « وأذنابهم » ، ف : « وأربابهم » .
(٣) ف : « مستميحاً » .

فلم يزل يبلغه عنه ما يكره حتّى تغيّر له[1] .

وذكر أن دهقاناً دخل على خالد، فقال: أيّها الأمير ، إنّ غلة ابنك قد زادت على عشرة آلاف ألف؛ ولا آمنُ أن يبلغ هذا أمير المؤمنين فيستكثره[2]. وإنّ الناس يحبون جسدَك ، وأنا أحبّ جسدك وروحَك؛ قال : إن أسد بن عبد الله قد كلّمنى بمثل هذا، فأنت أمرته ؟ قال: نعم ، قال : ويحك ! دع ابنى ، فلربما طلب الدّرْهم فلم يقدر عليه .

ثم عزم هشام — لما كثر عليه ما يتّصل به عن خالد من الأمور التى كان يكرهها — على عزله ؛ فلما عزم على ذلك أخفى ما قد عزم له عليه من أمره .

* * *

ذكر الخبر عن عمل هشام
فى عزل خالد حين صحّ عزمُه على عزله

ذكر عمر أن عُبيد بن جنّاد حدّثه أنه سمع أباه وبعض الكتبة يذكر أن هشاماً أخفى عَزْل خالد ، وكتب إلى يوسف بخطّه — وهو على اليمن — أن ٢/١٦٤٨
يُقبِل فى ثلاثين من أصحابه. فخرج يوسف حتّى صار إلى الكوفة ، فعرّس قريباً منها ، وقد ختن طارق — خليفة خالد على الخراج — ولدَه؛ فأهدى له ألف عتيق وألف وصيف وألف وصيفة ؛ سوى الأموال والثياب وغير ذلك؛ فمرّ العاسّ بيوسف وأصحابه ويوسف يصلى ورائحة الطيب تنفح من ثيابه ، فقال : ما أنتم ؟ قالوا : سفّار[3]؛ قال : فأين تريدون ؟ قالوا : بعض المواضع ، فأتوا طارقاً وأصحابَه ، فقالوا : إنا رأينا قوماً أنكرناهم ، والرأى أن نقتلهم ، فإن كانوا خوارجَ استرحنا منهم ؛ وإن كانوا يريدونكم عرفتم ذلك فاستعددتم على أمرهم . فنهوْهم عن قتلهم ؛ فطافوا ؛ فلما كان فى السَّحر وقد انتقل يوسف وصار إلى دور ثَقيف ، فمرّ بهم العاسّ ، فقال : ما أنتم ؟ فقالوا : سفّار ، قال : فأين تريدون ؟ قالوا : بعض المواضع ، فأتوا طارقاً وأصحابه ، فقالوا : قد صاروا إلى دور ثَقيف والرأى أن نقتلهم ، فمنعوهم وأمر يوسف بعض الثّقفيّين ، فقال : اجمع لى مَن بها من مُضر . ففعل، فدخل المسجد مع

---

(١) ف : «عليه» . (٢) ب : «فيتنكر له ويستكثره» .
(٣) كذا فى ا ، ب ، وفى ط : «أسفار» ، وأسفار وسفار : ذوو سفر .

١٦٤٩/٢ الفجرْ ، فأمر المؤذّن بالإقامة ، فقال : حتى يأتى الإمام؛ فانتهره فأقام، وتقدّم يوسف فقرأ: « إذا وقعت الواقعة » ، و« سأل سائل» ، ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما ، فأخِذوا وإنّ القُدور لتغلِى .

قال عمر : قال علىّ بن محمد ، قال : قال الربيع بن سابور مولى بنى الحَريش – وكان هشام جعل إليه الخاتم مع الحرس : أتى هشاماً كتابُ خالد فغاظه[1] ، وقدم عليه فى ذلك اليوم جندب مولى يوسف بن عمر بكتاب يوسف ، فقرأه ثم قال لسالم مولى عنبسة بن عبد الملك : أجِبْه عن لسانك ، وكتب هو بخطّه كتاباً صغيراً ، ثم قال لى : ائتنى بكتاب سالم – وكان سالم على الديوان – فأتيتُه به ، فأدرج فيه الكتاب الصّغير ، ثم قال لى : اختمه ففعلت ، ثم دعا برسول يوسف ، فقال : إن صاحبك لمتعدٍّ طوْره ، ويسأل فوق قدره ؛ ثم قال لى : مزِّق ثيابَه . ثم أمر به فضرب أسواطاً ، فقال : أخرجه عنّى وادفع إليه كتابه . فدفعتُ إليه الكتاب ، وقلت له : ويلك !
١٦٥٠/٢ النّجاء ! فارتاب بَشير بن أبى ثلجة من أهل الأردنّ ، وكان خليفة سالم وقال : هذه حيلة ؛ وقد ولِّى يوسف العراق ؛ فكتب إلى عامل لسالم على أجَمَة سالم ، يقال له عياض : إنّ أهلك قد بعثوا إليك بالثّوب اليمانىّ ؛ فإذا أتاك فالبسه واحمدَ الله ، وأعلم ذلك طارقاً . فبعث عياض إلى طارق بن أبى زياد بالكتاب ، وندم بشير على كتابه ، وكتب إلى عياض : إنّ أهلك قد بدا لهم فى إمساك الثوب[2] فلا تتكل عليه ؛ فجاء عياض بالكتاب الآخر إلى طارق ، فقال طارق : الخبر فى الكتاب الأوّل ؛ ولكن صاحبك ندم وخاف أن يظهر الخبر فكتب بهذا . وركب طارق من الكوفة إلى خالد وهو بواسط ؛ فسار يوماً وليلة ، فصبّحهم ، فرآه داود البربرى – وكان على حجابة خالد وحرسه وعلى ديوان الرسائل – فأعلم خالداً ، فغضب ، وقال: قدم بغير إذن ؛ فأذن له، فلمّا رآه قال : ما أقدمك؟ قال : أمرٌ كنت أخطأت فيه ؛ قال : وما هو ؟ قال : وفاة أسد رحمه الله ، كتبتُ إلى الأمير أعزّيه عنه ، وإنما كان ينبغى لى أن آتيَه ماشياً . فرقّ خالد ودمعت عيناه، وقال : ارجع إلى عملك ؛

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « غاظه » . (٢) ابن الأثير : « إرسال الثوب » .

قال : أردت أن أذكر للأمير أمراً أسِرُّه ، قال : ما دون داود سرّ ، قال : أمر من أمرى ، فغضب داود وخرج ، وأخبر طارق خالداً ، قال : فما الرأى ؟ قال : تركب إلى أمير المؤمنين فتعتذر إليه من شىء إن كان بلغه عنك . قال : فبئس الرجل أنا إذاً إن ركبت إليه بغير إذنه ، قال : فشىء آخر ، قال : وما هو ؟ قال: تسير فى عملك، وأتقدّمك[1] إلى الشأم ، ٢/١٦٥١
فأستأذِ نه لك ؛ فإنك لا تبلغ أقصى [2] عملك حتى يأتيَكَ إذنه ، قال : ولا هذا ، قال : فأذهب فأضمن لأمير المؤمنين جميعَ ما انكسر فى هذه السنين وآتيك بعهدك مستقبلا[3] ، قال : وما يبلغ [4] ذاك ؟ قال : مائة ألف ألف ، قال : ومِن أين آخذ[5] هذا ! والله ما أجدُ عشرة آلاف درهم ، قال : أتحمّل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم، والزينبىّ وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف ؛ وتفرّق الباقى على العمال ، قال : إنى إذاً للئيم، أن كنت سوّغتُ قوماً شيئاً ثم أرجع فيه ، فقال طارق : إنما نقيك ونقى أنفسنا بأموالنا ونستأنف الدنيا ، وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من أن يجىء مَن يطالبنا بالأموال ؛ وهى عند تجار أهل الكوفة ، فيتقاعسون ويتربّصون بنا فنقتل ، ويأكلون تلك الأموال . فأبى خالد فودّعه طارق وبكى ، وقال: هذا آخر ما نلتقى فى الدنيا ؛ ومضى .

ودخل داود ، فأخبره خالد بقول طارق ، فقال : قد علم أنك لا تخرج بغير إذن ؛ فأراد أن يختلك ويأتى الشأم ، فيتقبّل بالعراق هو وابن أخيه سعيد بن راشد . فرجع طارق إلى الكوفة ، وخرج خالد إلى الحمّة[6] .

قال : وقدم رسول يوسف عليه اليمن ، فقال له : ما وراءك ؟ قال : الشرّ ، أمير المؤمنين ساخط ، وقد ضربنى ولم يكتب جواب كتابك ، وهذا ٢/١٦٥٢
كتاب سالم صاحب الديوان . ففضّ الكتاب فقرأه ، فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه : أن سرْ إلى العراق فقد وليتك إياه ، وإياك أن يعلم بذلك أحد ؛ وخذ ابنَ النصرانيّة وعمّاله فاشفنى منهم ؛ فقال يوسف : انظروا

---

(١) ف : « وأتقدمه » . (٢) ب : « آخر » .
(٣) ب : « مستقلا » . (٤) ف : « بلغ » .
(٥) ف : « أجد » . (٦) ابن الأثير : « الجمة » ؛ وكذلك ما بعدها .

دليلاً عالمًا بالطريق ، فأتِى بعدّة ، فاختار منهم رجلا وسار من يومه ، واستخلف على اليمن ابنَه الصّلت فشيّعه ؛ فلما أراد أن ينصرف سأله : أين تريد ؟ فضربه مائة سوط ، وقال : يابن اللخناء ، أيخفى عليك إذا استقرّ بى منزل ، فسار ، فكان إذا أتى إلى طريقين سأل ، فإذا قيل : هذا إلى العراق ، قال : أعرِق ، حتى أتى الكوفة .

قال عمر : قال علىّ عن بشر بن عيسى ، عن أبيه ، قال : قال حسان النَّبَطىّ : هيأتُ لهشام طيباً ، فإنى لبين يديه وهو ينظر إلى ذلك الطِّيب إذ قال لى : يا حسان ، فى كم يقدم القادم من العراق إلى اليمن ؟ قال : قلتُ : لا أدرى ، فقال :

أَمَرْتُكَ أمرًا حازِماً فَعَصَيْتَنى فأَصبحْتَ مَسلوبَ الإمارَة نادِما

قال : فلم يلبث إلا قليلا حتى جاء كتاب يوسف من العراق قد قدمها ؛ وذلك فى جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة .

قال عمر : قال علىّ : قال سالم زنبيل : لما صرنا إلى النَّجف قال لى يوسف : انطلق فأتنى بطارق ؛ فلم أستطع أن آبَى عليه ، وقلت فى نفسى : ٢/١٦٥٣
مَنْ لى بطارق فى سلطانه ! ثم أتيت الكوفة ، فقلت لغلمان طارق : استأذنوا لى علَى طارق ، فضربونى فصِحْتُ له : ويلك يا طارق ! أنا سالم رسول يوسف ، وقد قدم على العراق . فخرج فصاح بالغلمان ، وقال : أنا آتيه .

قال : وروى أنّ يوسف قال لكيسان : انطلق فأتنى بطارق ؛ فإنْ كان قد أقبل فاحمله على إكاف ، وإن لم يكن أقبل فأت بـه سَحبًا . قال : فأتيته بالحيرة دارعبد المسيح — وهو سيّد أهل الحيرة — فقلت له : إنّ يوسف قد قدم على العراق ؛ وهو يأمرك أن تشدّ طارقاً وتأتيَه به ؛ فخرج هو وولده وغلمانه حتى أتوْا منزل طارق — وكان لطارق غلام شجاع معه غلمان شجعاء لهم سلاح وعدّة — فقال لطارق : إن أذِنْتَ لى خرجت إلى هؤلاء فيمن معى فقتلتُهم ، ثم طرتَ على وجهك . فذهبتَ حيث شئت . قال : فأذن لكيسان ، فقال : أخبِرْنى عن الأمير ، يريد المال ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنا أعطيه ما سأل ؛ وأقبلوا إلى يوسف فتوافوْا بالحيرة ، فلما عاينه ضربه ضربًا مبرّحًا

– يقال خمسمائة سوط – ودخل الكوفة ، وأرسل عطاء بن مقدّم إلى خالد بالحمّة .

قال عطاء : فأتيتُ الحاجب فقلتُ : استأذِنْ لى على أبى الهيثم ، فدخل وهو متغيّر الوجه[1]، فقال له خالد : مالك ؟ قال : خير ، قال : ما عندك خير ، قال : عطاء بن مقدّم ، قال : استأذن لى على أبى الهيثم ، فقال : ائذن له ، فدخلت[2] : فقال : ويل أمها سُخْطة ! قال : فلم أستقرّ حتى دخل الحكَم بن الصَّلْت ، فقعد معه ، فقال له خالد : ما كان ليلى علىّ أحد هو أحبّ إلىّ منكم . ٢/١٦٥٤

وخطب يوسف بالكوفة ، فقال : إن أمير المؤمنين أمرنى بأخذ عمال ابن النصرانيّة ، وأن أشفيَه منهم ، وسأفعل وأزيد والله يا أهل العراق ؛ ولأقتلنّ منافقيكم بالسيف وجُناتكم بالعذاب وفسّاقكم . ثم نزل ومضى إلى واسط ، وأتِىَ بخالد وهو بواسط .

قال عمر : قال حدثنى الحكم بن النّضر : قال : سمعت أبا عبيدة يقول : لما حبس يوسف خالداً صالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابُه على تسعة آلاف ألف درهم ، ثم ندم يوسف ، وقيل له : لو لم تفعل لأخذتَ منه مائة ألف ألف درهم . قال : ما كنت لأرجع وقد رهنت لسانى بشىء . وأخبر أصحاب خالد خالداً ، فقال : قد أسأتم حين أعطيتموه عند أوّل وَهْلة تسعة آلاف ألف ، ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم ، فارجعوا . فجاءوا فقالوا : إنا قد أخبرنا خالداً فلم يرضَ بما ضمنّا ، وأخبرنا أنّ المال لا يمكنه ، فقال : أنتم أعلم وصاحبكم ؛ فأما أنا فلا أرجع عليكم ؛ فإن رجعتم لم أمنعكم ، قالوا : فإنا قد رجعنا ، قال : وقد[3] فعلتم ! قالوا : نعم ، قال : فمنكم أتى النقض ؛ فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا مثليْها ولا مثلها ، فأخذ أكثر من ذلك . وقد قيل : إنه أخذ مائة ألف ألف . ٢/١٦٥٥

وذكر الهيثم بن عدىّ ، عن ابن عياش ، أنّ هشاماً أزمع على عزْل خالد ، وكان سبب ذلك أنه اعتقد بالعراق أموالا وحفر أنهاراً ؛ حتى بلغت

---

(١) ابن الأثير : « اللون » . (٢) ا ، ب : « فدخل » .
(٣) ف : « أفقد » .

غلّته عشرين ألف ألف ؛ منها نهر خالد ، وكان يُغلّ خمسة آلاف ألف وباجوّى وبارُمّانا والمبارك والجامع وكُورة سابور والصّلح ، وكان كثيراً ما يقول : إنني والله مظلوم ؛ ما تحت قدميّ من شيء إلا وهو لى — يعنى أن عمر جعل لبَجيلة ربع السواد .

قال الهيثم بن عدىّ : أخبرنى الحسن بن عمارة ، عن العُريان بن الهيثم ، قال : كنت كثيراً ما أقول لأصحابى : إنّى أحسب[1] هذا الرجل قد تخلّى منه ؛ إن قريشاً لا تحتمل هذا ونحوه[2] ؛ وهم أهل حسد ، وهذا يُظهر ما يُظهر ، فقلتُ له يوماً : أيها الأمير ؛ إنّ الناس قد رمَوْك بأبصارهم ، وهى قريش ، وليس بينك وبينها إلّ[3] ، وهم يجدون منك بُدّاً ؛ وأنت لا تجد منهم بُدّاً ؛
٢/١٦٥٦ فأنشدك الله إلا ما كتبت إلى هشام تخبره عن أموالك ، وتعرض عليه منها ما أحبّ ؛ فما أقدرك على أن تتخذ مثلها ؛ وهو لا يستفسدك ؛ وإن كان حريصاً على ذلك فلعمرى لأنْ يذهب بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها ؛ وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ، ولا آمن أن يأتيَه باغ أو حاسد[4] فيقبل منه ؛ فلأنْ تعطيَه طائعاً خير من أن تعطيَه كارهاً . فقال : ما أنت بمتّهم ؛ ولا يكون ذلك أبداً . قال : فقلت أطعنى واجعلنى رسولك ، فوالله لا يحلّ عقدةً إلا شددتها ، ولا يشدّ عقدة إلا حللتها . قال : إنّا والله لا نعطى على الذلّ ، قال : قلتُ : هل كانت لك هذه الضياع إلا فى سلطانه! وهل تستطيع الامتناع منه إن أخذها ! قال : لا ، قلتُ : فبادره ، فإنه يحفظها لك ويشكرك عليها ؛ ولو لم تكن له عندك يد إلاّ ما ابتدأك به كنت جديراً أن تحفظه ، قال : لا والله لا يكون ذلك أبداً ، قال : قلتُ فما كنتَ صانعاً إذا عزلك وأخذ ضياعك فاصنعه ، فإنّ إخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا[5] لك ، وأكثروا عليه فيك ، ولك صنائع تعود عليهم بما بدا لك ، ثم استدرك
٢/١٦٥٧ استتمام ما كان منك إلى صنائعك من هشام . قال : قد أبصرتُ ما تقول وليس إلى ذلك سبيل . وكان العريان يقول : كأنكم به قد عُزِل ، وأخذ ما له

(١) ف : « لأحسب » . (٢) ح ، ف : « ولا نحوه » . (٣) الإل : الحلف والعهد .
(٤) ب ، ح : « وحاسد » . (٥) أ : « شنعوا » .

وتجُنّىَ عليه ثم لا ينتفع بشىء . قال : فكان كذلك .

قال الهيثم : وحدّثنى ابن عيّاش ، أنّ بلال بن أبى بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتّب هشام عليه : إنّه حدَث أمر لا أجد بدًّا من مشافهتك فيه (١) ؛ فإن رأيتَ أن تأذن لى ؛ فإنما هى ليلة ويومها إليك ، ويوم عندك، وليلة ويومها منصرفًا . فكتب إليه(٢) : أن أقبِلْ إذا شئت . فركب هو ومَوليان له الجمّازات؛ فسار يومًا وليلة ، ثم صلى المغرب بالكوفة ؛ وهى ثمانون فرسخًا ، فأخبِر خالد بمكانه ، فأتاه وقد تعصّب ، فقال : أبا عمرو ، أتعبتَ نفسك ، قال : أجل ، قال : متى عهدُك بالبصرة ؟ قال : أمسِ ، قال : أحقٌ ما تقول ! قال : هو والله ما قلت ، قال : فما أنصبك؟ قال : ما بلغنى من تعتّب أمير المؤمنين وقوله ، وما بغاك به ولدُه وأهل بيته؛ فإنْ رأيت أن أتعرّض له وأعرض عليه بعض أموالنا ، ثم ندعوه منها إلى ما أحبّ وأنفسنا به طيّبة ، ثم أعرض عليه مالك ، فما أخذ منه فعلينا العوض منه بعد . قال : ما أتّهمك وحتى أنظر ؛ قال : إنى أخاف أن تعاجَل(٣) ، قال : كلا ، قال : إن قريشاً من قد عرفتَ ، ولا سيما سرعتهم إليك قال : يا بلال ؛ إنى والله ما أعطى شيئاً قسراً أبداً . قال أيها الأمير ، ١٦٥٨/٢
أتكلم ؟ قال : نعم ، قال : إن هشاماً أعذر منك ، يقول : استعملتُك . وليس لك شىء، فلم تر من الحق عليك أن تعرض علىّ بعض ما صار إليك ؛ وأخاف أن يزيّن له حسان النّبطىّ ما لا تستطيع إدراكه ، فاغتنم هذه الفترة . قال : أنا ناظر فى ذلك فانصرف راشداً . فانصرف بلال وهو يقول : كأنكم بهذا الرجل قدبُعث إليه رجل بعيد أتىّ(٤) ، به حمَز(٥) ، بغيض النفس سخيف الدّين ، قليل الحياء ، يأخذه بالإحَن والترات . فكان كما قال .

قال ابن عياش : وكان بلال قد اتخذ داراً بالكوفة ، وإنما استأذن خالدًا لينظر إلى داره ، فما نزلها إلّا مقيّداً ، ثم جُعلت سِجْنًا إلى اليوم .

---

(١) ف : « به » .
(٢) ح : « فاكتب » .
(٣) ا ، ح : « يعاجل » .
(٤) الأتىّ : الدخيل فى القوم .
(٥) الحمز : الشدة .

قال ابن عيّاش : كان خالد يخطب فيقول : إنكم زعمتم أنّى أُغْلِى أسعاركم ؛ فعلى مَن يغليها لعنة الله ! وكان هشام كتب إلى خالد لا تبيعنّ من الغلّات شيئاً حتّى تباع غلّات أمير المؤمنين حتّى بلغت كيلجة درهماً(١) .

قال الهيثم ، عن ابن عياش : كانت ولاية خالد فى شوال سنة خمس ومائة ثم عزل فى جُمادى الأولى سنة عشرين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة قدم يوسف بن عمر العراق والياً عليها ، وقد ذكرت قبل سبب ولايته عليها .

١٦٥٩/٢ وفى هذه السنة ولّى خُراسانَ يوسفُ بن عمر جُديْعَ بن علىّ الكِرْمانىّ وعزل جعفر بن حنظلة .

وقيل : إنّ يوسف لما قدم العراق أراد أن يولّىَ خراسان سَلْم بن قُتيبة ، فكتب بذلك إلى هشام ، ويستأذنه فيه ، فكتب إليه هشام : إنّ سلم بن قتيبة رجل ليس له بخراسان عشيرة ؛ ولو كان له بها عشيرة لم يقتَل بها أبوه .

وقيل إنّ يوسف كتب إلى الكِرمانىّ بولاية خُراسان مع رجل من بنى سُليم وهو بمَرْو ؛ فخرج إلى الناس يخطبهم ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وذكر أسداً وقدومه خراسان ، وما كانوا فيه من الجهد والفتنة ، وما صُنع لهم على يديه . ثم ذكر أخاه خالداً بالجميل ، وأثنى عليه ؛ وذكر قدوم يوسف العراق ، وحثّ الناس على الطاعة ولزوم الجماعة ، ثم قال : غفر الله للميت — يعنى أسداً — وعافى الله المعزول ، وبارك للقادم . ثم نزل .

* * *

وفى هذه السنة عُزِل الكِرمانىّ عن خراسان ، ووليَها نصر بن سيار بن ليث بن رافع بن ربيعة بن جُرَىّ بن عوف بن عامر بن جُندع بن ليْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وأمّه زينب بنت حسان من بنى تَغلِب .

* * *

ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيّار خُراسان

١٦٦٠/٢ ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه أنّ وفاة أسد بن عبد الله لما انتهت إلى

(١) الكيلجة : مكيال عندهم .

هشام بن عبد الملك استشار أصحابَه فى رجل يصلح لخُراسان ؛ فأشاروا عليه بأقوام ، وكتبوا له أسماءهم ؛ فكان ممن كتِب له عثمان بن عبد الله بن الشِّخِّير ويحيى بن حضين بن المنذر الرقاشىّ ونصر بن سيار الليثىّ وقَطَن بن قتيبة بن مسلم والمجشّر بن مزاحم السُّلمىّ أحد بنى حَرَام ؛ فأما عثمان بن عبد الله ابن الشِّخّير ، فقيل له : إنه صاحب شراب ، وقيل له : المجشّر شيخ ِهمّ ، وقيل له : ابن حُضَين رجل فيه تيه وعَظَمة ، وقيل له : قطن بن قتيبة موتور ؛ فاختار نصر بن سيّار ؛ فقيل له : ليست له بها عشيرة ، فقال هشام : أنا عشيرته . فولاّه وبعث بعهده مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهِفانىّ ؛ هفان بن عدىّ بن حنيفة . فأقبل عبد الكريم بعهده ، ومعه أبو المهند كاتبه مولى بنى حَنيفة ، فلما قدم سَرَخْس ولا يعلم به(١) أحد ، وعلى سَرَخْس حفص بن عمر بن عبّاد التيمى أخو تميم بن عمر ، فأخبره أبو المهند ، فوجّه حفص رسولاً ، فحمله إلى نصر ، ونفذ ابن سليط إلى مَرْو ، فأخبر أبو المهند الكرمانىّ ، فوجّه الكرمانىّ نصر بن حبيب بن بحر بن ماسك بن عمر الكرمانىّ إلى نصر بن سيار ، فسبق رسول حفص إلى نصر بن سيار ؛ فكان ١٦٦١/٢
أوّل مَنْ سلم عليه بالإمْرة ، فقال له نصر : لعلك شاعر مكّار ! فدفع إليه الكتاب . وكان جعفر بن حنظلة ولّى عمرو بن مسلم مَرْو ، وعزل الكرمانىّ وولّى منصور بن عمر(٢) أبرشهر ، وولّى نصر بن سيار بخارى ، فقال جعفر ابن حنظلة : دعوتُ نصراً قبل أن يأتيه عهده بأيام ؛ فعرضتُ عليه أن أولّيه بخارى ، فشاور البخترىّ بن مجاهد ، فقال له البخترىّ ، وهو مولى بنى شيبان : لا تقبلها ، قال : ولمَ ؟ قال : لأنك شيخ مُضَر بخُراسان ؛ فكأنك بعهدك قد جاء على خُراسان كلها ؛ فلما أتاه عهده بعث إلى البخترىّ فقال البخترى لأصحابه : قد ولى نصر بن سيار خُراسان ؛ فلما أتاه سلم عليه بالإمْرة ، فقال له : أنّى علمت ؟ قال : لما بعثتَ إلىّ ، وكنتَ قبل ذلك تأتينى ، علمتُ أنك قد وليت .

قال : وقد قيل إنّ هشاماً قال لعبد الكريم حين أتاه خبرُ أسد بن عبدالله بموته : مَنْ ترى أن نولّىَ خراسان ، فقد بلغنى أنّ لك بها وبأهلها علماً ؟

(١) ا : « بها » . (٢) ط : « عمرو » ؛ وهو خطأ .

قال عبد الكريم : قلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ أمّا رجلُ خراسان حزماً ونجْدة
فالكِرمانىّ ؛ فأعرض بوجهه ، وقال : ما اسمه ؟ قلت : جُدَيع بن علىّ ،
٢/١٦٦٢ قال : لا حاجة لى فيه ؛ وتطيّر ، وقال : سَمِّ لى غيره ، قلت : اللسِن[1]
المجرّب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانىّ أبو الميلاء، قال : ربيعة لا تُسَدّ بها
الثغور — قال عبد الكريم : فقلت فى نفسى : كره ربيعة واليمن ، فأرميه
بمُضَر — فقلت : عقيل بن معقل الليثىّ ، إن اغتفرت هَنَةً ، قال : ما هى ؟
قلت : ليس بالعفيف ، قال : لا حاجة لى به ، قلت : منصور بن أبى الخرقاء
السُّلمىّ ، إن اغتفرت نكره فإنه مشئوم ، قال : غيره ، قلت : المجشّر بن
مزاحم السلمىّ ، عاقل[2] شجاع ، له رأى مع كذب فيه ، قال : لا خير فى الكذب ،
قلت : يحيى بن حُضَين ، قال : ألم أخبرك أنّ ربيعة لا تسدّ بها الثغور !
قال : فكان إذا ذكرت له ربيعة ، واليمن أعرض . قال عبد الكريم : وأخّرت
نصراً وهو أرجلُ القوم وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة ، فقلت : نصر بن سيار
الليثىّ ، قال : هو لها ، قلت : إن اغتفرتَ واحدة ؛ فإنه عفيف مجرّب عاقل ،
قال : ما هى ؟ قلت : عشيرته بها قليلة ، قال : لا أبا لك ، أتريد عشيرة
أكثر منى ! أنا عشيرته .

وقال آخرون : لما قدم يوسف بن عمر العراق قال : أشيروا علىّ
برجل أولّه خُراسان ، فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله
٢/١٦٦٣ ابن خازم وقُدَيد بن منيع المنقرىّ ونصر بن سيّار وعمرو بن مسلم ومسلم بن
عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبى الخرقاء وسلْم بن قُتيبة ويونس بن عبد ربّه
وزياد بن عبد الرحمن القُشيرىّ ؛ فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام ، وأطرَى
القيسيّة ، وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانىّ ، فقال هشام :
ما بال الكنانىّ آخرهم ! وكان فى كتاب يوسف إليه : يا أميرَ المؤمنين ، نصر
بخُراسان قليلُ العشيرة . فكتب إليه هشام : قد فهمت كتابَك وإطراءك
القيسيّة . وذكرت نصراً وقلة عشيرته ، فكيف يقلّ مَنْ أنا عشيرته ! ولكنك
تقيّست علىّ ، وأنا متخندف عليك ؛ ابعث بعهد نصر ؛ فلم يقلّ مَن عشيرته

(١) ابن الأثير : «المسن» . (٢) ح ، ف : «عامل» .

أمير المؤمنين ؛ بلْهَ ما إن تميماً أكثر أهل خراسان. فكتب إلى نصر أن يكاتبَ يوسف بن عمر ، وبعث يوسف سَلْماً وافداً إلى هشام ؛ وأثنى عليه فلم يولّه ، ثم أوفد شريك بن عبد ربه النُّميريّ ، وأثنى عليه ليولّيَهَ خراسان ، فأبى عليه هشام.

قال : وأوفد نصرٌ مِنْ خُراسان الحكم بن يزيد بن عمير الأسديّ إلى هشام ، وأثنى عليه نصر ، فضربه يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان ؛ فلما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يَزيد على كِرْمان ، وبعث بعهد نصر مع عبد الكريم الحنفيّ — ومعه كاتبه أبو المهند مولى بني حنيفة — فلما أتى سَرَخْس وقع الثلْج ، فأقام ونزل على حفص بن عمر بن عباد التيميّ ، فقال له : قدمتُ بعهد نَصْر على خُراسان ؛ قال : وهو عامل يومئذ على سَرَخْس — ٢/١٦٦٤ فدعا حفص غلامه ، فحمله على فرس وأعطاه مالاً ، وقال له : طِرْ واقتل الفرس ؛ فإن قام عليك فاشترِ غيرَه حتى تأتي نصراً . قال : فخرج الغلامُ حتى قدِم[1] على نصر ببلْخ ، فيجده في السوق ، فدفع إليه الكتاب ، فقال : أتدري ما في هذا الكتاب ؟ قال : لا ، فأمسكه بيده ، وأتى منزله ، فقال الناس : أتى نصراً عهده على خراسان ، فأتاه قوم من خاصّته ، فسألوه فقال : ما جاءني شيء ، فمكث يومَه ، فدخل عليه من الغد أبو حفص بن عليّ ، أحد بني حنظلة — وهو صهره ؛ وكانت ابنته تحت نَصْر ، وكان أهوج كثير المال ؛ فقال له : إنّ الناس قد خاضُوا وأكثروا في ولايتك ؛ فهل جاءك شيء؟ فقال : ما جاءني شيء ، فقام ليخرج. فقال : مكانَك ؛ وأقرأه الكتاب ، فقال : ما كان حفص ليكتب إليك إلا بحقّ ، قال : فبينا هو يكلمه إذ استأذن عليه عبدُ الكريم ، فدفع إليه عهده ، فوصله بعشرة آلاف درهم . ثم استعمل نصر على بَلْخ مسلمَ بن عبد الرحمن بن مسلم ، واستعمل وشاح ابن بكير بن وشاح على مَرْو الروذ ، والحارث بن عبد الله بن الحشرج على هراة ، وزياد بن عبد الرحمن القُشيريّ على أبرشهر[2] ، وأبا حفص بن عليّ ختنه على خوارزم ، وقطن بن قُتيبة على السُّغْد . فقال رجل من أهل الشأم من اليمانية : ما رأيتُ عصبيّة مثل هذه ! قال : بلى ، التي كانت قبل هذه .

---

(١) ح ، ف : « فقدم » .
(٢) ابن الأثير : « نيسابور » .

٢/١٦٦٥ فلم يستعمل أربع سنين إلا مُضريًّا، وعَمرت خُراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلَها، ووضع الخراج، وأحسن الولاية والجباية، فقال سَوّار بن الأشعر :

أَضْحتْ خُراسانُ بَعدَ الخوفِ آمنَةً مِنْ ظُلْمِ كلِّ غشُوم الحكمِ جَبّار
لما أَتى يُوسُفاً أخبارُ ما لقِيتْ اختارَ نَصْرًا لها؛ نَصْرَ بنَ سَيّار

وقال نصْر بن سيار فيمن كره ولايته :

تَعزَّ عنِ الصَّبابةِ لا تُلَامُ كذلك لا يلُمّ بك احتمامُ
أأنْ سَخِطَتْ كبيرةُ بعد قُرْبٍ كلِفْتَ بها وباشَرَكَ السَّقام !
تُرَجِّى اليومَ ما وعَدَتْ حديثاً وقد كُذِبَتْ مواعِدَها الكرامُ
أَلمْ تَرَ أَنَّ مَا صَنَعَ الغَوَانِى عَسِيرٌ لا يَرِيعُ به الكلامُ
أَبَتْ لى طاعَتِى وأَبَى بَلَائى وفَوْزِى حينَ يَعْتَرِكُ الخصامُ
وإنَّا لا نُضِيعُ لنا مُلِمًّا ولا حَسَباً إذا ضاعَ الذِّمامُ
ولا نُغْضِى على غَدْرٍ وإنَّا نُقِيمُ على الوفاءِ فلا نُلَامُ
خليفتُنا الذى فازتْ يَداهُ بقِدْحِ الحمدِ والمَلِكُ الهمامُ
نَسُوسُهُمُ به ولنـا عليهم إذا قلنا مَكارِمُهُ جِسَامُ
٢/١٦٦٦ أبو العاصِى أَبُوهُ وعبدُ شَمسٍ وحَرْبٌ والقَماقِمَةُ الكرامُ
ومروانٌ أبو الخلفاءِ عالٍ عليه المجدُ فهو لهم نِظامُ
وبيت خليفةِ الرحمن فينا وبَيْتاهُ المُقَدَّسُ والحرامُ
ونحنُ الأَكرمُونَ إذا نُسِبنا وعِرْنِينُ البَرِيّة والسَّنامُ
فأمْسَيْنا لنا من كلِّ حَىٍّ خراطِيمُ البريّة والزِّمامُ
لنا أَيدٍ نريش بها ونبْرى وأَيدٍ فى بوادِرِها السَّمامُ
وبأْسٌ فى الكريهةِ حين نلقى إذا كانَ النَّذيرُ بها الحسامُ[1]

---

(١) ا : «المدير لها».

قال : وأتى نصراً عهده فى رجب من سنة عشرين ومائة ، وقال له البخترىّ : اقرأ عهدك واخطب الناس ؛ فخطب الناس فقال فى خطبته : استمسكوا أصحابنا بجُدّتِكم ، فقد عرفنا خيركم وشرّكم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وقد قيل : إن الذى حجّ بهم فيها سليمان بن هشام .

وقيل : حجّ بهم يزيد بن هشام .

وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام ، وعلى العراق والمشرق كله يوسف بن عمر ، وعلى خراسان نصر بن سيار — وقيل
١٦٦٧/٢ جعفر بن حنظلة — وعلى البصرة كثير بن عبد الله السلمىّ من قِبَل يوسف بن عمر ، وعلى قضائها عامر بن عَبيدة الباهلىّ ، وعلى أرمينيَة وأذرَبيجان مَرْوان بن محمد ، وعلى قضاء الكوفة ابن شبرُمة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزْوة مسلمة بن هشام بن عبد الملك الرّوم ، فافتتح بها مطامير .
وغَزْوة مرْوان بن محمد بلاد صاحب سَرير الذهب ، فافتتح قلاعه وخرّب أرضه ، وأذعن له بالجزْية ، فى كلّ سنة ألف رأس يؤدّيه إليه ، وأخذ منه بذلك الرّهن ، وملّكه مروان على أرضه .

وفيها ولد العباس بن محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن ظهور زيد بن علىّ]

وفيها قُتل زيد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب فى قول الواقدىّ فى صفر ؛ وأما هشام بن محمد فإنه زعم أنه قتل فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ، فى صفر منها .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه :

اختُلف فى سبب خروجه ؛ فأما الهيثم بن عدىّ فإنه قال — فيما ذكر
٢/١٦٦٨ عنه ، عن عبد الله بن عياش — قال : قدم زيد بن علىّ ومحمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب وداود بن علىّ بن عبد الله بن عباس على خالد بن عبد الله وهو على العراق ، فأجازهم ورجعوا إلى المدينة ؛ فلما ولِّىَ ابن يوسفَ بن عمر كتب إلى هشام بأسمائهم وبما أجازهم به ، وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد بن علىّ أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ، ثم ردّ الأرض عليه . فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسرّحهم إليه ففعل ، فسألهم هشام فأقرّوا بالجائزة ، وأنكروا ما سوى ذلك ، فسأل زيداً عن الأرض فأنكرها ، وحلفوا لهشام فصدّقهم .

وأما هشام بن محمد الكلبىّ ، فإنه ذكر أن أبا مخنف حدّثه أن أوّل أمر زيد بن علىّ كان أنّ يزيد بن خالد القسْرىّ ادّعى مالاً قِبَل زيدَ بن علىّ ومحمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب وداود بن علىّ بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرىّ وأيوب بن

سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ ، فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك — وزيد بن علىّ يومئذ بالرُّصافة يخاصم بنى الحسن ابن الحسن بن علىّ بن أبى طالب فى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن عمر بن علىّ يومئذ مع زيد بن علىّ — فلما قدِمت كتب يوسف ابن عمر على هشام بن عبد الملك بعث إليهم فذكَر لهم ما كتب به يوسف ابن عمر إليه مما ادّعى قبَلهم يزيدُ بن خالد، فأنكروا، فقال لهم هشام: فإنا
١٦٦٩/٢ باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه ، فقال له زيد بن علىّ : أنشدك الله والرّحم أن تبعث بى إلى يوسف بن عمر ! قال : وما الذى تخاف[1] من يوسف بن عمر ؟ قال : أخاف أن يعتدىَ علىّ ، قال له هشام: ليس ذلك له ، ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف بن عمر :

أما بعد ، فإذا قدِم عليك فلان وفلان، فاجمعْ بينهم وبين يزيد بن خالد القسرىّ ، فإن هم أقرُّوا بما ادّعى عليهم فسرِّح بهم إلىّ ، وإن هم أنكروا فسله بيّنةً ، فإن هو لم يُقِم البيّنة فاستحلفْهم بعد العصر بالله الذى لا إله إلا هو ؛ ما استودعهم يزيد بن خالد القسرىّ وديعةً ، ولا له قبلهم[2] ، شىءٌ ! ثم خلّ سبيلهم .

فقالوا لهشام : إنا نخاف أن يتعدّى كتابَك ، ويطول علينا، قال : كلاّ ، أنا باعث معكم رجلاً من الحرَس يأخذه بذلك ؛ حتى يعجّل الفراغ ، فقالوا : جزاك الله والرّحم خيراً ؛ لقد حكمتَ بالعدل. فسرّح بهم إلى يوسف ، واحتبس أيوب بن سلمة ؛ لأن أمّ هشام بن عبد الملك ابنة هشام ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ، وهو فى[3] أخواله، فلم يؤخذ بشىءٍ من ذلك القَرْف .

فلما قدموا على يوسف ، أدخلوا[4] عليه ، فأجلسَ زيد بن علىّ قريبًا منه ، وألطفه فى المسألة ، ثم سألهم عن المال ، فأنكروا جميعًا ، وقالوا : لم يستودعنا مالاً ، ولا له قِبَلنا حقّ ، فأخرج يوسف يزيدَ بن خالد إليهم ،
١٦٧٠/٢ فجمع بينه وبينهم ، وقال له : هذا زيد بن علىّ ، وهذا محمد بن عمر بن علىّ ،

---

(١) ف : « فقال له : ما تخاف ؟ » . (٢) ح ، ف : « قبلكم » .
(٣) ا : « من » . (٤) كذا فى ا ، وفى ط : « فأدخلوا » .

وهذا فلان وفلان الذين كنتَ ادّعيت عليهم ما ادّعيت ؛ فقال : مالى قِبَلَهم قليل ولا كثير ، فقال يوسف : أفبِى[1] تهزأ أم بأمير المؤمنين! فعذّبه يومئذ عذاباً ظنّ أنه قد قتله ، ثم أخرجهم إلى المسجد بعد صلاة العصر ، فاستحلفهم فحلفوا له ، وأمر بالقوم فبسط عليهم ؛ ما عدا زيدَ بن علىّ فإنه كفّ عنه فلم يقتدر[2] عند القوم على شىء . فكتب إلى هشام يُعلمه الحال ، فكتب إليه هشام : أن استحلفْهم ، وخلّ سبيلهم ، فخلّى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة ، وأقام زيد بن علىّ بالكوفة[3] .

* * *

وذكر عُبيد بن جنّاد ، عن عَطاء بن مُسْلم الخفّاف أنّ زيد بن علىّ رأى فى منامه أنه أضرَم فى العراق ناراً ، ثم أطفأها ثم مات . فهالَتْه ، فقال لابنه يحيى : يا بنىّ ، إنى رأيت رؤيا قد راعتنى ، فقصّها عليه . وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك بأمره بالقدوم عليه ، فقدِم ، فقال له : الحق بأميرك يوسف ، فقال له : نشدتُك بالله يا أمير المؤمنين ، فوالله ما آمن إن بعثتَنى إليه ألاّ أجتمع أنا وأنت حيّين على ظهر الأرض بعدها ، فقال : الحق بيوسف كما تؤمر ؛ فقدم عليه .

٢/١٦٧١ وقد قيل : إن هشام بن عبد الملك إنما استقدم زيداً من المدينة عن كتاب يوسف بن عمر ؛ وكان السبب فى ذلك — فيما زعم أبو عبيدة — أن يوسف بن عمر عذّب خالد بن عبد الله ، فادّعى خالد أنه استودع زيد بن علىّ وداود بن علىّ ابن عبد الله بن عباس ورجلين من قريش : أحدهما مخزومىّ والآخر جُمَحىّ مالاً عظيماً ، فكتب بذلك يوسف إلى هشام ، فكتب هشام إلى خاله إبراهيم ابن هشام — وهو عامله على المدينة — يأمره بحملهم إليه . فدعا إبراهيم بن هشام زيداً وداود ، فسألهما عما ذكر خالد ، فحلفا ما أودعهما خالد شيئاً ، فقال : إنكما عندى لصادقان ؛ ولكن كتاب أمير المؤمنين قد جاء بما تريان ، فلا بدّ من إنفاذه . فحملهما إلى الشأم ، فحلفا بالأيمان الغلاظ ما أودعهما خالد شيئاً قطّ . وقال داود : كنت قدِمت عليه العراق ، فأمر لى بمائة ألف

---

(١) ح : « أبى » . (٢) ا ، ح : « يقدر » .
(٣) انظر بقية خبر هشام ص ١٦٦ .

درهم ، فقال هشام : أنتما عندى أصدق من ابن النصرانيّة ، فاقدَما على يوسف ، حتى يجمع بينكما وبينه فتكذّباه فى وجهه .

وقيل : إن زيداً إنما قدِم على هشام مخاصمًا ابنَ عمّه عبدالله بن حسن بن حسن بن علىّ ، ذُكِر ذلك عن جُوَيرية بن أسماء ، قال : شهدتُ زيد بن علىّ وجعفر بن حسن بن حسن يختصمان فى ولاية وقوف علىّ ، وكان زيد يخاصم عن بنى حُسَيْن ، وجعفر يخاصم عن بنى حسن ؛ فكان جعفر وزيد
١٦٧٢/٢ يتبالغان بين يدى الوالِى إلى كلّ غاية ، ثم يقومان فلا يُعيدان مما كان بينهما
حرفًا ، فلما مات جعفر قال عبد الله : من يكفينا زيداً؟ قال حسن بن حسن بن حسن : أنا أكفيكه ، قال : كلاّ ، إنا نخاف لسانَك ويدَك ؛ ولكنى أنا(١) ، قال : إذن لا تبلغ حاجتَك وحُجّتك ، قال : أما حُجّتى فسأبلغُها ؛ فتنازعا إلى الوالى — والوالى يومئذ عندهم فيما قيل إبراهيم بن هشام — قال : فقال عبد الله لزيد : أتطمع أن تنالها وأنتَ لأمَة سِنديّة ! قال : قد كان إسماعيل لأمَة ؛ فنال أكثر منها ؛ فسكت عبد الله ، وتبالغا يومئذ كلّ غاية ؛ فلما كان الغد أحضرهم الوالى ، وأحضر قريشًا والأنصار ، فتنازعا ، فاعترض رجل من الأنصار ، فدخل بينهما ، فقال له زيد : وما أنت والدخول بيننا ، وأنت رجل من قحطان ! قال : أنا والله خيرٌ منك نفسًا وأبًا وأمًّا . قال : فسكت زيد ، وانبرى له رجلٌ من قريش فقال : كذبتَ ، لعمرُ الله لهو خير منك نفسًا وأبًا وأمًّا وأوّلا وآخرًا ، وفوق الأرض وتحتها ، فقال الوالى : وما أنت وهذا ! فأخذ القرشىّ كفًّا من الحصى ، فضرب به الأرض وقال : والله ما على هذا من صَبْر ، وفطن عبد الله وزيد لشماتة الوالى بهما ، فذهب عبدُ الله ليتكلّم ، فطلب إليه زيد فسكت ، وقال زيد للوالى : أمَا والله لقد
١٦٧٣/٢ جمعتَنا لأمر ما كان أبو بكر ولا عمر ليجمعانا على مثله ؛ وإنى أشهد
الله ألّا أنازعَه إليك محقًّا ولا مبطلاً ما كنتُ حيًّا . ثم قال لعبد الله : انهض يابن عمّ ؛ فنهضا وتفرّق الناس .

وقال بعضهم : لم يزل زيد ينازع جعفَر بن حسن ثم عبد الله بعده ؛

---

(١) ا : « فأكثر » .

حتى ولّى هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة ، فتنازعا ، فأغلظ عبد الله لزيد ، وقال : يابن الهندكيّة[١] ! فتضاحك زيد ، وقال : قد فعلتها يا أبا محمد ! ثم ذكر أمّه بشيء .

وذكر المدائنيّ أن عبد الله لما قال ذلك لزيد قال زيد : أجلْ والله ، لقد صبرتْ بعد وفاة سيّدها فما تعتّبتَ بابها إذ لم يصبر غيرُها . قال : ثم ندم زيد واستحيا من عمته ؛ فلم يدخل عليها زماناً ، فأرسلت إليه : يابن أخي ، إني لأعلم أنّ أمّك عندك كأمّ عبد الله عنده .

وقيل : إن فاطمة أرسلتْ إلى زيد : إن سبّ عبد الله أمّك فاسببْ أمّه ؛ وأنها قالت لعبد الله : أقلت لأمّ زيد كذا وكذا ؟ قال : نعم ، قالت : فبئس والله ما صنعت ! أما والله لنعم دخيلة القوم كانت !

فذكر أن خالد بن عبد الملك، قال لهما : اغْدُوَا علينا غداً ، فلستُ لعبد الملك إن لم أفصل بينكما . فباتت المدينة تغلى كالمرجل[٢] ، يقول قائل : كذا وقائل كذا ؛ قائل يقول قال زيد كذا، وقائل يقول: قال عبد الله كذا . ٢/١٦٧٤
فلما كان الغدُ جلس خالد فى المجلس فى المسجد ، واجتمع الناس ، فمن شامت ومن مهموم ، فدعا بهما خالد ، وهو يحبّ أن يتشاتما ، فذهب عبد الله يتكلم ، فقال زيد : لا تعجَل يا أبا محمد ، أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً ؛ ثم أقبل على خالد فقال له : يا خالد ؛ لقد جمعتَ[٣] ذرّية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمرٍ ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر ؛ قال خالد : أما لهذا السفيه أحدٌ ! فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم ، فقال : يابن أبي تراب وابن حسين السفيه ، ما ترى لوالٍ[٤] عليك حقّاً ولا طاعة ! فقال زيد: اسكت أيّها القحطانيّ ، فإنا لا نجيب مثلك ، قال : ولمَ ترغب عنى ! فوالله إنى لخير منك ، وأبى خير من أبيك ، وأمّى خير من أمك ! فتضاحك زيد، وقال: يا معشرَ قريش، هذا الدين قد ذهب ، أفذهبت الأحساب ! فوالله إنه ليذهب دينُ القوم وما تذهب أحسابهم .

---

(١) ب وابن الأثير : « السندية » .
(٢) ب : « كالمراجل » .
(٣) ابن الأثير : « أجمعت » .
(٤) ابن الأثير : « للوالى » .

فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال: كذبت والله أيّها القحطانيّ؛ فوالله لهو خير منك نفساً وأباً وأمّاً ومحتِداً، وتناوله بكلام كثير؛ قال القحطانيّ: دعْنا منك يابن واقد؛ فأخذ ابن واقد كفّاً من ٢/١٦٧٥
حصىً؛ فضرب بها الأرض، ثم قال له: والله ما لنا على هذا صبر، وقام.

وشخص[1] زيد إلى هشام بن عبد الملك، فجعل هشام لا يأذن له، فيرفع إليه القصص؛ فكلّما رفع إليه قصّة كتب هشام في أسفلها: ارجع إلى أميرك[2]؛ فيقول زيد: والله لا أرجع إلى خالد أبداً، وما أسأل مالاً؛ إنما أنا رجل مخاصِم؛ ثم أذن له يوماً بعد طول حَبْس.

فذكر عمر بن شبّة، عن أيوب بن عمر بن أبي عمرو[3]، قال: حدّثني محمد بن عبد العزيز الزهريّ قال: لما قدم زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك أعلمه حاجبُه بمكانه، فرقِيَ هشام إلى عِلّيّة له طويلة، ثم أذن له، وأمر خادماً أن يتبعه، وقال: لا يَرَيَنّك، واسمع ما يقول. قال: فأتعبته[4] الدَّرَجة — وكان بادناً — فوقف في بعضها، فقال: والله لا يحبّ الدنيا أحد إلّا ذلّ، فلما صار إلى هشام قضى حوائجه، ثم مضى نحو الكوفة، ونسي هشام أن يسأل الخادم حتى مضى لذلك أيام، ثم سأله فأخبره، فالتفت إلى الأبرش. فقال: والله ليأتينّك خلعُه أوّلَ شيء، وكان كما قال.

٢/١٦٧٦ وذُكِر عن زيد أنه حلف لهشام على أمر؛ فقال له: لا أصدّقك، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ الله لم يرفع قَدْرَ أحدٍ عن أن يرضى بالله، ولم يضع قَدْرَ أحدٍ عن ألّا يُرْضى بذلك منه، فقال له هشام: لقد بلغني يا زيدُ أنك تذكر الخلافة وتتمنّاها، ولستَ هناك وأنت ابن أمة! فقال زيد: إن لك يا أمير المؤمنين جواباً، قال: تكلم، قال: ليس أحدٌ أولى بالله، ولا أرفع عنده منزلة من نبيّ ابتعثه؛ وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء، وولد خيرَهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وكان إسماعيل ابنَ أمَة وأخوه ابنَ صريحة مثلك؛ فاختاره الله عليه، وأخرج منه خير البشر؛ وما على أحد من

---

(١) ابن الأثير: «فشخص». (٢) ب وابن الأثير: «منزلك».
(٣) كذا في ب، وهو الصواب، وفي ط: «عمر».
(٤) كذا في ا، والدرجة: المرقاة.

ذلك جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانت أمه [أمَةً] [١] . فقال له هشام : اخرج ، قال : أخرج ثم لا ترانى إلّا حيث تكره ، فقال له سالم : يا أبا الحسين ؛ لا يظهرنّ هذا منك .

* * *

رجع الحديث إلى حديث هشام بن محمد الكلبىّ عن أبى مخنف [٢] . قال : فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد بن علىّ ، وتأمره بالخروج ، ويقولون : إنا لنرجو أن تكون المنصورَ ، وأن يكون هذا الزمان الذى يهلك فيه بنو أمية . فأقام بالكوفة ، فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه ، فيقال : هو هاهنا ، فيبعث إليه أن اشخص ، فيقول : نعم ؛ ويعتلّ له بالوَجع . فمكث ما شاء الله ، ثم سأل أيضًا عنه فقيل له : هو مقيمٌ بالكوفة بعدُ لم يبرح ، فبعث إليه ، ١٦٧٧/٢
فاستحثّه بالشخوص ، فاعتلّ عليه بأشياء يبتاعُها ، وأخبره أنه فى جهازه ، ورأى جدّ يوسف فى أمره فتهيّأ ، ثم شخص حتى أتى القادسيّة . وقال بعض الناس : أرسل معه رسولاً حتى بلّغه العُذَيب ، فلحقته الشّيعة ، فقالوا [٣] له : أين تذهب عنّا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة ، يضربون دونك بأسيافهم غداً وليس قبلك من أهل الشأم إلا عدّة قليلة ، لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحِج أو همْدان أو تميم أو بكْر نصبت لهم لكفتكهم [٤] بإذن الله تعالى ! فننشدك الله لمّا رجعتَ ؛ فلم يزالوا به حتى ردّوه إلى الكوفة .

* * *

وأما غير أبى مخنف ؛ فإنه قال ما ذكر عُبيد بن جنّاد ، عن عطاء بن مسلم ، أن زيد بن علىّ لما قدم على يوسف ، قال له يوسف : زعم خالد أنه قد أودعك مالا ، قال : أنّى يودعنى مالا وهو يشتم آبائى على منبره ! فأرسل إلى خالد ، فأحضره فى عباءة ، فقال له : هذا زيد ، زعمتَ أنك قد أودعته مالاً ، وقد أنكر ؛ فنظر خالد فى وجههما ، ثم قال : أتريد أن تجمع مع إثمك

(١) تكملة من ا ، وما هنا مصدرية . (٢) انظر أول الخبر ص ١٦٠ .
(٣) ح : « فقالت » .
(٤) ف « لكفتهم » .

فىّ إثماً فى هذا ! وكيف أودِعه مالاً وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر ! قال : فشتمه يوسف ، ثم ردّه .

١٦٧٨/٢ وأما أبو عبَيدة ، فذكِر عنه ، أنه قال : صدّق هشامٌ زيداً ومَن كان يوسف قرَفه بما قرفه به ، ووجّههم إلى يوسف ، وقال : إنهم قد حلفوا لى ، وقبلتُ أيمانهم وأبرأتُهم من المال ، وإنما وجهتُهم إليك لتجمع بينهم وبين خالد فيكذّبُوه . قال : ووصلهم هشام ؛ فلما قدموا على يوسف أنزلهم وأكرمهم ، وبعث إلى خالد فأتِىَ به ، فقال : قد حلف القوم ، وهذا كتاب أمير المؤمنين ببراءتهم ، فهل عندك بيّنة بما ادعيت ؟ فلم تكن له بيّنة ، فقال القوم لخالد : ما دعاك إلى ما صنعت ؟ قال : غلّظ علىّ العذاب فادّعيت ما ادعيت ، وأمّلْت أن يأتىَ الله بفرج قبل قدومكم . فأطلقهم يوسف ، فمضى القرشيّان : الجمحىّ والمخزومىّ إلى المدينة ؛ وتخلّف الهاشميّان : داود بن علىّ وزيد ابن علىّ بالكوفة .

وذكر أن زيدًا أقام بالكوفة أربعة أشهر أو خمسة ويوسف يأمره بالخروج ، ويكتب إلى عامله على الكوفة وهو يومئذ بالحيرة يأمره بإزعاج[1] زيد، وزيد يذكر أنه ينازع بعض آل طلحة بن عبيد الله فى مال بينه وبينهم بالمدينة ، فيكتب العامل بذلك إلى يوسف ، فيقرّه أيامًا ، ثم يبلغه أنّ الشيعة تختلف إليه ؛ فيكتب إليه أن أخرجه ولا تؤخّره ؛ وإن ادّعى أنه ينازع فليُجرّ جرًّا[2] ، ١٦٧٩/٢ وليوكّل مَنْ يقوم مقامه فيما يطالب به ؛ وقد بايعه جماعة منهم سلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبسىّ ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارىّ وحجيّة بن الأجلح الكندىّ وناس من وجوه أهل الكوفة ؛ فلمّا رأى ذلك داود ابن علىّ قال له : يابنَ عمّ ، لا يغرنّك هؤلاء من نفسك ؛ ففى أهل بيتك لك عِبرة ، وفى خذلان هؤلاء إياهم . فقال : يا داود ، إنّ بنى أمية قد عتوْا وقست قلوبهم ؛ فلم يزل به داود حتى عزم على الشخوص ، فشخصا حتى بلغا القادسيّة .

وذكر عن أبى عبيدة ، أنه قال : اتّبعوه إلى الثعلبيّة وقالوا له : نحن أربعون

---

(١) الإزعاج : نقيض الإقرار. (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « جرياً » .

ألفاً ، إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلّف عنك أحدٌ ، وأعطوْه المواثيق والأيمان المغلّظة ، فجعل يقول : إنى أخاف أن تخذلونى وتسلمونى كفعلكم بأبى وجدّى. فيحلفون له ، فيقول داود بن علىّ : يابن عمّ ، إن هؤلاء يغرّونك من نفسك[١] ! أليس قد خذلوا مَن كان أعزّ عليهم منك ؛ جدّك علىّ بن أبى طالب حتّى قتل ! والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه ، وانتهبوا فُسطاطه ، وجرحوه ! أوَ ليس قد أخرجوا جدّك الحسين ، وحلفوا له بأوْكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ، ثم لم يرضوْا بذلك حتى قتلوه ! فلا تفعلْ ولا ترجع معهم . فقالوا : إن هذا لا يريد أن تظهر أنتَ ، ويزعم أنه وأهل
٢/١٦٨٠ بيته أحقّ بهذا الأمر منكم ، فقال : زيد لداود : إن عليّاً كان يقاتله معاوية بدهائه[٢] ونكرائه بأهل الشأم ، وإنّ الحسين قاتله يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل ؛ فقال له داود : إنى لخائف إن رجعتَ معهم ألاّ يكون أحد أشدّ عليك منهم ؛ وأنت أعلم . ومضى داود إلى المدينة ورجع زيد إلى الكوفة .

وقال عبيد بن جنّاد ، عن عطاء بن مسلم الخفّاف ، قال : كتب هشام إلى يوسف أن أشخِصْ زيداً إلى بلده ، فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعُوَ أهله إلا أجابوه ، فأشخصه ، فلما كان بالثعلبيّة — أو القادسية — لحقه المشائيم — يعنى أهل الكوفة — فردّوه وبايعوه ، فأتاه سلمة بن كُهَيل ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فأحسن . ثم تكلم زيد فأحسن ، فقال له سلمة : اجعل لى الأمانَ ، فقال : سبحان الله ! مثلك يسأل مثلى الأمان ! وإنما أراد سلمة أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم قال : لك الأمان ، فقال : نشدتُك بالله ، كم بايعك ؟ قال : أربعون ألفاً ، قال : فكم بايع جدَّك ؟ قال : ثمانون ألفاً ، قال : فكم حصل معه ؟ قال : ثلثمائة ، قال : نشدتُك الله أنت خير أم جدّك ؟ قال : بل جدّى ، قال : أفقرْنُك الذى خرجتَ فيهم خير أم القرْن الذى خرج فيهم جدُّك ؟ قال :
٢/١٦٨١ بل القرْن الذى خرج فيهم جدّى ، قال : أفتطمع أن يفىَ لك هؤلاء ، وقد غدر أولئك بجدّك ! قال : قد بايعونى ، ووجبت البيعة فى عنقى وأعناقهم ،

(١) ب ، ح : « فى نفسك » . (٢) ابن الأثير : « بدهيه » .

قال : أفتأذن(١) لى أن أخرج من البلد ؟ قال : لمَ ؟ قال : لا آمن أن يحدث فى أمرك حدثٌ فلا أملك نفسى ، قال : قد أذنتُ لك ، فخرج إلى اليمامة ، وخرج زيد فقتل وصلب . فكتب هشام إلى يوسف يلومه على تركه سلمة ابن كُهيل يخرج من الكوفة ، ويقول : مقامه كان خيراً من كذا وكذا من الخيل تكون معك .

وذكر عمر عن أبى إسحاق – شيخٌ من أهل أصبهان حدّثه – أن عبدالله ابن حسن كتب إلى زيد بن علىّ : يابن عمّ ؛ إن أهلَ الكوفة نُفخ العلانية ، خور السريرة ، هُوج (٢) فى الرخاء ، جُزُع فى اللقاء ، تقدمهم ألسنتهم ، ولا تشايعهم قلوبُهم ، لا يبيتون بعُدّة فى الأحداث ، ولا ينوءون بدولة مرجوّة ؛ ولقد تواترت إلىّ كتبهم بدعوتهم ، فصمّمْتُ عن ندائهم ؛ وألبست قلبى غشاءً عن ذكرهم ؛ يأساً منهم واطّراحاً لهم ؛ وما لهم مَثَل إلا ما قال علىّ بن أبى طالب : إن أهمِلتم خضتم ، وإن حُوربتم خُرْتم ، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم ، وإن أجبتم إلى مشاقّة نكصتم . ١٦٨٢/٢

وذكر عن هشام بن عبد الملك ، أنه كتب إلى يوسف بن عمر فى أمر زيد بن علىّ : أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة فى حبّهم أهلَ هذا البيت ، ووضعهم إيّاهم فى غير مواضعهم ؛ لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتَهم ، ووظّفوا(٣) عليهم شرائع دينهم ، ونحلوهم(٤) علم ما هو كائن ؛ حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفّوهم فيها إلى الخروج ، وقد قدم زيد بن علىّ على أمير المؤمنين فى خصومة عمر بن الوليد ، ففصَل أمير المؤمنين بينهما ، ورأى رجلا جَدِلًا لسِناً خليقاً بتمويه الكلام وصَوْغه ، واجترار الرجال بحلاوة لسانه ، وبكثرة مخارجه فى حججه ، وما يدلى به عند لَدَد(٥) الخصام من السطوة على الخصم بالقوّة الحادّة لنيل الفَلَج(٦) ؛ فعجّل إشخاصه إلى الحجاز ، ولا تخلّه والمُقام قِبَلك ؛ فإنه إن أعاره القوم أسماعَهم فحشاها

---

(١) ح : « فتأذن » . (٢) كذا فى ا . (٣) الوظيفة : ما يقدر بين عمل ورزق وطعام . (٤) نحله الشىء : نسبه إليه . (٥) اللدد : شدة الخصومة . (٦) الفلج : الفوز والظفر .

٢/١٦٨٣ من ليّن لفظه ، وحلاوة منطقه ، مع ما يدلى به من القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدَهم ميُلاً إليه ؛ غيرَ متئدة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم ، ولا مصونة عندهم أديانُهم ؛ وبعض التحامل عليه فيه أذى له ، وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء والأمن للفرقة أحبّ إلىّ من أمر فيه سفكُ دمائهم ، وانتشار[1] كلمتهم وقطع نسلهم ؛ والجماعةُ حبْل الله المتين ، ودين الله القويم وعروته الوثقى ؛ فادع إليك أشرافَ أهل المصْر ، وأوعدهم العقوبة فى الأبشار[2] ، واستصفاء[3] الأموال ؛ فإن من له عقد أو عهد منهم سيبطئ عنه ، ولا يخفّ معه إلاّ الرّعاع وأهل السّواد ومَن تنهضه الحاجة ؛ استلذاذاً للفتنة ؛ وأولئك ممن يستعبد إبليس ؛ وهو يستعبدهم . فبادهم[4] بالوعيد. وأعْضضهم بسوطك[5] ، وجرّد فيهم سيفك ، وأخِف الأشراف قبل الأوساط ، والأوساطَ قبْل السّفلة . واعلم أنك قائم على باب ألْفة ، وداعٍ إلى طاعة ، وحاضّ على جماعة ، ومشمِّر لدين الله ؛ فلا تستوحش لكثْرتهم ، واجعل معقلك الذى تأوى إليه ، وصَغْوك[6] الذى تخرج منه الثقةَ بربّك ، والغضب لدينك ، والمحاماة عن الجماعة ، ومناصبة مَن أراد

٢/١٦٨٤ كسْر هذا الباب الذى أمرهم الله بالدخول فيه ، والتشاحّ[7] عليه ؛ فإن أمير المؤمنين قد أعذر إليه وقضى من ذمامه[8] ، فليس له منزًى[9] إلى ادعاء حقّ هو له ظُلِمَه من نصيب نفسه ، أو فىء ، أو صلة لذى قربى ، إلا الذى خاف أمير المؤمنين من حمْل بادرة السفلة على الذى عسى أن يكونوا به أشقَى وأضلّ ؛ ولهم أمرّ ، ولأمير المؤمنين أعزّ وأسهل إلى حياطة الدّين والذبّ عنه ، فإنه لا يحبّ أن يرى فى أمته حالاً متفاوتًا نكالاً لهم مفنيًّا ؛ فهو يستديم النظرة ، ويتأتّى للرشاد ، ويجتنبهم على المخاوف ، ويستجرّهم إلى

---

(١) انتشار الكلمة : تفرقها .
(٢) البشرة : ظاهر الجلد والجمع بشر ، وجمع الجمع أبشار.
(٣) استصفى المال : أخذ صفوه . (٤) بادهم : جاهرهم .
(٥) ب : « بسطوتك » .
(٦) صغوك ، أى ميلك ، وفى ف « صفوك » .
(٧) التشاح : الحرص ، يقال : تشاحوا على الأمر ؛ أى شح بعضهم على بعض .
(٨) أعذر إليه ؛ أى إلى زيد بن على ، وأعذر : صار ذا عذر ، والذمام : الحق والحرمة .
(٩) منزى ، مفعل ، من نزا ينزو ؛ إذا وثب .

المراشد ، ويعدل بهم عن المهالك ؛ فعلَ الوالد الشفيق على ولده ، والرّاعى الحدِب على رعيّته .

واعلم أنّ من حجّتك عليهم فى استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم توفيتَك أطماعَهم ، وأعطية ذريّتهم ، ونهيَك جندَك أن ينزلوا حريمَهم ودورَهم ؛ فانتهز رضا الله فيما أنت بسبيله ؛ فإنه ليس ذنبٌ أسرع تعجيل ١٦٨٥/٢
عقوبة مِن بغى ؛ وقد أوقعهم الشيطان ، ودلاّهم فيه ، ودلّهم عليه ؛ والعصمة بتارك البغى أوْلى ؛ فأمير المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيّته ، ويسأل إلهه ومَوْلاه ووليّه أن يصلح منهم ما كان فاسداً ، وأن يسرع بهم إلى النّجاة والفَوْز ؛ إنه سميع قريب .

* * *

رجع الحديث إلى حديث هشام[1] . قال : فرجع زيد إلى الكوفة ، فاستخفى ، قال : فقال له محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب حيث أراد الرجوع إلى الكوفة : أذكّرك الله يا زيد لمّا لحقتَ بأهلك ؛ ولم تقبلْ قولَ أحد من هؤلاء الذين يدعونَك إلى ما يدعونك إليه ؛ فإنهم لا يفُون لك ؛ فلم يقبل منه ذلك ، ورجع .

قال هشام : قال أبو مخنف : فأقبلت الشيعة لما رجع إلى الكوفة يختلفون إليه ، ويبايعون له ، حتى أحصى ديوانُه خمسة عشر ألف رجل ، فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً ؛ إلاّ أنه قد كان منها بالبصرة نحو شهرين ، ثم أقبل إلى الكوفة ، فأقام بها ، وأرسل إلى أهل السّواد وأهلِ الموصل رجالاً يدعون إليه .

قال : وتزوّج حيثُ قدم الكوفة ابنةَ يعقوب بن عبد الله السُّلمىّ ، أحد بنى فرقد ، وتزوج ابنة عبد الله بن أبى العَنْبَس الأزدىّ . قال :
١٦٨٦/٢ وكان سبب تزوّجه إياها أنّ أمها أم عمرو بنت الصَّلْت كانت ترى رأى الشّيعة ، فبلغها مكانُ زيد ، فأتته لتسلّم عليه — وكانت امرأة جسيمة جميلة[2] لحيمة ، قد دخلت فى السنّ ، إلا أن الكِبَر لا يستبين عليها —

---

(١) انظر صفحة ١٦٦ . (٢) ف : « جميلة جسيمة » .

فلمّا دخلت على زيد بن علىّ فسلمت عليه ظنّ أنها شابّة، فكلمته فإذا أفصح الناس لسانًا ، وأجمله منظرًا ، فسألها عن نسبها فانتسبتْ له ، وأخبرتْه ممن هى ، فقال لها : هل لكِ رحمكِ الله أن تتزوّجينى ؟ قالت : أنت والله — رحمك الله — رغبةٌ لو كان من أمرى التزويج ، قال لها : وما الذى يمنعك ؟ قالت : يمنعنى من ذلك أنى قد أسنَنْتُ ، فقال لها : كلاّ قد رضيتُ ، ما أبعدك من أن تكونى قد أسننت ! قالت : رحمك الله ، أنا أعلم بنفسى منك؛ وبما أتى علىّ من الدهر ؛ ولو كنت متزوجة يومًا من الدهر لما عدَلتُ بك ؛ ولكن لى ابنة أبوها ابن عمى ؛ وهى أجمل منى ، وأنا أزوّجكها إن أحببتَ ، قال : رضيتُ أن تكونَ مثلك ، قالت له : لكنّ خالقَها ومصوّرها لم يرضَ أن يجعلها مثلى ، حتى جعلها أبيضَ وأوسَم وأجسم ، وأحسن منى دَلًّا وشِكْلًا [١]. فضحك زيد،وقال لها: قد رزقتِ فصاحة ومنطقًا حسنًا ، فأين فصاحتها من فصاحتك ؟ قالت : أما هذا فلا علم لى به ؛
١٦٨٧/٢ لأنى نشأتُ بالحجاز ، ونشأت ابنتى بالكوفة ، فلا أدرى لعلّ ابنتى قد أخذت لغة أهلها . فقال زيد : ليس ذلك بأكرَه إلىّ ، ثم واعدها موعدًا فأتاها فتزوّجها ، ثم بنى بها فولدت له جاريةً . ثم إنها ماتت بعدُ ؛ وكان بها معجَبًا .

قال : وكان زيد بن علىّ ينزل بالكوفة منازلَ شتى ، فى دار امرأته فى الأزْدِ مرّة ، ومرّة فى أصهاره السُّلميِّين ، ومرّةً عند نصر بن خزيمة فى بنى عَبْس ، ومرّة فى بنى غُبَر . ثم إنه تحوّل من بنى غُبَر إلى دار معاوية ابن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارىّ فى أقصى جبّانة سالم السلولىّ ، وفى بنى نَهْد وبنى تغلب عند مسجد بنى هلال بن عامر ، فأقام يبايع أصحابه ؛ وكانت بيعته التى يبايع عليها الناس : « إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجهاد الظالمين ، والدّفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وقَسْم هذا الفىء بين أهله بالسواء ، وردّ الظالمين ، وإقفال المجمَّر [٢] ونصرِنا أهل البيت على من نَصب لنا وجهل حقنا » ، أتبايعون على ذلك ؟

(١) الشكل : غنج المرأة ودلها .
(٢) جمر الأمير الجند ، أى أبقاهم فى ثغر العدو ولم يقفلهم .

فإذا قالوا : نعم ، وضع يده على يده ، ثم يقول : عليك عهدُ الله وميثاقه وذمّته وذمّة رسوله، لتفينّ ببيعتى ولتقاتلنّ عدوّى ولتنصحنّ فى السرّ والعلانية ؟
فإذا قال : نَعَمْ مسحَ يده على يده ، ثم قال[1] : اللهمّ اشهد . فمكث بذلك ٢/١٦٨٨
بضعة عشر شهراً ؛ فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيّؤ ، فجعل من يريد أن يفى ويخرج معه يستعدّ لو يتهيّأ ، فشاع أمره فى الناس .

* * *

[ذكر الخبر عن غزوة نصر بن سيّار ما وراء النهر]

وفى هذه السنة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرّتين ، ثم غزا الثالثة ، فقتل كور صُول .

* ذكر الخبر عن غزواته هذه :

ذَكَرَ علىّ عن شيوخه، أن نصرًا غزا من بَلْخ ما وراء النهر من ناحية باب الحديد ؛ ثم قفل إلى مَرْو ، فخطب[2] الناس ، فقال : ألا إن بهرامسيس كان مانحَ المجوس ، يمنحهم ويدفع عنهم ، ويحمل أثقالهم على المسلمين ؛ ألا إنّ اشبداد بن جريجور كان مانح النصارى ؛ ألا إن عقيبة اليهودىّ كان مانح اليهود يفعل ذلك . ألا إنى مانح المسلمين ، أمنحهم وأدفع عنهم، وأحمل أثقالهم على المشركين؛ ألا إنه لا يُقبل منى إلا تَوَفّى الخراج على ما كتِب ورفع . وقد استعملتُ عليكم منصور بن عمر بن أبى الخَرْقاء ، وأمرتُه بالعدل عليكم ، فأيما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من
رأسه ، أو ثُقِّل عليه فى خراجه ، وخفّف مثل ذلك عن المشركين ، فليرفع ٢/١٦٨٩
ذلك إلى المنصور بن عمر ، يحوّله عن المسلم إلى المشرك . قال : فما كانت الجمعة الثانية ؛ حتى أتاه ثلاثون ألف مُسلِم ، كانوا يؤدّون الجزية عن رءوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد أُلقِيت عنهم جزيتهم[3] ، فحوّل ذلك عليهم[4] ، وألقاه عن المسلمين[5]. ثم صنّف الخراج حتى وضعه مواضعه ، ثم وظّف الوظيفة التى جرَى عليها الصُّلح . قال : فكانت مَرْو يؤخذ منها

---

(١) ح : « يقول » .
(٢) ح : « وخطب » .
(٣) ح : « الجزية » .
(٤) ب ، ح : « عنهم » .
(٥) ح : « حتى ألقاه على المشركين » .

مائة ألف سوى الخراج أيام بنى أميّة . ثم غزا الثانية إلى وَرَغْسَر وسمرقند ثم قفل، ثم غزا الثانية إلى الشاش من مَرْو ، فحال بينه وبين قطوع النهر (نهر الشاش) كورصول فى خمسة عشر ألفًا ، استأجر كلّ رجل منهم فى كلّ شهر بشِقّة حرير ؛ الشقّة يومئذ بخمسة وعشرين درهمًا ، فكانت بينهم مراماة ، فمنع نصرًا من القطوع إلى الشاش . وكان الحارث بن سُريج يومئذ بأرض الترك ، فأقبل معهم ؛ فكان بإزاء نصر ، فرمى نصرًا ؛ وهو على سريره على شاطئ النهر بِحُسبان(١) ، فوقع السهم فى شِدْق وصيف لنصر يوضّئه ؛ فتحوّل نصر عن سريره ، ورمى فرسًا لرجل من أهل الشأم فنفق . وعبر كورصول فى أربعين رجلاً ، فبيّت أهل العسكر ، وساق شاء لأهل بُخارى ، ١٦٩٠/٢
وكانوا فى الساقة ، وأطاف بالعسكر فى ليلة مظلمة ؛ ومع نصر أهل بخارى وسمرقند وكِس وأشْرُوسنة ، وهم عشرون ألفًا ، فنادى نصر فى الأخماس : ألا لا يخرجنّ أحدٌ من بنائه ، واثبتوا على مواضعكم . فخرج عاصم بن عمير وهو على جُنْد أهل سمرقند ، حتى مرّت خيل كورصول ، وقد كانت الترك صاحتْ صيحة ؛ فظنّ أهلُ العسكر أنّ الترك قد قطعوا كلُّهم . فلما مرّت خيل كورصول على ذلك حمل على آخرهم ، فأسر رجلا ؛ فإذا هو مَلِك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبّة ، فجاءوا به إلى نصر ، فإذا هو شيخ يسحب درعَه شِبْرًا ، وعليه رانا ديباج فيهما حلَقٌ ، وقباء فرند مُكفّف(٢) بالدّيباج ، فقال له نصر : من أنت ؟ قال : كورصول ، فقال نصر : الحمد لله الذى أمكن منك يا عدوّ الله ! قال : فما ترجو من قتْل شيخ ، وأنا أعطيك ألف بعير من إبل الترك ، وألف برْذون تقوّى بها جندك ، وخلّ سبيلى ! فقال نصر لمن حوله من أهل الشأم وأهل خراسان : ما تقولون ؟ فقالوا: خلّ سبيله ، فسأله عن سنّه ، قال : لا أدرى ، قال : كم غزوت ؟ قال : اثنتين وسبعين غزوة ، قال : أشهدتَ يوم العطَش ؟ قال : نعم ، قال : ١٦٩١/٢
لو أعطيتنى ما طلعتْ عليه الشمس ما أفلتَّ(٣) من يدى بعد ما ذكرت من مشاهدك . وقال لعاصم بن عمير السغدىّ : قم إلى سَلَبه فخذه ؛ فلما

(١) الحسبان : السهام الصغار . (٢) ب : « مكلل » .
(٣) ح ، ف : « انفلت » .

أيقن بالقتل ، قال : مَنْ أسرنى ؟ قال نصر وهو يضحك : يزيد بن قُرّان الحنظلىّ — وأشار إليه — قال : هذا لا يستطيع أن يغسل استَه — أو قال : لا يستطيع أن يتمّ بوله — فكيف يأسرنى ! فأخبرْنى مَنْ أسرنى ؛ فإنى أهلٌ أن أقتَل سبع قتلات ، قيل له : عاصم بن عمير ، قال : لستُ أجد مسّ القتل إذ كان الذى أسرنى فارساً من فرسان العرب . فقتله وصلَبه على شاطئ النهر . قال : وعاصم بن عمير هو الهزارمرد ، قتِل بنهاوند أيام قحطبة .

قال : فلما قتِل كورصول تخدّرت التّرك وجاءوا بأبنيتِه فحرقوها ، وقطعوا آذانهم ، وجردّوا[1] وجوهَهم ، وطفِقوا يبكون عليه ؛ فلما أمسى نصر وأراد الرحلة ، بعث إلى كورصول بقارورة نِفْط ، فصبّها عليه ، وأشعل فيه النار لئلا يحملوا عظامه . قال : وكان ذلك أشدّ عليهم من قتله .

وارتفع نصر إلى فَرْغانة ، فسبى منها ثلاثين ألف رأس ، قال : فقال عنبر بن بُرْعُمة الأزدى : كتب يوسف بن عمر إلى نصر : سرْ إلى هذا ١٦٩٢/٢ الغارز[2] ذَنبه بالشاش — يعنى الحارث بن سُريج — فإن أظفرك الله به وبأهل الشاش ، فخرّب بلادهم ، واسب ذراريّهم ؛ وإياك وورْطة[3] المسلمين .

قال : فدعا نصرٌ الناس ، فقرأ عليهم الكتاب ، وقال : ما ترون ؟ فقال يحيى بن حُضَين : امض لأمر أمير المؤمنين وأمر الأمير ، فقال نصر : يا يحيى ، تكلمتَ ليالىَ عاصم بكلمة ، فبلغت الخليفة فحظيتَ بها ، وزيد فى عطائك ، وفرِض لأهل بيتك ، وبلغتَ الدّرجة الرفيعة ، فقلتَ : أقول مثلَها . سرْ يا يحيى ، فقد ولّيتُك مقدّمتى ؛ فأقبل الناس على يحيى يلومونه ، فقال نصر يومئذ : وأىّ ورطة أشدّ من أن تكون فى السفر وهم فى القرار !

قال : فسار إلى الشاش ، فأتاه الحارث بن سُريج فنصب عرّادتين[4] تلقاء بنى تميم ؛ فقيل له : هؤلاء بنو تميم ، فنقلهما فنصبهما على الأزْد — ويقال : على بكر بن وائل — وأغار عليهم الأخرم ، وهو فارس الترك ، فقتله المسلمون ، وأسروا سبعة من أصحابه ، فأمر نصر بن سيار برأس الأخرم ، فرمى به فى عسكرهم بمنجنيق ، فلما رأوه ضجوا ضجة عظيمة ، ثم ارتحلوا

---

(١) ف : « وخددوا » . (٢) ح وابن الأثير : « الغادر دينه » .
(٣) ح : « ورطة » ، بدون واو . (٤) العرادة : شبه المنجنيق ، صغيرة .

منهزمين ، ورجع نصر ، وأراد أن يعبُر ، فحِيل بينه وبين ذلك ، فقال أبو نميلة صالح بن الأبَّار :

٢/١٦٩٣ كنا وَأَوْبَةُ نصر عندَ غيبته كراقِبِ النَّوْءِ حتى جاده المطَرُ
أوْدَى بأَخرَم منه عارضٌ بَرِدٌ مُسْتَرْجِفٌ بمنايا القوم مُنْهَمِرُ

وأقبل نصر فنزل سَمَرْقند فى السنة التى لقِى فيها الحارث بن سريج ، فأتاه بخارا خُذاه منصرفًا ؛ وكانت المسلحة عليهم ، ومعهم دهقانان من دهاقين بُخارى ، وكانا أسلما على يدى نصر ، وقد أجمعا على الفَتْك بواصل بن عمرو القيسى عامل بُخارى وببخاراخُذاه يتظلّمان من بخاراخذاه ، — واسمه طوق شياده[1] — فقال بخاراخُذاه لنصر : أصلح الله الأمير ! قد علمت أنهما قد أسلما على يديك ، فما بالهما معلّقى الخناجر عليهما ! فقال لهما نصر : ما بالكما معلّقى الخناجر وقد أسلمتما ! قال : بيننا وبين بخاراخذاه عَداوة فلا نأمنه على أنفسنا . فأمر نصر هارون بن السياوش مولى بنى سليم — وكان يكون على الرابطة — فاجتذبهما فقطعهما ، ونهض بخاراخُذاه إلى نصر يسارّه فى أمرهما ، فقالا : نموت كريمين ؛ فشدّ أحدهما على واصل ابن عمرو فطعنه فى بطنه بسكين ، وضربه واصل بسيفه على رأسه ؛ فأطار

٢/١٦٩٤ قَحْف رأسه فقتله ، ومضى الآخر إلى بخاراخُذاه — وأقيمت الصّلاة ، وبخاراخُذاه جالس على كرسىّ — فوثب نصر ، فدخل السرادق ، وأحضر بخاراخُذاه ، فعثر عند باب السرادق فطعنه ، وشدّ عليه الجوزجان بن الجوزجان ، فضربه بجرُز كان معه فقتله ، وحُمل بخاراخُذاه فأدخل سرادق نصر ، ودعا له نصر بوسادة فاتّكأ عليها ، وأتاه قرعة الطبيب ، فجعل يعالجه وأوصى إلى نصر ، ومات من ساعته ، ودفن واصل فى السرادق ، وصلى عليه نصر . وأما طوق شياده[1] فكشطوا عنه لحمه ، وحملوا عظامه إلى بخارى .

قال : وسار نصر إلى الشّاش ، فلما قدم أشروسنة عَرض دهقانها أباراخرّه مالاً ، ثم نفذ إلى الشاش ، واستعمل على فَرْغانة محمد بن خالد الأزدىّ ، وجّهه إليها فى عشرة نفر ، وردّ من فَرْغانة أخاجيش فيمن كان

(١) ط : « سياده » .

معه من دهاقين الخُتَّل وغيرهم ، وانصرف منها بتماثيل كثيرة ، فنصبها فى أشروسنة .

وقال بعضهم : لما أتى نصر الشاش تلقّاه قدر ملكها بالصُّلح والهديّة والرّهن ، واشترط عليه إخراجَ الحارث بن سُريج من بلده ، فأخرجه إلى فاراب ؛ واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص ، ثم سار ١٦٩٥/٢
حتّى نزل قُبَاء من أرض فرغانة ، وقد كانوأحسوا بمجيئه ، فأحرقوا الحشيش وحبسوا الميرة . ووجّه نصر إلى ولىّ عهد صاحب فرغانة فى بقية سنة إحدى وعشرين ومائة ، فحاصروه فى قلعة من قلاعها ، فغفل عنهم المسلمون ، فخرجوا على دوابّهم فاستاقوها ، وأسروا ناسًا من المسلمين ، فوجّه إليهم نصر رجالاً من بنى تميم ، ومعهم محمدبن المثنى — وكان فارسًا — فكايدهم المسلمون ، فأهملوا دوابّهم وكمنوا لهم ، فخرجوا فاستاقوا بعضَها ، وخرج عليهم المسلمون فهزموهم ، وقتلوا الدّهقان ، وأسروا منهم أسراء ، وحمل ابن الدهقان المقتول علىّ ابن المثنى ، فختله محمد بن المثنىّ ، فأسره ، وهو غلام أمرد ، فأتى به نصراً ، فضرب عنقه .

وكان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فَرْغانة بكتاب الصلح بينهما . قال سليمان : فقدمتُ عليه فقال لى : مَنْ أنت ؟ قلت : شاكرىٌّ خليفةُ كاتب الأمير ، قال : فقال : أدخلوه الخزائن ليرى ما أعددنا ، فقيل له : قم ، قال : قلت ليس بى مَشْى ، قال : قدّموا له دابة يركبها ، قال : فدخلت خزائنَه ، فقلت فى نفسى : يا سليمان ، شمت بك إسرايل وبشر بن عُبَيد ؛ ليس هذا إلاّ لكراهة الصلح ، وسأنصرف بخُفَّىْ حُنَيْن .
قال : فرجعت إليه ، فقال : كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم ؟ ١٦٩٦/٢
قلت : سهلاً كثير الماء والمرعى ؛ فكره ما قلت له ، فقال : ما علمك ؟ فقلت : قد غزوت غَرْشِسْتان وغُور والختّل وطَبَرِستان ، فكيف لا أعلم ! قال : فكيف رأيتَ ما أعددنا ؟ قلت : رأيت عُدّة حسنة ؛ ولكن أما علمت أن صاحب الحصار لا يسلم من خصال ! قال : وما هُنّ ؟ قلت : لا يأمن أقربَ الناس إليه وأحبَّهم إليه وأوثقَهم فى نفسه أن يثب به يطلب مرتبته ، ويتقرّب بذلك ، أو يفنى ما قد جمع ، فيسلم برُمّته ، أو يصيبه داء فيموت .

فقطّب وكره ما قلت له وقال : انصرف إلى منزلك ، فانصرفت فأقمت يومين ، وأنا لاأشكّ فى تركه الصلح ، فدعانى فحملتُ كتاب الصّلح مع غلامى ، وقلت له : إن أتاك رسولى يطلب الكتاب فانصرف إلى المنزل ، ولا تظهر الكتاب ، وقل لى : إنى خلفتُ الكتاب فى المنزل . فدخلت عليه ، فسألنى عن الكتاب ، فقلت : خلّفتُه فى المنزل . فقال : ابعث مَنْ يجيئك به ، فقبل الصُّلح ، وأحسن جائزتى ، وسرّح معى أمّه، وكانت صاحبة أمره .

قال : فقدمتُ على نصْر ؛ فلمانظر إلىّ قال : ما مثلك إلا كما قال الأوّل :

* فأرْسِل حكيمًا ولا تُوصِه(١) *

فأخبرته ، فقال : وُفِّقت ، وأذن لأمه عليه ، وجعل يكلمها والترجمان يعبّر عنها ، فدخل تميم بن نصر ، فقال للترجمان : قل لها : تعرفين هذا ؟ ٢/١٦٩٧
فقالت : لا ، فقال : هذا تميم بن نصر ، فقالت : والله ما أرى له حلاوة الصّغير ، ولا نُبْل الكبير .

قال أبو إسحاق بن ربيعة : قالت لنصر : كل مَلِك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بملِك : وزيرٌ يباثّه(٢) بكتاب نفسه وما شجر فى صدره من الكلام ، ويشاوره ويثق بنصيحته ، وطباخ إذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهى ، وزوجة إذا دخل عليها مغتمًّا فنظر إلى وجهها زال غمّه ، وحصن إذا فزع أو جُهد فزع إليه فأنجاه — تعنى البرذون — وسيف إذا قارع الأقران لم يخش خيانته ، وذخيرة إذا حملها فأين وقع بها من الأرض عاش بها .

ثم دخل تميم بن نصر فى الأزفلة(٣) وجماعة ، فقالت : من هذا ؟ قالوا : هذا فتى خراسان ، هذا تميم بن نصر ، قالت : ما له نُبْل الكبار ولا حلاوة الصغار .

ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت : مَنْ هذا ؟ فقالوا : الحجاج بن قتيبة ، قال : فحيّته ، وسألت عنه ؛ وقالت : يا معشر العرب ، ما لكم وفاء ؛ لا يصلح بعضكم لبعض . قتيبة الذى وطّن لكم ما أرى ، وهذا ابنه تُقعده دونك ! فحقك أن تجلسه هذا المجلس ، وتجلس أنت مجلسه .

---

(١) الأغانى ٦ : ٨٢ ، وصدره * إذا كنتَ فى حاجة مرسلاً *
(٢) كذا فى ا ، وفى ابن الأثير : « يبث إليه ما فى نفسه » .
(٣) الأزفلة : الجماعة من الناس . وفى ط : « مرفلة » تحريف ، صوابه من ا .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ — ١٦٩٨/٢
كذلك قال أبو معْشر ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وكان عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف فى هذه السنة محمد بن هشام ، وعامله على العراق كلّه يوسف بن عمر ، وعامله على أذرَبيجان وأرمينيَة مرْوان بن محمد ، وعلى خراسان نصر بن سيّار ، وعلى قضاء البصرة عامر بن عُبيدة ، وعلى قضاء الكوفة ابن شُبرُمة .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من أحداث

* * *

[خبر مقتل زيد بن علىّ]

فمن ذلك مقتل زيد بن علىّ .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكَـر هشام عن أبى مخنف ، أنّ زيد بن علىّ لما أمَـر أصحابه بالتأهّـب للخروج والاستعداد ، أخذ مَـن كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك ، فانطلق سليمان بن سُراقة البارقىّ إلى يوسف بن عمر ، فأخبره خبره ، وأعلمه أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر ، وإلى رجل من بنى تميم يقال له طُعْـمَـة ، ابن أختٍ لبارق ؛ وهو نازل فيهم. فبعث يوسف يطلب[١] ٢/١٦٩٩ زيد بن علىّ فى منزلهما فلم يوجد عندهما ، وأخذ الرّجلان ، فأُتىَ بهما ، فلما كلّمهما استبان له أمرُ زيد وأصحابه. وتخوّف زيد بن علىّ أن يؤُخذ ، فتعجّل[٢] قبل الأجل الذى جعله بينه وبين أهل الكوفة . قال : وعلى أهل الكوفة يومئذ الحكَم بن الصلْت ، وعلى شُرَطه عمرو بن عبد الرحمن ، (رجل من القارة) ؛ وكانت ثقيف أخواله ؛ وكان فيهم ومعه عبيد الله بن العباس الكندىّ ، فى أناس[٣] من أهل الشأم ، ويوسف بن عمر بالحيرة. قال : فلما رأى أصحابُ زيد بن علىّ الذين بايعوه[٤] أنّ يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد ، وأنه يدسّ إليه ، ويستبحث عن أمره ، اجتمعت إليه جماعة من رءوسهم ، فقالوا : رحمَك الله ! ما قولك فى أبى بكر وعمر ؟ قال زيد : رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعتُ أحداً من أهل بيتى يتبرّأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلمَ تطلب[٥] إذاً بدم أهل هذا البيت ؛ إلّا أن وثبا على سلطانكم[٦]

---

(١) ح ، ف : « فطلب » ، ابن الأثير : « فى طلب » .
(٢) ب ، ح : « فيعجل » (٣) ب وابن الأثير : « فى ناس » .
(٤) ف : « بايعوا » . (٥) ف : « نطلب » .
(٦) ب ، ح « سلطانكما » .

فنزعاه من أيديكم ! فقال لهم زيد : إن أشدّ ما أقول فيما ذكرتم أنّا كنا أحقّ
بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين ، وإنّ القوم استأثروا ١٧٠٠/٢
علينا ، ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرًا ، قد وَلُوا فعَدَلوا فى الناس ،
وعملوا بالكتاب والسنة . قالوا : فلم يظلمك هؤلاء ! وإن كان أولئك لم
يظلموك ، فلمَ تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ! فقال : وإنّ هؤلاء ليسوا
كأولئك ؛ إنّ هؤلاء ظالمون لى ولكم ولأنفسهم ؛ وإنما ندعوكم إلى كتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى السنن أن تُحيا ، وإلى البِدَع أن تُطفأ ؛
فإن أنتم أجبتمونا سعِدتم ، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل. ففارقوه ونكثوا
بيعتَه ، وقالوا : سبق الإمام — وكانوا يزعمون أنّ أبا جعفر محمد بن علىّ أخا
زيد بن علىّ هو الإمام ، وكان قد هلك يومئذ — وكان ابنه جعفر بن محمد
حيًّا ، فقالوا : جعفر إمامنا اليومَ بعد أبيه ؛ وهو أحقّ بالأمر بعد أبيه ؛
ولا نتّبع زيد بن علىّ فليس بإمام . فسمّاهم زيد الرّافضة ، فهم اليوم يزعمون
أن الذى سماهم الرافضة المغيرة[1] حيث فارقوه . وكانت منهم طائفة قبل خروج
زيد مرّوا إلى جعفر بن محمد بن علىّ ، فقالوا له : إن زيد بن علىّ فينا
يبايع ؛ أفترى لنا أن نبايعه ؟ فقال لهم : نعم بايعوه ؛ فهو والله أفضلُنا وسيدنا
وخيرُنا فجاءوا ، فكتموا ما أمرهم به . ١٧٠١/٢

قال : واستتبّ لزيد بن علىّ خروجه ، فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول
ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة .

وبلغ يوسفَ بن عمر أنّ زيداً قد أزمع على الخروج ، فبعث إلى الحكَم
ابن الصلت ، فأمره أن يجمع أهل الكوفة فى المسجد الأعظم يحصرُهم فيه ،
فبعث الحكم إلى العُرَفاء والشُّرط والمناكب[2] والمقاتلة ؛ فأدخلهم المسجد ، ثم
نادى مناديه : ألا إنّ الأمير يقول : مَن أدركناه فى رحلة فقد برئت منه
الذّمّة ؛ ادخلوا المسجد الأعظم . فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج
زيد بيوم ، وطلبوا زيدًا فى دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارىّ ،
فخرج ليلاً ؛ وذلك ليلة الأربعاء ، فى ليلة شديدة البرد ، من دار معاوية بن

(١) هو المغيرة بن سعيد العجلى ، وانظر ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٢) المناكب : قوم دون العرفاء ، وفى حديث النخعى : كان يتوسط العرفاء والمناكب .

إسحاق ، فرفعوا الهرادىّ(١) فيها النيران ، ونادوا : يا منصور أمتْ ، أمتْ يامنصور . فكلما أكلت النار هُرْديًّا رفعوا آخر ، فما زالو كذلك حتى طلع الفجر ؛ فلما أصبحوا بعث زيد بن علىّ القاسم التِّنْعىّ ثم الحضرمىّ و رجلا آخرمن أصحابه ، يناديان بشعارهما ، فلما كانوا فى صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندىّ ، فشدُّوا عليه وعلى أصحابه ، فقتل الرجل الذى كان مع القاسم التِّنعىّ ، وارتُثّ القاسم ، فأتِىَ به الحكم ، فكلمه فلم يردّ عليه شيئًا ، فأمر به فضربتْ عنُقه على باب القصر ؛ فكان أوّل مَنْ قتِل من أصحاب زيد
١٧٠٢/٢ ابن علىّ هو وصاحبه. وأمر الحكم بن الصلت بدروب(٢) السوق فغلقت ، وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة . وعلى أرباع الكوفة يومئذ ؛ على رُبْع أهل المدينة إبراهيم بن عبد اللهبن جرير البجلىّ ، وعلى مَذْحج وأسد عمرو ابن أبى بذْل العبدىّ ، وعلى كِنْدة وربيعة المنذر بن محمد بن أشعث بن قيس الكندىّ ، وعلى تميم وهمْدان محمد بن مالك الهمْدانىّ ثم الخَيْوانىّ .

قال : وبعث الحكم بن الصّلت إلى يوسف بن عمر ، فأخبره الخبر ، فأمر يوسف مناديهفنادى فى أهل الشأم : مَنْ يأتى الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتينى بخبَرهم ؟ فقال جعفر بن العباس الكندىّ : أنا ، فركب فى خمسين فارساً ، ثم أقبل حتى انتهى إلى جبّانة سالم السَّلولىّ ، فاستخبرهم ، ثم رجع إلى يوسف بن عمر فأخبره ، فلما أصبح خرج إلى تلّ قريب من الحيرة ، فنزل عليه ومعه قريش وأشراف الناس ؛ وعلى شُرْطته يومئذ العباس بن سعيد المُزَنىّ ، فبعث الرّيان بن سلَمة الإراشىّ فى ألفين ومعه ثلثمائة من القِيقانيّة رُجّالاً معهم النُّشاب .

وأصبح زيد بن علىّ ، فكان جميعُ مَنْ وافاه تلك الليلة مائتى رجل وثمانية عشر رجلا ، فقال زيد : سبحان الله ! أين الناس! فقيل له : هم فى المسجد
١٧٠٣/٢ الأعظم محصورون ، فقال : لا والله ما هذا لمن بايَعنا بعذر . وسمع نصر ابن خزيمة النداء ، فأقبل إليه ، فلقى(٣) عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصّلت فى خيله من جُهينة عند دار الزّبير بن أبى حكمة فى الطريق

(١) فى اللسان : « الهردية : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم تحمل عليها قضبانه » .
(٢) الدرب : الباب الأكبر . (٣) ح ، ف : « فتلقاه » .

الذى يخرج إلى مسجد بنى عدىّ ، فقال نصر بن خزيمة : يا منصور أمتْ؛ فلم يردّ عليه شيئاً، فشدّ عليه نصر وأصحابه، فقتل عمر بن عبد الرحمن، وانهزم مَن كان معه ، وأقبل زيد بن علىّ من[1] جبّانة سالم حتى انتهى إلى جبّانة الصائديّين ، وبها خمسمائة من أهل الشأم ، فحمل عليهم زيد بن علىّ فيمن معه فهزمهم . وكان تحت زيد بن علىّ يومئذ بِرْذَوْن أدْهَم بهيم ؛ اشتراه رجل من بنى نَهْد بن كهمس بن مروان النجّارىّ بخمسة وعشرين ديناراً، فلما قتل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصّلت .

قال : وانتهى زيد بن علىّ إلى باب دار رجل من الأزْد ، يقال له أنس ابن عمرو – وكان فيمن بايعه – فنودى وهو فى الدار فجعل يجيب ، فناداه زيد يا أنَس : اخرج إلىّ رحمك الله ، فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . فلم يخرج إليه ، فقال زيد: ما أخلفكم ! قد فعلتموها ، الله حسيبكم! ٢ / ١٧٠٤

قال : ثم إنّ زيداً مضى حتى انتهى إلى الكُناسة ، فحمل على جماعة بها من أهل الشأم فهزمهم ؛ ثم خرج حتى ظهر إلى الجبّانة ويوسف بن عمر على التلّ ينظر إليه هو وأصحابه ، وبين يديه حِزام بن مرة المزنىّ وزمزم بن سُلَيم الثعلبىّ ؛ وهما على المجفّفة ، ومعه نحو من مائتى رجل ؛ والله لو أقبل على يوسف لقتله ، والرّيان بن سلَمة يتّبع أثر زيد بن علىّ بالكوفة فى أهل الشأم .

ثم إن زيداً أخذ ذات اليمين على مصلّى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة ، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علىّ حيث وجّه إلى الكُناسة قد انشعبتْ[2] نحو جبّانة مِخْنف بن سُلَيم . ثم قال بعضهم لبعض : ألا ننطلق[3] نحو جبّانة كِنْدة ! قال : فما زاد الرّجل على أن تكلم بهذا الكلام . وطلع أهلُ الشأم ؛ فلما رأوهم دخلوا زُقاقاً فمضَوْا فيه ، وتخلّف رجل منهم ، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم خرج إليهم فقاتلهم ساعة . ثم إنهم صرَعُوه ، فجعلوا يضربونه بأسيافهم ؛ فنادى رجل منهم مقنّع بالحديد : أن اكشفوا المِغفر ثم اضربوا رأسه بعمود حديد ؛ ففعلوا ، وقتِل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل ، وانصرف أهل الشأم ؛ وقد اقتطعوا

(١) ابن الأثير : « على » .
(٢) ب ، ح : « اتسعت » .
(٣) ف : « ألا تنطلقوا » .

رجلا ، ونجا سائرهم . فذهب ذلك الرّجل حتى دخل دار عبد الله بن عوْف ،
٢/١٧٠٥ فدخل أهل الشأم عليه فأسروه ، فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله .

قال : وأقبل زيد بن عليّ ، وقد رأى خِذلان الناس إيّاه ، فقال : يا نصر بن خزيمة ، أتخاف(١) أن يكون قد جعلوها حسينيّة ! فقال له : جعلني الله لك الفداء ! أما أنا فوالله لأضربنّ معك بسيفي هذا حتى أموت ؛ فكان قتاله يومئذ بالكوفة . ثم إن نصر بن خزيمة قال لزيد بن عليّ : جعلني الله لك الفداء ! إنّ الناس في المسجد الأعظم محصورون ، فامض بنا نحوهم ، فخرج بهم زيد نحو المسجد ، فمرّ على دار خالد بن عرْفطة . وبلغ عبيدَ الله ابن العباس الكنديّ إقبالُه ، فخرج في أهل الشأم ، وأقبل زيد فالتقوْا على باب عمر بن سعد بن أبي وقّاص ، فكعّ(٢) صاحب لواء عبيد الله — وكان لواؤه مع سلمان مولاه — فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كعّ عنه ، قال : احمل يابن الخبيثة ! فحمل عليهم ، فلم ينصرف حتى خُضِّب لواؤه بالدّم .

ثم إن عبيد الله برز فخرج إليه واصل الحنّاط ، فاضطربا بسيفهما ، فقال للأحول : خذها منّي وأنا الغلام الحنّاط ! وقال الآخر : قطع الله يدي
٢/١٧٠٦ إن كِلْتَ بقفيزٍ أبداً . ثم ضربه فلم يصنع شيئاً . وانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابُه ، حتى انتهوْا إلى دار عمرو بن حُرَيث . وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوْا إلى بابِ الفيل ؛ فجعل أصحابُ زيد يُدخلون راياتِهم من فوق الأبواب ، ويقولون : يا أهلَ المسجد ، اخرجوا . وجعل نصر بن خُزَيمة يناديهم ، ويقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا من الذلّ إلى العزّ ، اخرجوا إلى الدين والدنيا ؛ فإنكم لستم في دين ولا دنيا . فأشرف عليهم أهلُ الشأم ، فجعلوا يرمُونهم بالحجارة من فوق المسجد — وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها ، وقيل في جبّانة سالم — وانصرف الرّيان بن سلَمة إلى الحيرة عند المساء ، وانصرف زيد بن عليّ فيمن معه ، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة ، فنزل دار الرزق ، فأتاه الرّيان بن سلمة ، فقاتله عند دار الرزق قتالاً شديداً ، فجرح من أهل

---

(١) ابن الأثير : « أنا أخاف » .
(٢) كع : جبن وضعف .

الشأم وقتِل منهم ناس كثير ، وتبعهم أصحاب زيد من دار الرّزق ؛ حتّى انتهوْا إلى المسجد ؛ فرجع أهلُ الشأم مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظنًّا ؛ فلما كان من الغد غداة يوم الخميس، دعا يوسف بن عمر الرّيان بن سَلَمة ، فلم يوجَد حاضراً تلك الساعة .

١٧٠٧/٢ وقال بعضُهم : بل أتاه وليس عليه سلاحه فأفّفَ به ، وقال له : أفٌّ لك من صاحب خيل ! اجلس . فدعا العباس بن سعيد المُزَنىّ صاحب شرطته ، فبعثه فى أهل الشأم ، فسار حتّى انتهى إلى زيد بن علىّ فى دار الرزق ، وثَمّ خشب للتجار[١] كثير ، فالطريق متضايق . وخرج زيد فى أصحابه ، وعلى مجنّبتيه نصر بن خزيمة العبسىّ ومعاوية بن إسحاق الأنصارىّ ، فلما رآهم العباس – ولم يكن معه رجال – نادى : يا أهلَ الشأم ، الأرضَ والأرضَ ! فنزل ناسٌ كثير ممن معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فى المعركة . وقد كان رجل من أهل الشأم من بنى عَبْس يقال له نائل بن فَرْوة قال ليوسف بن عمر : والله لئن أنا ملأتُ عينى من نصر بن خزيمة لأقتلنّه أو ليقتلنّى ، فقال له يوسف : خذ هذا السيف ؛ فدفع إليه سيفًا لا يمرّ بشىء إلا قطعه . فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا ، بصُر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة ، فأقبل نحوه ، فضرب نصراً فقطع فَخِذه ، وضربه نصر ضربةً فقتله ؛ فلم يلبث نصر أن مات ، واقتتلوا قتالاً شديداً .

ثم إن زيد بن علىّ هزمهم وقتل من أهل الشأم نحواً من سبعين رجلا ، فانصرفوا وهم بشرّ حال . وقد كان العباس بن سعيد نادى فى أصحابه أن اركبوا ؛ فإن الخيل لا تطيق الرجال فى المضيق فركبوا ، فلما كان العشىّ ١٧٠٨/٢ عبّأهم يوسف بن عمر ثم سرّحهم ، فأقبلوا حتّى التقوْا هم وأصحاب زيد ، فحمل عليهم زيد فى أصحابه فكشفهم ، ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السَّبَخة ، ثم شدّ عليهم بالسبَخة حتّى أخرجهم إلى بنى سُلَيم ، ثم تبعهم فى خيله ورجاله ؛ حتّى أخذوا على المسنّاة[٢] .

ثم إنّ زيداً ظهر[٣] لهم فيما بين بارق ورُؤَاس ، فقاتلهم هنالك قتالاً شديداً .

---

(١) ط : « للنجار » ، وما أثبته من ح . (٢) المسناة : ضفيرة تبنى للسيل لترد الماء .
(٣) ط : « أظهر » ، وما أثبته من ا .

وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبى مالك بن مسروح ، من بنى سعد بن زيد ، حليف العباس بن عبد المطلب ، وكان مسروح السعدىّ تزوّج صفية بنت العباس بن عبد المطلب ، فجعلت خيلُهم لا تثبُت لخيله ورجله ، فبعث العباس إلى يوسف بن عمر يعلمه ذلك ، فقال له : ابعث إلىّ الناشبة ، فبعث إليهم سليمان بن كيسان الكلبىّ فى القيقانيّة والبُخاريّة ؛ وهم ناشبة ، فجعلوا يرمون زيداً وأصحابه ، وكان زيد حريصًا على أن يصرفهم حين انتهوا إلى السَّبَخة ، فأبوْا عليه ، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصارىّ بين يدى زيد بن علىّ قتالاً شديداً ، فقتل بين يديه ، وثبت زيد بن علىّ ومَنْ معه حتّى إذا جنح الليل رُمِىَ بسهم فأصاب جانب[1] جبهته اليسرى ؛ فتشبّث[2] فى الدّماغ ، فرجع ورجع أصحابه ؛ ولا يظنّ أهلُ الشأم أنهم ١٧٠٩/٢
رجعوا إلا للمساء والليل .

قال : فحدّثنى سلمة بن ثابت الليثىّ — وكان مع زيد بن علىّ ، وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ، هو وغلام لمعاوية بن إسحاق — قال : أقبلتُ أنا وصاحبى نقصّ أثر زيد بن علىّ ، فنجدُه قد أنزل ؛ وأدخل بيت حرّان ابن كريمة (مولى لبعض العرب فى سكّة البريد فى دور أرْحَب وشاكر). قال سلمة بن ثابت : فدخلت عليه ، فقلت له : جعلنى الله فداك أبا الحسين ! وانطلق أصحابُه فجاءوا بطبيب يقال له شُقَير (مولّى لبنى رُؤاس) فانتزع النّصل من جبهته ، وأنا أنظر إليه ، فوالله ما عدا أن انتزعه جعل يصيح ، ثم لم يلبث أن قضى ؛ فقال القوم : أين ندفنُه ، وأين نواريه ؟ فقال بعض أصحابه : نلبسه درعَه ونطرحُه فى الماء ، وقال بعضهم : بل نحتزّ رأسَه ونضعه بين القتلى ، فقال ابنه يحيى : لا والله لا تأكل لحم أبى الكلاب . وقال بعضهم : لا بل نحمله إلى العباسيّة فندفنه .

قال سلمة : فأشرتُ عليهم أن ننطلق به إلى الحُفْرة التى يؤخذ منها الطين فندفنه فيها ، فقبلوا رأيى وانطلقنا ، وحفرنا له بين حُفْرتَين ، وفيه حينئذ ماء كثير ؛ حتى إذا نحن أمكنّا له دفنّاه ، وأجرينا عليه الماء[3] ، وكان معنا ١٧١٠/٢

(١) ح : « حاجب » . (٢) ابن الأثير : « فثبت » .
(٣) ح ، ف : « الماء عليه » .

عبد له سندىٌّ . قال : ثم انصرفنا حتى نأتى جبّانة السبيع ، ومعنا ابنه ، فلم نزل بها ، وتصدّع الناس عنا ، وبقيت فى رهط معه لا يكونون[1] عشرة ، فقلت له : أين تريد ؟ هذا الصبح قد غشيك — ومعه أبو الصبّار العبدىّ — قال : فقال : النّهرين ، فظننتُ أنه يريد أن يتشطّط الفرات ويقاتلهم — فقلتُ له : لا تبرح مكانَك ، تقاتلهم حتى تُقتل ، أو يقضى الله ما هو قاض . فقال لى : أنا أريد نهرَىْ كربلاء . فقلت له : فالنّجاء قبل الصبح ، فخرج من الكوفة ، وأنا معه وأبو الصبّار ورْهط معنا ، فلمّا خرجنا من الكوفة سمعنا أذان المؤذّنين ، فصلينا الغَداة بالنُّخيلة ، ثم توجّهنا سراعاً قِبَل نِينَوَى ، فقال لى : إنى أريد سابقاً مولى بشر بن عبد الملك بن بِشْر ، فأسرع السير ، وكنتُ إذا لقيت القوم أستطعمهم فأطعَمُ الأرغفة فأطعِمها إياه ، فيأكل ونأكل معه ؛ فانتهينا إلى نِينَوَى وقد أظلمنا ، فأتينا منزل سابق ، فدعوتُ على الباب ، فخرج إلينا فقلت له : أما أنا فآتى الفيّوم ، فأكون به ؛ فإذا بدا لك أن ترسل إلىّ فأرسل . قال : ثم إنى مضيت وخلّفته عند سابق ؛ فذلك آخر عهدى به .

١٧١١/٢ قال : ثم إنّ يوسف بن عمر بعث أهل الشأم يطلبون الجرحَى فى دور أهل الكوفة ، فكانوا يخرجون النساء إلى صحن الدار ، ويطوفون البيت يلتمسون الجرحَى .

قال : ثم دلّ غلام زيد بن علىّ السندىُّ يوم الجمعة على زيد ، فبعث الحكم بن الصّلت العباسَ بن سعيد المزنىّ وابن الحكم بن الصّلت ، فانطلقا فاستخرجاه ، فكره العباس أن يغلب عليه ابن الحكم بن الصّلت . فتركه وسرّح بشيراً إلى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن علىّ مع الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عَقِيل ، فقال أبو الجُوَيرِيَة مولى جُهَينة :

قُلْ للذينَ انتهكوا المحارمْ ورفعوا الشَّمْعَ بصَحْرا سالِمْ
كيف وَجَدْتمْ وقعةَ الأكارمْ يا يوسفَ بنَ الحكمِ بن القاسمْ !

قال : ولما أتى يوسفَ بن عمر البشيرُ ، أمر بزيد فصلب بالكُناسة ؛

(١) كذا فى ح ، وفى ط : « لا تكون » .

هو ونصر بن خُزيمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاريّ وزياد النهديّ ؛ وكان يوسف قد نادى : مَن جاء برأسٍ فله خمسمائة درهم ، فجاء محمد بن عبّاد برأس نصر بن خُزيمة ، فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم ، وجاء الأحول مولى الأشعريّين برأس معاوية بن إسحاق ؛ فقال : أنت قتلتَه ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! ليس أنا قتلته ؛ ولكني رأيتُه فعرفته ، فقال : أعطوه سبعمائة درهم ، ولم يمنعه أن يتمّ له ألفًا ، إلاّ أنه زَعم أنه لم يقتله .

٢/١٧١٢ وقد قيل : إنّ يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق إلى الكوفة بعد ما شخص إلّا بإعلام هشام بن عبد الملك إياه ، وذلك أن رجلاً من بني أمية كتب — فيما ذكر — إلى هشام ، يذكر له أمر زيدٍ ، فكتب هشام إلى يوسف يشتمه ويجهّله ، ويقول : إنك لَغافل ، وزيد غارز ذَنبه بالكوفة يبايَع له فألحِحْ[١] في طلبه ، فأعطِه الأمان فإن لم يقبل فقاتله. فكتب يوسف إلى الحكَم بن الصّلت من آل أبي عَقيل وهو خليفته على الكوفة بطلبه ، فطلبه فخفيَ عليه موضعُه ، فدسّ يوسف مملوكًا خُراسانيًّا ألكَن ، وأعطاه خمسة آلاف درهم ، وأمره أن يلطف لبعض الشّيعة فيخبره أنه قد قدم من خُراسان حبًّا لأهل البيت ؛ وأنّ معه مالاً يريد أن يقوّيَهم به ؛ فلم يزل المملوك يلقَى الشيعة ، ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد ، فخرج فدَلّ يوسف على موضعه ، فوجّه يوسف إليه الخيل ، فنادى أصحابه بشعارهم ، فلم يجتمع إليه منهم إلا ثلثمائة أو أقلّ ، فجعل يقول : كان داود ابن عليّ أعلَم بكم ؛ قد حذّرني خِذلانكم فلم أحذر !

وقيل : إنّ الذي دَلّ على موضع زيد الذي كان دُفن فيه — وكان دفن في نهر يعقوب فيما قيل ، وكان أصحابُه قد سكَروا[٢] النهر ثم حفروا
٢/١٧١٣ له في بطنه ، فدفنوه في ثيابه ثم أجْروا عليه الماء — عَبْدٌ[٣] قصّار كان به ، فاستجعل جُعلا على أن يدلّهم على موضعه ، ثم دلّهم ، فاستخرجوه ، فقطعوا رأسَه ، وصلبوا جسده ؛ ثم أمروا بحراسته لئلا يُنزل ، فمكث يُحرَس زمانًا .

---

(١) ط : « فألحج » . (٢) سكروا النهر : سدوا فاه .
(٣) كذا في ب ، وفي ط « عند » ، تصحيف .

وقيل إنه كان فيمن يحرُسه زهير بن معاوية أبو خيثمة، وبُعث برأسه إلى هشام فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ، ثم أرسل به إلى المدينة ، ومكث البدن مصلوبًا حتى مات هشام ، ثم أمر به الوليد فأنزل وأحرق . وقيل : إن حكيم ابن شريك كان هو الذى سعى بزيد إلى يوسف .

فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال فى أمر يحيى بن زيد : لما قُتِل زيد عمد رجلٌ من بنى أسد إلى يحيى بن زيد ، فقال له : قد قتِل أبوك ، وأهلُ خراسان لكم شيعةٌ ، فالرأى أن تخرج إليها . قال : وكيف لى بذلك ؟ قال : تتوارى حتى يكفّ عنك الطلب ثم تخرج ، فواراه عنده ليلة، ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مرْوان ، فقال له : إن قرابة زيد بك قريبة ، وحقّه عليك واجب ، قال له : أجل ؛ ولقد كان العفو عنه أقربَ إلى التقوى ، قال : فقد قتل وهذا ابنه غلامًا حدَثًا(١) لا ذنب له ؛ وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله ، فتُجيره وتواريه عندك ، قال : نعم وكرامة . فأتاه به فواراه عنده . فبلغ الخبر يوسف ، فأرسل إلى ٢/١٧١٤ عبد الملك : قد بلغنى مكان هذا الغلام عندك ، وأعطى الله عهداً ؛ لئن لم تأتنى به لأكتبنّ فيك إلى أمير المؤمنين ، فقال له عبد الملك : أتاك الباطل والزور ؛ أنا أوارى مَنْ ينازعنى سلطانى ويدّعى فيه أكثر من حقّى ! ما كنت أخشاك على قبول مثل هذا علىّ ولا الاستماع من صاحبه ، فقال : صدق والله ابن بِشْر ؛ ما كان ليوارى مثل هذا ، ولا يستر(٢) عليه ؛ فكفّ عن طلبه ؛ فلما سكن الطلبُ خرج يحيى فى نفر من الزيديّة إلى خُراسان .

وخطب يوسف بعد قتل(٣) زيد بالكوفة فقال :

يا أهل الكوفة ، إن يحيَى بن زيد يتنقّل فى حجال نسائكم كما كان يفعل أبوه ؛ والله لو أبدى(٤) لى صفحته لعرقتُ خصييه كما عرقت خصيَى أبيه .

وذكر عن رجل من الأنصار قال : لما جىء برأس زيد فصُلب بالمدينة فى سنة ثلاث وعشرين ومائة ، أقبل شاعر من شعراء الأنصار فقام بحياله ، فقال :

---

(١) ابن الأثير : « غلام حدث » . (٢) ب : « يستره » .
(٣) ف : « بعد ما قتل زيد » . (٤) ط : « بدى » ، وما أثبته من ف .

أَلا يا ناقِضَ الميثا قِ أَبشرْ بالذى ساكا
نقَضْتَ العهْدَ والميثا قَ قِدْماً كان قدْماكا
لقد أَخلَفَ إبليس الّ لذى قد كان مَنّاكا

١٧١٥/٢ قال : فقيل له : ويلك ! أتقول هذا لمثل زيد ! فقال : إن الأمير غضبان فأردتُ أن أرضيه ، فردّ عليه بعض شعرائهم :

أَلا يا شاعرَ السوْءِ لقد أَصْبَحْت أَفَّاكا
أَتَشْتُمُ ابنِ رسول الل ه يُرْضِى مَنْ تَولاكا(١)
أَلَا صَبَّحَكَ اللهُ بخِزىٍ ثم مَسّاكا
ويوم الحشر لا شكَّ بأَن النَّارَ مثواكا

وقيل : كان خِراش بن حَوْشب بن يزيد الشيبانىّ على شُرَط يوسف ابن عمر ؛ فهو الذى نبَشَ زيداً ، وصلبه ، فقال السيّد :

بتّ ليلى مُسهدَا ساهِرَ الطَّرفِ مُقصَدا
ولقد قلتُ قولةً وأَطَلتُ التَّبلّدا
لَعنَ اللهُ حَوْشَباً وخِراشاً ومزْيَدا
ويَزيدًا فإنه كان أَعْتَى وأَعْندا
أَلفَ أَلف وأَلفَ أَلْ فٍ من اللعْن سَرمدا
إنهم حاربوا الإلَ ه وآذوْا محمدا
شركوا فى دَمِ المطهَّرِ زيد تعَنُّدا
ثم عالوه فوقَ جِذْ عٍ صريعاً مُجَرَّدا
يا خِراشَ بنَ حوشَبٍ أَنت أَشقَى الورَى غدًا

(١) ورد هذا البيت محرفاً مضطرباً فى ط ، وأثبت صوابه من ا .

٢/١٧١٦ قال أبو مخنف : ولما قتَل يوسف زيدَ بن عليٍّ أقبل حتّى دخل الكوفة فصعِد المنبر ، فقال :

يا أهلَ المدَرة الخبيثة ، إنى والله ما تقرَن بى الصَّعْبَة ، ولا يقعقَع لى بالشّنان ، ولا أخوّف بالذنب[1] . هيهات! حُبِيت بالساعد الأشدّ ، أبشروا يا أهلَ الكوفة بالصَّغار والهوان ، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق ؛ ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم ، وأحرمكم أموالكم . أمَا والله ما علوت منبرى إلا أسمعتُكم ما تكرهون عليه ، فإنكم أهلُ بغى وخلاف ، ما منكم إلا مَن حارب الله ورسوله ؛ إلا حكيم بن شريك المحاربىّ ؛ ولقد سألت أميرَ المؤمنين أن يأذن لى فيكم ؛ ولو أذن لقتلتُ مقاتلتكم ، وسبيت ذراريّكم .

* * *

وفى هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القُشيرىّ الذى كان هشام بن عبد الملك بعثه فى خيول أهل الشأم إلى إفريقيّة ؛ حيث وقعت الفتنة بالبربر .

وفيها قتل عبد الله البطّال فى[2] جماعة من المسلمين بأرض الروم .

وفيها ولد الفضل بن صالح ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ .

٢/١٧١٧ وفيها وجّه يوسف بن عمر بن شُبرمة على سِجِسْتان ، فاستقضى ابنَ أبى ليلى .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام المخزومىّ ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحق بن عيسى ، عن أبى معشر ؛ وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة العمال فى السنة التى قبلها ، وقد ذكرناهم قبل ؛ إلا أنّ قاضى الكوفة كان — فيما ذكر — فى هذه السنة محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى .

---

(١) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « الذئب » .

(٢) ف : « وجماعة » .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السُّغْد]

فمن ذلك ما جَرى بين أهل السُّغد ونَصْر بن سيار من الصّلح .

* ذكر الخبر عن ذلك وسببه :

ذكر عليّ بن محمد ، عن شيوخه ، أن خاقان لما قُتل فى ولاية أسد ، تفرّقت الترك فى غارة بعضها على بعض ؛ فطمع أهل السُّغد فى الرّجْعة إليها ، وانحاز قوم منهم إلى الشاش ، فلما ولى نصر بن سيار أرسل إليهم يدعوهم إلى الفيئة والمراجعة إلى بلادهم ، وأعطاهم كلّ ما أرادوا .

قال : وكانوا سألوا شُروطاً أنكرها أمراء خُراسان ؛ منها ألّا يعاقب مَن كان مسلماً وارتدّ عن الإسلام ، ولا يعدّى عليهم فى دَين لأحد من الناس ،
١٧١٨/٢ ولا يؤخذون بقَبالة عليهم فى بيت المال ، ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضيّة قاض وشهادة العدول[1] ؛ فعاب الناس ذلك على نصر ، وكلّموه فقال : أما والله لو عاينتم شَوْكتهم فى المسلمين ونِكايتهم مثل الذى عاينت ما أنكرتم ذلك ! فأرسل رسولا إلى هشام فى ذلك ؛ فلما قدم الرّسول أبى أن ينفذ ذلك لنصر ، فقال الرسول : جرّبت يا أمير المؤمنين حرْبنا وصُلْحنا ، فاختر لنفسك . فغضب هشام ، فقال الأبرش الكلبيّ : يا أمير المؤمنين ، تألّف القوم واحمل لهم ؛ فقد عرفْتَ نكايتهم كانت فى المسلمين ، فأنفذ هشام ما سأل .

* * *

وفى هذه السنة أوفد يوسفُ بن عمر الحكَمَ بن الصّلت إلى هشام بن عبد الملك ، يسأله ضمّ خراسان إليه وعَزْل نصر بن سيّار .

---

(١) ابن الأثير : « عدول » .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان من الأمر فيه :

ذكر عليّ عن شيوخه ، قال : لما طالت ولاية نَصْر بن سيار ، ودانت له خُراسان ، كتب يوسف بن عمر إلى هشام حسداً له : إن خُراسان دَبَرَةٌ دبِرة[1] فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمَّها إلى العراق فأسرّح إليها الحكَم بن الصلت ؛ فإنه كان مع الجُنيد ، وولِيَ جسيم أعمالها ، فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحُكم . وأنا باعث بالحكم بن الصَّلْت إلى أمير المؤمنين ، فانه أديب أريب ، ونصيحته لأمير المؤمنين مثل نصيحتنا ومودّتنا أهلَ البيت.

فلما أتى هشامًا كتابُه بعث إلى دار الضيافة ، فوجد فيها مقاتل بن عليّ السُّغديّ ، فأتوْه به ، فقال : أمِن خراسان أنت ؟ قال : نعم ، وأنا صاحب الترك — قال : وكان قدم على هشام بخمسين ومائة من الترك — فقال : أتعرف الحكم بن الصلت ؟ قال : نعم ، قال : فما ولِيَ بخراسان ؟ قال : وليَ قرية يقال لها الفارَياب ، خراجها سبعون ألفًا ، فأسره الحارث بن سُريج ، قال : ويحك ! وكيف أفلتَ منه ! قال : عرك أذنه ، وقفَدَه[2] وخلّى سبيله . قال : فقدم عليه الحكم بعدُ بخراج العراق ، فرأى له جمالاً وبيانًا ، فكتب إلى يوسف : إنّ الحكَم قدم وهو على ما وصفت ، وفيما قِبَلك له سعةٌ ، وخلِّ الكنانيّ وعمله.

* * *

وفى هذه السنة غزا نصر فرغانة غزوتَه الثانية ، وأوفد مغراء بن أحمر إلى العراق ، فوقع فيه عند هشام .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من هشام ويوسف بن عمر فيه :

١٧٢٠/٢ ذكر أن نصراً وجّه مَغْراءَ بن أحمر إلى العراق وافداً ، منصرفَه من غَزْوته الثانية فَرْغانة ، فقال له يوسف بن عمر : يابن أحمر ؛ يغلبكم ابن الأقطع يا معشر قيس على سلطانكم ! فقال : قد كان ذلك أصلح الله الأمير ! قال : فإذا قدمتَ على أمير المؤمنين فابقر بطنه . فقدموا على هشام ، فسألهم عن أمر خُراسان ، فتكلّم مغراء ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر

(١) الدبرة ، بالتحريك : قرحة الدابة ، ودبرت فهى دبرة ، كفرحة ، أى أنها موطن للقلاقل .

(٢) القفد : صفع الرأس ببسط الكف .

يوسف بن عمر بخير ، فقال : ويحك! أخبرنى عن خُراسان ، قال : ليس لك جند يا أمير المؤمنين أحدّ[١] ولا أنجد منهم ، من سُواذق[٢] فى السماء وفرسان[٣] مثل الفيلة ؛ وعُدّة وعَدد من قوم ليس لهم قائد ، قال : ويحك ! فما فعل الكنانىّ ؟ قال : لا يعرف ولَده من الكبَر . فردّ عليه مقالته ، وبعث إلى دار الضيافة ، فأتِىَ بشُبَيل بن عبد الرحمن المازنىّ ، فقال له هشام : أخبرنى عن نَصْر ، قال : ليس بالشيخ يُخشى خَرَفه ، ولا الشابّ يُخشى سفهُه ، المجرِّب المجرَّب ، قد ولى عامّة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته . فكتب إلى يوسف بذلك ، فوضع يوسف الأرصاد ، فلما انتهوا إلى الموْصِل تركوا طريق البَريد ، وتكادُّوا حتى قدموا بيْهق — وقد كُتِب إلى نصر بقول شُبَيل — وكان إبراهيم بن بسام فى الوفْد ، فكر به يوسف ، ونعَى له نصراً ، وأخبره أنه
١٧٢١/٢ قد ولّى الحكم بن الصّلت بن أبى عقيل خُراسان . فقسم له إبراهيم أمر خُراسان كله ؛ حتى قدم عليه إبراهيم بن زياد رسول نصر ؛ فعرف أنّ يوسف قد مكرَ به وقال : أهلكنى يوسف .

وقيل : إن نصراً أوفد مغراء ، وأوفد معه حَمَلة بن نعيم الكلبىّ ، فلما قدموا على يوسف ، أطمع يوسف مغراء ، إن هو تنقّص نصراً عند هشام أن يوليَه السند . فلما قدما عليه ذكر مَغْراء بأس نصر ونجدته ورأيه ، وأطنب فى ذلك ، ثم قال : لو كان الله متّعنا منه ببقيّة ! فاستوى هشام جالساً ، ثم قال : ببقيّة ماذا ؟ قال : لا يَعْرِف الرّجل إلا بجِرْمه ، ولا يفهم عنه حتى يُدنَى منه ، وما يكاد يُفهم صوته من الضّعف لأجل كِبَره . فقام حَمَلة الكلبىّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، كذب والله ، ما هو كما قال ؛ هو هو . فقال هشام : إن نصرًا ليس كما وصف ، وهذا أمر يوسف بن عمر حسدٌ لنصر ؛ وقد كان يوسف كتب إلى هشام يذكر كِبَر نصر وضعفَه ، ويذكر له سَلْم بن قتيبة . فكتب إليه هشام : الْهُ عن ذكر الكنانىّ ، فلما قدم
١٧٢٢/٢ مغراء على يوسف ، قال له : قد علمتَ بلاء نصر عندى ، وقد صنعتُ به

(١) ا ، ب : « أعد » .
(٢) السواذق : الصقر .
(٣) كذا فى ا وفى ط : « فراسية » .

ما قد علمتَ، فليس لى فى صحبته خير، ولا لى بخراسان مقام؛ فأمره[١] بالمقام. وكتب إلى نصر: إنى قد حوّلت اسمَه، فأشخص إلىّ مَن قِبَلك من أهله.

وقيل: إنّ يوسف لما أمر مغراء بعيب نَصْر، قال: كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندى وعند قومى! فلم يزل به، فقال: فبِمَ أعيبه؟ أعيب تجربته أم طاعته؟ أم يُمْن نقيبته أم سياسته؟ قال: عِبْه بالكِبَر. فلما دخل على هشام تكلم مغراء، فذكر نصرًا بأحسن ما يكون، ثم قال فى آخر كلامه: لولا ... ، فاستوى هشام جالسًا، فقال: ما لولا! قال: لولا أنّ الدهر قد غلب عليه، قال: ما بلغ به ويحك الدهرُ! قال: ما يعرف الرّجل إلا من قريب، ولا يعرفه إلا بصوته، وقد ضعُف عن الغَزْو والرّكُوب. فشقّ ذلك على هشام. فتكلّم حَمَلة بن نُعيم. فلما بلغ نصراً قول مغْراء بعث هارون بن السياوش إلى الحكم بن نُميلة، وهو فى السرّاجين يعرض الجند، فأخذ برجله فسحبه عن طِنفسة له، وكسر لواءه على رأسه، وضرب بطِنْفسته وجهه، وقال: كذلك يفعل الله بأصحاب[٢] الغدر!

١٧٢٣/٢ وذكر علىّ بن محمد، عن الحارث بن أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة: لما ولى[٣] نصر خراسان أدنى مغراء بن أحمر بن مالك بن سارية النميرىّ والحكم ابن نُمَيلة بن مالك والحجاج بن هارون بن مالك؛ وكان مغراء بن أحمر النميرىّ رأس أهلِ قنَّسرين، فآثر نصر مغراء وسنّى منزلته، وشفّعه فى حوائجه، واستعمل ابنَ عمه الحكم بن نُميلة على الجُوزَجان، ثم عقد للحكم على أهل العالية، وكان أبوه بالبصرة عليهم؛ وكان بعده عُكَابة بن نُمَيلة، ثم أوفد نصر وفداً من أهل الشأم وأهل خراسان، وصيّر عليهم مغراء؛ وكان فى الوفد حَمَلة بن نعيم الكلبىّ، فقال عثمان بن صدقة بن وثاب لمسلم بن عبدالرحمن ابن مسلم عامل طُخارستان:

خيَّرَنى مسْلمٌ مراكِبَــهُ فقُلْتُ حَسْبى مِنْ مُسْلِمٍ حكَما

(١) كذا فى ا، وهو الصواب، وفى ط: «فأمرنى». (٢) ا، ف: «بأهل».
(٣) ح، ف: «تولى».

هذَا فتَى عامرٍ وسَيِّدُها كفَى بمَنْ سادَ عامرًا كرما

يعنى الحكم بن نُميلة .

قال : فتغيّر نصر لقيس وأوحشه ما صنع مغراء . قال : وكان أبو نُميلة صالح الأبّار مولى بنى عبس، خرج مع يحيى بن زيد بن علىّ بن حسين ، فلم يزل معه حتى قُتل بالجُوزَجان . وكان نصر قد وَجد عليه لذلك ، فأتى عبيد الله بن بسام صاحب نصر ، فقال :

٢/١٧٢٤ قد كُنْتُ فى هِمَّةٍ حَيْرَان مكْتَئباً حتَّى كفانى عُبَيْدُ اللهِ تَهْمامِى
نادَيْتُهُ فسَما للمَجْدِ مُبْتَهِجاً[1] كغُرَّةِ البَدْرِ جَلَّى وَجْه إظلام
فاسْمُ برَأْىِ أبى لَيْثٍ وصَوْلَتِهِ إن كنتَ يَوْمَ حفاظٍ بامرئٍ سامِ
تظفرْ يَداكَ بمنْ تَمَّتْ مُرُوَّتُهُ واخْتَصَّهُ رَبُّهُ مِنْهُ بإكرامِ
ماضى العزائمِ ليْثِىٌّ مَضارِبُهُ على الكَرِيهَةِ يَوْمَ الرَّوْعِ مِقدام
لا هَذِرٌ ساحَةَ النَّادى ولا مَـذِلٌ فيه ولا مُسْكِتٌ إسكاتَ إفحامِ
له مِنَ الحِلمِ ثوْباهُ ومجْلِسُهُ إذا المجالِسُ شانَتْ أَهلَ أحلام

قال : فأدخله عبيد الله على نصر ، فقال أبو نُميلة : أصلحك الله ! إنى ضعيف ؛ فإن رأيت أن تأذن لراويتى ! فأذن له ، فأنشده :

فاز قِدْحُ الكلبىّ فاعْتقَدَتْ مَغْ راءَ فى سعْيِهِ عُرُوقُ لئيم
فأَبِينِى نُمَيْرُ ثُمّ أَبِينِى أَلعَبْدِ مغراءُ أَمْ لِصَمِيمِ
فلئِنْ كان منكمُ ما يكُونُ ال غدرُ والكفْر مِنْ خصالِ الكريـمِ
٢/١٧٢٥ ولئنْ كان أَصلُه كان عبْدا ما عليْكمْ مِنْ غدْرِهِ مِنْ شتيم
وليتـه لَيْثٌ وأَىٌّ وُلاةٍ بـأَيادٍ بيضٍ وأَمْرٍ عظيمِ!
أَسمنتْهُ حتى إذا راحَ مَغْبُو طاً بخيرٍ مِنْ سَيْبِها المَقْسومِ

(١) ح ، ف : « ناجيته فسما » .

كَادَ ساداتِهِ بأَهْونَ مِنْ نَهـ قَةِ عَيْرٍ بقَفْرَة مَرْقومِ
فضرَبنا لِغيْرنا مَثلَ الكلـ بِ ذميا والذَّمُّ للمَذْمُومِ
وحَمِدنا ليثاً ويَأْخُذُ بالفَضـ لِ ذَوُو الجود والنَّدَى والحُلُومِ
فاعلَمُنْ يَا بنى القَساورةِ الغُلـ بِ وأَهلِ الصَّفا وأَهلَ الحَطِيمِ
أَن فى شكرِ صالِحِينا لَمَا يَدْ حَضُ قَوْلَ المرهقِ المَوصُومِ
قد رأَى اللهُ ما أَتيْتَ ولنْ يَنْـ قصَ نبْحُ الكلابِ زُهْرَ النُّجُومِ

فلما فرغ قال نصر : صدقت ، وتكلمت القيسية واعتذروا . قال : وأهان نصر قيساً وباعدهم حين فعل مغراء ما فعل ، فقال فى ذلك بعض الشعراء :

لقدْ بَغَّض اللهُ الكِرامَ إليكمُ كما بغَّضَ الرَّحمنُ قيْساً إلى نَصرِ
رَأَيْتُ أَبا لَيْث يُهينُ سَرَاتهُمْ ويُدْنِى إليْه كلَّ ذى والثٍ غُمْرِ

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك ؛ كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ؛ وكذلك قال الواقدىّ أيضًا .

وكان عُمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا فى السَّنة التى قبلها ، وقد ذكرتهم قبل .

١٧٢٦/٢

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ابتداء أمر أبى مسلم الخراسانىّ]

فمما كان فيها من ذلك مقدَم جماعة من شيعة بنى العباس الكوفة يريدون مكّة ، وشرى[1] بُكَير بن ماهان — فى قول بعض أهل السير — أبا مسلم صاحبَ دعوة بنى العباس من عيسى بن معقل العجلىّ .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وقد اختُلف فى ذلك ؛ فأمّا علىّ بن محمد ، فإنه ذكر أن حمزة بن طلحة السلمىّ حدثه عن أبيه ، قال : كان بكير بن ماهان كاتبًا لبعض عمّال السند ، فقدمها[2] ، فاجتمعوا بالكوفة فى دار ، فغُمِز[3] بهم فأخذوا ، فحبس بكير وخُلِّىَ عن[4] الباقين ، وفى الحبس يونس أبو عاصم وعيسى بن معقل العجلىّ ، ومعه أبو مسلم يخدُمه ، فدعاهم بكير فأجابوه إلى رأيه ، فقال لعيسى بن معقل : ما هذا الغلام ؟ قال : مملوك ، قال : تبيعه ؟ قال : هو لك ، قال : أحبّ أن تأخذ ثمنه ، قال : هو لك بما شئت ؛ فأعطاه أربعمائة درهم ، ثم أُخرِجوا من السجن ، فبعث به إلى إبراهيم فدفعه إبراهيم إلى أبى موسى السراج ، فسمع منه وحفظ ، ثم صار إلى أن اختلف إلى خراسان .

١٧٢٧/٢ وقال غيره : توجّه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ ، وقحطبة بن شبيب من خراسان ، وهم يريدون مكة فى سنة أربع وعشرين ومائة ، فلما دخلوا الكوفة أتوا عاصم بن يونس العجلىّ ؛ وهو فى الحبس ، قد اتُّهم بالدّعاء إلى ولد العباس ، ومعه عيسى وإدريس ابنا معقل ؛ حبسهما يوسف بن عمر فيمن حبس من عُمّال خالد بن عبد الله ، ومعهما أبو مسلم يخدُمهما ؛ فرأوا فيه العلامات ، فقالوا : مَن هذا ؟ قالوا : غلام معنا من

---

(١) شراه يشريه شرى : ملكه بالبيع ، مثل اشترى . (٢) ا ، ف : « فقدم » .

(٣) غمز بهم ، أى سعى بهم شرًّا . (٤) كذا فى ا ، وفى ط : « من » .

السَّراجين ـ وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وإدريس يتكلمان فى هذا الرأى فإذا سمعهما بكى ـ فلما رأوا ذلك منه دعوْه إلى ماهم عليه، فأجاب وقبِل .

* * *

وفى هذه السنة غزا سليمان بن هشام الصائفة ، فلقى أليون ملك الروم فسلم وغنم .

وفيها مات ـ فى قول الواقدىّ ـ محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ؛ كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ .

وحجّ فى هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك معه امرأته أمّ سلمة بنت هشام بن عبد الملك .

١٧٢٨/٢ وذكر محمد بن عمر أن يزيد مولى أبى الزّناد حدّثه ، قال : رأيت محمد ابن هشام على بابها يرسل بالسلام وألطافه على بابها كثيرة ، ويعتذر فتأبى ؛ حتى كان يأيس من قبول هديته ، ثم أمرت بقبضها .

* * *

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها فى سنة اثنتين وعشرين ومائة وفى سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقد ذكرناهم قبل .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة .

* * *

[خبر وفاة هشام بن عبد الملك]

ومن ذلك وفاة هشام بن عبد الملك بن مرْوان فيها ، وكانت وفاته — فيما ذكر أبومعشر — لستّ ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر ؛ كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ؛ عنه .

وكذلك قال الواقدىّ والمدائنىّ وغيرهما ؛ غير أنهم قالوا : كانت وفاتُه يوم الأربعاء لستّ ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر ، فكانت خلافتُه فى قول جميعهم تسعَ عشرةَ سنة ، وسبعةأشهر وأحدًا وعشرين يومًا فى قول المدائنىّ وابن الكلبىّ ، وفى قول أبى معشر : وثمانية أشهر ونصفًا ، وفى قول الواقدىّ : وسبعة أشهر وعشر ليالٍ .

٢/١٧٢٩ واختلف فى مبلغ سنه ، فقال هشام بن محمد الكلبىّ : توفِّىَ وهو ابن خمس وخمسين سنة . وقال بعضهم : توفِّىَ وله اثنتان وخمسون سنة .

وقال محمد بن عمر : كان هشام يوم تُوفِّىَ ابنَ أربع وخمسين سنة .

وكانت وفاته بالرُّصافة وبها قبره ، وكان يكنى أبا الوليد .

* * *

ذكر الخبر عن العلة التى كانت بها وفاته

حدّثنى أحمد بن زُهير ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : حدثنى شيبة بن عثمان ، قال : حدّثنى عمرو بن كليع ؛ قال : حدّثنى سالم أبوالعلاء ، قال : خرج علينا هشام بن عبد الملك يومًا وهو كئيب ، يعرَف ذلك فيه ،

مسترخٍ عليه ثيابه ، وقد أرخى عنان دابّته ، فسار ساعةً ثم انتبه، فجمع ثيابه وأخذ بعِنان دابته ، وقال للرّبيع : ادعُ الأبرش ، فدُعِيَ فسار بينى وبين الأبرش، فقال له الأبرش : يا أميرَ المؤمنين ؛ لقد رأيتُ منك شيئاً غمّنى ، قال : وما[1] هو ؟ قال : رأيتك قد خرجت على حال غمّنى[1] ، قال : ويحك يا أبرش ! وكيف لا أغتمّ وقد زعم أهل العلم أنى ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً ! قال سالم : فرجعت إلى منزلى، فكتبت فى قرطاس : «زعم أمير المؤمنين يوم كذا وكذا أنه يسافر إلى ثلاثة وثلاثين يوماً». فلمّا كان فى الليلة التى استكمل فيها ثلاثة وثلاثين يوماً إذا خادم يدقّ الباب يقول : أجِبْ أميرَ المؤمنين ، واحمِل معك دواء الذُّبَحة — وقد كان أخذه مرّة فتعالج فأفاق — فخرجتُ ومعى الدواء ٢ / ١٧٣٠
فتغرغَر به ، فازداد الوجعُ شِدّة ، ثم سكن فقال لى : يا سالم ، قد سكن بعض ما كنت[2] أجد ؛ فانصرِفْ إلى أهلِك ، وخلّف الدواء عندى. فانصرفت ، فما كان إلا ساعة حتّى سمعت الصُّراخ عليه ، فقالوا : مات أمير المؤمنين ! فلما مات أغلق الخزّان الأبواب ، فطلبوا قُمقماً يسخّن فيه الماء لغسله ، فما وجدوه حتّى استعاروا قُمقماً من بعض الجيران ، فقال بعض من حضر ذلك : إن فى هذا لمعتبَراً لمن اعتبر . وكانت وفاته بالذُّبَحَة ، فلما مات صلى عليه ابنه مَسْلمَة بن هشام .

* * *

ذكر بعض سِيَر هشام

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، عن وَسْنان الأعرجىّ ، قال : حدّثنى ابن أبى نُحَيلة ، عن عقّال بن شَبّة ، قال : دخلتُ على هشام ، وعليه قَباء فنَك[3] أخضر ، فوجّهنى إلى خُراسان ، وجعل يوصينى وأنا أنظر إلى القَباء ، ففطِن ، فقال : ما لك؟ قلت : رأيت عليك قبل أن تلى الخلافة قَباء فَنَك أخضر ، فجعلت أتأمّل هذا ، أهو ذاك أم غيره ؟ فقال : هو والله الذى لا إله إلا ، هو ذاك ،ما لى قَباء غيره . ٢ / ١٧٣١
وأما ما ترْون من جمعى هذا المال وصونه فإنه لكم . قال : وكان عقّال مع

(١-١) ساقط من ا ، ب . (٢) ح : « بعض الذى » .
(٣) الفنك : دابة فروتها أطيب أنواع الفراء .

هشام . فأما شبّة أبوعَقّال ؛ فكان مع عبد الملك بن مروان، وكان عقّال يقول : دخلت على هشام ، فدخلت على رجل محشوّ عَقْلاً .

حدّثني أحمد بن زهير ، قال : حدّثني عليّ ، قال : قال مروان بن شجاع ؛ مولى لمروان بن الحكم : كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك ، فأرسل إليّ يومًا ، فدخلتُ عليه ، وقد غضب وهو يتلهّف ، فقلتُ :ما لك؟ فقال : رجل نَصرانيٌّ شجَّ غلامى – وجعل يشتِمه – فقلت له : على رِسْلك! قال : فما أصنع ؟ قلت : ترفعه إلى القاضى ، قال : وما غير هذا! قلت : لا ، قال خصىّ له : أنا أكفيك ، فذهب فضربه . وبلغ هشاماً فطلب الخصىّ ، فعاذ بمحمد ، فقال محمد بن هشام : لم آمرك ، وقال الخصىّ : بلى والله لقد أمرتَنى ، فضرب هشام الخصىّ وشتم ابنَه .

وحدثني أحمد ، قال عليّ : لم يكن أحدٌ يسير فى أيام هشام فى موكب إلّا مسلمة بن عبد الملك . قال : ورأى هشام يومًا سالمًا فى موكب ، فزجره وقال : لأعلمنّ متى سرتَ فى موكب . وكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه ، فيقف سالم ، ويقول : حاجتك، ويمنعه أن يسير معه ، وكان سالم كأنه هو أمّر هشامًا .

قال : ولم يكن أحدٌ من بنى مَرْوان يأخذ العطاء إلا عليه الغزْو ؛
٢/١٧٣٢ فمنهم مَنْ يغزو ، ومنهم من يُخرج بدلا .

قال : وكان لهشام بن عبد الملك مولًى يقال له يعقوب ، فكان يأخذ عطاء هشام مائتى دينار وديناراً، يفضّل بدينار ، فيأخذها يعقوب ويغزو . وكانوا يصيّرون أنفسَهم فى أعوان الدّيوان ، وفى بعض ما يجوّز لهم المقام[1] به ، ويوضع به الغزْو عنهم . وكان داود وعيسى ابنا عليّ بن عبد الله بن عباس – وهما لأمّ – فى أعوان السّوق[2] بالعراق لخالد بن عبد الله ، فأقاما عنده ، فوصلهما، ولولا ذلك لم يستطع أن يحبسهما ، فصيّرهما[3] فى الأعوان، فسمَرا ، وكانا يسامرانه و يحدّثانه .

---

(١) ف : « القيام » .
(٢) كذا فى ا ، ب ، وفى ط : « الشرق » .
(٣) ب : « فيصيرهما » .

قال : فولّى[١] هشام بعض مواليه ضيعةً له ، فعمّرها فجاءت بغلّة عظيمة كبيرة[٢] ثم عمّرها أيضًا ، فأضعفت الغلّة ، وبعث بها مع ابنه ، فقدم بها على هشام ، فأخبره خبر[٣] الضَّيْعة فجزاه خيراً ، فرأى منه انبساطًا ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن لى حاجة ، قال : وما هى[٤] ؟ قال : زيادة عشرة دنانير فى العطاء ، فقال : ما يخيّل إلى أحدكم أن عشرة دنانير فى العطاء إلا بقدر الجوْز ! لا لعمرى لا أفعل .

حدّثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : قال جعفر بن سليمان : قال لى عبد الله بن علىّ : جمعتُ دواوين بنى مروان ، فلم أرَ ديوانًا أصحّ ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان[٥] هشام .

حدثنا أحمد ، قال : قال علىّ : قال غسان بن عبد الحميد: لم يكن أحدٌ من بنى مَرْوان أشدّ نظراً[٦] فى أمر أصحابى ودواوينه ، ولا أشدّ مبالغة فى الفَحْص عنهم من هشام . ١٧٣٣/٢

حدّثنى أحمد، قال : حدثنا علىّ، قال: قال حماد الأبحّ : قال هشام لغيْلان: ويحك ياغيلان ! قد أكثر الناس فيك، فنازعْنا بأمرك، فإن كان حقًّا اتّبعناك ، وإن كان باطلا نزعتَ عنه ، قال : نعم ، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلّمه ، فقال له ميمون : سلْ ؛ فإنّ أقوى ما تكونون إذا سألتم ، قال له : أشاء الله أن يُعصَى ؟ فقال له ميمون : أفعُصى كارهًا ! فسكت ، فقال هشام: أجبه فلم يجبه ، فقال له هشام : لا أقالنى الله إن أقلتُه ؛ وأمر بقطع يديه ورجليه .

حدّثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ عن رجل من غَنِىّ ، عن بِشْر مولى هشام ، قال : أتِىَ هشامٌ برجل عنده قِيان وخَمْر وبَرْبَط ، فقال: اكسروا الطنبور[٧] على رأسه وضربه ، فبكى الشيخ . قال بِشر : فقلت له

---

(١) ح : « وولى » . (٢) ح ، ف : « كثيرة » .
(٣) ح ، ف : « وأخبره عن الضيعة » . (٤) ا ، ح ، ف : « ما هى » ، بدون واو .
(٥) ح : « دواوين » . (٦) ط : « حصراً » ، وما أثبته من ا ، ح .
(٧) الطنبور : من آلات الطرب ؛ ذو عنق طويل وستة أوتار ، والبربط : العود .

– وأنا أعزّيه : عليك بالصبر ، فقال : أترانى أبكى للضّرب ! إنما أبكى لاحتقاره للبَرْبَط إذ سماه طنبوراً !

قال : وأغلظ رجل لهشام ، فقال له هشام : ليس لك أن تُغلظ لإمامك !

قال : وتفقّد هشام بعض ولده – ولم يحضر الجمعة – فقال له : ما منعك من الصلاة ؟ قال : نفقَتْ دابتى ، قال : أفعجزتَ عن المشى فتركت الجمعة ! فمنعه الدّابّة سنَة .

قال : وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه : إنّ بغلتى قد عجزت عنى ؛
٢/١٧٣٤ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمُر لى بدابّة فعل . فكتب إليه : قد فهم أميرُ المؤمنين كتابك ، وما ذكرتَ من ضَعْف دابّتك، وقد ظنّ أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهّدك لعلَفها ، وأنّ علفها يضيع ، فتعهّد دابّتك فى القيام عليها بنفسك ، ويرى أمير المؤمنين رأيه فى حُملانك(١) .

قال : وكتب إليه بعضُ عمّاله : إنى قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلّة دُراقن(٢) ؛ فليكتب إلىّ أميرُ المؤمنين بوصولها . فكتب إليه : قد وصل إلى أمير المؤمنين الدّراقن الذى بعثتَ به فأعجبه ، فزدْ أمير المؤمنين منه ، واستوثق من الوعاء .

قال : وكتب إلى بعض عُمّاله : قد وصلت الكَمْأة التى بعثتَ بها إلى أمير المؤمنين ؛ وهى أربعون ، وقد تغيّر بعضُها ، ولم تُؤتَ فى ذلك إلا من حَشْوها ، فإذا بعثتَ إلى أمير المؤمنين منها شيئاً فأجد حَشْوَها فى الظّرْف الذى تجعلها فيه بالرّمل ؛ حتى لا تضطرب ولا يصيب بعضُها بعضاً .

حدّثنى أحمد ، قال : حدثنى علىّ ، قال : حدّثنا الحارث بن يزيد ، قال : حدّثنى مولى لهشام ، قال : بعث معى مولى لهشام كان على بعض ضِياعه بطيْرين ظريفين ، فدخلت إليه وهو جالس على سرير فى عَرْصة الدار ، فقال : أرسلهما فى الدار ، قال : فأرسلتهُما فنظر إليهما ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، جائزتى ، قال : ويلك ! وما جائزة طيرين ؟ قلتُ : ما كان،
٢/١٧٣٥ قال : خذ أحَدهما ، فعدوْتُ فى الدار عليهما ، فقال : ما لك ؟ قلت :

---

(١) حملانك ؛ أى حملك .
(٢) الدراقن : المشمش أو الخوخ ؛ شامية .

أختار خيرَهما ، قال : أتختار أيضًا خيرهما وتدع شرَّهما لى ! دعْهما ونحن نعطيك أربعين درهمًا أو خمسين درهمًا .

قال : وأقطع هشام أرضًا يقال لها دورين ، فأرسل فى قَبْضها ؛ فإذا هى خراب ، فقال لذُوَيْد (كاتب كان بالشأم) : ويحك ! كيف الحيلة ؟ قال : ما تجعل لى ؟ قال : أربعمائة دينار ، فكتب « دورين وقراها » ، ثم أمضاها فى الدواوين ، فأخذ شيئًا كثيراً ، فلما ولى هشام دخل عليه ذُوَيد ، فقال له هشام : دورين وقراها ! لا والله لا تلى لى ولاية أبداً ، وأخرجه من الشأم .

حدّثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ ، عن عمير بن يزيد ، عن أبى خالد ، قال : حدّثنى الوليد بن خليد ، قال : رآنى هشام بن عبد الملك ، وأنا على برْذون طُخارىّ[1] ، فقال : يا وليد بن خليد ، ما هذا البرذون ؟ قلت : حملنى عليه الجُنيد ، فحسدنى وقال : والله لقد كثُرت الطُّخاريّة ، لقد مات عبد الملك فما وجدنا فى دوابه برذونًا طُخاريًّا غير واحد ، فتنافسه بنو عبد الملك أيهم يأخذه ؛ وما منهم أحدٌ إلاّ يرى أنه إن لم يأخذه لم يرث من عبد الملك شيئًا .

قال : وقال بعض آل مروان لهشام : أتطمع فى الخلافة وأنت بخيل جبّان[2] ؟ قال : ولمَ لا أطمع فيها وأنا حليم عفيف ! ١٧٣٦/٢

قال : وقال هشام يومًا للأبرش : أوَضَعَتْ أعنزك ؟ قال : إى والله ، قال : لكن أعنزى تأخّر ولادها ، فاخرج بنا إلى أعنزك نُصبْ من ألبانها ، قال : نعم ، أفأقدّم قومًا ؟ قال : لا ، قال : أفأقدّم خباءً حتى يضرب لنا ؟ قال : نعم ، فبعث برجلين بخباء فضُرب ، وغدا هشام والأبرش وغدا الناس ، فقعد هشام والأبرش ؛ كلّ واحد منهما على كرسىّ ، وقدّم إلى كلّ واحد منهما شاة ، فحلب هشام الشاة بيده ، وقال : تعلّم يا أبرش أنى لم أبسّ[3] الحلب ! ثم أمر بملّة فعُجنت وأوقد النّار بيده ، ثم فحصها وألقى الملّة ، وجعل يقلّبها بالمحراث ، ويقول : يا أبرش ، كيف ترى رفقى ! حتى نضجت ثم أخرجها ،

---

(١) برذون طخارى ، أى عتيق فاره . (٢) ح : « جبار » وجبان كشداد : هيوب للأشياء لا يقدم عليها . (٣) الإبساس : التلطف فى حلب الشاة بأن يقال لها : بس بس .

وجعل يقلّبها[١] بالمحراث ، ويقول : جبينك جبينك. والأبرش يقول : لبّيك لبيك — وهذا شيء تقوله الصبيان إذا خُبزت لهم المَلّة — ثم تغدّى وتغدّى الناس ورجع .

قال : وقدم علباء بن منظور الليثيّ على هشام ، فأنشده :

قالت عُليَّةُ واعتزمْتُ لِرحْلةٍ ... زَوْراءَ بالأُذْنَيْن ذاتِ تَسَدُّرِ[٢]
أينَ الرحيلُ وأهلُ بيتكَ كلّهُمْ ... كَلٌّ عليك كبيرهُمْ كالأصْغرِ !
فأصاغِرٌ أمثالُ سِلكانِ القطَا ... لا فى ثرَى مالٍ ولا فى مَعْشر
إنى إلى ملكِ الشّآم لَراحِـلٌ ... وإليه يَرْحَلُ كُلّ عبد مُوقَر
١٧٣٧/٢ فلأترُكَنَّكِ إن حييتُ غَنِيَّة ... بِنَدَى الخليفةِ ذى الفَعالِ الأزهرِ
إنّا أُناسٌ مَيّتٌ دِيوَانُنـــا ... ومتى يُصِبْهُ نَدَى الخليفة ينشرِ

فقال له هشام : هذا الذى كنت تحاول ، وقد أحسنتَ المسألة . فأمر له بخمسمائة درهم ، وألحق له عيْلاً[٣] فى العطاء .

قال : وأتى هشامًا محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : ما لك عندى شيء ، ثم قال : إيّاك أن يغرّك أحد فيقول : لم يعرفك أمير المؤمنين ؛ إنى قد عرفتُك ؛ أنت محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فلا تقيمنّ وتُنفق ما معك ، فليس لك عندى صلة ، فالحق بأهلك .

قال : ووقف هشام يومًا قريبًا من حائط فيه زيتون ، ومعه عثمان بن حيّان المرّىّ ، وعثمان قائم يكاد رأسه يوازى رأسَ أمير المؤمنين وهو يكلمه إذ سمع نفض الزيتون ، فقال لرجل : انطلق إليهم فقل لهم : القطوه لقطًا ، ولا تنفضوه نفضًا ، فتتفقأ عيونُه ، وتتكسّر غصونه .

قال : وحجّ هشام . فأخذ الأبرش مخنّثين ومعهم البرابط . فقال هشام : احبسوهم وبيعوا متاعهم — وما درى ما هو — وصيّروا ثمنه فى بيت المال ، فإذا صلحوا فردّوا عليهم الثمن[٤] .

وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرُّصافة — وهى فيما ذكر — من أرض قنّسرين .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « يضربها » . (٢) ا : « ذات تشدر » .
(٣) العيل : الزيادة . (٤) ح ، ف : « الثمن عليهم » .

وكان سبب نزوله إياها — فيما حدّثني أحمد بن زهير بن حرب ، عن علىّ بن محمد — قال : كان الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدّون[1] ويهربون ٢/١٧٣٨ من الطاعون ، فينزلون البرّيّة خارجًا عن الناس ، فلما أراد هشام أن ينزل الرُّصافة قيل له : لا تخرج ؛ فإنّ الخلفاء لا يُطعَنون[2] ؛ ولم نرَ خليفة طُعِن ، قال : أتريدون أن تجرّبوا بى ! فنزل الرُّصافة وهى برّية ، ابتنى بها قصرين. والرّصافة مدينة رُوميّة بنتْها الروم .

وكان هشام أحول ، فحدثنى أحمد ، عن علىّ ، قال : بعث خالد بن عبد الله إلى هشام بن عبد الملك بحادٍ فحدَا بين يديه بأرجوزة أبى النجم :

والشمسُ فى الأُفْقِ كعَين الأَحولِ صَغْواءُ قد هَمّتْ ولَمّا تفْعَلِ

فغضب هشام وطرده .

وحدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : حدثنا أبو عاصم الضبىّ ، قال : مرّ بى معاوية بن هشام ، وأنا أنظر إليه فى رَحْبَة أبى شَريك — وأبو شَريك رجل من العجم كانت تنسب إليه وهى مزرعة — وقد أختبز خبزة ، فوقف علىّ ، فقلتُ : الغداء ! فنزل وأخرجتها ، فوضعتها فى لَبَن ، فأكل ثم جاء الناس ، فقلت : مَنْ هذا ؟ قالوا : معاوية بن هشام ، فأمر لى بصلة . وركب وثار بين يديه ثعلب ، فركض خلفه ، فما تبعه غَلْوة ؛ حتى عثَر به فرسه فسقَط فاحتملوه ميّتًا ، فقال هشام : تالله لقد أجمعتُ ٢/١٧٣٩ أن أرشّحه للخلافة ، ويتبع ثعلبًا !

قال : وكانت عند معاوية بن هشام ابنة إسماعيل بن جرير وامرأة أخرى ، فأخرج هشام كلّ واحدة منهما من نصف الثمْن بأربعين ألفًا .

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا ، علىّ ، قال : قال قحذم كاتب يوسف : بعثنى يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفّى ، وحبّة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحبّ ، فدخلت عليه فدنوت منه ، فلم أر وجْهه من طول السرير وكثرة الفرُش ، فتناول الحجَر والحبّة ، فقال :

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ينتبذون » .
(٢) لا يطعنون ؛ أى لا يصابون بالطاعون .

أكتب معك بوزنهما ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ هما أجلّ عن أن يُكتب بوزنهما ، ومن أين يوجد مثلهما ! قال : صدقت ، وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبد الله ، اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار .

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ ، قال : حدّثنا حسين بن يزيد ، عن شهاب بن عبد ربّه ، عن عمرو[1] بن عليّ ، قال : مشيتُ مع محمد بن عليّ إلى داره عند الحمّام ، فقلت له : إنه قد
١٧٤٠/٢ طال مُلك هشام وسلطانه ، وقد قرب من العشرين . وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربّهُ مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرون ، فقال : ما أدري ما أحاديث الناس ! ولكن أبي حدّثني عن أبيه ، عن عليّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يعمّر الله مَلِكًا في أمّة نبيّ مضَى قبله ما بلغ بذلك النبيّ من العمر » .

* * *

وفي هذه السنة ولي الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليدُ بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان ، وليَها يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة في قول هشام بن محمد الكلبيّ .

وأما محمد بن عمر فإنه قال : استُخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلَوْن من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومائة.

وقال في ذلك عليّ بن محمد مثل قول محمد بن عمر .

---

(١) ا : « عمر بن علي » .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

* * *

ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة

قد مضى ذكرى سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافةَ
بعد أخيه هشام بن عبد الملك ؛ وكان الوليدُ بن يزيد يومَ عقَد له أبوه يزيد
ذلك ابنَ إحدى عشرة سنة ، فلم يمُتْ يزيد حتى بلغ ابنُه الوليد خمس عشرة
سنة ، فندِم يزيد على استخلافه هشامًا أخاه بعده ؛ وكان[1] إذا نظر إلى ابنه ٢/١٧٤١
الوليد ، قال : الله بيني وبين مَنْ جعل هشامًا بيني وبينك ! فتوفِّيَ يزيد بن
عبد الملك وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة . وولى هشام وهو للوليد مكرِّم
معظِّم مقرِّب ؛ فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجون
وشرب الشراب ؛ حمله على ذلك — فيما حدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ
ابن محمد ، عن جُوَيرية بن أسماء وإسحاق بن أيوب وعامر بن الأسود
وغيرهم — عبدُ الصمد بن عبدالأعلى الشيبانيّ[2] أخو عبد الله بن عبد الأعلى —
وكان مؤدِّب الوليد — واتّخذ الوليد ندماء ، فأراد هشام أن يقطعهم عنه
فولاه الحجّ سنة تسع عشرة ومائة[3] ، فحمل معه كلابًا فى صناديق ، فسقط
منها صندوق — فيما ذكر عليّ بن محمد عمّن سميتُ من شيوخه — عن البعير
وفيه كلب ، فأجالوا على الكرىّ[4] السِّياط ، فأوجعوه ضربًا . وحمل معه
قبّة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل معه خمرًا ، وأراد أن
ينصب القبّة على الكعبة ؛ ويجلس فيها ؛ فخوّفه أصحابه وقالوا : لا نأمن
الناس عليك وعلينا معك ؛ فلم يحرّكها . وظهر للناس منه تهاون بالدين
واستخفاف به ، وبلغ ذلك هشامًا فطمع فى خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام ، ٢/١٧٤٢
فأراده على أن يخلعها ويبايع لمسلمة ؛ فأبى ، فقال له : اجعلها له مِنْ بعدك ؛
فأبَى ، فتنكّر له هشام وأضرّ به ، وعمل سرًّا فى البيعة لابنه ؛ فأجابه قوم .

---

(١) ا ، ح ، ف : « فكان » . (٢) ط : « الشيبانى » ، تحريف .
(٣) ابن الأثير : « سنة ست عشرة ومائة » . (٤) الكرى والمكارى ، هو الذى يكرى دابته .

قال : فكان ممّن أجابه خالاه : محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومىّ ، وبنو القعقاع بن خليد العبسىّ وغيرهم من خاصّته .

قال : وتمادى الوليدُ فى الشراب وطلب اللذات فأفرط ، فقال له هشام : ويحك ياوليد ! والله ما أدرى أعلى الإسلام أنت أم لا ! ما تَدع شيئاً من المنكر إلا أتيْتَه غير متحاشٍ ولا مستتر به ! فكتب إليه الوليد :

يٰأيُّها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكِر[1]
نشربُها صِرْفاً وممزوجةً بالسُّخْنِ أحياناً وبالفاتِر

فغضب هشام على ابنه مَسلمة — وكان يكنى أبا شاكر — وقال له : يعيّرنى بك الوليد وأنا أرشّحك للخلافة ! فالزم الأدب واحضر الجماعة .

وولاّه الموسم سنة تسع عشرة ومائة ، فأظهر النسك والوقار واللين ، وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة :

يٰأيّهــا السائل عن ديننا نحنُ على دين أبى شاكِر
الواهبِ الجُرْدَ بأرسانها[2] ليس بزِنديق ولا كافِر

يعرّض بالوليد .

وأمّ مسلمة بن هشام أمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبى العاص . فقال الكميت :

إنّ الخلافة كائنٌ أوتادُها بعدَ الوليد إلى ابن أمّ حكيم

١٧٤٣/٢ فقال خالد بن عبد الله القسرىّ : أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر ؛ فغضب مسلمة بن هشام على خالد ، فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد ابن عبدالله ، كتب أبو شاكر إلى خالد بن عبدالله بشعر هجا به [يحيى][3] بن نوفل خالداً وأخاه أسداً حين مات :

أراحَ مِن خالدٍ وأهلكه ربٌّ أراح العبادَ منْ أسدِ
أمّا أبوهُ فكان مؤتَشِباً عبدًا لئيماً لأعْبُد قُفُدِ[4]

---

(١) فى الأغانى ٧ : ٣ ، وقال : « بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحله إياه » .
(٢) الأغانى : «الواهب البزل» . (٣) من ا .
(٤) مؤتشب ؛ أى غير صريح فى نسبه . والعبد الأقفد : الكز اليدين والرجلين القصير الأصابع .

وبعث بالطومار مع رسول على البريد إلى خالد ؛ فظنّ أنه عزّاه عن أخيه ، ففضّ الخاتم ، فلم ير فى الطُّومار غير الهجاء ، فقال : ما رأيت كاليوم تعزية !

وكان هشام يعيب الوليدَ ويتنقّصه ، وكَثُر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به ، فلمّا رأى ذلك الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصّته ومواليه ، فنزل بالأزرق ؛ بين أرض بَلْقَيْن وفَزارة ، على ماء يقال له الأغدف ، وخلّف كاتبه عيَاض ابن مسلم مولى عبد الملك بن مروان بالرّصافة ، فقال له : اكتب إلىّ بما يحدث قبلكم . وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، فشربوا يوماً فلما أخذ فيهم ٢/١٧٤٤
الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب ، قل أبياتاً ، فقال[١] :

أَلم تَرَ لِلمنجِم إذ شُيِّعا[٢] يُبادِرُ فى بُرجِهِ المَرْجِعا
تحيَّرَ عنْ قصدِ مَجْراتِهِ أَتى الغوْر والتَمَس المَطْلَعا[٣]
فقلتُ وأَعْجبَنِى شأْنُه وقد لاحَ إذ لاحَ لِى مُطمِعا :
لعَلَّ الوليدَ دنا مُلكُهُ فأَمسى إليه قدِ استُجمِعَا
وكنَّا نؤَمِّلُ فى ملكِه كتأْميلِ ذى الجدْبِ أن يُمْرِعاً
عقَدنا له محْكمَاتِ الأُمو رِ طوعاً فكان لها مَوْضِعَا

ورُوى الشعر[٤] ؛ فبلغ هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يُجرى عليه ، وكتب إلى الوليد : بلغنى عنْك أنك اتّخذتَ عبدالصمد خِدناً ومحدّثاً ونديماً ؛ وقد حقّق ذلك عندى ما بلغنى عنك ، ولم أبرّئك من سوء ، فأخرِج عبدالصمد مذموماً مدحوراً . فأخرجه ، وقال فيه :

لقد قذفوا أَبا وهْبٍ بأَمْرٍ كبير بل يزيدُ على الكَبيرِ[٥]
فأَشهَدُ أنهم كَذبوا عليه شهادةَ عالِمٍ بِهِمٍ خبيرِ

وكتب الوليد إلى هشام يُعْلمه إخراج عبد الصمد ، واعتذر إليه مما بلغه

---

(١) الأغانى ٧ : ٨ .
(٢) الأغانى : « سبعا » .
(٣) الأغانى : « إلى الغور » .
(٤) الأغانى : « وروى هذا الشعر » .
(٥) الأغانى ٧ : ٩ .

٢/١٧٤٥ من منادمته ، وسأله أن يأذن لابن سهيل فى الخروج إليه — وكان ابن سهيل من أهل اليمن وقد ولى دمشق غير مرّة ، وكان ابن سهيل من خاصّة الوليد — فضرب هشام ابنَ سُهيل وسيّره ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد ، وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد ، فضربه ضربًا مبرِّحًا ، وألبسه المُسوح . فبلغ الوليد ، فقال : مَنْ يثق بالناس ، ومن يصطنع المعروف! هذا الأحول المشئوم قدّمه أبى على أهل بيته فصيّره ولىّ عهده ، ثم يصنع بى ما ترون ؛ لا يعلم أنّ لى فى أحد هوًى إلا عبث به ، كتب إلىّ أن أخرِج عبد الصمد فأخرجتُه إليه ، وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل فى الخروج إلىّ ، فضربه وسيّره ، وقد علم رأيى فيه ، وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إلىّ ، وتحرّمه بى ومكانه منى وأنه كاتبى ، فضربه وحبسه ، يضارّنى بذلك ؛ اللهم أجرنى منه ! وقال :

أنا النذيرُ لِمسْدِى نعمة أبدًا ... إلى المقاريف ما لَم يَخبُرِ الدّخَلاَ[1]

إن أَنْت أكرمتهم أَلفَيْتَهُم بُطُرًا ... وإنْ أَهَنْتهُمُ ألفيتهمْ ذُلُلا

أتشمُخونَ ومنّا رأس نعمتِكمْ ... ستعلَمُونَ إذا كانت لنا دُوَلا[2]

انظرْ فإن كنت لم تَقدِرْ على مَثَل ... له سوى الكلب فاضربْه له مَثَلا

٢/١٧٤٦ بينا يُسمِّنُهُ للصيدِ صــاحبُهُ ... حتّى إذ ماقوى مِنْ بَعدِ ما هُزلا

عدَا عليه فلم تَضرُرْهُ عَدْوَتُهُ ... ولو أطاقَ له أكلا لقد أَكَلاَ

وكتب إلى هشام :

لقد بلغنى الذى أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ما قطع عنّى ، ومحو ما محا من أصحابى وحُرَمى[3] وأهلى ، ولم أكن أخاف أن يبتلِيَ الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالى به منه ؛ فإن يكن ابن سُهَيل كان منه ما كان فبحسب العيْر أن يكون قدر[4] الذئب ؛ ولم يبلغ من صنيعى فى ابن سُهيل واستصلاحه ، وكتابى إلى أمير المؤمنين فيه كُنْه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتى ؛ فإن يكن ذلك لشىء فى نفس أمير المؤمنين علىّ ، فقد سبّب الله لى من العهد ، وكتب لى

(١) الأغانى ٧ : ١٠ . المقاريف : الأنذال. (٢) الأغانى : « إذا أبصرتم الدولا » .
(٣) الأغانى : « وأنه حرمى وأهلى » . (٤) الأغانى : « قرب الذئب » .

من العمر ، وقسم لى من الرزق ما لا يقدر أحد دون الله على قطع شىء منه دون مُدّته ، ولا صرف شىء عن مواقعه ؛ فقدَر الله يجرى بمقاديره فيما أحبّ الناس أو كرهوا ، ولا تأخيرَ لعاجله ولا تعجيل لآجله ؛ فالناس بين ذلك يقترفون الآثام على نفوسهم من الله، ولا [1] يستوجبون العقوبة عليه؛ وأمير المؤمنين ٢/١٧٤٧ أحقّ أمته بالبصر بذلك والحفظ له ، والله الموفّق لأمير المؤمنين بحسن القضاء له فى الأمور[2] .

فقال هشام لأبى الزبير : يا نَسطاس ، أترى الناس يرضون بالوليد إن حدث بى حدث ؟ قال : بل يطيل الله عمرَك يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! لا بدّ من الموت ؛ أفترى الناس يرضَوْن بالوليد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنّ له فى أعناق الناس بَيْعةً ، فقال هشام : لئن رضى الناس بالوليد ما أظنُّ الحديث الذى رواه الناس : « إن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار » ، إلا باطلاً .

وكتب هشام إلى الوليد :

قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قَطْع ما قَطَع عنك وغير ذلك ؛ وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجرى عليك ؛ ولا يتخوّف على نفسه اقتراف المآثم فى الذى أحدث من قطع ما قطع ، ومحو من محا من صحابتك ، لأمرين : أمّا أحدُهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجرى عليك ؛ وهو يعلم وضعَك له وإنفاقكه فى غير سبيله ، وأما الآخر فإثبات [3] صحابتك ، وإدرار أرزاقهم عليهم ؛ لا ينالهم ما ينال المسلمين فى كلّ عام من مكروه عند قطع البعوث ، ٢/١٧٤٨

---

(١) الأغانى : «بما» (٢) الأغانى ٧ : ١٢ ، ١٣ . وبعدها هناك : «وكتب له الوليد فى آخر كتابه :

أليْسَ عظيماً أن أرَى كُلَّ واردٍ ... حياضك يوماً صادرًا بالنّوافلِ

فأَرجعَ محمودَ الرجاءِ مُصَرَّدًا ... بتحْلئة عن وِرْد تلك المناهِل

فأصْبَحْتُ ممّن كنتُ آمُلُ مِنكُمُ ... وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آملِ

كمقتبض يوماً على عُرْض هَبْوَة ... يَشُدُّ عَلَيْهَا كفُّهُ بالأَنامِلِ

(٣) ح : « إيثار » .

وهم معك تجول بهم فى سَفهك ؛ ولأميرُ(١) المؤمنين أحرى فى نفسه للتقصير فى القتْرِ عليك منه للاعتداء عليك فيها ؛ مع أن الله قد نصر أمير المؤمنين فى قَطْع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوّف مما سلف فيه منه(١) . وأما ابنُ سُهيل فلعمرى لئن كان نزل منك بما نزل ، وكان أهلا أن تُسرَّ فيه أو تساء ؛ ما جعله الله كذلك ؛ وهل زاد ابنُ سهيل — لله أبوك — على أن كان مغنياً زفّاناً(٢) ، قد بلغ فى السفه غايته ! وليس ابن سهيل مع ذلك بشرٍّ ممّن تستصحبه فى الأمور التى يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها ، مما كنتَ لَعمر الله أهلا للتوبيخ به ؛ ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به فى الحرص على فسادك؛ إنك إذاً لغير آل(٣) عن هوى أمير المؤمنين من ذلك .

وأما ما ذكرتَ مما سبَّب الله لك ؛ فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك ، واصطفاه له ؛ والله بالغٌ أمره . لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربّه؛أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضرًّا ولا نفعاً ؛ وإن الله ولىّ ذلك منه ؛ وإنه لا بدّ له من مزايلته ؛ والله أرأف بعباده وأرحم من أن يولى ١٧٤٩/٢ أمرهم غير الرضىّ له منهم . وإنّ أمير المؤمنين من(٤) حسن ظنه بربّه لعلى أحسن الرّجاء أن يوليه تسبيب(٥) ذلك لمن هو أهله فى الرضا له به ولهم ؛ فإنّ بلاءَ الله عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبلغه ذكره ، أو يؤديه(٦) شكره ؛ إلا بعون منه؛ ولئن كان قُدِّرَ لأمير المؤمنين تعجيل وفاة ، إنّ فى الذى هو مفضٍ إليه إن شاء الله من كرامةِ الله لخلَفاً من الدنيا . ولعمرى إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مستنكَر من سفهك وحمقك ، فاربَع على نفسك من غُلوائها ، وارقأ على ظَلْعك(٧) ؛ فإن لله سطوات وغيناً ؛ يصيب بذلك من يشاءُ ، ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله ؛ وأميرُ المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحبّ الأمور إليه وأرضاها له .

فكتب الوليد إلى هشام :

(١—١) كذا فى ا ، ط ؛ و ، وفى الأغانى : « وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستئنافه قطعه عنك » .

(٢) الزفان : الرقاص . (٣) ط : « بغير إل » . (٤) الأغانى : « مع » .

(٥) ح والأغانى : « بسبب » . (٦) الأغانى : « يوازيه » .

(٧) الأغانى : « فأبق على نفسك ، وقصر من غلوائها ، واربع على ظلعك » .

رَأَيتُكَ تبْنِى جاهدًا فى قَطِيعَتِى[1] فَلَوْ كنْتَ ذَا إِرْبٍ لَهَدَّمْت ماتبْنِى
تُثِيرُ على الباقِينَ مَجْنَى ضَغِينةٍ فَوَيلٌ لهُمْ إنْ مِتَّ مِنْ شَرِّ ما تجنِى!
كأنِّى بهمْ واللَّيتُ أفْضلُ قوْلِهِمْ[2] أَلَا لَيْتَنا واللَّيْت إذ ذاكَ لا يُغْنِى
كفرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لو شَكَرْتَها جَزَاكَ بها الرَّحمنُ ذو الفضل والمَنِّ ١٧٥٠/٢

قال: فلم يزل الوليد مُقيمًا فى تلك البرّيّة حتى مات هشام؛ فلما كان صبيحةُ اليوم الذى جاءته فيه الخلافة، أرسل إلى أبى الزّبير المنذر بن أبى عمرو، فأتاه فقال له: يا أبا الزبير؛ ما أتت علىّ ليلة منذ عقلت عقلى أطولَ من هذه الليلة؛ عرضت لى هموم، وحدّثت نفسى فيها بأمور من أمر هذا الرجل؛ الذى قد أولع بى - يعنى هشامًا - فاركب بنا نتنفّس؛ فركبا، فسارا ميلين؛ ووقف على كثيب، وجعل يشكو هشامًا إذ نظر إلى رَهج، فقال: هؤلاء رسُل هشام؛ نسأل الله من خيرهم، إذ بدا رجلان على البريد مقبلان؛ أحدهما مولًى لأبى محمد السفيانىّ، والآخر جرْدَبَة.

فلما قربا أتيا الوليد، فنزلا يعدوان حتى دنوَا منه؛ فسلما عليه بالخلافة، فوجَم، وجعل جردبة يكرّر عليه السلام بالخلافة، فقال: ويحك! أمات هشام! قال: نعم؛ قال فممّن كتابك؟ قال: من مولاك سالم بن عبدالرحمن صاحب ديوان الرسائل. فقرأ الكتاب وانصرفا، فدعا مولى أبى[3] محمد السُّفيانىّ، فسأله عن كاتبه عياض بن مسلم، فقال: يا أمير المؤمنين؛ لم يزل محبوسًا حتى نزل بهشام أمرُ الله. فلما صار فى حدّ لا تُرجَى الحياة لمثله أرسل ١٧٥١/٢
عياض إلى الخُزّان؛ أن احتفظوا بما فى أيديكم، فلا يصلنّ أحدٌ منه إلى شىء. وأفاق هشام إفاقةً، فطلب شيئًا فمنعوه فقال: أرانا كنا خُزّانًا للوليد! ومات من ساعته. وخرج عياضٌ من السجن، فختم أبواب الخزائن، وأمر بهشام فأنزِل عن فرشه؛ فما وجدوا له قُمقماً يسخّن له فيه الماء حتى استعاروه، ولا وجدوا كفناً من الخزائن؛ فكفّنه غالب مولى هشام؛ فكتب

---

(١) الأغانى ٧ : ٨ . وفى ابن الأثير : « تبنى دائماً » .
(٢) الأغانى : « كأنى بهم يوماً وأكثر قولهم » .
(٣) ب : « فدعوا مولى » .

الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أن يأتىَ الرُّصافة ، فيحصىَ ما فيها من أموال هشام وولده ، ويأخذ عمّاله وحشَمه ؛ إلا مسلمة بن هشام ؛ فإنه كتب إليه ألاّ يعرض له ، ولا يدخل منزله ؛ فإنه كان يكثر أن يكلم أباه فى الرّفق به ، ويكفّه عنه . فقدم العباس الرُّصافة فأحكم ما كتب به إليه الوليد ؛ وكتب إلى الوليد بأخذ بنى هشام وحشمه وإحصاء أموال هشام ، فقال الوليد :

لَيْتَ هِشاماً كان حَيًّا يَرَى مِحْلَبَهُ الأَوْفَرَ قَدْ أُترِعا[1]

ويروى :

لَيْت هشاماً عاشَ حتى يرى مِكْيالَهُ الأَوْفَرَ قَدْ طُبِّعا

١٧٥٢/٢ كِلْناهُ بالصاعِ الذى كالَه[2] وما ظَلَمْناهُ به إصْبَعا[3]

وما أَتينا ذاك عَنْ بِدعَةٍ أَحَلَّهُ الفُرقانُ لى أَجْمَعا

فاستعمل الوليد العمّال ، وجاءته بيعته من الآفاق ؛ وكتب إليه العمّال ، وجاءته الوفود ؛ وكتب إليه مروان بن محمد :

بارك الله لأمير المؤمنين فيما أصاره إليه[4] من ولاية عباده ، ووراثة بلاده ؛ وكان من تَغشّى غَمْرة سكرة الولاية ما حمل هشامًا على ما حاول من تصغير ما عظّم الله من حقّ أمير المؤمنين ، ورام من الأمر المستصعَب عليه ؛ الذى أجابه إليه المدخولون[5] فى آرائهم وأديانهم ؛ فوجد ما طمع فيه مستصعبًا ، وزاحمته الأقدار بأشدّ مناكبها . وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى أزَّره بأكرم مناطق الخلافة ، فقام بما أراه الله له أهلا ، ونهض مستقلاً بما حُمِّل منها ، مثبتة ولايته فى سابق الزُّبُر[6] بالأجل المسمى ، وخصّه

١٧٥٣/٢ الله بها على خلْقه وهو يرى حالاتِهم ، فقلّده طَوقها ، ورمى إليه بأزمّة الخلافة ، وعِصم الأمور .

فالحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لخلافته ، ووثائق عُرَى دينه ، وذبّ

---

(١) الأغانى ٧ : ١٨ .
(٢) الأغانى : «كلنا له الصاع التى كالها » .
(٣) الأغانى : « أصوعا » .
(٤) ا : « صار إليه » .
(٥) المدخول : من فى عقله دخل ؛ أى فساد .
(٦) الزبر : جمع زبور ؛ وهو الكتاب .

له عما كاده فيه الظالمون ، فرفعه ووضعهم ؛ فمن أقام على تلك الخسيسة من الأمور أوبق[1] نفسه، وأسخطَ ربّه، ومن عدلتْ به التوبة نازعًا عن الباطل إلى حقّ وجد الله توّابًا رحيمًا .

أخبِرُ أميرَ المؤمنين أكرمه الله أنى عند ما انتهى إلىّ من قيامه بولاية خلافة الله، نهضتُ إلى منبرى؛ علىّ سيفان مستعدًّا بهما لأهل الغشّ ، حتى أعلمت مَنْ قِبَلى ما امتنّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين ، فاستبشروا بذلك، وقالوا : لم تأتنا ولاية خليفة كانت آمالنا فيها أعظم ولا هى لنا أسرّ من ولاية أمير المؤمنين ؛ وقد بسطتُ يدى لبيعتك فجدّدتها ووكّدتها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليظ الأيمان ، فكلهم حسُنت إجابتُهم وطاعتُهم ، فأثبْهم يا أميرَ المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذى آتاك ؛ فإنك أجودُهم جودًا وأبسطهم يدًا ؛ وقد انتظروك راجين فضلَك قِبَلهم بالرّحم الذى استرحموك ، وزدْهم زيادة يفضل بها مَنْ كان قِبَلك ؛ حتى يظهر بذلك فضلُك عليهم وعلى رعيّتك ؛ ولولا ما أحاول من سدّ الثغر[2] الذى أنا به ، لخفتُ أن يحملنى الشوق إلى أمير المؤمنين أن أستخلف رجلا على غير أمره ، ٢/١٧٥٤
وأقدمَ لمعاينة أمير المؤمنين ؛ فإنها لا يعدلها عندى عادل نعمة وإن عظمت ؛ فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى المسير إليه لأشافهه بأمور كرهتُ الكتاب بها فعل .

فلما ولىَ الوليد أجرى على زَمْنَى أهل الشأم وعميانهم وكساهم ، وأمر لكل إنسان منهم بخادم؛ وأخرج لعيالات الناس الطيبَ والكسوة؛ وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام ، وزاد الناس جميعًا فى العطاء عشرة عشرة ، ثم زاد أهل الشأم بعد زيادة العشرات عشرة عشرة ؛ لأهل الشأم خاصّة ، وزاد مَن وفد إليه من أهل بيته فى جوائزهم الضِّعْف ، وكان وهو ولىّ عهد يُطعِم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلًا ، ويُطعِم من صدَر عن الحجّ بمنزل يقال له زِيزاء ثلاثة أيام ، ويعلف دوابّهم ، ولم يقُلْ فى شى[3] يُسأله : لا ، فقيل

(١) أوبق نفسه ؛ أى أهلكها .
(٢) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان .
(٣) ا : « شىء » .

له : إن فى قولك: أنظُر، عِدَةً ما يقيم عليها الطالب ؛ فقال : لاأعوّد لسانى شيئًا لم أعتَده ، وقال :

ضَمِنْتُ لكم إنْ لم تعُقْنِى عَـوائِقٌ بـأَنَّ سَماءَ الضُرّ عَنكم سَتُقْلِعُ[1]
سَيُوشِكُ إلحاقٌ مَعاً وزِيادةٌ وأَعطِيَةٌ مِنّى عَليكُمْ تَبرّعُ
مُحرَّمكُمْ دِيوانُكُمْ وعطـاؤكمْ به يكْتُبُ الكتّابُ شَهْراً وتَطبَعُ ١٧٥٥/٢

* * *

وفى هذه السنة عقد الوليد بن يزيد لابنيْه الحكَم وعثمان البيْعة من بعده ، وجعلهما وليّىْ عهده ؛ أحدهما بعد الآخر ، وجعل الحكم مقدّمًا على عثمان ، وكتب بذلك إلى الأمصار ؛ وكان ممن كتب إليه بذلك يوسف بن عمر ، وهو عامل الوليد يومئذ على العراق ، وكتب بذلك يوسف إلى نَصْر بن سيار ؛ وكانت نسخة الكتاب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من يوسف بن عمر إلى نَصْر بن سيّار ؛ أما بعد فإنى بعثت إليك نسخَة كتاب أمير المؤمنين الذى كتب به إلى مَنْ قِبَلى فى الذى ولّى الحكَم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقال بن شبّة التميمىّ وعبد الملك القينىّ ، وأمرتهما بالكلام فى ذلك ؛ فإذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس ، ومُرْهم فليحشُدوا له ، وقُمْ فيهم بالذى كتب أمير المؤمنين ؛ فإذا فرغت فقم بقراءة الكتاب ، وأذن لمن أراد أن يقوم بخطبة ، ثم بايع الناس لهما على اسم الله وبركته ، وخذ عليهم العهد والميثاق[2] على الذى نسختُ لك فى آخر[3] كتابى هذا الذى نسخ لنا أمير المؤمنين فى كتابه ، فافهمه وبايع عليه ، نسأل الله أن يبارك لأمير ١٧٥٦/٢ المؤمنين ورعيّته[4] فى الذى قضى لهم على لسان أمير المؤمنين ، وأن يصلح الحكَم وعثمان ، ويبارك لنا فيهما ؛ والسلام عليك .

وكتب النّضْر يوم الخميس للنصف من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة .

---

(١) الأغانى ٧ : ٢١ .
(٢) ط : « بالمواثيق » .
(٣) ا ، ح : « أسفل » .
(٤) ح : « فى رعيته » .

بسم الله الرحمن الرحيم . تبايع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكَم ابن أمير المؤمنين إن كان من بعده وعثمان ابن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة ؛ وإن حدَث بواحد منهما حدث فأميرُ المؤمنين أملك فى ولده ورعيته، يقدّم من أحبّ ، ويؤخر مَنْ أحبّ . عليك بذلك عهد الله وميثاقه ؛ فقال الشاعر فى ذلك :

نبايع عُثمانَ(١) بَعْدَ الوَلِيـ ـد لِلعَهْدِ فينا ونرْجُو يَزِيدا
كما كان إذ ذاك فى ملكهِ يَزِيدُ يُرَجَّى لذاك الوَلِيدا
عَلَى أنَّها شَسَعَتْ شَسْعَةً فنحْنُ نومّلُهـــا أن تَعُودا
فإنْ هِيَ عَادَت فأَرْضِ القَرِيـ ـب عنها لِيؤيِسَ منها البَعِيدا(٢)

قال أحمد: قال علىّ عن شيوخه الذين ذكرت : فقدِم عقّال بن شبّة وعبد الملك بن نُعيم على نَصْر ، وقدما بالكتاب وهو :

أما بعدُ ؛ فإنّ الله تباركتْ أسماؤه ، وجلّ ثناؤه ، وتعالى ذكره ، اختار الإسلام ديناً لنفسه ، وجعله دين(٣) خيرته من خَلْقه ، ثم اصطفى من الملائكة رُسُلا ومن الناس ؛ فبعثهم به ، وأمرهم به ؛ وكان بينهم وبين مَن مضى من الأمم ، وخلا من القرون قَرْناً فقرْناً ؛ يدعون إلى التى هى أحسن ، ويهدون إلى صراط مستقيم ؛ حتى انتهت كرامة الله فى نبوّته إلى محمد صلوات الله ١٧٥٧/٢
عليه ؛ على حين دُروسٍ من العلم ، وعمًى من الناس ، وتشتيت من الهوى ، وتفرّقٍ من السبُل ، وطموسٍ من أعلام الحقّ ؛ فأبان الله به الهُدَى ، وكشف به العمى ، واستنقذ به من الضلالة والرّدَى ، وأبهج به الدين ، وجعله رحمةً للعالمين ، وختم به وحيَه ، وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله ؛ وقفّى به على آثارهم ؛ مصدّقاً لما نزل معهم ، ومهيمناً عليه ، وداعياً إليه ، وآمراً به ؛ حتى كان مَنْ أجابه من أمته ، ودخل فى الدين الذى أكرمهم الله به ، مصدّقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذّبهم فيه قومُهم ، منتصحين لهم فيما يُنهونه(٤) ، ذابّين لحُرمهم عما كانوا منتهكين ؛ معظّمين منها لما كانوا

(١) كذا فى ا ، ح ، ف ، وفى ط : «نؤمل» . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : «فأوصى القريب» .
(٣) كذا فى ا ، ف . (٤) أنهى الشىء : أبلغه .

مصغَّرين (١) ؛ فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ كان يسمع (٢) لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله به مكذبًا ، ولا عليه فى ذلك طاعناً ، ولا له مؤذيًا ، بتسفيه له ، أو ردٍّ عليه ؛ أو جحْد ما أنزل الله عليه ومعه ، فلم يبقَ كافر إلا استحلّ بذلك دَمه ، وقطع الأسباب التى كانت بينه وبينه ؛ وإن كانوا
١٧٥٨/٢ آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتَهم . ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوّته ؛ حين قبض نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وختم به وحيَه لإنفاذ حكمه(٣) ، وإقامة سنّته وحدوده ، والأخذ بفرائضه(٤) وحقوقه ، تأييداً بهم للإسلام ، وتشييداً بهم(٥) لعُرَاه ؛ وتقويةً بهم لقوى حبله ، ودفعًا بهم عن حريمه ، وعَدْلاً بهم بين عباده ، وإصلاحًا بهم لبلاده ؛ فإنه تبارك وتعالى يقول :

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾(٦) ، فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه ، واستخلفهم عليه منه ؛ لا يتعرّض لحقهم أحد إلا صرَعه الله ، ولا يفارق جماعتهم أحدٌ إلا أهلكه الله ؛ ولا يستخفّ بولايتهم ، ويتّهم قضاء الله فيهم أحدٌ إلا أمكنهم الله منه ، وسلّطهم عليه ، وجعله نكالا وموعظة لغيره ؛ وكذلك صنع الله بمن فارقَ الطاعة التى أمر بلزومها والأخذ بها ، والأثرة لها ؛ والتى قامت السموات والأرض بها ؛ قال الله تبارك وتعالى :

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً
١٧٥٩/٢ أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(٧) ، وقال عزّ ذكره : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٨)

فبالخلافة أبقى الله مَنْ أبقى فى الأرض من عباده ، وإليها صيّره ، وبطاعة مَنْ ولّاه إياها سعد من ألهمها ونصرها ؛ فإن الله عزّ وجلّ علم أنْ لا قوام

(١) ا ، ب : « مضيعين » .
(٢) ح ، ف : « أسمع » .
(٣) ف : « حكمته » .
(٤) ح ، ف : « حقه » .
(٥) ح : « منهم » .
(٦) سورة البقرة ٢٥١ .
(٧) سورة فصلت ١١ .
(٨) سورة البقرة ٣٠ .

لشيء ، ولا صلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه ، ويُمضى بها أمره ، ويُنْكِل[١] بها عن معاصيه ، ويوقف عن محارمه ، ويذبّ عن حرُماته ؛ فمن أخذ بحظه منها كان لله وليًّا ولأمره مطيعًا ، ولرشده مصيبًا ، ولعاجل الخير وآجله مخصوصًا ؛ ومَن تركها ورغب عنها وحادّ[٢] الله فيها أضاع نصيبه ، وعصى ربّه ، وخسر دنياه وآخرته ؛ وكانَ ممن غلبت عليه الشِّقْوة ، واستحوذت عليه الأمور الغاوية ، التي تورد أهلها أفظعَ المشارع[٣] ، وتقودهم إلى شرّ المصارع ، فيما يحلّ الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة ، ويصيّرهم فيما عندهم من العذاب والحسْرة .

والطاعة رأس هذا الأمر وذِرْوته وسنامه ومِلاكه وزمامه ، وعصمته وقوامه ، بعد كلمة الإخلاص التي ميّز الله بها بين العباد . وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم ، واستوجبوا عليه ثوابهم ، وفي المعصية مما يحلّ بغيرهم من نقماته ، ويُصيبهم عليه ، ويحقّ[٤] من سخطه وعذابه ، وبترك الطاعة والإضاعة لها ١٧٦٠/٢
والخروج منها والإدبار عنها والتبذّل [للمعصية][٥] بها ، أهلك الله مَن ضلّ وعتا ، وعمى وغلا ، وفارق مناهج[٦] البرّ والتقوى .

فالزموا طاعة الله فيما عَراكم ونالكم ؛ وألمّ بكم من الأمور ، وناصحوها واستوثقوا عليها ، وسارعوا إليها وخالصوها ، وابتغوا القُرْبة إلى الله بها ؛ فإنكم قد رأيتم مواقع الله لأهلها في إعلائه إياهم ، وإفلاجه[٧] حجّتهم ، ودفعه باطل مَنْ حادّهم وناوأهم وساماهم ، وأراد إطفاء نور الله الذي معهم . وخُبّرتم مع ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التّوبيخ لهم والتقصير بهم ؛ حتى يؤولَ أمرُهم إلى تبار وصَغار ، وذلة وبوار ؛ وفي ذلك لمن كان له رأى وموعظة عبرة يُنتفع بواضحها ، ويتمسّك بحظوتها ؛ ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها .

ثم إن الله — وله الحمد والمنّ والفضل — هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبةً لها في حقْن دمائها ، والتئام ألفتها ، واجتماع كلمتها ، واعتدال عَمُودها ،

---

(١) أنكله عن حاجته : دفعه عنها .
(٢) ج ، ف : « أوحاد » .
(٣) المشارع : جمع مشرعة ؛ وهو مورد الشاربة .
(٤) كذا في ا ، وفي ط : « وينزل » .
(٥) من ا .
(٦) ف : « منهاج » .
(٧) أفلج لله حجته : نصرها وأظهرها.

وإصلاح دهمائها(١) ؛ وذخر النعمة عليها فى دنياها ، بعد خلافتــه التى جعلها
لهم نظاماً ، ولأمرهم قــواماً ؛ وهو العهد الذى ألهم اللهُ خلفاءه توكيدَه والنظر
للمسلمين فى جسيم أمرهم فيه؛ ليكون لهم(٢)عند ما يحدث بخلفائهم ثقةً فى
١٧٦١/٢ المفزع وملتجأ فى الأمر ، ولمَّا للشَّعَث ، وصلاحاً لذات البيْن ، وتثبيتاً
لأرجاء الإسلام ، وقطعاً لنزغات الشيْطان؛ فيما يتطلع إليه أولياؤه ، ويُوثبهم
عليه من تلَف هذا الدين وانصداع (٣) شَعْب أهله ، واختلافهم فيما جمعهم
الله عليه منه ؛ فلا يريهم الله فى ذلك إلّا ما ساءهم ، وأكذب أمانيَّهم ؛
ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عُقَد أمورهم ، ونفى عنهم من
أراد فيها إدغالاً أو بها إغلالا ، أو لما شدّد الله منها توهيناً ، أو فيما تولّى الله
منها اعتماداً، فأكمل الله بها لخلفائه وحزبه البرّ الذين أودعهم طاعته أحسن
الذى عوّدهم ، وسبّب لهم من إعزازه وإكرامه وإعلائه وتمكينه ؛ فأمْرُ هذا العهد
من تمام الإسلام ، وكمال ما استوجب الله على أهله من المنَن العظام ؛ ومما جعل
الله فيه لمن أجراه على يديْه ، وقضى به على لسانه ، ووفّقه لمن ولّاه هذا الأمر
عنده أفضلَ الذُخر ؛ وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يؤثر بهم من منفعته ،
ويتّسع لهم من نعمته ، ويستندون إليه من عِزّه ، ويدخلون فيه من وزره الذى
يجعل الله لهم به منَعة ، ويحرزهم به من كلّ مهلكة ، ويجمعهم به من كلّ فُرقة ،
١٧٦٢/٢ ويقمع به أهل النّفاق ، ويعصمهم به من كلّ اختلاف وشقاق . فاحمدوا
الله ربّكم الرءوف بكم ، الصانع لكم فى أموركم على الذى دلّكم عليه من هذا
العهد ؛ الذى جعله لكم سكناً ومعوّلا تطمئنون إليه ، وتستظلون فى أفنانه ؛
ويستنهج (٤) لكم به مثْنَى أعناقكم ، وسِمات وجوهكم ، وملتَقى نواصيكم فى أمر
دينكم ودنياكم ؛ فإنّ لذلك خطراً عظيماً من النعمة ؛ وإنّ فيه من الله بلاء
حسناً فى سعة العافية ؛ يعرفه ذوو الألباب والنيات المريِّئون(٥) من أعمالهم فى
العواقب ، والعارفون منارَ مناهج الرّشد ؛ فأنتم حقيقون بشكْر الله فيما حفظ به
دينكم وأمر جماعتكم من ذلك ، جديرون بمعرفة كنه واجب حقه فيه ، وحمده

(١) الدهماء : جماعة الناس . (٢) ا : « أمرهم » .
(٣) ب : « واتساع » . (٤) ا : « ويستبهج » .
(٥) ريأ فى الأمر ترئية : نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بالجواب .

على الذى عزم لكم منه ؛ فلتكن منزلة ذلك منكم ، وفضيلته فى أنفسكم على قَدْر حسن بلاء الله عندكم فيه إن شاء الله ، ولا قوّة إلا بالله .

ثم إنّ أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشىء من الأمور أشدّ اهتماماً وعنايةً منه بهذا العهد ؛ لعلمه بمنزلته من أمر المسلمين ، وما أراهم الله فيه من الأمور التى يغتبطون بها ، ويكرمهم بما يقضى لهم ويختار له ولهم فيه جهده ؛ ويستقضى له ولهم فيه إلهه ووليّه ؛ الذى بيده الحكْم وعند الغيب ، وهو على كل شىء قدير . ويسأله أن يعينه[1] من ذلك على الذى هو أرشد له ١٧٦٣/٢ خاصة وللمسلمين[2] عامّة .

فرأى أمير المؤمنين أن يعهَد لكم عهداً بعد عهد ، تكونون فيه على مثل الذى كان عليه من كان قبلكم ، فى مُهْلة من انفساح الأمل وطُمأنينة النفس ، وصلاح ذات البين ؛ وعِلْم موضع[3] الأمر الذى جعله الله لأهله عصمةً ونجاةً وصلاحًا وحياة ، ولكل منافق وفاسق يحبّ تلف هذا الدّين وفساد أهله وقْماً وخسارًا وقَدْعًا[4] . فولّى أمير المؤمنين ذلك الحكَم ابن أمير المؤمنين ،وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده ،وهما ممّن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خلقه لذلك وصاغه ، وأكمل فيه أحسنَ مناقب من كان يوليه إياه ، فى وفاء الرّأى وصحة الدين ، وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الأمور ، ولم يألُكم أمير المؤمنين ولا نفسه فى ذلك اجتهاداً وخيراً .

فبايعوا للحكَم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركته ولأخيه من بعده ؛ على السمع والطاعة ، واحتسبوا فى ذلك أحسَن ما كان الله يُريكم ويبليكم ويعوّدكم ويعرّفكم فى أشباهه فيما مضى ، من اليسر الواسع والخير العام ، والفضل العظيم الذى أصبحتم فى رَجائه وخفضه[5] وأمنه ونعمته ، وسلامته وعصمته . فهو الأمر الذى استبطأتموه واستسرعتم إليه ، وحمدتم الله على إمضائه إياه ، وقضائه لكم ، وأحدثتم فيه شكرًا ، ورأيتموه لكم حظًّا ، تستبقونه وتجهدون ١٧٦٤/٢ أنفسكم فى أداء حقّ الله عليكم ، فإنه قد سبق لكم فى ذلك من نِعَم الله وكرامته

(١) ح ، ف : « يغلب » .
(٢) ح ، ف : « وعلى المسلمين » .
(٣) ح : « مواضع » .
(٤) الوقم : الإذلال ، والقدع : الكف .
(٥) ب ، : « وحفظه » .

وحسن قسْمه ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتكم فيه ، وحمدَكم عليه، على قَدْر الذى أبلاكم الله ، وصنع لكم منه .

وأمير المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحد من وليّيْ عهده حَدَثٌ، أوْلَى بأن يجعل مكانه وبالمنزل الذى كان به مَن أحبّ أن يجعل من أمته أو ولده ، ويقدّمه بين يدى الباقى منهما إن شاء، أو أن يؤخره بعده . فاعلموا ذلك وافهموه .

نسأل الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أن يبارك لأمير المؤمنين ولكُم فى الذى قضى به على لسانه من ذلك وقدّر منه ؛ وأن يجعل عاقبته عافيةً وسروراً وغبطة ؛ فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هُوَ ، ولا يرغب فيه إلا إليه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وكتب سَمَّال يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومائة .

* * *

[تولية الوليد نصرَ بن سيار على خراسان وأمره مع يوسف بن عمر]

١٧٦٥/٢ وفى هذه السنة ولّى الوليدُ نصرَ بن سيّار خراسان كلها ، وأفرده[1] بها .

وفيها وفد يوسف بن عمر على الوليد ، فاشترى نصراً وعماله منه ، فردّ إليه الوليد ولاية خراسان .

وفى هذه السنة كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيّار يأمره بالقدوم عليه ، ويحمل معه ما قَدَر عليه من الهدايا والأموال .

* ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر فى ذلك :

ذكر علىّ عن شيوخه ؛ أن يوسف كتب إلى نَصْر بذلك ، وأمرَه أن يقدَم معه بعياله أجمعين ، فلما أتى نصرًا كتابه ، قسّم على أهل خراسان الهدايا وعلى عُمّاله ، فلم يدعْ بخُراسان جاريةً ولا عبداً ولا بِرذَوْنا فارهًا إلا أعدّه ، واشترى ألف مملوك ، وأعطاهم السلاح ، وحملهم على الخيل .

قال : وقال بعضهم : كان قد أعدّ خمسمائة وَصيفة ، وأمر بصنعة أباريق الذّهب والفِضّة وتماثيل الظباء ورءوس السّباع والأيايل وغير ذلك ؛ فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثّه ، فسرّح الهدايا حتى بلغ

---

(١) ح : « وأفرد » .

أوائلها بَيْهق ؛ فكتب إليه الوليد يأمره أن يبعث إليه ببرابط وطنابير ، فقال بعض شعرائهم :

فأَبْشِرْ يا أَمِينَ اللـ ـهِ أَبشِرْ بتَباشِيرْ
بإبْل يُحْمَلُ المالُ عليهـا كالأَنابيرْ
بِغـالٌ تَحْمِلُ الخمرَ حَقائِبهـا طَنابيرْ
ودَلُّ الـبَرْبَرِيَّاتِ بِصَوتِ البَمِّ والزيرْ(١)
وقَرْعُ الدُّفِّ أَحيانا ونَفْـخٌ بالمزامِيرْ(٢)
فهذا لك فى الدنيا وفى الجَنَّـةِ تَحْبِيرْ

٢/١٧٦٦ قال : وقدم الأزرق بن قرّة المِسمَعِىُّ من التِّرمذ أيام هشام على نصر ، فقال لنصر : إنى أريتُ (٣) الوليد بن يزيد فى المنام ؛ وهو ولىّ عهد ، شبه الهارب من هشام ، ورأيتُه على سرير ، فشرب عسلا وسقانى بعضَه . فأعطاه نصر أربعة آلاف دينار وكُسوة ، وبعثه (٤) إلى الوليد ، وكتب إليه نصر . فأتى الأزرقُ الوليد ، فدفع إليه المال والكسوة ، فسُرّ بذلك الوليد ، وألطف الأزرق ، وجزى نصراً خيراً ، وانصرف الأزرق ، فبلغه قبل أن يصل إلى نَصْر موتُ هشام ، ونصر لا علمَ له بما صنع الأزرق ، ثم قدم عليه فأخبره ؛ فلمّا ولى الوليدُ كتب إلى الأزرق وإلى نصر ، وأمر رسوله أن يبتدئ بالأزرق فيدفع إليه كتابه ، فأتاه ليلا ، فدفع إليه كتابه وكتاب نصر ، فلم يقرأ الأزرق كتابه ، وأتى نصراً بالكتابين ؛ فكان فى كتاب الوليد إلى نصر يأمره أن يتّخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة ، وأن يجمع له كلّ صَنّاجة بخراسان يقدر عليها ، وكلّ بازى وبِرْذون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه فى وجوه أهل خراسان . فقال رجل من باهلة : كان قوم من المنجّمين يُخبرون نصرًا بفتنة تكون ؛ فبعث نصر إلى صدقة بن وَثّاب وهو ببلْخ — وكان منجمًا —
٢/١٧٦٧ وكان عنده . وألحّ عليه يوسف بالقدوم ؛ فلم يزل يتباطأ ، فوجّه يوسف

---

(١) ح : « عليها البم » .
(٢) ح ، ف : « فى المزامير » .
(٣) ح : « رأيت » .
(٤) ح ، ف : « وبعث به » .

رسولاً وأمره بلزومه يستحثه بالقدوم ، أو ينادى(١) فى الناس أنه قد خلَع ؛ فلما جاءه الرسول أجازه وأرضاه ، وتحوّل إلى قصره الذى هو دار الإمارة اليوم ؛ فلم يأت لذلك إلا يسير حتى وقعت الفتنة ، فتحوّل نصر إلى قصره بماجان ، واستخلف عصمة بن عبد الله الأسدىّ على خُراسان ، وولّى المهلبَ بن إياس العدوىّ الخراج ، وولّى موسى بن ورقاء الناجىّ الشاش ، وحسان من أهل صَغَانِيان الأسدىّ سَمَرْقند ، ومُقاتل بن علىّ السُّغدىّ آمُل ، وأمرهم إذا بلغهم خروجُه من مَرْو أن يستحلبوا(٢) الترك ، وأن يغيروا(٣) على ما وراء النهر ؛ لينصرف إليهم بعد خروجه ، يعتلّ بذلك ، فبينا هو يسير يوماً إلى العراق طَرَقَه ليلاً مولًى لبنى ليث ؛ فلمّا أصبح أذِن للناس ، وبعث إلى رسل الوليد ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد كان فى مسيرى(٤) ما قد علمتُم ، وبعثى بالهدايا ما رأيتم ؛ فطرقنى(٥) فلان ليلاً ، فأخبرنى أنّ الوليد قد قُتل ، وأن الفتنة قد وقعت(٦) بالشأم ؛ وقدم منصور بن جمهور العراق ، وقد هرب يوسف
٢/١٧٦٨ ابن عمر ، ونحن فى بلاد قد علمتم حالَها وكثرة عدوّنا . ثم دعا بالقادم فأحلفه إنّ ماجاء به لحق ! فحلف ؛ فقال سلْم بن أحوز : أصلح الله الأمير ، لو حلفتُ لكنت صادقاً ؛ إنه بعض مكايد قريش ، أرادوا تهجين طاعتك ، فسِرْ ولا تهجّنّا(٧) . قال : يا سلم أنتَ رجل لك علم بالحروب(٨) ، ولك مع ذلك(٩) حسن طاعة لبنى أمية ؛ فأمّا مثل هذا من الأمور فرأيك فيه رأى أمَة هتماء(١٠) .

ثم قال نصر : لم أشهد بعد ابن خازم أمراً مفظعاً إلّا كنتُ المفزعَ فى الرأى ؛ فقال الناس : قد علمنا ذلك ، فالرأى رأيك .

* * *

[تولية الوليد بن يزيد خاله يوسفَ الثقفىّ على المدينة ومكة]

وفى هذه السنة وجّه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفىّ

---

(١) ب : « وينادى » . (٢) ابن الأثير : « أن يستجلبوا » .
(٣) ابن الأثير : « ليعبروا على ما وراء النهر » .
(٤) ابن الأثير : « من مسيرى » . (٥) ح : « وقد طرقنى » .
(٦) ابن الأثير : « ووقعت الفتنة » . (٧) ابن الأثير : « ولا تمتحنا » .
(٨) ح وابن الأثير : « بالحرب » . (٩) ح ، ف : « هذا » .
(١٠) الهتماء : التى انكسرت ثنيتها .

واليًا على المدينة ومكة والطائف، ودفع إليه إبراهيم ومحمد ابنى هشام بن إسماعيل المخزومى موثَقَيْن فى عباءتين ، فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتى عشرة بقيت من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة ، فأقامهما للناس بالمدينة . ثم كتب الوليد إليه يأمره أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وهو يومئذ عامله على العراق ؛ فلما قدما عليه عذّبهما حتى قتلهما ؛ وقد كان رُفع عليهما عند الوليد أنهما أخذا مالا كثيراً .

* * *

وفى هذه السنة عزَل يوسف بن محمد سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة ، وولاهما يحيى بن سعيد الأنصارىّ .

* * *

[غزو قبرس]

٢/١٧٦٩ وفيها غزّى(١) الوليد بن يزيد أخاه الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك، وأمّر على على جيش البحر الأسودَ بن بلال المحاربىّ ، وأمره أن يسير (٢) إلى قبرس فيخيّرهم بين المسير إلى الشأم إن شاءوا ، وإن شاءوا إلى الروم ، فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين ، فنقلهم الأسود إلى الشأم ؛ واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها .

* * *

وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قُريظ وقحطبة بن شبيب مكة ، فلقوا — فى قول بعض أهل السيَر — محمد بن علىّ فأخبروه بقصّة أبى مسلم وما رأوْا منه ؛ فقال لهم : أحرٌّ هو أم عبد ؟ قالوا : أما عيسى فيزعم أنّه عبد ، وأما هو فيزعم أنه حرٌّ ، قال : فاشتروْه وأعتقوه ؛ وأعطوا محمد بن علىّ مائتى ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم ، فقال لهم : ما أظنّكم تلقونى بعد عامى هذا ، فإن حدَث بى حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد ، فإنى أثق به وأوصيكم به خيراً ، فقد أوصيته بكم . فصدروا من عنده .

وتوفّى محمد بن علىّ فى مستهلّ ذى القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ وكان بين وفاته وبين وفاة أبيه علىّ سبع سنين .

---

(١) ابن الأثير : « أغزى » . (٢) ب ، ح : « أن يصير » .

٢/١٧٧٠ وحجّ بالناس فى هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف الثقفىّ ، حدثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن علىّ]

وفى هذه السنة قتل يحيى بن زيد بن علىّ بخُراسان .

* ذكر الخبر عن مقتله :

قد مضى ذكرُنا قبلُ أمرَ مصير يحيى بن زيد بن علىّ إلى خراسان . وسبب ذلك ؛ ونذكر الآن سبَب مقتله ؛ إذ كان ذلك فى هذه السنة .

ذكر هشام بن محمد الكلبىّ عن أبى مخنف ، قال : أقام يحيى بن زيد بن علىّ عند الحَريش بن عمرو بن داود ببَلْخ حتى هلك هشام بن عبد الملك ، وولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك . فكتب يوسف بن عمر إلى نَصْر بن سيّار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذى كان ينزل[1] ؛ حتى أخبره أنه عند الحَريش ، وقال له : ابعث إليه وخُذْه أشدّ الأخذ . فبعث نصر بن سيّار إلى عَقيل بن معقِل العجلىّ ، يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد بن علىّ . فبعث إليه عقيل ، فسأله عنه ، فقال : لا عِلْمَ[2]
٢/١٧٧١ لى به ، فجلده سمائة سَوْط ، فقال له الحَرِيش : والله لو أنه كان تحت قدمىّ ما رفعتُهما لك عنه ؛ فلما رأى ذلك قُرَيش بن الحَريش أتى عَقيلا ، فقال : لا تقتل أبى وأنا أدلك عليه ، فأرسل معه فدلّه عليه ، وهو فى بيت فى جوف بيت ، فأخذه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس — كان أقبل معه من الكوفة — فأتى به نصر بن سيّار فحبسه ، وكتب إلى يوسف بن عمر يخبره بذلك ؛ فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد ، فكتب الوليد إلى نصر بن سيّار ، يأمره أن يؤمِنَه ويخلّى سبيله وسبيل أصحابه ، فدعاه نصر ابن سيّار ، فأمره بتقوى الله وحذّره الفتنة ، وأمره أن يلحق بالوليد بن يزيد ، وأمر له بألفى درهم وبغلين ، فخرج هو وأصحابه حتى انتهى إلى سَرَخْس ، فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عُبَاد ، فكتب إليه نصر بن سيّار أن

---

(١) ب : « نزل » . (٢) ب : « ما لى علم » .

يشخصه عنها، وكتب إلى الحسن بن زيد التميميّ[١] — وكان رأس بنى تميم، وكان على طُوس — أن انظر يحيى بن زيد، فإذا مرّ بكم فلا تَدَعه يقيم بطوس حتى يخرج منها، وأمرهما إذا هو مرّ بهما ألّا يُفارقاه حتى يدفعاه إلى عمرو بن زرارة بأبْرَشهر. فأشخصه عبد الله بن قيس من سَرخْس، ومرّ بالحسن بن زيد فأمره أن يمضى، ووكّل به سرحان بن فرّوخ بن مجاهد بن بلعاء العنبرىّ أبا الفضل، وكان على مَسْلحة. ١٧٧٢/٢

قال: فدخلتُ عليه، فذكر نصرَ بن سيّار وما أعطاه؛ فإذا هو كالمستقلّ له؛ فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد، فأثنى عليه، وذكر مجيئه بأصحابه معه، وأنه لم يأت بهم إلا مخافة أن يُسَمّ أو يُغتَمّ، وعرّض بيوسف؛ وذكر أنه إياه يتخوّف[٢]، وقد كان أراد أن يقع فيه ثم كفّ، فقلت له: قُل ما أحببت رحمك الله؛ فليس عليك منى عين؛ فقد أتى إليك ما يستحقّ أن تقول فيه. ثم قال: العجَب من هذا الذى يقيم الأحراس أو أمر الأحراس، قال — وهو حينئذ يتفصّح —: والله لو شئتُ أن أبعث إليه؛ فأوتَى به مربوطًا. قال: فقلتُ له: لا والله ما بك صُنع هذا؛ ولكن هذا شيء يصنع فى هذا المكان أبداً، لمكان بيت المال. قال: واعتذرتُ إليه من مسيرى معه، وكنت أسير معه على رأس فرْسخ، فأقبلنا معه حتى وقعنا إلى عمرو بن زُرارة، فأمر له بألف درهم، ثم أشخصه حتى انتهى إلى بَيْهق، وخاف اغتيال يوسف إياه، فأقبل من بَيْهق — وهى أقصى أرض خراسان، وأدناه من قُومِس — فأقبل فى سبعين رجلا إلى عمرو بن زرارة، ومرّ به تجار، فأخذ دوابّهم، وقال: علينا أثمانها. فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيار، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس وإلى الحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة، فهو عليهم، ثم ينصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه. فجاءوا حتى انتهوْا إلى عمرو بن زرارة، واجتمعوا فكانوا عشرة آلاف، وأتاهم يحيى بن زيد؛ وليس هو إلّا فى سبعين رجلاً، فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة، وأصاب دوابّ كثيرة. وجاء يحيى بن زيد حتى مرّ بهَراة، وعليها مغلّس بن زياد العامرىّ، فلم ١٧٧٣/٢

(١) ا: «الحريش بن يزيد التميمى».
(٢) ا: «متخوف».

يعرض واحد منهما لصاحبه ، فقطعها يحي بن زيد ، وسرّح نصر بن سيّار سلم بن أحوز فى طاب يحي بن زيد ، فأتى هرَاة حين خرج منها يحي بن زيد فأتبعه فلحقه بالجوزجان بقرية منها ، وعليها حماد بن عمرو السُّغدىّ .

قال : ولحق بيحيى بن زيد رجل من بنى حنيفة يقال له أبو العجلان[1] ، فقتِل يومئذ معه ، ولحق به الحَسْحاس الأزدىّ فقطع نصر بعد ذلك يدَه ورجله .

قال : فبعث سلم بن أحوز[2] سَوْرة بن محمد بن عزيز الكندىّ على ميمنته ، وحمّاد بن عمرو السغدىّ على ميسرته ، فقاتله[3] قتالاً شديداً ، ٢/١٧٧٤ فذكروا أن رجلاً من عَنَزَة يقال له عيسى ، مولى عيسى بن سليمان العَنَزى رماه بنُشّابة ، فأصاب جبهته .

قال : وقد كان محمد شهد ذلك اليوم ، فأمره سلم بتعبئة الناس ، فتمارض عليه ، فعبّى الناس سوْرة بن محمد بن عزيز الكندىّ ، فاقتتلوا فقُتلوا من عند آخرهم . ومرّ سوْرة بيحيى بن زيد فأخذ رأسه ، وأخذ العَنزىّ سلَبه وقميصه ، وغلبه سوْرة على رأسه .

فلما قتل يحي بن زيد وبلغ خبرُه الوليد بن يزيد ، كتب — فيما ذكر هشام عن موسى بن حبيب ؛ أنه حدثه — إلى يوسف بن عمر : إذا أتاك كتابى هذا ، فانظر عجل العراق فأحرقه ثم انسفه فى اليمّ نسفاً . قال : فأمر يوسف خراش بن حوشب ، فأنزله من جِذْعه وأحرقه بالنار ، ثم رضّه فجعله فى قَوْصرة ، ثم جعله فى سفينة ، ثم ذرّاه فى الفرات .

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة عمالها فى السنة التى قبلها ، وقد ذكرناهم قبل .

---

(١) ا : « ابن العجال » .
(٢) ابن الأثير : « سالم بن أحوز » .
(٣) ب : « فقاتلا » .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة ٢/١٧٧٥

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

* * *

[ذكر بقية أخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك]

فمن ذلك ما كان من قتل يزيد بن الوليد الذى يقال له الناقص الوليدَ ابن يزيد .

* ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف قُتِل :

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاعته ومجانته ، وما ذكر عنه من تهاونه واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته ولما ولى الخلافة وأفضت إليه ، لم يزدد فى[1] الذى كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد[2] وشرب النبيذ ومنادمة الفُسّاق إلا تماديًا وحدًّا[3] — تركت الأخبار الواردة عنه بذلك كراهة إطالة الكتاب بذكرها — فثقل ذلكَ من أمره على رعيته وجنده ، فكرهوا أمرَه .

وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه إفساده[4] على نفسه بنى عمّيه بنى هشام وولد الوليد ، ابنى عبد الملك بن مروان ، مع إفساده على نفسه اليمانية ، وهم عُظْم جند أهل الشأم .

* ذكر بعض الخبر عن إفساده بنى عمّيه هشام والوليد : ٢/١٧٧٦

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا علىّ ، عن المنهال بن عبد الملك ، قال : كان الوليد صاحبَ لهو وصيد ولذّات ؛ فلما ولى الأمر جعل يكره المواضع التى فيها الناس حتى قُتِل ؛ ولم يزل ينتقل ويتصيد ، حتى ثقل على الناس وعلى جنده ، واشتدّ على بنى هشام ؛ فضرَب سليمان بن هشام مائة سوط وحلَق رأسه ولحيته ، وغرّبه إلى عَمّان فحبسه بها ؛ فلم يزل بها محبوسًا حتى

---

(١) كذا فى ا ب ، ف وفى ط : « من » . (٢) ا : « إلى الصيد » .
(٣) كذا فى ا ، ب ، ف . والحد : منتهى الشىء ، وفى ط : « وجدًّا » .
(٤) ح : « فساده » .

قتل الوليد . قال : وأخذ جارية كانت لآل الوليد ، فكلّمه عمر بن الوليد ، فيها فقال : لا أردّها ، فقال : إذن تكثر الصّواهل حول عسكرك . قال : وحبس الأفقم يزيدَ بن هشام ، وأراد البيعة لابنيْه الحكَم وعثمان فشاور سعيد بن بيْهس بن صُهيب ، فقال : لا تفعل ؛ فإنهما غلامان لم يحتلما ؛ ولكن بايع لعتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فغضب وحبسه حتى مات فى الحبس . وأراد خالدَ بن عبد الله على البيْعة لابنيه فأبى ، فقال له قوم من أهله : أرادك أمير المؤمنين على البيْعة لابنيه فأبيتَ ، فقال : ويحكم ! كيف أبايع مَنْ لا أصلّى خلفه ، ولا أقبل شهادته ! قالوا : فالوليد
٢/١٧٧٧ تُقبل شهادته مع مُجونه وفسقه ! قال : أمْر الوليد أمر غائب عنى ولا أعلمه[1] يقيناً ؛ إنما هى أخبار الناس ؛ فغضب الوليد على خالد .

قال : وقال عمرو بن سعيد الثقفىّ : أوفدنى يوسف بن عمر إلى الوليد فلما قدمتُ قال لى : كيف رأيتَ الفاسقَ ؟ يعنى بالفاسق الوليد — ثم قال : إياك أن يسمع هذا منك أحدٌ ، فقلت : حبيبة بنت عبد الرحمن بن جُبير طالق إن سمعتْه أذنى ما دمتَ حيًّا ؛ فضحك . قال : فثقل الوليدُ على الناس ، ورماه بنو هشام وبنو الوليد بالكُفر وغشيان أمّهات أولاد أبيه ، وقالوا : قد اتخذ مائة جامعة ؛ وكتب على كلّ جامعة اسمَ رجل من بنى أمية ليقتلَه بها . ورموْه بالزّندقة ؛ وكان أشدّهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناسُ إلى قوله أميل ؛ لأنه كان يُظهر النسك ويتواضع ، ويقول : ما يسعنا الرضا بالوليد ؛ حتى حمل الناس على الفتْك به .

* * *

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا علىّ ، عن يزيد بن مصاد الكلبىّ ، عن عمرو بن شَراحيل ، قال : سيّرنا هشام بن عبد الملك إلى دَهْلك ؛ فلم نزل بها حتى مات هشام ، واستُخلف الوليد ، فكُلِّم فينا فأبى ، وقال : والله ما عمل هشام عملا أرْجَى له عندى أن تناله المغفرة به من قتْله القدَريّة[2] وتسييره إياهم . وكان الوالى علينا الحجاج بن بشر بن فيروز الديلمىّ ، وكان

(١) ح : « لا أعلمه » ، بدون واو . (٢) ب : « الغدرة » .

يقول : لا يعيش الوليد إلا ثمانية عشر شهراً حتى يقتل ؛ ويكون قتلُه سبب ٢/١٧٧٨
هلاك أهل بيته . قال : فأجمع على قتل(١) الوليد جماعة من قُضاعة واليمانيّة من أهل دمشق خاصّة ، فأتى حُرَيث وشبيب بن أبى مالك الغسانىّ ومنصور بن جُمْهُور ويعقوب بن عبد الرحمن وحِبال بن عمرو ؛ ابن عمّ منصور ، وحميد بن نصر اللخمىّ والأصبغ بن ذؤالة وطُفيل بن حارثة والسَّرِىّ بن زياد بن عِلاقَة ، خالدَ بن عبد الله ، فدعوْه إلى أمرهم فلم يجبهم ، فسألوه أن يكتم عليهم ، فقال : لا أُسمّى أحداً منكم . وأراد الوليد الحجّ ، فخاف خالد أن يفتكوا به فى الطريق ، فأتاه فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أخّر الحجّ العام ، فقال : ولم ؟ فلم يخبره ، فأمر بحبسه وأن يُستأدَى ما عليه من أموال العراق .

وقال علىّ عن الحكم بن النعمان ، قال : أجمع الوليد على عزل يُوسف واستعمال عبد الملك بن محمد بن الحجّاج ، فكتب إلى يوسف : إنك كتبتَ إلى أمير المؤمنين تذكر تخريبَ ابن النصرانيّة البلاد ، وقد كنتَ على ما ذكرت من ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل ، وقد ينبغى أن تكون قد عَمَرت(٢) البلاد حتى رددتَها إلى ما كانت عليه ؛ فاشخص إلى أمير المؤمنين ، فصدّق ظنَّه بك فيما تحمل إليه لعمارتك البلاد ، وليعرف أمير المؤمنين فضلَك على ٢/١٧٧٩
غيرك ؛ لما جعل الله بينك وبين أمير المؤمنين من القَرابة ؛ فإنك خالُه ، وأحقّ الناس بالتوفير عليه ، ولما قد علمتَ مما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشأم وغيرهم من الزّيادة فى أعطياتهم ، وما وصل به أهلَ بيته لطول جَفْوة هشام إياهم ، حتى أضرّ ذلك ببيوت الأموال . قال : فخرج يوسف واستخلف ابنَ عمّه يوسف بن محمد ، وحمل من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحملْ من العراق مثله . فقدم — وخالد بن عبد الله محبوس — فلقيه حَسّان النَّبَطىّ ليلاً ، فأخبره أنّ الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد ابن الحجاج ، وأنه لا بدّ ليوسف فيها من إصلاح أمر وزرائه ، فقال : ليس عندى فضل درهم ، قال : فعندى خمسمائة ألف درهم ، فإن شئتَ فهى

(١) ح ، ف : « قتال » .
(٢) ف : « غمرت » .

لك ، وإن شئت فاردد ها إذا تيسرت . قال : فأنت أعرفُ بالقوم ومنازلهم من الخليفة منى، ففرّقْها على قدر علْمك فيهم؛ ففعل. وقدم يوسف والقوم يعظّمونه ، فقال له حسان : لا تَغْدُ على الوليد ؛ ولكن رُحْ إليه رواحاً ؛ واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك : إنّى كتبت إليك ولا أملك إلا القَصْر . وادخل على الوليد والكتابُ معك متحازناً (١) ؛ فأقرئه الكتاب ، ومُرْ أبان
١٧٨٠/٢ ابن عبد الرحمن النميرىّ يشترى خالداً منه بأربعين ألف ألف . ففعل يوسف ، فقال له الوليد : ارجع إلى عملك ، فقال له أبان : ادفع إلىّ خالداً وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم ، قال : ومن يضمن عنك ؟ قال : يوسف ، قال : أتضمن عنه ؟ قال : بل ادفعه إلىّ ، فأنا أستأديه خمسين ألف ألف ، فدفعه إليه ، فحمله فى محمل بغير وطاء .

قال محمد بن محمد بن القاسم : فرحمتُه ، فجمعت ألطافاً كانت معنا من أخبصة يابسة وغيرها فى منديل ، وأنا على ناقة فارهة ، فتغفّلتُ يوسفَ ، فأسرعتُ ودنوتُ من خالد ، ورميتُ بالمنديل فى محمله ، فقال لى : هذا من متاع عُمان — يعنى أن أخى الفيْض كان على عُمَان ، فبعث إلىّ بمال جسيم — فقلت فى نفسى : هذا على هذه الحالة وهو لا يَدع هذا ! ففطن يوسف بى فقال لى : ما قلتَ لابن النصرانيّة ؟ فقلت : عرضتُ عليه الحاجة ، قال : أحسنتَ ، هو أسير ؛ ولو فطن بما ألقيتُ إليه للقينى منه أذًى .

وقدم الكوفة فقتله فى العذاب ؛ فقال الوليد بن يزيد — فيما زعم الهيثم بن عدىّ — شعراً يُوبّخ به أهل اليمن فى تركهم نُصرة خالد بن عبد الله .

وأما أحمد بن زهير ، فإنه حدّثه عن علىّ بن محمد ؛ عن محمد بن سعيد
١٧٨١/٢ العامرىّ ، عامر كلب ، أنّ هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يحرّض عليه اليمانية :

أَلَمْ تهتجْ فتَذّكرَ الوصالا(٢) وحَبْلاً كان مُتَّصِلاً فزالا
بَلَى فالدَّمعُ منك له سِجَامٌ كماءِ المُزن يَنسَجِلُ انسجالا

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « مختوماً متحازناً » . (٢) ط : « فتذكر » .

فَدَعْ عنك ادِّكارَك آلَ سُعْدَى فنحن الأَكثُرونَ حصًى ومالا
ونحن المالكون الناسَ قسْرًا نَسُومهُمُ المذَلَّةَ والنكالا
وَطِئنا الأَشعرينَ بعِزِّ قيسٍ فيالك وطأَةً لن تُستَقالا !
وهذا خالِدٌ فينا أَسِيرًا[1] أَلَا منعوه إنْ كانوا رجالا !
عَظِيمُهُمُ وسيِّدُهُمْ قديماً جعلنا المُخْزِياتِ له ظِلالا
فلو كانت قبائلَ ذاتَ عزٍّ لَما ذهَبَتْ صَنائِعُهُ ضَلالا
ولا ترَكوهُ مسلوباً أَسيرًا يُسامِرُ من سَلاسِلِنا الثقالا

— ورواه المدائنيّ : « يعالج من سلاسلنا[2] » —

وكِنْدَةُ والسَّكون فماستقالوا[3] ولا برِحَتْ خُيولُهمُ الرِّحالا
بها سُمْنا البَرِيَّةَ كُلَّ خَسْفٍ وهَدَّمنا السُّهُولَةَ والجبالا
١٧٨٢/٢ ولكنَّ الوقائع ضَعْضَعتهمْ وجَذَّتهُمْ وَردَّتهُمْ شِلالا
فما زالوا لنا أَبَدًا عَبيدًا[4] نَسُومُهُمُ المذلَّةَ والسِّفالا
فأَصبحتُ الغداة عليَّ تاجٌ لمُلكِ الناس ما يَبغى انتِقالا

فقال عمران بن هلباء الكلبيّ يجيبه :

قِفِى صدْرَ المَطِيَّةِ يا حلالا وجذِّى حَبْلَ مَنْ قطعَ الوصالا
أَلمْ يحْزُنْكِ أَنَّ ذوِى يَمانٍ يُرَى مَنْ حاذَ قَيْلهم جُلالا
جَعلنا للقبائِلِ مِنْ نزارٍ غَداة المَرْجِ أَياماً طِوالا
بنا مَلكَ المُملَّكُ من قريش وأَوْدَى جَدُّ مَنْ أَودَى فَزالا
متى تلقَ السَّكُون وتلق كلبًا بعَبْسٍ تَخْشَ مِنْ ملكٍ زوالا
كذاكَ المرءُ ما لم يُلفَ عَــدْلاً يكونُ عليه منطِقُهُ وَبالا

---

(١) ابن الأثير : « أسير » . (٢) وكذلك فى ابن الأثير .
(٣) ا : « فما استفاقوا » ، وابن الأثير : « فما استقاموا » .
(٤) ابن الأثير : « بلداً عبيداً » .

أَعِدُّوا آلَ حِمْيَرَ إِذْ دُعِيتُمْ سُيُوفَ الهندِ والأَسَلَ النهالا[١]
وكلَّ مُقلَّصٍ نَهدٍ القُصَيْرَى وذا فَوْدَيْنِ والقُبَّ الجبالا[٢]
يَذَرْنَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ قتيلا عليه الطيرُ قد مَذِلَ السؤالا
لِئن عَيرتمونا ما فعلنـــا لقد قلتم وجَدِّكُمُ مَقـــالا
لإِخوانُ الأَشاعِثِ قَتَّلوهمْ فما وُطِئوا ولا لاقَوْا نكالا
وأَبناءُ المهلّبِ نحنُ صُلنا وقائِعَهُمْ وما صُلتُمْ مَصالا
١٧٨٣/٢ وقد كانَتْ جُذَامُ على أَخيهمْ ولخمٌ يقتُلونَهُمُ شلالا
هربنا أَن نُساعِدَكُمْ عليهمْ وقد أَخطا مُسَاعِدُكمْ وفالا
فإِن عُدْتُمْ فإِنَّ لنا سُيوفاً صَوارِمَ نَسْتَجِدُّ لها الصقالا
سَنَبكِي خالِدًا بِمُهنَّداتٍ ولا تَذْهَبْ صَنائِعُهُ ضَلالا
أَلَمْ يَكُ خالدٌ غيثَ اليَتامى إِذا حَضَرُوا وكنتَ لهم هُزالا !
يُكفِّنُ خالدٌ مَوْتى نِزار ويُثرِى حَيَّهم نَشَباً ومالا
لو انَّ الجائِرِينَ عليه كانوا بساحةِ قومِهِ كانوا نَكالا
ستَلقَى إِن بَقِيتَ مُسَوَّماتٍ عوابِسَ لا يُزايِلنَ الحِلالا

فحدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، قال : فازداد الناس على الوليد حَنَقاً لمّا روى هذا الشعر ؛ فقال ابن بيض :

وَصَلتَ سَماءَ الضُّرِّ بالضرِّ بعد ما زعمْتَ سماءُ الضرِّ عنا سَتُقلَعُ
فليت هشاماً كان حيًّا يَسُوسُنا وكنَّا كما كنَّا نُرَجِّي ونَطمَعُ[٣]

---

(١) ا : « الطوالا » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « الحبالا » .
(٣) ابن الأثير : « وقال أيضاً :

يا وَلِيدَ الخنَى تركتَ الطَّرِيقَا واضحاً وارتكبتَ فجًّا عميقاً
وتماديْتَ واعتديتَ وأَسرفْـ تَ وأَغويْتَ وانبعثْتَ فسوقَا
أَبدًا هاتِ ثمَّ هاتِ وهاتِى ثمَّ هاتِى حتَّى تَخرَّ صَعِيقا
أَنتَ سَكرَانُ ما تفيقُ فما ترْ تقُ فتقًا وقَدْ فتقْتَ فتُوقَا

وكان هشام استعمل الوليد بن القعقاع على قِنَّسرين وعبد الملك بن القعقاع على حِمْص ، فضرب الوليد بن القعقاع ابنَ هبيرة مائة سوط ؛ فلما قام الوليد هرب بنو القعقاع منه ، فعاذوا بقبْر يزيد بن عبد الملك ؛ فبعث إليهم ، فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة — وكان على قنَّسرين — فعذّبهم ، فمات فى العذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع ورجلان معهما من آل القعقاع ، واضطغن على الوليد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع واليمانية ٢/١٧٨٤ بما صنع بخالد بن عبد الله. فأتت اليمانية يزيدَ بن الوليد، فأرادوه على البَيْعة ، فشاور عمرو بن يزيد الحكميّ ، فقال : لا يبايعك الناس على هذا ، وشاور أخاك العباس بن الوليد ؛ فإنه سيّد بنى مروان ؛ فإنْ بايعك لم يخالفْك أحد ، وإن أبى كان الناسُ له أطوَع ، فإن أبيتَ إلّا المضىّ على رأيك، فأظهِرْ أنّ العباس قد بايعك . وكانت الشأم تلك الأيام وبيّة ، فخرجوا إلى البوادى ؛ وكان يزيد بن الوليد متبدّيًا ، وكان العباس بالقَسْطل بينهما أميال يسيرة .

فحدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنى علىّ ، قال : أتى يزيد أخاه العباس ، فأخبره وشاوره ، وعاب الوليد ، فقال له العبّاس : مهلاً يا يزيد ؛ فإنّ فى نقض عهد الله فساد الدين والدنيا . فرجع يزيد إلى منزله ، ودبّ فى الناس فبايعوه سرًّا ، ودسّ الأحنفَ الكلبىّ ويزيدَ بن عنبسة السكسكىّ وقومًا من ثِقاته من وجوه الناس وأشرافهم ؛ فدعوا الناس سرًّا ؛ ثم عاود أخاه العباس ومعه قَطن مولاهم ، فشاوره فى ذلك ، وأخبره أنّ قومًا يأتونه يريدونه على البَيْعة ، فزَبَره العباس ، وقال : إن عدتَ لمثل هذا لأشدّنّكَ وثاقاً ، ولأحملنّك إلى أمير المؤمنين ! فخرج يزيد وقَطَن ، فأرسل العباس إلى قَطَن ، فقال : ويحك يا قطن ! أترى يزيد جادًّا ! قال : جُعلتُ فداك ! ما أظنّ ذاك؛ ولكنه قد دخله مما صنع الوليد ببنى هشام وبنى الوليد وما يَسمع ٢/١٧٨٥ مع الناس من الاستخفاف بالدين وتهاونه ما قد ضاق به ذرعًا . قال : أما والله إنى لأظنّه أشأم سَخْلة فى بنى مروان ؛ ولولا ما أخاف من عَجَلة الوليد مع تحامُله علينا لشددتُ يزيد وَثاقًا ، وحملته إليه ؛ فازجُرْه عن أمره ؛ فإنه يسمع إليك . فقال يزيد لقَطَن : ما قال لك العباس حين رآك ؟ فأخبره ، فقال له : والله لا أكفّ .

وبلغ معاويةَ بن عمرو بن عتبة خوضُ الناس ؛ فأتى الوليدَ فقال : يا أميرَ المؤمنين، إنك تبسط لسانى بالأنس بك، وأكفُّه بالهيبة لك، وأنا أسمع مالا تسمع وأخاف عليك ما أراك تأمن ، أفأتكلم ناصحًا ، أو أسكت مطيعًا ؟ قال : كلٌّ مقبول منك ؛ ولله فينا علم غَيْب نحن صائرون إليه ؛ ولو علم بنو مرْوان أنهم إنما يوقِدون على رَضْف(١) يلقوْنه فى أجوافهم مافعلوا ، ونَعود ونسمع منك .

وبلغ مَرْوانَ بن محمد بأرمينيَة أنّ يزيد يؤلّب الناس، ويدعو إلى خَلْع الوليد ؛ فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مَرْوان يأمره أن ينهَى الناس ويكفّهم

١٧٨٦/٢ — وكان سعيد يتألّه : إنّ الله جعل لكل أهل بيت أركانًا يعتمدون عليها، ويتّقُون بها المخاوف ، وأنت بحمد ربّك ركْنٌ من أركان أهل بيتك ؛ وقد بلغنى أنّ قومًا من سفهاء أهلِ بيتك قد استنّوا أمرًا — إن تمّت لهم رَوِيّتُهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقضِ بيعتهم — استفتحوا بابًا لن يغلِقه الله عنهم حتى تُسفك دماء كثيرة منهم ؛ وأنا مشتغل بأعظم ثغور المسلمين فُرَجًا ، ولو جَمَعتْنِى وإياهم لَرممْتُ فسادَ أمرهم بيدى ولسانى ، ولخفت الله فى ترك ذلك ؛ لعلمى ما فى عواقب الفُرْقة من فساد الدين والدنيا ؛ وأنه لن ينتقل سلطان قوم قطُّ إلا بتشتيت كلمتهم ؛ وإنّ كلمتهم إذا تشتّتت طمع فيهم عدوُّهم . وأنت أقربُ إليهم منّى ، فاحتل لعلم ذلك وإظهار المتابَعة لهم ؛ فإذا صرت إلى علم ذلك فتهدّدْهم بإظهار أسرارهم ، وخُذْهم بلسانك ، وخوّفهم العواقب ؛ لعلّ الله أن يردّ إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم ؛ فإنّ فيما سعَوْا فيه تغيّر النّعم وذهاب الدّولة ، فعاجل الأمر وحَبْل الألفة مشدودٌ ، والناس سكون ، والثّغور محفوظة ؛ فإنّ للجماعة دَوْلة من الفُرْقة وللسَّعة دافعًا من الفقر ، وللعدد منتقصًا ، ودُوَل الليالى مختلفة على

١٧٨٧/٢ أهل الدنيا ، والتقلّب مع الزيادة والنقصان ؛ وقد امتدّت بنا — أهل البيت — متتابعات من النعم ، قد يعيبها(٢) جميع الأمم وأعداء النعم وأهل الحسد لأهلها ؛ وبحسد إبليس خرج آدم من الجنة . وقد أمّل القومُ فى الفتنة أملا ؛ لعلّ أنفسهم تهلك دون ما أمّلوا ، ولكلّ أهل بيت مشائيم يُغيّر الله النعمة بهم —

---

(١) الرضف : الحجارة المحماة . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « يعنى بها » .

فأعاذك الله من ذلك — فاجعلني من أمرهم على علم . حفظَ الله لك دينَك ، وأخرجَك مما أدخلك فيه ، وغلب لك نفسلك على رشدك .

فأعظم سعيد ذلك ، وبعث بكتابه إلى العباس ، فدعا العباس يزيدَ فعذَله وتهدَّده ، فحذَّره يزيد ، وقال : يا أخى ، أخاف أن يكون بعض مَنْ حسدنا هذه النعمة من عَدُوّنا أراد أن يُغْرِىَ بيننا ؛ وحلَف له أنه لم يفعل. فصدّقه.

حدّثنى أحمد ، قال : حدثنا علىّ ، قال : قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك : دخل (١) أبى بشرُ بن الوليد على عمّى العباس ، فكلّمه فى خلع الوليد وبيعة يزيد ، فكان العباس ينهاه ، وأبى يرادّه ، فكنت أفرح وأقول فى نفسى : أرى أبى يجترئ أن يكلم عمى ويردّ عليه قوله ! وكنت أرى أنّ الصواب فيما يقول أبى ، وكان الصّواب فيما يقول عمّى ، فقال العباس : يا بنى مروان ؛ إنى أظنّ الله قد أذن فى هلاككم (٢) ؛ وتمثّل قائلا (٣) : ١٧٨٨/٢

إنى أُعِيذُكُمُ باللهِ مِنْ فِتَنٍ مثلِ الجبالِ تَسامَى ثم تندَفعُ
إنَّ البريَّةَ قد مَلَّتْ سِياسَتكُمْ فاسْتَمْسِكُوا بِعَمُود الدينِ وارتَدِعُوا
لا تلحِمُنَّ ذِئابَ الناسِ أنفُسَكُم (٤) إنَّ الذئابَ إذا ما أُلحِمتْ رَتَعُوا
لا تَبْقَرُنَّ بأيديكم بُطونَكمُ فثَمَّ لا حَسْرةٌ تغْنى ولا جَزعُ

قال : فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبدّ ، أقبل إلى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال ، متنكّراً فى سبعة نفر على حمير (٥) ، فنزلوا بجَرود على مَرْحلة من دمشق ، فرمى يزيد بنفسه فنام. وقال القوم لمولًى لعباد بن زياد : أما عندك طعام فنشتريه ؟ قال : أما لبيعٍ فلا ، ولكن عندى قراكم وما يسعكم (٦) . فأتاهم بدَجاج وفراخ وعسل وسمن وشوانيز (٧) ، فطعِموا . ثم سار فدخل

(١) الخبر فى الأغانى ٧ : ٧٥ — ٧٧ ؛ بروايته عن أحمد بن الحارث عن المدائنى ، عن جويرية بن أسماء . وبروايته أيضاً عن ابن أبى الأزهر عن حماد عن أبيه عن جويرية بن أسماء ؛ عن ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك .

(٢) ب : « إهلاككم » .

(٣) ب : « وقال هذا الشعر » ، ف : « وقال » ، ابن الأثير ، « ثم تمثل » ؛ الأغانى : « ثم قال العباس » .

(٤) ألحمت القوم : أطعمهم اللحم .

(٥) ا : «على جمال» ، وفى الأغانى : «على حمر» .

(٦) الأغانى : « من قراكم ما يشبعكم » .

(٧) الشوانيز : التوابل ، وفى ط : « شوازير » وأثبت ما فى الأغانى .

دمشق ليلا ، وقد بايع ليزيد أكثرُ أهل دمشق سرًّا ، وبايع أهل المِزّة غير
١٧٨٩/٢ معاوية بن مصاد الكلبيّ — وهو سيد أهل المِزّة — فمضى يزيد من ليلته إلى منزل معاوية بن مَصاد ماشيًا فى نُفير من أصحابه — وبين دمشق وبين المِزّة ميل أو أكثر — فأصابهم مطر شديد ، فأتوْا منزل معاوية بن مَصاد ، فضربوا بابه ، ففتح لهم ، فدخلوا[1] ، فقال ليزيد : الفراشَ أصلحك الله ! قال : إن فى رجلى طينًا ، وأكره أن أفسد بساطك ، فقال : الذى تريدنا عليه أفسدُ . فكلّمه يزيد فبايعه معاوية — ويقال هشام بن مصاد — ورجع يزيد إلى دمشق ؛ فأخذ طريق القناة ، وهو على حمار أسود ؛ فنزل دار ثابت بن سليمان[2] بن سعد الخُشَنىّ ، وخرج الوليد بن رَوْح ، وحلف لا يدخل دمشق إلّا فى السلاح ، فلبس سلاحه ، وكفّر عليه الثياب ، وأخذ طريق النَّيْرَب — وهو على فرس أبلق — حتى وافى يزيد ، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف الوباء ، فخرج فنزل قَطَنًا ، واستخلف ابنه على دمشق ، وعلى شُرْطته أبو العاج كثير بن عبدالله السُّلَمىّ ، فأجمع يزيد على الظهور ، فقيل للعامل[3] : إنّ يزيد خارج ، فلم يصدّق . وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء
١٧٩٠/٢ ليلة الجمعة سنة ست[4] وعشرين ومائة ، فكمنوا عند باب الفراديس حتى أذّنوا العتَمة[5] ، فدخلوا المسجد ، فصلَّوْا — وللمسجد حَرَسٌ قد وُكّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل — فلمّا صلّى الناس صاح بهم الحَرس ، وتباطأ أصحاب يزيد ، فجعلوا يخرجون من باب المقصورة ويدخلون من باب آخر حتى لم يبق فى المسجد غيرُ الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحَرَس ، ومضى يزيد بن عَنْبَسة إلى يزيد بن الوليد ، فأعلمه وأخذ بيده ، وقال : قم يا أمير المؤمنين وأبشر بنصر الله وعَوْنه ، فقام وقال : اللهمّ إن كان هذا لك رضًا فأعنّى عليه وسدّدْنى له ؛ وإن كان غير ذلك فاصرفه عنّى بموت .

وأقبل فى اثنى عشر رجلاً ، فلمّا كان عند سوق الحُمُر لقوا أربعين رجلا من أصحابهم ، فلمّا كانوا عند سوق القمح لقيهم زُهاء مائتى رجل من

(١) كذا فى ا وهو الصواب ، وفى ط : «فدخل» . (٢) الأغانى : «ثابت بن سليمان الحسنى» .
(٣) الأغانى : « لعامل دمشق » . (٤) الأغانى : «سنة سبع وعشرين ومائة» .
(٥) ابن الأثير : « أذن العشاء » .

أصحابهم ؛ فمضوْا إلى المسجد فدخلوه ، فأخذوا بابَ المقصورة فضربوه وقالوا : رسل الوليد ؛ ففتح لهم الباب خادم فأخذوه ودخلوا ، وأخذوا أبا العاج وهو سكْران ، وأخذُوا خزّان بيت المال وصاحب البريد ، وأرسل إلى كلّ مَنْ كان يحذره فأخِذ . وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيدة - مولى سعيد ابن العاص وهو على بعلبكّ - فأخذه ، وأرسل من ليلته إلى عبد الملك بن
١٧٩١/٢ محمد بن الحجّاج بن يوسف ، فأخذه ووجّه إلى الثنيّة إلى أصحابه ليأتوه ، وقال للبوّابين : لا تفتحُوا الباب غدوةً إلا لمن أخبركم بشعارنا(١). فتركوا الأبواب بالسلاسل . وكان فى المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، ولم يكن الخزّان قبضوه ، فأصابوا سلاحًا كثيرًا ، فلما أصبحوا جاء أهل المِزّة وابن عصام ، فما انتصف النهار حتى تبايع الناس ، ويزيد يتمثل [قول النّابغة] (٢) :

إذا اسْتُنْزِلوا عَنْهُنَّ لِلطَّعْنِ أَرْقَلوا إلى المَوْتِ إِرْقالَ الجمالِ المصاعِبِ

فجعل أصحاب يزيد يتعجّبون ، ويقولون : انظروا إلى هذا ؛ هو قبيل الصبح يُسبِّح ، وهو الآن ينشد الشعر !

حدّثنى أحمد بن زُهير ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدثنا عمرو بن مروان الكلبىّ ، قال : حدّثنى رَزين بن ماجد ، قال : غدَوْنا مع عبدالرحمن ابنَ مصاد ، ونحن زُهاء ألف وخمسمائة ؛ فلما انتهينا إلى باب الجابية وجدناه مغلَقًا ، ووجدنا عليه رسولاً للوليد ، قال : ما هذه الهيئة وهذه العُدّة ! أما والله لأعلمنّ أمير المؤمنين . فقتله رجل من أهل المِزّة ، فدخلنا من باب الجابية ، ثم أخذنا فى زُقاق الكلبيّين ، فضاق عنا ، فأخذ ناس
١٧٩٢/٢ منا سوق القمح ؛ ثم اجتمعنا على باب المسجد ، فدخلنا على يزيد ، فما فرغ آخرُنا من التّسليم عليه ؛ حتى جاءت السّكاسك فى نحو ثلثمائة ، فدخلوا من باب الشرقىّ حتى أتوا المسجد ، فدخلوا من باب الدّرَج ، ثم أقبل يعقوب ابن عُمير بن هانئ العبسىّ فى أهل داريّا ، فدخلوا من باب دمشق الصغير ، وأقبل عيسى بن شبيب التغلبىّ فى أهل دُومَة وحرَسْتَا ، فدخلوا من باب

(١) الأغانى : « إلا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا » .
(٢) من الأغانى ، والبيت فى ديوانه ٣ .

تُوما ، وأقبل حُميد بن حبيب اللخميّ فى أهل دير المُرّان والأرْزَة وسَطْرا ، فدخلوا من باب الفراديس ، وأقبل النّضْر بن الجَرَشىّ فى أهل جَرَش وأهل الحديثة ودَيْر زكّا ، فدخلوا من باب الشرقىّ ، وأقبل رِبْعىّ بن هاشم الحارثى فى الجماعة من بنى عُذْرة وسَلامان ، فدخلوا من باب تُوما ، ودخلت جُهَينة ومَنْ والاهم مع طلحة بن سعيد ، فقال بعض شعرائهم :

فجاءتهُمُ أنصارهُمْ حين أصْبَحُوا ... سَكاسِكُها أهلُ البُيُوتِ الصَّنادِدِ
وكلبٌ فجاءوهُمْ بِخَيلٍ وعُدَّةٍ ... مِنَ البَيْضِ والأبدانِ ثمّ السّواعِدِ
٢/١٧٩٣ فأكرِمْ بهم أحياءَ أنصار سُنَّةٍ ... هُمُ مَنَعُوا حُرُماتِها كلَّ جاحدِ
وجاءتهُمُ شِعبان والأزْدُ شُرَّعاً ... وعَبْسٌ ولخمٌ بين حامٍ وذائِدِ
وَغسّانُ والحَيَّانِ قيسٌ وتَغْلِبٌ ... وأحْجَمَ عنها كل وانٍ وزاهِدِ
فما أصْبَحُوا إلا وهُمْ أهلُ مُلكِها ... قَدِ استوثَقوا من كلِّ عاتٍ ومارِدِ

حدثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمد ، عن عمرو بن مروان الكلبىّ ، قال : حدّثنى قُسَيْم بن يعقوب ورَزين بن ماجد وغيرهما ، قالوا : وجّه يزيد بن الوليد عبدَالرحمن بن مَصاد فى مائتى فارس أو نحوهم إلى قَطَن ؛ ليأخذوا عبدَالملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، وقد تحصّن فى قصره[1] ، فأعطاه الأمانَ فخرج إليه ، فدخلْنا القصر ، فأصبنا فيه خُرْجَيْن ، فى كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار . قال : فلما انتهينا إلى المِزّة قلت لعبدالرحمن بن مَصاد : اصرف أحد هذين الخُرْجين إلى منزلك أو كليهما ،
٢/١٧٩٤ فإنك لا تصيب من يزيد مثلهما أبداً ، فقال : لقد عجلتُ إذاً بالخيانة ، لا والله لا يتحدّث العرب أنى أوّل من خان فى هذا الأمر ، فمضى به إلى يزيد بن الوليد . وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فأمره فوقف بباب الجابية ، وقال : مَن كان له عطاء فليأتِ إلى عطائه ، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة . وقال لبنى الوليد بن عبد الملك ومعه منهم ثلاثة عشر : تفرّقوا فى الناس يرَوْنكم وحضّوهم ، وقال للوليد بن رَوْح بن الوليد : أنزل الرّاهبَ، ففعل.

---

(١) ا : « فى قطن » .

وحدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدّثني دُكين بن الشّماخ الكلبيّ وأبو عِلاقة بن صالح السّلامانيّ أن يزيد بن الوليد نادى بأمره منادٍ : من ينتدب إلى الفاسق وله ألف درهم ؟ فاجتمع إليه أقلّ من ألف رجل، فأمر رجلاً فنادى : مَنْ ينتدب إلى الفاسق وله ألف وخمسمائة ؟ فانتدب إليه يومئذ ألف وخمسمائة ، فعقد لمنصور بن جُمْهور على طائفة ، وعقد ليعقوب بن عبد الرحمن بن سُلَيم الكَلْبيّ على طائفة أخرى ، وعقد لهَرِم ابن عبد الله بن دِحْية على طائفة أخرى ، وعقد لحُميد بن حبيب اللخميّ على ٢/١٧٩٥ طائفة أخرى ، وعليهم جميعًا عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فخرج عبد العزيز فعسكر بالحِيرة(١) .

وحدّثني (٢) أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدّثني يعقوب بن إبراهيم بن الوليد أنّ مولًى للوليد لما خرج يزيد بن الوليد ، خرج على فرس له ، فأتى الوليد من يومه ، فنفق فرسُه حين بلغه ، فأخبر الوليد الخبر ، فضربه مائة سوط وحبسه ، ثم دعا أبا محمد ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية فأجازه ، ووجّهه إلى دمشق ، فخرج أبو محمد ، فلما انتهى إلى ذَنَبَةَ أقام ، فوجّه يزيد بن الوليد إليه عبد الرحمن بن مصاد ، فسالمه أبو محمد ، وبايع ليزيد بن الوليد وأتى الوليد الخبر ، وهو بالأغدف — والأغدف من عمّان — فقال بَيْهس بن زُمَيل الكلابيّ — ويقال قاله يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية : يا أميرَ المؤمنين ، سر حتى تنزل حمص فإنها حصينة ، ووجّه الجنود إلى يزيد فيُقتَل أو يؤسر . فقال عبد الله بن عنبسة ابن سعيد بن العاص : ما ينبغي للخليفة أن يدَع عسكره ونساءه قبل أن يقاتل ٢/١٧٩٦ ويُعذر ، والله مؤيدٌ أمير المؤمنين وناصرُه . فقال يزيد بن خالد : وماذا يخاف على حرمه ! وإنما أتاه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وهو ابن عمهنّ ، فأخذ بقول ابن عنبسة ، فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي : يا أمير المؤمنين ، تَدْمُر حصينة ، وبها قومي يمنعونك ، فقال : ما أرى أن نأتي تَدْمُر وأهلها بنو عامر ؛ وهم الذين خرجوا عليّ ؛ ولكن دُلّني على منزل

---

(١) الأغاني ٧ : ٨٧ .

(٢) الأغاني ٧ : ٧٩ وما بعدها .

حصين ، فقال : أرى أن تنزل القرية ، قال : أكرهها ، قال : فهذا الهَزِيم ، قال : أكره اسمه ، قال : فهذا البَخْراء ، قصرُ النعمان بن بشير ، قال : ويحك ! ما أقبح أسماء مياهكم ! فأقبل فى طريق السماوة ، وترك الرّيف ، وهو فى مائتين ، فقال :

إذا لَم يكنْ خَيْرٌ معَ الشرّ لَمْ تَجِدْ نصيحًا ولا ذا حاجة حينَ تَفْزَعُ
إذا ما هُمُ هَمّوا بإحْدَى هَنَاتِهِمْ حَسَرْتُ لهم رَأسى فلا أَتقَنَّعُ

فمرّ بشبكة الضّحاك بن قيس الفهرىّ ؛ وفيها مِنْ ولده وولد ولده أربعون رجلا ، فساروا معه وقالوا : إنا عُزْل ؛ فلو أمرتَ لنا بسلاح ! فما أعطاهم سيفًا ولا رُمحًا ، فقال له بيهس بن زُمَيل : أمّا إذْ أبيتَ أن تمضِىَ إلى حِمْص وتَدْمُر فهذا الحصن البَخْراء فإنه حَصِين ، وهو من بناء العجم فانزله ،
١٧٩٧/٢ قال : إنى أخاف الطاعون ، قال : الذى يُراد بك أشدّ من الطاعون ؛ فنزل حصن البَخراء .

قال : فندب يزيد بن الوليد الناسَ إلى الوليد مع عبد العزيز ، ونادى مناديه : مَن سار معه فله ألفان ، فانتدب ألفا رجل ، فأعطاهم ألفيْن ألفيْن ، وقال : موعدكم بذَنَبة ، فوافَى بذَنَبَة ألف ومائتان ، وقال : موعدكم مصنعة بنى عبد العزيز بن الوليد بالبرِيّة ، فوافاه ثمانمائة ، فسار ، فتلقاهم ثَقَل(١) الوليد فأخذوه ، ونزلوا قريبًا من الوليد ، فأتاه رسول العباس بن الوليد : إنى آتيك ، فقال الوليد : أخرجوا سريرًا ، فأخرجوا سريرًا فجلس عليه وقال : أعلىّ توثّب الرجال ، وأنا أثِبُ على الأسد وأتخصّرُ(٢) الأفاعى ! وهم ينتظرون العباس ، فقاتلهم عبد العزيز ، وعلى الميمنة عمرو بن حُوَىّ السَّكْسَكىّ وعلى المقدّمة منصور بن جُمهور وعلى الرّجالة عُمارة بن أبى كلثم الأزدىّ ، ودعا عبد العزيز ببغل له أدْهم فركبه ، وبعث إليهم زياد بن حصين الكلبىّ يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، فقتله قطرىّ مولى الوليد ، فانكشف أصحابُ يزيد ،
١٧٩٨/٢ فترجّل(٣) عبد العزيز ، فكرّ أصحابه ، وقد قتل من أصحابه عدّة ، وحملت

(١) الثقل : المتاع .
(٢) تخصر : أخذ المخصرة بيده .
(٣) ح ، ف : « فدخل » .

رءوسهم إلى الوليد وهو على باب حصن البَخْراء قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذى كان عقده بالجابِية ، وقتِل من أصحاب الوليد بن يزيد عثمان الخَشَبِىّ ، قتله جناح بن نعيم الكلبىّ ، وكان من أولاد الخشبيّة الذين كانوا مع المختار .

وبلغ عبدَ العزيز مسيرُ العباس بن الوليد ، فأرسل منصور بن جُمهور فى خيل[1] ، وقال : إنكم تلقون العباس فى الشِّعْب ، ومعه بنوه [فى الشِّعب][2] فخذوهم . فخرج منصور فى الخيل فلما صاروا بالشِّعب إذا هم بالعباس فى ثلاثين من بنيه ، فقالوا له : اعدل إلى عبد العزيز ، فشتَمهم ، فقال له منصور : والله لئن تقدّمتَ لأنفُذنّ حَصيتَك — يعنى درعك — وقال نوح بن عمرو بن حُوَىّ السكسكىُّ : الذى لقى العباسَ بن الوليد يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبىّ — فعدل به إلى عبد العزيز ، فأبى عليه فقال : يابن قُسْطنْطِين ، لئن أبيتَ لأضربنّ الذى فيه عيناك ، فنظر العباس إلى هَرِم بن عبد الله بن دحية ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم ، قال : أما والله إن كان لبغيضًا[3] إلى أبيه أن يقف ٢/١٧٩٩
ابنُه هذا الموقف ؛ وعدل به إلى عسكر عبد العزيز ، ولم يكن مع العباس أصحابه ، كان تقدّمهم مع بنيه ، فقال : إنا لله ! فأتوا به عبد العزيز ، فقال له : بايع لأخيك يزيد بن الوليد ، فبايع ووقف ونصبوا راية ، وقالوا : هذه راية العباس بن الوليد ، وقد بايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، فقال العباس : إنا لله! خُدْعَة من خُدَع الشيطان! هلك بنو مروان. فتفرّق النّاس عن الوليد ، فأتوا العباس وعبد العزيز وظاهر الوليد بين دِرْعين ؛ وأتوه بفرسيْه : السندىّ والزّائد ، فقاتلهم قتالا شديداً ، فناداهم رجل : اقتلوا عدوّ الله قِتْلةَ قوم لوط ، ارموه بالحجارة[4] .

---

(١) فى الأغانى : «جريدة خيل» ، والجريدة : الجماعة من الخيل .

(٢) من الأغانى . (٣) ب : « إلا بغيضاً » .

(٤) بعدها فى الأغانى ٧ : ٧٩ : « فرموه بالحجارة ؛ فلما سمع ذلك دخل القصر ، وأغلق الباب ، وقال :

دعُوا لى سُلَيمَى والطّلاءَ وَقَيْنَةً وكأْساً ألا حسبى بذلك مالا =

فلما سمع ذلك دخل القصر ، وأغلق الباب ، وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر ، فدنا الوليد من الباب ، فقال . أمَّا فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلّمه ! فقال له يزيد بن عنبسة السَّكسكىّ : كلمنى ، قال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة ، قال : يا أخا السكاسكك ؛ ألم أزِدْ فى أعطياتكم ! ألم أرفع المؤَن عنكم ! ألم أعطِ فقراءكم ! ألم أخدم زَمْنَاكم(١) ! فقال : إنا ما ننقم عليكَ فى أنفسنا ، ولكن ننقِم عليك فى انتهاك ما حرّم الله
وشُرْب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله ؛ قال : ١٨٠٠/٢
حسبُك يا أخا السكاسك ، فلعمرى لقد أكثرت وأغرقت(٢) ؛ وإن فيما أحِلّ لى لسعةً عمّا ذكرت . ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفًا ، وقال : يومٌ كيوم(٣) عثمان ؛ ونشر المصحف يقرأ ، فعَلَوا الحائط ، فكان أوّل من علا الحائط يزيد بن عنبسة السَّكْسَكىّ ، فنزل إليه وسيف الوليد إلى جَنْبه ، فقال له يزيد : نحّ سيفك ، فقال له الوليد : لو أردتُ السيف لكانتْ لى ولك حالة فيهم(٤) غير هذه ، فأخذ بيد الوليد ؛ وهو(٥ يريد أن يحبسه ويؤامَر فيه . فنزل من الحائط عشرة : منصور بن جمهور وحبال بن عمرو الكلبىّ وعبد الرحمن بن عَجْلان مولى يزيد بن عبد الملك وحميد بن نصر اللخْمىّ والسرىّ بن زياد بن أبى كبشة وعبد السلام اللخْمىّ ، فضربه عبد السلام على رأسه ، وضربه السرىّ على وجهه ، وجرُّوه بين خمسة ليخرجوه٥) . فصاحت امرأة كانت معه فى الدار ، فكفّوا عنه ولم يخرجوه ، واحتزّ أبو علاقة القُضاعىّ رأسه ، فأخذ عَقَبًا(٦)

= إذا ماصَفا عَيْشٌ برملةِ عالجٍ وعانقتُ سلمى لا أُريد بِدالا
خذوا ملككم ، لا ثبّتَ الله ملككُمْ ثباتًا يساوى ماحَيِيتِ عِقالا
وخلُّوا عِنانى قبل عَيْرٍ وما جَرَى ولا تحسدونى أن أموت هُزَالا

(١) بعدها فى الأغانى : « ودفعت عنكم المؤن ! » .
(٢) فى الأغانى : « لقد أغرقت فأكثرت » .
(٣) يريد عثمان بن عفان فإنه لما قتل كان يقرأ فى المصحف ، وجرى دمه عليه .
(٤) من الأغانى .
(٥ — ٥) الأغانى : « وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة ؛ فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسرى بن زياد بن أبرهة ، فضربه عبد الرحمن السلمى على رأسه ضربة ، وضربه السرى بن زياد على وجهه ، وجروه بين خمسة ليخرجوه » .
(٦) العقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار .

فخاط الضَّرْبة التى فى وجهه ، وقدم بالرأس على يزيد رَوْح بن مقبل ، وقال : أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق الوليد وأسْرِ من كان معه ، والعباسِ — ويزيد يتغدّى — فسجد ومَن كان معه ، وقام يزيد بن عنبسة السَّكسكىّ ، ١٨٠١/٢
وأخذ بيد يزيد ، وقال : قم يا أمير المؤمنين ، وأبشر بنصر الله ، فاختلج يزيد يده من كفّه ، وقال : اللهمّ إن كان هذا لك رضًا فسدّدنى ، وقال ليزيد بن عنبسة : هل كلّمكم الوليد ؟ قال : نعم ، كلّمنى من وراء الباب ، وقال : أما فيكم(١) ذو حسب فأكلّمه ! فكلمته ووبّخته ، فقال : حسبُك ، فقد لعمرى أغرقت وأكثرت ، أما والله لا يُرْتَقُ فتقكم ، ولا يُلَمّ شعثكم ، ولا تجتمع كلمتكم .

حدثنى أحمد عن علىّ ، عن عمرو بن مروان الكلبىّ ، قال : قال نوح ابن عمرو بن حوىّ السكسكىّ : خرجنا إلى قتال الوليد فى ليالٍ ليس فيها قمر ؛ فإن كنت لأرى الحصى فأعرف أسوَده من أبيضه . قال : وكان على ميسرة الوليد بن يزيد الوليدُ بن خالد ، ابن أخى الأبرش الكلبىّ فى بنى عامر — وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز — فلم تقاتل ميسرة الوليد ميمنةَ عبد العزيز ، ومالوا جميعًا إلى عبد العزيز بن الحجاج . قال : وقال نوح بن عمرو : رأيت خدَم الوليد بن يزيد وحشَمه يوم قُتِل يأخذون بأيدى الرجال ، فيدخلونهم عليه .

وحدّثنى أحمد عن علىّ ، عن عمرو بن مَرْوان الكلبىّ ، قال : حدّثنى المثنّى بن معاوية ، قال : أقبل الوليد فنزل اللؤلؤة ، وأمر ابنه الحكَم والمؤمّل ١٨٠٢/٢
ابن العباس أن يفرضا لمن أتاهما ستين ديناراً فى العطاء ، فأقبلتُ أنا وابن عمّى سليمان بن محمد بن عبد الله إلى عَسْكر الوليد ، فقرّبنى المؤمّل وأدنانى . وقال : أدخلك على أمير المؤمنين ، وأكلّمه حتى يفرض لك فى مائة دينار .

قال المثنّى : فخرج الوليد من اللؤلؤة فنزل المليكة ، فأتاه رسول عمرو بن قيس من حمْص يخبره أن عمرًا قد وجّه إليه خمسمائة فارس ، عليهم عبد الرحمن بن أبى الجنوب البهرانىّ ، فدعا الوليد الضّحاك بن أيمن من

(١) خ : « ما » .

بنى عوف بن كلب ، فأمره أن يأتىَ ابن أبى الجَنوب ــ وهو بالغُوَيْر ــ فيستعجله ، ثم يأتى الوليد بالمليكة . فلما أصبح أمر الناس بالرّحيل ، وخرج على برْذون كُمَيْت ، عليه قباء خزّ وعمامة خزّ ، محتزمًا بريْطة رقيقة قد طواها ، وعلى كتفيه ريْطة صفراء فوق السيف ، فلقيه بنو سليم بن كيسان فى ستة عشر فارسًا ، ثم سار قليلاً ، فتلقّاه بنو النعمان بن بشير فى فوارس ، ثم أتاه الوليد ابن أخى الأبرش فى بنى عامر من كَلْب ، فحمله الوليد وكساه ، وسار الوليد على الطريق ثم عدل فى تَلْعة يقال لها المشبهة ، فلقيه ابنُ أبى الجنوب فى أهل حِمْص . ثم أتى البَخْراء ، فضجّ أهلُ العسكر ، وقالوا : ليس معنا علَف لدوابنا ، فأمر رجلاً فنادى : إن أمير المؤمنين قد اشترَى زُروع
١٨٠٣/٢ القرية ، فقالوا : ما نصنع بالقصيل[1] ! تضعف عليه دوابُّنا ؛ وإنما أرادوا الدراهم .

قال المثنّى : أتيت الوليد ، فدخلت من مؤخّر الفُسطاط ، فدعا بالغَداء ، فلما وُضع بين يديه أتاه رسولُ أمّ كُلْثوم بنت عبد الله بن يزيد بن عبدالملك يقال له عمرو بن مُرّة ، فأخبره أنّ عبد العزيز بن الحجاج ؛ قد نزل اللؤلؤة ، فلم يلتفت إليه ، وأتاه خالد بن عثمان المخراش ــ وكان على شُرَطه ــ برجل من بنى حارثة بن جناب ، فقال له : إنّى كنتُ بدمشق مع عبد العزيز ، وقد أتيتك بالخبر؛ وهذه ألف وخمسمائة قد أخذتها ــ وحلّ هِمْيانًا من وسطه ، وأراه ــ وقد نزل اللؤلؤة ؛ وهو غاد منها إليك ، فلم يجبه والتفت إلى رجل إلى جَنْبه ، وكلمه بكلام لم أسمعْه ، فسألت بعض مَنْ كان بينى وبينه عمّا قال ، فقال : سأله عن النهر الذى حفره بالأردنّ : كم بقى منه ؟ وأقبل عبد العزيز من اللؤلؤة ، فأتى المليكة فحازَها ، ووجّه منصور بن جمهور ، فأخذ شرقّ القرى ــ وهو تلّ مشرف فى أرض مَلْساء على طريق نِهْيا إلى البَخْراء ــ وكان العباس بن الوليد تهيأ فى نحو من خمسين ومائة من مواليه وولده ، فبعث العباس رجلاً
١٨٠٤/٢ من بنى ناجية يقال له حُبَيش إلى الوليد يخيّره بين أن يأتيَه فيكون معه ؛ أو يسير إلى يزيد بن الوليد . فاتّهم الوليد العباس ، فأرسل إليه يأمره أن يأتيَه

---

(١) القصيل : ما اقتصل من الزرع أخضر .

فيكون معه ، فلقى منصور بن جمهور الرّسول ، فسأله عن الأمر فأخبره ، فقال له منصور : قل له : والله لئن رحلتَ من موضعك قبل طلوع الفجر لأقتلنّك ومَنْ معك ؛ فإذا أصبح فليأخذْ حيث أحبّ . فأقام العباس يتهيّأ ؛ فلما كان فى السَّحَر سمعنا تكبير أصحاب عبد العزيز قد أقبلوا إلى البَخْراء ، فخرج خالد بن عثمان المِخْراش ، فعبّأ الناس ؛ فلم يكن بينهم قتال حتى طلعت الشمس ؛ وكان مع أصحاب يزيد بن الوليد كتاب معلّق فى رمح ، فيه : إنا نَدْعُوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن يصير الأمر شورى . فاقتتلوا فقتِل عثمان الخشبىّ ، وقُتِل من أصحاب الوليد زهاءُ ستين رجلا ، وأقبل منصور بن جُمهور على طريق نِهْيا ، فأتى عسكر الوليد مِن خلفهم ، فأقبل إلى الوليد وهو فى فُسطاطه ؛ ليس بينه وبين منصور أحد . فلما رأيتُه خرجتُ أنا وعاصم بن هبيرة المَعافرىّ خليفة المخراش ، فانكشف أصحاب عبد العزيز ، ونكص أصحاب منصور ، وصُرِع سُمىّ بن المغيرة وقُتِل ، وعدل منصور إلى عبدالعزيز . وكان الأبرش على فرس له يدعى الأديم ، ٢/١٨٠٥
عليه قلَنسوة ذات أذنين ؛ قد شدّها تحت لحيته ؛ فجعل يصيح بابن أخيه : يابن اللخناء ، قدّمْ رايتك ، فقال له : لا أجدُ متقدّمًا ، إنها بنو عامر . وأقبل العباس بن الوليد فمنَعه أصحاب عبد العزيز ، وشدّ مولى لسليمان بن عبد الله بن دحْية — يقال له التركىّ — على الحارث بن العباس بن الوليد ، فطعنه طعنة أذْراه عن فرسه ؛ فعدل العباس إلى عبد العزيز ، فأسقِط فى أيدى أصحاب الوليد وانكسروا . فبعث الوليد بن يزيد الوليدَ بن خالد إلى عبد العزيز بن الحجاج بأن يعطيَه خمسين ألف دينار ، ويجعل له ولاية حِمْص ما بقى ، ويؤمّنه على كلّ حَدَث ، على أن ينصرف ويكفّ ؛ فأبى ولم يجبه ، فقال له الوليد : ارجعْ إليه فعاودْه أيضًا ، فأتاه الوليد فلم يجبه إلى شىء ، فانصرف الوليد ؛ حتى إذا كان غيرَ بعيد عطف دابّته ، فدنا من عبد العزيز ، فقال له : أتجعل لى خمسة آلاف دينار وللأبرش مثلها ، وأن أكون كأخصّ رجل من قومى منزلة وآتيك ، فأدخل معك فيما دخلت فيه ؟ فقال له عبد العزيز : على أن تحمل الساعة على أصحاب الوليد ؛ ففعل . وكان

١٨٠٦/٢ على ميمنة الوليد معاوية بن أبى سفيان بن يزيد بن خالد، فقال لعبد العزيز: أتجعل لى عشرين ألف دينار وولاية الأردنّ والشركة فى الأمر على أن أصير معكم؟ قال: على أن تحمل على أصحاب الوليد من ساعتك، ففعل، فانهزم أصحاب الوليد. وقام الوليد فدخل البَخْراء، وأقبل عبد العزيز فوقف على الباب وعليه سلسلة، فجعل الرّجل بعد الرّجل يدخل من تحت السلسلة. وأتى عبدَ العزيز عبد السلام بن بكير بن شمّاخ اللخمىّ، فقال له: إنه يقول: أخرج على حُكْمك، قال: فليخرج؛ فلما ولّى قيل له: ما تصنع بخروجه! دعه يكفيكه الناس. فدعا عبد السلام فقال: لا حاجة لى فيما عَرَض علىّ، فنظرت إلى شابّ طويل على فرس، فدنا من حائط القَصْر فعلاه، ثم صار إلى داخل القصر. قال: فدخلت القصر، فإذا الوليد قائم فى قميص قَصَب وسراويل وَشْى، ومعه سيف فى غمد والناس يشتمونه، فأقبل إليه بشر بن شيبان مولى كنانة بن عمير؛ وهو الذى دخل من الحائط، فمضى الوليد يريد الباب - أظنه أراد أن يأتى عبد العزيز - وعبد السلام عن يمينه ورسول عمرو بن قيس عن يساره، فضربه على رأسه؛ وتعاوره الناس بأسيافهم فقتِل، فطرح عبد السلام نفسَه عليه يحتزُّ رأسه - وكان يزيد بن الوليد قد جعل فى رأس الوليد[1] مائة ألف -

١٨٠٧/٢ وأقبل أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسرىّ فسلخ من جلد الوليد قَدْر الكفّ، فأتى بها يزيدَ بن خالد بن عبد الله، وكان محبوسًا فى عسكر الوليد، فانتهب الناس عسكر الوليد وخزائنه، وأتانى يزيد العُلَيمىّ أبو البَطريق بن يزيد؛ وكانت ابنته عند الحكم بن الوليد، فقال: امنع لى متاع ابنتى، فما وصل أحدٌ إلى شىء زعم أنه له.

قال أحمد: قال علىّ: قال عمرو بن مَروان الكلبىّ: لما قُتل الوليد قُطعت كفّه اليسرى، فبُعث بها إلى يزيد بن الوليد، فسبقت الرّأس؛ قُدِم بها ليلة الجمعة، وأُتِىَ برأسه من الغد، فنصبه للناس بعد الصلاة. وكان أهل دمشق قد أرجفوا بعبد العزيز، فلما أتاهم رأس الوليد سكتوا وكفّوا. قال: وأمر يزيد بنصب الرأس، فقال له يزيد بن فروة مولى بنى مروان:

(١) ا: «راسه».

إنما تنصب رءوس الخوارج ، وهذا ابنُ عمّك؛ وخليفة ، ولا آمنُ إن نصبتَه أن ترقّ له قلوب الناس ، ويغضب له أهل بيته ؛ فقال : والله لأنصبنّه ، فنصبه على رمح ، ثم قال له : انطلق به ، فطُفْ به في مدينة دمشق ؛ وأدخله دار أبيه . ففعل ، فصاح الناس وأهل الدار ، ثم ردّه إلى يزيد ، فقال : انطلق به إلى منزلك ؛ فمكث عنده قريبًا من شهر ، ثم قال له : ادفعه إلى أخيه سليمان —
٢/١٨٠٨ وكان سليمان أخو الوليد ممن سعى على أخيه — فغسل ابن فروة الرّأس ، ووضعه في سَفَط ، وأتى به سليمان ، فنظر إليه سليمان ، فقال : بُعدًا له ! أشهد أنه كان شرُوبًا للخمر ، ماجنًا فاسقًا ؛ ولقد أرادني على نفسي الفاسق . فخرج ابن فروة من الدار ، فتلقّته مولاة للوليد ، فقال لها : ويحك ! ما أشدّ ما شتمه ! زعم أنه أراده على نفسه ! فقالت : كذب والله الخبيث ، ما فعل ، ولئن كان أراده على نفسه لقد فَعَل؛ وما كان ليقدر على الامتناع منه .

وحدثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدثني يزيد بن مَصَاد عن عبد الرحمن بن مصاد ، قال : بعثني يزيد بن الوليد إلى أبي محمد السفيانيّ — وكان الوليد وجّهه حين بلغه خبر يزيد واليًا على دمشق وأتى ذَنَبَة؛ وبلغ يزيد خبره ، فوجّهني إليه — فأتيته، فسالم وبايع ليزيد . قال : فلم نرِمْ حتى رُفع لنا شخص مُقبلٌ من ناحية البَرّيّة ، فبعثت إليه ، فأُتيت به فإذا هو الغُزَيِّل أبو كامل المغنّي ، على بغلة للوليد تدعى مريم ، فأخبرنا أنّ الوليد قد قتل ، فانصرفت إلى يزيد ، فوجدت الخبر قد أتاه قبل أن آتيَه .

حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو(١) بن مروان الكلبيّ ، قال : حدّثني
٢/١٨٠٩ دُكَين بن شمّاخ الكلبيّ ثم العامريّ ، قال : رأيت بشر بن هلباء العامريّ يوم قُتِل الوليد ضرب باب البَخْراء بالسيف ، وهو يقول :

سنَبكِي خالدًا بمُهَنَّداتٍ ولا تَذْهَبْ صَنائعُهُ ضَلالا

وحدّثني أحمد، عن عليّ ، عن أبي عاصم الزّياديّ، قال : ادّعى قتلَ الوليد عشرة ، وقال : إني رأيتُ جلدةَ رأس الوليد في يد وَجْه الفَلْس ،

(١) ف : « عمر » .

فقال : أنا قتلته ؛ وأخذت هذه الجلدة ؛ وجاء رجل فاحتزّ رأسه ، وبقيت هذه الجلدة فى يدى . واسم وجه الفَلْس عبد الرحمن ؛ قال : وقال الحكم بن النعمان مولى الوليد بن عبد الملك : قدم برأس الوليد على يزيد منصور بن جمهور فى عشرة ؛ فيهم رَوْح بن مُقْبِل ، فقال رَوْح : يا أميرَ المؤمنين ؛ أبشر بقتل الفاسق وأسرِ العباس ؛ وكان فيمن قدم بالرأس عبد الرحمن وَجْه الفَلْس[1] ، وبشر مولى كنانة من كلْب ؛ فأعطى يزيد كلّ رجل منهم عشرة آلاف . قال : وقال الوليد يوم قُتِل وهو يقاتلهم : مَنْ جاء برأس فله خمسمائة ؛ فجاء قوم بأرؤس ، فقال الوليد : اكتبوا أسماءهم ، فقال رجل من مواليه ممن جاء برأس : يا أميرَ المؤمنين ؛ ليس هذا بيوم يُعْمَل فيه بنسيئة !

قال : وكان مع الوليد مالك بن أبى السمح المغنّى وعمرو الوادى ؛ فلما
١٨١٠/٢ تفرّق عن الوليد أصحابُه ، وحُصِر ، قال مالك لعمرو : اذهب بنا ، فقال عمرو : ليس هذا من الوفاء ؛ ونحن لا يُعْرَض لنا لأنا لسنا ممن يقاتل ، فقال مالك : ويلك ! والله لئنْ ظفروا بنا لا يقتَل أحد قبلى وقبلك ؛ فيوضع رأسه بين رأسيْنا ؛ ويقال للناس : انظروا مَن كان معه فى هذه الحال ؛ فلا يعيبونه بشىء أشدّ من هذا ؛ فهربا.

* * *

وقتل الوليد بن يزيد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ؛ كذلك قال أبو معشر ؛ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه . وكذلك قال هشام بن محمد ومحمد ابن عمر الواقدىّ وعلىّ بن محمد المدائنىّ .

واختلفوا فى قَدْر المدة التى كان فيها خليفةً ؛ فقال أبو معشر : كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر ، كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وقال هشام بن محمد : كانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يومًا .

---

(١) هو عبد الرحمن بن الخطاب ، وانظر الفهرس .

واختلفوا أيضًا فى مبلغ سنّه يوم قتل ، فقال هشام بن محمد الكلبىّ : قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقال محمد بن عمر : قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وقال بعضهم : قتل وهو ابن اثنتين وأربعين سنة . وقال آخرون : وهو ابن إحدى وأربعين سنة ، وقال آخرون: ابن خمس وأربعين سنة ، وقال بعضهم : وهو ابن ست وأربعين سنة .

وكان يكنى أبا العباس، وأمه أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفىّ ؛
وكان شديد البَطْش، طويل أصابع الرجلين ؛ كان[1] يوتَد له سكة حديد ٢/١٨١١
فيها خيط ويُشدّ الخيط فى رجله ، ثم يثب على الدابة ، فينتزع السكة ويركب ، ما يمسّ الدابة بيده .

وكان شاعراً شَروبًا للخمر ؛ حدّثنى أحمد، قال: حدّثنا علىّ، عن ابن أبى الزّناد، قال: قال أبى : كنتُ عندهشام وعنده الزُّهرىّ، فذكرا الوليدَ، فتنقّصاه وعاباه عَيْبًا شديداً، ولم أعرض فى شىء مما كانا فيه؛ فاستأذن الوليد، فأذن له، وأنا أعرف الغضب فى وجهه ، فجلس قليلاً ، ثم قام . فلما مات هشام كتب فىّ فحمِلت إليه فرحّب بى، وقال : كيف حالك يابن ذكوان ؟ وألطف المسألة بى ، ثم قال : أتذكُر يوم الأحول وعنده الفاسق الزهرىّ ، وهما يعيبانى ؟ قلت : أذكر ذلك ؛ فلم أعرض فى شىء مما كانا فيه ، قال : صدقت ؛ أرأيتَ الغلام الذى كان قائمًا على رأس هشام ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه نمّ[2] إلىّ بما قالا ؛ وايمُ الله لو بقىَ الفاسق — يعنى الزُّهرىّ — لقتلته ، قلتُ : قد عرفتُ الغضب فى وجهك حين دخلت . ثم قال : يابن ذكوان ، ذهب الأحول بعمرى ، فقلت : بل يطيل الله لك عمرك يا أمير المؤمنين ، ويمتّع الأمة ببقائك ؛ فدعا بالعَشاء فتعشينا ، وجاءت المغرب فصلينا ، وتحدّثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس ، وقال : اسقنى ؛ فجاءوا بإناء مغطّى ، وجاء ثلاث جوار فصُففن[3] بين يديه ، بينى وبينه ، ثم شرب ؛
وذهبنا فتحدّثنا ، واستسقى فصنعن مثل ما صنعن أولا ؛ قال : فما زال على ٢/١٨١٢

(١) ب ، ح : «وكان» .
(٢) ط : «نمى» ، وما أثبته من .
(٣) ط : «فصفقن» ، تصحيف .

ذلك يتحدّث ويستسقى ويصنعن مثل ذلك حتى طلع الفجر ، فأحصيتُ له سبعين قدحًا .

* * *

[خبر قتل خالد بن عبد الله القسرىّ]

وفى هذه السنة قتِل خالد بن عبد الله القسرىّ .

* ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

قد تقدّم ذكرنا الخبر عن عزل هشام إياه عن عمله وولايته العراق وخراسان واستعماله على العراق يوسف بن عمر ؛ وكان — فيما ذكر — عمل لهشام على ذلك خمس عشرة سنة غير أشهر ؛ وذلك أنه — فيما قيل — ولى العراق لهشام سنة خمس ومائة، وعُزل عنها فى جمادى الأولى سنة عشرين ومائة . ولما عزله هشام وقدم عليه يوسف واسطًا أخذه وحبسه بها ، ثم شخص يوسف بن عمر إلى الحِيرة ؛ فلم يزل محبوسًا بالحيرة تمام ثمانية عشر شهرًا مع أخيه إسماعيل بن عبد الله وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبد الله . واستأذن يوسف هشامًا فى إطلاق يده عليه وتعذيبه ، فلم يأذن له حتى أكثر عليه ، واعتلّ عليه بانكسار الخراج وذهاب الأموال ، فأذن له مرّة واحدة ، وبعث حرسيًّا يشهد ذلك ؛ وحلف : لئن أتى على خالد أجلُه وهو فى يده ليقتلنّه ؛

١٨١٣/٢ فدعا به يوسف ؛ فجلس على دُكان بالحيرة وحضر الناس ، وبسط[1] عليه ؛ فلم يكلّمه واحدةً حتى شتمه يوسف ، فقال : يابنَ الكاهن — يعنى شِقّ بن صعب الكاهن — فقال له خالد : إنك لأحمق ، تعيّرنى بشرفى ! ولكنك يابن السبّاء ، إنما كان أبوك سبّاء خمر — يعنى يبيع الخمر — . ثم ردّه إلى حبسه ، ثم كتب إليه هشام يأمره بتخلية سبيله فى شوال سنة إحدى وعشرين ومائة ، فنزل خالد فى قصر إسماعيل بن عبد الله بدُوران ، خلْف جسر الكوفة ، وخرج يزيد بن خالد وحده ؛ فأخذ على بلاد طيّئ ؛ حتى ورد دمشق ، وخرج خالد ومعه إسماعيل والوليد ؛ قد جهّزهم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ابن العاص ، وبعث بالأثقال إلى قصر بنى مقاتل ، وكان يوسف قد بعث خيلا ، فأخذت الزاد والأثقال والإبل وموالى لخالد كانوا فيها ، فضرب وباع

---

(١) ب : « وبسطه » .

ما أخذ لهم ، وردّ بعض الموالى إلى الرّقّ ، فقدم خالد قصر بنى مقاتل ؛ وقد أخذ كل شىء لهم ، فسار إلى هِيت ، ثم تحمّلوا إلى القرية — وهى بإزاء باب الرُّصافة — فأقام بها بقيّة شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرّم وصَفر ؛ لا يأذن لهم هشام فى القدوم عليه ؛ والأبْرَشُ يكاتب خالداً . وخرج زيد بن علىّ فقُتِل .

قال الهيثم بن عدىّ — فيما ذكر عنه — : وكتب يوسف إلى هشام : إن أهلَ هذا البيت من بنى هاشم قد كانوا هلكوا جوعًا ؛ حتى كانت همّةُ أحدهم ٢/١٨١٤
قوت عياله ؛ فلما ولى خالد العراق أعطاهم الأموال فقَوْوا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة ، وما خرج زيد إلا عن رأى خالد ؛ والدليل على ذلك نزولُ خالد بالقرية على مَدْرَجة العراق يستنشى[1] أخبارها .

فسكت هشام حتى فرغ من قراءة الكتاب ، ثم قال للحكم بن حَزْن القَينىّ — وكان على الوفد ، وقد أمره يوسف بتصديق ما كَتَب به ، ففعل — فقال له هشام : كذبت وكذبَ مَنْ أرسلك ؛ ومهما اتّهمنا خالداً فلسنا نتّهمه فى طاعة ؛ وأمر به فوجِئَتْ عنقه . وبلغ الخبرُ خالداً فسار حتى نزل دمشق فأقام حتى حضرت الصائفة ، فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد بن عبد الله ؛ وعلى دمشق يومئذ كلثوم بن عِيَاض القسرىّ ، وكان متحاملا على خالد ؛ فلما أدربوا[2] ظهر فى دور دمشق حريق ؛ كلّ ليلة يلقيه رجل من أهل العراق يقال له أبو العمرّس وأصحاب له ؛ فإذا وقع الحريق أغاروا يسرِقون . وكان إسماعيل بن عبد الله والمنذر بن أسد بن عبد الله وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم ؛ فكتب كلثوم إلى هشام يذكر الحريق ، ويخبره أنه لم يكن قطّ ؛ وأنه عمَلُ موالى[3] خالد ؛ يريدون الوثوب على بيت المال . فكتب إليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد ؛ الصغير منهم ٢/١٨١٥
والكبير ، ومواليهم والنساء ؛ فأخذ إسماعيل والمنذر ومحمد وسعيد من الساحل فقدِم بهم فى الجوامع ومَن كان معهم من مواليهم ؛ وحبس أمّ جرير بنت

(١) يستنشى الأخبار : يبحث عنها .
(٢) يقال : أدرب القوم ؛ إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم .
(٣) ب : « موال لخالد » .

خالد والرّائقة وجميع النساء والصبيان ؛ ثم ظهر على أبى العمرّس ؛ فأخذ ومَن كان معه . فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل خراج دمشق إلى هشام يخبره بأخذ أبى العمرّس ومَن كان معه ؛ سماهم رجلا رجلا ، ونسبهم إلى قبائلهم وأمصارهم ، ولم يُذكر فيهم أحد من موالِى خالد ، فكتب هشام إلى كلثوم يشتمه ويعنّفه ، ويأمره بتخلية سبيل جميع من حبس منهم ، فأرسلهم جميعًا واحتبس الموالى رجاء أن يكلمه فيهم خالد إذا قدم من الصائفة . فلما أقبل الناس وخرجوا عن الدّرب بلغ خالداً حبسُ أهله ، ولم يبلغه تخليتُهم ؛ فدخل يزيد بن خالد فى غمار الناس حتى أتى حمص ، وأقبل خالد حتى نزل منزله من دمشق ، فلما أصبح أتاه الناس ، فبعث إلى ابنتيه : زينب وعاتكة ؛ فقال : إنى قد كبِرت وأحببت أن تليا خدمتى ؛ فسُرّتا بذلك — ودخل عليه إسماعيل أخوه ويزيد وسعيد ابناه ، وأمر بالإذن ، فقامت ابنتاه لتتنحّيا ، فقال : وما لهما تَتنحّيان ، وهشام فى كلّ يوم يسوقهنّ إلى الحبس ! فدخل الناس ، ١٨١٦/٢
فقام إسماعيل وابناه دون ابنتيه يسترونهما ، فقال خالد : خرجتُ غازيًا فى سبيل الله ؛ سامعًا مطيعًا ، فخُلفتُ فى عقِبى ، وأخِذ حُرَمى وحُرَم أهل بيتى ؛ فحبِسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرْك ! فما منع عصابةً منكم أن تقوم فتقول : علامَ حُبس حُرَم هذا السامع المطيع ! أخفتم أن تقتلوا جميعًا ! أخافكم الله ! ثم قال : مالى ولهشام ! ليكفنّ عنى هشام أو لأدعونّ إلى عراقىّ الهوى شأمىّ الدار حجازىّ الأصل — يعنى محمد بن علىّ بن عبدالله ابن عباس — وقد أذنت لكم أن تبلّغوا هشامًا . فلما بلغه ما قال ، قال : خرِفَ أبو الهيثم .

وذكر أبو زيد أن أحمد بن معاوية حدّثه عن أبى الخطاب ، قال : قال خالد : أما والله ، لئن ساء صاحب الرُّصافة — يعنى هشامًا — لننصبنّ لنا الشأمىّ الحجازىّ العراقىّ ، ولو نخر نخرةً تداعتْ من أقطارها .

فبلغت هشاماً ، فكتب إليه : إنك هذَّاءَةٌ هُذَرَةٌ[١] ، أبِبَجيلة القليلة

---

(١) هذأه بلسانه ، إذا أسمعه ما يكره ، والهذر : الكلام الباطل .

الذليلة تتهدّدنى ! قال : فوالله ما نصره أحد بيدٍ ولا بلسان إلاّ رجل من عبس ، فإنه قال :

٢/١٨١٧ ألَا إنَّ بَحْرَ الجُودِ أصْبحَ سَاجِيًا أَسِيرَ ثَقِيفٍ مُوثَقاً فى السَّلاَسِلِ
فإنْ تَسْجُنُوا القسرىَّ لا تَسْجنوا اسمه ولا تسجنوا معْروفَهُ فى القبائل

فأقام خالد ويزيد وجماعة أهل بيته بدمشق ، ويوسف ملحٌّ على هشام يسأله أن يوجّه إليه يزيد . وكتب هشام إلى كُلثوم بن عياض يأمره بأخذ يزيد والبعثة به إلى يوسف ، فوجه كلثوم إلى يزيد خيلاً وهو فى منزله ، فشدّ عليهم يزيد ، فأفرجوا له ، ثم مضى على فرسه ، وجاءت الخيل إلى كُلثوم فأخبروه ، فأرسل إلى خالد الغدَ من يوم تنحّى يزيد خيلا ، فدعا خالد بثيابه فلبسَها . وتصارخ النساء ، فقال رجل منهم : لو أمرتَ هؤلاء النسوة فسكتن ! فقال : ولمَ ؟ أمَا والله لولا الطاعة لعلِم عبد بنى قَسْر أنه لا ينال هذه منى ، فأعلِموه مقالتى ؛ فإن كان عربيًّا كما يزعم ؛ فليطلب جدّه منى . ثم مضى معهم فحبس فى حَبْس دمشق . وسار إسماعيل من يومه حتى قدم الرُّصافة على هشام ، فدخل على أبى الزبير حاجبه فأخبره بحبس خالد ، فدخل أبو الزُّبير على هشام فأعلمه ، فكتب إلى كُلثوم يعنّفه ، ويقول : خليت عمّن
٢/١٨١٨ أمرتك بحبسه ، وحبست من لم آمرك بحبسه . ويأمره بتخلية سبيل خالد ، فخلاّه .

وكان هشام إذا أراد أمراً أمرَ الأبرش فكتب به إلى خالد ، فكتب الأبرش : إنه بلغ أمير المؤمنين أنّ عبد الرحمن بن ثويب الضِّنّى –ضِنة سعد إخوة عُذْرة ابن سعد – قام إليك ، فقال : يا خالد إنى لأحبك لعشر خصال : إنّ الله كريم وأنت كريم ، والله جواد وأنت جواد ، والله رحيم وأنت رحيم ، والله حليم وأنت حليم ... حتى عدّ عشراً ؛ وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقق عنده ذلك ليستحلنّ دَمك ؛ فاكتب إلىّ بالأمر على وجهه لأخبر به أمير المؤمنين . فكتب إليه خالد : إن ذلك المجلس كان أكثر أهلا من أن يجوز لأحد من أهل البغى والفجور أن يحرّف ما كان فيه إلى غيره ؛ قام[1] إلىّ عبد الرحمن ابن ثُويب ، فقال : يا خالد أنى لأحبّك لعشر خصال : إن الله كريم يحبّ

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فأم » .

كلّ كريم ، والله يحبك وأنا أحبك لحبّ الله إياك ؛ حتى عدّد عشر خصال ؛ ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقّى الحميرىّ إلى أمير المؤمنين ، وقوله : يا أمير المؤمنين ، خليفتك فى أهلك أكرمُ عليك أم رسولك ؟ فقال أمير المؤمنين : بل خليفتى فى أهلى ، فقال ابنُ شقّى : فأنت خليفة الله ومحمد رسوله ؛ ولعمرى
٢/١٨١٩ لضلالة رجل من بَجيلة إن ضــلّ أهون على العامة والخاصّة من ضلال أمير المؤمنين . فأقرأ الأبرش هشاماً كتابه ، فقال خَرِفَ أبو الهيثم .

فأقام خالد بدمشق خلافةَ هشام حتى هلَك ، فلما هلك هشام ، وقام الوليد ، قدم عليه أشراف الأجناد ؛ فيهم خالد ؛ فلم يأذن لأحد منهم . واشتكى خالد ، فاستأذن فأذِن له ، فرجع إلى دمشق ، فأقام أشهراً ، ثم كتب إليه الوليد : إنّ أمير المؤمنين قد علِم حال الخمسين الألف ألف ؛ التى تعلم ، فاقدم على أمير المؤمنين مع رسوله ؛ فقد أمره ألّا يُعجلك عن جِهاز .

فبعث خالد إلى عدّة من ثقاته ؛ منهم عُمارة بن أبى كلثم الأزدىّ ، فأقرأهم الكتاب ، وقال : أشيروا علىّ ؛ فقالوا : إنّ الوليد ليس بمأمون عليك ؛ فالرأى أن تدخل دمشق ، فتأخذ بيوت الأموال وتدعوَ إلى من أحببت ؛ فأكثرُ الناس قومُك ؛ ولن يختلف عليك رجلان ، قال : أو ماذا ؟ قالوا : تأخذ بيوت الأموال ، وتقيم حتى تتوثّق لنفسك ، قال : أو ماذا ؟ قالوا : أو تتوارى . قال : أما قولكم : تدعو إلى من أحببت ؛ فإنى أكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدى ، وأما قولكم : تتوثّق لنفسك ؛ فأنتم لا تأمنون علىّ الوليد ؛ ولا ذنب لى ، فكيف ترجون وفاءه لى وقد أخذتُ بيوت الأموال ! وأما التوارى ؛ فوالله ما قنّعت رأسى خوفًا من أحد قطّ ؛ فالآن وقد بلغت من السنّ ما بلغت ! لا ، ولكن أمضى وأستعين الله .

فخرج حتى قدم على الوليد ، فلم يدعُ به(١) ، ولم يكلّمه وهو فى بيته(٢) ؛
٢/١٨٢٠ معه مواليه وخدمهُ ، حتى قُدِم برأس يحيى بن زيد من خُراسان ، فجمع الناس فى رِواق ، وجلس الوليد ، وجاء الحاجب فوقف ، فقال له خالد : إن حالى ما ترى ؛ لا أقدر على المشى ؛ وإنما أحمَل فى كرسىّ ، فقال

---

(١) ب : « فلم يدعه » . (٢) ا ، ح : « ابنتيه » .

الحاجب : لا يدخل عليه أحد يُحمَل ، ثم أذن لثلاثة نَفَر ، ثم قال : قم يا خالد ، فقال : حالى ما ذكرت لك ، ثم أذن لرجل أو رجلين ؛ فقال : قم يا خالد ، فقال : إن حالى ما ذكرت لك ؛ حتى أذن لعشرة ، ثم قال : قم يا خالد ، وأذن للناس كلهم ، وأمر بخالد فحمِل على كرسيّه ؛ فدخِل به والوليد جالسٌ على سريره ، والموائد موضوعة ، والناس بين يديه سماطان ، وشبّة ابن عقّال — أوعقّال بن شبّة — يخطب ، ورأس يحيى بن زيد منصوب ، فمِيل بخالد إلى أحد السماطين ، فلما فرغ الخطيب قام الوليد وصُرِف الناس ، وحُمِل خالد إلى أهله ؛ فلما نزع ثيابه جاءه رسول الوليد فردّه ، فلما صار إلى باب السرادق وقف فخرج إليه رسول الوليد ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : أين يزيد بن خالد ؟ فقال : كان أصابه من هشام ظفر ، ثم طلبه فهرب منه ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى (١) استخلفه الله ؛ فلما لم يظهر ظننّاه ببلاد قومه من السّراة(٢) ، وما أوشكه . فرجع إليه الرسول ، فقال : لا ولكنك خلّفته طلباً للفتنة . فقال خالد للرسول : قد علم أمير المؤمنين أنّا أهلَ بيت طاعة ، أنا وأبى وجدى — قال خالد : وقد كنت أعلم بسرعة رجعة الرسول ؛ أنّ الوليد قريب حيث ١٨٢١/٢
يسمع كلامى — فرجع الرّسول ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين ؛ لتأتينّ به أو لأزهقنّ نفسك . فرفع خالد صوته ، وقال : قل له : هذا أردتَ ، وعليه دُرْتَ ؛ والله لو كان تحت قدمىّ ما رفعتُهما لك عنه ؛ فاصنع ما بدا لك ! فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبَسْط عليه ، وقال له : أسمعنى صوته ، فذهب به غَيْلان إلى رَحْله ، فعذّبه بالسلاسل ، فلم يتكلم ، فرجع غَيْلان إلى الوليد ، فقال : والله ما أعذّب إنساناً ؛ والله ما يتكلم ولا يتأوّه ، فقال : اكفُف عنه واحبسه عندك . فحبسه حتّى قدم يوسف بن عمر بمال من العراق ، ثم أداروا الأمر بينهم ، وجلس الوليد للناس ويوسف عنده ؛ فتكلّم(٣) أبان بن عبدالرحمن النميرىّ فى خالد ، فقال يوسف : أنا أشتريه بخمسين ألف ألف ، فأرسل الوليد إلى خالد : إنّ يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف ؛ فإن كنت تضمنها وإلاّ

---

(١) ا : « حين » .
(٢) ط : « الشراة » .
(٣) كذا فى ا ، و فى ط : « فكلم » .

دفعتُك إليه، فقال خالد: ما عهدت العرب تُباع ؛ والله لو سألتَنى أن أضمن هذا — ورفع عوداً من الأرض — ما ضمنتُه ، فرَ رأيك .

فدفعه إلى يوسف ، فنزع ثيابه ودرّعه عباءة ولحفه بأخرى(١) ، وحمله فى محمل بغير وطاء ، وزميله أبوقحافة المُرىّ ابن أخى الوليد بن تَلِيد — وكان عامل هشام على الموصل — فانطلق به حتى نزل المحدَثة ، على مَرْحلة من عسكر
١٨٢٢/٢ الوليد . ثم دعا به فذكر أمَّه ، فقال : وما ذكر الأمهات لعنك الله ! والله لا أكلمك كلمة أبداً . فبسط عليه ، وعذّبه عذاباً شديداً [وهو](٢) لا يكلّمه كلمة . ثم ارتحل به حتى إذا كان ببعض الطريق بعث إليه زيد بن تميم القينىّ بشربة سويق حبّ رمّان مع مولى له يقال له سالم النفّاط ، فبلغ يوسف فضرب زيداً خمسمائة سوط ، وضرب سالماً ألف سوط . ثم قدم يوسف الحيرة فدعا به وبإبراهيم ومحمد ابنى هشام فبسط على خالد ، فلم يكلّمه ، وصبر إبراهيم ابن هشام وخَرِعَ(٣) محمد بن هشام . فمكث خالد يوماً فى العذاب ، ثم وَضع على صدره المضرّسة فقتله من الليل ، ودفن بناحية الحيرة فى عباءته التى كان فيها ، وذلك فى المحرّم سنة ست وعشرين ومائة فى قول الهيثم بن عدىّ ، فأقبل عامر بن سهلة الأشعرىّ فعقر فرسه على قبره ، فضربه يوسف سبعمائة سوط .

قال أبوزيد : حدّثنى أبو نُعيم قال : حدّثنى رجل ، قال : شهدتُ خالداً حين أتِىَ به يوسف ، فدعا بعود فوضع على قدميه ، ثم قامت عليه الرّجال حتى كسرت قدماه ؛ فوالله ما تكلّم ولا عبَس ، ثم على ساقيه حتى كُسِرتا ، ثم على فخذيه ثم على حَقْويه ثم على صدره حتى مات ، فوالله ما تكلم ولا عبَس ، فقال خلف بن خليفة لما قتِل الوليد بن يزيد :

١٨٢٣/٢ لقد سَكَّنَتْ كلبٌ وأسباقُ مَذْحِجٍ صَدًى كان يَزْقو لَيْلَهُ غيرَ راقِدِ
تَرَكْنَ أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ مُكِبًّا على خَيْشومِهِ غيرَ ساجِدِ
فإنْ تَقْطَعُوا مِنَّا مَناطَ قِلادَةٍ قَطَعْنا به منكمْ مَناطَ قَلائِدِ

(١) ا : «أخرى» .
(٢) من ا .
(٣) ا ، ح «خرج» .

وَإِنْ تَشْغَلُونا عن ندانا فإنّنا شَغلنا الوليدَ عن غناءِ الولائد
وَإِنْ سافَرَ القَسرىّ سَفْرَةَ هالكٍ فإنَّ أبا العباسِ ليسَ بشاهِدِ

وقال حسان بن جعدة الجعفرىّ يكذّب خلف بن خليفة فى قوله هذا :

إنَّ امْرَأً يَدّعِى قتلَ الوليدِ سِوَى أعمامِهِ لَمَلِىءُ النفسِ بالكَذِبِ
ما كانَ إلا امْرَأً حانَتْ مَنِيَّتُهُ سَارتْ إليه بنو مرْوانَ بالعَرَبِ

وقال أبو مِحْجن مولى خالد :

سائلْ وَليدًا وسائلْ أَهلَ عسكَرِهِ غداة صَبَّحهُ شُؤبُوبُنا البَرِدُ
٢/١٨٢٤ هلْ جاءَ مِنْ مُضَرٍ نَفْسٌ فَتَمْنَعَهُ والخَيْلُ تحْتَ عجاجِ الموتِ تَطّرِدُ
منْ يهْجُنا جاهِلاً بالشِّعْرِ نَنْقُضُهُ بالبيض إنا بِها نَهْجُو ونَفْتَئِدُ

وقال نصر بن سعيد الأنصارىّ :

أَبْلغْ يَزِيدَ بَنِى كرْزٍ مُغَلْغَلَةً أنى شُفِيتُ بِغَيْب غَيْرَ مَوْتُور
قَطَعْتَ أَوْصال قَنُّورٍ على حَنَقٍ بصَارِمٍ مِنْ سُيُوفِ الهِنْدِ مَأْثُورِ
أَمْسَتْ حلائلُ قَنُّورٍ مُجَدَّعَةً لِمَصْرَعِ العبدِ قنُّورِ بن قَنُّور
ظلّتْ كِلابُ دِمَشْقٍ وَهْىَ تَنْهَشُهُ كأَنَّ أَعضاءَهُ أَعضاءُ خنزير
غادَرْنَ مِنْهُ بقايا عِنْدَ مَصْرَعِهِ أَنقاضَ شِلْوٍ على الأَطْنَابِ مَجْرور
حكّمْتَ سَيْفكَ إذ لَمْ تَرْضَ حكمَهُمُ وَالسَّيْفُ يحكمُ حكْماً غَيْر تعذِير
لا ترْضَ مِنْ خالدٍ إنْ كُنْتَ مُتّئِرًا إلا بكلِّ عَظِيمِ المُلكِ مَشْهُورِ
٢/١٨٢٥ أسعرْتَ مُلكَ نِزَارٍ ثُمَّ رُعْتَهُمُ بالخَيْلِ تركُضُ بالشُّمّ المَغَاوير
ما كانَ فى آل قَنُّور ولا وَلَدوا عَدْلاً لبدرْ سَماء ساطِعِ النّور

* * *

[ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص]

وفى هذه السنة بويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك ؛ الذى يقال له يزيد الناقص؛ وإنما قيل: يزيد الناقص لنقصه الناس الزيادة التى زادهموها الوليد

ابن يزيد فى أعطياتهم ؛ وذلك عشرة عشرة ، فلما قتِل الوليد نقصهم تلك الزيادة ؛ وردّ أعطياتهم إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك.

وقيل: أوّل مَن سماه بهذا الاسم مروان بن محمد، حدّثنى أحمد بن زهير، قال: حدّثنا علىّ بن محمد، قال: شتم مروان بن محمد يزيدَ بن الوليد فقال: الناقص بن الوليد؛ (١ فسمّاه الناس ١) الناقصَ لذلك.

* * *

[ذكر اضطراب أمر بنى مروان]

وفى هذه السنة اضطرب حبل بنى مروان وهاجت الفتنة.

• ذكر الخبر عما حدث فيها من الفتن:

فكان فى ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد ما قتِل الوليد بن يزيد بعمّان. فحدثنى أحمد بن زهير، عن علىّ بن محمد قال: لما قتِل الوليد خرج سليمان بن هشام من السجن، وكان محبوسًا بعمّان، فأخذ ما كان بعمّان من الأموال، وأقبل إلى دمشق، وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر.

* * *

[ذكر خلاف أهل حمص]

١٨٢٦/٢ وفيها كان وثوب أهل حِمْص بأسباب العباس بن الوليد وهدمهم داره وإظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد.

• ذكر الخبر عن ذلك:

حدّثنى أحمد عن علىّ، قال: كان مَرْوان بن عبد الله بن عبد الملك عاملاً للوليد على حِمْص، وكان من سادة بنى مَرْوان نُبلاً وكرمًا وعقلاً وجمالاً، فلما قُتِل الوليد بلغ أهلَ حمص قتلُه، فأغلقوا أبوابها، وأقاموا النوائح والبواكى على الوليد، وسألوا عن قتله، فقال بعض من حضرهم: مازلنا منتصفين من القوم قاهرين لهم؛ حتّى جاء العباس بن الوليد، فمال إلى عبد العزيز بن الحجاج. فوثب أهل حمْص فهدموا دارَ العباس وانتهبوها وسلبوا حُرَمه، وأخذوا بنيه فحبسوهم وطلبوه. فخرج إلى يزيد بن الوليد. وكاتبوا الأجناد، ودعوْهم إلى الطلب بدم الوليد؛ فأجابوهم. وكتب أهل

(١-١) كذا فى ا، وفى ط: «فسماه الناقص، فسماه الناس».

حمص بينهم كتابا ؛ ألا يدخلوا فى طاعة يزيد ؛ وإن كان وليًّا عهد الوليد حيَّين قاموا بالبيعة لهما وإلا جعلوها لخير من يعلمون ؛ على أن يُعطيهم العطاء من المحرّم إلى المحرّم ، ويعطيهم للذرّية . وأمّرُوا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين ، فكتب إلى مروان بن عبد الله بن عبد الملك وهو بحِمْص فى دار الإمارة ، فلما قرأه قال : هذا كتاب حَضَرَه من الله حاضر . وتابعهم على ما أرادوا .

فلما بلغ يزيدَ بن الوليد خبرهم ، وجّه إليهم رسُلاً فيهم يعقوب بن هانئ ، وكتب إليهم : إنه ليس يَدْعو إلى نفسه ، ولكنه يدعوهم إلى الشورى . فقال عمرو بن قيس السَّكونىّ : رضينا بولىّ عهدنا — يعنى ابن الوليد بن يزيد — ١٨٢٧/٢
فأخذ يعقوبُ بن عمير بلحيته ، فقال : أيها العَشَمة ، إنك قد فيّلت[1] وذهب عقلُك ؛ إن الذى تعنى لو كان يتيمًا فى حِجْرك لم يحلّ لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف أمر الأمّة ! فوثب أهل حِمْص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم .

وكان أمر حِمْص لمعاوية بن يزيد بن حُصَيْن ، وليس إلى مروان بن عبد الله من أمرهم شىء ، وكان معهم السّمط بن ثابت ، وكان الذى بينه وبين معاوية بن يزيد متباعداً . وكان معهم أبو محمد السفيانىّ فقال لهم : لوقد أتيتُ دمشق ، ونظر إلىّ أهلها لم يخالفونى[2] . فوجّه يزيد بن الوليد مَسْرُور ابن الوليد والوليد بن رَوْح فى جمع كبير ، فنزلوا حُوّارين ، أكثرهم بنو عامر من كلْب . ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فأكرمه يزيد ، وتزوّج أخته أم هشام بنت هشام بن عبد الملك ، وردّ عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم ، ووجّهه إلى مسرور بن الوليد والوليد بن رَوْح ، وأمرهما بالسمع والطاعة له . وأقبل أهل حِمْص فنزلوا قرية لخالد بن يزيد بن معاوية .

حدّثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ ، عن عمرو بن مروان الكلبىّ ، قال : حدّثنى عمرو بن محمد ويحيى بن عبد الرحمن البَهرانىّ ، قالا : قام مَرْوان بن عبد الله ، فقال : يا هؤلاء ؛ إنكم خرجتم لجهاد عدوّكم والطلب ١٨٢٨/٢

---

(١) شيخ عشمة ؛ أى كبير هرم يابس من الهزال . يقال : فال الرجل وفيل (بتشديد الياء) ؛ إذا لم يصب فيه .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « وأنظر إلى أهلها لم تخالفنى » .

بدم خليفتكم ، وخرجتم مخرجاً أرجو أن يُعظِم الله به أجرَكم ، ويحسن عليه ثوابكم ، وقد نجم لكم منهم قَرْن ، وشال إليكم منهم عُنُق ، إن أنتم قطعتموه اتبعه ما بعده ، وكنتم عليه أحرى ، وكانوا عليكم أهون ، ولست أرى المضىّ إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم . فقال السِّمط : هذا والله العدوّ القريب الدار ؛ يريد أن ينقض جماعتكم ؛ وهو مُمَايل للقَدَريّة . قال : فوثب الناس على مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا ابنه ، ورفعوا رأسيْهما للناس ؛ وإنّما أراد السِّمط بهذا الكلام خلافَ معاوية بن يزيد ، فلما قُتِل مروان بن عبد الله ولّوْا عليهم أبا محمد السفيانىّ ، وأرسلوا إلى سليمان بن هشام : إنا آتوك فأقِم بمكانك ؛ فأقام . قال : فتركوا عسكر سليمان ذاتَ اليسار ، ومضوْا إلى دمشق ، وبلغَ سليمان مضيّهم ، فخرج مُغِذًّا ، فلقيهم بالسليمانية — مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلا .

قال علىّ : فحدثنى عمرو بن مروان بن بشّار والوليد بن علىّ ، قالا : لما بلغ يزيدَ أمرُ أهل حِمْص دعا عبد العزيز بن الحجاج ، فوجّهه فى ثلاثة آلاف ، وأمره أن يثبت على ثنيّة العُقاب ، ودعا هشام بن مصاد ، فوجّهه فى ألف وخمسمائة ، وأمره أن يثبت على عقبة السلامة ، وأمرهم أن يُمِدّ بعضُهم بعضا .

قال عمرو بن مروان : فحدّثنى يزيد بن مَصَاد ، قال : كنت فى عسكر سليمان ، فلحقنا أهل حِمْص ، وقد نزلوا السليمانيّة ، فجعلوا الزيتون على أيمانهم ، والجبَل على شمائلهم ، والجِباب خلفهم ؛ وليس عليهم مأتًى إلا من وجْه واحد ، وقد نزلوا أوّل الليل ، فأراحوا دوابّهم ، وخرجنا نسرى ليلتنا كلّها ، حتى دفعنا إليهم ؛ فلما متع [1] النهار واشتدّ الحرّ ، ودوابنا قد كلّت وثقل علينا الحديد ، دنوت من مسرور بن الوليد ، فقلت له — وسليمان يسمع ١٨٢٩/٢
كلامى : أنشدك الله يا أبا سعيد أن يُقدِم الأمير جندَه إلى القتال فى هذه الحال! فأقبل سليمان فقال : يا غلام ، اصبر نفسَك ، فوالله لا أنزل حتى يقضىَ الله

(١) متع النهار : طال وامتد .

بينى وبينهم ما هو قاض . فتقدّم وعلى ميمنتِه الطُّفيل بن حارثة الكلبىّ ، وعلى ميسرته الطُّفَيل بن زرارة الحبشىّ ، فحملوا علينا حَمْلةً ، فانهزمت الميمنة والميسرة أكثر من غَلْوتين ، وسليمان فى القلْب لم يزُل من مكانه ؛ ثم حمل عليهم أصحاب سليمان حتى ردّوهم إلى موضعهم ؛ فلم يزالوا يحملون علينا ونحمل عليهم مراراً ، فقتِل منهم زُهاء مائتى رجل ، فيهم حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وأصيب من أصحاب سليمان نحوٌ من خمسين رجلاً ،وخرج أبو الهَلباء البَهْرانىّ — وكان فارسَ أهل حمْص — فدعا إلى المبارزة ،فخرج إليه حَيّة بن سلامة الكلبىّ فطعنه طعنة أذراه عن فرسه ، وشدّ عليه أبو جعدة (مولًى لقريش من أهل دمشق) فقتله ، وخرج ثُبيت ابن يزيد البهرانىّ ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه إيراك السُّغدىّ ؛ من أبناء ملوك السُّغد كان منقطعاً إلى سليمان بن هشام — وكان ثبيت قصيراً ، وكان إيراك جسيماً — فلما رآه ثُبيت قد أقبل نحوه استطرد ، فوقف إيراك ورماه بسهم فأثبت[1] عضلة ساقه إلى لِبْده .قال : فبينا هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز ٢ / ١٨٣٠
من ثَنيّة العُقَاب ، فشدّ عليهم ، حتى دخل عسكرهم فقتَل ونفذ إلينا .

[قال أحمد[2]] : قال علىّ : قال عمرو بن مروان : فحدّثنى سليمان بن زياد الغسانىّ قال : كنت مع عبدالعزيز بن الحجاج ؛ فلما عاين عسكر أهل حمص ، قال لأصحابه : موعدكم التلّ الذى فى وسط عسكرهم ؛ والله لا يتخلّف منكم أحدٌ إلاّ ضربتُ عنقه . ثم قال لصاحب لوائه : تقدّم ، ثم حمل وحملنا معه ؛ فما عرض لنا أحد إلا قُتِل حتى صرنا على التلّ ، فتصدّع[3] عسكرهم ، فكانت هزيمتهم ، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الملك القسرىّ : الله الله فى قومك ! فكفّ الناس ، وكره ما صنع سليمان وعبد العزيز ؛ وكاد يقع الشرّ بين الذّكوانيّة وسليمان وبين بنى عامر من كلْب ، فكفّوا عنهم ؛ علَى أن يبايعوا ليزيد ابن الوليد . وبعث سليمان بن هشام إلى أبى محمد السفيانىّ ويزيد خالد بن يزيد بن معاوية فأخِذا ، فمرّ بهما على الطُّفيل بن حارثة ، فصاحا به : يا خالاه ! ننشدك الله والرّحِم ! فمضى معهما إلى سليمان فحبسهما ، فخاف

(١) أثبته ، أى أصابه . (٢) من ا . (٣) ط : « فصدع » ، وما أثبته من ا .

بنو عامر أن يقتلَهما ، فجاءت جماعة منهم ؛ فكانت معهما فى الفُسطاط ، ثم وجّهها إلى يزيد بن الوليد ، فحبسهما فى الخَضْراء مع ابنى الوليد ، وحبس أيضًا يزيد بن عثمان بن محمد بن أبى سفيان ؛ خال عثمان بن الوليد معهم . ثم دخل سليمان وعبد العزيز إلى دمشق ؛ ونزلا بعذراء . واجتمع أمرُ أهل دمشق ، وبايعوا يزيد بن الوليد ، وخرجوا إلى دمشق وحِمْص وأعطاهم يزيد العَطَاء ، وأجاز الأشراف منهم معاوية بن يزيد بن الحصين والسِّمط بن ثابت وعمرو بن قيس وابن حُوَىّ والصقر بن صفوان ؛ واستعمل معاوية بن يزيد بن حصين من أهل حمص ، وأقام الباقون بدمشق ، ثم ساروا إلى أهل الأردنّ وفلسطين وقد قتل من أهل حِمْص يومئذ ثلثمائة رَجُل . ١٨٣١/٢

* * *

[ذكر خلاف أهل الأردنّ وفلسطين]

وفى هذه السنة وثب أهلُ فلسطين والأردنّ على عاملهم فقتلوه(١) .

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمر يزيد بن الوليد معهم :

حدّثنى أحمد ، عن علىّ بن محمد ، عن عمرو بن مروان الكلبىّ ، قال : حدثنى رجاء بن رَوْح بن سلامة بن رَوْح بن زنباع ، قال : كان سعيد بن عبد الملك عاملاً للوليد على فلسطين ، وكان حسَن السيرة ، وكان يزيد بن سليمان سيّد ولد أبيه ، وكان ولد سليمان بن عبد الملك ينزلون فلسطين ، فكان أهلُ فلسطين يحبّونهم لجوارهم ؛ فلما أتى قتلُ الوليد — ورأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن روْح بن زنباع — كتب إلى يزيد بن سليمان : إن الخليفة قد قُتِل فاقدم علينا نولّك أمرنا . فجمع له سعيد قوْمه ، وكتب إلى سعيد بن عبد الملك — وهو يومئذ نازل بالسبْع : ارتحل عنّا ، فإنّ الأمر قد اضطرب ؛ وقد ولينا أمرنا رجلا قد رضينا أمره . فخرج إلى يزيد بن الوليد ، فدعا يزيد ابن سليمان أهلَ فلسطين إلى قتال يزيد بن الوليد ، وبلغ أهلَ الأردنّ أمرُهم ، فولّوْا عليهم محمد بن عبد الملك — وأمْرُ أهلِ فلسطين إلى سعيد بن رَوْح وضبْعان بن رَوْح — وبلغ يزيدَ أمرُهم ، فوجّه إليهم سليمان بن هشام فى أهل دِمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفيانىّ .

---

(١) من نسخة على حاشية ا : « فطردوه » .

قال علىّ : قال عمرو بن مروان : حدّثنى محمد بن راشد الخزاعىّ أنّ ١٨٣٢/٢
أهل دمشق كانوا أربعة وثمانين ألفًا ، وسار إليهم سليمان بن هشام . قال
محمد بن راشد : وكان سليمان بن هشام يرسلنى إلى ضِبْعان وسعيد ابنَىْ رَوْح
وإلى الحكَم وراشد ابنى جِرْو من بَلْقين ، فأعِدُهم وأمنّيهم على الدخول فى
طاعة يزيد بن الوليد ، فأجابوا .

قال : وحدّثنى عثمان بن داود الخوْلانىّ ، قال : وجّهنى يزيد بن الوليد
ومعى حذيفة بن سعيد إلى محمد بن عبدالملك ويزيد بن سليمان ، يدعوهما إلى
طاعته ، ويعدهما ويمنّيهما ، فبدأنا بأهل الأردنّ ومحمد بن عبد الملك ،
فاجتمع إليه جماعة منهم ؛ فكلّمتُه فقال بعضهم : أصلح الله الأمير !
(١ اقتل هذا القدَرىّ الخبيث ، فكفهم عنى الحكم بن جرو القينى . فأقيمت١)
الصلاة فخلوتُ به ، فقلتُ : إنى رسول يزيد إليك ، والله ما تركت ورائى راية
تُعْقَدُ إلاّ على رأس رجل من قومك ، ولا درهم يخرج من بيت المال إلاّ
فى يد رجل منهم ؛ وهو يحمل لك كذا وكذا . قال : أنت بذاك ؟ قلت : نعم :
ثم خرجت فأتيت ضِبْعان بن رَوْح ، فقلت له مثل ذلك ، وقلت له : إنه يوليك
فلسطين ما بَقِىَ ، فأجابنى فانصرفت ، فما أصبحت حتى رَحل بأهل فلسطين .

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، عن عمرو بن مَرْوان الكلبىّ ، قال : سمعتُ
محمد بن سعيد بن حسان الأردنىّ ، قال : كنت عَيْنًا ليزيد بن الوليد بالأردنّ ،
فلما اجتمع له ما يريد ولاّنى خراج الأردنّ ، فلما خالفوا يزيد بن الوليد
أتيتُ سليمان بن هشام ، فسألته أن يوجّه معى خيلاً ، فأشنّ الغارة على طَبريّة ، ١٨٣٣/٢
فأبى سليمان أن يوجّه معى أحداً ، فخرجت إلى يزيد بن الوليد ، فأخبرته الخبر ،
فكتب إلى سليمان كتاباً بخطه ، يأمره أن يوجه معى ما أردت ؛ فأتيتُ به
سليمان ، فوجه معى مسلم بن ذَكْوان فى خمسة آلاف ، فخرجت بهم ليلاً
حتى أنزلتهم البطيحة ، فتفرّقوا فى القُرى ، وسرت أنا فى طائفة منهم نحو
طبريّة ، وكتبوا إلى عسكرهم ، فقال أهل طَبَريّة : علام نقيم والجنود تجوس
منازلنا وتحكم فى أهالينا ! ومضوا إلى حجرة يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ،

(١-١) ط : « أقبل هذا الفتى ، أقيمت » ، والصواب ما أثبته من ا .

فانتهبوهما وأخذوا دوابّهما وسلاحهما ، ولحقوا بقراهم ومنازلهم ؛ فلما تفرّق أهلُ فلسطين والأردنّ ، خرج سليمان حتى أتى الصِّنَّبْرَة ، وأتاه أهل الأردنّ ، فبايعوا ليزيد بن الوليد ؛ فلما كان يوم الجمعة وجّه سليمان إلى طَبَرِيّة ، وركب مركباً فى البحيرة ، فجعل يسايرهم حتى أتى طبريّة ، فصلّى بهم الجمعة ، وبايع مَنْ حضر ثم انصرف إلى عسكره .

حدثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ ، عن عمرو بن مَرْوان الكلبىّ ، قال : حدّثنى عثمان بن داود ، قال : لما نزل سليمان الصِّنَّبرة ، أرسلنى إلى يزيد بن الوليد ، وقال لى : أعلِمْه أنك قد علمت جفاء أهل فلسطين ، وقد كفى الله مئونتهم ، وقد أزمعت على أن أولّىَ ابن سَراقة فلسطين والأسود بن بلال المحاربىّ الأردنّ . فأتيت يزيد ، فقلت له ما أمرنى به سليمان ، فقال : أخبرنى كيف قلت لضِبْعان بن رَوْح ؟ فأخبرته ، قال : فما صنع ؟ قلت : ارتحلَ بأهل فلسطين ، وارتحل ابن جِرْو بأهل الأردنّ قبل أن يُصْبحا . قال : فليسا بأحقّ بالوفاء منا ، ارجع فمرْه ألّا ينصرف حتى ينزل الرمْلة ، فيبايعْ أهلها ، وقد استعملتُ إبراهيم بن الوليد على الأردنّ وضِبعان بن رَوْح على فلسطين ومسرور بن الوليد على قنّسرين وابن الحصينْ على حِمص . ٢/١٨٣٤

* * *

ثم خطب يزيد بن الوليد بعد قَتْل الوليد ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

أيها الناس ؛ إنى والله ما خرجتُ أشَراً ولا بطراً ولا حرصًا على الدنيا ، ولا رغبة فى الملك ، وما بى إطراء نفسى ؛ إنى لظلوم لنفسى إن لم يرحمْنى ربى[١] ؛ ولكنى خرجتُ غضباً لله ورسوله ودينه ، داعيًا إلى الله وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ لمّا هدمت معالم الهدى ، وأطفِئ نور أهل التقوى[٢] ، وظهر الجبّار العنيد ، المستحلّ لكل حرمة ، والرّاكب لكلّ بدعة ؛ مع أنه والله ما كان يصدّق بالكتاب ، ولا يؤمن بيوم الحساب ؛ وإنه لابنُ عمّى فى الحسب ، وكفيِّى فى النسب[٣] ؛ فلما رأيتُ ذلك استخرت الله فى أمره ، وسألته ألّا يكلنى إلى

(١) ا ، البيان : « وإنى لظلوم لها ، ولقد خسرت إن لم يرحمنى ربى » .

(٢) البيان : « نور التقى » . (٣) البيان : « لابن عمى فى النسب ، وكفيّى فى الحسب » .

نفسى ، ودعوت إلى ذلك مَن أجابنى من أهل ولايتى ، وسعيت فيه حتّى أراح الله منه العباد والبلاد بحوْل الله وقوّته ، لا بحوْلى وقوتى .

أيّها الناس ، إنّ لكم علىّ ألاّ أضع حجراً على حجر ، ولا لَبِنة على لَبِنة ؛ ولا أكْرِى(١) نهراً ، ولا أكثِر(٢) مالا ، ولا أعطيه زوجة ولا ولدا ، ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة حتّى أسدّ ثغر ذلك البلد وخصاصة(٣) أهله
بما يُعينُهم ؛ فإن فَضل فضلٌ(٤) نقلته إلى البلد الذى يليه ؛ ممن هو أحوج ١٨٣٥/٢
إليه ؛ ولا أجمّركم فى ثغوركم فأفتنَكم وأفتِن أهليكم ؛ ولا أغلِق بابى دونَكم ؛ فيأكل قويّكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جِزْيتكم ما يُجْليهم عن بلادهم ويقطع نسلهم ؛ وإنّ لكم أعطياتِكم عندى فى كلّ سنة وأرزاقكم فى كلّ شهر ؛ حتّى تستدرّ المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم ، فإن وفيتُ لكم بما قلت ؛ فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وإن أنا لم أفِ فلكم أن تخلعونى ؛ إلا أن تستتيبونى ؛ فإن تبتُ قبلتم منى ، فإن علمتم أحداً ممن يُعرَفُ بالصلاح يُعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه ؛ فأنا أوّل مَن يبايعه ، ويدخل فى طاعته .

أيّها الناس، إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، ولا وفاء له بنقض عهد ؛ إنما الطاعة طاعة الله ؛ فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع ، فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية ؛ فهو أهل أن يُعصَى ويُقتل . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم(٥) .

ثم دعا الناس إلى تجديد البيعة له ، فكان أول مَن بايعه الأفقم يزيد بن هشام . وبايعه قيس بن هانئ العبسىّ ، فقال : يا أميرالمؤمنين ، اتّق الله ، ودُمْ على ما أنت عليه ، فما قام مقامك أحدٌ من أهل بيتك ؛ وإن قالوا : عمر بن عبد العزيز فأنت أخذتها بحبل صالح ، وإن عمر أخذها بحبل سوء .
فبلغ مروان بن محمد قولُه ، فقال : ما له قاتله الله ذمّنا جميعًا وذمّ عمر ! ١٨٣٦/٢

---

(١) كرى النهر : احتفره .
(٢) البيان : « ولا أكنز » .
(٣) الخصاصة : الفقر .
(٤) ط : « فضلة » .
(٥) الخطبة أوردها الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ١٤١ ، ١٤٢ .

فلما وليَ مروان بعث رجلا ، فقال : إذا دخلتَ مسجد دمشق فانظر قيس ابن هانئ ، فإنه طالما صلّى فيه ، فاقتله ؛ فانطلق الرجل ، فدخل مسجد دمشق ، فرأى قَيْسًا يصلي فقتله .

* * *

وفى هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسفَ بن عمر عن العراق وولاها منصورَ بن جُمْهور .

ذكر الخبر عن عزل يوسف بن عمر وولاية منصور بن جُمْهور :

ولما استوثق ليزيد بن الوليد على الطاعة أهل الشأم ، ندب — فيما قيل — لولاية العراق عبدَ العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبيّ ، فقال له عبد العزيز : لو كان معى جند لقبلت ، فتركه وولّاها منصور بن جمهور .

وأما أبو مخنف ، فإنه قال — فيما ذكر هشام بن محمد عنه : قتِل الوليد ابن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء ، لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وبايع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك بدمشق ، وسار منصور بن جمهور من البَخْراء فى اليوم الذى قتِل فيه الوليد بن يزيد إلى العراق ، وهو سابع سبعة ، فبلغ خبرُه يوسفَ بن عمر فهرب . وقدم منصور بن جمهور الحيرة فى أيام خلَوْن من رجب ، فأخذ بيوت الأموال ، فأخرج العطاء لأهل العطاء والأرزاق ، واستعمل حُرَيث بن أبى الجهم على واسط ، وكان عليها محمد بن نُباتة ، فطرقه ليلا فحبسه وأوثقه ، واستعمل جرير بن يزيد بن يزيد بن جرير على البصرة ، وأقام منصور وولّى العمال ، وبايع ليزيد بن الوليد بالعراق ، وفى كورها ، وأقام بقيّة رجب وشعبان ورمضان ، وانصرف لأيام بقينَ منه . ١٨٣٧/٢

وأما غيرُ أبى مخنف فإنه قال : كان منصور بن جمهور أعرابيًّا جافيًا غَيْلانيًّا ، ولم يكن من أهل الدّين ؛ وإنما صار مع يزيد لرأيه فى الغَيْلانيّة ، وحميّةً لقتل خالد ، فشهد لذلك قتل الوليد ، فقال يزيد له لما ولاه العراق : قد وليتُك العراق فسر إليه ، واتّق الله ، واعلم أنى إنما قتلت الوليد لفسقه

ولمّا أظهرَ من الجَوْر ؛ فلا ينبغي لك أن تركب مثل ما قتلناه عليه . فدخل على يزيد بن الوليد يزيدُ بن حجرة الغسانيّ — وكان دَيّناً فاضلا ذا قَدْر في أهل الشأم ، قد قاتل الوليد ديانةً — فقال : يا أمير المؤمنين ، أولّيتَ منصوراً العراق ؟ قال : نعم ، لبلائه وحسن معونته ، قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنه ليس هناك في أعرابيّته وجفائه في الدين . قال : فإذَا لمْ أولّ منصوراً في حسن معاونته فمَنْ أولّي! قال : تولّي رجلاً من أهل الدين والصلاح والوقوف عند الشبهات ، والعلم بالأحكام والحدود ؛ ومالى لا أرى أحداً من قيس يغشاك ، ولا يقف ببابك ! قال : لولا أنه ليس من شأني سفك الدماء لعاجلتُ قيساً ؛ فوالله ما عزّتْ إلاّ ذلّ الإسلام .

ولما بلغ يوسفَ بن عمر قتلُ الوليد ، جعل يعمِد إلى مَن بحضرته من اليمانيّة فيلقيهم في السّجون ، ثم جعل يخلُو بالرجل بعد الرّجل من المضريّة ، فيقول له : ما عندك إن اضطرب حبل أو انفتق فَتْق ؟ فيقول : أنا رجل من ١٨٣٨/٢ أهل الشأم ، أبايع مَنْ بايعوا ، وأفعل ما فعلوا . فلم يرَ عندهم ما يحبّ ، فأطلق مَنْ في السجون من اليمانية ، وأرسل إلى الحجاج بن عبد الله البصريّ ومنصور ابن نصير — وكانا على خبَر ما بينه وبين أهل الشأم — فأمرهما بالكتاب إليه بالخبَر ، وجعل على طريق الشأم أرصادا ، وأقام بالحيرة وجلا . وأقبل منصور حتى إذا كان بالجمع ؛ كتب إلى سُليمان بن سُليم بن كيسان كتاباً :

أما بعد ، فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ؛ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له ؛ وإنّ الوليدَ بن يزيد بدّل نعمة الله كفراً ، فسفَك الدّماء ، فسفك الله دَمه ، وعجّله إلى النار ! وولى خلافته مَنْ هو خيرٌ منه ، وأحسن هدياً ؛ يزيد بن الوليد ، وقد بايعه الناس ، وولّى على العراق الحارثَ بن العباس بن الوليد ، ووجّهني العباس لآخذ يوسف وعماله ، وقد نزل الأبيض ، ورائى على مرحلتين ؛ فخذ يوسف وعماله ، لا يفوتنّك منهم أحد ، فاحبسهم قِبَلك . وإياك أن تخالف ، فيحلّ بك وبأهل بيتك ما لاقِبَل لك به ؛ فاختر[1] لنفسك أو دَعْ .

---

(١) ا : « فانظر » .

وقيل إنه لما كان بعين التمْر كتب إلى مَنْ بالحيرة من قوّاد أهل الشأم يُخبرهم بقتل الوليد، ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله . وبعث بالكتب كلها إلى سليمان بن سُليم بن كَيْسان ، وأمره أن يفرّقها على القوّاد، فأمسكها سليمان ، ودخل على يوسف ، فأقرأه كتاب منصور إليه ، فبَعِل به[1] .

٢/١٨٣٩ قال حُريث بنُ أبى الجهم : كان مكثى بواسط ؛ فما شعرت إلا بكتاب منصور بن جمهور قد جاءنى أن خذْ عمال يوسف ، فكنت أتولّى أمره بواسط ، فجمعت موالىّ وأصحابى ، فركبنا نحواً من ثلاثين رجلا فى السلاح ؛ فأتينا المدينة، فقال البوابون : مَنْ أنت ؟ قلتُ : حُرَيث بن أبى الجهم، فقالوا : نقسم بالله ما جاء بحريث إلا أمر مهمّ ؛ ففتحوا الباب فدخلنا ، فأخذنا العامل فاستسلم ، وأصبحنا فأخذنا البَيْعة من الناس ليزيد بن الوليد.

قال : وذكر عمر بن شجرة أنّ عمرو بن محمد بن القاسم كان على السِّند ، فأخذ محمد بن غزّان — أو عِزّان — الكلبىّ ، فضربه وبعث به إلى يوسف ، فضربه وألزمه مالاً عظيماً يؤدّى منه فى كل جمعة نجماً ، وإن لم يفعل ضرب خمسة وعشرين سوطاً ، فجفّت يده وبعض أصابعه ، فلما ولى منصور ابن جمهور العراق ولاّه السِّند وسجسْتان ، فأتى سجستْان فبايع ليزيد ، ثم سار إلى السند ، فأخذ عمرو بن محمد ، فأوثقه وأمر به حرَساً يحرسونه ، وقام إلى الصلاة ، فتناول عمرو سيفاً مع الحرَس ، فاتّكأ عليه مسلولاً حتى خالط جوفه ، وتصايح الناسُ ؛ فخرج ابن غَزّان فقال : ما دعاك إلى ما صنعت ؟ قال : خفت العذاب ، قال : ما كنت أبلغ منك ما بلغتَه من نفسك . فلبث ثلاثاً ثم مات ، وبايع ابن غزّان ليزيد؛ فقال يوسف بن عمر لسليمان بن سليم بن كيسان الكلبىّ حين أقرأه كتاب منصور بن جمهور : ما الرأى ؟ قال : ليس لك إمام تقاتل معه ، ولا يقاتل أهل الشأم الحارث بن

٢/١٨٤٠ العباس معك ، ولا آمن عليك منصور بن جمهور إن قدم عليك ، وما الرّأى إلا أن تلحق بشأمك ؛ قال : هو رأيى ، فكيف الحيلة ؟ قال : تظهر الطاعة

---

(١) بعل به ؛ أى تبرم فلم يدر ما يصنع ، والبعل : الضجر والتبرم بالشىء .

ليزيد ، وتدعُو له فى خُطبتك ؛ فإذا قرب منصور وجّهتُ معك مَن أثق به .

فلما نزل منصور بحيث يصبّح الناس[1] البلدَ ، خرج يوسف إلى منزل سليمان بن سليم ، فأقام به ثلاثًا ، ثم وجّه معه من أخذ به طريق السَّماوة حتى صار إلى البَلْقاء .

وقد قيل إنّ سليمان قال له : تستخفى وتَدَع منصوراً والعملَ ، قال : فعند مَنْ ؟ قال : عندى ، وأضعك فى ثقة ؛ ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد ابن سعيد بن العاص ، فأخبره بالأمر ، وسأله أن يؤوىَ يوسف ، وقال : أنت امرؤٌ من قريش ، وأخوالك بكر بن وائل ؛ فآواه . قال عمرو : فلم أر رجلاً كان مثل عُتُوّه رُعب رُعْبَه ؛ أتيته بجارية نفيسة ، وقلت : تدفئه وتطيّب نفسه ، فوالله ما قربها ولا نظر إليها ، ثم أرسل إلىّ يومًا فأتيته ، فقال : قد أحسنتَ وأجملت ؛ وقد بقيتْ لى حاجة ، قلت : هاتها ، قال : تخرجنى من الكوفة إلى الشأم ، قلت : نعم . وصبّحنا منصور بن جمهور ، فذكر الوليد فعابه ، وذكر يزيد بن الوليد . فقرظه[2] ، وذكر يوسف وجَوْره ، وقامت الخطباء فشعّثوا من الوليد ويوسف ، فأتيته فأقصصت قِصّتهم ، فجعلت لا أذكر رجلاً ممّن ذكره بسوء إلا قال : لله علىّ أن أضربه مائة سوط ، مائتى سوط ؛ ثلثمائة سوط ؛ فجعلت أتعجّب من طمعه فى الولاية بعد ؛ وتهدده الناس ، فتركه سليمان بن سُليم ، ثم أرسله إلى الشأم فاختفَى بها ، ثم تحوّل إلى البلقاء.

ذكر علىّ بن محمد أن يوسف بن عمر وجّه رجلا من بنى كلاب فى خمسمائة ، وقال لهم : إن مرّ بكم يزيد بن الوليد فلا تَدعُنّه يجوز . فأتاهم منصور بن جمهور فى ثلاثين ، فلم يهايجوه ، فانتزع سلاحهم منهم ، وأدخلهم الكوفة . قال : ولم يخرج مع يوسف من الكوفة إلاّ سفيان بن سلامة بن سليم بن كيسان وغسّان بن قعاس العذرىّ ، ومعه من ولده لصلبه ستون بين ذكر وأنثى . ودخل منصور الكوفة لأيام خلَوْن من رجب ، فأخذ بيوت الأموال ، وأخرج العطاء والأرزاق ، وأطلق مَن فى سجون يوسف من العمال وأهل الخراج . ١٨٤١/٢

(١) ساقطة من ا .
(٢) ط : « فقرضه » ، والصواب ما أثبته من ا .

قال : فلما بلغ يوسف البلقاء حينئذ بلغ خبرُه إلى يزيد بن الوليد ؛ فحدّثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم خالد بن يزيد بن هريم ، قال : حدّثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان ، قال : سمعت محمد بن سعيد الكلبيّ — وكان من قوّاد يزيد بن الوليد — يقول : إنّ يزيد وجّهه فى طلب يوسف بن عمر حيث بلغه أنه فى أهله بالبلقاء ، قال : فخرجت فى خمسين فارسًا أو أكثر ، حتى أحطت بداره بالبلقاء ، فلم نزل نفتّش ، فلم نر شيئًا ، وكان يوسف قد لبس لُبسة النساء ، وجلس مع نسائه وبناته ، ففتشهنّ فظفر به مع النساء ، فجاء به فى وَثاق ، فحبسه فى السجن مع الغلامين ابنى الوليد ، فكان فى الحبس ولايةَ يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم ؛ فلما قدم مروان الشأم وقرب من دمشق ولِىَ قتلهم يزيد ابن خالد ، فأرسل يزيد مولى خالد — يكنى أبا الأسد — فى عدّة من أصحابه ؛ ١٨٤٢/٢
فدخل السجن لشدخ الغلامين بالعَمد ، وأخرج يوسف بن عمر فضرب عنقه .

وقيل : إن يزيد بن الوليد لما بلغه مصيرُ يوسف إلى البَلْقاء وجّه إليه خمسين فارسًا ، فعرض له رجل من بنى نُمير ، فقال : يابن عمّ ، أنت والله مقتول فأطعنى وامتنع ، وائذن لى حتى أنتزعَك من أيادى هؤلاء ، قال : لا ، قال : فَدعْنى أقتلك أنا ، ولا يقتلك هذه اليمانية ؛ فتغيّظنا بقتلك ، قال : مالى فى واحدة مما عرضتَ علىّ خيار ، قال : فأنت أعلم .

ومضوا به إلى يزيد ، فقال : ما أقدمك ؟ قال : قدم منصور بن جمهور واليًا فتركته والعمل ، قال : لا ، ولكنك كرهت أن تلىَ لى . فأمر بحبسه . وقيل : إن يزيد دعا مسلم بن ذكوان ومحمد بن سعيد بن مطرّف الكلبىّ ، فقال لهما ؛ إنه بلغنى أنّ الفاسق يوسف بن عمر قد صارَ إلى البلقاء ، فانطلقا فأتيانى به ، فطلباه فلم يجداه : فرهّبا ابنًا له ، فقال : أنا أدلّكما عليه ، فقال : إنه انطلق إلى مَزرعة له على ثلاثين ميلا ، فأخذا معهما خمسين رجلا من جُنْد البلقاء ، فوجدوا أثره — وكان جالسًا — فلما أحسّ بهم هرب وترك نعليه ، ففتّشا فوجداه بين نسوة قد ألقيْن عليه قطيفة خزّ ، وجلسْنَ على حواشيها حاسرات ، فجرّوا برجله ، فجعل يطلب إلى محمد بن سعيد أن يُرضِيَ عنه

كلباً ، ويدفع عشرة آلاف دينار وديَةَ كلثوم بن عمير وهانئ بن بشر ، فأقبلا إلى يزيد ، فلقيه عاملٌ لسليمان على نوبة من نوائب الحرس ، فأخذ بلحيته فهزّها ، ونتف بعضها — وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة — فأدخلاه على يزيد، فقبض على لحية نفسه — وإنها حينئذ لتَجوز سرّته — ٢/١٨٤٣
وجعل يقول : نتف والله يا أمير المؤمنين لحيتى ، فما بقى فيها شعرة . فأمر به يزيد فحبُس فى الخَضْراء، فدخل عليه محمد بن راشد ، فقال له : أما تخاف أن يطّلع عليك بعض من قد وترت ، فيُلقى عليك حجراً ! فقال : لا والله ما فطنت إلى هذا ، فنشدتك الله إلاّ كلمتَ أمير المؤمنين فى تحويلى إلى مجلس غير هذا ؛ وإن كان أضيقَ منه ! قال : فأخبرت يزيد ، فقال : ما غاب عنك من حُمقه أكثر ، وما حبستُه إلا لأوجّهه إلى العراق ، فيقام للناس ، وتُؤخذ المظالم من ماله ودمه .

ولما قَتل يزيد بن الوليد الوليدَ بن يزيد، ووجّه منصور بن جمهور إلى العراق كتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق كتاباً يذكر فيه مساوئ الوليد، فكان مما كتب به — فيما حدّثنى أحمد بن زهير عن علىّ بن محمد : إنّ الله اختار الإسلام ديناً وارتضاه وطهّره ، وافترض فيه حقوقاً أمر بها ، ونهى عن أمور حرّمها ؛ ابتلاء لعباده فى طاعتهم ومعصيتهم ، فأكمل فيه كلّ منقَبة خير وجسيم فضل ؛ ثم تولاّه ، فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده وليّاً ، يحوطهم ويعرّفهم بفضل الإسلام ، فلم يكرم الله بالخلافة أحداً يأخذ بأمر الله وينتهى إليه فيناوئه أحدٌ بميثاق أو يحاول(١) صرف ما حباه الله به ، أو ينكث ناكث ، إلاّ كان كيدُه الأوهن ، ومكرُه الأبور ؛ حتى يتمّ الله ما أعطاه ، ويدّخر له أجره ومثوبته ، ويجعل عدوّه الأضلّ سبيلا ، الأخسَر عملا .
٢/١٨٤٤ فتناسخت(٢) خلفاء الله ولاة دينه ، قاضين فيه بحُكْمه ، متبعين فيه لكتابه ؛ فكانت لهم بذلك من ولايته ونصرته ما تمّت به النعم عليهم ، قد رضى الله بهم لها حتى توفى هشام .

(١) ط : « يحاول » تحريف ، صوابه من ا .
(٢) تناسخوا : أى تعاقبوا وتداولوا .

ثم أفضى الأمر إلى عدوّ الله الوليد، المنتهك للمحارم التى لا يأتى مثلها مُسلم، ولا يُقدِم عليها كافر؛ تكرُّماً عن غشيان مثلِها. فلما استفاض ذلك منه واستعلن، واشتدّ فيه البلاء، وسُفِكت فيه الدماء، وأخِذَت الأموال بغير حقها؛ مع أمور فاحشة، لم يكن الله ليملىَ للعاملين[1] بها إلا قليلا، سرتُ إليه مع انتظار مراجعته، وإعذار إلى الله وإلى المسلمين، منكراً لعمله وما اجترأ عليه من معاصى الله، متوخِّياً من الله إتمام الذى نويتُ؛ من اعتدال عمود الدين، والأخذ فى أهله بما هو رضًا، حتى أتيت جنداً، وقد وَغرَتْ صدورهم على عدوّ الله، لما رأوا من عمله؛ فإنّ عدوّ الله لم يكن يرى من شرائع الإسلام شيئاً إلا أراد تبديلَه، والعمل فيه بغير ما أنزل الله؛ وكان ذلك منه شائعاً شاملاً، عريان لم يجعل الله فيه ستراً، ولا لأحد فيه شكًّا، فذكرتُ لهم الذى نَقِمتُ وخِفت من فساد الدين والدنيا، وحَضَضْتهم على تلافِى دينهم، والمحاماة عنه؛ وهم فى ذلك مُستريبون، قد خافوا أن يكونوا قد أبقوْا لأنفسهم بما قاموا عليه، إلى أن دعوتُهم إلى تغييره فأسرعوا الإجابة.

فابتعث الله منهم بعثاً يخبرهم، من أولى الدين والرضا، وبعثت عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، حتى لَقِى عدوّ الله إلى جانب قرية يقال لها البَخْراء، فدعوْه إلى أن يكون الأمر شورَى، ينظر المسلمون لأنفسهم مَنْ يقلدونه ممّن اتفقوا عليه، فلم يجب عدوّ الله إلى ذلك؛ وأبى إلاّ تتايُعاً فى ضلالته؛ فبدرهم الحملة جهالة بالله، فوجد الله عزيزاً حكيماً، وأخَذَه أليماً ١٨٤٥/٢
شديداً، فقتله الله على سوء عمله وعُصبته؛ ممن صاحبوه من بطانته الخبيثة، لا يبلغون عشرة؛ ودخل مَنْ كان معه سواهم فى الحقّ الذى دُعوا إليه، فأطفأ الله جَمْرته وأراح العباد منه، فبُعداً له ولمن كان على طريقته!

أحببت أن أعلمكم ذلك، وأعجِّل به إليكم، لتحمدوا الله وتشكروه، فإنكم قد أصبحتم اليومَ على أمثل[2] حالكم؛ إذ ولاتكم خياركم، والعدل مبسوط لكم، لا يُسار فيكم بخلافه؛ فأكثروا على ذلك حمد ربِّكم، وتابعوا منصور بن جمهور؛ فقد ارتضيتُه لكم؛ على أنّ عليكم عهد الله وميثاقه، وأعظم ما عهِد

---

(١) ط: «ليخلى العاملين»، وما أثبته من ا. (٢) أمثل: أفضل.

وعقد على أحد من خلقه ؛ لتسمعُنّ وتطيعنّ لى ، ولمن استخلفته من بعدى ، ممن اتفقت عليه الأمة ؛ ولكم علىّ مثل ذلك ؛ لأعملنّ فيكم بأمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، واتبع سبيلَ مَنْ سلف من خياركم ؛ نسأل الله ربّنا وليّنا أحسن توفيقه وخير قضائه .

* * *

[ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور بن جمهور]

وفى هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخُراسان من تسليم عمله لعامل منصور ابن جمهور ، وقد كان يزيد بن الوليد ولاّ ها منصوراً مع العراق .

قال أبو جعفر : قد ذكرت قبلُ من خبر نصر؛ وما كان من كتاب يوسف ابن عمر إليه بالمصير إليه مع هدايا الوليد بن يزيد ، وشخوص نصر من خُراسان متوجهاً إلى العراق ، وتباطئه فى سفره ، حتى قدم عليه الخبر بقتل الوليد ؛ فذكر علىّ بن محمد أنّ الباهلىّ أخبره ، قال : قدم على نصر بشرُ بن نافع مولى سالم الليثىّ — وكان على سكك العراق — فقال : أقبل منصور بن جمهور أميراً على العراق ؛ وهرب يوسف بن عمر ؛ فوجّه منصور أخاه منظور بن ١٨٤٦/٢ جمهور على الرّىّ ، فأقبلتُ مع منظور إلى الرّى ، وقلت : أقدم على نصر فأخبره ، فلما صرتُ بنيسابور حبسنى حُميد مولى نصر ، وقال : لن تجاوزنى أو تخبرنى ؛ فأخبرته ، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ألاّ يخبر أحداً حتى أقدم على نصر فأخبره . ففعل ؛ فأقبلنا جميعاً حتى قدمنا على نصر ، وهو بقصره بماجان ، فاستأذنّا ، فقال خصىّ له : هو نائم ، فألححْنا عليه ، فانطلق فأعلمه ، فخرج نصر حتى قبض على يدى وأدخلنى ؛ فلم يكلمنى حتى صرتُ فى البيت ، فسا ءلنى فأخبرته ، فقال لحميد مولاه : انطلق به ؛ فأته بجائزة ؛ ثم أتانى يونس بن عبد ربّه وعبيد الله بن بسام فأخبرتهما ، وأتانى سلم بن أحْوَز فأخبرتُه .

قال : وكان خبر يوسف عند نصر ، فأتوه حين بلغهم الخبر ، فأرسل إلىّ فلما أخبرتهم كذبونى ، فقلت : استوثق من هؤلاء ؛ فلما مضت ثلاث على ذلك ؛ جعل علىّ ثمانين رجلاً حرساً ، فأبطأ الخبر على ما كنت قدّرت ، فلما كانت الليلة التاسعة — وكانت ليلة نوروز — جاءهم الخبر على ما وصفتُ ،

فصرف إلىّ عامة تلك الهدايا، وأمر لى ببرذون بسرجه ولجامه، وأعطانى سَرْجاً صينيًّا، وقال لى: أقم حتى أعطيك تمام مائة ألف. قال: فلما تيقّن نصر قتل الوليد ردّ تلك الهدايا، وأعتق الرقيق، وقسم روقة(١) الجوارى فى ولده وخاصّته، وقسم تلك الآنية فى عوامّ الناس، ووجّه العمال، وأمرهم بحسن السيرة.

قال: وأرجفت الأزد فى خراسان أن منظور بن جمهور قادم خراسان؛

١٨٤٧/٢ فخطب نصر، فقال فى خطبته: إن جاءنا أميرٌ ظنين قطعنا يديه ورجليه. ثم باح به بعدُ؛ فكان يقول: عبد الله المخذول المثبور.

قال: وولّى نصر بن سيار ربيعة واليمن، وولّى يعقوب بن يحيى بن حضين على أعلى طُخارستان، ومسعدة بن عبدالله اليشكرىّ على خُوَارَزْم؛ وهو الذى يقول فيه خلَف:

أقولُ لأَصحابى مَعاً دون كَردَرٍ ... لمَسْعَدَةُ البكرىّ غَيثُ الأَرامِلِ

ثم أتبعه بأبان بن الحكم الزهرانىّ؛ واستعمل المغيرة بن شعبة الجهضمىّ على قُهِستان وأمرهم بحسن السيرة، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه، فقال فى ذلك:

أقولُ لِنَصْرٍ وبايعتُهُ ... على جُلِّ بكرٍ وأحلافِها
يَدِى لك رَهْنٌ بِبَكْرِ العرا ... قِ سَيِّدِها وابنِ وَصّافِها
أخَذْتُ الوثيقَةَ للمسلمينَ ... لأَهلِ البلاد وأُلاَّفِها
إذا آل يحيى إلى ما تُرِيدُ ... أَتتكَ الدِّماكُ بأَخفافِها(٢)
دَعَوْتَ الجنُودَ إلى بيعَةٍ ... فأَنصَفْتَها كُلَّ إنصافِها
وَطَدْتَ خُراسانَ للمسلمينَ ... إنِ الأَرض هَمَّتْ بإِرجافها
وإنْ جُمِعَتْ أُلفَةُ المسلمينَ ... صَرَفتَ الضِّرَابَ لِأُلّافِها
أجارَ وَسَلَّمَ أهلَ البلا ... دِ والنازلينَ بأَطرافِها
فَصِرْتَ على الجندِ بالمشرقَيْنِ ... لقوحاً لهمْ دَرُّ أخلافِها

(١) روقة الجوارى، أى حسانهم، وفى ابن الأثير: «حسان الجوارى».
(٢) الدموك: البكرة الصلبة، وفى ط: «الرقال».

فنحن على ذاك حتّى تبينَ مَناهِجُ سُبْلٍ لِعَرّافها ١٨٤٨/٢
وحتّى تَبُوحَ قريشٌ بما تَجُنّ ضمائرُ أجوافِها
فأقسمتُ للمعْبَرَاتُ الرِّتا عُ لَلْعروُ أوفى لأصوافِها
إلى ما تؤدّى قريشُ البطَا ح أخْلافُها بعدَ أشرافِها(١)
فإنْ كان مَنْ عَزَّ بزَّ الضَّعيفَ ضَربْنا الخيولَ بأعْرافِها(٢)
وجَدنا العَلائفَ أنّى يكو نُ يُحْمَى أوارِىُّ أعلافها
إذا ما تَشَارَكُ فيه كَبَتْ خَوَاصِرُها بَعْدَ إخطافِها
فنحن على عهدنا نَسْتَديمُ قُريشاً . ونَرْضى بأحلافِها
سنَرْضَى بظِلِّكَ كِنًّا لها وظِلُّكَ مِنْ ظِلِّ أكنافِها
لَعَلّ قريشاً إذا ناضلَت تُقَرْطِسُ فى بعضِ أهدافها(٣)
وتُلبِسُ أغشيَةً بالعراقِ رَمَتْ دلوَ شَرْقٍ بِخُطّافِها
وبالأُسْدِ مِنّا وإنَّ الأُسودَ لها لِبَدٌ فوقَ أكتافِها
فإنْ حاذَرَتْ تَدَفاً فى النِّفا رِ فالدّهْر أدْنى لإتلافها
فقد ثَبَتتْ بك أقدامُنا إذا انهارَ منهارُ أجْرافِها
وَجَدْناكَ بَرًّا رءُوفًا بنا كرامَةِ أُمٍّ وإلطافِها
ولَمْ تَكُ بَيْعَتُنا خُلسَةً لأسرَعِ نَسْفَةِ خَطّافِها
نِكاحَ التى أسْرَعَتْ بالحليـ ـلِ قَبْلَ تَخَضُّبِ أطْرافِها
فكَشَّفَها البَعْلُ قبلَ الصَّدَا قِ فاسْتَقْبَلَتْه بِمِعْتافِها

١٨٤٩/٢ قال : وكان نصر ولّى عبدَ الملك بن عبد الله السلمىّ خُوارزم ؛ فكان يخطبهم ويقول فى خطبته : ما أنا بالأعرابىّ الجِلْف ، ولا الفزارىّ المستنبِط ؛ ولقد كرّمتنى الأمور وكرّمتها ، أمَا والله لأضعن السيف موضعه ، والسوط

(١) كذا فى ا ، وفى نسخة بحاشيتها : « خلاقها بعض أشرافها » .
(٢) ا : « نصرنا » . (٣) ورد البيت ناقصاً فى ط ، وأكملته من ا .

موضعه ، والسجن مدخله ، ولتجدُنّى غشمشماً ، أغْشَى الشَّجر ، ولتستقيمُنّ لى على الطريقة ورفض البكّارة فى السنن الأعظم ، أو لأصكّنّكم صكّ القطامىّ القطا (١) القاربَ يصكهنّ جانبًا فجانباً .

قال : فقدم رجل من بَلْقَين خراسان ، وجّهه منصور بن جمهور ، فأخذه مولًى لنصر، يقال له حميد ، كان على سكّة (٢) بنيسابور ؛ فضربه وكسر أنفه ، فشكاه إلى نصر ، فأمر له نصر بعشرين ألفًا وكساه ، وقال : إنّ الذى كسر أنفك مولًى لى وليس بكفء فأقصّك منه ، فلا تقلْ إلّا خيراً . [قال : ماقبلت جائزتك ، وأنا أريد ألا أذكر إلا خيراً] (٣) .

قال عصمة بن عبد الله الأسدىّ : يا أخا بَلْقَين ، أخبر مَنْ تأتى أنا قد أعددنا قيساً لربيعة وتميماً للأزد ، وبقيت كنانة ، ليس لها مَن يكافئها . فقال نصر : كلما أصلحتُ أمراً أفسدتموه !

قال أبو زيد عمر بن شبّة : حدثنى أحمد بن معاوية عن أبى الخطاب ، قال : قدم قدامة بن مصعب العبدىّ ورجلٌ من كندة على نَصْر بن سيّار من قِبَل منصور بن جمهور ، فقال : أمات أمير المؤمنين ؟ قالا : نعم ، قال : ووليَ منصور بن جمهور وهرب يوسف بن عمر عن سرير العراق ؟ قالا : نعم ، قال : أنا بجمهوركم من الكافرين ، ثم حبسهما ووسّع عليهما ، ووجّه رجلا حتى أتى فرأى منصوراً يخطب بالكوفة ، فأخرجهما ، وقال لقدامة : أوليَكم رجل من كلب ؟ قال : نعم ؛ إنما نحن بين قيس واليمن ، قال :
٢/١٨٥٠ فكيف لا يولاها رجل منكم ! قال : لأنا كما قال الشاعر :

إذا ما خَشِينا مِنْ أَمِيرٍ ظُلَامَةً دَعَوْنا أَبا غَسَّانَ يوماً فَعَسْكَرَا

فضحك نصر ، وضمّه إليه .

قال : ولما قدم منصور بن جمهور العراق ولّى عبيد الله بن العباس الكوفة — أو وجده واليًا عليها فأقرّه — وولّى شرطتَه ثمامة بن حوشب ثم عزله وولّى الحجاج بن أرطاة النخعىّ .

* * *

(١) كذا فى ا .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط « سكك » .
(٣) من ا .

[ذكر مخالفة مروان بن محمد]

وفى هذه السنة كتب مَرْوان بن محمد إلى الغمْر بن يزيد ، أخى الوليد بن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد .

ذكر نسخة ذلك الكتاب الذى كتب إليه :

حدّثنى أحمد عن علىّ ، قال : كتب مروان إلى الغمْر بن يزيد بعد قتل الوليد :

أما بعد ، فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوّة رسله ، وإقامة شرائع دينه ، أكرمهم الله بما قلّدهم ، يعزّهم ويعزّ من يعزّهم ، والحيْن[١] على مَنْ ناوأهم فابتغى غير سبيلهم ، فلم يزالوا أهل رِعاية لما استودعهم الله منها ، يقوم بحقها ناهضٌ بعد ناهض ، بأنصار لها من المسلمين . وكان أهل الشأم أحسن خلقه فيه طاعة ، وأذبّه عن حُرَمه وأوفاه بعهده ، وأشدّه نكاية فى مارِق مخالف ناكث ناكب[٢] عن الحق ، فاستدرّت نعمة الله عليهم . قد عَمَر بهم الإسلام ، وكُبِت[٣] بهم الشرك وأهله ، وقد نكثوا أمر الله ، وحاولوا نكثَ العهود ، وقام بذلك من أشعل ضرامَها ، وإن كانت القلوب عنه نافرة ، والمطلوبون بدم الخليفة ولايةٌ[٤] من بنى أمية ؛ فإن دمه غير ضائع ؛ وإن سكنتْ بهم الفتنة ، والتأمت الأمور ؛ فأمرٌ أراده الله لا مردّ له. ٢/١٨٥١

فاكتب بحالك فيما أبرموا وما تَرى ؛ فإنى مطْرق إلى أن أرى غِيَرًا[٥] فأسطو بانتقام ، وأنتقم لدين الله المنبوذة فرائضه ، المتروكة مجانة ، ومعى قوم أسكن الله طاعتى قلوبَهم ؛ أهلُ إقدام إلى ما قدمت بهم عليه ، ولهم نظراء صدورهم مترعة ممتلئة لو يجدون منزعًا[٧] ، والنّقمة دولة تأتى من الله ؛ ووقت مؤجل[٨] ؛ ولم أشبه محمدًا ولا مروان[٩] — غير أن رأيت غِيَرًا —

(١) الحين : الهلاك والمحنة . (٢) نكب عنه : عدل .
(٣) كبته : صرعه وأخزاه .
(٤) الولاية : الإمارة والسلطان ؛ والمعنى ذوو ولاية ؛ أى أمراء من بنى أمية .
(٥) غير الدهر : حوادثه المغيرة . (٦) ط : « المتبول » ، وما أثبته من ا .
(٧) المنزع : الموضع الذى يصعد فيه الدلو إذا نزع من البئر ؛ أى لو يجدون مجالا وفرصة للانتقام . (٨) ط : « موكل » ، والصواب ، ما أثبته من ا .
(٩) محمد أبوه ومروان جده .

إن لم أشمّر للقَدَريّة إزارى ، وأضربهم بسيفى جارحاً وطاعناً ، يرمى قضاء الله بى فى ذلك حيث أخذ ، أو يرمى بهم فى عقوبة الله حيث بلغ منهم فيها رضاه ؛ وما إطراقى إلّا لما أنتظر مما يأتينى عنك ، فلا تهن عن ثأرك بأخيك ، فإنّ الله جارُك وكافيك ، وكفى بالله طالباً ونصيراً .

حدثنى أحمد ، عن علىّ ، عن عمرو بن مروان الكلبىّ ، عن مسلم بن ذَكْوان ، قال : كلّمَ يزيد بن الوليد العباسَ بن الوليد فى طُفَيل بن حارثة الكلبىّ ، وقال : إنه حَمل حَمالة ، فإن رأيتَ أن تكتب إلى مروان بن محمد فى الوصاة به ، وأن يأذن له أن يسأل عشيرته فيها — وكان مروان يمنعُ الناس أن يسألوا شيئاً من ذلك عند العطاء — فأجابه وحمله على البريد . وكان كتاب العباس ينفذ فى الآفاق بكلّ ما يكتب به . وكتب يزيد إلى مروان أنه اشترى من أبى عبيدة بن الوليد ضَيعَة بثمانية عشر ألف دينار ، وقد احتاج إلى أربعة آلاف دينار . قال مسلم بن ذكوان : فدعانى يزيد ، ١٨٥٢/٢
وقال : انطلق مع طُفَيل بهذا الكتاب[١] ، وكلّمه فى هذا الأمر . قال : فخرجنا ولم يعلم العباس بخروجى ، فلما قدمنا خِلاط ، لقينا عمرو بن حارثة الكلبىّ ، فسألَنا عن حالنا فأخبرناه ، فقال : كذبتما[٢] ؛ إن لكما ولمروان لقصّةً ، قلنا : وما ذاك ؟ قال : أخلانى حين أردت الخروج ، وقال لى : جماعة أهل المِزّة يكونون ألفاً ؟ قلت : وأكثر ، قال : وكم بينها وبين دمشق ؟ قلت : يسمعهم المنادى ، قال : كم ترى عدّة بنى عامر ؟ (يعنى بنى عامر من كلْب) ، قلت : عشرون ألف رجل ، فحرّك أصبعه ، ولوى وجهه . قال مسلم : فلما سمعت ذلك طمعتُ فى مرْوان ، وكتبت إليه على لسان يزيد : أما بعد ، فإنى وجهت إليك ابنَ ذكوان مولاى بما سيذكره لك ، ويُنْهيه إليكَ ، فألق إليه ما أحببتَ ، فإنه من خيار أهلى وثقات موالىّ ؛ وهو شعب حصين ، ووعاء أمين ؛ إن شاء الله . فقدمنا على مَرْوان ، فدفع طُفَيل كتاب العباس إلى الحاجب ، وأخبره أنّ معه كتاب يزيد بن الوليد ، فقرأه ، فخرج الحاجب ، وقال : أما معك كتاب غير هذا ، ولا أوصاك بشىء ! قلت : لا ، ولكنى معى مسلم بن

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « بهذه الكتب » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « كذابتم » .

ذكوان ، فدخل فأخبره ، فخرج الحاجب ، فقال : مرْ مولاه بالرّواح .

قال مسلم : فانصرفت ، فلما حضرت المغرب أتيت المقصورة ؛ فلما صلّى مروان انصرفتُ لأعيد الصلاة ، ولم أكن أعتدّ بصلاته ، فلما استويت قائماً جاءنى خصىّ ، فلما نظر إلىّ انصرفت وأوجزتُ الصلاة ، فلحقته ، فأدخلنى على مروان ؛ وهو فى بيت من بيوت النساء ، فسلمتُ وجلست ، فقال : من أنت ؟ فقلتُ : مسلم بن ذكوان مولى يزيد ، قال : مولى عتاقة أو مولى تباعة ؟ ١٨٥٣/٢
قلت : مولى عتاقة ، قال : ذاك أفضل ؛ وفى كلّ ذلك فضل ؛ فاذكر ما بدا لك . قلت : إن رأى الأميرُ أن يجعل لى الأمان على ما قلته ، أوافقه فى ذلك أو أخالفه ؛ فأعطانى ما أردت ، فحمدت الله وصلّيت على نبيّه ، ووصفت ما أكرم الله به بنى مَرْوان من الخلافة ورضا العامة بهم ، وكيف نقض الوليد العُرَى ، وأفسد قلوب الناس ، وَذمّتْه العامّة ؛ وذكرت حاله كلّها . فلما فرغت تكلم ؛ فوالله ما حمد الله ولا تشهّد ، وقال : قد سمعت ما قلت ، قد أحسنتَ وأصبت ، ولنعم الرأى رأى يزيد ؛ فأشهد الله أنى قد بايعته ، أبذل فى هذا الأمر نفسى ومالى ؛ لا أريد بذلك إلا ما عند الله ؛ والله ما أصبحت أستزيد الوليد ، لقد وصل وفرض وأشرك فى ملكه ؛ ولكنى أشهد أنه لا يؤمن بيوم الحساب . وسألنى عن أمر يزيد ، فكبّرت الأمر وعظمته ، فقال : اكتم أمرك ؛ وقد قضيتُ حاجة صاحبك ، وكفيته أمر حمالته ، وأمرت له بألف درهم . فأقمت أياماً ، ثم دعانى ذات يوم نصفَ النهار ، ثم قال : الحقْ بصاحبك ، وقل له : سدّدك الله ، امض على أمر الله ؛ فإنك بعين الله . وكتب جواب كتابى ، وقال لى : إن قدرتَ أن تطوى أو تطير فطرْ ، فإنه يخرج بالجزيرة إلى ستّ ليال أو سبع خارجة ؛ وقد خفت أن يطول أمرهم فلا تقدر أن تجوز . قلت : وما علمُ الأمير بذلك؟(١) فضحك ، وقال : ليس من أهل هوى إلاّ وقد أعطيتهم الرّضا حتى أخبرونى بذات أنفسهم . فقلت فى نفسى : أنا واحد من أولئك ، ثم قلت : لئن فعلت ذلك أصلحك الله ؛ إنه قيل
١٨٥٤/٢ لخالد بن يزيد بن معاوية : أنّى أصبت هذا العلم؟ قال : وافقتُ الرجال على أهوائهم ، ودخلت معهم فى آرائهم ؛ حتى بذلوا لى ما عندهم ، وأفضوْا لى بذات أنفسهم .

(١) ساقطة من ا .

فودّعته وخرجت . فلما كنت بآمِد لقيت البُرُد تتبع بعضها بعضًا بقتل الوليد؛ وإذا عبدالملك بن مروان [بن محمد] (١) قدوثب على عامل الوليد بالجزيرة، فأخرجه منها، ووضع الأرصاد على الطريق، فتركت البرُد، واستأجرت دابّة ودليلا، فقدمت على يزيد بن الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن عزل منصور بن جمهور عن العراق]

وفى هذه السنة عزل يزيد بن الوليد منصورَ بن جمهور عن العراق، وولّاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذُكِر عن يزيد بن الوليد أنه قال لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز : إن أهل العراق يميلون إلى أبيك فسرْ إليها فقد ولّيتُكها ؛ فذكر عن أبى عبيدة، قال : كان عبد الله بن عمر متألّهًا متألمًا، فقدّم حين شخص إلى العراق بين يديه رُسلاً وكتباً إلى قوّاد الشأم الذين بالعراق، وخاف ألّا يسلّم له منصور بن جمهور العمل، فانقاد له كلهم، وسلّم له منصور بن جمهور، وانصرف إلى الشأم، ففرق عبد الله بن عمر عماله فى الأعمال، وأعطى الناسَ أرزاقهم وأعطياتهم ؛ فنازعه قوّاد أهل الشأم وقالوا : تقسم على هؤلاء فيئنا وهم عدوّنا ! فقال عبد الله لأهل العراق : إنى قد أردتُ أن أردّ
٢/١٨٥٥ فيئكم عليكم، وعلمت أنكم أحقّ به ؛ فنازعنى هؤلاء فأنكروا علىّ .

فخرج أهل الكوفة إلى الجبّانة، وتجمّعوا، فأرسل إليهم قوّاد أهل الشأم يعتذرون وينكرون، ويحلفون أنهم لم يقولوا شيئًا مما بلغهم، وثار غوغاء الناس من الفريقين، فتناوشوا، وأصيب منهم رهط لم يُعْرفوا، وعبدُ الله بن عمر بالحيرة، وعبيد الله بن العباس الكندىّ بالكوفة ؛ قد كان منصور بن جمهور استخلفه عليها فأراد(٢) أهل الكوفة إخراجه من القصر، فأرسل إلى عمر بن الغضبان بن القبعثرىّ، فأتاه فنحّى الناس عنه، وسكّنهم وزجر سفهاءهم(٣) حتى تحاجزوا، وأمن بعضهم بعضًا . وبلغ ذلك عبد الله بن عمر، فأرسل إلى ابن الغضْبان ،

---

(١) من ا. (٢) ط : « وأراد » . (٣) ط : « وزجرهم » .

فكساه وحَمله ، وأحسن جائزته ، وولاّه شُرَطه وخراج السواد والمحاسبات ، وأمره أن يفرض لقومه ، ففرض فى ستين وفى سبعين .

* * *

[ذكر وقوع الخلاف بين اليمانية والنزارية فى خراسان]

وفى هذه السنة وقع الاختلاف فى خراسان بين اليمانية والنزاريّة ، وأظهر الكِرمانىّ فيها الخلاف لنصر بن سيار ، واجتمع مع كلّ واحد منهما جماعة لنصرته .

* ذكر الخبر عما كان بينهما من ذلك وعن السبب الذى أحدث ذلك :

ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه ؛ أن عبد الله بن عمر لمّا قدم العراق واليًا عليها من قِبَل يزيد بن الوليد ، كتب إلى نصر بعهده على خراسان ؛ قال : ويقال : بل أتاه كتابه بعد خروج الكرمانىّ من حَبْس نصر ، فقال المنجّمون لنصر : إنّ خراسان سيكون بها فتنة ؛ فأمر نصر برفع حاصل[1] بيت المال ، وأعطى الناس بعض أعطياتهم ورِقًا وذهبًا من الآنية التى كان اتخذها للوليد ١٨٥٦/٢
ابن يزيد ؛ وكان أوّل من تكلم رجل من كِندة ، أفوه طُوال ، فقال : العطاء العطاء ! فلما كانت الجمعة الثانية ، أمر نصر رجالا من الحرَس ، فلبسوا السلاح ، وفرّقهم فى المسجد مخافة أن يتكلم متكلم ، فقام الكندىّ فقال : العطاء العطاء! فقام رجل مولى للأزْد — وكان يلقب أبا الشياطين — فتكلم ، وقام حمّاد الصائغ وأبو السَّليل البكرىّ ، فقالا : العطاء العطاء ! فقال نصر : إياى والمعصية ؛ عليكم بالطاعة والجماعة ؛ فاتقوا الله واسمعوا ماتوعظون به .

فصعد سَلْم بن أحوز إلى نصر وهو على المنبر فكلّمه ، فقال : مايغنى عنّا كلامك هذا شيئًا . ووثب أهل السوق إلى أسواقهم ؛ فغضب نصر وقال : ما لكم عندى عطاء بعد يومكم هذا ، ثم قال : كأنى بالرّجل منكم قد قام إلى أخيه وابن عمه ، فلطم وجهَه فى جمل يُهْدَى له وثوب يكساه ، ويقول : مولاى وظئْرى ؛ وكأنى بهم قد نبغ من تحت أرجلهم شرّ لا يطاق ، وكأنى بكم مطرّحين فى الأسواق كالجُزُر المنحورة ؛ إنه لم تطل ولاية رجل إلا ملّوها ؛ وأنتم يا أهلَ خراسان ؛ مسلحة فى نحور العدوّ ، فإياكم أن

(١) الحاصل من كل شىء : ما بقى منه .

يختلف فيكم سيفان .

قال علىّ : قال عبد الله بن المبارك ، قال نصر فى خطبته : إنى لمكفَّر ومع ذاك لمظَلَّم ؛ وعسى أن يكون ذلك خيراً لى . إنكم تغشوْن(١) أمراً تريدون فيه الفتنة ، فلا(٢) أبقى الله عليكم ؛ والله لقد نشرتكم وطويتكم ، وطويتكم
٢/١٨٥٧ ونشرتكم ، فما عندى منكم عشرة ، وإنى وإياكم كما قال مَنْ كان قبلكم :

اسْتَمْسِكُوا أصحابَنا نَحدُو بكمْ فقد عرفنا خَيرَكم وشرَّكمْ

فاتقوا الله ؛ فوالله لئن اختلف فيكم ليتمنَّيَنّ الرجل منكم أنه يُخلع من ماله وولده ولم يكن رآه . يا أهل خراسان ، إنكم غمطتم الجماعة ، وركنتم إلى الفرقة . أسلطانَ المجهول تريدون وتنتظرون! إن فيه لهلاككم معشر العرب ، وتمثّل بقول النابغة الذبيانىّ :

فإنْ يَغْلِبْ شَقاؤُكُمُ عليكمْ فإنى فى صَلاحِكمُ سَعَيْتُ

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن المغيرة بن الورد الجعدىّ :

أَبِيتُ أَرعى النجومَ مرْتَفِقاً إذا استقلَّتْ تَجْرِى أَوائِلُها
مِنْ فِتنَةٍ أَصبحتْ مجَلِّلَةً قد عَمَّ أَهلَ الصَّلاةِ شامِلُها
مَنْ بِخُرَاسانَ والعراقِ ومَنْ بالشأْمِ كلٌّ شَجاهُ شاغِلُها
فالناسُ منها فى لونِ مَظلمةٍ دَهْماءَ ملتَجَّةٍ غَياطِلُها
يمْسِى السَّفِيه الذى يُعَنَّفُ بالْ جَهْلِ سواءً فيها وعاقلها
والناسُ فى كُرْبَةٍ يَكاد لها تَنبِذُ أَولادَها حَوامِلُها
يَغدونَ منها فى ظلّ مُبْهَمَةٍ عمياءَ تغتَالهم غوائلها
لا يَنظُر الناس فى عواقبِها إلّا التى لا يبين قائلها
كرَغوَةِ البَكرِ أَو كَصَيْحَةِ حُبْ لى طَرَقتْ حولها قوابلُها
٢/١٨٥٨ فجاء فينا أَزرَى بِوجْهَتِهِ فيها خُطُوبٌ حُمْرٌ زَلازِلُها

---

(١) كذا فى ا ، وهو الصواب ، وفى ط : « ترشون » .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « ولا » .

قال : فلما أتى نصرًا عهده من قبَل عبد الله بن عمر قال الكرْمانىّ لأصحابه : الناس فى فتنة ؛ فانظروا لأموركم[١] رجلا — وإنما سُمّى الكرمانىّ لأنه ولد بكرْمان ، واسمه جُدَيع بن علىّ بن شبيب بن بَرارى[٢] بن صُنيم المعنىّ — فقالوا : أنت لنا ، فقالت المضريّة لنصر : الكرمانىّ يفسد عليك ؛ فأرسِل إليه فاقتله ، [أو فاحبسه] [٣] ، قال : لا ، ولكن لى أولاد ذكور وإناث ، فأزوّج بَنِىّ من بناته وبنيه من بناتى ؛ قالوا : لا ، قال : فأبعث إليه بمائة ألف درهم ، فإنه بخيل ولا يعطى أصحابه شيئًا ، ويعلمون بها فيتفرّقون عنه ، قالوا : لا ، هذه قوة له ، قال : فدَعوه على حاله يتّقينا ونتّقيه ، قالوا [لا ، قال] [٣] : فأرسل إليه فحبسه[٤] .

قال : وبلغ نصرًا أنّ الكرمانىّ يقول : كانت غايتى فى طاعة بنى مروان أن يقلّد ولدى[٥] السيوف فأطلبَ بثأر بنى المهلب ، مع مالقينا من نَصْر وجفائه وطول حرمانه ومكافأته إيانا بما كان من صنيع أسد إليه . فقال له عصمة ابن عبدالله الأسدىّ : إنها بدء فتنة ، فتجنّ عليه فاحشة ، وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعنق سِباع بن النعمان الأزدىّ والفَرافصَة بن ظهير البكرىّ ، فإنه لم يزل متغضّبًا على الله بتفضيله مضر على ربيعة .

وكان بخراسان . وقال جَميل بن النعمان : إنك قد شرّفته وإن كرهتَ قتله فادفعه إلىّ أقتله . وقيل : إنما غضب عليه فى مكاتبته بكر بن فراس البَهرانىّ عامل جرْجان ، يعلمه حال منصور بن جمهور حين بعث عهد الكرمانى مع أبى الزّعفران ١٨٥٩/٢
مولى أسد بن عبد الله ، فطلبه نصر فلم يقدرْ عليه . والذى كتب إلى الكرمانىّ بقتل الوليد وقدوم منصور بن جمهور على العراق صالح الأثرم الحرار . وقيل : إن قومًا أتوا نصرًا ، فقالوا : الكرمانىّ يدعو إلى الفتنة . وقال أصرم ابن قبيصة لنصر : لو أن جُديعًا لم يقدر على السلطان والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهوّد . وكان نصر والكرمانىّ متصافيين ، وقد كان الكرمانىّ أحسنَ إلى نصر فى ولاية أسد بن عبد الله ، فلما ولِىَ نصر خراسان عزَل الكرمانىّ عن الرئاسة وصيّرها لحرب بن عامر بن أيثم الواشجىّ ، فمات حرب

(١) كذا فى ا وابن الأثير ، وفى ط : « فى أموركم » . (٢) ا : «برادى بن صبى المغنى» .
(٣) من ا . (٤) ط : « فاحبسه » . (٥) ط : «أن تقلدنى السيوف » .

فأعاد الكرمانىّ عليها ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى عزله ، وصيّرها لجميل بن النعمان . قال : فتباعد ما بين نصر والكرمانىّ فحبس الكرمانىّ فى القهندز وكان على القهندز مقاتل بن علىّ المرئىّ — ويقال المرىّ .

قال : ولما أراد نصر حبس الكرمانىّ أمر عبيد الله بن بسّام صاحب حرسه ؛ فأتاه به ، فقال له نصر : يا كِرمانىّ ، ألم يأتنى كتاب يوسف بن عمر يأمرنى بقتلك ، فراجعتُه وقلت له : شيخ خراسان وفارسها ، وحقنت دمك ! قال : بلى ، قال ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمتُه فى أعطيات الناس! قال : بلى ، قال ألم أرش(1) عليًّا ابنك على كرْه من قومك ! قال : بلى ، قال : فبدّلت ذلك إجماعًا على الفتنة ! قال الكرمانىّ : لم يقل الأمير شيئًا
١٨٦٠/٢ إلاّ وقد كان أكثر منه ، فأنا لذلك شاكر ؛ فإنْ كان الأمير حَقَن دمى فقد كان منّى أيام أسد بن عبد الله ما قد علم ، فليستأنِ الأمير ويتثبّت فلست أحبّ الفتنة . فقال عصمة بن عبد الله الأسدىّ : كذبتَ ؛ وأنت تريد الشّغب ، ومالا تناله . وقال سلم بن أحْوَز : اضرب عنقه أيها الأمير ، فقال المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نُعَيم الغامدىّ : لَجلساء فرعون خير منكم ، إذ قالوا : ﴿ أرْجِه وَأخاهُ ﴾ (2) ، والله لايقتَلن الكرمانىّ بقولك يابن أحوز [وعلت الأصوات ، فأمر] (3) نصر سلمًا بحبس الكرمانىّ ، فحبس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست وعشرين ومائة ، فكلمت الأزْد ، فقال نصر : إنّى حلفت أن أحبسه ولا يبدؤه(4) منى سوء ، فإن خشيتم عليه فاختاروا رجلاً يكون معه . قال : فاختاروا يزيد النحوىّ ؛ فكان معه فى القهندز ، وصيّر حرسه بنى ناجية أصحاب عثمان وجَهْم ابنى مسعود . قال : وبعث الأزد إلى نصر المغيرة بن شعبة الجهضمىّ وخالد بن شعيب بن أبى صالح الحُدانىّ ، فكلّماه فيه . قال : فلبث فى الحبس تسعة وعشرين يومًا ؛ فقال علىّ بن وائل أحد بنى ربيعة بن حنظلة : دخلت على نَصْر ، والكِرمانىّ

---

(1) ط : « ألم أرتش » .
(2) سورة الأعراف ١١١ .
(3) من ا .
(4) ط : « يبداه » .

جالس ناحية ، وهو يقول : ما ذنبي إن كان أبو الزعفران جاء ! فوالله ما واريته ولا أعلم مكانه .

وقد كانت الأزد يوم حُبس الكرمانيّ أرادت أن تنزعه من رُسله ، فناشدهم الله الكرمانيّ ألاّ يفعلوا ، ومضى مع رسل سَلْم بن أحوز ، وهو
٢/١٨٦١ يضحك ، فلما حبس تكلّم عبد الملك بن حَرْملة اليَحْمَديّ والمغيرة بن شعبة وعبد الجبار بن شعيب بن عبّاد وجماعة من الأزْد ، فنزلوا نَوْش ، وقالوا : لا نرضى أن يحبَس الكرمانيّ بغير جناية ولا حَدَث ، فقال لهم شيوخ من اليحمَد : لا تفعلوا وانظروا ما يكون من أميركم ، فقالوا : لا نرضى ؛ ليَكفّنّ عنا نصر أو لنَبدأنّ بكم . وأتاهم عبد العزيز بن عبّاد بن جابر بن همام بن حنظلة اليحْمَديّ في مائة ، ومحمد بن المثنّى وداود بن شعيب ، فباتوا بنَوْش مع عبد الملك بن حَرْملة ومَن كان معه ، فلما أصبحوا أتوا حوْزان ، وأحرقوا منزل عزّة أمّ ولد نصر — وأقاموا ثلاثة أيام ، وقالوا : لا نرضى ؛ فعند ذلك صيَّروا عليه الأمناء ، فجعلوا معه يزيد النحويّ وغيره ، فجاء رجل من أهل نَسَف ، فقال لجعفر غلام الكرمانيّ : ما تجعلون لي إن أخرجته ؟ قالوا : لك ما سألت ، فأتى مجرى الماء من القهندز فوسّعه ، وأتى ولد الكرمانيّ ، وقال لهم : اكتبوا إلى أبيكم يستعدّ الليلة للخروج ، فكتبوا إليه ، وأدخلوا الكتاب في الطعام ، فدعا الكرمانيّ يزيد النحويّ وحصين بن حكيم فتعشّيا معه وخرجا ، ودخل الكرمانيّ السرب ، فأخذوا بعَضُده ، فانطوت على بطنه حيّة فلم تضرّه ، فقال بعض الأزد : كانت الحيّة أزْدية فلم تضرّه .

٢/١٨٦٢ قال : فانتهى إلى موضع ضيق فسحبوه فسُحج منكبه وجنبه ، فلما خرج ركب بغلته دوّامة — ويقال : بل ركب فرسه البشير — والقيْد في رجله ، فأتوْا به قرية تسمى غلَطان ، وفيها عبد الملك بن حَرْملة ، فأطلق عنه .

قال عليّ : وقال أبو الوليد زهير بن هنيد العدويّ : كان مع الكرمانيّ غلامه بسّام ، فرأى خرقًا على القهندز ، فلم يزل يوسعه حتى أمكنه الخروج منه . قال : فأرسل الكرمانيّ إلى محمد بن المثنى وعبد الملك بن حَرْملة : إني خارج

الليلة، فاجتمعوا، وخرج فأتاهم فَرْقد مولاه، فأخبرهم، فلقوه فى قرية حرْب ابن عامر، وعليه ملْحفة متقلدًا سيفًا، ومعه عبد الجبار بن شعيب وابنا الكرمانىّ: علىّ وعثمان، وجعفر غلامه، فأمر عمرو بن بكر(١) أن يأتىَ غَالِطان وأندَغ وأشْتُرْجَ معًا(٢)، وأمرهم أن يوافُوه على باب الرّيان بن سنان اليَحمدىّ بنَوْش فى المرج – وكان مصلاّهم فى العيد – فأتاهم فأخبرهم، فخرج القومُ من قراهم فى السلاح، فصلّى بهم الغَداة، وهم زهاء ألف، فما ترجّلت الشمس حتى صاروا ثلاثة آلاف، وأتاهم أهل السقادم، فسار على مَرْج نيران حتى أتى حَوْزان، فقال خلف بن خليفة:

أَصْحِروا لِلمَرْج أَجْلَى لِلعَمَى فلقد أَصْحَرَ أصحاب السَّرَبْ
إِنَّ مَرْجَ الأَزْدِ مَرْجٌ واسعٌ تَسْتَوِى الأَقدام فِيهِ والرُّكَبْ

وقيل: إن الأزْد بايعت لعبد الملك بن حَرْملة على كتاب الله عزّ وجلّ
١٨٦٣/٢ ليلة خرج الكرمانىّ، فلما اجتمعوا فى مَرْج نَوْش أقيمت الصلاة، فاختلف عبد الملك والكرمانىّ ساعة، ثم قدمه عبد الملك، وصيّرا الأمر له، فصلى الكرمانىّ. ولما هَرَب الكرمانىّ أصبح نصر معسكراً بباب مَرْو الرّوذ بناحية إبردانة، فأقام يومًا أو يومين.

وقيل: لما هرب الكرمانىّ استخلف نصر عصمة بن عبد الله الأسدىّ، وخرج إلى القناطر الخمس بباب مَرْو الرّوذ، وخطب الناس، فنال من الكرمانىّ، فقال: وُلد بكرمان وكان كِرْمانيًّا، ثم سقط إلى هَراة فكان هَرَويًّا، والساقط بين الفراشَيْن لا أصل ثابت، ولا فرع نابت، ثم ذكر الأزْد، فقال: إن يستوثقوا فأذلّ قوم، وإن يأبَوْا فهم كما قال الأخطل:

ضَفَادِع فى ظلماءِ لَيلٍ تجاوَبَتْ فَدلَّ عليها صَوْتُها حَيَّةَ البحر(٣)

ثم نَدِمَ على ما فرط منه، فقال: اذكروا الله؛ فإنّ ذكر الله شفاء، ذكر الله خيرٌ لا شرّ فيه، يُذهب الذنب، وذكرُ الله براءة من النفاق.

ثم اجتمع إلى نصر بَشَرٌ كثير، فوجّه سلم بن أحوَز إلى الكرمانىّ فى

(١) ا: «بكير». (٢) ط: «معنا».
(٣) ديوانه ١٣.

المجفّفة فى بشر كثير. فسفر الناس بين نصر والكِرمانىّ ، وسألوا نصراً أن يؤمنه ولا يحبسه ، ويضمن عنه قومُه ألّا يخالفَه . فوضع يده فى يد نصر فأمرَه بلزوم بيته ، ثم بلغه عن نصرشىء ، فخرج إلى قرية له ، وخرج نصر فعسكر بالقناطر[1] ، فأتاه القاسم بن نجيب ، فكلمه فيه فآمنه ، وقال له : إنْ شئت خرج لك عن خُراسان ، وإن شئت أقام فى داره — وكان رأى نصر إخراجه — فقال له سلم : إن أخرجتَه نوّهت باسمه وذكره ، وقال الناس : ٢/١٨٦٤
أخرجه لأنه[2] هابه ، فقال نصر : إن الذى أتخوّفه منه إذا خرج أيسر مما أتخوّفه منه وهو مقيم ، والرجل إذا نُفِىَ عن بلده صَغُر أمره . فأبوْا عليه ، فكفّ عنه ، وأعطى مَن كان معه عشرة عشرة . وأتى الكِرمانىّ نصراً ، فدخل سرادقه فآمنه . ولحق عبد العزيز بن عبد ربّه بالحارث بن سُريج . وأتى نصراً عزلُ منصور بن جمهور وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فى شوّال سنة ست وعشرين ومائة ؛ فخطب الناس ، وذكر ابن جمهور ، وقال : قد علمتُ أنه لم يكن من عمال العراق ، وقد عزله الله ، واستعمل الطيب ابن الطيب ؛ فغضب الكرمانىّ لابن جمهور ، فعاد فى جمْع الرجال واتخاذ السلاح . وكان يحضر الجمعة فى ألف وخمسمائة وأكثر وأقلّ ، فيصلى خارجاً من المقصورة ثم يدخل على نَصْر ، فيسلم ولا يجلس . ثم ترك إتيانَ نَصر وأظهر الخِلاف ، فأرسل إليه نصر مع سلْم بن أحوز : إنّى والله ما أردت بك فى حَبْسك سوءاً ، ولكن خفتُ أن تفسِدَ أمر الناس ؛ فأتنى . فقال الكِرمانىّ : لو لا أنك فى منزلى لقتلتُك ، ولولا ما أعرف من حُمقك أحسنتُ أدَبك ، فارجع إلى ابن الأقطع فأبلغه ما شئت من خَير وشرّ[3]. فرجع إلى نصر فأخبره ، فقال : عُدْ إليه ، فقال : لا والله ؛ وما بى هيبة له ولكنى أكره أن يُسمِعَنى فيك ما أكره . فبعث إليه عصمة بن عبد الله الأسدىّ ، ٢/١٨٦٥
فقال : يا أبا علىّ ، إنى أخاف عليك عاقبَة ما ابتدأتَ به فى دينك ودنياك ، ونحن نعرض عليك خِصالا ؛ فانطلق إلى أميرك يعرضها عليك ، وما نريد

---

(١) ابن الأثير : « بباب مرو » . (٢) ط : « إنه » .
(٣) ابن الأثير : « أوشر » .

بذلك إلا الإنذار إليك . فقال الكرمانىّ : إنى أعلم أن نصراً لم يقل هذا لك ولكنك أردت أن يبلغه فتحظى ، والله لا أكلمك كلمة بعد انقضاء كلامى حتى ترجع إلى منزلك ، فيرسل مَن أحب غيرك . فرجع عصمة ، وقال : ما رأيت علجاً أعدى لطوره من الكرمانىّ ، وما أعجبُ منه ؛ ولكن من يحيى بن حُضين لعنهم الله! [والله لهم[١]] أشدّ تعظيماً له من أصحابه . قال سَلْم ابن أحوز : إنى أخاف فساد هذا الثغر والناس ، فأرسل إليه قُدَيداً . وقال نصر لقُديد بن منيع : انطلق إليه ، فأتاه فقال له : يا أبا علىّ ، لقد لجَجْتَ وأخاف أن يتفاقم الأمر فنهلك جميعاً ، وتشمت بنا هذه الأعاجم ، فقال : يا قُديد ؛ إنى لا أتهمك ؛ وقد جاء ما لا أثق بنصر معه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «البكرىّ أخوك ولا تثق به» ؛ قال : أما إذْ وقع هذا فى نفسك فأعطه رهناً ، قال : من؟ قال : أعطه علياً وعثمان ، قال : فمن يعطينى ؟ ولا خير فيه ، قال : يا أبا علىّ ، أنشدك الله أن يكون خراب هذه البلدة على يديك . ورجع إلى نصر ، فقال لعَقيل بن معقل الليثىّ : ما أخوفنى أن يقع بهذا الثغر بلاء ، فكلم ابن عمك ، فقال عَقيل لنصر : أيها الأمير ؛ أنشدك الله أن تشأم عشيرتك ؛ إن مرْوان بالشأم تقاتله الخوارج ، والناس فى فتنة والأزْد سفهاء وهم جيرانك . قال : فما أصنع ؟ إن علمتَ أمراً يُصلح الناس فدونك ؛ فقد عزم أنه ٢/١٨٦٦
لا يثق بى . قال : فأتى عَقيل الكرمانىّ ، فقال : أبا علىّ ، قد سننت سنة تُطلَبُ بعدك من الأمراء ، إنى أرى أمراً أخاف أن تذهب فيه العقول ، قال الكرمانىّ : إنّ نصراً يريد أن آتيه ولا آمنه ، ونريد أن يعتزل ونعتزل ، ونختار رجلا من بكْر بن وائل ، نرضاه جميعاً ، فيلى أمرنا جميعاً حتى يأتىَ أمرٌ من الخليفة ؛ وهو يأبَى هذا . قال : يا أبا علىّ ، إنى أخاف أن يهلك أهلُ هذا الثغر ، فأت أميرك وقل ما شئت تُجَبْ إليه ، ولا تُطمِع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه ، فقال الكرمانىّ : إنى لا أتهمك فى نصيحة ولا عقل ، ولكنّى لا أثق بنصر ؛ فليحمل من مال خراسان ما شاء ويشخص . قال : فهل لك فى أمر يجمع الأمر بينكما ؟ تتزوّج إليه ويتزوّج إليك ، قال : لا آمنه على حال ،

(١) من ا .

قال : ما بعد هذا خيرٌ ، وإنى خائف أن تهلِك غداً بمضْيَعة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له عَقيل : أعود إليك ؟ قال : لا ؛ ولكن أبلغه عنى وقل له : لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد، فتركب منا ما لا بقيّة بعده ؛ فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ، ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة، وأسفك الدّماء فيها . وتهيّأ ليخرج إلى جرجان .

* * *

[خبر الحارث بن سريج مع يزيد]

١٨٦٧/٢ وفى هذه السنة آمن يزيد بن الوليد الحارثَ بن سريج ،وكتب له بذلك، فكتب إلى عبد الله بن عمر يأمره بردّ ما كان أخذ منه من ماله وولده .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذكر أنّ الفتنة لما وقعت بخراسان بين نَصْر والكرمانىّ، خاف نصر قدوم الحارث بن سُرَيج عليه بأصحابه والترك ، فيكون أمره أشدّ عليه من الكرمانىّ وغيره، وطمع أن يناصحه، فأرسل إليه مقاتل بن حيّان النَّبَطىّ وثعلبة بن صفوان البنانىّ وأنس بن بَجَالة الأعرجىّ وهُدْبَة الشعراوىّ وربيعة القرشىّ ليردّوه عن بلاد الترك .

فذكر علىّ بن محمد عن شيوخه أن خالد بن زياد البدّىّ من أهل الترمذ وخالد بن عمرو مولى بنى عامر، خرجا إلى يزيد بن الوليد يطلبان الأمان للحارث بن سُرَيج ، فقدما الكوفة ، فلقيا سعيد خُذَينة ، فقال لخالد ابن زياد : أتدرى لم سمّونى خُذَينة ؟ قال: لا ، قال : أرادونى على قتل أهل اليمن فأبيت . وسألا أبا حنيفة أن يكتب لهما إلى الأجْلح — وكان من خاصة يزيد بن الوليد — فكتب لهما إليه، فأدخلهما عليه، فقال له خالد بن زياد : يا أمير المؤمنين ، قتلت ابن عمك لإقامة كتاب الله ،وعمّالك يغشمون ويظلمون! قال : لا أجد أعوانًا غيرهم، وإنى لأبغضهم ، قال : يا أمير المؤمنين ، ولّ أهل البيوتات ، وضمّ إلى كلّ عامل رجالا من أهل الخير والفقه يأخذونهم بما فى عهدك ، قال : أفعل ، وسألاه أمانًا للحارث بن سريج ، فكتب له :

١٨٦٨/٢ أما بعد ، فإنا غضبنا لله ، إذْ عُطلت حدوده ، وبُلغ بعباده كلّ مبلغ ،

وسفكت الدماء بغير حلّها، وأخذت الأموال بغير حقها، فأردنا أن نعمل فى هذه الأمة بكتاب الله جلّ وعزّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا قوّة إلا بالله؛ فقد أوضحنالك عن ذات أنفسنا، فأقبل آمنًا أنت ومن معك؛ فإنكم إخواننا وأعواننا. وقد كتبتُ إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بردّ ما كان اصطفى من أموالكم وذراريكم.

فقدما الكوفة فدخلا على ابن عمر، فقال خالد بن زياد: أصلح الله الأمير! ألا تأمر عمالك بسيرة أبيك؟ قال: أوليس سيرة عمر ظاهرة معروفة! قال: فما ينفع النّاس منها ولا يُعمل بها! ثم قدما مَرْو فدفعا كتاب يزيد إلى نصر، فردّ ما كان أخذ لهمْ مما قدر عليه. ثم نفذا إلى الحارث، فلقيا مقاتل بن حيّان وأصحابه الذين وجّههم نصر إلى الحارث. وكان ابن عمر كتب إلى نصر: إنك آمنت الحارث بغير إذنى ولا إذن الخليفة. فأسْقِط فى يديه، فبعث يزيد بن الأحمر وأمره أن يفتك بالحارث إذا صار معه فى السفينة. فلما لقيا مقاتلا بآمُل قطع إليه مقاتل بنفسه، فكفّ عنه يزيد. قال: فأقبل الحارث يريد مَرْو - وكان مقامه بأرض الشرْك اثنتى عشرة سنة - وقدم معه القاسم الشيبانىّ ومضرّس بن عمران قاضيه وعبد الله بن سنان. فقدم سمرقند وعليها منصور بن عمر فلم يتلقّه، وقال: أُحْسِنْ بلائه! وكتب إلى نصر يستأذنه فى الحارث أن يثبَ به، فأيّهما قتل صاحبه فإلى الجنة أو إلى النار. وكتب إليه: لئن قدم الحارث على الأمير وقد ضرّ ببنى أمية فى سلطانهم؛ وهو والغ فى دم بعد دم، قد طوى كشحًا عن الدنيا بعد أن كان ٢/١٨٦٩
فى سلطانهم أقراهم لضيف، وأشدهم بأسًا، وأنفذهم غارة فى الترك؛ ليفرّقن عليك بنى تميم. وكان سَرْدرخُداه محبوسًا عند منصور بن عمر؛ لأنه قتل بياسان، فاستعدى ابنُه جنده[1] منصوراً، فحبسه، فكلم الحارث منصوراً فيه، فخلّى سبيله، فلزم الحارث ووفّى له.

* * *

[كتاب إبراهيم الإمام إلى شيعة بنى العباس]

وفى هذه السنة - فيما زعم بعضهم - وجّه إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشم بُكير بن ماهان إلى خراسان، وبعث معه بالسيرة والوصيّة. فقدم مَرْو،

(١) هو جنده بن بياسان.

وجمع النقباء ومَنْ بها من الدّعاة، فنعى لهم الإمام محمد بن علىّ ، ودعاهم إلى إبراهيم ، ودفع إليهم كتاب إبراهيم، فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة ، فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد .

[ذكر بيعة إبراهيم بن الوليد بالعهد]

وفى هذه السنة أخذ يزيد بن الوليد لأخيه إبراهيم بن الوليد على الناس البيعة ، وجعله ولىّ عهده ، ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم ابن الوليد ؛ وكان السبب فى ذلك — فيما حدثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ ابن محمد — أن يزيد بن الوليد مرض فى ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، فقيل له : بايع لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده. قال : فلم تزل القَدَرِية يحثُّونه على البيعة ، ويقولون له: إنه لا يحلّ لك أن تهمل أمْرَ الأمة فبايع لأخيك ؛ حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده .

وفى هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة ، ١٨٧٠/٢
وولّاها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان . قال محمد بن عمر : يقال إن يزيد بن الوليد لم يولّه، ولكنه افتعل كتاباً بولايته المدينة، فعزله يزيد عنها ، وولّاها عبد العزيز بن عمر ، فقدمها لليلتين بقيتا من ذى القعدة .

[ذكر خلاف مروان بن محمد على يزيد]

وفى هذه السنة أظهر مرْوان بن محمد الخلاف على يزيد بن الوليد ؛ وانصرف من أرمينيّة إلى الجزيرة ، مظهراً أنه طالبٌ بدم الوليد بن يزيد . فلما صار بحرّان بايع يزيد .

• ذكر الخبر عما كان منه فى ذلك وعن السبب الذى حمله على الخلاف ثم البيعة :

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد ابن يزيد بن هريم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان — وسألته عما شهد مما حدثنا به فقال : لم أزل فى عسكر مرْوان بن محمد — قال : كان عبد الملك بن مرْوان بن محمد بن مروان حين

انصرف عن غَزاته الصائفة مع الغَمْر بن يزيد بحرّان ، فأتاه قتلُ الوليد وهو بها ، وعلى الجزيرة عَبْدة بن رباح الغسانىّ عاملا للوليد عليها ، فشخص منها — حيث بلغه قتلُ الوليد — إلى الشأم ، ووثب عبد الملك بن مَرْوان بن
١٨٧١/٢ محمدعلى حرّان ومدائن الجزيرة فضبطها ، وولّاها سليمان بن عبد الله بن عُلاثة ، وكتب إلى أبيه بأرمينيَة يعلمه بذلك ، ويشير عليه بتعجيل السير والقدوم. فتهيّأ مَرْوان للمسير ، وأظهر أنه يطلب بدم الوليد، وكره أن يَدَع الثَّغْر معطّلا حتى يُحكم أمْره ؛ فوجّه إلى أهل الباب إسحاق بن مسلم العقيلىّ — وهو رأس قيس — وثابت بن نعيم الجذامىّ من أهل فلسطين — وهو رأس اليمن — وكان سبب صحبة ثابت إياه أن مروان كان خلّصه من حبس هشام بالرُّصافة. وكان مَرْوان يقدُم على هشام المرّة فى السنتين ، فيرفع إليه أمر الثَّغْر وحاله ومصلحة مَنْ به من جنوده ، وما ينبغى أن يعمل به فى عدوّه .وكان سبب حبس هشام ثابتًا ما قدذكرنا قبل من أمره مع حَنْظلة بن صفوان وإفساده عليه الجند الذين كان هشام وجههم معه لحرب البربر وأهل إفريقيَة؛ إذ قتلوا عامل هشام عليهم ، كلثوم بن عياض القسرىّ، فشكا ذلك من أمره حنظلة إلى هشام فى كتاب كتبه إليه ، فأمر هشام حنظلة بتوجيهه إليه فى الحديد، فوجّهه حنظلة إليه، فحبسه هشام، فلم يزل فى حبسه حتى قدم مروان بن محمد على هشام فى بعض وفاداته — وقد ذكرنا بعض أمر كلثوم ابن عياض وأمر إفريقية معه فى موضعه فيما مضى من كتابنا هذا — فلما قدم مروان على هشام أتاه رءوس أهل اليمانية ؛ ممن كان مع هشام ، فطلبوا إليه فيه ؛ وكان ممن كلّمه فيه كعب بن حامد العبسىّ صاحب شرط هشام وعبد الرحمن بن الضخم وسليمان بن حبيب قاضيه ، فاستوهبه مَرْوان منه فوهبه
١٨٧٢/٢ له ، فشخص إلى أرمينيَة ، فولّاه وحبَاه ، فلما وجّه مروان ثابتًا مع إسحاق إلى أهل الباب ، كتب إليهم معهما كتابًا يعلمهم فيه حال ثغرهم وما لهم من الأجر فى لزوم أمرهم ومراكزهم ، وما فى ثبوتهم فيه من دفْع مكروه العدوّ عن ذرارىّ المسلمين .

قال : وحمل إليهم معهما أعطياتِهم ، وولّى عليهم رجلا من أهل

فلسطين يقال له حميد بن عبد الله اللخميّ — وكان رضيًّا فيهم وكان وليهم قبل ذلك — فحمدوا ولايتَه. فقاما فيهم بأمره، وأبلغاهم رسالته، وقرآ عليهم كتابه، فأجابوا إلى الثبوت فى ثغرهم ولزوم مراكزهم. ثم بلغه أنّ ثابتًا قد كان يدسّ إلى قوّادهم بالانصراف من ثَغْرهم واللحاق بأجنادهم، فلما انصرفا إليه تهيّأ للمسير وعرض جنده، ودسّ ثابت بن نعيم إلى من معه من أهل الشأم بالانخزال عن مَرْوان والانضمام إليه ليسير بهم إلى أجنادهم، ويتولّى أمرهم؛ فانخزلوا عن عسكرهم مع من فرّ ليلا وعسكروا على حِدة. وبلغ مروان أمرُهم فبات ليلَته ومن معه فى السلاح يتحارسون حتى أصبح؛ ثم خرج إليهم بمن معه ومن مع ثابت يضعفون على من مع مَرْوان، فصافّوهم ليقاتلوهم، فأمر مروان منادين فنادوْا بين الصّفين من الميمنة والميسرة والقلب، فنادوهم: يا أهل الشأم؛ ما دعاكم إلى الانعزال! وما الذى نقمتم علىّ فيه من سِيرَتى! ألم أَلِكم بما تحبّون، وأحسن السيرة فيكم والولاية عليكم! ما الذى دعاكم إلى سفك دمائكم! فأجابوه بأنا كنا نطيعك بطاعة خليفتنا وقد قتِل خليفتنا وبايع أهل الشأم يزيد بن الوليد، فرضينا بولاية ثابت، ورأسناه ليسير بنا على ألويتنا حتى نردّ إلى أجنادنا. فأمر مناديه فنادى: أن قد كذبتم، وليس تريدون الذى قلتم؛ وإنما أردتم أن تركبوا رءوسكم، فتغصِبوا من مررتم به من أهل الذّمة أموالَهم وأطعمتَهم وأعلافهم؛ وما بينى وبينكم إلا السيف حتى تنقادوا إلىّ، فأسير بكم حتى أوردِكم الفرات، ثم أخلّى عن كل قائد وجنده، فتلحقون بأجنادكم. فلما رأوا الجدّ منه انقادوا إليه ومالوا له، وأمكنوه من ثابت بن نعيم وأولاده؛ وهم أربعة رجال: رفاعة، ونعيم، وبكْر، وعمران. قال: فأمر بهم فأنزِلوا عن خيولهم، وسلِبوا سلاحهم، ووضع فى أرجلهم السلاسل. ووكّل بهم عدّة من حَرَسِه يحتفظون بهم، وشخص بجماعة من الجند من أهل الشأم والجزيرة، وضمهم إلى عسكره، وضبطهم فى مسيره، فلم يقدر أحد منهم على أن يفسد ولا يظلم أحداً من أهل القرى، ولا يرزأه شيئًا إلا بثمن، حتى ورد حرّان. ثم أمرهم باللحاق بأجنادهم، وحبس ثابتًا معه،

(the margin number is beside the line beginning «وقد قتِل خليفتنا»)

ودعا أهل الجزيرة إلى الفَرْض، ففرض لنيِّف وعشرين ألفاً من أهل الجَلَد منهم، وتهيَّأ للمسير إلى يزيد، وكاتبه يزيد على أن يبايعه ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولّى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وأرمينيّة والموصل وأذْربيجان، فبايع له مَرْوان، ووجّه إليه محمد بن عبد الله بن عُلاثة ونفراً من وجوه الجزيرة.

* * *

[ذكر خبر وفاة يزيد بن الوليد]

١٨٧٤/٢ وفى هذه السنة مات يزيد بن الوليد، وكانت وفاته سلخ ذى الحجة من سنة ست وعشرين ومائة، قال أبو معشر ما حدثنى به أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه: توفِّىَ يزيد بن الوليد فى ذى الحجة بعد الأضحى سنة ست وعشرين ومائة، وكانت خلافته فى قول جميع من ذكرنا ستة أشهر، وقيل كانت خلافته خمسة أشهر وليلتين.

وقال هشام بن محمد: ولى ستة أشهر وأياماً. وقال علىّ بن محمد: كانت ولايته خمسة أشهر واثنى عشر يوماً.

وقال علىّ بن محمد: مات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وهو ابن ست وأربعين سنة.

وكانت ولايته فيما زعم ستة أشهر وليلتين، وتوفى بدمشق.

واختلف فى مبلغ سنه يوم توفّى فقال هشام توفى وهو ابن ثلاثين سنه. وقال بعضهم: توفِّىَ وهو ابن سبع وثلاثين سنة. وكان يكنى أبا خالد وأمه أم ولد اسمها شاه آفْريد بنت فَيْرُوز بن يَزْدجِرْد بن شَهْريار ابن كسرى. وهو القائل:

أنَا ابنُ كِسْرى وأبى مروانْ   وقيصر جدّى وجدّ خاقانْ

وقيل: إنه كان قَدَرِيّاً. وكان - فيما حدثنى أحمد، عن علىّ بن محمد فى صفته - أسمر طويلا، صغير الرأس، بوجهه خال. وكان جميلاً من رجل، فى فمه بعض السعة، وليس بالمفرِط.

وقيل له يزيد الناقص لنقصه الناس العشرات التى كان الوليد زادها الناس فى قول الواقدىّ؛ وأما علىّ بن محمد فإنه قال: سبّه مروان بن محمد، فقال: الناقص ابن الوليد، فسمّاه الناس الناقص.

* * *

١٨٧٥/٢ وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مَرْوان فى قول الواقدىّ. وقال بعضهم: حجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن عبد الله ابن عبد الملك، بعثه يزيد بن الوليد، وخرج معه عبدالعزيز وهو على المدينة ومكة والطائف.

وكان عامله على العراق فى هذه السنة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وعلى قضاء الكوفة ابن أبى لَيْلى، وعلى أحداث البصرة المسوَّر بن عمر بن عبّاد. وعلى قضائها عامر بن عبيدة، وعلى خراسان نصر بن سيار الكنانىّ.

* * *

خلافة أبى إسحاق إبراهيم بن الوليد

ثم كان إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك بن مروان غير أنه لم يتمّ له أمر. فحدثنى أحمد بن زهير، عن علىّ بن محمد، قال: لم يتمّ لإبراهيم أمره، وكان يسلَّم عليه جمعة بالخلافة، وجمعة بالإمْرة؛ وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمْرة؛ فكان على ذلك أمره حتى قدم مَرْوان بن محمد فخلعه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

وقال هشام بن محمد: استخلف يزيد بن الوليد أبا إسحاق إبراهيم بن الوليد؛ فمكث أربعة أشهر ثم خلِع فى شهر ربيع الآخر من سنة ست وعشرين ومائة، ثم لم يزل حيًّا حتى أصيب فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمه أمّ ولد.

حدثنى أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهم، قال: حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد، قال: كانت ولاية إبراهيم بن الوليد سبعين ليلة.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة ٢/١٨٧٦

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع إبراهيم بن الوليد]

فمما كان فيها من ذلك مسير مروان بن محمد إلى الشأم والحرب التى جرت بينه وبين سليمان بن هشام بعين الجَرّ.

* ذكر ذلك والسبب الذى كانت عنه هذه الوقعة:

قال أبو جعفر: وكان السبب ما ذكرتُ بعضه؛ من أمر مسيرِ مروان بعد مقتل الوليد بن يزيد إلى الجزيرة من أرمينيَة، وغلَبته عليها، مظهرًا أنه ثائر بالوليد، منكرٌ قتله، ثم إظهاره البيْعة ليزيد بن الوليد بعد ما ولّاه عمل أبيه محمد بن مروان، وإظهاره ما أظهر من ذلك، وتوجيهه وهو بحرّان محمد بن عبد الله بن عُلاثة وجماعة من وجوه أهل الجزيرة. فحدثنى أحمد، قال: حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدّثنا أبو هاشم مخلَّد بن محمد، قال: لما أتى مَرْوانَ موتُ يزيد أرسل إلى ابن عُلاثة وأصحابه فردّهم من مَنْبِج، وشخص إلى إبراهيم بن الوليد، فسار مَرْوان فى جند الجزيرة، وخلّف ابنه عبد الملك فى أربعين ألف من الرَّابطة بالرقّة. فلما انتهى إلى قِنَّسرين، وبها أخ ليزيد بن الوليد يقال له بِشْر، كان ولاه قنَّسرين فخرج إليه فصافّه، فنادى الناس، ودعاهم مرْوان إلى مبايعته، فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة فى القيسيّة، وأسلموا بشراً وأخًا له يقال له مسرور بن الوليد؛

٢/١٨٧٧ — وكان أخا بِشْر لأمه وأبيه — فأخذه مرْوان وأخاه مسرور بن الوليد؛ فحبسهما وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وأهل قِنَّسرين، متوجّهًا إلى أهل حِمْص؛ وكان أهل حمص امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد أن يبايعوا إبراهيم وعبد العزيز ابن الحجاج، فوجّه إليه إبراهيم عبدَ العزيز بن الحجاج وجندَ أهل دمشق، فحاصرهم فى مدينتهم، وأغذّ مَرْوان السَّير، فلما دنا من مدينة حِمْص، رحل عبد العزيز عنهم، وخرجوا إلى مَرْوان فبايعوه، وساروا بأجمعهم معه،

ووجّه إبراهيم بن الوليد الجنودَ مع سليمان بن هشام، فسار بهم حتى نزل عين الجَرّ، وأتاه مروان وسليمان فى عشرين ومائة ألف فارس ومروان فى نحو من ثمانين ألفًا فالتقيا، فدعاهم مَرْوان إلى الكفّ عن قتاله، والتخلية عن ابنى الوليد: الحكَم وعثمان، وهما فى سجن دمشق محبوسان، وضمِن عنهما ألّا يؤاخذاهم بقتلهم أباهما، وألّا يطلبا أحداً ممن ولى قتله؛ فأبوْا عليه، وجدّوا فى قتاله؛ فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر، واستحرّ القتل بينهم؛ وكثر فى الفريقين. وكان مَرْوان مجرّباً مكايداً، فدعا ثلاثة نفر من قوّاده – أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم يقال له عيسى – فأمرهم بالمسير خلف صَفّه فى خيله وهم ثلاثة آلاف، ووجّه معهم فَعَلة بالفؤوس، وقد ملأ الصّفان من أصحابه وأصحاب سليمان بن هشام ما بين الجبلين المحيطين بالمرْج، وبين العسكرين نهر جرّار، وأمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشَّجَر، فيعقدوا جسوراً، ويجوزوا إلى عسكر سليمان، ويغيروا فيه.

١٨٧٨/٢ قال: فلم تشعر خيول سليمان وهم مشغولون بالقتال إلّا بالخيل والبارقة[1] والتكبير فى عسكرهم من خلْفهم، فلما رأوْا ذلك انكسروا؛ وكانت هزيمتهم، ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحَرَدهم عليهم، فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفًا، وكفّ أهلُ الجزيرة وأهل قِنَّسرين عن قتلهم، فلم يقتلوا منهم أحداً، وأتوا مروان من أسرائهم بمثل عدّة القتلى وأكثر، واستبيح عسكرهم. فأخذ مَرْوان عليهم البَيْعة للغلامَين: الحكم وعثمان، وخلّى عنهم بعد أن قوّاهم بدينار دينار، وألحقهم بأهاليهم، ولم يقتل منهم إلّا رجلين يقال لأحدهما يزيد بن العقّار وللآخر الوليد بن مَصاد الكلبيّان؛ وكانا فيمن سار إلى الوليد ولِىَ قتله. وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسرىّ معهم، فسار حتى هرب فيمن هرب مع سليمان بن هشام إلى دمشق؛ وكان أحدهما – يعنى الكلبيّين – على حرس يزيد والآخر على شُرَطه؛ فإنه ضربهما فى موقفه ذلك بالسياط، ثم أمر بهما فحبسا فهلكا فى حبسه.

قال: ومضى سليمان ومَن معه من الفلّ حتى صبّحوا دمشق، واجتمع

---

(١) البارقة: السيوف؛ سميت بذلك لبريقها.

إليه وإلى إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج رءوس من معهم ، وهم يزيد بن خالد القسريّ وأبو علاقة السكسكيّ والأصبَغ بن ذُؤالة الكلبيّ ونظراؤهم ؛ فقال بعضهم لبعض : إن بقى الغلامان ابنا الوليد حتى يقدم مروان ويخرجهما من الحبس ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما ؛ والرأى أن نقتلهما. فولّوا ذلك يزيد بن خالد — ومعهما فى الحبس أبو محمد السفيانيّ ويوسف بن عمر —
٢/١٨٧٩ فأرسل يزيد مولًى لخالد يقال له أبا الأسد ، فى عدّة من أصحابه ، فدخل السجن ، فشدَخ الغلامين بالعُمد ؛ وأخرج يوسف بن عمر ليقتلوه ، وضُربت عنقه . وأرادوا قتل أبى محمد السفيانىّ ، فدخل بيتاً من بيوت السجن فأغلقه ، وألقى خلفه الفرش والوسائد ، واعتمد على الباب فلم يقدروا على فتحه ، فدعوْا بنار ليحرقوه فلم يؤتوا بها ، حتى قيل : قد دخلت خيل مروان المدينة وهرب إبراهيم بن الوليد ، وتغيّب ، وأنهب سليمان ما كان فى بيت المال وقسّمه فيمن معه من الجنود وخرج من المدينة .

* * *

[ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة دعا إلى نفسه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بالكوفة ، وحارب بها عبدَ الله بن عمر بن عبد العزيز ابن مَرْوان ، فهزمه عبدُ الله بن عمر ، فلحق بالجبال فغلب عليها .

* ذكر الخبر عن سبب خروج عبد الله ودعائه الناس إلى نفسه :

وكان إظهار عبد الله بن معاوية الخلاف على عبد الله بن عمر ونصبه الحرب له — فيما ذكر هشام عن أبى مخنف — فى المحرّم سنة سبع وعشرين ومائة . وكان سبب خروجه عليه — فيما حدّثنى أحمد ، عن علىّ بن محمد ، عن عاصم ابن حفص التميميّ وغيره من أهل العلم — أنّ[1] عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، يلتمس صلته ،[2]
٢/١٨٨٠ لا يريد خروجاً ، فتزوّج ابنة حاتم بن الشرقىّ بن عبد المؤمن بن شبَث بن

(١) الخبر فى الأغانى ١٢ : ٢٢٨ وما بعدها .
(٢) الأغانى : « مستميحاً » .

ربعىّ ، فلما وقعت العصبيّة قال له أهل الكوفة : ادعُ إلى نفسك ، فبنو هاشم أولى بالأمر من بنى مرْوان ، فدعا سرًّا بالكوفة وابن عمر بالحيرة ، وبايعه ابن ضَمْرة الخُزاعىّ ، فدسّ إليه ابن عمر فأرضاه ، فأرسل إليه : إذا نحن التقيْنا بالناس انهزمتُ بهم . وبلغ ابن معاوية ، فلما التقى الناس قال ابن معاوية : إنّ ابن ضَمْرة قد غَدَر ، ووعد ابن عمر أن ينهزم بالناس ؛ فلا يهولنّكم انهزامه ، فإنه عن غَدْر يفعل . فلما التقوْا انهزم ابن ضَمْرة ، وانهزم الناس ، فلم يبق معه أحد ، فقال :

تَفَرَّقَتِ الظباءُ على خِداشٍ فما يَدْرِى خداش ما يَصِيدُ

فرجع ابنُ معاوية إلى الكوفة ؛ وكانوا التقوْا ما بين الحيرة والكوفة ، ثم خرج إلى المدائن فبايعوه ، وأتاه قوم من أهل الكوفة ، فخرج فغلب على حلْوان والجبال .

قال : ويقال قدم عبد الله بن معاوية الكوفة وجمع جمعًا ، فلم يعلم عبد الله بن عمر حتى خرج فى الجبّانة مجمعًا على الحرب ، فالتقوْا ، وخالد بن قَطَن الحارثىّ على أهل اليمن ، فشدّ عليه الأصبغ بن ذؤالة الكلبىّ فى أهل الشأم ، فانهزم خالد وأهل الكوفة وأمسكت نزار عن نزار ورجعوا ، وأقبل خمسون رجلا من الزّيديّة إلى دار ابن محرز القرشىّ يريدون القتال ، فقتلوا ، ولم يقتل من أهل الكوفة غيرهم .

قال : وخرج ابن معاوية من الكوفة مع عبد الله بن عباس التميمىّ إلى المدائن ، ثم خرج منها فغلب على الماهين وهَمَذان وقومس وأصبهان والرّىّ ، ١٨٨١/٢
وخرج إليه عبيد أهل الكوفة ، وقال :

فلا تَرْكَبَنَّ الصنيعَ الذى تَلُومُ أخاكَ على مثلِهِ[1]

---

(١) قبلهما فى الأغانى :

ألا تزعُ القلْبَ عن جهله وعمّا تُؤنّب من أجْلِهِ !
فأُبدِل بعد الصبا حلمَهُ وأقصر ذو العذلِ عن عذلِه

وَلا يُعْجِبَنّكَ قَولُ امْرِئٍ يخالف ما قال فى فعله(١)

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنّى ؛ فإنه زعم أن سبب ذلك أن عبد الله والحسن ويزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدموا على عبد الله بن عمر ؛ فنزلوا فى النَّخَع ، فى دار مولى لهم ، يقال له الوليد بن سعيد ، فأكرمهم ابن عمر وأجازهم ، وأجرى عليهم كلّ يوم ثلثمائة درهم ، فكانوا كذلك حتى هلك يزيد بن الوليد ، وبايع الناس أخاه إبراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز ابن الحجاج بن عبد الملك ، فقدِمت بيعتهما على عبد الله بن عمر بالكوفة ، فبايع الناس لهما ، وزادهم فى العطاء مائة مائة ؛ وكتب ببيعتهما إلى الآفاق ، فجاءته البيعة ، فبينا هو كذلك ؛ إذ أتاه الخبر بأنّ مروان بن محمد قد سار فى أهل الجزيرة إلى إبراهيم بن الوليد ، وأنه امتنع من البيعة له ، فاحتبس عبد الله بن عمر عبدَ الله بن معاوية عنده ، وزاده فيما كان يجرى عليه ، وأعدّه لمروان ابن محمد إن هو ظفر بإبراهيم بن الوليد ليبايع له ؛ ويقاتل به مرْوان ؛ فماج الناس فى أمرهم ، وقرب مرْوان من الشأم ، وخرج إليه إبراهيم فقاتله مروان ، فهزمه وظفر بعسكره وخرج هاربًا ، وثبت عبد العزيز بن الحجاج يقاتل حتى قتِل . وأقبل إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسرىّ هاربًا حتى

١٨٨٢/٢ أتى الكوفة ؛ وكان فى عسكر إبراهيم ، فافتعل كتابًا على لسان إبراهيم بولاية الكوفة ، فأرسل إلى اليمانية ، فأخبرهم سرًّا أنّ إبراهيم بن الوليد ولّاه العراق ، فقبلوا ذلك منه ، وبلغ الخبرُ عبدَ الله بن عمر فباكره صلاةَ الغداة ، فقاتله من ساعته ، ومعه عمر بن الغضْبان ؛ فلما رأى إسماعيل ذلك — ولا عهد معه وصاحبه الذى افتعل العهد على لسانه هارب منهزم — خاف أن يظهر أمره فيفتضح ويقتل ، فقال لأصحابه : إنى كارهٌ لسفك الدماء ؛ ولم أحسّ أن يبلغ الأمر ما بلغ ، فكفّوا أيديَكم . فتفرّق القوم عنه ، فقال لأهل بيته : إنّ إبراهيم قد هرب ، ودخل مروان دمشق ، فحُكى ذلك عن

(١) بعدها فى الأغانى :

ولا تُتبع الطرْفَ ما لا تنالُ ولكن سلِ الله من فضلِه
فكمْ من مقلٍّ ينال الغنَى ويحمد فى رزقِه كُلِّهِ

أهل بيته ، فانتشر الخبر ، واشرأبّت الفتنة ، ووقعت العصبيّة بين الناس .
وكان سبب ذلك أن عبد الله بن عمر كان أعطى مضَر وربيعة عطايا عظاماً ، ولم يعطِ جعفر بن نافع بن القعقاع بن شوْر الذهليّ وعثمان بن الخَيْبَرِيّ أخا بنى تيم اللات بن ثعلبة شيئاً ، ولم يسوّهما بنظرائهما ؛ فدخلا عليه ؛ فكلّماه كلاماً غليظاً ، فغضب ابنُ عمر ، وأمر بهما ، فقام إليهما عبدالملك الطائىّ — وكان على شُرَطه يقوم على رأسه — فدفعهما ، فدفعاه وخرجا مغضَبيْن. وكان ثمامة بن حوْشب بن رُويم الشيبانىّ حاضراً ، فخرج مغاضباً لصاحبيه ، فخرجوا جميعاً إلى الكوفة ، وكان هذا وابن عمر بالحيرة ، فلما دخلوا الكوفة نادوا : يا آل ربيعة ، فثارت إليهم ربيعة ، فاجتمعوا وتنمّروا ، وبلغ الخبرُ ابنَ عمر ، فأرسل إليهم أخاه عاصماً ، فأتاهم وهم بدير هند قد اجتمعوا وحشدوا ، فألقى نفسه بينهم ، وقال : هذه يدى لكم فاحكموا ؛ فاستحيَوْا وعظّموا عاصماً ، وتشكّروا له ، وأقبل على صاحبيْهم فسكتا وكفّا ، فلمّا أمسى ابنُ عمر ١٨٨٣/٢
أرسل من تحت ليلته إلى عمر بن الغضْبان بمائة ألف ، فقسمها فى قومه بنى همام بن مرة بن ذُهْل بن شيبان ، وأرسل إلى ثُمامة بن حوْشب بن رُويم بمائة ألف ، فقسّمها فى قومه ، وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف ، وإلى عثمان بن الخيبرىّ بعشرة آلاف .

قال أبو جعفر : فلما رأت الشيعة ضَعْفَه اغتمزوا فيه ، واجترءوا عليه وطمعوا فيه ودعوْا إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . وكان الذى ولى ذلك هلال ابن أبى الورد مولى بنى عجل ، فثاروا فى غوغاء الناس حتى أتوا المسجد ، فاجتمعوا فيه وهلال القائم بالأمر ، فبايعه ناس من الشيعة لعبد الله بن معاوية ، ثم مضوا من فوْرهم إلى عبد الله ، فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد ؛ حتى أدخلوه القصر ، وحالوا بين عاصم بن عمر وبين القصر ، فلحق بأخيه عبد الله بالحيرة ، وجاء ابنَ معاوية الكوفيون فبايعوه ، فيهم عمر بن الغضبان بن القبعثرىّ ومنصور بن جمهور وإسماعيل بن عبد الله القسرىّ ومَن كان من أهل الشأم بالكوفة له أهل وأصل ، فأقام بالكوفة أياماً يبايعه الناس ، وأتته البيْعة من المدائن وفمِ النيل ، واجتمع إليه الناس ، فخرج يريد عبد الله بن عمر بالحيرة ،

وبرز له عبد الله بن عمر فيمن كان معه من أهل الشأم ، فخرج رجل من أهل الشأم يسأله البراز ، فبرز له القاسم بن عبد الغفار ، فقال له الشامىّ[1] : لقد
١٨٨٤/٢ دعوتُ حين دعوت ، وما أظنّ أن يخرج إلىّ رجل من بكر بن وائل ، والله ما أريد قتالك ، ولكن أحببتُ أن ألقى إليك ما انتهى إلينا ؛ أخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن ؛ لا منصور ولا إسماعيل ولا غيرهما إلا وقد كاتب عبد الله بن عمر ، وجاءته كتب مضر ، وما أرى لكم أيها الحىّ من ربيعة كتاباً ولا رسولاً ، وليسوا مواقعيكم يومكم حتى تُصْبِحوا فيواقعوكم ، فإن استطعتم ألّا تكون بكم الحزّة فافعلوا ، فإنى رجل من قَيْس ، وسنكون غداً بإزائكم ؛ فإن أردتم الكتاب إلى صاحبنا أبلغتُه ، وإن أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أبلغتكم حالَ الناس . فدعا القاسم رجالاً من قومه ، فأعلمهم ما قال له الرجل ؛ وأنّ ميمنة ابن عمر من ربيعة ، ومضر ستقف بإزاء ميسرته وفيها ربيعة ، فقال عبد الله بن معاوية : إنّ هذه علامة ستظهر لنا إن أصبحنا ؛ فإن أحبّ عمر بن الغضبان فليلقَنى الليلة ؛ وإن منعه شغل ما هو فيه فهو عذْر[2] ؛ وقلْ له : إنى لأظن القيسىّ قد كذب ، فأتى الرّسول عمرَ بذلك ، فردّه إليه بكتاب يُعلمه أن رسولى هذا بمنزلتى عندى ، ويأمره أن يتوثّق من منصور وإسماعيل ، وإنما أراد أن يعلمهما بذلك . قال : فأبى ابنُ معاوية أن يفعل ، فأصبح الناس غادين على القتال ، وقد جعل اليمن فى الميمنة ومضر وربيعة فى الميسرة ، ونادى منادٍ : من أتى برأس فله كذا وكذا ، أو بأسير فله كذا وكذا ، والمال عند عمر بن الغضبان .

والتقى الناسُ واقتتلوا ، وحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ،
١٨٨٥/٢ ومضى إسماعيل ومنصور من فوْرهما إلى الحيرة ، ورجمتْ[3] غوغاء الناس أهلَ اليمن من أهل الكوفة ، فقتلوا فيهم أكثر من ثلاثين رجلاً ، وقُتل الهاشمىّ العباس بن عبد الله زوج ابنة الملاة .

ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدّثه عن أبيه ، عن عاتكة بنت الملاة ،

(١) ابن الأثير : « فسأله الشامى فعرفه فقال » .
(٢) ط : « فهو غدر » ، وما أثبته من ا .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « وزحمت » .

تزوّجت أزواجًا ، منهم العباس بن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، قُتِل مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فى العصبيّة بالعراق . وقتل مبكر ابن الحوارىّ بن زياد فى غيرهم ؛ ثم انكشفوا وفيهم عبد الله بن معاوية حتى دخل نصر الكوفة ، وبقيت الميسرة من مُضَر وربيعة ومَنْ بإزائهم من أهل الشأم ، وحمل أهلُ القلب من أهل الشأم على الزيديّة فانكشفوا ، حتى دخلوا الكوفة ، وبقيت الميسرة وهم نحو خمسمائة رجل ، وأقبل عامر بن ضُبارة ونُبَاتة ابن حنظلة بن قبيصة وعتبة بن عبد الرحمن الثعلبىّ والنضر بن سعيد بن عمرو الحرَشىّ ، حتى وقفوا على ربيعة ، فقالوا لعمر بن الغضبان : أمّا نحن يا معشر ربيعة ، فما كنا نأمنُ عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن ، ونتخوّف عليكم مثلها ؛ فانصرفوا . فقال عمر : ما كنت ببارح أبداً حتى أموت ؛ فقالوا : إن هذا ليس بمغنٍ عنك ولا عن أصحابك شيئًا ، فأخذوا بعنان دابته فأدخلوه الكوفة .

قال عمر : حدثنى علىّ بن محمد، عن سليمان بن عبد الله النوفلىّ ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنا خِرَاش بن المغيرة بن عطية مولى لبنى ليث ، عن أبيه ، قال : كنت كاتب عبد الله بن عمر ؛ فوالله إنى لعنده يومًا وهو بالحيرة إذ أتاه آت فقال : هذا عبد الله بن معاوية قد أقبل فى الخلق ، فأطرق مليًّا ١٨٨٦/٢
وجاءه رئيس خبّازيه ، فقام بين يديه كأنه يؤذنه بإدراك طعامه ، فأومأ إليه عبدُ الله : أن هاته . فجاء بالطعام ، وقد شخصت قلوبُنا ، ونحن نتوقع أن يهجُم علينا ابن معاوية ونحن معه ، قال : فجعلت أتفقّده : هل أراه تغيّر فى شىء من أمره من مطعم أو مشرب أو منظر أو أمر أو نهى ؟ فلا والله ، ما أنكرت من هيئته قليلاً ولا كثيراً ؛ وكان طعامه إذا أُتِىَ به وُضع بين كلّ اثنين منا صَحفة . قال : فوضعت بينى وبين فلان صَحفة ، وبين فلان وفلان صحفة أخرى ؛ حتى عدّ مَن كان على خوانه ، فلما فرغ من غدائه ووضوئه ، أمر بالمال فأخرِج ؛ حتى أخرجت آنية من ذهب وفضة وكُسًا ، ففرّق أكثر ذلك فى قوّاده ، ثم دعا مولى له أو مملوكاً كان يتبرّك به ويتفاءل باسمه — إمّا يدعى ميموناً أو فتحًا أو اسماً من الأسماء المتبرّك بها — فقال له :

خذ لواءك ، وامض إلى تلّ كذا وكذا فاركزه [عليه] (١) ؛ وادع أصحابك ، وأقم حتى آتيك . ففعل وخرج عبدُ الله وخرجنا معه ؛ حتى صار إلى التلّ فإذا الأرض بيضاء من أصحاب ابنِ معاوية ، فأمر عبد الله مناديًا ، فنادى : من جاء برأس فله خمسمائة ؛ فوالله ما كان بأسرع من أن أتِيَ برأس ، فوُضِع بين يديه ؛ فأمر له بخمسمائة ، فدفِعت إلى الذى جاء به ، فلما رأى أصحابه وفاءه لصاحب الرأس ، ثاروا (٢) بالقوم ؛ فوالله ما كان إلا هُنَيهة حتى نظرت إلى نحو من خمسمائة رأس قد ألقيت بين يديه ؛ وانكشف ابنُ معاوية ومَن معه منهزمين ، فكان أوّل مَن دخل الكوفة من أصحابه منهزمًا أبو البلاد
١٨٨٧/٢ مولى بنى عبس وابنه سليمان بين يديه — وكان أبو البلاد متشيعًا — فجعل أهلُ الكوفة ينادونهم كلّ يوم ؛ وكأنهم يعيرونهم بانهزامه ؛ فجعل يصيح بابنه سليمان : امضِ ودع النّواضح (٣) ينفقن . قال : ومرّ عبد الله بن معاوية فطوى الكوفة ، ولم يعرّج بها حتى أتى الجبل .

وأما أبو عُبيدة : فإنه ذكر أن عبد الله بن معاوية وإخوته دخلوا القصر فلما أمسَوْا قالوا لعمر بن الغضبان وأصحابه : يا معشرَ ربيعة ، قد رأيتم ما صنع الناس بنا ؛ وقد أعلَقْنا دماءَنا فى أعناقكم ؛ فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم ؛ وإن كنتم تَرَوْن الناس خاذلينا وإيّاكم ؛ فخذوا لنا ولكم أمانًا ؛ فما أخذتم لأنفسكم فقد رضينا لأنفسنا ، فقال لهم عمر بن الغضبان : ما نحن بتاركيكم من إحدى خَلّتين : إما أن نقاتل معكم ، وإما أن نأخذ لكم أمانًا كما نأخذ لأنفسنا ، فطِيبوا نفسًا ، فأقاموا فى القصر ، والزيديّة على أفواه السكك يَغْدُو عليهم أهل الشأم ويروحون ، يقاتلونهم أيامًا . ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيديّة ولعبد الله بن معاوية أمانًا ؛ ألّا يتبعوهم ويذهبوا حيث شاءوا . وأرسل عبد الله بن عمر إلى عمر بن الغضبان يأمره بنزول القصر وإخراج عبد الله بن معاوية ، فأرسل إليه ابنُ الغضبان فرحّله ومَن معه من شيعته ومَن تبعه من أهل المدائن وأهل السواد وأهل

(١) من ا . (٢) ط : « نادوا » ، وأثبت ما فى ا .
(٣) النواضح : جمع ناضح ؛ وهو البعير أو الثور أو الحمار يستقى عليه .

الكوفة ، فسار بهم رسلُ عمر حتى أخرجوهم من الجَسْر فنزل عمر من القصر .

* * *

[ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مَرْو]

٢/١٨٨٨ وفى هذه السنة وافى الحارث بن سريج مَرْو ، خارجاً إليها من بلاد الترك بالأمان الذى كتب له يزيد بن الوليد ، فصار إلى نصر بن سيار ، ثم خالفه وأظهر الخلاف له ، وبايعه على ذلك جمع كبير .

* ذكر الخبر عن أمره وأمر نصر بعد قدومه عليه :

ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه ؛ أنّ الحارث سار إلى مَرْو ، مخرجَه[1] من بلاد الترك ، فقدمها يوم الأحد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ، فتلقاه سلم بن أحوز ، والناس بكشماهن ، فقال محمد بن الفضل[2] ابن عطية العبسىّ : الحمدلله الذى أقرّ أعينَنا بقدومك ، وردّك إلى فئة الإسلام وإلى الجماعة . قال : يابنىّ ؛ أما علمت أنّ الكثير إذا كانوا على معصية الله كانوا قليلاً ، وأنّ القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا كثيراً ! وما قرّت عينى منذ خرجت إلى يومى هذا ، وما قرة عينى إلا أن يطاع الله . فلما دخل مَرْو قال : اللهمّ إنى لم أنوِ قطّ فى شىء مما بينى وبينهم إلاّ الوفاء ، فإن أرادوا الغدر فانصرْنى عليهم . ولقاه نصر فأنزله قَصْر بُخاراخُذاه ، وأجرى عليه نزُلاً خمسين درهماً فى كلّ يوم ، وكان يقتصر على لون واحد ، وأطلق نصر مَن كان عنده من أهله ؛ أطلق محمد بن الحارث والألوف بنت الحارث وأمّ بكر ؛ فلما أتاه ابنه محمد ، قال : اللهمّ اجعله بارًّا تقيًّا .

قال : وقدم الوضاح بن حبيب بن بُدَيل على نَصْر بن سيّار من عند عبد الله بن عمر ، وقد أصابه برد شديد ، فكساه أثواباً ، وأمر له بقَرَى وجاريتين ؛ ثم أتى الحارث بن سريج ، وعنده جماعة من أصحابه قيام على
٢/١٨٨٩ رأسه ، فقال له : إنّا بالعراق ، نشهر عِظَمْ عمودك وثقله ؛ وإنى أحبّ أن أراه ، فقال : ماهو إلا كبعض ما ترى مع هؤلاء — وأشار إلى أصحابه — ولكنى إذا ضربت به [شهرت[3]] ضربتنى ، قال : وكان فى عموده بالشأمى ثمانية عشر رطلاً .

---

(١) ا : « مقدمه » . (٢) ط : « الفضيل » ، وصوابه من ا . (٣) من ا .

قال : ودخل الحارث بن سريج على نَصْر ، وعليه الجوشن(١) الذى أصابه من خاقان، وكان خيّره بين مائة ألف دينار دنبكانيّة وبين الجوشن؛ فاختار الجوشن . فنظرت إليه المرزُبانة بنت قديد ؛ امرأة نصر بن سيار ، فأرسلت إليه بجرْز لها سمُّور(٢) ، مع جارية لها فقالت ، أقرئى ابنَ عمى السَّلام ، وقولى له: اليوم بارد فاستدفئْ بهذا الجِرْز السَّمُّور ، فالحمد لله الذى أقدمك صالحًا . فقال للجارية: أقرئى بنت عمّى السلام ، وقولى لها : أعاريّة أم هدية ؟ فقالت : بل هديّة؛ فباعه بأربعة آلاف دينار وقسمها فى أصحابه . وبعث إليه نصر بفرُش كثيرة وفرس، فباع ذلك كلّه ، وقسّمه فى أصحابه بالسّويّة . وكان يجلس على بَرْذعة ،وتُثْنى له وسادة غليظة . وعرض نصر على الحارث أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار ، فلم يقبل، وأرسل إلى نصر : إنى لستُ من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات،ولا من تزويج عقائل العرب فى شىء ؛ وإنما أسأل كتاب الله عزّ وجلّ والعمل بالسنّة واستعمال أهل الخير والفَضْل ، فإن فعلت ساعدتك على عدوّك .

وأرسل الحارث إلى الكرمانىّ : إن أعطانى نصر العمل بكتاب الله وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل عضَدتُه وقمتُ بأمر الله، وإن لم يفعل استعنتُ بالله عليه، وأعنتك إن ضمنت لى ما أريد من القيام بالعدل والسنة . ١٨٩٠/٢

وكان كلما دخل عليه بنو تُميم دعاهم إلى نفسه، فبايعه محمد بن حمران ومحمد ابن حرب بن جِرْفاس المِنقريّان والخليل بن غَزْوان العدوىّ ، وعبد الله ابن مُجّاعة وهبيرة بن شَراحيل السعديّان، وعبد العزيز بن عبد ربّه الليثىّ، وبشر ابن جرموز الضبىّ ، ونهار بن عبد الله بن الُحتات المجاشعىّ،وعبد الله النباتى(٣).

وقال الحارث لنصر : خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة إنكارًا للجوْر ، وأنت تريدنى عليه ! فانضمّ إلى الحارث ثلاثة آلاف .

* * *

(١) فى اللسان : « الجوشن من السلاح : زرد يلبس على الصدر » .

(٢) الجرز ، بالكسر : لباس النساء من الوبر والجلد . وفى اللسان : « السمور : دابة معروفة تسوى من جلودها فراء غالية الأثمان» . (٣) ا : « البنانى » .

خلافة مروان بن محمد

وفى هذه السنة بويع بدمشق لمروان بن محمد بالخلافة :

ذكر الخبر عن سبب البيعة له :

حدّثنى أحمد ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو هاشم مخلَّد بن محمد مولى عثمان بن عفان ، قال : لما قيل : قد دخلت خيلُ مروان دمشق هرب إبراهيم بن الوليد وتغيّب ، فانتهب[1] سليمان ما كان فى بيت المال وقسّمه فيمن معه من الجند، وخرج من المدينة ، وثار مَنْ فيها من موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ، ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ، ودخل مَرْوان دمشق فنزل عالية ، وأتِىَ بالغلامين مقتولين وبيوسف بن عمر فأمر بهم فدفِنوا، وأتِى بأبى محمد السفيانىّ محمولاً فى كَبْوله، فسلم عليه بالخلافة، ومروان يومئذ يسلَّم ٢/١٨٩١
عليه بالإمرة ، فقال له : مه ، فقال : إنهما جعلاها لك بعدهما ، وأنشده شعراً قاله الحكم فى السجن .

قال : وكانا قد بلغا ، ووُلد لأحدهما وهو الحكم والآخر قد احتلم قبل ذلك بسنتين ، قال : فقال الحكم :

أَلَا مَنْ مبْلِغٌ مَرْوانَ عنّى ... وعَمى الغَمْرَ طالَ بذا حَنِينا[2]
بأنّى قد ظُلمتُ وَصارَ قَوْمِى ... على قَتْلِ الوَليدِ متابِعِينا[3]
أيذْهَب كلبهم بِدَمِى ومالِى[4] ... فلا غَثًّا أَصَبْتُ وَلا سمينا
ومَرْوانٌ بأَرْضِ بَنِى نِزارٍ ... كَليثِ الغاب مفْتَرِسٌ عَرِينا
أَلَمْ يَحْزُنكَ قَتْل فَتَى قريشٍ ... وشَقُّهُمُ عصِىَ المسْلِمينا
أَلا فاقْرَ السَّلامَ على قُرَيْشٍ ... وقيْسٍ بالجَزِيرَةِ أجْمَعينا
وسادَ الناقِصُ القَدَرِىّ فينا[5] ... وأَلْقَى الحَرْبَ بَيْنَ بَنِى أَبينا

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فأنهب » . (٢) ابن الأثير : « طال به » .
(٣) ا : « مشايعينا » (٤) ابن الأثير : « أيذهب كلهم » .
(٥) ا : « وسار » .

فلوْ شَهِدَ الفَوَارِس من سلَيمٍ وكعْب لَمْ أكنْ لهمُ رَهينا
وَلو شَهِدَتْ لُيوثُ بَنى تميمٍ لما بِعْنا تُرَاثَ بَنِى أَبِينا
أَتُنْكَثُ بَيْعَتِى منْ أَجْل أُمّى فقد بايعتُمُ قَبْلِى هَجينـــا
فلَيْتَ خئولتِى من غير كَلْبٍ وكانت فى ولادَة آخَرينا
فإنْ أَهلِك أَنَا وَوَلِىُّ عَهْدِى فمرْوانٌ أَمِير المؤمنِينـــا

١٨٩٢/٢ ثم قال : ابسط يدك أبايعك ، وسمعه مَن مع مروان من أهل الشأم ؛ فكان أوّل من نهض معاوية بن يزيد بن الُحصين بن نمير ورءوس أهل حمص ، فبايعوه، فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم ، فاختار أهلُ دمشق زامل بن عمرو الجبرانىّ ، وأهل حمص عبدَ الله بن شجرة الكندىّ، وأهل الأردنّ الوليدَ بن معاوية بن مروان ،وأهل فلسطين ثابتَ بن نعيم الجذامىّ الذى كان استخرجه من سجن هشام وغدر به بأرمينيَة ، فأخذ عليهم العهود المؤكّدة والأيمان المغلظة على بيعته ، وانصرف إلى منزله من حرّان .

قال أبو جعفر : فلما استوتْ لمروان بن محمد الشأم وانصرف إلى منزله بحرّان طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فآمنهم ، فقدم عليه سليمان ــ وكان سليمان بن هشام يومئذ بتدمر بمَن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكْوانيّة ــ فبايعوا مروان بن محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن انتقاض أهل حمص على مروان]

وفى هذه السنة انتقض على مروان أهل حمص وسائر أهل الشأم فحاربهم .

• ذكر الخبر عن أمرهم وأمره وعن سبب ذلك :

حدّثنى أحمد[١]، قال حدّثنى عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : لما انصرف مرْوان إلى منزله من حرّان بعد فراغه من أهل الشأم لم يلبث إلا ثلاثة أشهر ؛ حتى خالفه أهل الشأم وانتقضوا عليه ؛ وكان الذى دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم ، وراسلهم

(١) هو أحمد بن زهير (الراوى) .

وكاتبهم ، وبلغ مَرْوان خبرهم ، فسار إليهم بنفسه ، وأرسل أهل حمص إلى
مَنْ بتدمر من كلْب ؛ فشخص إليهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ ومعه بنون ٢/١٨٩٣
له ثلاثة رجال : حمزة وذؤالة وفُرافصة ومعاوية السكسكيّ — وكان فارس أهل
الشأم — وعصمة بن المقشعِر وهشام بن مَصاد وطفيل بن حارثة ونحو ألف
من فرسانهم ، فدخلوا مدينة حِمْص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين ومائة.
قال : ومروان بحَماة ليس بينه وبين مدينة حِمْص إلا ثلاثون ميلاً ، فأتاه
خبرهم صبيحة الفِطْر ، فجدّ فى السير ، ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخاوع
وسليمان بن هشام ؛ وقد كانا راسلاه وطلبا إليه الأمان ، فصارا معه فى عسكره
يكرمهما ويُدنيهما ويجلسان معه على غدائه وعشائه ، ويسيران معه فى مَوْكبه.
فانتهى إلى مدينة حِمْص بعد الفِطْر بيومين ، والكلبيّة فيها قد ردموا أبوابها من
داخل ، وهو على عُدّة معه روابطه ، فأحدقت خيله بالمدينة ، ووقف
حذاء باب من أبوابها ، وأشرف على جماعة من الحائط ، فناداهم مناديه :
ما دعاكم إلى النّكْث ؟ قالوا : فإنا على طاعتك لم ننكث ، فقال لهم : فإن
كنتم على ما تذكرون فافتحوا ، ففتحوا الباب ، فاقتحم منه عمرو بن الوضاح فى
الوضّاحية [وهم] نحو من ثلاثة آلاف فقاتلوهم فى داخل المدينة ؛ فلما كثّرتهم
خيلُ مروان ، انتهوْا إلى باب من أبواب المدينة يقال له باب تَدْمُر ، فخرجوا
منه والروابط عليه فقاتلوهم ، فقتِل عامتهم ، وأفلت الأصبغ بن ذؤالة والسكسكيّ
وأسر ابنا الأصبغ : ذؤالة وفُرافصة فى نيّف وثلاثين رجلا منهم ، فأُتِيَ بهم
مروان فقتلهم وهو واقف ، وأمر بجمع قتلاهم وهم خمسمائة أو ستّمائة ، فصلبوا
حول المدينة ، وهدم مِنْ حائط مدينتها نحواً من غَلْوة . وثار أهل الغوطة إلى ٢/١٨٩٤
مدينة دمشق ، فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو ، وولّوْا عليهم يزيد بن خالد
القسريّ ، وثبت مع زامل المدينة وأهلها وقائد فى نحو أربعمائة ، يقال له
أبو هبّار القرشي فوجّه إليهم مَرْوان من حِمْص أبا الورد بن الكوْثر بن
زُفَر بن الحارث — واسمه مجزأة — وعمرو بن الوضّاح فى عشرة آلاف ، فلما
دنَوْا من المدينة حملوا عليهم ، وخرج أبو هبّار وخيله من المدينة ، فهزموهم
واستباحوا عسكرهم وحرقوا المِزّة من قرى اليمانية ، ولجأ يزيد بن خالد وأبو عِلاقة
إلى رجُلٍ من لخم من أهل المِزّة ، فدلّ عليهما زامل ، فأرسل إليهما ، فقتِلا

قبل أن يوصل بهما إليه ، فبعث برأسيهما إلى مَرْوان بحِمْص ، وخرج ثابت ابن نُعَيم من أهل فلسطين ؛ حتى أتى مدينة طَبَرِيّة ، فحاصر أهلها ، وعليها الوليد بن معاوية بن مَرْوان ؛ ابن أخي عبد الملك بن مروان ، فقاتلوه أيامًا ، فكتب مَرْوان إلى أبي الورد أن يشخص إليهم فيمدّهم . قال : فرحل من دمشق بعد أيام ، فلما بلغهم دنوّه خرجوا من المدينة على ثابت ومَن معه ، فاستباحوا عسكرهم ، فانصرف إلى فِلَسطين منهزمًا ، فجمع قومه وجُنده ؛ ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانية ، وتفرّق مَن معه ، وأسر ثلاثة رجال من ولده ؛ وهم نُعيم وبكْر وعمران ، فبعث بهم إلى مَرْوان فقُدم بهم عليه ؛ — وهو بدير أيوب — جرحى ، فأمر بمداواة جراحاتهم ، وتغيّب ثابت بن نعيم ،
١٨٩٥/٢ فولّى الرُّماحس بن عبدالعزيز الكنانيّ فلسطين ، وأفلت مع ثابت من ولده رفاعة ابن ثابت — وكان أخبثهم — فلحق بمنصور بن جمهور ، فأكرمه وولّاه وخلّفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور ؛ فوثب عليه فقتله ، فبلغ منصورًا وهو متوجّه إلى المُلْتان(١) ، وكان أخوه بالمنصورة ، فرجع إليه فأخذه ، فبنى له أسطوانة من آجرّ مجوّفة ، وأدخله فيها ، ثم سمّره إليها ، وبنى عليه .

قال : وكتب مَرْوان إلى الرُّماحس في طلب ثابت والتلطف له ، فدلّ عليه رجل من قومه فأخذ ومعه نفر ، فأتِيَ به مَرْوان موثَقًا بعد شهرين ، فأمر به وببنيه الذين كانوا في يديه ، فقطِعت أيديهم وأرجلهم ؛ ثم حمِلوا إلى دمشق ، فرأيتهم مقطّعين ، فأقيموا على باب مسجدها ؛ لأنه كان يبلغه أنهم يرجفون بثابت ، ويقولون : إنه أتى مصر ؛ فغلب عليها ، وقتل عامل مَرْوان بها . وأقبل مَرْوان من دير أيوب حتى بايع لابنيه عبيد الله وعبدالله ، وزوّجهما ابنتي هشام بن عبد الملك ؛ أمّ هشام وعائشة ، وجمع لذلك أهل بيته جميعًا ؛ من ولد عبد الملك محمد وسعيد وبكار وولد الوليد وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قريش ورءوس العرب ، وقطع على أهل الشأم بعثًا وقوّاهم ، وولّى على كل جند منهم قائدًا منهم ، وأمرهم باللّحاق بيزيد بن عمر بن هُبيرة . وكان قبل مسيره إلى الشأم وجهه في عشرين ألفًا
١٨٩٦/٢ من أهل قِنّسرين والجزيرة ، وأمره أن ينزل دورين إلى أن يقدم ، وصيّره

(١) ا : « المليان » ، ومن نسخة بحاشيتها : « الملطان » .

مقدّمة له ، وانصرف من دير أيوب إلى دمشق ؛ وقد استقامت له الشأم كلها ما خلا تدمر ، وأمر بثابت بن نعيم وبنيه والنّفر الذين قطعهم فقتلوا وصلبوا على أبواب دمشق ، قال : فرأيتهم حين قتلوا وصُلبوا . قال : واستبقى رجلاً منهم يقال له عمرو بن الحارث الكلبيّ ، وكان — فيما زعموا — عنده علم من أموال كان ثابت وضعها عند قوم ، ومضى بمن معه ، فنزل القسطل من أرض حمْص مما يلي تدمُر ؛ بينهما مسيرة ثلاثة أيام ؛ وبلغه أنهم قد عوّروا[1] ما بينه وبينها من الآبار ، وطمّوها بالصخر ؛ فهيّأ المزاد والقرب والأعلاف والإبل ، فحمل ذلك له ولمن معه ، فكلمه الأبرش بن الوليد وسليمان ابن هشام وغيرهما ، وسألوه أن يُعذِر إليهم ، ويحتجّ عليهم . فأجابهم إلى ذلك ، فوجّه الأبرش إليهم أخاه عمرو بن الوليد ، وكتب إليهم يحذّرهم ويعلمهم أنه يتخوّف أن يكون هلاكه وهلاك قومه ، فطردوه ولم يُجيبوه ، فسأله الأبرش أن يأذن له في التوجّه[2] إليهم ، ويؤجله أيامًا ، ففعل ، فأتاهم فكلمهم وخوّفهم وأعلمهم أنهم حمقى ، وأنه لا طاقة لهم به وبمن معه ، فأجابه عامّتهم ، وهرب من لم يثق به منهم إلى بريّة كلب وباديتهم ، وهم السكسكيّ وعصمة بن المقشعرّ وطفيل بن حارثة ومعاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن معاوية ، وكان صهر الأبرش على ابنته . وكتب الأبرش إلى مرْوان يعلمه ذلك ، فكتب إليه مرْوان : أن اهدم حائط مدينتهم ، وانصرف إليّ بمن بايعك منهم .

فانصرف إليه ومعه [من] [3] رءوسهم الأصبغ بن ذؤالة وابنه حمزة وجماعة من رءوسهم ، وانصرف مرْوان بهم على طريق البريّة على سورية ودير اللثق ، ١٨٩٧/٢
حتى قدم الرُّصافة ومعه سليمان بن هشام وعمه سعيد بن عبد الملك وإخوته جميعًا وإبراهيم المخلوع وجماعة من ولد الوليد وسليمان ويزيد ، فأقاموا بها يومًا ، ثم شخص إلى الرّقة فاستأذنه سليمان ، وسأله أن يأذن له أن يقيم أيامًا ليقوّى من معه من مواليه ، ويجمّ ظهره ثم يتبعه ، فأذن له ومضى مرْوان ، فنزل

(١) عور البئر : أفسدها ؛ وفي اللسان : « وفي حديث علي : « أمره أن يعور آبار بدر » ، أي يدفنها ويطمها » .
(٢) كذا ما في ا وهو الصواب ، وفي ط : « التوجيه » .
(٣) من ا .

عند واسط على شاطئ الفرات فى عسكر كان ينزله ، فأقام به ثلاثة أيام ، ثم مضى إلى قَرْقِيسيا وابنُ هبيرة بها ، ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحاك ابن قيس الشيبانىّ الحرُورىّ ، فأقبل فى نحو عشرة آلاف ممن كان مَرْوان قطع عليهم البَعْث بدير أيّوب لغزو العراق مع قوّادهم حتى حلّوا بالرُّصافة ، فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربته .

* * *

وفى هذه السنة دخل الضّحاك بن قيس الشيبانىّ الكوفة .

ذكر الأخبار عن خروج الضحاك
محكّماً ودخوله الكوفة ، ومن أين كان إقباله إليها

اختلف فى ذلك من أمره ، فأما أحمد[1] فإنه حدّثنى عن عبد الوهاب ابن إبراهيم ، قال : حدّثنى أبو هاشم مخلّد بن محمد ، قال : كان سبب خروج الضحاك أنّ الوليد حين قتِل خرج بالجزيرة حَروريّ يقال له سعيد ابن بهدل الشيبانىّ فى مائتين من أهل الجزيرة؛ فيهم الضحّاك ، فاغتنم قتلَ الوليد واشتغال مرْوان بالشأم ، فخرج بأرض كَفَرْتُوثا ، وخرج بِسطام البيهسىّ وهو مفارق لرأيه فى مثل عِدّتهم من ربيعة ، فسار كلّ واحد منهما إلى صاحبه؛ فلما تقارب العسكران وجّه سعيد بن بهدل الخَيْبرىّ — وهو أحد قواده ، وهو الذى هزم مَرْوان — فى نحو من مائة وخمسين فارسًا ليبيّته ، فانتهى إلى عسكره وهم غارُّون ، وقد أمر كلّ واحد منهم أن يكون معه ثوب أبيض يجلّل به رأسه ، ليعرف بعضهم بعضًا ، فبكّروا فى عسكرهم فأصابوهم فى غرّة ، فقال الخيبرىّ : ١٨٩٨/٢

إن يكُ بِسْطامٌ فإنى الخَيْبَرِى ... أَضْرِبُ بالسَّيْفِ وأَحْمِى عَسْكَرِى

فقتلوا بِسطاماً وجميعَ من معه إلاّ أربعة عشر ، فلحقوا بمروان ، فكانوا معه فأثبتهم فى روابطه ، وولّى عليهم رجلاً منهم يقال له مقاتل ، ويكنى أبا النعثل . ثمّ مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تَشَتّت الأمر بها واختلاف أهل الشأم ، وقتال بعضهم بعضاً مع عبد الله بن عمر ،

---

(١) هو أحمد بن زهير (الراوى) .

والنَّضْر بن سعيد الحرَشيّ — وكانت اليمانية من أهل الشأم مع عبد الله بن عمر بالحيرة، والمضرّية، مع ابن الحَرشيّ بالكوفة؛ فهم يقتتلون فيما بينهم غَدوة وعشيّة.

قال: فمات سعيد بن بهدل فى وجهه ذلك من طاعون أصابه؛ واستخلف الضحاك بن قيس من بعده؛ وكانت له امرأة تسمى حوْماء، فقال الخيبرىّ فى ذلك:

سَقى اللهُ يا حَوْماءُ قَبْرَ ابْنِ بَهْدَلٍ إذا رَحَل السارونَ لَمْ يَتَرَحَّل

قال: واجتمع مع الضّحاك نحوٌ من ألف ثمّ توجّه إلى الكوفة، ومرّ بأرض الموصل، فاتّبعه منها ومن أهل الجزيرة[1] نحوٌ من ثلاثة آلاف، وبالكوفة ١٨٩٩/٢ يومئذ النَّضْر بن سعيد الحَرَشىّ ومعه المضرّية، وبالحيرة عبد الله بن عمر فى اليمانية، فهم متعصبون يقتتلون فيما بين الكوفة والحيرة، فلما دنا إليه الضحاك فيمن معه من الكوفة اصطلح ابن عمر والحَرشىّ، فصار أمرهم واحداً، ويداً على قتال الضحاك، وخندقا على الكوفة، ومعهما يومئذ من أهل الشأم نحوٌ من ثلاثين ألفًا، لهم قوّة وعدّة، ومعهم قائد من أهل قِنَّسْرين، يقال له عبّاد بن الغُزَيِّل فى ألف فارس، قد كان مروان أمدّ به ابن الحَرَشىّ، فبرزوا لهم، فقاتلوهم، فقتِل يومئذ عاصم بن عمر بن عبد العزيز وجعفر بن عباس الكندىّ، وهزموهم أقبح هزيمة، ولحق عبد الله بن عمر فى جماعتهم بواسِط، وتوجّه ابنُ الحَرشىّ — وهو النّضر — وجماعة المضرّية وإسماعيل ابن عبد الله القَسْرىّ إلى مَرْوان، فاستولى الضحاك والجزرّية على الكوفة وأرضها، وجَبَوُا السواد. ثم استخلف الضّحاك رجلا من أصحابه — يقال له مِلْحان — على الكوفة فى مائتى فارس، ومضى فى عِظَم أصحابه إلى عبد الله ابن عمر بواسط، فحاصره بها؛ وكان معه قائد من قوّاد أهل قِنَّسرين يقال له عطية الثعلبىّ[2] — وكان من الأشدّاء — فلما تخوّف محاصرة الضّحاك خرج فى سبعين أو ثمانين من قومه متوجهًا إلى مَرْوان، فخرج على القادسيّة، فبلغ مِلْحان ممرُّه، فخرج فى أصحابه مبادراً يريده، فلقيه على قنطرة السَّيْلَحِين — ومِلْحان قد تسرع فى نحو من ثلاثين فارسًا — فقاتله

(١) ا: «السواد». (٢) ط: «التغلبى»، تحريف.

٢/١٩٠٠ فقتله عطية وناساً من أصحابه ، وانهزم بقيتهم حتى دخلوا الكوفة ، ومضى عطية حتى لحق فيمن معه مروان .

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنّى ، فإنه قال : حدثنى أبو سعيد ، قال : لما مات سعيد بن بَهدل المرّىّ ، وبايعت الشراة للضّحاك ، أقام بشهرزُور وثابت إليه الصُّفْرّية من كل ّوجه حتى صار فى أربعة آلاف ، فلم يجتمع مثلهم لخارجىّ قطّ قبله . قال : وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر ، فانحطّ مروان من أرمينيَة حتى نزل الجزيرة ، وولّى العراق النَّضْر بن سعيد — وكان من قوّاد ابن عمر — فشخص إلى الكوفة ، ونزل ابن عمر الحيرة ، فاجتمعت المضرّية إلى النّضر واليمانية إلى ابن عمر ، فحاربه أربعة أشهر ، ثم آمدّ مروان النَّضْر بابن الغزيّل ، فأقبل الضحاك نحو الكوفة وذلك فى سنة سبع وعشرين ومائة ، فأرسل ابن عمر إلى النّضْر : هذا لا يريد غيرى وغيرك ، فهلمّ نجتمع عليه [فتعاقدا عليه] (١) ، وأقبل ابن عمر ، فنزل تلّ الفتح وأقبل الضّحاك ليعبر الفرات ، فأرسل إليه ابن عمر حمزة بن الأصبغ بن ذؤالة الكلبىّ ليمنعه من العبور ، فقال عبيد الله بن العباس الكندىّ : دعه يعبر إلينا ، فهو أهون علينا من طلبه . فأرسل ابن عمر إلى حمزة يكفّه عن ذلك ، فنزل ابنُ عمر الكوفة ، وكان يصلى فى مسجد الأمير بأصحابه ، والنضر بن سعيد فى ناحية الكوفة يصلّى بأصحابه ، لا يجامع ابنَ عمر ولا يصلى معه ؛ غير أنهما قد تكافآ واجتمعا على قتال الضّحاك ، وأقبل الضّحاك حين رجع حمزة حتى عَبَر الفرات ، ونزل النُّخَيلة يوم الأربعاء فى رجب سنة سبع وعشرين ومائة ، فخفّ

٢/١٩٠١ إليهم أهلُ الشأم من أصحاب ابن عمر والنضر ، قبل أن ينزلوا ، فأصابوا منهم أربعة عشر فارساً وثلاث عشرة امرأة . ثم نزل الضّحاك وضرب عسكره ، وعبّى أصحابه ، وأراح ، ثم تغادوا يوم الخميس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكشفوا ابنَ عمر وأصحابَه ، وقتلوا أخاه عاصماً ؛ قتله البِرْذَون بن مرزوق(٢) الشيبانىّ ، فدفنه بنو الأشعث بن قيس فى دارهم ، وقتلوا جعفر بن العباس الكندىّ أخا عبيد الله ، وكان جعفر على شرْطة عبد الله بن عمر ، وكان

---

(١) من ا . (٢) ا : « مروق » .

الذى قتل جعفرا عبد الملك بن علقمة بن عبد القيس ، وكان جعفر حين رهقه عبد الملك نادى ابنَ عمٍّ له يقال له شاشلة ، فكرّ عليه شاشلة ، وضربه رجل من الصُّفْرِيّة ، ففلق وجهه .

قال أبو سعيد : فرأيته بعد ذلك كأنّ له وجهين ، وأكبّ عبد الملك على جعفر فذبحه ذبحًا ، فقالت أم البرذون الصُّفْرِيّة :

نَحْنُ قَتَلْنَا عاصماً وجَعْفَرا والفارِسَ الضَّبّىَّ حِينَ أَصْحَرا

* ونَحْن جئنا الخَنْدق المقَعَّرا *

فانهزم أصحاب ابن عمر ، وأقبل الخوارج ، فوقفوا على خندقنا إلى الليل ثم انصرفوا ، ثم تغادينا يوم الجمعة ؛ فوالله ماتتامّمنا حتى هزَمُونا ، فدخلنا خنادقنا ، وأصبحنا يوم السبت ؛ فإذا الناس يتسللون ويهربون إلى واسط ، ورأوا قومًا لم يروْا مثلهم قطّ أشدّ بأسًا ؛ كأنهم الأسْد عند أشبالها ، فذهب ابن عمر ينظر أصحابَه ، فإذا عامّتهم قد هربوا تحت الليل ، ولحق عِظَمُهم بواسط ؛ فكان ممّن لحق بواسط النّضْر بن سعيد وإسماعيل بن عبد الله ومنصور ابن جمهور والأصبغ بن ذؤالة وابناه : حمزة وذؤالة ، والوليد بن حسان الغسانىّ وجميع الوجوه ، وبقى ابن عمر فيمن بقى من أصحابه مقيماً لم يبرح . ١٩٠٢/٢

ويقال : إنّ عبد الله بن عمر لمّا ولىَ العراق ولّى الكوفة عبيد الله بن العباس الكندىّ وعلى شرَطه عمر بن الغضبان بن القَبَعْثَرى ، فلم يزالا على ذلك حتى مات يزيد بن الوليد ، وقام إبراهيم بن الوليد ، فأقرّ ابنَ عمر على العراق ، فولّى ابنُ عمر أخاه عاصماً على الكوفة ، وأقرّ ابن الغضبان على شُرَطه ، فلم يزالوا على ذلك حتى خرج عبد الله بن معاوية فاتّهم عمر بن الغضبان ، فلما انقضى أمرُ عبد الله بن معاوية ولّى عبدُ الله بن عمر عمرَ بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفةَ ، وعلى شُرَطه الحكم بن عتيبة الأسدىّ من أهل الشأم ، ثم عزل عمر بن عبد الحميد عن الكوفة ، ثم عزل عمر بن الغضبان عن شُرَطه وولى الوليد بن حسان الغسانىّ ، ثم ولّى إسماعيل بن عبد الله القسرىّ وعلى شرَطه أبان بن الوليد ، ثم عزل إسماعيل

وولّى عبد الصمد بن أبان بن النعمان بن بشير الأنصارىّ ، ثم عزل فولّى عاصم بن عمر ، فقدم عليه الضّحاك بن قيس الشيبانىّ .

١٩٠٣/٢ ويقال : إنما قدم الضحاك وإسماعيل بن عبد الله القسرىّ فى القصر وعبد الله بن عمر بالحيرة وابن الحَرَشىّ بدير هند ، فغلب الضحاك على الكوفة ، وولّى مِلْحان بن معروف الشيبانىّ عليها ، وعلى شرطه الصُّفْر من بنى حنظلة — حَرورىّ — فخرج ابن الحَرَشىّ يريد الشأم ، فعارضه مِلْحان ، فقتله ابنُ الحَرَشىّ فولى الضّحاك على الكوفة حسان فولّى حسان ابنه الحارث على شرَطه .

وقال عبد الله بن عمر يرثى أخاه عاصماً لما قتله الخوارجُ :

رَمَى غَرَضِى رَيْبُ الزَّمانِ فلَمْ يَدَعْ ... غداةَ رَمَى للقَوْسِ فى الكَفِّ مِنزَعا
رَمى غَرَضِى الأقصى فأَقصَدَ عاصِماً ... أَخاً كانَ لى حِرْزًا ومَأْوًى ومَفْزَعَا
فإنْ تكُ أحزانٌ وفائضُ عَبْرَةٍ ... أَذابَتْ عبيطاً من دَمِ الجَوْفِ منقعَا
تَجرَّعْتُها فى عاصِمٍ واحْتَسَيْتُها ... فأَعظَمُ منْها ما احْتسَى وتَجَرَّعا
فلَيْتَ المنايا كُنَّ خلَّفْنَ عاصِماً ... فعِشْنا جَمِيعاً أو ذَهَبْنَ بِنَا معا

وذكر أن عبد الله بن عمر يقول : بلغنى أنّ عين بن عين بن عين بن عين يقتل ميم بن ميم بن ميم بن ميم ، وكان يأمل أن يقتله ؛ فقتله عبد الله بن علىّ

١٩٠٤/٢ ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فذكر أن أصحاب ابن عمر لما انهزموا فلحقوا بواسط ، قال لابن عمر أصحابُه : علام تقيم وقد هرب الناس ! قال : أتلوّم وأنظر ، فأقام يومًا أو يومين لا يرى إلا هاربًا ، وقد امتلأت قلوبهم رُعبًا من الخوارج ، فأمر عند ذلك بالرّحيل إلى واسط ، وجمع خالد بن الغُزَيّل أصحابَه ، فلحق بمرْوان وهو مقيم بالجزيرة ، ونظر عبيد الله بن العباس الكندىّ إلى ما لقىَ الناس ، فلم يأمن على نفسه ، فجنح إلى الضّحاك فبايعه ؛ وكان معه فى عسكره ، فقال أبو عطاء السندىّ يعيّره باتباعه الضحاك ، وقد قتل أخاه :

قُلْ لعُبَيد اللهِ لوْ كان جَعْفَرٌ(١) ... هوَ الْحَىّ لم يجنحْ وأنْتَ قَتِيلُ

(١) ابن الأثير : « فقل » .

ولم يتبع المرّاقَ والثّأْرُ فيهمُ وفى كفِّه عَضْبُ الذُّباب صَقِيل
إلى مَعْشَرٍ أرْدَوْا أخاك وأكفرُوا[1] أباك، فماذا بعد ذاك تَقُول !

— فلما بلغ عبيدَ الله بن العباس هذا البيت من قول أبى عطاء ، قال أقول : أعضّك الله ببظر أمّك —

فلا وصلَتْك الرّحْمُ من ذى قَرابَة وطالِبِ وِتْر ، والذّليلُ ذَليلُ
تركتَ أخا شَيْبَانَ يَسلبُ بَزّهُ ونَجّاك خَوّارُ العنَانِ مَطولُ

قال : فنزل ابن عمر منزلَ الحجاج بن يوسف بواسط — فيما قيل — فى اليمانية ٢/١٩٠٥
ونزل النّضر وأخوه سليمان ابنا سعيد وحنظلة بن نُباتة وابناه محمد ونباتة فى المضرّية ذات اليمين إذا صعِدتَ من البصرة ، وخلوا الكوفة والحيرة للضّحاك والشّراة ، وصارت فى أيديهم ، وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر والنّضْر ابن سعيد الحرَشىّ إلى ما كانت عليه قبل قدوم الضّحاك يطلب النضر أن يسلم إليه عبدالله بن عمر ولايةَ العراق بكتاب مَرْوان ، ويأبى عبد الله بن عمر واليمانية مع ابن عمر والنزارية مع النّضْر ؛ وذلك أن جند أهل اليمن كانوا مع يزيد الناقص تعصّبًا على الوليد حيث أسلم خالد بن عبد الله القسرىّ إلى يوسف بن عمر حتى قتله ؛ وكانت القيسية مع مَرْوان ، لأنه طلب بدم الوليد — وأخوال الوليد من قيس ، ثم من ثقيف ، أمّه زينب بنت محمد بن يوسف ابنة أخى الحجاج — فعادت الحرب بين ابن عمر والنّضر ، ودخل الضحاك الكوفة فأقام بها ، واستعمل عليها مِلْحَان الشيبانىّ فى شعبان سنة سبع وعشرين ومائة ، فأقبل منقضًّا فى الشّراة إلى واسط ، متبعًا لابن عمر والنضر ، فنزل باب المِضْمار . فلما رأى ذلك ابنُ عمر والنضْر نكلا عن الحرب فيما بينهما ، وصارت كلمتهما عليه واحدة ؛ كما كانت بالكوفة ؛ فجعل النضْر وقوّاده يعبرُون الجسر ، فيقاتلون الضّحاك وأصحابه مع ابن عمر ثم يعودون إلى مواضعهم ، ولا يقيمون مع ابن عمر ؛ فلم يزالوا على ذلك : شعبان وشهر رمضان وشوال ، فاقتتلوا
٢/١٩٠٦ يومًا من تلك الأيام ، فاشتدّ قتالهم ، فشدّ منصور بن جمهور على قائد

(١) ابن الأثير : « إلى معشر ردوا » .

من قوّاد الضحاك ، كان عظيم القَدْر فى الشُّراة ، يقال له عكرمة بن شيبان ، فضربه على باب القورَج ، فقطعه باثنين فقتله . وبعث الضحاك قائداً من قوّاده يدعى شوالا من بنى شيبان إلى باب الزّاب ، فقال : اضرِمْه عليهم ناراً ، فقد طال الحصار علينا ، فانطلق شوّال ومعه الخيبرىّ ؛ أحد بنى شيبان فى خيلهم ، فلقيَهم عبدُ الملك بن علقمة ، فقال لهم : أين تريدون ؟ فقال له شوّال : نريد باب الزّاب ، أمرنى أمير المؤمنين بكذا وكذا ، فقال : أنا معك ؛ فرجع معه وهو حاسر ، لا درْع عليه ؛ وكان من قوّاد الضّحاك أيضاً وكان أشدّ الناس ، فانتهوا إلى الباب فأضرموه ، فأخرج لهم عبد الله بن عمر منصورَ بن جمهور فى ستّمائة فارس من كلْب ، فقاتلوهم أشدّ القتال ، وجعل عبد الملك بن علقمة يشدّ عليهم وهو حاسر ؛ فقتل منهم عِدّة ، فنظر إليه منصور بن جمهور ، فغاظه صنيعه ، فشدّ عليه فضربه على حبل عاتقه فقطعه حتى بلغ حرْقفته ؛ فخرّ ميّتًا ، وأقبلت امرأة من الخوارج شادّة ؛ حتى أخذت بلجام منصور بن جمهور ، فقالت : يا فاسق ، أجب أمير المؤمنين ، فضرب يدها — ويقال : ضرب عنان دابته فقطعه فى يدها — ونجا. فدخل المدينة الخيبرىّ يريد منصوراً ، فاعترض عليه ابنُ عمّ له من كلْب ، فضربه الخيبرىّ فقتله ؛ [فقال حبيب بن خدرة مولى بنى هلال] — (١) وكان يزعم أنه من أبناء ملوك فارس — يرثى عبد الملك بن علقمة :

١٩٠٧/٢ وقائلة وَدَمْعُ العَيْن يجرى … على روح ابن علقَمَةَ السَّلامُ
أَأَدْرَكَكَ الحِمامُ وأنتَ سار … وكلُّ فتًى لمصْرَعِهِ حِمام
فلا رَعِش اليَدَيْنِ ولا هدانٌ … ولا وَكَلٌ اللقاءِ ولا كَهَام
وما قَتْلٌ عَلَى شار بعار … ولكن يُقْتَلُونَ وهُمْ كِرامُ
طغامُ الناسِ لَيْسَ لَهُمْ سبيلٌ … شجانِى يا بن علقَمَةَ الطغامُ

ثم إنّ منصوراً قال لابن عمر : ما رأيتُ فى الناس مثل هؤلاء قطّ — يعنى الشُّراة — فلِمَ تحاربهم وتشغلهم عن مروان ؟ أعطهم الرّضا ، واجعلهم بينك وبين مرْوان ، فإنك إن أعطيتهم الرّضا خلّوْا عنا ومضوْا إلى مروان ،

---

(١) من ا .

فكان حدُّهم وبأسهم عليه ، وأقمتَ أنت مستريحًا بموضعك هذا ؛ فإن ظفروا بها كان ما أردْتَ وكنتَ عندهم آمنًا ، وإن ظفر بهم وأردت خلافَه وقتاله قاتلته جامًّا مستريحًا ؛ مع أن أمره وأمرهم سيطول ، ويوسعونه شرًّا . فقال ابن عُمر : لا تعجَل حتى نتلوّم وننظر ، فقال : أىَّ شىء ننتظر ! فما تستطيع أن تطلع معهم ولا تستقرّ ، وإن خرجنا لم نقم لهم ، فما انتظارنا بهم ومروان فى راحة ، وقد كفيناه حدّهم وشغلناهم عنه ! أما أنا فخارج لاحقٌ بهم . فخرج فوقف حيال صفّهم وناداهم : إنى جانحٌ أريد أن أسلِم وأسمع كلام الله — قال : وهى مِحنتهم[1] — فلحق بهم فبايعهم ، وقال : قد أسلمتُ ، فدعوْا له بغداء فتغدّى ، ثم قال لهم : من الفارس الذى أخذ بعنانى يوم الزّاب ؟ يعنى يوم ابن علقمة — فنادوا يا أمّ العنبر ، فخرجت إليهم ؛ فإذا أجمل الناس ، فقالت له : أنت منصور ؟ قال : نعم ، قالت : قبح الله سيفك ، أين ما تذكر منه ! فوالله ما صنع شيئًا ، ولا ترك — تعنى ١٩٠٨/٢
ألاّ يكون قتلها حين أخذت بعنانه فدخلت الجنة — وكان منصور لا يعلم يومئذ أنها امرأة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، زوّجْنيها ، قال : إن لها زوجًا — وكانت تحت عبيدة بن سوّار التغلبىّ — قال : ثم إنّ عبد الله بن عمر خرج إليهم فى آخر شوّال فبايعه .

* * *

[خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد]

وفى هذه السنة — أعنى سنة سبع وعشرين ومائة — خلع سليمان بن هشام ابن عبد الملك بن مروانَ مروان بن محمد ونصب الحرب .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما جرى بينهما :

حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنى عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنى أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : لما شخص مروان من الرُّصافة إلى الرَّقة لتوجيه ابن هبيرة إلى العراق لمحاربة الضّحاك بن قيس الشيبانىّ استأذنه سليمان بن هشام فى مُقام أيام ، لإجمام ظهره وإصلاح أمره ؛ فأذن

(١) ابن الأثير : « حجتهم » .

له . ومضى مرْوان ، فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مَرْوان قطع عليه البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوّادهم ؛ حتّى جاءوا (١) الرُّصافة، فدعوْا سليمان إلى خَلْع مَروان ومحاربته ، وقالوا : أنت أرضى منه عند أهل الشأم وأوْلى بالخلافة ، فاستزلّه الشيطان ، فأجابهم ، وخرج إليهم بإخوته وولده ومواليه ، فعسكر [بهم] (٢) وسار بجمعهم (٣) إلى قِنَّسرين ، فكاتب أهل الشأم فانقضُّوا
١٩٠٩/٢ إليه من كلّ وجه وجند ؛ وأقبل مَرْوان بعد أن شارف قَرْقيسيا منصرفًا إليه ، وكتب إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت فى عسكره من دورين حتّى نزل معسكرَه بواسط ، واجتمع مَن كان بالهَنِيّ من موالى سليمان وولد هشام ، فدخلوا حِصْنَ الكامل بذراريّهم فتحصّنوا فيه ، وأغلقوا الأبواب دونه ، فأرسل إليهم : ماذا صنعتم ؟ خلعتم طاعتى ونقضتم بيعتى بعد ما أعطيتمونى من العهود والمواثيق ! فردُّوا على رسله : إنا مع سليمان على مَن خالفه . فردّ إليهم : إنّى أحذّركم وأنذركم أن تعرضوا لأحد ممّن تبِعنى من جنْدى أو يناله منكم أذًى ، فتحلُّوا بأنفسكم ؛ ولا أمانَ لكم عندى . فأرسلوا إليه : إنا سنكفّ . ومضى مرْوان ، فجعلوا يخرجون من حصنهم ، فيغيرون على من اتّبعه من أخريات الناس وشذّان الجند ؛ فيسلبونهم خيولَهم وسلاحَهم . وبلغه ذلك ، فتحرّق عليهم غيظًا . واجتمع إلى سليمان نحوٌ من سبعين ألفًا من أهل الشأم والذّكْوانية وغيرهم ، وعسكر فى قرية لبنى زفر يقال لها خُسّاف من قِنَّسرين من أرضها . فلما دنا منه مَرْوان قدّم السكسكىّ فى نحو سبعة آلاف ، ووجّه مرْوان عيسى بن مسلم فى نحو من عدّتهم، فالتقوْا فيما بين العسكرين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، والتقى السكسكىّ وعيسى ، وكلّ واحد منهما فارس بطل ، فاطّعنا حتى تقصّفت رماحهما ، ثم صارا إلى السيوف ، فضرب السكسكىُّ مقدّم فرس صاحبه ، فسقط لجامُه فى صدره ، وجال به فرسه ، فاعترضه
١٩١٠/٢ السّكسكىّ ، فضربه بالعمود فصرعه ، ثم نزل إليه فأسره ، وبارز فارسًا من فرسان أنطاكيّة ، يقال له سلساق قائد الصّقالبة . فأسره ، وانهزمت مقدّمة مروان وبلغه الخبر وهو فى مسيره ، فمضى وطوى على تعبية ، ولم ينزل حتى انتهى

(١) ا : «حلوا» . (٢) من ا .
(٣) ط : « بجميعهم » .

إلى سليمان ، وقد تعبّأ له ، وتهيّأ لقتاله ، فلم يناظره حتى واقعه(١) ، فانهزم سليمان ومَن معه ، وأتْبعتهم خيوله تقتلهم وتأسرهم ؛ وانتهوا إلى عسكرهم فاستباحوه ، ووقف مروان موقفاً ، وأمر ابنيه فوقفا موقفين ، ووقف كوثر صاحب شرطته فى موضع ، ثم أمرهم ألاّ يأتوا بأسير إلاّ قتلوه إلاّ عبداً مملوكاً ، فأحصِيَ مِنْ قتلاهم يومئذ نيّف على ثلاثين ألفاً .

قال : وقُتِل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده ، وأتِيَ بخال لهشام بن عبدالملك يقال له خالد بن هشام المخزومىّ — وكان بادناً كثير اللحم — فأدنِيَ إليه وهو يلْهث ، فقال له : يا فاسق ؛ أما كان لك فى خمر المدينة وقيانها ما يكفّك عن الخروج مع الحرّاء تقاتلنى ! قال : يا أمير المؤمنين ، أكرهنى ، فأنشدك الله والرّحم ! قال : وتكذب أيضاً ! كيف أكرهَك وقد خرجتَ بالقيان والزقاق والبرابط معك فى عسكره ! فقتله(٢) . قال : وادّعى كثير من الأسَراء من الجند أنهم رقيق ، فكفّ عن قتلهم ، وأمر ببيعهم فيمن يزيد مع ما بيع مما أصيب فى عسكرهم .

قال : ومضى سليمان مفلولاً حتى انتهى إلى حِمْص ؛ فانضمّ إليه من أفلت ممّن كان معه ، فعسكر بها ، وبنى ما كان مروان أمر بهدمه من حيطانها ، ووجّه ١٩١١/٢ مَرْوان يوم هزمه قوّاداً وروابط فى جَرِيدة خيل ، وتقدّم إليهم أن يسبقوا كلّ خبر ، حتى يأتوا الكامل ، فيحدقوا بها إلى أن يأتيهم ، حَنَقاً(٣) عليهم ، فأتوهم فنزلوا عليهم ، وأقبل مَرْوان نحوهم حتى نزل معسكَره من واسط ، فأرسل إليهم أن انزلوا على حكمى ، فقالوا : لا حتى تؤمّننا بأجمعنا ، فدلَف إليهم ، ونصب عليهم المجانيق ، فلما تتابعت الحجارة عليهم نزلوا على حكْمه ، فمثّل بهم واحتملهم أهل الرّقة فآووْهم ، وداووا جراحاتهم ، وهلك بعضُهم وبقى أكثرهم ، وكانت عِدّتهم جميعاً نحواً من ثلثمائة . ثم شخص إلى سليمان ومَن تجمّع معه بحِمْص ، فلما دنا منهم اجتمعوا ، فقال بعضهم لبعض : حتى متى ننهزم من مروان ! هلمّوا فلنتبايع على الموت ولا نفترق بعد معاينته حتى نموت جميعاً . فمضى على ذلك من فرسانهم مَن قد وطّن

(١) ا : « دافعه » .
(٢) ا : « وقتله » .
(٣) ا : « حردًا » .

نفسه على الموت نحو من تسعمائة ، وولّى سليمان على شَطْرِهم معاوية السَّكسكيّ ،وعلى الشَّطر الثانى (١) ثُبيتًا البَهرانىّ. فتوجهوا إليه مجتمعين (٢) ، على أن يبيّتوه إن أصابوا منه غِرّة ، وبلغه خبرهم وما كان منهم ، فتحرّز وزحف إليهم فى الخنادق على احتراس وتعبية ، فراموا تبييته فلم يقدروا ، فتهيئوا له وكمنوا فى زيتون ظَهَر على طريقه ، فى قرية تسمى تَل منّس من جبل السّماق ، فخرجوا عليه وهو يسير على تعبية ، فوضعوا السلاح فيمن معه ، وانتبذ لهم ، ونادى خيولَه فثابت إليه من المقدمة والمجنّبتين والسَّاقة، فقاتلوهم
١٩١٢/٢ من لَدُن ارتفاع النهار إلى بعد العَصْر ، والتقى السَّكسكيّ وفارس من فرسان بنى سليم ، فاضطربا ، فصرعه السُّلمىّ عن فرسه،ونزل إليه ، وأعانه رجل من بنى تميم ، فأتياه به أسيراً وهو واقف ؛ فقال : الحمد لله الذى أمكَن منك فطالما بلغت منّا ! فقال : استبقِنى فإنى فارس العرب ، قال : كذبت ؛ الذى جاء بك أفرسُ منك ، فأمر به فأوثق ، وقتل ممّن صبر معه نحو من ستة آلاف .

قال : وأفلت ثُبَيت ومَن انهزم معه، فلما أتوْا سليمان خلف أخاه سعيد ابن هشام فى مدينة حِمْص ، وعرف أنه لا طاقة له به ، ومضى هو إلى تَدْمر ، فأقام بها،ونزل مَرْوان على حِمْص، فحاصرهم (٣) بها عشرة أشهر ، ونصب عليها نيّفًا وثمانين مِنْجنيقًا ، فطرح عليهم حجارتها بالليل والنهار وهم فى ذلك يخرجون إليه كلّ يوم فيقاتلونه ، وربما بيّتوا نواحى عسكره ، وأغاروا على الموضع الذى يطمعون فى إصابة العوْرة والفرصة منه . فلما تتابع عليهم البلاء ، ولزمهم الذُّلُّ سألوه أن يؤمّنهم على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنَيه عثمان ومرْوان ومن رجل كان يسمى السكسكيّ ، كان يغير على عسكرهم ، ومن حبشىّ كان يشتمه ويفترى عليه ؛ فأجابهم إلى ذلك وقبِله .وكانت قصّة الحبشى أنه كان يشرف من (٤) الحائط ويربط فى ذكَره ذكَر حمار ، ثم يقول : يابنى سليم ، يا أولاد كذا وكذا ، هذا لواؤكم !

(١) ط : « الباقى » . (٢) ابن الأثير : « مجمعين » .
(٣) ا : « تحصرا » ، وفى ابن الأثير : « يرمى بها » .
(٤) ط : « على » ، وما أثبته من ا .

وكان يشتم مروان ، فلما ظفر به دفعه إلى بنى سُلَيم ، فقطعوا مذاكيرَه وأنفه ، ومثّلوا به ، وأمر بقتل المتسمّى السكسكىّ والاستيثاق من سعيد وابنيه ، وأقبل متوجّهاً إلى الضحاك .

١٩١٣/٢ وأما غير أبى هاشم مخلّد بن محمد ، فإنه ذكر من أمر سليمان بن هشام بعد انهزامه من وقعة خُساف غير ما ذكره مخلّد ؛ والذى ذكره من ذلك أنّ سليمان بن هشام بن عبد الملك حين هزمه مَرْوان يوم خُساف أقبل هارباً ؛ حتّى صار إلى عبد الله بن عمر ، فخرج مع عبد الله بن عمر إلى الضّحاك ، فبايعه ، وأخبر عن مروان بفسق وجور وحضّض عليه ، وقال : أنا سائر معكم فى موالىّ ومَن اتبعنى ، فسار مع الضحاك حين سار إلى مروان ، فقال شُبيل ابن عَزْرة الضُّبَعىّ فى بيعتهم الضحاك :

أَلم ترَ أَنَّ اللهَ أَظهرَ دينَهُ فصَلَّتْ قرَيْشٌ خَلفَ بكْرِ بنِ وائِلِ

فصارت كلمة ابن عمر وأصحابه واحدة على النّضر بن سعيد ، فعلم أنه لا طاقة له بهم ؛ فارتحل من ساعته يريد مَرْوان بالشأم .

وذكر أبو عبيدة أن بَيْهساً أخبره : لما دخل ذو القعدة سنة سبع وعشرين ومائة ، استقام لمرْوان الشأم ونفى عنها مَن كان يخالفه ، فدعا يزيد بن عمر ابن هبيرة ، فوجّهه عاملا على العراق ، وضمّ إليه أجناد الجزيرة ، فأقبل حتّى نزل سعيد بن عبد الملك ، وأرسل ابن عمر إلى الضّحاك يعلمه ذلك . قال : فجعل الضّحاكَ لَنا مَيْسان وقال : إنها تكفيكم حتّى ننظر عما تنجلى . واستعمل ابن عمر عليها مولاه الحكم بن النعمان .

فأما أبو مخنف فإنه قال — فيما ذكر عنه هشام : إن عبد الله بنْ عمر صالح الضّحاك على أنّ بيد الضحاك ما كان غلب عليه من الكوفة وسوادها ، ١٩١٤/٢ وبيد ابن عمر ما كان بيده من كَسْكَر وميسان ودَسْتميسان وكور دجلة والأهواز وفارس ، فارتحل الضّحاك حتّى لقى مروان بكَفَرْتوثا من أرض الجزيرة .

وقال أبو عبيدة : تهيّأ الضّحاك ليسير إلى مَرْوان ، ومضى النّضْر يريد

الشأم ، فنزل القادسيّة ، وبلغ ذلك ملْحان[1] الشيبانىّ عامل الضّحاك على الكوفة ، فخرج إليه فقاتله وهو فى قلّة من الشُّراة ، فقاتله فصبر حتّى قتله النّضر . وقال ابن خدرة يرثيه وعبد الملك بن علقمة :

كائِنْ كمِلْحانَ مِنْ شارٍ أخِى ثِقَةٍ ... وَابْنِ علقَمَةَ المسْتَشْهدِ الشارِى
من صادِقٍ كُنْتُ أُصْفِيهِ مخالَصتى ... فباعَ دارى بأعلى صَفْقَةِ الدارِ
إخوان صِدْقٍ أُرَجِّيهمْ وأَخذلُهمْ ... أَشْكو إلى اللهِ خذلانِى وإخفارى

وبلغ الضّحاك قتل ملْحان ، فاستعمل على الكوفة المثنّى بن عمران من بنى عائذة ، ثم سار الضّحاك فى ذى القَعْدة ، فأخذ الموصل ، وانحطّ ابن
١٩١٥/٢ هبيرة من نهر سعيد حتّى نزل غزّة من عين التّمْر ، وبلغ ذلك المثنّى بن عمران العائذىّ ، عامل الضحاك على الكوفة ، فسار إليه فيمَن معه من الشراة ، ومعه منصور بن جمهور ، وكان صار إليه حين بايع الضّحاك خلافًا على مروان ، فالتقوا بغَزّة ، فاقتتلوا قتالا شديداً أيامًا متوالية ؛ فقتل المثنى وعزيز وعمرو — وكانوا من رؤساء أصحاب الضحاك — وهرب منصور ، وانهزمت الخوارج ، فقال مسلم حاجب يزيد :

أَرَتْ للمثنَّى يَومَ غزَّةَ حَتْفَهُ ... وأَذرَتْ عُزَيزًا بينَ تلكَ الجَنادل
وعمرًا أَزارَتْهُ المنِيَّةَ بَعْدَ ما ... أطافتْ بمَنْصُورٍ كِفاتُ الحَبائِلِ[2]

وقال غَيْلان بن حُرَيث فى مدحه ابن هبيرة :

نصرْتَ يَومَ العَيْنِ إذ لقيتا ... كنَصْرِ داودٍ على جالُوتا

فلما قتل منهم مَنْ قتل فى يوم العين ، وهرب منصور بن جمهور ، أقبل لا يلوِى حتّى دخل الكوفة ، فجمع بها جَمْعًا من اليمانية والصُفْرِيّة ومَن كان تفرّق منهم يوم قتل مَلْحان ومَنْ تخلف منهم عن الضحاك ، فجمعهم منصور جميعًا ، ثم سار بهم حتّى نزل الرَّوْحاء ، وأقبل ابن هبيرة فى أجْنادِه حتّى لقيَهم ، فقاتلهم أيامًا ثم هزمهم ، وقتِل البرذَوْن بن

(١) ابن الأثير : « ملجان » .
(٢) ا : « لها فى الحبائل » .

مرزوق الشيبانىّ ، وهرب منصور ففى ذلك يقول غيلان بن حُرَيث :

ويَوم رَوْحاءِ العُذَيْبِ دفَّفُوا على ابْنِ مرزُوقٍ سَمَامٌ مُزْعِفُ

قال : وأقبل ابن هبيرة حتّى نزل الكوفة ونفى عنها الخوارج ، وبلغ الضّحاك ١٩١٦/٢
ما لقى أصحابه ، فدعا عبيدة بن سوّار التغلبىّ، فوجّهه إليهم ، وانحطّ ابن هبيرة يريد واسطا وعبد الله بن عمر بها ، وولى على الكوفة عبد الرحمن بن بشير العجلىّ ، وأقبل عبيدة بن سوّار مغذًّا فى فرسان أصحابه ، حتّى نزل الصّراة، ولحق به منصور بن جمهور ؛ وبلغ ذلك ابن هبيرة فسار إليهم فالتقوا بالصّراة فى سنة سبع وعشرين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة توجّه سليمان بن كثير ولاهز بن قُرَيظة وقحطبة بن شبيب — فيما ذكر — إلى مكة، فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام بها ، وأعلموه أن معهم عشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم ومسكا ومتاعاً كثيراً ، فأمرهم بدفع ذلك إلى ابن عروة مولى محمد بن علىّ ، وكانوا قدموا معهم بأبى مسلم ذلك العام ، فقال ابن كثير لإبراهيم بن محمد : إنّ هذا مولاك .

وفيها كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد يخبره أنه فى أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنه قد استخلف حفص بن سليمان ، وهو رضاً للأمر . وكتب إبراهيم إلى أبى سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه ؛ وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه ، ومضى
أبو سلَمة إلى خراسان فصدّقوه ، وقبلوا أمره ، ودفعوا إليه ما اجتمع قبلَهم ١٩١٧/٢
من نَفقات الشيعة وخمس أموالهم .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامل مرْوان على المدينة ومكة والطائف ؛ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازىّ ، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وكان العامل على العراق النَّضر بن الحَرَشىّ ، وكان من أمره وأمر عبدالله ابن عمر والضحاك الحَرُورىّ ما قد ذكرت قبلُ . وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها كالكرمانىّ والحارث بن سُرَيج .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

* * *

[ذكر خبر قتل الحارث بن سريج بخراسان]

فمما كان فيها من الأحداث قتل الحارث بن سريج بخراسان .

* ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

قد مضى ذكر كتاب يزيد بن الوليد للحارث بأمانه، وخروج الحارث من بلاد الترك إلى خراسان ومصيره إلى نصر بن سيار ، وما كان من تَنَصُّر إليه ، واجتماع مَن اجتمع إلى الحارث مستجيبين له . فذكر عليّ بن محمد عن شيوخه ، أنّ ابن هبيرة لما وَلِيَ العراق كتب إلى نصر بعهْده ، فبايع لمرْوان ، فقال الحارث : إنما آمنني يزيد بن الوليد ، ومَرْوان لا يُجيز أمانَ يزيد ، فلا آمنه . فدعا إلى البيْعة ، فشتَم أبو السليل مَرْوانَ ، فلما دعا الحارث إلى البَيْعة أتاه سلْم بن أحوز وخالد بن هرَيم وقَطَن بن محمد وعبّاد[1] بن
١٩١٨/٢ الأبرد بن قرّة وحمّاد بن عامر ، وكلموه وقالوا له : لِمَ يصيّر نصرٌ سلطانَه وولايته فى أيدى قومك ؟ ألم يخرجك من أرض الترك ومن حكم خاقان! وإنما أتى بك لئلا يجترئ عليك عدوّك فخالفتَه، وفارقتَ أمر عشيرتك، وأطمَعْت فيهم عدوّهم ، فنذكّرك الله أن تفرّق جماعتنا ! فقال الحارث : إنّى لأرى فى يدى الكرمانىّ ولاية ، والأمر فى يد نصر ، فلم يجبْهم بما أرادوا ، وخرج إلى حائط لحمزة بن أبى صالح السلمىّ بإزاء قصر بخاراخذاه ، فعسكر وأرسل إلى نصر ، فقال له : اجعل الأمر شورى ، فأبى نصر . فخرج الحارث فأتى منازل يعقوب بن داود ، وأمر جَهْم بن صَفْوان ، مولى بنى راسب ، فقرأ كتاباً سيَّر فيه الحارث على الناس ، فانصرفوا يكبّرون ، وأرسل الحارث إلى نصر : اعزل سلْم بن أحوز عن شُرَطك ، واستعمل بشْر بن بسْطام البرْجمىّ ، فوقع بينه وبين مغلّس بن زياد كلام ، فتفرقت[2] قيس وتميم ،

---

(١) ا : « عتاب » .

(٢) ط : « فقرت » ، وما أثبته من ا .

فعزله . واستعمل إبراهيم بن عبد الرحمن ، واختاروا رجالا يسمون لهم قومًا يعملون بكتاب الله. فاختار نصر مقاتلَ بن سليمان ومقاتل بن حيّان ، واختار الحارث المغيرةَ بن شعبة الجَهْضميّ ومعاذ بن جَبَلة ، وأمر نصرٌ كاتبه أن يكتب ما يرضوْن من السُّنَن ، وما يختارونه من العمال، فيوليّهم الثّغرين ؛ ثغر سَمَرْقند وطخارستان ، ويكتب إلى مَن عليهما ما يرضونه من السيَر والسنَن .

٢/١٩١٩ فاستأذن سلْم بن أحوز نصرًا فى الفتك بالحارث ، فأبى وولّى إبراهيم الصائغ ، وكان يوجّه ابنه إسحاق بالفيروزج إلى مَرْو ، وكان الحارث يظهر أنه صاحب الرّايات السود ؛ فأرسل إليه نصر : إن كنتَ كما تزعم ، وأنكم تهدِمون سور دمشق ، وتزيلون أمر بنى أميّة ، فخذْ منى خمسمائة رأس ومائتى بعير ، واحمل من الأموال ما شئتَ وآلة الحرب وسرْ ؛ فلعمرى لئن كنتَ صاحب ما ذكرت إنى لفى يدك ؛ وإن كنت لستَ ذلك فقد أهلكتَ عشيرتك . فقال الحارث : قد علمتُ أن هذا حقٌ ، ولكن لا يبايعنى عليه مَنْ صحبنى. فقال نصر: فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك ، ولا لهم مثلُ بصيرتك ، وأنهم هم فساق ورَعاع ، فأذكرك الله فى عشرين ألفًا من ربيعة واليمن سيَهْلكون[١] فيما بينكم . وعرض نصر على الحارث أن يوليّه ما وراء النهر ، ويعطيَه ثلثمائة ألف ؛ فلم يقبل ؛ فقال له نصر : فإن شئتَ فابدأ بالكرْمانىّ فإن قتلتَه فأنا فى طاعتك ، وإن شئت فخلِّ بينى وبينه ؛ فإن ظفرتُ به رأيت رأيك ، وإن شئتَ فسرْ بأصحابك [٢] ؛ فإذا جزت الرّىّ فأنا فى طاعتك .

قال : ثم تناظر الحارث ونصر ، فتراضيا أن يحكم بينهم [٣] مقاتل بن حيّان وجَهْم بن صفوان ، فحكما بأن يعتزل نصر ، ويكون الأمر شورى . فلم يقبل نصر . وكان جَهْم يقصّ فى بيته فى عسكر الحارث ، وخالف الحارث نصراً ، ففرض نصر لقومه من بنى سلمة وغيرهم ، وصيّر سَلْمًا فى

٢/١٩٢٠ المدينة فى منزل ابن سوّار ، وضمّ إليه الرّابطة وإلى هدبة بن عامر الشعراوىّ فرسًا ، وصيّره فى المدينة ، واستعمل على المدينة عبد السلام بن يزيد بن حيّان السُّلمىّ ، وحوّل السلاح والدّواوين إلى القهندز ، واتّهم قومًا من أصحابه

---

(١) ابن الأثير : « يهلكون » . (٢) ط : « بأصحابه » .

(٣) ابن الأثير : « ثم تراضيا بأن حكما » .

أنهم كاتبوا الحارث ، فأجلس عن يساره مَن اتّهم ممن لا بلاء له عنده ، وأجلس الّذين ولاّهم واصطنعهم عن يمينه ؛ ثم تكلم وذكر بنى مَرْوان ومَن خرج عليهم ؛ كيف أظفر الله به ؛ ثم قال : أحمدُ الله وأذمُّ مَن على يسارى ؛ وليتُ خراسان فكنتَ يا يونس بن عبد ربّه ممن أراد الهرب من كلف مئونات مَرْو ، وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم ، ويجعلهم فى الرّجالة ، فوليتكم إذ وليتكم واصطنعتكم وأمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم إذا أردتُ المسير إلى الوليد ، فنكم مَنْ رفع ألف ألف وأكثر وأقلّ ، ثم ملأتم الحارث علىّ ، فهلاّ نظرتم إلى هؤلاء الأحرار الذين لزمونى مؤاسين(١) على غير بلاء ! وأشار إلى هؤلاء الذين عن يمينه . فاعتذر القوم إليه ، فقبل عذرهم .

وقدم على نصر من كورخراسان حين بلغهم ما صار إليه من الفتنة جماعةٌ ؛ منهم عاصم بن عمير الصُّريمىّ وأبو الذّيال الناجىّ وعمرو الفادوسبان السُّغْدىّ البخارىّ وحسان بن خالد الأسدىّ من طُخارستان فى فوارس ، وعَقيل ابن مَعْقل الليثىّ ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسعد الصَّغير فى فرسان .

وكتب الحارث بن سريج سيرته ، فكانت تقرأ فى طريق مَرْو والمساجد

١٩٢١/٢ فأجابه قوم كثير ؛ فقرأ رجل كتابه على باب نصر بماجان ، فضربه غلمان نصر ، فنابذه(٢) الحارث ، فأتى نصراً هبيرة بن شراحيل ويزيد أبو خالد ، فأعلماه ، فدعا الحسن بن سعد مولى قريش ، فأمره فنادى : إن الحارث بن سريج عدوّ الله قد نابذ وحارب ، فاستعينوا الله ولا حوْل ولا قوّة إلا بالله . وأرسل من ليلته عاصم بن عمير إلى الحارث ، وقال لخالد بن عبد الرحمن : ما نفعل شعارَنا غدا ؟ فقال مقاتل بن سليمان : إن الله بعث نبيًّا فقاتل عدوًّا له ، فكان شعاره « حٰم لا ينْصَرون » ، فكان شعارهم « حم لاينصرون » ، وعلامتهم علىَ الرّماح الصوف .

وكان سلْم بن أحْوَز وعاصم بن عُمير وقَطَن وعَقيل بن معقل ومسلم

(١) ط : « مؤاسير » ، تحريف ، صوابه من ا .

(٢) المنابذة : نقض العهد

ابن عبد الرحمن وسعيد الصغير وعامر بن مالك والجماعة فى طرف[1] الطخاريّة
ويحيى بن حُضَين وربيعة فى البخاريّين. ودلّ رجل من أهل مدينة مَرْو الحارث
على نَقْب فى الحائط ، فمضى الحارث فنقَب الحائط ، فدخلوا المدينة من
ناحية باب بالين وهم خمسون ، ونادوْا : يا منصور — بشعار الحارث —
وأتوا باب نِيق ، فقاتلهم جَهْم بن مسعود الناجىّ ، فحمل رجل على جَهْم
فطعنه فى فيه فقتله ، ثم خرجوا من باب نِيق حتى أتوا قبة سلْم بن أحوز
فقاتلهم عِصْمة بن عبد الله الأسدىّ وخضِر بن خالد والأبرد بن داود من آل
الأبرد بن قرّة ، وعلى باب بالين حازم بن حاتم ، فقتلوا كلّ مَن كان يحرسه ،
وانتهبوا منزلَ ابن أحوز ومنزل قُدَيد بن منيع ؛ ونهاهم الحارث أن ينتهبوا
منزل ابن أحوز ومنزل قُدَيد بن مَنِيع ومنزل إبراهيم وعيسى ابنى عبد الله ١٩٢٢/٢
السلمىّ إلاّ الدوابّ والسلاح ؛ وذلك ليلة الاثنين لليلتين بقيتَا من جمادى الآخرة.

قال : وأتى نصرًا رسولُ سلْم يخبره دنوّ الحارث منه ، وأرسل إليه : أخِّرْه
حتى نصبح ، ثم بعث إليه أيضًا محمد بن قَطَن بن عمران الأسدىّ ، أنه قد
خرج عليه عامّة أصحابه ، فأرسل إليه : لاتبدأهم.

وكان الذى أهاج القتال ، أنّ غلاماً للنَّضْر بن محمد الفقيه يقال له عطية ،
صار إلى أصحاب سَلْم ، فقال أصحاب الحارث : رُدُّوه إلينا[2] ، فأبوْا ،
فاقتتلوا ، فرمى غلاماً لعاصم فى عينه فمات ؛ فقاتلهم ومعه عَقِيل بن مَعْقِل
فهزمهم ، فانتهوْا إلى الحارث وهو يصلىّ الغداةَ فى مسجد أبى بَكْرة ، مولى
بنى تميم ؛ فلما قضى الصلاة دنا منهم ، فرجعوا حتى صاروا إلى طَرَف
الطُّخاريّة ، فدنا منه رجلان ، فناداهما عاصم : عَرْقِبا بِرْذونه ؛ فضرب
الحارث أحدَهما بعَمُوده فقتله ، ورجع الحارث إلى سكة السُّغْد ، فرأى أعينَ
مولى حيّان ، فنهاه عن القتال ، فقاتل فقتِل ، وعَدَل فى سكة بنى عصمة ،
فأتبعه حماد بن عامر الحمانىّ ومحمد بن زُرعة ، فكسر رمحيْهما ، وحمل على
مرزوق مولَى سَلْم ؛ فلما دنا منه رمى به فرسه ؛ فدخل حانوتًا ، وضرب
بِرْذَوْنه على مؤخَّره فنفق . قال : وركب سلْم حين أصبح إلى باب

(١) ا : « طرق » . (٢) ا : « علينا » .

نِيق ، فأمرهم بالخندق ، فخندقوا وأمر مناديًا ، فنادى : مَن جاء برأس فله ثلثمائة ، فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث ، وقاتلهم الليل كله ، فلما
١٩٢٣/٢ أصبحنا أخذ أصحاب نصر على الرزيق ، فأدركوا عبد الله بن مجّاعة بن سعد، فقتلوه . وانتهى سلْم إلى عسكر الحارث ؛ وانصرف إلى نَصْر فنهاه نصر ، فقال : لست منتهيًا حتى أدخل المدينة على هذا الدبُّوسىّ ؛ فمضى معه محمد ابن قَطَن وعبيد الله بن بسام إلى باب دَرْسنْكان — وهو القهندز — فوجده مردومًا ، فصعد عبد الله بن مَرْيَد الأسدىّ السور ومعه ثلاثة ، ففتحوا الباب ، ودخل بن أحْوَز ، ووكّل بالباب أبا مطهّر حرب بن سليمان، فقتل سلم يومئذ كاتب الحارث بن سرَيج ، واسمه يزيد بن داود، وأتى[1] عبد ربه ابن سيسن فقتله ، ومضى سلْم إلى باب نِيق ففتحه ، وقتل رجلاً من الجزّارين كان دلّ الحارث على النَّقْب ؛ فقال المنذر الرقاشىّ ابن عمّ يحيى بن حضين ، يذكر صبر القاسم الشيبانىّ :

ما قاتَلَ القومَ منكُمْ غيرُ صاحِبِنا   فى عُصْبَةٍ قاتلوا صَبرًا فما ذُعِروُا
هُمْ قاتلوا عِندَ بابِ الحصنِ ما وَهَنُوا   حتى أتاهُمْ غِياثُ اللهِ فانتَصَرُوا
فقاسِمٌ بَعدَ أمْرِ اللهِ أحــرَزَها   وأنتَ فى معزِلٍ عن ذاكَ مقتَصِرُ

ويقال : لما غلظ أمر الكرمانىّ والحارث أرسل نَصْرٌ إلى الكرمانىّ ، فأتاه
١٩٢٤/٢ على عهد، وحضرهم محمد بن ثابت القاضى ومقدام بن نعيم أخو عبد الرحمن ابن نعيم الغامدىّ وسلْم بن أحْوز ، فدعا نصرٌ إلى الجماعة ، فقال للكرْمانىّ : أنت أسعدُ الناس بذلك ؛ فوقع بين سَلْم بن أحْوَز والمقدام كلام ؛ فأغلظ له سَلْم، فأعانه عليه أخوه ، وغضب لهما السُّغدىّ بن عبد الرحمن الحَزْمىّ، فقال سلْم : لقد هممتُ أن أضربَ أنفَك بالسيف ، فقال السُّغدىّ : لو مسستَ السَّيْف لم ترجع إليك يدُك ، فخاف الكرمانىّ أن يكون مكرًا من نصْر ، فقام وتعلقوا به ، فلم يجلس ، وعاد إلى باب المقصورة .

قال : فتلقّوْه بفرسه ، فركب فى المسجد ، وقال نصر : أراد الغدر بى ، وأرسل الحارث إلى نصر : إنا لا نرضى بك إمامًا ، فأرسل إليه نصر : كيف

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أمر » .

يكون لك عقل ، وقد أفنيتَ عمرك فى أرض الشرْك وغزوتَ المسلمين بالمشركين ! أترانى أتضرَّع إليك أكثر مما تضرَّعت ! . قال: فأسِر يومئذ جَهْم بن صفوان صاحب الجَهميّة، فقال لسلم: إن لى وَلْثًا من ابنك حارث ؛ قال : ما كان ينبغى له أن يفعل؛ ولو فعل ما آمنتك ، ولو ملأتَ هذه الملاءة كواكبَ ، وأبرأك إلىّ عيسى بن مريم ما نجوتَ ؛ والله لو كنتَ فى بطنى لشققتُ بطنى حتى أقتلك ؛ والله لا يقوم علينا مع اليمانية أكثر مماقمتَ ؛ وأمر عبد ربّه بن سِيَسن فقتله، فقال الناس : قتِل أبو محرِز — وكان جَهْم يكنى أبا محرز .
١٩٢٥/٢ وأسِر يومئذ هبيرة بن شراحيل وعبد الله بن مجّاعة فقال: لا أبقى الله من استبقاكما، وإن كنتما من تميم . ويقال : بل قُتل هبيرة ، لحقتْهُ الخيل عند دار قديد بن منيع فقتِل. قال : ولما هزم نصر الحارثَ، بعث الحارث ابنه حاتماً إلى الكرمانىّ، فقال له محمد بن المثنّى : هما عدوّاك، دعهما يضطربان؛ فبعث الكرمانىّ السُّغدىَّ بن عبد الرحمن الحَزْمىّ معه ، فدخل السُّغدىّ المدينة من ناحية باب ميخان، فأتاه الحارث ، فدخل فازة(١) الكِرْمانىّ، ومع الكِرمانىّ داود ابن شعيب الحدّانىّ ومحمد بن المثنى ، فأقيمت الصلاة، فصلى بهم الكرمانىّ ، ثم ركب الحارث، فسار معه جماعة بن محمد بن عزيز أبو خلف ، فلما كان الغد سار الكِرمانىّ إلى باب ميدان يزيد ، فقاتل أصحابَ نصر ، فقتِل سعد بن سَلْم المراغىّ ، وأخذوا علم عثمان بن الكرمانىّ ؛ فأوّل من أتى الكرمانىّ بهزيمة الحارث وهو معسكر بباب ماسَرْجَسان على فرسخ من المدينة النَّضْر ابن غَلاّق السُّغدىّ وعبد الواحد بن المنخَّل . ثم أتاه سوادة بن سريج ، [وحاتم بن الحارث والخليل بن غزوان العذرىّ، أتوه ببيعة الحارث بن سريج] (٢)

وأول من بايع الكرمانىَّ يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانىّ ، فوجه الكرمانىّ إلى الحارث بن سريج سورة بن محمد الكندىّ [إلى أسمانير] (٢) والسغدىَّ بن ١٩٢٦/٢
عبد الرحمن أبا طعمة وَصَعْباً أو صُعيباً، وصبّاحًا ، فدخلوا المدينة من باب ميخان ، حتى أتوا باب ركَلَك، وأقبل الكِرمانىّ إلى باب حَرْب بن عامر ،

(١) فى اللسان : الفازة مظلة تمد بعمود .

(٢) من ا.

ووجّه أصحابه إلى نصر يوم الأربعاء ، فتراموْا ثم تحاجزوا ، ولم يكن بينهم يوم الخميس قتال . قال : والتقوْا يوم الجمعة ، فانهزمت الأزْد؛حتى وصلوا إلى الكرمانىّ ، فأخذ اللواء بيده فقاتل به ، وحمل الخَضِر بن تميم وعليه تجْفافٌ، فرموْه بالنّشاب ، وحمل عليه حبيش مولى نَصْر فطعنه فى حلْقه ، فأخذ الخضر السِّنان بشماله من خلفه ؛ فشبّ به فرسه ، وحمل فطعن حبيشاً فأذراه عن بِرْذونه ، فقتله رجّالة الكرمانىّ بالعصىّ .

قال : وانهزم أصحابُ نصر ، وأخذوا لهم ثمانين فرساً ، وصرع تميم ابن نصر ، فأخذوا له برذَوْنين ؛ أخذ أحدهما السُّغدىّ بن عبد الرحمن ، وأخذ الآخر الخَضِر ، ولحق الخضر بسلم بن أحْوز ، فتناول من ابن أخيه عموداً فضربه فصرَعه ، فحمل عليه رجلان من بنى تميم فهرب ، فرمى سَلْم بنفسه تحت القناطر وبه بضع عشرة ضربة على بَيْضته فسقط ، فحمله محمد بن الحدّاد إلى عسكر نصر ، وانصرفوا ، فلما كان فى بعض الليالى خرج نصر من مَرْو ، وقُتِل عصمة بن عبد الله الأسدىّ ، وكان يحمى أصحاب نصر ؛ فأدركه صالح بن القعقاع الأزدىّ ، فقال له عصمة : تقدّم يا مَزُونىّ ، فقال صالح : أثبت يا خصى — وكان عقيماً — فعطف فرسه فشبّ فسقط ، فطعنه صالح فقتله .

١٩٢٧/٢ وقاتل ابن الديليمرىّ ، وهو يرتجز ؛ فقتِل إلى جنب عِصْمة . وقتل عبيد الله بن حوتمة[1] السلمىّ ، رمى مروان البهرانىّ بجُرْزة[2] ؛ فقتل ؛ فأتى الكرمانىّ برأسه فاسترجع — وكان له صديقاً — وأخذ رجل يمانى بعنان فرس مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم فعرفه فتركه . واقتتلوا ثلاثة أيام ، فهزمت آخرَ يوم المضريّةُ اليمن ، فنادى الخليل بن غزوان : يا معشَر ربيعة واليمن ؛ قد دخل الحارثُ السوق ، وقتِل ابن الأقطع ؛ ففتّ فى أعضاد المضريّة . وكان أوّل مَن انهزم إبراهيم بن بسام الليثىّ ، وترجّل تميم بن نصر ، فأخذ بِرْذَوْنه عبد الرحمن بن جامع الكندىّ ، وقتلوا هَيّاجاً الكلبىّ ولقيط بن أخضر ؛ قتله غلام لهانئ البزّار .

---

(١) ا : « خزيمة » .
(٢) ا : « نحره » ، والجرز: عمود من حديد.

قال : ويقال : لما كان يوم الجمعة تأهّبوا للقتال ، وهدموا الحيطان ليتّسع لهم الموضع ، فبعث نصر محمد بن قطن إلى الكرمانىّ : إنك لست مثل هذا الدبّوسىّ ، فاتّق الله ، لا تشرع فى الفتنة . قال : وبعث تميم بن نصر شاكريّته، وهم فى دار الجنوب بنت القعقاع ؛ فرماهم أصحاب الكرمانىّ من السطوح ونذروا بهم ، فقال عقيل بن معقل لمحمد بن المثنّى : علامَ نقتل أنفسنا لنصر والكرمانىّ ! هلمّ نرجع إلى بلدنا بطخارستان ، فقال محمد : إنّ نصرًا لم يفِ لنا ، فلسنا ندَع حربه . وكان أصحاب الحارث والكرمانىّ يرمون نصرًا وأصحابه بعرّادة ، فضُرب سرادقه[1] وهو فيه فلم يحوّله ، فوجه إليهم سلْم ابن أحوز فقاتلهم ؛ فكان أوّل الظّفَر لنصر ، فلما رأى الكرمانىّ ذلك أخذ لواءه من محمد بن محمد بن عَمِيرة ، فقاتل به حتى كسَره . وأخذ محمد بن المثنى ١٩٢٨/٢
والزّاغ وحِطّان فى كارابكل ، حتى خرجوا على الرّزيق ، وتميم بن نصر على قنطرة النهر ، فقال محمد بن المثنى لتميم حين انتهى إليه : تنحّ يا صبىّ . وحمل محمد والزاغ معه راية صفراء ، فصرعوا أعينَ مولى نصر ، وقتلوه ؛ وكان صاحب دواة نصر ، وقتلوا نفراً من شاكريّته . وحمل الخضر بن تميم على سلْم بن أحوَز فطعنه ، فمال السنان ، فضربه بجُرْز على صدره وأخرى على منكبه ؛ وضربه على رأسه فسقط ، وحمى نصر أصحابه فى ثمانية ، فمنعهم من دخول السوق .

قال : ولما هزَمت اليمانيّة مُضَر ، أرسل الحارث إلى نصر : إن اليمانيّة يعيّرونى بانهزامكم ؛ وأنا كافّ ؛ فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرْمانىّ ، فبعث إليه نصر يزيد النحوىّ أو خالداً[2] يتوثّق منه ؛ أن يفىَ له بما أعطاه من الكفّ . ويقال : إنما كفّ الحارث عن قتال نَصْر أن عمران بن الفضل الأزدىّ وأهل بيته وعبد الجبار العدوىّ وخالد بن عبيد الله بن حبيب[3] العدوىّ وعامة أصحابه نقموا على الكرْمانىّ فعلَه بأهل التبوشكان ؛ وذلك أن أسداً وجّهه [إليهم[4]] ، فنزلوا على حكْم أسد ، فبقر بطون خمسين رجلا وألقاهم فى نهر بلْخ ، وقطع أيدى ثلثمائة منهم وأرجلهم ، وصلب ثلاثةً ، وباع أثقالهم فيمن يزيد ،

(١) ا : « رواقه » .
(٢) ط : « وخالدا » .
(٣) ط : « حية » .
(٤) من ا .

فنقموا على الحارث عوْنه الكرمانىّ ، وقتاله نصراً . فقال نصرٌ لأصحابه حين
١٩٢٩/٢ تغير الأمر بينه وبين الحارث : إن مُضَرَ ، لا تجتمع لى ما كان الحارث مع الكرمانىّ ؛ لا يتفقان على أمر ، فالرأى تركهما ؛ فإنهما يختلفان . وخرج إلى جُلْفَر فيجد عبد الجبار الأحول العدوىّ وعمر بن أبى الهيثم الصغدىّ ، فقال لهما : أيسعكما المقام مع الكرمانىّ ؟ فقال عبد الجبار : وأنت فلا عدمت آسياً ؛ ما أحلك هذا المحلّ !

فلما رجع نصر إلى مَرْو أمر به فضرب أربعمائة سوط ، ومضى نصر إلى خَرَق ، فأقام أربعة أيام بها ، ومعه مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسلم بن أحْوَز وسنان الأعرابىّ ، فقال نصر لنسائه : إنّ الحارث سيخلفنى فيكنّ ويحميكنّ . فلما قرب من نيسابور أرسلوا إليه : ما أقدمك ، وقد أظهرت من العصبية أمراً قد كان الله أطفأه ؟ وكان عامل نصر على نَيْسابور ضرار ابن عيسى العامرىّ ، فأرسل إليه نصر بن سيار سناناً الأعرابىّ ومسلم بن عبد الرحمن وسلم بن أحْوَز ، فكلموهم فخرجوا ، فتلقوْا نصراً بالمواكب والجوارى والهدايا ، فقال سلم : جعلنى الله فداك ! هذا الحىّ من قيس ؛ فإنما كانت عاتبة ، فقال نصر :

أَنَا ابْنُ خِنْدِفَ تنميني قبائِلُهَا ... للصالحات وعمِّى قيسُ عَيْلانا

وأقام عند نصر حين خرج من مَرْو يونس بن عبد ربّه ومحمد بن قَطَن وخالد بن عبد الرحمن فى نظرائهم .

قال : وتقدّم عبّاد بن عمر الأزدىّ وعبد الحكيم بن سعيد العَوْذىّ
١٩٣٠/٢ وأبو جعفر عيسى بن جرز على نَصْر من مكة بأبرشهر ، فقال نصر لعبد الحكيم : أما ترى ما صنع سفهاء قومك ؟ فقال عبد الحكيم : بل سفهاء قومك ؛ طالت ولايتها فى ولايتك ، وصيّرت الولاية لقومك دون ربيعة واليمن فبطروا[1] ، وفى ربيعة واليمن حلماء وسُفهاء فغلب السفهاء الحكماء[2] . فقال عبّاد : أتستقبل الأمير بهذا الكلام ! قال : دعْه فقد صدق ، فقال أبو جعفر عيسى بن جرز — وهو من أهل قرية على نهر مَرْو : أيها الأمير ، حسبك من هذه الأمور والولاية ،

(١) ابن الأثير : « فنظروا » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « العلماء » .

فإنه قد أطلّ(١) أمرٌ عظيم ، سيقوم رجل مجهول النسب يُظهر السواد ، ويدعو إلى دوْلة تكون ، فيغلب على الأمر وأنتم تنظرون وتضطربون . فقال نصر : ما أشبه أن يكون(٢) لقلة الوفاء ، واستجراح(٣) الناس ، وسوء ذات البين . وجّهتُ إلى الحارث وهو بأرض الترك ، فعرضتُ عليه الولاية والأموال فأبى وشغب ، وظاهر علىّ . فقال أبو جعفر عيسى : إن الحارث مقتول مصلوب ، وما الكرمانىّ من ذلك ببعيد . فوصله نصر . قال : وكان سَلْم بن أحوز يقول : ما رأيت قومًا أكرم إجابةً ، ولا أبذل لدمائهم من قيس .

قال : فلما خرج نصر من مَرْو غلب عليها الكِرمانىّ ، وقال للحارث : إنما أريد كتاب الله ، فقال قحطبة : لو كان صادقًا لأمددتُه ألف عنان ، فقال مقاتل بن حيّان : أفى كتاب الله هدمُ الدور وانتهاب الأموال ! فحبسه الكرمانىّ فى خيمة فى العسكر ، فكلّمه معمّر بن مقاتل بن حيّان — أو معمر بن حيان — فخلاه ، فأتى الكرمانىّ المسجدَ ، ووقف الحارث ، فخطب الكرمانىّ الناس ، وآمنهم غير محمد بن الزبير ورجل آخر ، فاستأمن لابن الزبير داود بن
١٩٣١/٢ أبى داود بن يعقوب ، ودخل الكاتب فآمنه ؛ ومضى الحارث إلى باب دوران سَرخس ، وعَسْكر الكرمانىّ فى مصلّى أسد ، وبعث إلى الحارث فأتاه ، فأنكر الحارث هَدْم الدُّور وانتهاب الأموال ، فهمّ الكِرمانىّ به ، ثم كفّ عنه ، فأقام أيامًا . وخرج بشر بن جرموز الضبىّ بخَرقان ، فدعا إلى الكتاب والسنّة ، وقال للحارث : إنما قاتلت معك طلبَ العدل ، فأمّا إذْ كنتَ(٤) مع الكرمانىّ ، فقد علمتُ أنك إنما تقاتل ليقال : غلب الحارث ! وهؤلاء يقاتلون عصبيّة ، فلستُ مقاتلا معك . واعتزل فى خمسة آلاف وخمسمائة — ويقال فى أربعة آلاف — وقال : نحن الفئة العادلة ، ندعو إلى الحقّ ولا نقاتل إلّا مَن يقاتلنا . وأتى الحارث مسجد عياض ، فأرسل إلى الكرمانىّ يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى ، فأبى الكرمانىّ ، وبعث الحارث ابنه محمداً فحمل ثقله من دار تميم بن نصر ، فكتب نصر إلى عشيرته ومُضر ، أن الزموا الحارث مناصحةً

(١) ابن الأثير : « أظلك » .
(٢) بعدها فى ابن الأثير : « كما تقول » .
(٣) ا : « استخراج » .
(٤) ابن الأثير : « إذ أنت » .

فأتوه؛ فقال الحارث : إنكم أصلُ العرب وفرعها ، وأنتم قريب عهد بالهزيمة ، فاخرجوا إلىّ بالأثقال ، فقالوا : لم نكن نرضى بشيء دون لقائه . وكان من مدبِّرى(١) عسكر الكِرمانىّ مقاتل بن سليمان ، فأتاه رجل من البُخاريّين ، فقال : أعطنى أجر المنجنيق التى نصبتها ، فقال : أقم البيّنة أنك نصبتَها من منفعة المسلمين ، فشهد له شيبة بن شيخ الأزدىّ ، فأمر مقاتل فصُكّ له إلى بيت المال . قال : فكتب أصحاب الحارث إلى الكِرْمانىّ : نوصيكم بتقوى ١٩٣٢/٢
الله وطاعته وإيثار أئمة الهدى وتحريم ما حرّم الله من دمائكم ؛ فإن الله جعل اجتماعَنا كان إلى الحارث ابتغاءَ الوسيلة إلى الله ، ونصيحةً فى عباده ، فعرّضنا أنفسنا للحرب ودماءنا للسفك وأموالنا للتلف ، فصغُر ذلك كله عندنا فى جنْب ما نرجو من ثواب الله ؛ ونحن وأنتم إخوان فى الدين وأنصار على العدوّ ، فاتقوا الله وراجعوا الحقّ ، فإنا لا نريد سفك الدماء بغير حلها .

فأقاموا أيامًا ، فأتى الحارث بن سُريج الحائط فثلَم فيه ثلمة ناحية نوبان عند دار هشام بن أبى الهيثم ، فتفرّق عن الحارث أهلُ البصائر وقالوا : غدرت . فأقام القاسم الشيبانىّ وربيع التيمىّ فى جماعة ، ودخل الكِرمانىّ من باب سرخس ، فحاذى الحارث ؛ ومرّ المنخّل بن عمرو الأزدىّ فقتله السَّميدع ، أحد بنى العَدويّة ، ونادى : يالثارات لَقيط ! واقتتلوا ، وجعل الكرمانىّ على ميمنته داود بن شعيب وإخوته : خالداً ومزيَداً والمهلب ، وعلى ميسرته سورة بن محمد بن عزيز الكِنْدىّ ، فى كندة وربيعة . فاشتدّ الأمر بينهم ، فانهزم أصحابُ الحارث وقُتلوا ما بين الثلمة وعسكر الحارث ، والحارث على بَغْل فنزل عنه ، وركب فرسًا فضربه ، فجرى وانهزم أصحابُه ، فبقى فى أصحابه ، فقتِل عند شجرة ، وقُتل أخوه سوادة وبشر بن جُرْموز وقَطن بن المغيرة بن عجرد ، وكَفّ الكرمانىّ ، وقُتل مع الحارث مائة ، وقُتل من أصحاب الكِرمانىّ مائة ، وصُلب الحارث عند مدينة مَرْو بغير رأس .
١٩٣٣/٢ وكان قُتل بعد خروج نصر من مَرْو بثلاثين يومًا ، قُتل يومَ الأحد لستّ بقين من رجَب . وكان يقال : إن الحارث يُقتل تحت زيتونة أو شجرة غُبَيْراءَ . فقتل كذلك سنة ثمان وعشرين ومائة . وأصاب الكِرمانىّ صفائح ذهب للحارث

(١) ا : « وكان مدبر » .

فأخذها وحبس أمّ ولده ثم خلّى عنها ، وكانت عند حاجب بن عمرو بن سلمة بن سكن بن جون بن دبيب . قال : وأخذ أموال مَنْ خرج مع نصر ، واصطفى متاع عاصم بن عمير ، فقال إبراهيم : بمَ تستحل ماله ؟ فقال صالح من آل الوضاح : اسقِني دمه ، فحال بينه و بينه مقاتل بن سليمان ، فأتى به منزله .

قال عليّ : ،قال زهير بن الهُنيد : خرج الكرمانيّ إلى بِشْر بن جُرْموز ، وعسكر خارجًا من المدينة ، مدينة مَرْو ، وبشر فى أربعة آلاف ، فعسكر الحارث مع الكِرمانيّ ، فأقام الكرمانيّ أيامًا بينه وبين عسكر بِشْر فرسخان ، ثم تقدّم حتى قرب من عسكر بشر ، وهو يريد أن يقاتله ، فقال للحارث : تقدّم . وندم الحارث على اتباع الكرمانيّ ، فقال : لا تعجل إلى قتالهم ، فإنى أردّهم إليك ، فخرج من العسكر فى عشرة فوارس ، حتى أتى عسكر بِشْر فى قرية الدّرزيجان ، فأقام معهم وقال : ما كنتُ لأقاتلكم مع اليمانيّة ، وجعل المضريّون ينسلّون من عسكر الكرمانيّ إلى الحارث حتى لم يبق مع الكِرمانيّ ١٩٣٤/٢ مضرىّ غير سَلَمة بن أبى عبد الله ، مولى بنى سُلَيم ، فإنه قال : والله لا أتبع الحارث أبداً فإنى لم أره إلا غادراً والمهلّب بن إياس ، وقال : لا أتبعه فإنى لم أره قطّ إلا فى خيل تطّرد . فقاتلهم الكرمانيّ مراراً يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم ، فمرّةً لهؤلاء ومرّة لهؤلاء ، فالتقوْا يومًا من أيامهم ، وقد شرب مَرْثد بن عبد الله المجاشعيّ ، فخرج سكران على بِرْذون للحارث ، فطُعن فصُرع ، وحماه فوارس من بنى تميم ، حتى تخلص ، وعار البرذون ، فلما رجع لامه الحارث ، وقال : كدتَ تقتل نفسك ، فقال للحارث : إنما تقول ذلك لمكان بِرْذونك ، امرأتى طالق إن لم آتك ببرذَوْن أفرَه من برذونك من عسكرهم ، فالتقوا من غد ، فقال مرثد : أىّ برذون فى عسكرهم أفره ؟ قالوا : برذون عبد الله ابن دَيْسَم العَنَزىّ — وأشاروا إلى موقفه — حتى وصل إليه ، فلما غشيَه رمى ابن ديسم نفسه عن برْذَونه ، وعلّق مرثد عنان فرسه فى رمحه ، وقاده حتى أتى به الحارث ، فقال : هذا مكان بِرْذونك ، فلقى مخلد بن الحسن مرثداً ، فقال له يمازحه : ما أهيأ برذون ابن ديسم تحتك ! فنزل عنه ، وقال : خذه ، قال : أردت أن تفضحنى ! أخذتَه منا فى الحرب وآخذه فى السلم ! ومكثوا بذلك

أياماً ، ثم ارتحل الحارث ليلا ، فأتى حائط مَرْو فنقب (١) باباً ، ودخل الحائط ، فدخل الكرمانى ، وارتحل ، فقالت المضريّة للحارث : قد تركنا الخنادق فهو يومنا ، وقد فررت غير مرّة ، فترجّل . فقال : أنا لكم فارساً خير منى لكم راجلا ، قالوا : لا نرضى إلا أن تترجّل ، فترجّل وهو بين حائط مَرْو والمدينة ، فقتِل الحارث وأخوه وبشر بن جرموز وعدّة من فرسان تميم ، وانهزم
١٩٣٥/٢ الباقون ، وصُلِب الحارث وصَفَتْ مَرْو لليمن ، فهدموا دور المضريّة ، فقال نصر بن سيار للحارث حين قتِل :

يا مُدْخِلَ الذلّ على قومِهِ بعْدًا وسُحْقاً لك مِنْ هالِكِ!
شُؤْمُكَ أرْدَى مُضرًا كلَّها وغضّ مِنْ قَومِكَ بالحارِكِ(٢)
ما كانتِ الأزْدُ وأشياعُها تَطْمَعُ فى عمرو ولا مالكِ
ولا بَنِى سَعْدٍ إذا ألجَمُوا(٣) كُلَّ طِمِرٍّ لونُهُ حالِكُ

ويقال : بل قال هذه الأبيات نصر لعثمان بن صدقة المازنىّ .

وقالت أم كثير الضبيّة :

لا بارَكَ اللهُ فى أُنثى وعذَّبَها تَزَوَّجَتْ مضرِيًّا آخِرَ الدهرِ
أَبْلغْ رجالَ تميمٍ قَولَ مُوجَعَةٍ أحلَلْتُمُوها بدار الذلِّ والفقرِ
إنْ أنتمُ لَمْ تكرُّوا بَعْدَ جَوْلتِكُمْ حتّى تُعِيدُوا رِجالَ الأزْدِ فى الظَّهْرِ(٤)
إنِّى استَحَيْتُ لكُمْ من بَذْلِ طاعَتِكُمْ(٥) هذا المَزُونىَّ يَجْبيكم على قَهْرِ(٦)

وقال عبّاد بن الحارث :

ألا يا نَصْرُ قَدْ بَرِحَ الخَفاءُ وقد طالَ التَّمنِّى والرَّجاءُ
وأَصْبَحَتِ المَزُونُ بأَرْضِ مَروٍ تُقَضِّى فى الحكومَةِ ما تَشاءُ
يَجُوزُ قضاؤها فى كُلِّ حُكْمٍ على مُضَرٍ وَإنْ جارَ القضاءُ

(١) ابن الأثير : « فنقب سوراً » . (٢) ابن الأثير : « وحز من قومك » .
(٣) ا : « ألحموا » . (٤) ابن الأثير : « حتى تعدوا » .
(٥) ابن الأثير : « من بعد طاعتكم » . (٦) ابن الأثير : « يجنيكم » .

وحِمْــيَرُ فى مَجالِسِها قُعُودٌ تَرَقْرَقُ فى رِقابِهِمُ الدِّماءُ
فإنْ مُضَرٌ بذا رَضِيَتْ وَذلَّتْ فطالَ لها المَذَلَّةُ والشَّقاءُ
وإنْ هِىَ أعتَبَتْ فيها وإلا فَحَلَّ على عساكِرِها العفاءُ

١٩٣٦/٢ وقال :

ألا يا أيهــا المرءُ الـ ـذى قد شَفَّهُ الطَّرَبُ
أفِقْ وَدَعِ الذى قد كنْـ ـتَ تطلبُهُ ونَطَّلِبُ
فقد حَدَثَتْ بحضْرَتنا أُمُورٌ شأْنُها عجبُ
اَلأَزْدَ رَأَيْتُها عَزَّتْ بمَرْوَ وَذَلَّتِ العَرَبُ
فجَازَ الصُّفرُ لمّا كا نَ ذاكَ وَبُهْرِجَ الذهَبُ

وقال أبو بكر بن إبراهيم لعلىّ وعثمان ابنى الكرمانىّ :

إنى لمُرْتَحِلٌ أُريدُ بِمِدْحَتِى أخوَيْن فَوْقَ ذُرَى الأَنامِ ذراهُما
سبقا الجيادَ فَلَمْ يزالا نُجْعَةً لا يَعْدَمُ الضَّيْفُ الغَريبُ قراهُما
يسْتَعْلِيَانِ ويَجْرِيانِ إلى العُلا ويَعِيشُ فى كنَفَيْهمَا حَيَّاهُما
أعْنِى عَلِيًّا إنَّهُ ووَزيرَهُ عُثمانَ ليسَ يَذِلّ مَنْ والاهُما
جَرَيَا لكَيْمَا يلحقا بأَبِيهِمَا جَرْىَ الجيادِ من البعيدِ مَداهُما
فلئنْ هُما لَحِقــا بهِ لمُنَصَّبٍ يَسْتَعلِيانِ ويَلحَقانِ أباهُما
وَلَئِنْ أَبَرَّ عليهمَا فَلَطَــالما جَرَيا فَبذَّهُما وبَذَّ سِواهُما
فلأَمْدَحَنَّهُمَا بما قدْ عايَنت عَينِى وإنْ لَمْ أُحْصِ كلَّ نَداهُما[1]
فَهُما التَّقيَّانِ المُشارُ إليْهما الحَامِلانِ الكامِلانِ كِلاهُما
وهُما أزالا عن عريكَةِ ملكِهِ نَصْرًا ولاقى الذلَّ إذْ عاداهُما
نَفَيَا ابنَ أقطعَ بعدَ قتلِ حُماتِهِ وتَقَسَّمْتَ أسلابَهُ خَيلاهُمــا

---

(١) ط : « أخص » .

والحارث بن سُرَيج إذ قَصَدُوا لَهُ حتى تعَاورَ رَأْسَهُ سَيفاهُمَا
أخــذا بِعَفْو أبيهما فى قدرِهِ إذ عَزَّ قَوْمهُما ومن والاهما

* * *

١٩٣٧/٢ وفى هذه السنة وجّه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان ، وكتب إلى أصحابه : إنى قد أمرته بأمرى ، فاسمعوا منه واقبلوا قوله ؛ فإنى قد أمّرتـه على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك ؛ فأتاهم فلم يقبلوا قوله ، وخرجوا من قابل ، فالتقوْا بمكة عند إبراهيم ، فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره ، فقال إبراهيم : إنى قد عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوْه علىّ ، وذلك أنه كان عرَض ذلك قبلَ أن يوجّه أبا مسلم على سليمان بن كثير ، فقال : لا ألِى[1] اثنين أبداً ، ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى ، فأعلمهم أنه أجمع رأيه على أبى مسلم ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، ثم قال : يا عبد الرحمن ، إنك رجلٌ منّا أهل البيت ؛ فاحتفظ[2] وصيتّى ، وانظر هذا الحىّ من اليمن فأكرمْهم[3] ، وحُلَّ بين أظهرهم ؛ فإن الله لا يُتمّ هذا الأمر إلا بهم ؛ وانظر هذا الحىّ من ربيعة فاتّهِمْهم فى أمرهم ، وانظر هذا الحىّ من مضر ؛ فإنهم العدوّ القريب الدار ، فاقتل مَنْ شككت فى أمره ومن كان فى أمره شبهة ومَنْ وقع فى نفسك منه شىء ؛ وإن استطعت ألاّ تدع بخراسان لساناً عربيّاً فافعل ، فأيّما غلام بلغ خمسة أشبار تتّهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ — يعنى سليمان بن كثير — ولا تعصه ، وإذا أشكل عليك أمر فاكتفِ به منى .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجىّ]

١٩٣٨/٢ وفى هذه السنة قُتِل الضحاك بن قيس الخارجىّ ، فيما قال أبو مخنف ، ذكر ذلك هشام بن محمد عنه .

---

(١) بعدها فى الأثير : « على » .

(٢) ابن الأثير : « فاحفظ » .

(٣) ابن الأثير : « فالزمهم » .

* ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

ذكر أنّ الضحاك لما حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط ، وبايعه منصور بن جُمْهور ، ورأى عبد الله بن عمر أنه لا طاقة له به ، أرسل إليه : إن مقامكم علىّ ليس بشىء[1] ؛ هذا مروان فسرْ إليه ؛ فإن قاتلته[2] فأنا معك ، فصالحه على ما قد ذكرت من اختلاف المختلفين فيه .

فذكر هشام ، عن أبى مخنف ؛ أن الضحاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقىَ مرْوان بكفَرْتوثا من أرض الجزيرة ، فقتِل الضحاك يوم التقوْا .

وأما[3] أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، فقال فيما حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم عنه أن الضّحاك لما قتل عطية الثعلبىّ[4] صاحبَه وعاملَه على الكوفة ملْحان بقنطرة السَّيْلحين ، وبلغه خبرُ قتل ملحان وهو محاصر عبد الله بن عمر بواسط ، وجّه مكانه من أصحابه رجلا يقال له مطاعن ؛ واصطلح عبد الله بن عمر والضحاك عن أن يدخل فى طاعته ؛ فدخل وصلى خلفه ، وانصرف إلى الكوفة ، وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط ، ودخل الضّحاك الكوفة ، وكاتبه أهلُ الموصل ودعوْه إلى أن يقدم عليهم فيمكّنوه منها ؛ فسار فى جماعة جنوده بعد عشرين شهراً ، حتى انتهى إليها ، وعليها يومئذ عامل لمرْوان ؛ وهو رجل من بنى شَيْبان من أهل الجزيرة يقال له القَطِران بن أكْمَه ، ففتح أهل الموصل المدينة للضحاك وقاتلهم القطِران فى عدّة يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتِلوا ، واستولى الضّحاك على الموصل وكورها . ١٩٣٩/٢
وبلَغ مرْوان خبرُه وهو محاصِرٌ حِمْص ، مشتغل بقتال أهلها ، فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة ، يأمره أن يسير فيمن معه من روابطه إلى مدينة نَصيبين ليشغل[5] الضحاك عن توسط الجزيرة ، فشخص عبد الله إلى نَصيبين فى جماعة روابطه ؛ وهو فى نحو من سبعة آلاف أو ثمانية ، وخلّف بحرّان قائداً فى ألف أو نحو ذلك ؛ وسار الضحاك من الموْصل إلى عبد الله

(١) ابن الأثير : « بشىء » .
(٢) ا ، وابن الأثير : « قتلته » .
(٣) كذا فى ا .
(٤) ط : « التغلبى » من توجيه مصححه ، والصواب ما أثبته من الأصول .
(٥) كذا فى ا .

بنصيبين ، فقاتله فلم يكن له قوّة لكثرة من مع الضحاك؛ فهم فيما بلغنا عشرون ومائة ألف ، يرزق الفارس عشرين ومائة والراجل والبغال المائة والثمانين فى كلّ شهر ؛ وأقام الضحاك على نَصيبين محاصراً لها ، ووجّه قائدين من قوّاده يقال لهما عبد الملك بن بشر التغلبىّ ، وبدر الذّكوانىّ مولى سليمان بن هشام ، فى أربعة آلاف أو خمسة آلاف حتى وردا الرّقة ، فقاتلهم مَنْ بها من خيل مروان ؛ وهم نحو من خمسمائة فارس ، ووجّه مَرْوان حين بلغه نزولهم الرّقة خيلا من روابطه ؛ فلما دنوا منها انقشع أصحابُ الضّحاك منصرفين إليه ، فاتبعتهم خيله ، فاستسقطوا من ساقتهم نيفاً وثلاثين رجلا ، فقطعهم مَرْوان حين قدم الرّقة ، ومضى صامداً إلى الضّحاك وجموعه حتى التقيا بموضع يقال له الغزّ من أرض كَفَرْتوثا ، فقاتله يومَه ذلك ؛ فلما كان عند المساء
٢/١٩٤٠ ترجّل الضحاك وترجّل معه من ذوى الثبات من أصحابه نحو من ستة آلاف وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه ، وأحدقت بهم خيولُ مروان فألحّوا عليهم حتى قتلوهم عند العَتَمة ، وانصرف مَنْ بقى من أصحاب الضّحاك إلى عسكرهم ؛ ولم يعلم مروان ولا أصحاب الضحاك أن الضّحاك قد قُتِل فيمن قتل حتى فقدوه فى وسط الليل . وجاءهم بعض مَن عاينه حين ترجّل ، فأخبرهم بخبره ومقتله ، فبكوْه وناحوا عليه ، وخرج عبد الملك بن بشر التغلبىّ القائد الذى كان وجّهه فى عسكرهم إلى الرّقة حتى دخل عسكر مَرْوان ، ودخل عليه فأعلمه أنّ الضحاك قُتِل ، فأرسل معه رسلا من حَرَسه ، معهم النيران والشَّمْع إلى موضع المعركة ، فقلّبا القتلى حتى استخرجوه ، فاحتملوه حتى أتوْا به مَرْوان ، وفى وجهه أكثر من عشرين ضَرْبة ، فكبّر أهل عسكر مَرْوان ، فعرف أهل عسكر الضّحاك أنهم قد علموا بذلك ، وبعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة ، فطِيف به فيها .

وقيل : إن الخيبرىّ والضحاك إنما قتِلا فى سنة تسع وعشرين ومائة .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل الخيبرىّ وولاية شيبان]

وفى هذه السنة كان أيضًا — فى قول أبى مخنف — قتل الخيبرىّ الخارجىّ ، كذلك ذكر هشام عنه .

* ذكر الخبر عن مقتله :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثني أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : لما قتِل الضحاك أصبح أهل عسكره بايعوا[1] الخيبريّ ، وأقاموا يومئذ وغادوه[2] من بعد الغد ، وصافّوه
١٩٤١/٢ وصافّهم ، وسليمان بن هشام يومئذ في مواليه وأهل بيته مع الخيبريّ ؛ وقد كان قدم على الضحاك وهو بنَصيبين ؛ وهم في أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته ومواليه ، فتزوّج فيهم أخت شيبان الحَروريّ الذي بايعوه بعد قتل الخيبريّ ، فحمل الخيبريّ على مَرْوان في نحو من أربعمائة فارس من الشُّراة ، فهزم مَرْوان وهو في القلب ، وخرج مروان من المعسكر هاربًا ، ودخل الخيبريّ فيمن معه عسكره ، فجعلوا ينادون بشعارهم : يا خيبريّ يا خيبريّ ، ويقتلون مَن أدركوا حتى انتهوا إلى حجرة مَرْوان ، فقطعوا أطنابها ، وجلس الخيبريّ على فرشه ، وميمنة مروان عليها ابنه عبد الله ثابتة على حالها ، وميسرته ثابتة عليها إسحاق بن مسلم العُقَيليّ ، فلما رأى أهل عسكر مَرْوان قلة من مع الخيبري ثار إليه عبيد من أهل العسكر بعمد الخيام ، فقتلوا الخيبريّ وأصحابه جميعًا في حجرة مَرْوان وحولها ، وبلغ مروان الخبر وقد جاز العسكر بخمسة أميال أو ستة منهزمًا ، فانصرف إلى عسكره وردّ خيوله عن مواضعها ومواقفها ، وبات ليلته تلك في عسكره . فانصرف أهل عسكر الخيبريّ فولّوْا عليهم شيبان وبايعوه ، فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس ، وأبطل الصفّ منذ يومئذ . وكان مروان يوم الخيبريّ بعث محمد بن سعيد ، وكان من ثقاته وكتابه إلى الخيبريّ ، فبلغه أنه مالأهم وانحاز إليهم يومئذ ، فأُتِيَ به مروان أسيرًا فقطع يده ورجله ولسانه .

* * *

وفي هذه السنة وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج .

١٩٤٢/٢ وحجّ بالناس في هذه السنة عبدُ العزيز بن عمر بن عبد العزيز ؛ كذلك قال أبو معشر — فيما حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى

(١) ابن الأثير : « فبايعوا » . (٢) ا : « وعاودوه » .

عنه . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وقال الواقدىّ : وافتتح مَرْوان حِمْص وهدم سورها ، وأخذ نُعيم بن ثابت الجُزامىّ فقتله فى شوال سنة ثمان ، وقد ذكرنا من خالفه فى ذلك قبل .

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف — فيما ذكر — فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وبالعراق عمّال الضحاك وعبد الله بن عمر . وعلى قضاء البصرة ثُمامة بن عبد الله ، وبخراسان نَصْر بن سيّار وخراسان مفتونة .

* * *

[خبر أبى حمزة الخارجىّ مع عبد الله بن يحيى]

وفى هذه السنة لقِىَ أبو حَمْزة الخارجىّ عبدَ الله بن يحيى طالب الحق فدعاه إلى مذهبه .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدثنى العباس بن عيسى العُقيلىّ ، قال : حدّثنا هارون بن موسى الفروىّ[1] ، قال : حدثنى موسى بن كثير مولى الساعديِّين ، قال : كان أوّل أمر أبى حمزة — وهو المختار بن عوف الأزدىّ السَّليمىّ من البصرة — قال موسى : كان أول أمر أبى حمزة أنه كان يوافِى كلّ سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مَرْوان بن محمد وإلى خلاف آل مروان . قال : فلم يزل يختلف فى كلّ سنة حتّى وافى عبد الله بن يحيى فى آخر سنة ثمان وعشرينَ ومائة ، فقال له : يا رجل ، أسمَعُ كلاما حسنًا ، وأراك[2] تدعو إلى حقّ ، فانطلق معى ، فإنى رجل مطاع فى قومى ، فخرج حتّى ورد حَضْرَمَوْت ، ١٩٤٣/٢
فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، ودعا إلى خلاف مَرْوان وآل مروان .

وقد حدّثنى محمد بن حسن أن أبا حمزة مرّ بمعدن بنى سُليم وكثير بن عبد الله عامل على المعدن ، فسمع بعض كلامه ، فأمر به فجلِد سبعين سوطًا ، ثم مضى إلى مكّة ، فلما قدم أبو حمزة المدينةَ حين افتتحها تغيّب كثير حتّى كان من أمرهم ما كان[3] .

---

(١) ط : « الغزوى » ، وصوابه من الأغانى . (٢) كذا فى ا والأغانى .
(٣) الخبر فى الأغانى ٢٠ : ٩٩ .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هلاك شيبان بن عبد العزيز الحرورىّ]

فمن ذلك ما كان من هلاك شيبان بن عبد العزيز اليشكرىّ أبى الدّلفاء.

* ذكر الخبر عن سبب مهلكه :

وكان سبب ذلك أنّ الخوارج الذين كانوا بإزاء مَرْوان بن محمد يحاربونه لمّا قتِل الضحاك بن قيس الشيبانىّ رئيس الخوارج والخيبرىّ بعده، ولّوْا عليهم شيبان وبايعوه ؛ فقاتلهم مرْوان ، فذكر هشام بن محمد والهيثم بن عدىّ أنّ الخيبرىّ لما قُتل قال سليمان بن هشام بن عبد الملك للخوارج — وكان معهم فى عسكرهم : إنّ الذى تفعلون ليس برأى ؛ فإن أخذتم برأيى ، وإلا انصرفت عنكم . قالوا : فما الرأى ؟ قال : إنّ أحدكم يظفر ثم يستقتِل فيقتَل ، فإنى أرى أن ننصرف على حاميتنا حتى ننزل الموصل ، فنخندق . ففعل وأتبعه مروان والخوارج فى شرقىّ دجلة ومروان بإزائهم ؛ فاقتتلوا تسعة أشهر ، ويزيد بن ٢/١٩٤٤ عمر بن هبيرة بقرقِيسيا فى جُنْد كثيف من أهل الشأم وأهل الجزيرة ، فأمره مروان أن يسير إلى الكوفة ، وعليها يومئذ المثنّى بن عمران ؛ من عائذة قريش من الخوارج .

وحدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنى أبو هاشم مخلّد بن محمد ، قال : كان مَرْوان بن محمد يقاتل الخوارج بالصّفّ ، فلما قتِل الخيبرىّ وبويع شيبان ، قاتلهم مَرْوان بعد ذلك بالكراديس ، وأبطل الصفّ منذ يومئذ ، وجعل الآخرون يكردِسون بكراديس مَرْوان كراديس تكافئهم وتقاتلهم ، وتفرّق كثير من أصحاب الطمع عنهم وخذلوهم ، وحصلوا فى نحو من أربعين ألفاً ، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى مدينة الموصل ، فيصيّروها ظهراً وملجأً وميرةً لهم ، فقبلوا رأيه ، وارتحلوا

ليلا ، وأصبح مروان فأتبعهم ؛ ليس يرحلون عن منزل إلا نزله ؛ حتى انتهوا إلى مدينة الموصل ، فعسكروا على شاطئ دجْلة ، وخندقوا على أنفسهم ، وعقدوا جسوراً على دِجْلة من عسكرهم إلى المدينة؛ فكانت ميرتهم ومرافقهم منها ، وخندق مَرْوان بإزائهم ، فأقام ستة أشهر يقاتلهم بكْرة وعشيّة .

قال: وأُتِيَ مَرْوان بابن أخ لسليمان بن هشام ، يقال له أمية بن معاوية بن هشام ، وكان مع عمه سليمان بن هشام فى عسكر شيبان بالموصل ؛ فهو مبارز رجلا من فرسان مَرْوان ، فأسره الرجل فأُتِيَ به أسيراً ، فقال له: أنشدك الله والرحِم يا عمّ ! فقال: ما بيني وبينك اليوم من رَحِم ، فأمر به — وعمه سليمان وإخوته ينظرون — فقطِعَت يداه وضربت عنقه .

١٩٤٥/٢ قال : وكتب مَرْوان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قَرْقِيسيا بجميع مَن معه إلى عُبيدة بن سوّار خليفة الضّحاك بالعراق، فلقى خيوله بعين التّمْر ، فقاتلهم فهزمهم ؛ وعليهم يومئذ المثنّى بن عمران من عائذة قريش والحسن بن يزيد ؛ ثم تجمّعوا له بالكوفة بالنّخيلة، فهزمهم، ثم اجتمعوا بالصَّرَاة ومعهم عُبيدة ؛ فقاتلهم فقتِل عُبيدة، وهزِم أصحابه ، واستباح ابن هبيرة عسكرهم ، فلم يكن لهم بقيّة بالعراق ، واستولى ابنُ هبيرة عليها ، وكتب إليه مَرْوان بن محمد من الخنادق يأمره أن يمدّه بعامر بن ضبارة المُرّىّ ، فوجّهه فى نحو من ستة آلاف أو ثمانية؛ وبلغ شيبان خبرهم ومن معه من الحَرُورِيّة ، فوجّهوا إليه قائدين فى أربعة آلاف ، يقال لهما ابن غوث والجَوْن ، فلقوا ابن ضُبارة بالسنّ دون الموصل ، فقاتلوه قتالا شديداً ، فهزمهم ابن ضُبارة ، فلما قدم فلّهم أشار عليهم سليمان بالارتحال عن الموصل ، وأعلمهم أنه لا مقام لهم إذ جاءهم ابنُ ضبارة من خلفهم ، وركبهم مروان من بين أيديهم ؛ فارتحلوا فأخذوا على حُلْوان إلى الأهواز وفارس ، ووجّه مروان إلى ابن ضُبارة ثلاثة نفر من قوّاده فى ثلاثين ألفاً من روابطه ؛ أحدهم مصعب بن الصّحصح الأسدىّ وشقيق وعطيف [السليمانى] [1] ، وشقيق الذى يقول فيه الخوارج :

قد علِمَتْ أَخْتاك[2] يا شقيقُ أنكَ مِنْ سُكْرِك ما تُفِيقُ

وكتب إليه يأمره أن يتبعهم ، ولا يقلع عنهم حتى يُبِيرهم ويستأصلهم ،

---

(١) من ا . (٢) ا : « خيلك » .

فلم يزل يتبعهم حتى وردوا فارسَ ، وخرجوا منها وهو فى ذلك يستسقط مَن لحق من أخريّاتهم ، فتفرّقوا ، وأخذ شيبان فى فرقته إلى ناحية البحرين ، فقتِل ١٩٤٦/٢ بها ، وركب سليمان فيمن معه من مواليه وأهل بيته السفن إلى السند ، وانصرفَ مَرْوان إلى منزله من حَرّان ، فأقام بها حتى شخص إلى الزّاب .

وأمّا أبو مخنف فإنه قال — فيما ذكر هشام بن محمد عنه — قال : أمر مروان يزيد بن عمر بن هبيرة — وكان فى جنود كثيرة من الشأم وأهل الجزيرة بقَرْقيسيا — أن يسير إلى الكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ رجل من الخوارج يقال له المثنّى بن عمران العائذىّ ؛ عائذة قريش ، فسار إليه ابن هبيرة على الفُرات حتى انتهى إلى عين التّمْر ، ثم سار فلقى المثنّى بالرَّوْحاء ، فوافى الكوفة فى شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة ، فهزم الخوارج ، ودخل ابن هبيرة الكوفة ثم سار إلى الصَّراة ، وبعث شيبان عُبيدة بن سوّار فى خيل كثيرة ، فعسكر فى شرقىّ الصَّراة ، وابن هبيرة فى غربيّها ، فالتقوْا ، فقتل عُبيدة وعدّة من أصحابه ؛ وكان منصور بن جمهور معهم فى دَوْر الصراة ، فمضى حتى غلب على الماهَيْن وعلى الجبل أجمع ، وسار ابنُ هبيرة إلى واسط ؛ فأخذ ابن عمر فحبسه ، ووجّه نُباتة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على كُور الأهواز ، وبعث إليه سليمان داود بن حاتم ، فالتقوْا بالمريان[1] على شاطئ دُجيل ، فانهزم الناس ، وقتل داود بن حاتم . وفى ذلك يقول خلف بن خليفة :

نَفْسى لدَاوُدَ الفِدَا والحِمَى إذ أَسلَمَ الجَيْشُ أَبا حاتِمِ
مُهَلَّبىٌّ مُشْرِقٌ وَجْهُـهُ ليس على المعرُوفِ بالنادِمِ
سأَلتُ من يعلَمُ لى علمَـهُ حَقًّا [وما الجاهل كالعالِمِ[2]]
١٩٤٧/٢ قالوا عَهِدْناهُ على مَرْقَبٍ يَحْمِلُ كالضِّرْغامَةِ الصّارِمِ
ثمَّ انثنى منجَدِلا فى دَمٍ يُسفَحُ فَوْقَ البَدن الناعِمِ
وأَقبَلَ القِبطُ على رَأْسِهِ واختصموا فى السَّيْفِ والخاتَمِ

وسار سليمان حتى لحق بابن معاوية الجعفرىّ بفارس . وأقام ابن هبيرة شهرًا .

(١) ابن الأثير : « بالمرتان » .

(٢) من ا .

ثم وجّه عامر بن ضُبارة فى أهل الشأم إلى الموْصل؛ فسار حتى انتهى إلى السنّ فلقيه بها الجون بن كلاب الخارجىّ ، فهزم عامر بن ضُبارة حتى أدخله السنّ فتحصّن فيها ، وجعل مَرْوان يُمِدّه بالجنود يأخذون طريق البرّ؛ حتى انتهوا إلى دِجْلة ، فقطعوها إلى ابن ضبارة حتى كثروا . وكان منصور بن جُمْهور يمدّ شيبان بالأموال من كُوَر الجبل ؛ فلما كثر من يتبع [1] ابن ضُبارة من الجنود ؛ نهض إلى الجون بن كلاب فقتل الجوْن ، ومضى ابن ضبارة مصعداً إلى الموصل . ؛ فلما انتهى خبر الجوْن وقتله إلى شيبان ومسير عامر بن ضُبارة نحوه، كره أن يقيم بين العسكرين ؛ فارتحل بمَنْ معه وفرسان الشأم من اليمانية. وقدم عامر بن ضُبارة بمن معه على مَرْوان بالموصل ، فضمّ إليه جنوداً من جنوده كثيرة ، وأمره أن يسير إلى شيبان ؛ فإن أقام أقام ؛ وإن سار سار ؛ وألّا يبدأه بقتال ؛ فإن قاتله شيبان قاتله ؛ وإن أمسك أمسك عنه ، وإن ارتحل اتّبعه ؛ فكان على ذلك حتى مرّ على الجبل ، وخرج على بيضاء إصطخر ، وبها عبد الله بن معاوية فى جموع كثيرة ؛ فلم يتهيأ الأمرُ بينه وبين ابن
١٩٤٨/٢ معاوية ، فسار حتى نزل جيرَفت من كرْمان ، وأقبل عامر بن ضُبارة حتى نزل بإزاء ابن معاوية أياماً، ثم ناهضه القتال، فانهزم ابن معاوية، فلحق بَهَراة وسار ابن ضُبارة بمن معه ، فلقىَ شيبان بجيرفت من كِرْمان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت الخوارج ، واستبيح عسكرهم ؛ ومضى شيبان إلى سِجِسْتان ، فهلك بها ؛ وذلك فى سنة ثلاثين ومائة .

وأما أبو عبيدة فإنه قال : لما قتِل الخيبرىّ قام بأمر الخوارج شيبان بن عبد العزيز اليشكرىّ ، فحارب مَرْوان ، وطالت الحرب بينهما ؛ وابن هبيرة بواسط قد قتل عُبيدة بن سوار ونفى الخوارج ومعه رءوس قوّاد أهل الشأم وأهل الجزيرة . فوجّه عامرَ بن ضُبارة فى أربعة آلاف مدداً لمرْوان ، فأخذ على باب المدائن ، وبلغ مسيرُه شيبان، فخاف أن يأتيَهم مروان ، فوجّه إليه الجوْن بن كلاب الشيبانىّ ليشغله، فالتقيا بالسنّ، فحصر الجون عامراً أياماً .

قال أبو عبيدة : قال أبو سعيد : فأحرجناهم والله ، واضطررناهم إلى

(١) ابن الأثير : « من مع ابن ضبارة » .

قتالنا ؛ وقد كانوا خافونا وأرادوا الهرب منا ؛ فلم ندَع لهم مسلكاً . فقال لهم عامر : أنتم ميّتون لا محالة ؛ فموتوا كراماً ، فصدمونا صدمة لم يقم لها شيء ، وقتلوا رئيسنا الجوْن بن كلاب ، وانكشفنا حتى لحقنا بشيبان ، وابنُ ضبارة فى آثارنا ؛ حتى نزل منّا قريباً ؛ وكنا نقاتل من وجهين ؛ نزل ابن ضُبارة من ورائنا ممّا يلى العراق ، ومرْوان أمامنا مما يلِى الشأم ؛ فقطع عنا المادّة والمِيرة ، فغلت أسعارنا ؛ حتى بلغ الرغيف درهماً ؛ ثم ذهب الرغيف فلا شيء يشترى بغالٍ ولارخيص . فقال حبيب بن خدْرة لشيبان : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك فى ضيق من المعاش ؛ فلو انتقلت إلى غير هذا الموضع ! ففعل ومضى شهرزور من أرض الموصل ، فعاب ذلك عليه أصحابُه ؛ فاختلفت كلمتهم . ٢/١٩٤٩

وقال بعضهم : لما ولى شيبان أمر الخوارج [رجع بأصحابه] [١] إلى الموصل فاتّبعه مروان ينزل معه حيث نزل [فقاتله شهراً ثم انهزم] [١] شيبان حتى لحق بأرض فارس ، فوجه مروان فى أثره عامر بن ضبارة [فقطع] [١] إلى جزيرة ابن كاوان ، ومضى شيبان بمن معه حتى صار إلى عُمان ، فقتله جلندَى بن مسعود ابن جيفر بن جلندى الأزديّ .

* * *

[ذكر إظهار الدعوة العباسية بخراسان]

وفى هذه السنة أمر إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس أبا مسلم ، وقد شخص من خُراسان يريده حتى بلغ قومِس ، بالانصراف إلى شيعته بخراسان ، وأمرهم بإظهار الدعوة والتسويد .

* ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان الأمر فيه :

قال علىّ بن محمد عن شيوخه : لم يزل أبو مسلم يختلف إلى خُراسان ، حتى وقعت العصبيّة بها ؛ فلما اضطرب الحبل ، كتب سليمان بن كثير إلى أبى سَلَمة الخلاّل يسأله أن يكتب إلى إبراهيم ، يسأله أن يوجّه رجلا من أهل بيته . فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم ، فبعث أبا مسلم . فلما كان فى سنة تسع وعشرين ومائة ، كتب إبراهيم إلى أبى مسلم يأمره بالقدوم عليه ليسأله عن أخبار الناس ، فخرج فى النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفساً ٢/١٩٥٠

(١) من ا .

من النقباء ، فلما صار بالدَّنْدانقان من أرض خُراسان عرض له كامل — أو أبو كامل — قال : أين تريدون ؟ قالوا : الحجّ ، ثم خلا به أبو مسلم ، فدعاه فأجابهم ، وكفّ عنهم ، ومضى أبو مسلم إلى بِيوَرْد ، فأقام بها أيامًا ، ثم سار إلى نَسا ؛ وكان بها عاصم بن قيس السُّلَمِىّ عاملا لنصر بن سيار الليثىّ ؛ فلما قرب منها أرسل الفَضْل بن سليمان الطوسى ّ[١] إلى أسِيد بن عبد الله الخُزاعىّ ليعلمه قدومه ، فمضى الفضل فدخل قريةً من قرى نَسا ، فلقى رجلا من الشيعة يعرفه ، فسأله عن أسِيد ، فانتهره ، فقال : يا عبد الله، ما أنكرتَ من مسألتى عن منزل رجل ؟ قال : إنه كان فى هذه القرية شرّ ، سُعِىَ برجلين قدما إلى العامل ، وقيل إنهما داعيان ، فأخذهما ، وأخذ الأحجم بن عبد الله وغَيْلان بن فضالة وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان ؛ فانصرف الفضل إلى أبى مسلم وأخبره ، فتنكّب الطريق ، وأخذ فى أسفل القُرى ، وأرسل طرخان الجمّال[٢] إلى أسِيد ، فقال : ادعُه لى ومَن قدرتَ عليه من الشيعة ، وإياك أن تكلم أحداً لم تعرفه ، فأتى طرخان أسيداً فدعاه ، وأعلمه بمكان أبى مسلم ، فأتاه فسأله عن الأخبار ، قال : نعم ، قدم الأزهر بن شعيب وعبد الملك بن سعد بكتبٍ من الإمام إليك ، فخلّفا الكتبَ عندى وخرجا ، فأخذا فلا أدرى مَنْ سعى بهما ! فبعث بهما العامل إلى ٢/١٩٥١ عاصم بن قيس ، فضرب المهاجر بن عثمان وناسًا من الشيعة . قال : فأين الكتب ؟ قال : عندى ، قال : فأتنى بها [فأتاه بالكتب فقرأها][٣] .

قال : ثم سار حتى أتى قُومِس ، وعليها بيهس بن بُديل العِجلىّ ، فأتاهم بَيْهس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : الحجّ ، قال : أفعكم فضل بِرْذون تبيعونه ؟ قال أبو مسلم : أما بيعًا فلا ؛ ولكن خذ أىّ دوابّنا شئت ؛ قال : اعرضوها علىّ ، فعرضوها ، فأعجبَه برْذون منها سَمَنْد ، فقال أبو مسلم : هو لك ، قال : لا أقبله إلّا بثمن ، قال : احتكم ، قال : سبعمائة ، قال : هو لك . وأتاه وهو بقومِس كتاب من الإمام إليه وكتاب إلى سليمان بن كثير ؛ وكان فى كتاب أبى مسلم : إنى قد بعثت إليك براية النصر فارجع من حيث ألفاك[٤]

(١) فى ابن الأثير : « سليمان بن قيس السلمىّ » (٢) ابن الأثير : « الحمال » .
(٣) من ا . (٤) ا : « لقيك » .

كتابى، ووجّهْ إلىّ قَحطبة بما معك يوافنى(١) به فى الموسم . فانصرف أبو مسلم إلى خُراسان ، ووجّه قحطبة إلى الإمام ، فلما كانوا بنَساعرض لهم صاحب مَسْلحه فى قرية من قُرى نَسا ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : أردنا الحجّ ، فبلغنا عن الطريق شىء خفناه ، فأوصلهم إلى عاصم بن قيس السلَمىّ، فسألهم فأخبروه ، فقال : [ارتحلوا وأمر](٢) المفضل بن الشرقىّ(٣) السلمىّ — وكان على شُرطته — أن يزعجهم، فخلا به أبو مسلم وعرض عليه أمرهم ، فأجابه، وقال : ارتحلوا على مَهل ، ولا تعجلوا . وأقام عندهم حتى ارتحلوا .

١٩٥٢/٢ فقدم أبو مسلم مَرْو فى أول يوم من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة ، ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كَثير ، وكان فيه أن أظهرْ دعوتك ولا تربّص ، فقد آن ذلك . فنصبوا أبا مُسلم، وقالوا : رجل من أهل البيت ، وَدعَوا إلى طاعة بنى العباس ، وأرسلوا إلى مَنْ قرب منهم أو بعد ممن أجابهم ، فأمروه بإظهار أمرهم والدعاء إليهم . ونزل أبو مُسلم قريةً من قرى خُزاعة يقال لها سفيذنج ، وشيبان والكِرمانىّ يقاتلان نصر بن سيار ، فبثّ أبو مسلم دعاتَه فى الناس ، وظهر أمره ، وقال الناس : قدم رجل من بنى هاشم ، فأتوْه من كلّ وجه، فظهر يومَ الفطر فى قرية خالد بن إبراهيم . فصلى بالناس يوم الفِطر القاسم بن مجاشع المَرَائىّ، ثم ارتحل فنزل بالين — ويقال قرية اللين — لخزاعة ، فوافاه فى يوم واحد أهلُ ستين قرية ، فأقام اثنين وأربعين يومًا ؛ فكان أوّل فتح أبى مسلم من قبَل موسى بن كعب فى بيوَرْد ، وتشاغل بقتل عاصم بن قيس ، ثم جاء فتح من قبل مَرْوَرُوذ .

١٩٥٣/٢ قال أبو جعفر : وأما أبو الخطاب فإنه قال : كان مقدم أبى مسلم أرض مَرْو منصرفًا من قومِس ، وقد أنفذ من قُومِس قحطبة بن شبيب بالأموال التى كانت معه والعروض إلى الإمام إبراهيم بن محمد ، وانصرف إلى مَرْو ، فقدمها فى شعبان سنة تسع وعشرين ومائة لتسع خلوْن منه يوم الثلاثاء ، فنزل قرية تدعى فنين على أبى الحكم عيسى بن أعين النّقيب ، وهى قرية أبى داود النقيب ، فوجّه منها أبا داود ومعه عمرو بن أعين إلى طخارستان فما دون بلْخ

---

(١) ا : « فيوافينى » . (٢) من ا .
(٣) ابن الأثير : « السرق » .

بإظهار الدّعوة فى شهر رمضان من عامهم، ووجّه النّضر[١] بن صبيح التميمىّ ومعه شريك بن غضىّ التميمىّ إلى مَرْو الرّوذ بإظهار الدّعوة فى شهر رمضان، ووجّه أبا عاصم عبد الرحمن بن سليم إلى الطالقان، ووجه أبا الجهم بن عطيّة إلى العلاء بن حريث بخوارزم بإظهار الدّعوة فى شهر رمضان لخمس بقين من الشهر، فإن أعجلهم عدوّهم[٢] دون الوقت، فعرض لهم بالأذى والمكروه فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، وأن يُظهِروا السيوف ويجرّدوها من أغمادها، ويجاهدوا أعداء الله ومَنْ شغلهم عدوّهم عن الوقت فلاحرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت.

ثم تحوّل أبو مسلم عن منزل أبى الحكم عيسى بن أعين، فنزل على سليمان ابن كثير الخُزاعىّ فى قريته التى تدعى سَفيذنج من رُبع خرقان لليلتين خلتا من شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة، فلما كانت ليلة الخميس
١٩٥٤/٢ لخمس بقين من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة اعتقدوا اللواء الذى بعث به الإمام إليه الذى يُدعى الظلّ، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد الرّاية التى[٣] بعث بها الإمام التى تدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً، وهو يتلو: ﴿أُذِنَ للذينَ يُقاتَلونَ بأنهمْ ظُلموا وإنّ اللهَ علَى نَصْرِهِمْ لَقَديرٌ﴾[٤]، ولبس السوّاد هو وسليمان بن كثير وإخوة سليمان ومواليه ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيذنج، منهم غيلان بن عبد الله الخُزاعىّ — وكان صهر سليمان على أخته أم عمرو بنت كثير — ومنهم حُمَيد بن رزين وأخوه عثمان بن رَزين، فأوقدوا النيران ليلتهم أجمع للشيعة من سكان ربع خرقان — وكانت العلامة بين الشيعة — فتجمعوا له حين أصبحوا مُغِذّين، وتأويل هذين الاسمين: الظلّ والسحاب، أن السحاب يطبّق الأرض؛ وكذلكَ دعوة بنى العباس، وتأويل الظلّ أن الأرض لا تخلو من الظلّ أبداً، وكذلك لا تخلو من خليفة عباسىّ أبد الدهر.

وقدم على أبى مسلم الدعاة من أهل مَرْو بمن أجاب الدعوة؛ وكان أوّل
١٩٥٥/٢ مَنْ قدم عليه أهل السقادم[٥] مع أبى الوضاح الهُرْمُزْفَرىّ عيسى بن شُبيل

(١) ابن الأثير: «نصر».
(٢) ا: «غزوهم».
(٣) كذا فى ا، وفى ط: «الذى».
(٤) سورة الحج ٣٩.
(٥) ا وابن الأثير: «التقادم».

فى تسعمائة رجل وأربعة فرسان؛ ومن أهل هُرْمُزْفَرّة سليمان بن حسان وأخوه يزدان بن حسان والهيثم بن يزيد بن كيسان؛ وبُوَيع [1] مولى نصر بن معاوية وأبو خالد الحسن وجردى ومحمد بن علوان، وقدم أهل السقادم مع أبى القاسم محرز بن إبراهيم الجوبانىّ فى ألف وثلثمائة راجل وستة عشر فارساً ؛ ومنهم من الدّعاة أبو العباس المرْوَزىّ وخذام بن عمّار وحمزة بن زُنَيم ؛ فجعل أهل السقادم يكبّرون من ناحيتهم وأهل السقادم مع محرِز بن إبراهيم يُجيبونهم بالتكبير ؛ فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا عسكر أبى مسلم بسفيذنج ؛ وذلك يوم السبت من بعد ظهور أبى مسلم بيومين ، وأمر أبو مسلم أن يُرَمّ حصن سفيذنج ويحصّن ويدرّب ؛ فلما حضر العيد يوم الفطْر بسفيذنج أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلى به وبالشيعة ، ونصب له منبراً فى العسكر ، وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة — وكانت بنو أميّة تبدأ بالخطبة والأذان، ثم الصلاة بالإقامة على صلاة يوم الجمعة، فيخطبون على المنابر جلوساً فى الجمعة والأعياد—وأمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يكبّر الركعة الأولى ستّ تكبيرات تِباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسابعة، ويكبر فى الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً ، ثم يقرأ ويركع بالسادسة ، ويفتتح الخطبة بالتكبير ويختمها بالقرآن ، ١٩٥٦/٢
وكانت بنو أمية تكبر فى الرّكعة الأولى أربع تكبيرات يوم العيد ، وفى الثانية ثلاث تكبيرات . فلما قضى سليمان بن كثير الصلاة والخطبة انصرف أبو مُسلم والشيعة إلى طعام قد أعدّه لهم أبو مسلم الخراسانىّ ، فطعموا مستبشرين . وكان أبو مسلم وهو فى الخندق إذا كتب إلى نصر بن سيار يكتب : للأمير نصر ؛ فلما قوى أبو مسلم بمن اجتمع إليه فى خندقه من الشيعة بدأ بنفسه ، فكتب إلى نصر : أما بعد ، فإن الله تبارك أسماؤه وتعالى ذكره عيّر أقواماً فى القرآن فقال : ﴿وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِى الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ

(١) ا : « بزيع » .

الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾[١].

فتعاظم نصرٌ الكتاب وأنه بدأ بنفسه، وكسر له إحدى عينيه [وأطال الفكرة][٢] وقال: هذا كتاب له جواب. فلما استقرّ بأبى مسلم معسكره بالماخُوَان أمر محرز ابن إبراهيم أن يخندق خندقاً بجِيرَنْج، ويجتمع إليه أصحابه ومَنْ نزع إليه من الشيعة، فيقطع مادّة نصر بن سيار من مروروذ وبلخ وكُور طخارستان. ففعل ذلك محرز بن إبراهيم، واجتمع له فى خندق نحو من ألف رجل، فأمر
٢/١٩٥٧ أبو مسلم أبا صالح كامل بن مظفر أن يوجه رجلا إلى خندق محرز بن إبراهيم لعرض مَنْ فيه وإحصائهم فى دفتر بأسمائهم وأسماء آبائهم وقراهم، فوجّه أبو صالح حُميداً الأزرق لذلك، وكان كاتباً، فأحصى فى خندق محرز ثمانمائة رجل وأربعة رجال من أهل الكفّ؛ وكان فيهم من القوّاد المعروفين زياد بن سيّار الأزدىّ من قرية تدعى أسبِوادق من ربع خرقان، وخِذام بن عمار الكندىّ من ربع السقادِم ومن قرية تدعى بالأوايق، وحنيفة بن قيس من ربع السقادم، ومن قرية تدعى الشنج، وعبدويه الجردامذ بن عبد الكريم من أهل هَرَاة، وكان يجلب الغنم إلى مَرْو، وحمزة بن زُنيم الباهلىّ من ربع خرقان من قرية تدعى ميلاذ جرد[٣]، وأبو هاشم خَليفة بن مهران من ربع السقادم من قرية تدعى جُوبان وأبو خَديجة جيلان بن السغدىّ وأبو نُعيم موسى بن صبيح. فلم يزل محرز بن إبراهيم مقيماً فى خندقه حتى دخل أبو مسلم حائط مَرْو. وعطل الخندق بماخُوَان وإلى أن عسكر بمارسَرْجَس يريد نيسابور؛ فضمّ إليه محرز بن إبراهيم أصحابه؛ وكان من الأحداث، وأبو مسلم بسَفيذَنْج، وكان نصر بن سيار وجّه مولى له يقال له يزيد فى خيل عظيمة لمحاربة أبى مسلم بعد ثمانية عشر شهراً من ظهوره، فوجّه إليه أبو مسلم مالك ابن الهيثم الخُزاعىّ ومَعه مصعب بن قيس، فالتقوْا بقرية تدعى آلِين، فدعاهم مالك إلى الرّضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستكبروا
٢/١٩٥٨ عن ذلك، فصافّهم[٤] مالك وهو فى نحو من مائتين من أوّل النهار إلى وقت العصر.

---

(١) سورة فاطر ٤٢، ٤٣.
(٢) من ا.
(٣) ط: «هتلادجور».
(٤) ا: «فصادمهم».

وقدم على أبى مسلم صالح بن سليمان الضّبىّ وإبراهيم بن يزيد وزياد بن عيسى فوجّههم إلى مالك بن الهيثم ، فقدموا عليه مع العصر ، فقوى بهم أبونصر ، فقال يزيد مولى نصر بن سيار لأصحابه : إن تركنا هؤلاء الليلة أتتْهم الأمداد ، فاحملوا على القوم ؛ ففعلوا ، وترجّل أبو نصر وحضّ أصحابه ، وقال : إنى لأرجو أن يقطع الله من الكافرين طرفاً ، فاجتلدوا جلاداً صادقاً ، وصبر الفريقان ، فقتِل من شيعة بنى مروان أربعة وثلاثون رجلا ، وأسر منهم ثمانية نفر ، وحمل عبدُالله الطائىّ على يزيد مولى نصر عميد القوم فأسره ، وانهزم أصحابه ، فوجّه أبو نصر عبدَ الله الطائىّ بأسيره فى رجال من الشيعة ، ومعهم الأسرى والرءوس ، وأقام أبو نصر فى معسكره بسفيذنج ، وفى الوفد أبوحماد المروزىّ وأبو عمرو الأعجمىّ ، فأمر أبو مسلم بالرءوس فنُصبت على باب الحائط الذى فى معسكره ، ودفع يزيد الأسلمىّ إلى أبى إسحاق خالد بن عثمان ، وأمره أن يعالج يزيد مولى نـَصْر من جراحات كانت به ، ويحسن تعاهده ، وكتب إلى أبى نصر بالقُدوم عليه ، فلما اندمل يزيد مولى نصر من جِراحاته دعاه أبو مسلم ، فقال : إن شئت أن تقيم معنا وتدخل فى دعوتنا فقد أرشدك الله ، وإن كرهت فارجع إلى مولاك سالماً ، وأعطنا عهد الله ألاّ تحاربنا وألاّ تكذب علينا ، وأن تقول فينا ما رأيت ؛ فاختار الرجوع إلى مولاه ، فخلى له الطريق . وقال أبو مسلم : إنّ هذا سيردّ عنكم أهل الورع والصلاح ، فإنّا ١٩٥٩/٢
عندهم على [غـَير] (١) الإسلام .

وقدم يزيد على نصر بن سيار ؛ فقال : لا مرحباً بك ؛ والله ما ظننت استبقاك القوم إلاّ ليتخذوك حجة علينا ، فقال يزيد : فهو والله ما ظننتَ ، وقد استحلفونى ألاّ أكذب عليهم ، وأنا أقول : إنهم يصلّون الصلوات لمواقيتها بأذان وإقامة ، ويتلون الكتاب ، ويذكرون الله كثيراً ، ويدعون إلى ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وما أحسب أمرهم إلا سيعلو ؛ ولولا أنك مولاى أعتقتنى من الرقّ ما رجعتُ إليك ، ولأقمت معهم . فهذه أول حرب كانت بين الشيعة وشيعة بنى مروان .

---

(١) من ا.

وفى هذه السنة غلب خازم بن خُزَيمة على مروَرُّوذ ، وقتل عامل نصر بن سيّار الذى كان عليها ؛ وكتب بالفتح إلى أبى مسلم مع خُزَيمة بن خازم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علىّ بن محمد أن أبا الحسن الجُشَمىّ[1] وزهير بن هُنيد والحسن ابن رَشيد أخبروه أن خازم بن خزيمة لما أراد الخروج بمرْوَرُّوذ أراد ناس من تميم أن يمنعوه ، فقال : إنما أنا رجل منكم ، أريد مَرْو لعلى أن أغلب عليها[2] ؛ فإن ظفرتُ فهى لكم ، وإن قُتلت فقد كفيتكم أمرى . فكفّوا عنه ، فخرج فعسكر فى قرية يقال لها كَنَنْجَ رُستاه[3] ، وقدم عليهم من قبَل أبى مسلم النضْر بن صُبيح وبسام بن إبراهيم . فلما أمسى خازم بيّت أهلَ
١٩٦٠/٢ مَرْورُوذ، فقتل بشر بن جعفر السعدىّ — وكان عاملا لنصر بن سيار على مَرْورُوذ — فى أول ذى القعدة ، وبعث بالفتح إلى أبى مسلم مع خُزيمة بن خازم عبد الله بن سعيد وشبيب بن واج .

* * *

قال أبو جعفر : وقال غير الذين ذكرنا قولهم فى أمر أبى مسلم وإظهاره الدّعوة ومصيره إلى خُراسان وشخوصه عنها وعودِه إليها بعد الشخوص قولاً خلاف قولهم ؛ والذى قال فى ذلك : أنّ إبراهيم الإمام زوّج أبا مسلم لما توجّه إلى خراسان ابنةَ أبى النجم ، وساق عنه صداقها ، وكتب بذلك إلىَ النقباء ، وأمرهم بالسمع والطاعة لأبى مسلم ، وكان أبو مسلم — فيما زعم — من أهل خُطَرْنيِة ، من سواد الكوفة ، وكان قَهرماناً لإدريس بن معقل العِجْلىّ ، فآل أمره ومنتهى ولائه[4] لمحمد بن علىّ ، ثم لإبراهيم بن محمد ، ثم للأئمة من أولاد محمد ابن علىّ فقدم خُراسان وهو حديث السنّ ، فلم يقبله سليمان بن كَثير وتخوّف ألّا يقوى على أمرهم ، وخاف على نفسه وأصحابه ، فردّوه — وأبو داود خالد بن إبراهيم غائب خَلْف نهر بَلْخ — فلما انصرف أبو داود ، وقدم

(١) ط : « الحسمى » ؛ وانظر الفهرس .
(٢) ابن الأثير : « أريد أن أغلب على مرو » .
(٣) ابن الأثير : « كنج رستان » .
(٤) ابن الأثير : « فصار أمره إلى ولاية » .

مَرْو أقرأه كتاب الإمام إبراهيم، فسأل عن الرجل الذى وجّهه، فأخبروه أنّ سليمان بن كثير ردّه، فأرسل إلى جميع النقباء، فاجتمعوا فى منزل عمران بن إسماعيل، فقال لهم أبو داود: أتاكم كتاب الإمام فيمن وجّهه إليكم وأنا غائب ٢/١٩٦١
فرددتموه، فما حجّتكم فى ردّه؟ فقال سليمان بن كثير: لحداثة سنه، وتخوّفاً ألّا يقدر على القيام بهذا الأمر؛ فأشفقنا على مَنْ دعونا إليه وعلى أنفسنا وعلى المجيبين لنا، فقال: هل فيكم أحد ينكر أن الله تبارك وتعالى اختار محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وانتخبه واصطفاه، وبعثه برسالته إلى جميع خلقه؟ فهل فيكم أحدٌ ينكر ذلك؟ قالوا: لا؛ قال: أفتشكون أنّ الله تعالى نزّل عليه كتابه فأتاه به جبريل الرّوح الأمين، أحلّ فيه حلاله، وحرّم فيه حرامه، وشرّع فيه شرائعه، وسنّ فيه سننه، وأنبأه فيه بما كان قبله، وما هو كائن بعده إلى يوم القيامة؟ قالوا: لا، قال: أفتشكون أن الله عزّ وجلّ قبضه إليه بعد ما أدّى ما عليه من رسالة ربه؟ قالوا: لا، قال: أفتظنّون أن ذلك العلم الذى أنزل عليه رُفع معه أو خلّفه؟ قالوا: بل خلّفه، قال: أفتظنونه خلّفه عند غير عِتْرته وأهل بيته، الأقرب فالأقرب؟ قالوا: لا، قال: فهل أحدٌ منكم إذا رأى من هذا الأمر إقبالاً، ورأى الناس له مجيبينَ بدا له أن يصرف ذلك إلى نفسه؟ قالوا: اللهم لا، وكيف يكون ذلك! قال: لستُ أقول لكم فعلتم؛ ولكن الشيطان ربما نَزَع النزعة فيما يكون وفيما لا يكون. قال: فهل فيكم أحدٌ بدا له أن يصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عِتْرة النبى صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: لا، قال: أفتشكّون أنهم معدن العلم وأصحاب ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: لا، قال: فأراكم[١] شككتم فى أمرهم[٢] ورددتم عليهم علمهم؛ ولو لم يعلموا أن هذا الرجل ٢/١٩٦٢
هو الذى ينبغى له أن يقوم بأمرهم، لما بعثوه إليكم، وهو لا يتهم فى موالاتهم ونصرتهم والقيام بحقهم.

فبعثوا إلى أبى مسلم فردوه من قومس بقول أبى داود؛ وولّوْه أمرهم وسمعوا له وأطاعوا. ولم[٣] تزل فى نفس أبى مسلم على سليمان بن كثير، ولم يزل

(١) ابن الأثير: «أراكم». (٢) ا: «أمركم». (٣) ا، ابن الأثير: «فلم».

يعرفها لأبى داود . وسمعت الشيعة من النقباء وغيرهم لأبى مسلم ، وأطاعوه وتنازعوا، وقبلوا ما جاء به ، وبثّ الدعاة فى أقطار خُراسان ؛ فدخل الناس أفواجاً ، وكثروا، وفشت الدّعاة بخراسان كلها . وكتب إليه إبراهيم الإمام يأمره أن يوافيَه بالموسم فى هذه السنة — وهى سنة تسع وعشرين ومائة — ، ليأمره بأمره فى إظهار دعوته ، وأن يقدم معه بقَحْطبة بن شبيب ، ويحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال ؛ وقد كان اجتمع عنده ثلثمائة ألف وستون ألف درهم ، فاشترى بعامّتها عَروضاً من متاع التجار ؛ من القوهىّ والمرْوىّ والحرير والفِرِنْد، وصيّر بقيته سبائك ذهب وفضة وصيّرها فى الأقبية المحشوّة ، واشترى البغال وخرج فى النصف من جمادى الآخرة ، ومعه من النقباء قحطبة بن شبيب والقاسم بن مُجاشع وطلحة بن رزيق ؛ ومن الشيعة واحد وأربعون رجلا ، وتحمّل من قُرى خزاعة ، وحمل أثقاله على واحد وعشرين بَغْلاً ، وحمل على كلّ بغل رجلا من الشيعة بسلاحه ، وأخذ المفازة وعدا عن مسلحة نصر بن سيار حتى انتهوا إلى أبِيوَرْد .

٢/١٩٦٣ فكتب أبو مسلم إلى عثمان بن نَهيك وأصحابه يأمرهم بالقدوم عليه ، وبينه وبينهم خمسة فراسخ ، فقدم عليه منهم خمسون رجلا ، ثم ارتحلوا من أبِيوَرْد ؛ حتى انتهوْا إلى قرية يقال لها قافس ؛ من قرى نَسا ، فبعث الفضل ابن سليمان إلى أندومان — قرية أسِيد — فلقى بها رجلا من الشيعة ، فسأله عن أسيد ، فقال له الرّجل : وما سؤالك عنه ! فقد كان اليوم شرّ طويل من العامل أخِذ ، فأخِذَ معه الأحجم بن عبد الله وغَيْلان بن فَضالة وغالب ابن سعيد والمهاجر بن عثمان، فحمِلوا إلى العامل عاصم بن قيس بن الحرورىّ، فحبسهم . وارتحل أبو مسلم وأصحابه حتى انتهوْا إلى أندومان، فأتاه أبو مالك والشيعة من أهل نَسا ؛ فأخبره أبو مالك أنّ الكتاب الذى كان مع رسول الإمام عنده ، فأمره أن يأتيَه به ، فأتاه بالكتاب وبلواء وراية ؛ فإذا فى الكتاب إليه يأمره بالانصراف حيثما يلقاه كتابه ؛ وأن يظهر الدّعوة . فعقد اللواء الذى أتاه من الإمام على رمح ، وعقد الراية ، واجتمع إليه شيعة أهل نسا والدعاة والرءوس ، ومعه أهل أبِيوَرْد الذين قدموا معه .

وبلغ ذلك عاصمَ بن قيس الحرورىّ ، فبعث إلى أبى مسلم يسأله عن حاله ، فأخبره أنه من الحاجّ الذين يريدون بيت الله ، ومعه عدّة من

أصحابه من التجار ، وسأله أن يخلِّيَ سبيل من احتبس من أصحابه حتى يخرج من بلاده ، فسألوا أبا مسلم أن يكتب لهم شرْطًا على نفسه ؛ أن يصرف من معه من العبيد وما معه من الدوابّ والسلاح ، على أن يخلّوا سبيل أصحابه ١٩٦٤/٢
الذين قدموا من بلاد الإمام وغيرهم . فأجابهم أبو مسلم إلى ذلك ، وخلى سبيل أصحابه ؛ فأمر أبو مسلم الشيعة من أصحابه أن ينصرفوا ، وقرأ عليهم كتاب الإمام ، وأمرهم بإظهار الدعوة ؛ فانصرف منهم طائفة وسار معه أبو مالك أسِيد بن عبد الله الخُزاعيّ وزُرَيق بن شَوْذب ومَنْ قدم عليه من أبِيوَرْد ، وأمر مَن انصرف بالاستعداد . ثم سار فيمن بقي من أصحابه ومعه[1] قَحْطَبَة ابن شبيب ؛ حتى نزلوا تُخوم جُرجان ؛ وبعث إلى خالد بن بَرْمك وأبى عون يأمرهما بالقدوم عليه بما قِبَلهما من مال الشّيعة ، فقدما عليه ؛ فأقام أيامًا حتى اجتمعت القوافل . وجَهّز قحطبة بن شبيب ، ودفع إليه المال الذى كان معه ، والأحمال بما فيها ؛ ثم وجّهه إلى إبراهيم بن محمد ، وسار أبو مسلم بمَن معه حتى انتهى إلى نَسَا ، ثم ارتحل منها إلى أبِيوَرْد حتى قدِمَها ؛ ثم سار حتى أتى مَرْو متنكرًا ، فنزل قرية تدعى فَنِين من قرى خُزاعة لسبع ليالٍ بقين من شهر رمضان ؛ وقد كان واعد أصحابه أن يوافُوه بمَرْو يوم الفِطْر . ووجّه أبا داود وعمرو بن أعين إلى طَخَارستان ، والنضر بن صبيح إلى آمُل وبخُارى ومعه شريك بن عيسى ، وموسى بن كعب إلى أبِيوَرْد ونَسا ، وخازم بن خزيمة إلى مَرْورُوذ ، وقدموا عليه ، فصلّى بهم القاسم بن مجاشع التميميّ يوم العِيد ؛ في مصلّى آل قَنْبر ؛ في قرية أبي داود خالد بن إبراهيم.

* * *

[ذكر تعاقد أهل خراسان على قتال أبى مسلم]

وفى هذه السنة تحالفت وتعاقدت عامة مَنْ كان بخراسان من قبائل ١٩٦٥/٢
العرب على قتال أبى مسلم ؛ وذلك حين كثر تُبّاع أبى مسلم وقوىَ أمره .

وفيها تحوّل أبو مسلم من معسكره بإسفِيذَنْج إلى الماخُوان .

* ذكر الخبر عن ذلك والسبب فيه :

قال علىّ : أخبرنا الصبّاح مولى جبريل ، عن مسلمة بن يحيى ، قال :

---

(١) ط : « صحبة » .

لما ظهر أبو مسلم ، تسارع إليه الناس ، وجعل أهل مَرْو يأتونه ؛ لا يعرض لهم نصر ولا يمنعهم ؛ وكان الكِرمانىّ وشَيْبان لا يكرهان أمر أبى مسلم ؛ لأنه دعا إلى خلع مَرْوان بن محمد ، وأبو مسلم فى قرية يقال لها بالين فى خباء ليس له حرس ولا حجاب ، وعظم أمره عند الناس ، وقالوا : ظهر رجل من بنى هاشم ، له حلْم ووقار وسكينة ؛ فانطلق فتية من أهل مَرْو ، نساك كانوا يطلبون الفقه ، فأتوا أبا مسلم فى معسكره ، فسألوه عن نسبه ، فقال : خَبَرِى[1] خير لكم من نسبى ، وسألوه عن أشياء من الفقه ، فقال : أمرُكُم بالمعروف ونهيُكم عن المنكر خير لكم من هذا ؛ ونحن فى شغل ، ونحن إلى عونِكم أحوجُ منا إلى مسألتكم ، فأعفونا . قالوا : والله ما نعرف لك نسباً ، ولا نظنك تبقى إلا قليلا حتى تقتل ؛ وما بينك وبين ذلك إلا أن يتفرّغ أحد هذين ؛ قال أبو مسلم : بل أنا أقتلهما إن شاء الله .

فرجع الفتية فأتوا نصر بن سيار فحدّثوه ، فقال : جزاكم الله خيراً ، مثلكم تفقّد هذا وعرفه . وأتوا شيبان فأعلموه ، فأرسل : إنا قد أشجى بعضنا بعضاً ؛ فأرسل إليه نصر : إن شئت فكفّ عنى حتى أقاتله ، وإن شئت فجامعْنى على حربه حتى أقتله أو أنفيَه ؛ ثم نعود إلى أمرنا الذى نحن عليه . فهمّ شيبانُ أن يفعل ، فظهر ذلك فى العسكر ، فأتت عيون أبى مسلم فأخبروه ، فقال سليمان : ما هذا الأمر الذى بلغهم ! تكلّمت عند أحد بشىء ؟ فأخبره خبر الفتية الذين أتوْه ؛ فقال : هذا لذاك إذاً . فكتبوا إلى علىّ بن الكرمانىّ : إنك موتور ؛ قتِل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأى شيبان ؛ وإنما تقاتل لثأرك ؛ فامنع شيبان من صلح نصر ؛ فدخل على شيبان ، فكلمه فثناه عن رأيه ، فأرسل نصر إلى شيبان : إنك لمغرور ؛ وايم الله ليتفاقمنّ هذا الأمر حتى تستصغرَنى فى جنبه[2] . ١٩٦٦/٢

---

(١) ابن الأثير : « خيرى » .

(٢) ابن الأثير : « حتى يستصغر فى جنبه كل كبير » ، وزاد بعدها : « وقال شعراً يخاطب به ربيعة واليمن ، ويحثهم على الاتفاق معه على حرب أبى مسلم :

أَبْلِغْ ربيعةَ فى مَرْوٍ وفى يمنٍ ... أن اغضبوا قبل ألّا ينفع الغضبُ

ما بَالُكُمْ تَنْشبُون الحربَ بينكُمْ ... كأنّ أهل الحِجَى عن رأيكُمْ غيُبُ

فبينا هم فى أمرهم إذ بعث أبو مسلم النَّضر بن نُعَيم الضبّى إلى هَراة وعليها عيسى بن عَقيل الليثىّ ، فطرده عن هَرَاة ، فقدم عيسى على نَصر منهزمًا ، وغلب النَّضْر على هراة . قال : فقال يحيى بن نُعَيم بن هبيرة : اختاروا إما أن تهلكوا أنتم قبل مُضَر أو مضر قبلكم ، قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : إنّ هذا الرجل إنما ظهر أمرُه منذ شهر ، وقد صار فى عسكره مثل عسكركم ؛ قالوا : فما الرأى ؟ قال : صالحوا نَصْرًا ، فإنكم إن صالحتموه قاتلوا نصْرًا وتركوكم ؛ لأنّ الأمر فى مُضر ، وإن لم تصالحوا نصرًا صالحوه وقاتلوكم ، ثم عادوا عليكم . قالوا : فما الرأى ؟ قال : قدّموهم قبلكم ولو ساعة ؛ فتقرّ أعينكم بقتلهم . فأرسل شيبان إلى نصر يدعوه إلى الموادعة فأجابه ، فأرسل إلى سَلْم بن أحوز ، ١٩٦٧/٢
فكتب بينهم كتابًا ، فأتى شيبان وعن يمينه ابن الكِرمانىّ ، وعن يساره يحيى ابن نُعيم ، فقال سَلْم لابن الكِرمانىّ : يا أعْوَر ، ما أخلقك أن تكون الأعور الذى بلغنا أن يكون هلاك مضر على يديه ! ثم توادعوا سنة ؛ وكتبوا بينهم كتابًا ؛ فبلغ أبا مسلم ، فأرسل إلى شيبان : إنا نُوادعك أشهرًا ، فتوادعنا ثلاثة أشهر ؛ فقال ابنُ الكرمانىّ : فإنى ما صالحت نصرًا ؛ وإنما صالحه شيبان ؛ وأنا لذلك كاره ، وأنا موتور ، ولا أدَع قتاله . فعاوده القتال ؛ وأبى شيبان أن يعينَه ، وقال : لا يحلّ الغدر . فأرسل ابنُ الكرمانىّ إلى أبى مسلم يستنصرُه على نَصْر بن سيار ، فأقبل أبو مسلم حتى أتى الماخُوان ، وأرسل إلى ابن الكرمانىّ شبلَ بن طهمان : إنى معك على نصر ، فقال ابنُ الكِرمانىّ : إنى أحبّ أن يلقانى أبو مسلم ، فأبلغه ذلك شبل ، فأقام أبو مسلم أربعة عشر يومًا ، ثم سار إلى ابن الكِرمانىّ ، وخلف عسكره بالماخُوان ، فتلقاه عثمان بن الكرمانىّ فى خيل ، وسار معه حتى دخل العسكر ؛ وأتى لحجرة علىّ فوقف ، فأذن له

= وتتركونَ عَدُوًّا قدْ أحاط بكُمْ ... مِمَّنْ تَأشَّبَ لا دينٌ ولا حَسَبُ
لاعرْب مثلكم فى النَّاسِ تَعْرِفُهُمْ ... ولا صريحٌ موالٍ إن هُمُ نُسِبوا
مَنْ كان يَسْألُنِى عن أهل دينهم ... فإنّ دينَهُمْ أنْ تَهْلِكَ العربُ
قَوْمٌ يقولون قولاً ما سمعتُ بهِ ... عن النّبىِّ ولا جاءَت به الكُتُبُ

فدخل، فسلّم على علىّ بالإمرة، وقد اتخذ له علىّ منزلاً(١) فى قصر لخلّد بن الحسن الأزدىّ، فأقام يومين، ثم انصرف إلى عسكره بالماخُوان؛ وذلك لخمس خلوْن من المحرّم من سنة ثلاثين ومائة.

وأما أبو الخطاب، فإنه قال: لما كثرت الشيعة فى عسكر أبى مسلم، ضاقت به سَفيذنج، فارتاد معسكراً فسيحاً، فأصاب حاجتَه بالماخُوان؛

٢/١٩٦٨ — وهى قرية العلاء بن حُريث وأبى إسحاق خالد بن عثمان، وفيها أبو الجهم ابن عطية وإخوته — وكان مقامه بسفيذنج اثنين وأربعين يوماً، وارتحل من سفيذنج إلى الماخُوان، فنزل منزل أبى إسحاق خالد بن عثمان يوم الأربعاء، لتسعٍ ليال خلوْن من ذى القعدة من سنة تسع وعشرين ومائة، فاحتفر بها خندقاً، وجعل للخندق بابين، فعسكر فيه والشيعة، ووكّل بأحد بابَى الخندق مُصعب بن قيس الحنفىّ وبهدل بن إياس الضبىّ، ووكّل بالباب الآخر أبا شراحيل وأبا عمرو الأعجمىّ، واستعمل على الشُّرَط أبا نصر مالك ابن الهيثم، وعلى الحرس أبا إسحاق خالد بن عثمان، وعلى ديوان الجند كامل ابن مظفر أبا صالح، وعلى الرسائل أسلم بن صُبيح؛ والقاسم بن مجاشع النقيب التميمىّ على القضاء، وضمّ أبا الوضاح وعدّة من أهل السقادم إلى مالك بن الهيثم، وجعل أهل نَوْشان — وهم ثلاثة وثمانون رجلا — إلى أبى إسحاق فى الحرس.

وكان القاسم بن مجاشع يصلى بأبى مسلم الصلَوات فى الخندق، ويقصّ القصص بعد العصر، فيذكر فَضْل بنى هاشم ومعايب بنى أميّة، فنزل أبو مسلم خندق الماخُوان، وهو كرجل من الشيعة فى هيئته؛ حتى أتاه عبد الله بن بِسْطام؛ فأتاه بالأرْوقة والفَساطيط والمطابخ والمعالف للدوابّ وحياض الأدم للماء؛ فأوّل عامل استعمله أبو مسلم على شىء من العمل داود بن كرّاز؛ فردّ أبو مسلم العبيد عن أن يضاموا فى خندقه، واحتفر لهم خندقاً فى قرية

٢/١٩٦٩ شَوّال، وولى الخندق داود بن كرّاز. فلما اجتمعت للعبيد جماعة، وجّههم إلى موسى بن كعب بأبِيوَرْد، وأمر أبو مسلم كامل بن مظفر أن يعرض أهل الخندق بأسمائهم وأسماء آبائهم فينسبهم إلى القوى، ويجعل ذلك فى دفتر،

(١) كذا فى ا، وفى ط: «قصراً».

ففعل ذلك كامل أبو صالح ، فبلغت عدّتهم سبعة آلاف رجل ، فأعطاهم ثلاثة دراهم لكلّ رجل ، ثم أعطاهم أربعة أربعة على يدى أبى صالح كامل .

ثم إنّ أهل القبائل من مُضر وربيعة وقحطان توادعوا على وضع الحرب ، وعلى أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبى مسلم ، فإذا نفوه عن مَرْو نظروا فى أمر أنفسهم وعلى ما يجتمعون عليه . فكتبوا على أنفسهم بذلك كتاباً وثيقاً . وبلغ أبا مسلم الخبر ، فأفظعه ذلك وأعظمه ، فنظر أبومسلم فى أمره ، فإذا ماخوان سافلة الماء ؛ فتخوّف أن يقطع عنه نصر بن سيار الماء ، فتحوّل إلى آلين — قرية أبى منصور طلحة بن رزيق النقيب — وذلك بعد مقامه أربعة أشهر بخندق الماخُوان ، فنزل آلين فى ذى الحجة من سنة تسع وعشرين ومائة ، يوم الخميس لستّ خلون من ذى الحجة . فخندق بآلين خندقاً أمام القرية ؛ فيما بينها وبين بلاش َجرِْد ، فصارت القرية من خلف الخندق ، وجعل وجه دار المحتفز بن عثمان ابن بشر المزنىّ فى الخندق ، وشرب أهل آلين من نهر يدعى الخرقان ، لا يمكّن نصر ابن سيار قطع الشرب عن آلين . وحضر العيدُ يوم النحر ، وأمر القاسم بن ١٩٧٠/٢
مجاشع التميمىّ فصلى بأبى مسلم والشيعة فى مصلى آلين ، وعسكر نصر بن سيّار على نهر عياض ، ووضع عاصم بن عمرو ببلاش جَرْد ، ووضع أبا الذّيال بطوسان ، ووضع بشر بن أنيف اليربوعىّ بجلفر ، ووضع حاتم بن الحرث ابن سريج بخرَق ؛ وهو يلتمس مواقعة أبى مسلم . فأمّا أبو الذيال فأنزل جنده على أهلها مع أبى مسلم فى الخندق ، فآذوا أهل طوسان وعسفوهُم وذبحوا الدجاج والبقر والحمام ، وكلفوهم الطعام والعلَف ، فشكت الشيعة ذلك إلى أبى مسلم ، فوجّه معهم خيلا ، فلقوا أبا الذّيال فهزموه ، وأسروا من أصحابه ميموناً الأعسر الخوارزمىّ فى نحو من ثلاثين رجلا ، فكساهم أبو مسلم ، وداوى جراحاتهم وخلّى لهم الطريق .

* * *

[ذكر خبر مقتل الكرمانىّ]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قُتِل جُديع بن علىّ الكِرمانىّ وصُلب .

• ذكر الخبر عن مقتله :

قد مضى قبلُ ذكرُنا مقتلَ الحارث بن سُريج ، وأنّ الكرمانىّ هو الذى قتله . ولما قتل الكرمانىّ الحارث ، خلَصت له مَرْو بقتله إياه ، وتنحَّى نصر ابن سيّار عنها إلى أبرشهر ، وقوى أمرُ الكرمانىّ ، فوجّه نصر إليه - فيما قيل - سَلْم بن أحوز ، فسار فى رابطة نصر وفرسانه ؛ حتى لقِى أصحاب الكرمانىّ ،
٢/١٩٧١ فوجد يحيى بن نُعَيم أبا الميلاء واقفاً فى ألف رجل من ربيعة ، ومحمد بن المثنّى فى سبعمائة من فرسان الأزْد ، وابن الحسن بن الشيخ الأزدىّ فى ألف من فِتيانهم ، والحزمىّ السغْدىّ[١] فى ألف رجل من أبناء اليمن ، فلما تواقفوا قال سلم بن أحوز لمحمد بن المثنّى : يا محمّد بن المثنى ، مُرْ هذا الملاّح بالخروج إلينا ، فقال محمد لسلم : يابن الفاعلة ؛ لأبى علىّ تقول هذا ! ودلف القوم بعضهم إلى بعض ، فاجتلدوا بالسيوف ، فانهزم سَلْم بن أحوز ، وقتِل من أصحابه زيادة على مائة ، وقتِل من أصحاب محمد زيادة على عشرين ، وقدم أصحاب نصر عليه فلولاً ، فقال له عَقِيل بن معقل : يا نصر شأمْتَ العرب ؛ فأما إذ صنعت ما صنعتَ فجِدّ وشمر عن ساق ، فوجّه عصمة بن عبد الله الأسدىّ فوقف موقف سَلْم بن أحوز ، فنادى : يا محمد ، لتعلمنّ أن السمك لا يغلب اللُّخْم[٢] ؛ فقال له محمد : يابن الفاعلة ، قف لنا إذاً . وأمر محمد السغدىّ[٣] فخرج إليه فى أهل اليمن ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم عِصْمة حتى أتى نصر بن سيار ، وقد قتل من أصحابه أربعمائة .

ثم أرسل نصر بن سيّار مالك بن عمرو التميمىّ فأقبل فى أصحابه ، ثم
٢/١٩٧٢ نادى : يابن المثنى ، ابرز لى إن كنت رجلا ! فبرز له ، فضربه التميمىّ على حبل العاتِق فلم يصنع شيئاً ؛ وضربه محمد بن المثنّى بعمود فشدخَ رأسه ؛ فالتحم القتال ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً كأعظم مايكون من القتال ، فانهزم أصحاب نصر ، وقد قتِل منهم سبعمائة رجل ، وقتِل من أصحاب الكرمانىّ ثلثمائة رجل ؛ ولم يزل الشرّ بينهم حتى خرجوا جميعاً إلى الخندقين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ،

(١) ابن الأثير : « والجرمى السعدى» .
(٢) فى ابن الأثير : « اللخم : دابة من دواب الماء ، تشبه السبع ؛ تأكل السمك » .
(٣) ابن الأثير : « السعدى » .

فلما استيقن أبو مسلم أنّ كلا الفريقين قد أثخن صاحبه ، وأنه لا مدد لهم ، جعل يكتب الكتب إلى شَيْبان ، ثم يقول للرسول : اجعل طريقك على المضريّة ، فإنهم سيعرضون لك ، ويأخذون كتبك ، فكانوا يأخذونها فيقرءون فيها : إنى رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم ، فلا تثقنّ بهم ولا تطمئنّ إليهم ؛ فإنى أرجو أن يريك الله ما تحبّ ، ولئن بقيت لا أدَع لهم شَعَرا ولا ظفُراً . ويرسل رسولا آخر فى طريق آخر بكتاب فيه ذكر المضريّة وإطراء اليمن بمثل ذلك ؛ حتى صار هوى الفريقين جميعاً معه ؛ وجعل يكتب إلى نصر بن سيّار وإلى الكرمانىّ : إنّ الإمام قد أوصانى بكم ، ولستُ أعدو رأيه فيكم. وكتب إلى الكُور بإظهار الأمر ؛ فكان أول مَن سوّد — فيما ذكر — أسيد[١] ابن عبد الله بنسا ، ونادى : يا محمد ، يا منصور . وسوّد معه مقاتل بن حكيم وابن غزوان ، وسوّد أهل أبيورد وأهل مَرْو الرّوذ ، وقرى مَرْو .

١٩٧٣/٢ وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق نصر بن سيار وخندق جُديع الكرمانىّ ، وهابه الفريقان ، وكثر أصحابه ، فكتب نصر بن سيار إلى مَرْوان ابن محمد يعلمه حال أبى مسلم وخروجه وكثرة مَن معه ومَن تبعه ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، وكتب بأبيات شعر :

أَرَى بَيْنَ الرَّمادِ وَمِيضَ جَمْرٍ ... فأَحجِ بِأَنْ يكُونَ لَهُ ضِرامُ[٢]

فإنَّ النارَ بالعودَيْنِ تُذْكَى ... وإنَّ الحَرْبَ مَبْدَؤها الكلامُ[٣]

فقُلتُ من التَّعَجُّبِ : لَيْتَ شِعْرى ... أَأَيقاظٌ أُمَيَّةُ أَمْ نِيامُ !

فكتب إليه : الشاهد[٤] يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثؤلول قِبَلك ، فقال نصر : أما صاحبكم فقد أعلمكم ألّا نصر عنده . فكتب إلى يزيد بن عمر بن هُبيرة يستمدّه ، وكتب إليه بأبيات شعر :

أَبلغْ يَزِيدَ وخَيْرُ القَوْلِ أَصدَقُهُ ... وقد تبَيَّنْتُ أَلّا خَيْرَ فى الكذبِ[٥]

---

(١) ابن الأثير : « أسد بن عبد الله الخزاعى » .
(٢) ابن الأثير : « وأخشى أن يكون لها ضرام » .
(٣) ابن الأثير : « مبدؤها كلام » .
(٤) ا : « إن الشاهد » .
(٥) ابن الأثير : « تيقنت » .

أَنَّ خُراسانَ أَرْضٌ قد رأيْتُ بها بَيْضاً لوافرَخَ قد حُدِّثْتَ بالعَجَب

١٩٧٤/٢ فِراخُ عامَيْنِ إلا أنَّها كَبِرَتْ لمّا يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ

فإنْ يَطِرنَ ولَمْ يُحْتَلْ لَهُنَّ بِها يُلْهِبْنَ نيرانَ حرْب أيَّما لَهَب[1]

فقال يزيد : لا غلبة إلا بكثْرة ؛ وليس عندى رجل . وكتب نصر إلى مَرْوان يخبره خبر أبى مسلم وظهورَه وقوّته ؛ وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، فألفى الكتاب مَرْوان وقد أتاه رسول لأبى مسلم إلى إبراهيم ؛ كان قد عاد من عند إبراهيم ، ومعه كتاب إبراهيم إلى أبى مسلم جواب كتابه ، يلعن فيه أبا مسلم ويسبّه ؛ حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمانىّ إذ أمكناه ، ويأمره ألّا يدع بخُراسان عربيًّا إلا قتله . فدفع الرسول الكتاب إلى مَرْوان ، فكتب مروان
١٩٧٥/٢ إلى الوليدبن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق ، يأمره أن يكتب إلى عامل البَلْقاء ، فيسير إلى كرار الُحميمة ، فليأخذ إبراهيم بن محمد ويشدّه وَثاقا ، وليبعث به إليه فى خيل ؛ فوجه الوليد إلى عامل البَلْقاء فأتى إبراهيم وهو فى مسجد القرية ، فأخذه وكتفه وحمله إلى الوليد ، فحمله إلى مَرْوان فحبسه مروان فى السجن .

* * *

رجع الحديث إلى حديث نصر والكرمانىّ . وبعث أبو مسلم حين عظم الأمر بين الكرمانىّ ونصر إلى الكرمانىّ : إنى معك ، فقبِل ذلك الكِرمانىّ وانضمّ إليه أبو مسلم ، فاشتدّ ذلك على نَصْر ، فأرسل إلى الكِرمانىّ : ويلك لا تغترّ را فوالله إنى لخائف عليك وعلى أصحابك منه ؛ ولكن هلمّ إلى الموادعة ، فتدخل مَرْو ، فنكتب بيننا كتابًا بصلح — وهو يريد أن يفرّق بينه وبين أبى مسلم — فدخل الكِرمانىّ منزله ، وأقام أبو مسلم فى المعسكر ، وخرج الكِرمانىّ حتى وقف فى الرَّحَبة فى مائة فارس ، وعليه قرطق خشكشونة . ثم أرسل إلى نصر : اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب ، فأبصر نصر منه غِرّة ، فوجه إليه

---

(١) ابن الأثير :

إلاَّ تدارَكْ بخيل اللهِ مُعْلِمَةً أَلْهَبْنَ نيرانَ حَرْبٍ أيَّمَا لهبِ

ابن الحارث بن سريج فى نحو من ثلثمائة فارس ، فالتقوا فى الرَّحَبة ، فاقتتلوا بها طويلاً .

ثم إنّ الكرمانىّ طُعِن فى خاصرته فخرّ عن دابّته ، وحماه أصحابُه حتّى جاءهم ما لا قِبل لهم به ، فقتل نصر الكِرمانىَّ وصلبه ، ومعه سمكة ، فأقبل ابنه علىّ - وقد كان صار إلى أبى مسلم، وقد جمع جمعاً كثيراً - فسار بهم إلى نصر بن سيار فقاتله حتّى أخرجه من دار الإمارة ، فمال إلى بعض دور مَرْو ، وأقبل أبو مسلم حتّى دخل مَرْو ، فأتاه علىّ بن جُديع الكرمانىّ ١٩٧٦/٢
فسلّم عليه بالإمْرة ، وأعلمه أنه معه على مساعدته ، وقال : مُرْنى بأمرك ، فقال : أقم على ما أنت عليه حتّى آمرك بأمرى .

* * *

[غلبة عبد الله بن معاوية على فارس]

وفى هذه السنة غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب على فارس .

* ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذى وصل به إلى الغلبة عليها :

ذكر علىّ بن محمد أنّ عاصم بن حفص التميمىّ وغيره حدّثوه أنّ عبد الله ابن معاوية لما هُزم بالكوفة ، شخص إلى المدائن ، فبايعه أهلُ المدائن ، فأتاه قومٌ من أهل الكُوفة ، فخرج إلى الجبال فغلب عليها ، وعلى حُلْوان وقُومِس وأصبهان والرىّ ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة ، فلمّا غلب على ذلك أقام بأصبهان ؛ وقد كان محارب بن موسى مولى بنى يَشْكر عظيم القدر بفارس ، فجاء يمشى فى نعلين إلى دار الإمارة بإصطخر ، فطرد العامل ؛ عامل ابن عمر عنها ، وقال لرجل يقال له عمارة : بايع الناس ، فقال له أهل إصطخر : علامَ نبايع[1] ؟ قال : على ما أحببتم وكرهتم . فبايعوه لابن معاوية ، وخرج محارب إلى كرمان فأغار عليهم ، وأصاب فى غارته إبلا لثعلبة بن حسان المازنىّ فاستاقها ورجع . فخرج ثعلبة يطلب إبله فى قرية له تدعى أشهر - قال : ومع ثعلبة مولًى له - فقال له مولاه : هل لك أن نفتك بمحارب ؛ فإن شئت ضربتَه وكفيتنى الناس ؛ وإن شئت ضربتُه وكفيتَك الناس؟ قال : ويحك! أردتَ أن تفتك[2] ١٩٧٧/٢

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « تبايع » . (٢) ا : « تقتل » .

[وتذهب الإبل ولم نلق] [1] الرجل ! ثم دخل على محارب فرحّب به، ثم قال: حاجتك ! قال : إبلى ، [قال : نعم ، لقد أخذت] [1] ، وما أعرفها، وقد عرفتها ، فدونك إبلك فأخذها ، وقال لمولاه [2] : [هذا خير ، وما أردت؟] [1] قال : ذلك لو أخذناها كان أشنى . وانضمّ إلى محارب القواد والأمراء من أهل الشأم: فسار إلى مسلم بن المسيّب وهو بشيراز ، عامل لابن عمر ؛ فقتله فى سنة ثمان وعشرين ومائة ، ثم خرج محارب إلى أصبهان ، فحوّل عبد الله بن معاوية إلى إصطخر ؛ واستعمل أخاه عبد الله أخاه الحسن على الجبال ، فأقبل فنزل فى دير على ميل من إصطخر ، واستعمل أخاه يزيد على فارس فأقام ، فأتاه الناس ؛ بنو هاشم وغيرهم ؛ وجبَى المال ، وبعث العمال ؛ وكان معه منصور بن جُمهور وسليمان بن هشام بن عبد الملك وشيبان بن الحِلْس بن عبد العزيز الشيبانىّ الخارجىّ ، وأتاه أبو جعفر عبد الله، وعبد الله وعيسى ابنا علىّ . وقدم يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق ، فأرسل نباتة بن حنظلة الكلابىّ إلى عبد الله بن معاوية ؛ وبلغ سليمان بن حبيب أنّ ابن هُبيرة ولى نباتة الأهواز ، فسرّح داود بن حاتم ، فأقام بكربُج دينار ليمنع نباتة من

٢/١٩٧٨ الأهواز ، فقدم نُباتة ، فقاتله ، فقتل داود ، وهرب سليمان إلى سابور ؛ وفيها الأكراد قد غلبوا عليها ، وأخرجوا المسيح بن الحمارىّ ؛ فقاتلهم سليمان ، فطرد الأكراد عن سابور ، وكتب إلى عبد الله بن معاوية بالبيعة ، فقال : عبدالرحمن ابن يزيد بن المهلب : لا يفى لك ، وإنما أراد أن يدفعك عنه ؛ ويأكل سابور ؛ فاكتب إليه فليقدم عليك إن كان صادقاً . فكتب إليه فقدم ، وقال لأصحابه : ادخلوا معى ؛ فإن منعكم أحد فقاتلوه، فدخلوا فقال لابن معاوية : أنا أطوع الناس لك ، قال : ارجع إلى عملك ، فرجع .

ثم إن محارب بن موسى نافر ابنَ معاوية ، وجمع جمعاً ، فأتى سابور — وكان ابنه مخلد بن محارب محبوساً بسابور ، أخذه يزيد بن معاوية فحبسه — فقال لمحارب : ابنك فى يديه وتحاربه ! أما تخاف أن يقتل ابنك ! قال : أبعده الله ! فقاتله يزيد ، فانهزم محارب ، فأتى كرمان ، فأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث ، فصار معه ، ثم نافرَ ابن الأشعث فقتله وأربعة وعشرين

(١) من ا . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « لولا » .

ابناً له . ولم يزل عبد الله بن معاوية بإصطخر حتى أتاه ابن ضُبارة مع داود ابن يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأمر ابن معاوية فكسروا قنطرة الكوفة ، فوجّه ابن هبيرة معنَ بن زائدة من وَجْه آخر ، فقال سليمان لأبان بن معاوية بن هشام : قد أتاك القوم ، قال : لم أومَرْ بقتالهم ؛ قال : ولا تؤمر والله بهم أبداً ، وأتاهم فقاتلهم عند مَرْو الشاذان ، ومعن يرتجز :

١٩٧٩/٢ لَيْسَ أميرُ القَوْمِ بالْخَبِّ الخدَعْ   فَرَّ من الموْتِ وفى الموْتِ وقَعْ

قال ابن المقفع أو غيره :

فرّ من الموت وفيه قد وقع .

قال : عمداً، قلت : قد عملت ، فانهزم ابن معاوية ، وكفّ معن عنهم ، فقتل فى المعركة رجل من آل أبى لهب ، وكان يقال : يقتل رجل من بنى هاشم بمَرْو الشاذان . وأسروا أسَراء كثيرة ، فقتَل ابن ضبارة عدّة كثيرة ؛ فيقال : كان فيمن قُتِل يومئذ حكيم الفرد أبو المجد ، ويقال : قتِل بالأهواز ، قتله نباتة .

ولما انهزم ابنُ معاوية هرب شيبان إلى جزيرة ابن كاوان ومنصور بن جمهور إلى السند ، وعبد الرحمن بن يزيد إلى عُمان ، وعمرو بن سهل بن عبد العزيز إلى مصر ؛ وبعث ببقيّة الأسرَاء إلى ابن هبيرة .

قال حميد الطويل : أطلق أولئك الأسراء فلم يقتل منهم غير حصين بن وعلة السدُوسىّ ، ولما أمر بقتله قال : أقتَلُ من بين الأسراء ! قال : نعم ، أنت مشرك ، أنت الذى تقول :

* وَلَوْ آمْرُ الشمْسَ لَمْ تُشْرِقِ *

ومضى ابنُ معاوية من وجهه إلى سجستان . ثم أتى خراسان ومنصور بن جمهور إلى السند ، فسار فى طلبه معن بن زائدة وعطيّة الثعلبىّ وغيره من بنى ثعلبة ، فلم يدركوه ، فرجعوا . وكان حصين بن وَعْلة السدوسى مع يزيد بن ١٩٨٠/٢
معاوية ، فتركه [ولحق بعبد الله بن معاوية] فأسره مورع السلمىّ ، رآه دخل غيضة فأخذه فأتى به [معن بن زائدة] فبعث به معن إلى ابن ضُبارة ، فبعث به ابن ضبارة إلى واسط ؛ وسار ابن ضبارة إلى عبد الله بن معاوية بإصطخر ، فنزل بإزائه على نهر إصطخر ، فعبر ابن الصَّحْصَح فى ألف ، فلقيه من أصحاب

عبدالله بن معاوية أبان بن معاوية بن هشام فيمن كان معه من أهل الشأم ، ممن كان مع سليمان بن هشام فاقتتلوا ، فمال ابنُ نباتة إلى القنطرة ، فلقيَهم مَن كان مع ابن معاوية من الخوارج ، فانهزم أبان والخوارج ، فأسر منهم ألفاً ، فأتوْا بهم ابن ضُبارة ، فخلى عنهم ، وأخذ يومئذ عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عباس فى الأسَراء ، فنسبه ابن ضبارة ، فقال : ما جاء بك إلى ابن معاوية ، وقد عرفت خلافه أمير المؤمنين ! قال : كان علىّ دين فأدّيته . فقام إليه حرب بن قطن الكنانىّ[1] ، فقال : ابن اختنا ، فوهبه له ، وقال : ما كنت لأقدم على رجل من قريش . وقال له ابن ضبارة : إن الذى قد كنت معه قد عِيبَ بأشياء ، فعندك منها علم ؟ قال : نعم ، وعابه ورمى أصحابه باللُّواط ، فأتوا ابن ضبارة بغلمان عليهم أقبية قُوهيّة مصبّغة ألواناً ، فأقامهم للناس وهم أكثر من مائة غلام ، لينظروا إليهم . وحمل ابن ضبارة عبدَ الله بن علىّ على البريد إلى ابن هبيرة ليخبره أخباره ، فحمله ابن هبيرة إلى مَرْوان فى أجناد
١٩٨١/٢ أهل الشأم ، وكان يعيبه ، وابن ضُبارة يومئذ فى مفَازة كِرمان فى طلب عبد الله ابن معاوية ، وقد أتى ابن هبيرة مقتل نباتة ، فوجّه ابن هبيرة كرَب بن مصقلة والحكم بن أبى الأبيض العبسىّ وابن محمد السكونىّ ؛ كلهم خطيب ، فتكلموا فى تقريظ ابن ضُبارة ، فكتب إليه أن سِرْ بالناس إلى فارس ، ثم جاءه كتاب ابن هبيرة : سر إلى أصبهان .

* * *

[مجىء أبى حمزة الخارجىّ الموسم]

وفى هذه السنة وافى الموسمَ أبو حمزة الخارجىّ ، من قِبَل عبد الله ابن يحيى طالب الحق ، محكِّماً[2] مظهراً للخلاف على مَرْوان بن محمد .

* ذكر الخبر عن ذلك من أمره :

حدّثنى العباس بن عيسى العُقيلىّ ، قال : حدّثنا هارون بن موسى الفروىّ قال : حدّثنا موسى بن كَثير مولى الساعديّين ، قال : لما كان تمام سنة تسع وعشرين ومائة ، لم يدر الناس بعَرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود

(١) ا ، وابن الأثير : « الهلالى » . (٢) ا : « فحكم » .

حرقانيّة فى رءوس الرماح وهم فى سبعمائة ، ففزع الناس حين رأوْهم ، وقالوا : ما لكم ! وما حالكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مرْوان وآل مرْوان والتبرُّؤ منه . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان – وهو يومئذ على المدينة ومكة – فراسلهم فى الهُدنة ، فقالوا : نحن بحجّنا أضنّ ، ونحن عليه أشحّ . وصالحهم على أنهم جميعًا آمنون ؛ بعضهم من بعض ، حتى ينفِر الناس النّفْر الأخير ، وأصبحوا[1] ١٩٨٢/٢
من الغد . فوقفوا على حِدة بعرفة ، ودفع بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، فلما كانوا بمنى ندّموا عبد الواحد ، وقالوا : قد أخطأتَ فيهم ، ولو حملت الحاجّ عليهم ما كانوا إلاّ أكلةَ رأس . فنزل أبو حمزة بقُرين الثعالب ، ونزل عبد الواحد منزل السلطان ، فبعث عبد الواحد إلى أبى حمزة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ ، ومحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر ، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، فى رجال أمثالهم ، فدخلوا على أبى حمْزة وعليه إزار قُطْن غليظ ، فتقدّمهم إليه عبد الله بن الحسن ومحمد بن عبدالله فنسبهما فانتسبا له ، فعبّس فى وجوههما ، وأظهر الكراهة لهما ، ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر فانتسبا له ، فهشّ إليهما ، وتبسّم فى وجوههما ، وقال : والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويْكما ، فقال له عبد الله بن حسن : والله ما جئنا لتفضّل بين آبائنا ، ولكنا بعثنا إليك الأمير برسالة – وهذا ربيعة يخبركَها – فلما ذكر ربيعةُ نقْضَ العهد ؛ قال بلج وأبرهة – وكانا قائدين له : الساعة الساعة ! فأقبل عليهم أبو حمزة ، فقال : معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيس ، ١٩٨٣/٢
والله لا أفعل ولو قطعت رقبتى هذه ؛ ولكن تنقضى الهدنة بيننا وبينكم . فلما أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبد الواحد ، فلما كان النّفْر نفر عبد الواحد فى النّفْر الأول ، وخلى مكة لأبى حمزة ، فدخلها بغير قتال . قال العباس : قال هارون : فأنشدنى يعقوب بن طلحة الليثى أبياتًا هُجِىَ بها عبد الواحد – قال : وهى لبعض الشعراء لم أحفظ اسمه :

(١) ط : « ويصبحوا » .

زارَ الحَجيجَ عصابةٌ قَدْ خالفوا ... دِينَ الإلٰهِ فَفَرَّ عبدُ الواحِدِ
تَرَكَ الحَلائلَ والإمارَةَ هارِباً ... ومضى يُخَبِّط كالبَعِيرِ الشَّارِدِ
لو كان والِدُهُ تَنَصَّلَ عِرْقُه ... لَصَفَتْ مَضارِبُهُ بعِرْقِ الوالد

ثم مضى عبدُ الواحد حتّى دخل المدينة ، فدعا بالدّيوان ، فضرب على الناس البَعْث ، وزادهم فى العطاء عشرة عشرة . قال العباس : قال هارون : أخبرنى بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض ، قال : كنت فيمن اكتتب ، ثم محوْت اسمى .

قال العباس : قال هارون : وحدّثنى غير واحد من أصحابنا أنّ عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان علىَ الناس فخرجوا ؛ فلما كانوا بالحرّة لقيتهم جُزُر منحورة فمضوْا .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مرْوان
١٩٨٤/٢ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال محمد بن عمر وغيره .

وكان العامل على مكة والمدينة عبد الواحد بن سليمان ، وعلى العراق يزيد ابن عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربىّ — فيما ذكر — وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور ، وعلى خراسان نصر بن سيار ، والفتنة بها .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة
ذكر خبر الأحداث التى كانت فيها

* * *

[ذكر دخول أبى مسلم مَرْو والبيعة بها]

فممّا كان فيها من ذلك دخول أبى مسلم حائط مَرْو ونزوله دار الإمارة بها ، ومطابقة علىّ بن جُدَيع الكرمانىّ إيّاه على حرب نصر بن سيّار .

* ذكر الخبر عن ذلك وسببه :

ذكر أبو الخطاب أن دخولَ أبى مسلم حائط مَرْو ونزوله دار الإمارة التى ينزلها عمّال خراسان كان فى سنة ثلاثين ومائة لتسع خلوْن من جمادى الآخرة يوم الخميس ، وأن السبب فى مسير علىّ بن جُدَيع مع أبى مسلم كان أن سليمان ابن كثير كان بإزاء علىّ بن الكرمانىّ حين تعاقد هو ونصر على حَرْب أبى مسلم ؛ فقال سليمان بن كثير لعلىّ بن الكرمانىّ : يقول لك أبومسلم : أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار ، وقد قتل بالأمس أباك وصلبه ! ما كنتُ أحسبك ١٩٨٥/٢
تجامع نصر بن سيار فى مسجد تصليان فيه ! فأدرك علىّ بن الكرمانىّ الحفيظة ، فرجع عن رأيه وانتقض صلح العرب . قال : ولما انتقض صلحُهم بعث نصر ابن سيار إلى أبى مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مُضر ، وبعثت ربيعة وقحطان إلى أبى مسلم بمثل ذلك ، فتراسلوا بذلك أيامًا ، فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتّى يختار أحدهما ، ففعلوا . وأمر أبو مسلم الشيعة أن يختاروا ربيعة وقحطان ؛ فإنّ السلطان فى مُضَر ، وهم عمال مروان الجعدىّ ، وهم قتلة يحيى بن زيد . فقدم الوفدان ؛ فكان فى وفد مُضر عقيل بن معقل بن حسان الليثىّ وعبيد الله بن عبدربه الليثىّ والخطاب بن محرز[1] السُّلَمىّ ، فى رجال منهم . وكان فى وفد قحطان عثمان بن الكِرمانىّ ومحمد بن المثنى وسَوْرة بن محمد ابن عزيز الكندىّ ، فى رجال منهم ؛ فأمر أبو مسلم عثمان بن الكِرْمانىّ وأصحابه

---

(١) ط : « محمد » ، وانظر الفهرس .

فدخلوا بستان المحتفز ، وقد بسط لهم فيه ؛ فقعدوا وجلس أبو مسلم فى بيت فى دار المحتفز ، وأذن لَعقيل بن معقل وأصحابه من وفد مُضَر ، فدخلوا إليه ، ومع أبى مسلم فى البيت سبعون رجلاً من الشيعة ، قرأ على الشيعة كتاباً كتبه أبو مسلم ليختاروا أحد الفريقين ؛ فلما فرغ من قراءة الكتاب ، قام سليمان ابن كثير ، فتكلم — وكان خطيباً مفوّهاً — فاختار علىّ بن الكرمانىّ وأصحابه ، وقام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فيهم — وكان فصيحاً متكلّماً —
١٩٨٦/٢ فقال كمقالة سليمان بن كَثير ، ثم قام مزيد بن شقيق السلمىّ ، فقال : مضر قتلة آل النبي صلى الله عليه وسلم وأعوان بنى أمية وشيعة مَرْوان الجعدىّ ، ودماؤنا فى أعناقهم ، وأموالنا فى أيديهم ، والتّباعات قِبَلهم ، ونصر بن سيار عامل مروان على خراسان يُنفذ أمورَه ، ويدعو له على منبره ، ويسمّيه أمير المؤمنين ؛ ونحن من ذلك إلى الله بُرآء وأن يكون مَرْوان أمير المؤمنين ، وأن يكون نصرٌ على هدًى وصواب ، وقد اخترنا علىّ بن الكرمانىّ وأصحابه من قَحطان وربيعة . فقال السبعون الذين جمعوا فى البيت بقول مزيد بن شقيق .

فنهض وفْد مضر عليهم الذّلة والكآبة ؛ ووجّه معهم أبو مسلم القاسم بن مجاشع فى خيل حتى بلغوا مأمنهم ، ورجع وفد علىّ بن الكِرمانىّ مسرورين منصورين . وكان مقام أبى مسلم بآلين تسعة وعشرين يوماً ، فرحل عن آلين راجعاً إلى خندقه بالماخُوان ، وأمر أبو مسلم الشيعة أن يبتنوا(١) المساكن ، ويستعدّوا للشتاء فقد أعفاهم(٢) الله من اجتماع كلمة العرب ، وصيرهم بنا إلى افتراق الكلمة ؛ وكان ذلك قَدَراً من الله مقدوراً .

وكان دخول أبى مسلم الماخُوان منصرفاً عن آلين سنة ثلاثين ومائة ، للنصْف من صفر يوم الخميس ، فأقام أبو مسلم فى خَنْدَقه بالماخُوان ثلاثة أشهر ؛ تسعين يوماً ، ثم دخل حائط مَرْو يوم الخميس لتسع خلَوْن من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة .

قال : وكان حائط مَرْو إذ ذاك فى يد نصر بن سيّار لأنّه عامل خراسان ،

(١) ابن الأثير : « أن يبنوا » . (٢) ابن الأثير : « أغناهم الله » .

فأرسل علىّ بن الكرمانىّ إلى أبى مسلم أن أدخل الحائط مِن قِبَلك ، وأدخل ١٩٨٧/٢
أنا وعشيرتى من قِبَلى ، فنغلب على الحائط . فأرسل إليه أبو مسلم أن لست
آمَن أن يجتمع يدك ويد نصر على محاربتى ؛ ولكن ادخل أنت فانشب الحرب
بينك وبينه وبين أصحابه ؛ فدخل علىّ بن الكرمانىّ فأنشب الحرب ، وبعث
أبو مسلم أبا علىّ شبل بن طهمان النقيب فى جُند ، فدخلوا الحائط ، فنزل
فى قصر بخاراخذاه ؛ فبعثوا إلى أبى مسلم أن ادخل ، فدخل أبو مسلم من خندق
الماخُوان ، وعلى مقدّمته أسيد بن عبد الله الخزاعىّ ، وعلى ميمنته مالك بن
الهيثم الخزاعىّ ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع التميمىّ ؛ حتّى دخل
الحائط ؛ والفريقان يقتتلان . فأمرهما بالكفّ وهو يتلو من كتاب الله :
﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فوجد فيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذا
مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذا مِنْ عَدُوِّهِ﴾[1]. ومضى أبو مسلم حتّى نزل قصر الإمارة
بمرْو الذى كان ينزله عمال خُراسان ؛ وكان ذلك لتسع خلوْن من جُمادى
الأولى سنة ثلاثين ومائة ، يوم الخميس .

وهرب نصر بن سيّار عن مَرْو الغد من يوم الجمعة لعشرٍ خلوْن من
جُمادى الأولى من سنة ثلاثين ومائة ، وصفت مَرْو لأبى مسلم . فلما دخل أبو مسلم
حائط مَرْو أمر أبا منصور طلحة بن رُزيق بأخذ البيعة على الجند من الهاشميّة
خاصّة — وكان أبو منصور رجلاً فصيحًا نبيلاً مفوّهًا عالمًا بحجج الهاشمية
وغوامض أمورهم ؛ وهو أحد النقباء الاثنى عشر ؛ والنقباء الاثنا عشر هم الذين ١٩٨٨/٢
اختارهم محمد بن علىّ من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله
إلى خراسان سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة — وأمره أن يدعو إلى الرّضا ، ولا
يسمى أحداً ، ومثّل له مثالا ووصف من العدل صفة ، فقدمها فدعا
سرًّا ، فأجابه ناس ، فلما صاروا سبعين أخذ منهم اثنى عشر نقيبًا .
منهم من خُزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح
وطلحة ابن رُزيق وعمرو بن أعين ، ومن طيّئ قحطبة — واسمه زياد بن

---

(١) سورة القصص ١٥ .

شبيب بن خالد بن معْدان — ومن تميم موسى بن كعب أبو عيينة ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع ، كلُّهم من بنى امرئ القيس ، وأسلم بن سلام أبو سلام ؛ ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم من بنى عمرو بن شيبان أخى سدُوس وأبو علىّ الهروىّ .

ويقال: شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين . وعيسى بن كعب وأبو النجم عمران بن إسماعيل[1] مكان أبى علىّ الهرَوىّ ، وهو ختَن أبى مسلم .

ولم يكن فى النقباء أحد والده حىّ غير أبى منصور طلحة بن رزيق بن أسعد[2] ؛ وهو أبو زينب الخزاعىّ ، وقد كان شهد حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وصحب المهلب بن أبى صفرة وغزا معه ؛ فكان أبو مسلم يشاوره فى الأمور ، ويسأله عمّا شهد من الحروب والمغازى ، ويسأله عن الكنية بأبى منصور : يا أبا منصور ، ما تقول ؟ وما رأيك ؟

٢/١٩٨٩ قال أبو الخطاب : فأخبرنا من شهد أبا منصور يأخذ البيعة على الهاشميّة : أبايعكم على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، والطلاق والعتَاق ، والمشى إلى بيت الله ، وعلى ألّا تسألوا رزقًا ولا طعمًا[3] حتّى يبدأكم به ولاتكم ؛ وإن كان عدوّ أحدكم تحت قدمه فلا تهيجوه إلا بأمر ولاتكم . فلما حبس أبو مسلم سَلْم بن أحْوز ويونس بن عبد ربه[4] ، وعقيل ابن معقل ومنصور بن أبى الخرقاء وأصحابه ، شاور أبا منصور ، فقال : اجعل سوطك السيف ، وسجنك القبر ؛ فأقدمهم أبو مسلم فقتلهم ، وكانت عدّتهم أربعة وعشرين رجلا .

وأما علىّ بن محمد ، فإنه ذكر أن الصباح مولى جبريل ، أخبره عن مسلمة ابن يحيى ، أن أبا مسلم جعل على حَرَسه خالد بن عثمان ، وعلى شُرَطه مالك

(١) ابن الأثير : « أبو النجم إسماعيل بن عمران » .
(٢) ابن الأثير : « سعد » . قال : « ورزيق ، بتقديم الراء على الزاى » .
(٣) ابن الأثير : « ولا طعما » . (٤) ابن الأثير : « عبدويه » .

ابن الهيثم ، وعلى القضاء القاسم بن مجاشع ، وعلى الديوان كامل بن مظفّر ، فرزق كلّ رجل أربعة آلاف ، وأنه أقام فى عسكره بالماخُوان ثلاثة أشهر ، ثم سار من الماخُوان ليلاً فى جمع كبير يريد عسكر ابن الكرْمانىّ ؛ وعلى ميمنته لاهز بن قريظ ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع ، وعلى مقدّمته أبو نصر مالك بن الهيثم . وخلّف على خندقه أبا عبدالرحمن الماخُوانىّ ، فأصبح فى عسكر شيبان ؛ فخاف نصر أن يجتمع أبو مسلم وابن الكرمانىّ على قتاله ؛ فأرسل إلى ١٩٩٠/٢
أبى مسلم يعرض عليه أن يدخل مدينة مَرْو ويوادعه ، فأجابه ، فوادع أبا مسلم نصر ، فراسل نصر بن أحوز يومه ذلك كله ، وأبو مسلم فى عسكر شيبان ، فأصبح نصر وابن الكرمانىّ ، فغدوا إلى القتال ، وأقبل أبو مسلم ليدخل مدينة مَرْو ، فردّ خيل نصر وخيل ابن الكرمانىّ ، ودخل المدينة لسبع — أو لتسع — خلوْن من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين ومائة ، وهو يتلو : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانَ هَذا مِنْ شِيعَتِه . . . ﴾(١) إلى آخر الآية .

قال علىّ : وأخبرنا أبو الذّيال والمفضل الضبىّ ، قالا : لما دخل أبو مسلم مدينة مَرْو ، قال نصر لأصحابه : أرى هذا الرجل قد قوِىَ أمره ، وقد سارع إليه الناس ، وقد وادعتُه وسيتمّ له ما يريد ؛ فاخرجوا بنا عن هذه البلدة وخلّوه ، فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : نعم ، وقال بعضهم : لا ، فقال : أما إنكم ستذكرون قولى . وقال لخاصته من مضر : انطلقوا إلى أبى مسلم فالقوْه ، وخذوا بحظّكم منه ، وأرسل أبو مسلم إلى نَصْر لاهز بن قريظ يدعوه فقال لاهز : ﴿إن الملأ يأتمرُونَ بِكَ لِيقْتلوك﴾(٢) ، وقرأ قبلها آيات ، ففطن نصر ، فقال لغلامه : ضع لى وضوءاً ؛ فقام كأنه يريد الوضوء ، فدخل بستاناً وخرج منه ، فركب وهرب .

قال علىّ : وأخبرنا أبو الذّيال ، قال : أخبرنى إياس بن طلحة بن طلحة قال : كنت مع أبى وقد ذهب عمّى إلى أبى مسلم يبايعه ؛ فأبطأ حتى صلّيتُ

(١) سورة القصص ١٥ . (٢) سورة القصص ٢٠ .

١٩٩١/٢ العصر والنهار قصير ؛ فنحن ننتظره ؛ وقد هيّأنا له الغداء ؛ فإنى لقاعد مع أبى إذ مرّ نصر على بِرْذَوْن ؛ لا أعلم فى داره بِرْذَوْنًا أسرى منه ، ومعه حاجبه والحكَم بن نُميلة النميرىّ. قال أبى : إنه لهارب ليس معه أحد، وليس بين يديه حرْبة ولا راية، فمرّ بنا ، فسلم تسليمًا خفيًّا ، فلما جازَنا ضرَب بِرْذونه ، ونادى الحكم بن نميلة غلمانه ، فركبوا واتبعوه .

قال علىّ: قال أبو الذّيال : قال إياس : كان بين منزلنا وبين مرو أربعة فراسخ ، فمرّ بنا نصر بعد العتَمة، فضجّ أهل القرية وهربوا، فقال لى أهلى وإخوانى : اخرج لا تُقْتَل ؛ وبكوْا؛ فخرجت أنا وعمّى المهلب بن إياس فلحقْنا نصراً بعد هدء الليل؛ وهو فى أربعين ، قد قام برذْونه ، فنزل عنه ، فحمله بشر بن بِسْطام بن عمران بن الفضل البُرْجِمىّ على بِرْذَوْنه ، فقال نصر : إنى لا آمن الطّلَب ، فمن يسوق بنا ؟ قال عبد الله بن عرعرة الضّبّىّ : أنا أسوق بكم ، قال : أنت لها ، فطرد بنا ليلتَه حتى أصبحنا فى بئر فى المفازة على عشرين فرسخًا أو أقل ، ونحن ستمائة ؛ فسرْنا يومنا فنزلنا العصر ، ونحن ننظر إلى أبيات سَرَخْس وقصورها ونحن ألف وخمسمائة ، فانطلقت أنا وعمّى إلى صديق لنا من بنى حَنيفة يقال له مسكين ، فبِتْنا نحن عنده لم نطعم شيئًا ، فأصبحنا، فجاءنا بثَريدة فأكلْنا منها ونحن جياع لم نأكل يومنا وليلتنا ؛ واجتمع الناس فصاروا ثلاثة آلاف ، وأقمنا بسَرَخْس يومين ؛ فلمّا لم يأتنا أحد صار نصر إلى طُوس ، فأخبرهم خبر أبى مسلم ، وأقام خمسة عشر يومًا ، ثم سار وسرنا إلى نيسابور فأقام بها ، ونزل أبو مسلم حين هرب

١٩٩٢/٢ نصر دار الإمارة ، وأقبل ابنُ الكرْمانىّ ، فدخل مَرْو مع أبى مسلم ، فقال أبو مسلم حين هرب نصر : يزعم نصرٌ أنى ساحر ؛ هو والله ساحر !

وقال غير من ذكرت قوله فى أمر نصر وابن الكرمانىّ وشيبان الحرورىّ : انتهى أبو مسلم فى سنة ثلاثين ومائة من معسكره بقرية سليمان بن كثير إلى قرية تدعى الماخُوان فنزلها ، وأجمع على الاستظهار بعلىّ بن جُديع ومَن معه من اليمن ، وعلى دعاء نَصْر بن سيار ومَن معه إلى معاونته ، فأرسل إلى الفريقين جميعًا ، وعرض على كلّ فريق منهم المسالمة واجتماع الكلمة والدخول

فى الطاعة ، فقبِل ذلك علىّ بن جُديع ، وتابعه على رأيه ، فعاقده عليه ، فلما وثق أبو مسلم بمبايعة علىّ بن جُديع إياه ، كتب إلى نصر بن سيّار أن يبعث إليه وفداً يحضرون مقالته ومقالة أصحابه فيما كان وعده أن يميل معه ، وأرسل إلى علىّ بمثل ما أرسل به إلى نَصْر .

ثم وصف من خبر اختيار قوّاد الشيعة اليمانيّة على المضريّة نحواً مما وصف مَن قد ذكرنا الرواية عنه قبلُ فى كتابنا هذا ، وذكر أنّ أبا مسلم إذْ وجّه شبل ابن طهمان فيمن وجّهه إلى مدينة مَرْو وأنزله قصر بخاراخذاه ؛ إنما وجهه مدداً لعلىّ بن الكرمانىّ .

قال : وسار أبو مسلم من خَنْدقه بالماخُوان بجميع مَن معه إلى علىّ ابن جُديع ، ومع علىّ عثمان وأخوه وأشراف اليمن معهم وحلفاؤهم من ربيعة ، فلما حاذى أبو مسلم مدينة مَرْو استقبله عثمان بن جُديع فى خيل عظيمة ، ومعه أشراف اليمن ومن معه من رَبيعة ؛ حتى دخل عسكر علىّ بن الكرمانىّ
١٩٩٣/٢ وشيبان بن سلمة الحرورىّ ومَن معه من النقباء ، ووقف على حجرة علىّ بن جُدَيع ، فدخل عليه وأعطاه الرضا ، وآمنه على نفسه وأصحابه ، وخرجا إلى حجرة شيبان ، وهو يسلّم عليه يومئذ بالخلافة ، فأمر أبو مسلم عليّاً بالجلوس إلى جنب شَيْبان ، وأعلمه أنه لا يحلّ له التسليم عليه . وأراد أبو مسلم أن يُسلّم على علىّ بالإمْرة ، فيظنّ شيبان أنه يسلم عليه . ففعل ذلك علىّ ، ودخل عليه أبو مسلم ، فسلّم عليه بالإمارة ، وألطف لشيبان وعظمه ، ثم خرج من عنده فنزل قصر محمد بن الحسن الأزدىّ ، فأقام به ليلتيْن ، ثم انصرف إلى خندقه بالماخُوان ، فأقام به ثلاثة أشهر ، ثم ارتحل من خَنْدقه بالماخُوان إلى مَرْو لسبع خلوْن من ربيع الآخر ؛ وخلّف على جنده[1] أبا عبد الرحمن الماخُوانىّ ، وجعل أبو مسلم على ميمنته لاهز بن قريظ ، وعلى ميسرته القاسم ابن مجاشع ، وعلى مقدّمته مالك بن الهيثم ، وكان مسيره ليلاً ، فأصبح على باب مدينة مَرْو ، وبعث إلى علىّ بن جُديع أن يبعث خيله حتى وقف على باب قصر الإمارة ، فوجد الفريقين يقتتلان أشدّ القتال فى حائط مَرْو ،

(١) ا : « خندقة » .

فأرسل إلى الفريقين أن كُفّوا ، وليتفرّقْ كلّ قوم إلى معسكرهم ، ففعلوا . وأرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله بن البَختريّ ، وداود بن كرّاز إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله والطاعة للرّضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم .

فلما رأى نصر ما جاءه من اليمانية والرّبَعية والعجم ، وأنه لا طاقة له بهم ؛
٢/١٩٩٤ ولا بد إن أظهر قبول ما بعث به إليه أن يأتيه فيبايعه ، وجعل يريثهم لما همّ به من الغدر والهرب إلى أن أمسى ، فأمر أصحابه أن يخرجوا من ليلتهم إلى ما يأمنون فيه ؛ فما تيسّر لأصحاب نصر الخروج فى تلك الليلة . وقال له سَلْم بن أحوز : إنه لا يتيسّر لنا الخروج الليلة ؛ ولكنا نخرج القابلة ، فلما كان صبح تلك الليلة عبأ أبو مسلم كتائبَه ، فلم يزل فى تعبيتها إلى بعد الظهر ، وأرسل إلى نصر لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله بن البَختريّ وداود بن كرّاز وعدّة من أعاجم الشيعة ، فدخلوا على نصر ، فقال لهم : لِشرّ ما عدتم ، فقال له لاهز : لا بدّ لك من ذلك ؛ فقال نصر : أما إذ كان لا بدّ منه ؛ فإنى أتوضأ وأخرج إليه ، وأرسل إلى أبى مسلم ؛ فإن كان هذا رأيه وأمره أتيتُه ونعمَى لعينه ، وأتهيأ إلى أن يجىء رسولى ، وقام نصر ، فلما قام قرأ لاهز هذه الآية : ﴿ إِنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فاخرُجْ إِنِّي لَكَ من النَّاصحين ﴾[1] ، فدخل نصر منزله ، وأعلمهم أنه ينتظر انصرافَ رسوله من عند أبى مسلم ، فلما جنّه الليل ، خرج من خَلْف
٢/١٩٩٥ حجرته ، ومعه تميم ابنه والحكم بن نُميلة النميرىّ وحاجبه وامرأته ؛ فانطلقوا هُرّابًا ، فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزلَه ، فوجدوه قد هرب ؛ فلما بلغ ذلك أبا مسلم سار إلى معسكر نصر ، وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم فكتّفهم ؛ وكان فيهم سَلْم بن أحوز صاحبُ شرْطة نصر والبختريّ كاتبه ، وابنان له ويونس بن عبد ربّه ومحمد بن قطَن ومجاهد بن يحيى بن حُضين [والنضر بن إدريس ومنصور بن عمر بن أبى الخرقاء وعقيل بن معقل الليثىّ ، وسيار بن عمر السلمىّ ، مع رجال من رؤساء مُضَر][2] فاستوثق منهم بالحديد ، [ووكل بهم عيسى بن أعين][2] ، وكانوا فى الحبس عنده حتى أمر بقتلهم

(١) سورة القصص ٢٠ . (٢) من ا .

جميعًا ، ونزل نصر سَرَخْس فيمن اتّبعه من المضريّة، وكانوا ثلاثة آلاف ، ومضى أبو مسلم وعلىّ بن جُديع فى طلبه ، فطلباه ليلتَيهما حتى أصبحا فى قرية تدعى نصرانيّة ؛ فوجدا نصراً قد خلف امرأته المَرْزُبانة فيها ، ونجا بنفسه .

ورجع أبو مسلم وعلىّ بنُ جديع إلى مَرْو ، فقال أبو مسلم لمن كان وجّه إلى نصر : ما الذى ارتاب به منكم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : فهل تكلم أحد منكم ؟ قالوا : لاهز تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ قال : هذا الذى دعاه إلى الهرب ، ثم قال : يالاهز ؛ أتدغل فى الدين! فضرب عنقه .

* * *

[خبر مقتل شيبان بن سلمة الخارجىّ]

وفى هذه السنة قتِل شيبان بن سلَمة الحرورىّ.

* ذكر الخبر عن مقتله وسببه :

وكان سبب مقتله ــ فيما ذكر ــ أنّ علىّ بن جُديع وشيبان كانا مجتمعين على قتال نصر بن سيار لمخالفة شيبان نصرا ؛ لأنه من عمال مَرْوان بن محمد ، ١٩٩٦/٢
وأنّ شيبان يرى رأى الخوارج ومخالفة علىّ بن جُديع نصرًا ، لأنه يمانٍ ونصر مضرىّ ، وأن نصرًا قتل أباه وصلبه ، ولِمَا بَيْن الفريقين من العصبية التى كانت بين اليمانية والمُضريّة ؛ فلما صالح علىّ بن الكرمانىّ أبا مسلم ، وفارق شيبان، تنحّى شيبان عن مَرْو ، إذ علم أنه لا طاقة له بحرْب أبى مسلم وعلىّ ابن جُديع [مع اجتماعهما على] (١) خلافه ، وقد هرب نصر من مَرْو [وسار إلى سرخس] (١)

[فذكر علىّ بن محمد أن أبا حفص] (١) أخبره والحسن [بن رشيد وأبا الذيال أن المدة التى كانت بين أبى مسلم وبين شيبان] (١) لما انقضت ، أرسل أبو مسلم إلى شيبان يدعوه إلى البَيْعة ، فقال شيبان : أنا أدعوك إلى بيعتى ؛ فأرسل إليه أبو مسلم : إن لم تدخل فى أمرنا فارتحلْ عن منزلك الذى أنت فيه ، فأرسل شيبان إلى ابن الكرمانىّ يستنصره ، فأبى . فسار شيبان إلى سَرَخْس ،

(١) من ا .

واجتمع إليه جمع كثير من بكر بن وائل . فبعث إليه أبو مسلم تسعةً من الأزْد ، فيهم المنتجع بن الزُّبير ؛ يدعوه ويسأله أن يكفّ ، فأرسل شيبان ، فأخذ رسل أبى مسلم فسجنَهم ، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بنى ليث بأبيوَرْد ، يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله . ففعل ، فهزمه بسّام ، واتبعه حتى دخل المدينة ، فقتِل شيبان وعدّة من بكر بن وائل ، فقيل لأبى مسلم : إنّ بسامًا ثائر بأبيه ؛ وهو يقتل البرىء والسقيم ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ، فقدم ، واستخلف على عسكره رجلاً .

قال علىّ : أخبرنا المفضل ، قال : لما قتِل شيبان مرّ رجل من بكر بن
٢/١٩٩٧ وائل — يقال له خَفَاف — برسل أبى مسلم الذين كان أرسلهم إلى شيبان ، وهم فى بيت ، فأخرجهم وقتلهم .

وقيل : إن أبا مسلم وجّه إلى شيبان عسكراً من قِبَله ، عليهم خزيمة ابن خازم وبسام بن إبراهيم .

* * *

[ذكر خبر قتل علىّ وعثمان ابنى جُديع]

وفى هذه السنة قتل أبو مسلم عليًّا وعثمان ابنى جُديع الكِرمانىّ .

* ذكر سبب قتل أبى مسلم إياهما :

وكان السبب فى ذلك — فيما قيل — أن أبا مسلم كان وجّه موسى بن كعب إلى أبيوَرْد فافتتحها ، وكتب إلى أبى مسلم بذلك ، ووجّه أبا داود إلى بلْخ وبها زياد بن عبد الرحمن القُشيرىّ ، فلما بلغه قصْد أبى داود بلْخ خرج فى أهل بلْخ والترمذ وغيرهما من كُورطُخارستان إلى الجُوزجان ، فلما دنا أبو داود منهم ، انصرفوا منهزمين إلى الترِّمذ ، ودخل أبو داود مدينة بلْخ ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ، ووجّه مكانه يحيى بن نعيم أبا الميلاء [على بلخ : فخرج] [1] أبو داود ، فلقيه كتاب من أبى مسلم يأمره بالانصراف ، فانصرف ، وقدم عليه أبو الميلاء ؛ فكاتب زيادَ[2] بن عبد الرحمن يحيى بن نعيم أبو الميلاء أن يصير أيديهم[3] واحدة ، فأجابه ، فرجع زياد بن عبد الرحمن القشيرىّ ومسلم

(١) من ا .
(٢) ابن الأثير : « فكاتبه زياد » .
(٣) ابن الأثير : « أن يرجع ويصير » .

ابن عبد الرحمن بن مسلم الباهلىّ وعيسى بن زُرْعة السُّلمىّ وأهل بلْخ والترمذ وملوك طخارستان، وما خلْف النهر وما دونه، فنزل زياد وأصحابه على فرسخ من مدينة بلْخ ، وخرج إليه يحيى بن نعيم بمَن معه حتى اجتمعوا ، فصارت ١٩٩٨/٢
كلمتهم واحدة، مضريّهم ويمانيهم وربَعيّهم ومَن معهم من الأعاجم على قتال المسوّدة ، وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيّان النبَطىّ؛ كراهة أن يكون من الفرق الثلاثة ، وأمر أبو مسلم أبا داود بالعود ، فأقبل أبو داود بمَن معه حتّى اجتمعوا على نهر السّرجَنان . وكان زياد بن عبد الرحمن وأصحابه قد وجّهوا أبا سعيد القرشىّ مسلحةً فيما بين العود وبين قرية يقال لها أمديان؛ لئلا يأتيَهم أصحاب أبى داود مِن خلفهم . وكانت أعلام أبى سعيد وراياته سودًا، فلما اجتمع أبو داود وزياد وأصحابهما، واصطفوا للقتال ، أمر أبو سعيد القرشىُّ أصحابَه أن يأتوا زياداً وأصحابه مِنْ خلفهم، فرجع وخرج عليهم من سكة العود وراياته سود ، فظنّ أصحاب زياد أنهم كَمين لأبى داود ، وقد نشب القتال بين الفريقين ، فانهزم زياد ومَن معه ، وتبعهم أبو داود ، فوقع عامة أصحاب زياد فى نهر السرجنان ، وقتل عامة رجالهم المتخلّفين، ونزل أبو داود عسكرهم ، وحوَى ما فيه ، ولم يتبع زياداً ولا [أصحابه وأكثر من تبعهم سرّعان من سرّعان] (١) خيل أبى داود إلى مدينة [بلخ لم يجاوزها] (١) ومضى زياد ويحيى ومن معهما إلى الترمذ ، وأقام أبو داود يومه [ذلك ومن الغد، ولم يدخل مدينة بلخ] (١) واستصفى أموال من قتل بالسرجنان ومن هرب من العرب وغيرهم ، واستقامت بلْخ لأبى داود .

١٩٩٩/٢ ثم كتب إليه أبو مسلم يأمره بالقُدوم عليه ، ووجّه النضْر بن صُبيح المُرّىّ على بلخ . وقدم أبو داود ، واجتمع رأى أبى داود وأبى مسلم على أن يفرّقا بين علىّ وعثمان ابني الكرمانىّ ، فبعث أبو مسلم عثمان عاملا على بلْخ ، فلما قدمها استخلف الفُرافصة بن ظُهير العبسىّ على مدينة بلْخ ، وأقبلت المضريّة من ترِمذ، عليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهلىّ ، فالتقوا وأصحاب عثمان بن جُديع بقرية بين البَرُوقان وبين الدَّسْتَجرد؛ فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم أصحاب عثمان بن جُديع ، وغلب المضريّة ومسلم بن عبد الرحمن

(١) من ا .

على مدينة بلْخ ، وأخرجوا الفُرافصة منها. وبلغ عثمان بن جُديع الخبر والنّضر ابن صُبيح ، وهما بمرْو الرّوذ، فأقبلا نحوهم، وبلغ أصحاب زياد بن عبدالرحمن فهربوا من تحت ليلتهم ، وعتّب النضر فى طلبهم ، رجاء أن يفوتوا ، ولقيهم أصحاب عثمان بن جُديع ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم أصحاب عثمان بن جُديع ، وأكثروا فيهم القتل ، ومضت المضريّة إلى أصحابها ، ورجع أبو داود من مَرْو إلى بلخ ، وسار أبو مسلم ومعه علىّ بن جُديع إلى نيسابور. واتّفق رأى أبى مسلم ورأى أبى داود على أن يقتل أبو مسلم علياً ، ويقتل أبو داود عثمان فى يوم واحد. فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملا على الخُتَل[1]

٢٠٠٠/٢ فيمن معه من يمانى أهل مَرْو وأهل بلْخ وربَعيّهم. فلما خرج من بلخ خرج أبو داود [فاتبع الأثر فلحق عثمان على شاطئ نهر بوخش][2] من أرض الخُتّل ، فوثب أبو داود على عثمان وأصحابه ، فحبسهم جميعاً ثم ضرب أعناقهم صبْراً[3]. وقتل أبو مسلم فى ذلك اليوم علىّ بن الكرمانىّ ، وقد كان أبو مسلم أمره أن يسمّى له خاصته ليوليَهم ، ويأمر لهم بجوائز وكُساً ، فسماهم له فقتلهم جميعاً.

* * *

[قدوم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم]

وفى هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم خراسان منصرفاً من عند إبراهيم بن محمد بن علىّ ، ومعه لواؤه الذى عقد له إبراهيم ، فوجّهه أبو مسلم حين قدِم عليه على مقدّمته ، وضمّ إليه الجيوش ، وجعل له العزلَ والاستعمال ، وكتب إلى الجنود بالسّمْع والطاعة.

وفيها وجّه قحطبة إلى نيسابور للقاء نصر ؛ فذكر علىّ بن محمد أن أبا الذّيال والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجُشَمىّ أخبروه أنّ شيبان بن سلمة الحَرُورىّ لما قتِل لحق أصحابه بنصر وهو بنيسابور ، وكتب إليه النابى بن سويد العجلىّ يستغيث ، فوجّه إليه نصر ابنَه تميم بن نصر فى ألفيْن ، وتهيأ نصر على أن يسير إلى طُوس ، ووجّه أبو مسلم قحطبة بن شبيب فى قُوّاد ، منهم القاسم

(١) ابن الأثير : « الجبل ». (٢) من ا.
(٣) صبراً ، أى حبساً.

ابن مجاشع وجَهْور بن مرّار ، فأخذ القاسم من قِبَل سرخس ، وأخذ جهور من قِبَل أبيورد ، فوجّه تميم عاصم بن عمير السغدىّ إلى جهْور ؛ وكان أدناهم منه ، فهزمه عاصم بن عمير ، فتحصّن فى كبادقان ، وأطلّ قحطبة والقاسم ٢٠٠١/٢
على النابى ، فأرسل تميم إلى عاصم أن ارحل عن جهور وأقبل ؛ فتركه ، وأقبل فقاتلهم قحطبة .

قال أبو جعفر : فأما غيرُ الّذين روى عنهم علىّ بن محمد ما ذكرنا فى أمر قَحْطبة وتوجيه أبى مسلم إياه إلى نصر وأصحابه ، فإنه ذكر أن أبا مسلم لما قتل شيبان الخارجىّ وابنى الكِرمانىّ ، ونفى نصرًا عن مرْو ، وغلب على خُراسان ، وجّه عماله على بلادها ، فاستعمل سباع بن النعمان الأزدىّ على سَمَرْقند وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان ، ووجّه محمد بن الأشعث إلى الطَّبَسيْن وفارس ، وجعل مالك بن الهيثم على شُرْطته ، ووجّه قحطبة إلى طُوس ، ومعه عدّة من القوّاد ؛ منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد ومقاتل بن حكيم العكىّ وخالد بن بَرْمك وخازم بن خزيمة والمنذر بن عبد الرحمن وعثمان ابن نَهِيك وجَهْور بن مَرّار العجلىّ وأبو العباس الطوسىّ وعبد الله بن عثمان الطائىّ وسلَمة بن محمد وأبو غانم عبد الحميد بن ربعىّ وأبو حُميد وأبو الجهم — وجعله أبو مسلم كاتبًا لقحطبة على الجند — وعامر بن إسماعيل ومحرز بن إبراهيم ، فى عدّة من القوّاد ، فلقى مَنْ بطوس فانهزموا ، وكان من مات منهم فى الزحام أكثر ممن قُتِل ؛ فبلغ عدّة القتلى يومئذ بضعة عشر ألفًا . ووجه أبو مسلم القاسم بن مجاشع إلى نيْسابور على طريق المحجة ؛ وكتب إلى قَحْطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيّار والنابى بن سويد ، ومَنْ لجأ إليهما من أهل ٢٠٠٢/٢
خُراسان ، وأن يصرف إليه موسى بن كعب من أبيَوْرد . فلما قدم قحطبة أبيورد صرف موسى بن كعب إلى أبى مسلم ، وكتب إلى مقاتل بن حكيم يأمره أن يوجّه رجلاً إلى نيسابور ، ويصرف منها القاسم بن مجاشع ؛ فوجّه أبو مسلم علىّ بن معقل فى عشرة آلاف إلى تميم بن نصر ، وأمره [إذا دخل][(١)] قحطبة طوس أن يستقبله بمَنْ معه وينضمّ إليه ؛ فسار علىّ بن معقل حتى نزل قرية يقال لها حُلوان ، وبلغ قَحْطبة مسير علىّ [ونزوله حيث][(١)] نزل ، فعجّل

(١) من ا .

السير إلى السوذقان ، وهو معسكر تميم بن نصر والنابى بن سويد ، ووجّه على مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعىّ فى [ثلاثة آلاف رجل من شيعة] [١] أهل نسا وأبيورد ، فسار حتى نزل قرية يقال [لها حبوسان ، فتعبأ تميم والنابى] [١] لقتاله ، فكتب أسيد إلى قحطبة يعلمه [ما أجمعوا عليه من قتاله ، وأنه إن] [١] لم يعجل القدوم عليه حاكمهم إلى الله عز وجل ، وأخبره أنهما فى ثلاثين ألفاً من صناديد أهل خراسان وفرسانهم . فوجّه قحطبة مقاتل بن حكيم العكىّ فى ألف وخالد بن برمك فى ألف ، فقدما على أسيد ؛ وبلغ ذلك تميماً والنابى فكسرهما . ثم قدم عليهم قحطبة بمن معه ، وتعبّأ لقتال تميم ، وجعل على ميمنته مقاتل بن حكيم [٢] وأبا عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك ، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله الخُزاعىّ والحسن بن قحطبة والمسيّب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن ، وصار هو فى القلب ، ٢٠٠٣/٢
ثم زحف إليهم ، فدعاهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم فلم يجيبوه ، فأمر الميمنة والميسرة أن يحملوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً أشدّ ما يكون من القتال ، فقتِل [٣] تميم بن نصر فى المعركة ، وقتِل معه منهم مقتلة عظيمة ، واستبيح عسكرهم ، وأفلت النابى فى عدّة ، فتحصّنوا فى المدينة ، وأحاطت بهم الجنود ، فنقبوا الحائط ودخلوا إلى المدينة ، فقتلوا النابى ومَنْ كان معه ، وهرب عاصم بن عمير السمرقندىّ وسالم بن راوية السعيدىّ إلى نصر بن سيّار بنيسابور ، فأخبراه بمقتل تميم والنابى ومَن كان معهما ؛ فلما غلب قحطبة على عسكرهم بما فيه صيّر إلى خالد بن بَرْمك قبض ذلك ، ووجّه مقاتل بن حكيم العكىّ على مقدمته إلى نيسابور ؛ فبلغ ذلك نصر بن سيار ؛ فارتحل هارباً فى أثر أهل إبرَشهر حتى نزل قُومِس وتفرّق عنه أصحابه ، فسار إلى نُباتة بن حنظلة بجرجان ، وقدم قحطبة نيسابور بجنوده .

* * *

(١) من ا .
(٢) ا : « حيان » .
(٣) ا : « وقتل » .

[ذكر خبر قتل نباتة بن حنظلة]

وفى هذه السنة قُتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن عمر بن هُبيرة على جُرجان .

• ذكر الخبر عن مقتله :

٢/ ٢٠٠٤ ذكر علىّ بن محمد أنّ زهير بن هُنيد وأبا الحسن الجُشمىّ وجبلة بن فرّوخ وأبا عبد الرحمن الأصبهانىّ أخبروه أن يزيد بن عمر بن هبيرة بعث نباتة بن حنظلة الكلابىّ إلى نصر ، فأتى فارس وأصبهان ، ثم سار إلى الرىّ ، ومضى إلى جُرجان ، ولم ينضمّ(١) إلى نصر بن سيار ، فقالت القيسيّة لنصر : لا تحملنا قومِس ، فتحوّلوا إلى جُرجان . وخندق نباتة ؛ فكان إذا وقع الخندق فى دار قوم رشَوه فأخّره ، فكان خندقه نحواً من فرسخ .

وأقبل قحطبة إلى جرجان فى ذى القعدة من سنة ثلاثين ومائة ، ومعه أسِيد ابن عبد الله الخزاعىّ وخالد بن برْمك وأبوعون عبد الملك بن يزيد وموسى بن كعب المَرائىّ والمسيّب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدىّ ، وعلى ميمنته موسى بن كعب ، وعلى ميسرته أسِيد بن عبد الله ، وعلى مقدّمته الحسن بن قحطبة ، فقال قحطبة : يا أهلَ خُراسان ، أتدرون إلى من تسيرون ، ومن تقاتلون ؟ إنما تقاتلون بقيّة قوم أحرقوا بيت الله عزّ وجلّ . وأقبل الحسن حتى نزل تُخوم خُراسان ، ووجّه الحسن عثمان بن رُفيع ونافعاً المروزىّ وأباخالد المروروزىّ ومَسعدة الطائىّ إلى مسلحة نُباتة ، وعليها رجل يقال له ذُؤيب ، فبيّتوه(٢) ، فقتلوا ذؤيباً وسبعين رجلاً من أصحابه ، ثم رجعوا إلى عسكر الحسن ، وقدم قحطبة فنزلوا بإزاء نباتة وأهل الشأم فى عدّة لم يرَ الناس مثلها . فلما رآهم أهل خُراسان هابوهم حتى تكلّموا بذلك وأظهروه . وبلغ قحطبة : فقام فيهم خطيباً فقال :

يا أهلَ خراسان ؛ هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين ، وكانوا يُنصرون على
٢/ ٢٠٠٥ عدوّهم بعدلهم(٣) وحسن سيرتهم ؛ حتى بدّلوا وظلموا ، فسخِط الله عزّ وجلّ عليهم ، فانتزع سلطانَهم ، وسلط عليهم أذلّ أمة كانت فى الأرض عندهم ،

(١) ط : « يضم » . (٢) ابن الأثير : « فبيتوهم » .
(٣) ط : « لعدلهم » ، وما أثبته من ا .

فغلبوهم على بلادهم ، واستنكحوا نساءهم ، واسترقّوا أولادهم ؛ فكانوا بذلك يحكُمون بالعدل ويوفون بالعهد ، وينصرون المظلوم ، ثم بدّلوا وغيّروا وجاروا فى الحكم ، وأخافوا أهلَ البِرّ والتقوى من عِترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلّطكم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشدّ عقوبة ؛ لأنكم طلبتموهم بالثأر . وقد عهد إلىّ الإمام أنكم تلقوْنهم فى مثل هذه العدّة فينصركم الله عزّ وجلّ عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم .

وقد قرئ على قحطبة كتاب أبى مسلم . من أبى مسلم إلى قحطبة : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فناهض عدوّك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ ناصرك ؛ فإذا ظهرتَ عليهم فأثخن فى القتل .

فالتقوْا فى مستهلّ ذى الحجة سنة ثلاثين ومائة فى يوم الجمعة ، فقال قحطبة : يا أهلَ خراسان. إن هذا اليوم قد فضّله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام والعمل فيه مضاعف ؛ وهذا شهر عظيم فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عزّ وجلّ ، وقد أخبرنا الإمام أنكم تُنصرون فى هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم ، فالقوْه بجدّ وصبر واحتساب ؛ فإنّ الله مع الصابرين . ثم ناهضهم وعلى ميمنته الحسن بن قحطبة ، وعلى ميسرته خالد بن برْمك ومقاتل بن حكيم العكّىّ ، فاقتتلوا وصبَر بعضهم لبعض ، فقتِل نباتة ، وانهزم أهل
٢٠٠٦/٢ الشأم فقتل منهم عشرة آلاف ، وبعث قحطبة إلى أبى مسلم برأس نُباتة وابنه حيّة .

قال : وأخبَرنا شيخٌ من بنى عدىّ ، عن أبيه ، قال : كان سالم بن راوية التميمىّ ممن هرب من أبى مسلم ، وخرج مع نصر ، ثم صار مع نباتة ، فقاتل قَحْطبة بجرجان ، فانهزم الناس ، وبقِىَ يقاتل وحده ، فحمل عليه عبد الله الطائىّ — وكان من فُرْسان قحطبة — فضربه سالم بن راوية على وجهه ، فأندر عينه ، وقاتلهم حتى اضطر إلى المسجد ، فدخله ودخلوا عليه ، فكان لا يشدّ من ناحية إلا كشفهم ، فجعل ينادى : شَرْبة ! فوالله لأُنقعنّ لهم شرًّا يومى هذا . وحرّقوا عليه سقف المسجد ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه وجاءوا

برأسه إلى قحطبة، وليس فى رأسه ولا وجهه مصحّ؛ فقال قحطبة: ما رأيت مثل هذا قطّ!

* * *

[ذكر وقعة أبى حمزة الخارجىّ بقُدَيد]

قال أبو جعفر: وفى هذه السنة كانت الوقعة التى كانت بقُدَيد بين أبى حمزة الخارجىّ وأهل المدينة.

* ذكر الخبر عن ذلك:

حدّثنى العباس بن عيسى العَقيلىّ، قال: حدثنا هارون بن موسى الفرْوىّ، قال حدثنى غير واحد من أصحابنا، أنّ عبد الواحد بن سليمان استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس، فخرجوا، فلما كان بالحَرّة لقيتهم جُزُر منْحورة، فمضوْا، فلما كان بالعقيق تعلّق لواؤهم بسَمُرة، فانكسر الرمح، فتشاءَم الناس بالخروج؛ ثم ساروا حتّى نزلوا قُدَيد، فنزلوها ليلا — وكانت قرية قُدَيد من ناحية القصر المبنىّ اليوم، وكانت الحياض هنالك، فنزل قوم مغترّون [1] ليسوا بأصحاب حرب، فلم ٢/٢٠٠٧ يرعْهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من القصر [2].

وقد زعم بعضُ الناس أن خُزاعة دلت أبا حمزة على عَوْرتهم، وأدخلوهم عليهم فقتلوهم؛ وكانت المقتلة على قريش، هم كانوا أكثر الناس، وبهم كانت الشوكة، وأصيب منهم عدد كثير.

قال العباس: قال هارون: وأخبرنى بعضُ أصحابنا أن رجلا من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن وهو يقول: الحمد لله الذى أقرّ عينى بمقتل قريش، فقال لابنه: يا بنىّ ابدأ به — وقد كان من أهل المدينة — قال: فدنا منه ابنه فضرب عنقه، ثم قال لابنه: أى بنىّ، تقدم؛ فقاتلا حتى قتِلا. ثم ورد فُلّال الناس المدينة، وبكى الناس قتلاهم؛ فكانت المرأة تقيم على حميمها النوّاح؛ فما تبرح النساء حتّى تأتيهن الأخبار عن رجالهنّ فتخرج النساء امرأة

(١) ابن الأثير: «وكانوا مترفين».

(٢) كذا فى ا، وفى ط: «الفضل»، وهو موضع.

امرأة ؛ كل امرأة تذهب إلى حميمها [فتنصرف] [١] حتى ما تبقى عندها امرأة [٢] .

قال : وأنشدنى أبو ضَمْرة هذه الأبيات فى قَتْلَى قُديد الذين أصيبوا من قومه ، رثاهم بعض أصحابهم فقال :

يالَهفَ نَفْسِى ولَهْفِى غيْرَ كاذِبَةٍ [٣] على فوارِسَ بالبَطْحاءِ أَنجادِ
عَمْرٌو وعَمْرٌو وعَبْدُ اللهِ بَيْنَهُما وابناهُما خامِسٌ والحارثُ السادِى

* * *

[ذكر خبر دخول أبى حمزة المدينة]

وفى هذه السنة دخل أبو حمزة الخارجىّ من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشأم .

٢/٢٠٠٨ * ذكر الخبر عن دخول أبى حمزة المدينة وما كان منه فيها :

حدثنى العباس بن عيسى ، قال : حدثنا هارون بن موسى الفرْوىّ ، قال : حدّثنى موسى بن كَثير ، قال : دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشأم ، فرقِىَ المنْبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال :

يا أهل المدينة ؛ سألناكم [٤] عن ولاتكم هؤلاء ، فأسأتم لعمر الله فيهم القول ، وسألناكم : هل يقتلون بالظنّ ؟ فقلتم لنا : نعم ، وسألناكم : هل يستحلون المال الحرام والفرْج الحرام ؟ فقلتم لنا : نعم ، فقلنا لكم : تعالوْا نحن وأنتم نناشدهم الله إلاّ تنحّوا عنا وعنكم ، فقلتم : لا يفعلون ، فقلنا لكم : تعالوْا نحن وأنتم نقاتلهم ؛ فإن نظهر نحن وأنتم [نأت] [٥] بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلتم : لا نقوى ، فقلنا لكم : فخلّوا بيننا وبينهم ؛ فإن نظفر نعدلْ فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم [ونقسم] [٥] فيئكم بينكم ، فأبيتم ، وقاتلتمونا دونهم ، فقاتلناكم

---

(١) من الأغانى .
(٢) الأغانى ٢٠ : ١٠٠ (ساس) .
(٣) الأغانى : « نافعة » .
(٤) ط : « سألتكم » .
(٥) من الأغانى .

فأبعدكم الله وأسحقكم (١) .

قال محمد بن عمر : حدّثنى حزام بن هشام ، قال : كانت الحَرُورية أربعمائة ، وعلى طائفة من الحروّية الحارث ، وعلى طائفة بكار بن محمد العدوىّ ؛ عدىّ قريش ، وعلى طائفة أبو حَمْزة ، فالتقوْا وقد تهيّأ الناس بعد الإعذار من الخوارج إليهم ، وقالوا لهم : إنا والله ما لنا حاجة بقتالكم ، دعونا نمض إلى عدّونا . فأبى أهل المدينة ، فالتقوا لسبعِ ليال خَلَوْن من صَفَر يوم الخميس ٢٠٠٩/٢
سنة ثلاثين ومائة ، فقتِل أهل المدينه ، لم يفلت منهم إلا الشريد ، وقتِل أميرهم عبد العزيز بن عبد الله ، واتهمت قريش خُزاعة أن يكونوا داهنوا الحروريّة . فقال لى حزام : والله لقد آويتَ رجالاً من قريش منهم حتى آمن الناس ؛ فكان بَلْج على مقدّمتهم . وقدمت الحروريّة المدينة لتسع عشرة ليلة خلت من صفر .

حدثنى العباس بن عيسى ، قال : قال هارون بن موسى : أخبرنى بعض أشياخنا ، أن أبا حمزة لما دخل المدينة قام فخطب فقال فى خطبته :

يا أهلَ المدينة مررتُ [بكم] (٢) فى زمن الأحول هشام بن عبد الملك ، وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم (٣) وكتبتم إليه تسألونه أن يضع أخراصكم (٤) عنكم ، فكتب إليكم يضعها عنكم ، فزاد الغنىّ غِنًى ، وزاد الفقير فقرًا ، فقلتم : جزاك الله خيراً ؛ فلا جزاكم الله خيراً ولا جزاه (٥) .

قال العباس : قال هارون : وأخبرنى يحيى بن زكريّاءَ أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة ، قال : رقى المنبر فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

تعلمون يا أهلَ المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشَرًا ولا بَطَرًا ولا عبثًا ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا لثأر قديم نِيل منا ؛ ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عُطلتْ ، وعنِّف القائل بالحق ، وقتِل القائم بالقسط ؛ ضاقت علينا الأرض بما رحُبت ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعىَ الله * ﴿وَمَنْ لاَ يُجِبْ داعىَ اللهِ فَلَيْسَ بِمعْجِزٍ فى

(١) انظر الأغانى ٢٠ : ١٠٣ ، ونقل الخبر عن الطبرى .
(٢) من الأغانى . (٣) الأغانى : « فى ثماركم فركبتم » .
(٤) الأغانى : « خراجكم » . (٥) الأغانى ٢٠ : ١٠٤ .

٢٠١٠/٢ الأرضِ﴾[١] ، أقبلنا[٢] من قبائل شتّى ، النفرمنّا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم ، يتعاورون لحافًا واحداً ، قليلون مستضعفون فى الأرض ؛ فآوانا وأيّدنا بنصره [٣] ، فأصبحنا والله جميعًا بنعمته إخوانًا ، ثم لقينا رجالكم بقُديد ، فدعوْناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكْم آل مروان ؛ فشتّان لعمر الله ما بين الرّشد والغيّ . ثم أقبلوا يهرعون يزفّون [٤] ، قد ضرب الشيطان فيهم بجِرانه ، وغلتْ بدمائهم مراجله ، وصدّق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله عزّ وجلّ عصائب وكتائب ، بكل مهنّد ذى رَوْنق ، فدارت رحانا واستدارت رحاهم ، بضربٍ يرتاب منه المبطلون . وأنتم يا أهلَ المدينة ، إن تنصروا مرْوان وآل مرْوان يُسحتكم الله عزّ وجلّ بعذاب من عنده أو بأيدينا ، ويشْفِ صُدور قوم مؤمنين . يا أهلَ المدينة ، أوّلكم خيرُ أوّل وآخركم شرّ آخر . يا أهل المدينة ، الناس منا ونحن منهم ؛ إلا مشركًا عابدَ وثن ، أو مشرك أهل الكتاب ؛ أو إمامًا جائراً . يا أهل المدينة مَنْ زعم أنّ الله عز وجلّ كلف نفسًا فوق طاقتها ، أو سألها ما لم يُؤتِها ، فهو لله عزّ وجلّ عدوّ ، ولنا حرب . يا أهل المدينة ، أخبرونى عن ثمانية أسهم فرضها الله عزّ وجلّ فى كتابه على القوىّ والضعيف ، فجاء تاسع ليس له مِنها [٥] ولا سهم واحد ، فأخذها [جميعها] [٦] لنفسه ، مكابراً محاربًا لربه . يا أهلَ المدينة ؛ بلغنى أنكم تنتقصون

٢٠١١/٢ أصحابِى ؛ قلتم : شباب أحداث ، وأعراب جُفاة ، ويلكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابًا أحداثًا ! شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضةٌ [٧] عن الشرّ أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا الله عز وجل أنفساً تموت بأنفس لا تموت ، قد خالطوا [٨] كلالهم بكلالِهم ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنيةٌ أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآية [خوفٍ شهقوا خوفًا من النار ، وإذا مروا بآية] [٩]

---

(١) سورة الأحقاف ٣٢ .
(٢) الأغانى : « فأقبلنا » .
(٣) الأغانى : « فآوانا الله وأيدنا بنصره » .
(٤) يزفون : يسرعون ، وفى الأغانى : « ويزفون » .
(٥) ا : « فيها » .
(٦) من الأغانى .
(٧) الأغانى : « غضيضة » .
(٨) ا : « خلطوا » .
(٩) من ا .

شوق شهقوا شوقًا إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيوف قد انتُضِيتْ(١) والرماح قد شرِعت(٢)، وإلى السهام قد فُوّقَتْ، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفُّوا وعيد (٣) الكتيبة لوعيد الله عزّ وجل، ولم يستخفُّوا وعيد الله لوعيد الكتيبة(٤)، فطوبى لهم وحسن مآب! فكم من عين فى منقار طائر طالما فاضت فى جوف الليل من خوف الله عز وجل! وكم من يدٍ زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها(٥) فى سجوده لله، وكم من خدّ عتيق وجبين رقيق فُلِق بعَمَد الحديد. رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل أرواحها الجنان. أقول قولى هذا وأستغفر الله من تقصيرنا، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (٦).

حدثنى العباس، قال قال هارون: حدّثنى جدّى أبو علقمة، قال: سمعت أبا حمزة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: من زَنَى فهو كافر، ومن شكّ فهو كافر، ومَنْ سرق فهو كافر، ومَنْ شكّ أنه كافر فهو كافر.

قال العباس: قال هارون: وسمعتُ جدّى يقول: كان قد أحسن السيرة فى أهل المدينة حتى استمال الناس حين سمعوا كلامه (٧)، فى قوله: «من زنى فهو كافر».

قال العباس: قال هارون: وحدّثنى بعض أصحابنا: لما رقى المنبر قال: برّح الخفاء، أين ما بك يذهب! مَنْ زنى فهو كافر، ومَنْ سرق فهو كافر، قال العباس: قال هارون: وأنشدنى بعضهم فى قُدَيد:

ما للزمان ومالِيَهْ أفْنتْ قُدَيدُ رجالِيَهْ (٨) ٢٠١٢/٢
فَلأَبكِينَّ سَرِيرَةً وَلأَبكِينَّ علانيه
ولأَبكِين إذا شَجِيتُ معَ الكلابِ العاويَهْ

(١) ط: «انتضت».
(٢) الأغانى: «أشرعت».
(٣) الأغانى: «لوعيد».
(٤) الأغانى: «عند وعيد».
(٥) الأغانى: «طالما بكى بها صاحبها من خشية الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعاً وساجداً».
(٦) الأغانى ٢٠: ١٠٤.
(٧) الأغانى: «حتى استمال الناس وسمع بعضهم كلامه».
(٨) الأغانى ٢٠: ١٠٢.

فكان دخول أبي حمزة وأصحابه المدينة لثلاث عشرة بقَيَتْ من صفر .

واختلفوا فى قدْر مدتهم فى مقامهم [بها] (١) ، فقال الواقدىّ : كان مقامهم بها ثلاثة أشهر . وقال غيره : أقاموا بها بقيّة صفر وشهرىْ ربيع وطائفة من جُمادى الأولى .

وكانت عِدّة من قُتِل من أهل المدينة بقُديد — فيما ذكر الواقدىّ — سبعمائة .

قال أبو جعفر : وكان أبو حمزة — فيما ذكر — قد قدّم طائفة من أصحابه ، عليهم أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عمر القرشىّ ، ثم أحد بنى عدىّ بن كعب ، وبلْج بن عيينة بن الهيصم الأسدىّ من أهل البصرة ، فبعث مرْوان بن محمد من الشأم عبدَ الملك بن محمد بن عطيّة أحد بنى سعد فى خيول(٢) الشأم . فحدّثنى العباس بن عيسى ، قال : حدّثنى هارون بن موسى ، عن موسى بن كثير ، قال : خرج أبو حمزة من المدينة ، وخلّف بعضَ أصحابه ، فسار حتى نزل الوادى .

قال العباس : قال هارون : حدّثنى بعضُ أصحابنا ممن أخبرنى عنه أبو يحيى الزُّهرىّ ، أن مَرْوان انتخب من عسكره أربعة آلاف ، واستعمل عليهم ابنَ عطيّة ، وأمره بالجِدّ فى السير ، وأعطى كلّ رجل منهم
٢٠١٣/٢ مائة دينار ، وفرسًا عربيّة وبغلا لثَقَله ، وأمره أن يمضىَ فيقاتلهم ؛ فإن هو ظفر مضى حتى بلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى ومَن معه ؛ فخرج حتى نزل بالعُلا — وكان رجل من أهل المدينة يقال له العلاء بن أفلح مولى أبى الغيث ، يقول : لقينى وأنا غلام ذلك اليوم رجلٌ من أصحاب ابن عطيّة ؛ فسألنى : ما اسمك يا غلام ؟ قال : فقلت : العلاء ، قال : ابن مَن ؟ قلت : ابن أفلح ، قال : مولى مَن ؟ قلت : مولى أبى الغيث ، قال : فأين نحن ؟ قلت بالعُلا ، قال : فأين نحن غداً ؟ قلت : بغالب ، قال : فما كلّمنى حتى أردفنى وراءه ، ومضى بى حتى أدخلنى على ابن عطيّة ، فقال : سل هذا الغلام : ما اسمه ، ؟ فسألنى ، فرددت عليه القول الذى قلت ، قال : فسرّ

(١) من ا .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « جول » .

بذلك ، ووهب لى دراهم [١] .

قال العبّاس : قال هارون : وأخبرنى عبد الملك بن الماجشون، قال : لما لقى أبو حمزة وابن عطيّة ، قال أبو حمزة : لا تقاتلوهم حتّى تخبُروهم [٢]، قال : فصاحوا بهم : ما تقولون فى القرآن والعمل به ؟ قال : فصاح ابنُ عطيّة : نضعه فى جوف الجُوالق ، قال : فما تقولون فى مال اليتيم ؟ قال : نأكل مالَه ونفجُر بأمّه ... فى أشياء بلغنى أنهم سألوهم عنها . قال : فلما سمعوا كلامهم ، قاتلوهم حتّى أمسَوْا، فصاحوا : ويحك يابن عطية! إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل الليل سَكَنًا ، فاسكن نسكن . قال : فأبى فقاتلهم حتّى قتلهم .

قال العبّاس: قال هارون : وكان أبو حمزة حين خرج ودّع أهل المدينة للخروج إلى مروان يقاتله، قال : يا أهل المدينة ، إنا خارجون إلى مَرْوان؛ فإن نظفر نعدلْ فى أحكامكم ، ونحملكم على سنة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقسم فيئكم بينكم ؛ وإن يكن ما تَمنّون ؛ فسيعلم الذين ظلموا أىّ ٢٠١٤/٢
منقلب ينقلبون . قال العباس : قال هارون : وأخبرنى بعضُ أصحابنا أنّ الناس وثبوا على أصحابه حين جاءهم قتلُه فقتلوهم .

قال محمد بن عمر : سار أبو حَمْزة وأصحابه إلى مَرْوان ، فلقيهم خيلُ مرْوان بوادى القرى ؛ عليها ابن عطيّة السعدىّ، من قيس ، فأوقعوا بهم ، فرجعوا منهزمين منهم إلى المدينة ، فلقيهم أهلُ المدينة فقتلوهم . قال : وكان الذى قاد جيش مَرْوان عبد الملك بن محمدبن عطية السعدىّ سعد هوازن ، قدم المدينة فى أربعة آلاف فارس عربىّ ؛ مع كلّ واحد منهم بغل ، ومنهم مَن عليه درعان أو ِدرْع وسنَّوْر [٣] وتجافيف ؛ وعدّة لم ير مثلها فى ذلك الزمان، فمضوْا إلى مكة .

وقال بعضهم : أقام ابنُ عطية بالمدينة حين دخلها شهراً ، ثم مضى إلى مكة ، واستخلف على المدينة الوليد بن عُروة بن محمد بن عطية ، ثم مضى إلى مكة وإلى اليمن واستخلف على مكة ابن ماعز ؛ رجلاً من أهل الشأم .

---

(١) الأغانى ٢٠ : ١٠٨ . (٢) ا : « تختبروهم » .
(٣) السنّور : الدرع فيه حلق ، وفى ط : « تنور » تحريف .

ولما مضى ابنُ عطيّة بلغ عبدُ الله بن يحيى — وهو بصنعاء — مسيرُه إليه، فأقبل إليه بمن معه فالتقى هو وابن عطية ، فقتل ابن عطية عبد الله بن يحيى ، وبعث ابنه بشير إلى مروان ، ومضى ابن عطية فدخل صنعاء وبعث برأس عبد الله بن يحيى إلى مروان ، ثم كتب مروان إلى ابن عطيّة يأمره أن يُغذّ السير ، ويحجّ بالناس ، فخرج فى نفر من أصحابه — فيما حدثنى العباس بن ٢٠١٥/٢ عيسى ، عن هارون — حتى نزل الجُرْف — هكذا قال العباس — ففطن له بعض أهل القرية ، فقالوا : منهزمين والله ، فشدّوا عليه ، فقال : ويحكم ! عامل الحجّ ؛ والله كتب إلىّ أمير المؤمنين .

قال أبو جعفر : وأما ابن عمر ، فإنه ذكر أنّ أبا الزبير بن عبد الرحمن حدّثه ، قال : خرجتُ مع ابن عطية السعدىّ ؛ ونحن اثنا عشر رجلاً ، بعهد مَرْوان على الحجّ ، ومعه أربعون ألف دينار فى خُرْجه ، حتى نزل الجُرْف يريد الحجّ ، وقد خلّف عسكره وخيله وراءه بصنعاء ؛ فوالله إنا آمنون مطمئنون ؛ إذ سمعتُ كلمة من امرأة : قاتَل الله ابنىْ جمانة ما أشأمهما ! فقمت كأنى أهريق الماء ، وأشرفت على نَشَز من الأرض ؛ فإذا الدُّهْم من الرجال والسلاح والخيل والقذّافات ؛ فإذا ابنا جُمانة المراديّان واقفان علينا ، قد أحدقوا بنا من كلّ ناحية ، فقلنا : ما تريدون ؟ قالوا : أنتم لصوص ؛ فأخرج ابن عطية كتابه ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين وعهده على الحجّ وأنا ابن عطية ، فقالوا : هذا باطل ، ولكنكم لصوص ؛ فرأينا الشرّ . فركب الصفر [1] بن حبيب فرسه ، فقاتل وأحسن حتى قتل ؛ ثم ركب ابن عطية فقاتل حتى قُتِلَ ، ثم قتل مَنْ معنا وبقيت ، فقالوا : من أنت ؟ فقلت : رجل من هَمْدان ، قالوا : من أىّ همدان أنت ؟ فاعتزيت إلى بطن منهم — وكنت عالمًا ببطون هَمْدان — فتركونى ، وقالوا : أنت آمن ؛ وكلّ ما [كان] [2] لك فى هذا الرحل فخذْه ، فلو ادّعيتُ المال كله لأعطوْنى . ثم بعثوا معى فرسانًا حتى بلغوا بى صَعْدة ، وأمنتُ ومضيتُ حتى قدمتُ مكة .

* * *

(١) ا : « الصقر » . (٢) من ا .

٢٠١٦/٢ قال أبو جعفر : وفى هذه السنة غزا الصَّائفة — فيما ذكر — الوليد بن هشام، فنزل العمق وبنى حصن مَرْعش .

وفيها وقع الطاعون بالبصرة .

وفى هذه السنة قَتَل قَحْطبة بن شَبيب من أهل جُرجان مَنْ قتل من أهلها ؛ قيل إنه قتل منهم زُهاء ثلاثين ألفاً ؛ وذلك أنه بلغه — فيما ذكر — عن أهل جرجان أنه أجمع رأيهم بعد مقتل نباتة بن حنظلة على الخروج على قَحْطبة ، فدخل قحطبة لما بلغه ذلك من أمرهم ؛ واستعرضهم ، فقتل منهم مَنْ ذكرت . ولما بلغ نصرَ بن سيار قتلُ قحطبة نباتةَ ومن قتل من أهل جرجان وهو بقومِس ، ارتحل حتى نزل خُوار الرّىّ .

وكان سبب نزول نصر قومس — فيما ذكر علىّ بن محمد — أن أبا الذيَّال حدّثه والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجشمىّ ؛ أن أبا مسلم كتب مع المنهال ابن فتّان[1] إلى زياد بن زرارة القشيرىّ بعهده على نيسابور بعدما قتِل تميم بن نصر والنابى بن سويد العجلىّ ، وكتب إلى قحطبة يأمره أن يتبع نصراً ؛ فوجه قحطبة العكّىّ على مقدّمته . وسار قحطبة حتى نزل نيسابور ، فأقام بها شهرين ؛ شهرى رمضان وشوال من سنة ثلاثين ومائة ، ونصر نازل فى قرية من قرى قُومِس يقال لها بذش ، ونزل مَن كان معه من قيس فى قرية يقال لها المدد[2] ؛ وكتب نصر إلى ابن هبيرة يستمدّه وهو بواسط مع ناس من وجوه أهل خراسان ؛ يعظّم الأمر عليه ، فحبس ابن هبيرة رسلَه ، وكتب نَصْر إلى مروان : إنى وجّهت إلى ابن هبيرة قوماً من وجوه أهل خُراسان ليعلموه أمرَ الناس من قِبَلنا ، وسألته المدد فاحتبس رسلى ولم يمدّنى بأحد ؛ وإنما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته ، ثم أخرج من حجرته إلى داره ، ثم أخرج من داره إلى فناء داره ؛ فإن أدركه مَنْ يعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له ؛ وإن أخرج من داره إلى الطريق فلا دار له ولا فِناء .

٢٠١٧/٢ فكتب مَرْوان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمدّ نصراً ، وكتب إلى نصر يعلمه

---

(١) ا : « قنان » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « المدا » .

ذلك ، فكتب نصر إلى ابن هبيرة مع خالد مولى بنى ليث يسأله أن يعجّل إليه الجند ، فإنّ أهل خرُاسان قد كذبتـُهم حتى ما رجل منهم يصدّق لى قولا ؛ فأمدّنى بعشرة آلاف قبل أن تمدّنى بمائة ألف ، ثم لا تغنى شيئًا .

* * *

وحجّ فى هذه السنة بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ؛ كذلك حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ؛ عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

وكانت إليه مكة والمدينة والطائف .

وكان فيها العراق إلى يزيد بن عمر بن هبيرة .

وكان على قضاء الكوفة الحجّاج بن عاصم المحاربىّ ، وكان على قضاء البصرة عبّاد بن منصور ، وعلى خرُاسان نصر بن سيار ، والأمر بخراسان على ما ذكرتُ .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة ١/٣

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر موت نصر بن سيار]

فممّا كان فيها من ذلك توجيه قحطبة ابنه الحسن إلى نصر وهو بقومِس.

فذكر علىّ بن محمد ؛ أن زهير بن هنيد والحسن بن رشيد وجبَلة بن فرّوخ التاجىّ ، قالوا : لما قُتِل نُباتة ارتحل نصر بن سيّار من بَذّش ، ودخل خُوار وأميرها أبو بكر العقيلىّ ، ووجّه قحطبة ابنه الحسن إلى قُومِس فى المحرّم سنة إحدى وثلاثين ومائة ، ثم وجّه قحطبة أبا كامل وأبا القاسم محرز بن إبراهيم وأبا العباس المروزىّ إلى الحسن فى سبعمائة ، فلما كانوا قريبًا منه ، انحاز أبو كامل وترك عسكره ، وأتى نصراً فصار معه ، وأعلمه مكان القائد الذى خلّف ، فوجّه إليهم نصر جنداً فأتوْهم وهم فى حائط فحصروهم ، فنقب جميل بن مهران الحائط ، وهرب هو وأصحابُه ، وخلّفوا شيئًا من متاعهم فأخذه أصحاب نصر ، فبعث به نصر إلى ابن هُبيرة ، فعرض له عطيف ٢/٣ بالرىّ ، فأخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع ، وبعث به إلى ابن هُبيرة ، فغضب(١) نصر ، وقال : أبِى يتلعّب(٢) ابن هبيرة ! أيَشغَب علىّ بضَغابيس قيس (٣) ! أما والله لأدعنّه فليعرفنّ أنه ليس بشىء ولا ابنه الذى تربّص له الأشياء . وسار حتى نزل الرىّ — وعلى الرىّ حبيب بن بُديل النهشلىّ — فخرج عطيف من الرّىّ حين قدمها نصر إلى هَمَذان ، وفيها مالك بن أدهم بن محرز الباهلىّ على الصَّحْصَحيّة ، فلما رأى مالكاً فى هَمَذان عدل منها إلى أصبَهان إلى عامر بن ضُبارة — وكان عُطَيف فى ثلاثة آلاف — وجّهه ابن هبيْرة إلى نَصْر ، فنزل الرىّ ، ولم يأت نصراً . وأقام نصر بالرىّ يومين ثم مرض ، فكان يُحْمل حَمْلا ؛ حتى إذا كان بساوَة قريبًا من هَمَذان مات بها ؛ فلما مات دخل أصحابه هَمَذان .

---

(١) ط : « فعتب » ، وما أثبته من ا.

(٢) كذا فى ا.

(٣) الضغبوس : الرجل الضعيف .

وكانت وفاة نصر – فيما قيل – لمضىّ اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول ، وهو ابن خمس وثمانين سنة .

وقيل إن نصراً لما شخص من خُوار متوجِّهاً نحو الرىّ لم يدخل الرىّ ولكنه أخذ المفازة التى بين الرّىّ وهمذان فمات بها .

* * *

رجع الحديث إلى حديث علىّ عن شيوخه . قالوا: ولما مات نصر بن سيّار بعث الحسن خازم بن خزيمة إلى قرية يقال لها سِمْنان ، وأقبل قَحْطبة من جُرْجان، وقدّم أمامه زياد بن زرارة القشيرىّ ؛ وكان زياد قد ندِم على اتباع
٣/٣ أبى مسلم ، فانخزل[1] عن قحطبة ، وأخذ طريق أصبهان يريد أن يأتى[2] عامر بن ضُبارة ، فوجّه قحطبة المسيّب بن زهير الضبىّ ، فلحقه من غد بعد العصر فقاتله ، فانهزم زياد ، وقتِل عامة مَن معه ، ورجع المسيّب بن زهير إلى قحطبة ، ثم سار قَحْطبة إلى قومِس وبها ابنه الحسن ، فقدم خازم من الوجه الذى كان وجّهه فيه الحسن ، فقدّم قحطبة ابنه الحسن إلى الرىّ . وبلغ حبيب ابن بديل النهشلىّ ومَنْ معه من أهل الشأم مسير الحسن ، فخرجوا من الرىّ ودخلها الحسن ، فأقام حتى قدم أبوه .

وكتب قحطبة حين قدم الرىّ إلى أبى مسلم يعلمه بنزوله الرّىّ .

* * *

[أمر أبى مسلم مع قحطبة عند نزوله الرىّ]

قال أبوجعفر : وفى هذه السنة تحوّل أبو مسلم من مَرْو إلى نيسابور فنزلها .

• ذكر الخبر عما كان من أمر أبى مسلم هنالك
ومن قَحْطبة بعد نزوله الرىّ:

ولما كتب قحطبة إلى أبى مسلم بنزوله الرّىّ ارتحل أبو مسلم – فيما ذكر – من مَرْو ، فنزل نيسابور وخندق بها ، ووجّه قحطبة ابنَه الحسن بعد نزوله الرّىّ بثلاث إلى هَمَذان ؛ فذكر علىّ عن شيوخه وغيرهم أنّ الحسن بن قحطبة لما توجّه إلى هَمَذان ؛ خرج منها مالك بن أدهم ومَن كان بها من أهل الشأم وأهل خُراسان إلى نَهاوَنْد ، فدعاهم مالك إلى أرزاقهم ، وقال : من

(١) ابن الأثير : « فانخذل » . (٢) بعدها فى ب : « على » .

كان له ديوان فليأخذْ رزقه ، فترك قوم كثير دواوينهم ومضوا ، فأقام مالك ومَن بقيَ معه من أهل الشأم وأهل خراسان ممّن كان مع نصر ، فسار الحسن من همَذان إلى نَهاوَنْد ، فنزل على أربعة فراسخ من المدينة ، وأمدّه قحطبة بأبى الجهْم بن عطيّة مولى باهلة فى سبعمائة ، حتى أطاف بالمدينة ٣/٤ وحصرها(١).

* * *

[ذكر خبر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة أصبهان]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قتِل عامر بن ضبارة .

• ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك :

وكان سبب مقتله أنّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما هزمه ابن ضُبارة مضى هاربًا نحو خراسان ، وسلك إليها طريق كِرْمان ، ومضى عامر بن ضُبارة فى أثره لطلبه ، وورد على يزيد بن عمر مقتلُ نباتة بن حنظلة بجُرجان ؛ فذكر علىّ بن محمد أن أبا السرىّ وأبا الحسن الجشمىّ والحسن ابن رشيد وجبلة بن فرّوج وحفص بن شبيب أخبروه ، قالوا : لما قُتِل نباتة كتب ابنُ هبيرة إلى عامر بن ضُبارة وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسيرا إلى قَحْطبة — وكانا بكرْمان — فسارا فى خمسين ألفًا حتى نزلوا أصبهان بمدينة جَىّ — وكان يقال لعسكر ابن ضُبارة عسكر العساكر — فبعث قَحْطبة إليهم مقاتلا وأبا حفص المهلبىّ وأبا حمّاد المروزىّ مولى بنى سُلَيم وموسى بن عَقِيل(٢) وأسلم بن حسان وذؤيب بن الأشعث وكُلثوم بن شبيب ومالك بن طريف والمخارق بن غفار والهيثم بن زياد ؛ وعليهم جميعًا العَكىّ ، فسار حتى نزل قمّ . وبلغ ابنَ ضُبارة نزول الحسن بأهل نَهاوَنْد ، فأراد أن يأتيَهم مُعينًا لهم ، وبلغ الخبر العَكىّ ، فبعث إلى قحطبة يعلمه ، فوجّه زهير بن محمد إلى قاشان ، وخرج العكىّ من قمّ وخلف بها طريف بن غَيْلان(٣) ، ٣/٥ فكتب إليه قحطبة يأمره أن يُقيم حتى يقدم عليه ، وأن يرجع إلى قمّ ، وأقبل قحطبة من الرّىّ ، وبلغه طلائع العسكرين ؛ فلما لحق قحطبة بمقاتل بن حكيم

(١) ب : «وحصرهم» . (٢) ط : «عقال» ، وانظر الفهرس . (٣) ا : «عجلان» .

العكىّ ضمّ عسكر العكىّ إلى عسكره ، وسار عامر بن ضُبارة إليهم وبينه وبين عسكر قَحْطبة فرسخ ، فأقام أيامًا ، ثم سار قَحْطبة إليهم ، فالتقوْا وعلى ميمنة قَحطبة العكىّ ومعه خالد بن برْمك ، وعلى ميسرته عبد الحميد بن رِبعىّ ومعه مالك بن طريف — وقحطبة فى عشرين ألفًا وابن ضبارة فى مائة ألف ، وقيل فى خمسين ومائة ألف — فأمر قَحطبة بمصحف فنُصِب على رُمْح ثم نادى : يا أهل الشأم ، إنا ندعُوكم إلى ما فى هذا المصحف ، فشتموه وأفحشوا فى القول ، فأرسل إليهم قحطبة : احملوا عليهم ، فحمل عليهم العكىّ ، وتهايج الناس ، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهلُ الشأم ، وقُتِلوا قتلا ذريعًا ، وحَوَوْا عسكرهم ، فأصابوا شيئًا لا يُدْرَى عدده من السلاح والمتاع والرقيق ، وبعث بالفتح إلى ابنه الحسن مع شُرَيح بن عبد الله .

قال علىّ : وأخبرنا أبو الذّيال ، قال : لقى قحطبة عامر بن ضُبارة ؛ ومع ابن ضُبارة ناس من أهل خُراسان ؛ منهم صالح بن الحجاج النميرىّ وبشر ابن بِسطام بن عمران بن الفضل البرجمىّ وعبد العزيز بن شماس المازنىّ وابن ضُبارة فى خيل ليست معه رَجّالة ، وقحطبة معه خيل ورجّالة . فرموا الخيل بالنُّشاب ، فانهزم ابن ضُبارة حتى دخل عسكره ، واتّبعه قحطبة ، فترك ابن ضُبارة العسكر ، ونادى : إلىّ ، فانهزم الناس وقتِل .

٦/٣ قال علىّ : وأخبرنا المفضّل بن محمد الضبىّ ، قال : لما لقى قحطبة ابنَ ضُبارة انهزم داود بن يزيد بن عمر ، فسأل عنه عامر ، فقيل : انهزم ، فقال : لعن الله شرّنا منقلباً ! وقاتل حتى قتل .

قال علىّ : وأخبرنا حفص بن شبيب ، قال : حدّثنى مَنْ شهد قَحْطبة وكان معه ، قال : ما رأيتُ عسكراً قطّ جَمَع ما جمع أهلُ الشأم بإصبهان من الخيل والسلاح والرقيق ، كأنا افتتحنا مدينة ؛ وأصبنا معهم ما لا يحصى من البرابط والطنابير والمزامير ؛ ولَقلّ بيت أو خِباء ندخله إلا أصبنا فيه زُكْرة أو زِقًّا من الخمر ، فقال بعض الشعراء :

لما رَمَيْنَا مُضرًا بالقبّ قرْضَبَهُمْ قَحْطَبَةُ القِرْضَبٌ
* يَدْعُونَ مَرْوانَ كَدَعْوَى الرَّبِّ *

[ذكر خبر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها]

وفي هذه السنة كانت وقعة قحطبة بنهاوند بمَنْ كان لجأ إليها من جنود مروان بن محمد . وقيل : كانت الوقعة بجابَلْق من أرض أصبَهان يوم السبت لسبع بقين من رجب .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

ذكر عليّ بن محمد أن الحسن بن رشيد وزهير بن الهنيد أخبراه أن ابن ضُبارة لما قتِل كتب بذلك قحطبة إلى ابنه الحسن ، فلما أتاه الكتاب كبّر وكبّر جنده ، ونادوا بقتله ، فقال عاصم بن عمير (١) السُّغديّ : ما صاح هؤلاء بقتل ابن ضُبارة إلا وهو حقّ ، فاخرجوا إلى الحسن بن قحطبة وأصحابه ؛ فإنكم لا تقومون لهم ، فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيَه أبوه أو مدده (٢) . فقالت الرّجالة : تخرجون وأنتم فرسان على خيول فتذهبون وتتركوننا ! فقال لهم مالك ابن أدهم الباهليّ : كتب إليّ ابن هبيرة ولا أبرح حتى يقدم عليّ . فأقاموا وأقام ٧/٣
قحطبة بأصبهان عشرين يومًا ، ثم سار حتى قدم على الحسن نهاوَنْد فحصرهم أشهرًا ، ثم دعاهم إلى الأمان فأبوْا ، فوضع عليهم المجانيق ، فلما رأى ذلك مالك طلب الأمان لنفسه ولأهل الشأم — وأهلُ خراسان لا يعلمون — فأعطاه الأمان فوفَى له قَحْطبة ، ولم يقتل منهم أحدًا ، وقتل من كان بنَهاوند من أهل خراسان ، إلا الحكَم بن ثابت بن أبي مسعر الحنفيّ ، وقتل من أهل خراسان أبا كامل وحاتم بن الحارث بن شُريح وابن نصر بن سيّار وعاصم بن عمير وعليّ بن عقيل وبَيْهس بن بديل من بني سليم ؛ من أهل الجزيرة ، ورجلا من قريش يقال له البختريّ ، من أولاد عمر بن الخطاب — وزعموا أن آل الخطاب لا يعرفونه — وقَطَن بن حرب الهلاليّ .

قال عليّ : وحدّثنا يحيى بن الحكم الهمْدانيّ ، قال : حدّثني مولى لنا قال : لمّا صالح مالك بن أدهم قَحْطبة قال بيهس بن بديل : إنّ ابنَ أدهم لمصالح (٣) علينا ؛ والله لأفتكنّ به ؛ فوجد أهل خُراسان أن قد فتح لهم الأبواب ، ودخلوا وأدخل قَحْطبة من كان معه من أهل خراسان حائطًا .

(١) ب : « عمر » . (٢) ا : « مدد من قبله » . (٣) ط : « ليصالح » .

وقال غير علىّ : أرسل قَحْطبة إلى أهل خُراسان الذين فى مدينة نَهاوند يَدْعوهم إلى الخروج إليه ، وأعطاهم الأمان ، فأبوْا ذلك . ثم أرسل إلى أهل الشأم بمثل ذلك فقبلوا ، ودخلوا فى الأمان بعد أن حوصروا ثلاثة أشهر : شعبان ورمضان وشوّال ، وبعث أهل الشأم إلى قَحْطبة يسألونه أن يشغل أهل المدينة حتى يفتحوا الباب وهم لا يشعرون ، ففعل ذلك قَحْطبة ، وشغل أهل المدينة
٨/٣ بالقتال ، ففتح أهل الشأم البابَ الذى كانوا عليه ؛ فلما رأى أهلُ خراسان الذين فى المدينة خروجَ أهل الشأم ، سألوهم عن خروجهم ، فقالوا : أخذنا الأمان لنا ولكم ، فخرج رؤساء أهلِ خراسان ، فدفع قحطبة كلّ رجل منهم إلى رجلٍ من قوّاد أهل خراسان ، ثم أمر مناديه فنادى : مَن كان فى يده أسير ممّن خرج إلينا من أهل المدينة فليضرب عنقه ، وليأتنا برأسه . ففعلوا ذلك ، فلم يبق أحدٌ ممن كان قد هرب من أبى مسلم وصاروا إلى الحصن إلّا قتل ، ما خلا أهل الشأم فإنه خلّى سبيلَهم ، وأخذ عليهم ألا يمالئوا عليه عدوًّا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث علىّ عن شيوخه الذين ذكرت : ولما أدخل قحطبة الذين كانوا بنَهاوند من أهل خُراسان ومن أهل الشأم الحائط ، قال لهم عاصم بن عمير : ويلكم! ألا تدخلون الحائط! وخرج عاصم فلبس درّعه ، ولبس سواداً كان معه ، فلقيه شاكرىّ كان له بخراسان فعرّفه ، فقال : أبو الأسود ؟ قال : نعم ، فأدخله فى سَرَب ، وقال لغلام له : احتفظ به ولا تطلعنّ على مكانه أحداً ، وأمَر قحطبة : مَن كان عنده أسيراً فليأتنا به . فقال الغلام الذى كان وُكّلَ بعاصم : إن عندى أسيراً أخاف أن أغلَب عليه ، فسمعه رجلٌ من أهل اليمن ، فقال : أرنيه ، فأراه إياه فعرفه ، فأتى قحطبة فأخبره ، وقال : رأس من رءوس الجبابرة ، فأرسل إليه فقتله ، ووفّى لأهل الشأم فلم يقتل منهم أحداً .

قال علىّ : وأخبرنا أبو الحسن الخُراسانىّ وجبلة بن فرّوخ ؛ قالا : لما قدم قحطبة نهاوند والحسن محاصرهم ، أقام قَحْطبة عليهم ، ووجّه الحسن
٩/٣ إلى مَرْج القلعة ، فقدّم الحسن خازم بن خُزيمة إلى حُلوان ، وعليها عبد الله

ابن العلاء الكِندىّ ، فهرب من حُلوان وخلاّها .

قال علىّ : وأخبرنا محرز بن إبراهيم ، قال : لما فتح قحطبة نَهاوند ، أرادوا أن يكتبوا إلى مَرْوان باسم قَحْطبة ، فقالوا : هذا اسم شنيع ، اقلبوه فجاء « هبط حقّ »، فقالوا : الأول مع شنعته أيسر من هذا . فردّوه(١) .

* * *

[ذكر وقعة شهرزور وفتحها]

وفى هذه السنة كانت وقعة أبى عون بشهرزور .

* ذكر الخبر عنها وعمّا كان فيها :

ذكر علىّ أن أبا الحسن وجَبَلة بن فروخ ، حدّثاه قالا : وجّه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراسانىّ ومالك بن طريف(٢) الخُراسانى فى أربعة آلاف إلى شهرزور ، وبها عثمان بن سفيان على مقدّمة عبد الله بن مَرْوان، فقدم أبو عون ومالك ، فنزلا على فرسخيْن من شَهرزور ، فأقاما به يومًا وليلة، ثم ناهضا عثمان بن سفيان فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة فقتل عثمان بن سفيان ، وبعث أبو عون بالبشارة مع إسماعيل بن المتوكّل ، وأقام أبو عون فى بلاد الموصل .

وقال بعضهم : لم يُقتل عثمان بن سفيان ، ولكنّه هرب إلى عبد الله بن مَرْوان ، واستباح أبو عون عسكره ، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة بعد قتال شديد . وقال : كان قحطبة وجه أبا عون إلى شهرزور فى ثلاثين ألفًا بأمر
١٠/٣ أبى مسلم إياه بذلك . قال : ولما بلغ خبرُ أبى عون مروانَ وهو بحرّان ، ارتحل منها ومعه جنود الشأم والجزيرة والموصل ، وحشرت بنو أمية معه أبناءهم مقبلا إلى أبى عون ؛ حتى انتهى إلى الموصل ، ثم أخذ فى حفر الخنادق من خندق إلى خندق؛ حتى نزل الزّاب الأكبر ، وأقام أبو عون بشهرزور بقيّة ذى الحجة والمحرّم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وفرض فيها لخمسة آلاف رجل .

---

(١) ا : « فتركوه » .

(٢) ا و ب : « طراف » ، ابن الأثير : « طرافة » .

[ذكر خبر مسير قحطبة إلى ابن هبيرة بالعراق]

وفى هذه السنة سار قَحْطبة نحو ابن هبيرة ؛ ذكر علىّ بن محمد أن أبا الحسن أخبره وزهير بن هُنيد وإسماعيل بن أبى إسماعيل وجبلة بن فرّوخ، قالوا : لما قدم على ابن هبيرة ابنه منهزمًا من حُلوان ، خرج يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقاتل قحطبة فى عدد كثير لا يُحصى مع حوثرة بن سهيل الباهلىّ ، وكان مروان أمدّ ابنَ هبيرة به ، وجعل على الساقة زياد بن سهل الغَطَفانىّ ، فسار يزيد بن عمر بن هُبيرة ، حتى نزل جَلُولاء الوقيعة وخندق ، فاحتفر الخندق الذى كانت العجم احتفرْته أيام وَقْعة جلولاء ؛ وأقبل قحطبة حتى نزل قرماسين ، ثم سار إلى حُلوان ، ثم تقدّم من حُلوان ، فنزل خانقين ، فارتحل قحطبة من خانقين ، وارتحل ابن هبيرة راجعًا إلى الدّسْكرة .

وقال هِشام عن أبى مخنف ، قال : أقبل قحطبة ، وابنُ هبيرة بخندق بجلولاء ، فارتفع إلى عُكْبَراء ، وجاز قحطبة دِجْلة ، ومضى حتى نزل دممّا دون الأنبار [١] ، وارتحل ابنُ هبيرة بمَن معه منصرفًا مبادراً إلى الكوفة لقحطبة ، حتى نزل فى الفرات فى شرقيّه ، وقدم حوثرة فى خمسة عشر ألفًا إلى الكوفة ، وقطع قحطبة الفرات من دِمّا ، حتى صار من غربيّه ، ثم سار يريد الكوفة حتى انتهى إلى الموضع الذى فيه ابن هبيرة .

* * *

١١/٣ وفى هذه السنة حجّ بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدىّ ؛ سعد هوازن ، وهو ابن أخى عبد الملك بن محمد بن عطية الذى قتل أبا حمزة الخارجىّ . وكان والى المدينة من قبَل عمه ، حدثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وقد ذكر أن الوليد بن عروة إنما كان خرج خارجًا من المدينة ، وكان مرْوان قد كتب إلى عمه عبد الملك بن محمد بن عطية يأمره أن يحجّ بالناس وهو باليمن ؛ فكان من أمره ما قد ذكرت قبلُ ، فلمّا أبطأ عليه عمه عبد الملك

(١) ب : « بما دون الأنبار » .

افتعل كتاباً من عمّه يأمره بالحجّ بالناس ، فحجّ بهم .

وذكر أن الوليد بن عروة بلغه قتلُ عمه عبد الملك فمضى [إلى] الذين قتلوه، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقَرَ بطون نسائهم ، وقتل الصبيان ، وحرّق بالنيران مَنْ قدر عليه منهم .

* * *

وكان عامل مكة والمدينة والطائف فى هذه السنة الوليد بن عروة السعدىّ من قبَل عمه عبد الملك بن محمد ، وعامل العراق يزيد بن عمر بن هبيرة .

وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربىّ، وعلى قضاء البصرة عبّاد ابن منصور الناجىّ .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة

١٢/٣ ## ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن هلاك قحطبة بن شبيب]

فممّا كان فيها هلاك قحطبة بن شبيب .

* ذكر الخبر عن مهلكه وسبب ذلك :

فكان السبب فى ذلك أنّ قحطبة لما نزل خانقين مقبلاً إلى ابن هبيرة ، وابن هُبيرة بجَلولاء ، ارتحل ابن هُبيرة من جَلولاء إلى الدّسْكرة ، فبعث — فيما ذُكر — قحطبة ابنه الحسن طليعةً ليعلم له خبرَ ابن هبيرة ، وكان ابن هبيرة راجعًا إلى خندقه بجلولاء ، فوجد الحسن بنَ هبيرة فى خندقه ، فرجع إلى أبيه فأخبره بمكان ابن هُبيرة؛ فذكر علىّ بن محمد، عن زهير بن هنيد وجبلة ابن فرّوخ وإسماعيل بن أبى إسماعيل والحسن بن رشيد ، أنّ قحطبة، قال لأصحابه لما رجع ابنه الحسن إليه وأخبره بما أخبره به من أمر ابن هبيرة : هل تعلمون طريقًا يخرجنا إلى الكوفة ، لا نمرّ بابنِ هُبيرة ؟ فقال خلف بن المورّع الهمَذانىّ ، أحد بنى تميم : نعم ، أنا أدلّك، فعبر به تامرًا من رُوستُقْباذ، ولزم الجادّة حتّى نزل بزُرْج سابور ، وأتى عكْبَراء ، فعبر دِجْلة إلى أوانا .

قال علىّ : وحدّثنا إبراهيم بن يَزيد الخراسانىّ ، قال : نزل قحطبة بخانقِين وابن هبيرة بجَلُولاء ؛ بينهما خمسة فراسخ ، وأرسل طلائعه إلى ابنِ هبيرة ليعلم علمه ، فرجعوا إليه ، فأعلموه أنه مقيم ، فبعث قَحْطبة خازمَ بن خزيمة ، وأمره أن يعبر دِجْلة ، فعبَر وسار بين دجلة وُدجَيْل ؛ حتى ١٣/٣
نزل كوثيا[1] ؛ ثم كتب إليه قحطبة يأمره بالمسير إلى الأنبار، وأن يُحْدر إليه ما فيها من السفُن وما قدَر عليه يعبرها، ويوافيه بها بد مِمّا، ففعل ذلك خازم، ووافاه قحطبة بدِمّا، ثم عبر قحطبة الفُرات فى المحرّم من سنة اثنتين وثلاثين

---

(١) ا : « كوثا » .

ومائة، ووجّه الأثقال فى البرّيّة ، وصارت الفرسان معه على شاطئ الفرات ، وابن هبيرة معسكر على فم الفرات من أرض الفلُّوجة العليا ، على رأس ثلاثة وعشرين فرسخًا من الكوفة ، وقد اجتمع إليه فَلّ ابن ضُبارة ، وأمدّه مرْوان بحوثرة بن سهيل الباهلىّ فى عشرين ألفًا من أهل الشأم .

وذكر علىّ أن الحسن بن رشيد وجبلة بن فرّوخ أخبراه أنّ قحطبة لما ترك ابنَ هبيرة ومضى يريد الكوفة ، قال حوثرة بن سهيل الباهلىّ وناس من وجوه أهل الشأم لابن هبيرة : قد مضى قحطبة إلى الكوفة ، فاقصد أنت خراسان ، ودعْه ومروان فإنك تكسره ، فبالحرَى أن يتبعك ، فقال : ما هذا برأى ، ما كان ليتبعنى ويدع الكوفة ؛ ولكنّ الرأى أن أبادره إلى الكوفة . ولما عبر قحطبة الفراتَ ، وسار على شاطئ الفرات ارتحل ابن هُبيرة من معسكره بأرض الفلُّوجة ، فاستعمل على مقدّمته حوثرة بن سهيل ، وأمره بالمسير إلى الكوفة ، والفريقان يسيران على شاطئ الفرات ؛ ابن هُبيرة بين الفرات وسورا، وقحطبة فى غربيه مما يلى البرّ . ووقف قحطبة فعبر إليه رجل أعرابىّ فى زورق ، فسلّم على قحطبة ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من طيّئ ، فقال الأعرابىّ لقحطبة : اشرب من هذا واسقنى سؤرك ، فغرف قحطبة فى قصعة فشرب وسقاه ، فقال : الحمد لله الذى نسأ أجلى حتى رأيتُ هذا الجيش ١٤/٣
يشرب من هذا الماء . قال قحطبة : أتتك الرواية ؟ قال : نعم ؛ قال : ممن أنت ؟ قال : من طيّئ، ثم أحد بنى نبْهان ، فقال قحطبة : صدقنى إمامى، أخبرنى أن لى وقعة على هذا النهر لى فيها النصر ، يا أخا بنى نبهان ، هل ها هنا مخاضة ؟ قال : نعم ولا أعرفها ، وأدلك على مَنْ يعرفها ؛ السندىّ بن عصم . فأرسل إليه قحطبة ، فجاء وأبو السندىّ وعون ، فدلّوه على المخاضة وأمسى ووافته مقدّمة ابن هبيرة فى عشرين ألفًا ، عليهم حوْثرة .

فذكر علىّ ، عن ابن شهاب العبدىّ، قال : نزل قحطبة الجبارية[1] فقال : صدقنى الأمام أخبرنى أن النصر بهذا المكان ، وأعطى الجند أرزاقهم ، فردّ عليه كاتبه ستة عشر ألف درهم ، فضل الدرهم والدرهمين وأكثر وأقل ، فقال : لا تزالون بخير ما كنتم على هذا . ووافته خيول الشأم ، وقد دلّوه على

(١) كذا فى ب وابن الأثير ، وفى ا ، ط « الحابرة » بدون نقط .

مخاضة فقال: إنما أنتظر شهر حرام وليلة عاشوراء، وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

* * *

وأما هشام بن محمد، فإنه ذكر عن أبي مخنف أنّ قحطبة انتهى إلى موضع مخاضة ذكِرَت له، وذلك عند غروب الشمس ليلة[1] الأربعاء؛ لثمان خلوْن من المحرّم سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فلما انتهى قحطبة إلى المخاضة اقتحم في عِدّة من أصحابه، حتّى حمل على ابن هبيرة، وولى أصحابُه منهزمين؛ ثم نزلوا فم النيل، ومضى حوثرة حتّى نزل قصرَ ابن هبيرة، وأصبح أهل خراسان وقد فقدوا أميرهم، فألقوا بأيدهم، وعلى الناس الحسن بن قحطبة.

* * *

١٥/٣ رجع الحديث إلى حديث عليّ عن ابن شهاب العبديّ: فأما صاحب علَم قحطبة خيران أو يسار مولاه، فقال[2] له: اعبر، وقال لصاحب رايته مسعود بن علاج (رجل من بكر بن وائل): اعبر، وقال لصاحب شرطته عبد الحميد بن ربعيّ أبي غانم أحد بني نبهان من طيئ: اعبر يا أبا غانم، وأبشر بالغنيمة. وعبر جماعة حتّى عبر أربعمائة، فقاتلوا أصحاب حوثرة حتّى نحّوْهم عن الشريعة، ولقوا محمد بن نباتة فقاتلوه، ورفعوا النيران، وانهزم أهل الشأم، وفقدوا قحطبة فبايعوا حُميد بن قحطبة على كُرْه منه، وجعلوا على الأثقال رجلاً يقال له أبو نصر في مائتين، وسار حُميد حتّى نزل كربَلاء، ثم دير الأعور ثم العباسيّة.

قال عليّ: أخبرنا خالد بن الأصفح وأبو الذيّال، قالوا: وُجِد قحطبة فدفنه أبو الجهم، فقال رجل من عُرْض الناس: من كان عنده عهْد من قحطبة فليخبرنا به، فقال مقاتل بن مالك العكيّ: سمعت قحطبة يقول: إن حدَث بي حدث فالحسن أمير الناس، فبايع الناس حُميداً للحسن، وأرسلوا إلى الحسن، فلحقه الرسول دون قرية شاهي، فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم قحطبة، وبايعوه، فقال الحسن: إن كان قحطبة مات فأنا ابن قحطبة. وقتل في هذه الليلة ابن نَبْهان السدوسيّ وحرب بن سلم بن

(١) ط: «عشية». (٢) ط: «قال».

أحوز وعيسى بن إياس العدوىّ ورجل من الأساورة، يقال له مصعب، وادّعى قتل قحطبة معن بن زائدة ويحيى بن حُضَين . ١٦/٣

قال علىّ : قال أبو الذّيال : وجدوا قحطبة قتيلا فى جدول وحرب بن سلم بن أحوز قتيل إلى جنْبه ؛ فظنوا أن كلّ واحد منهما قتل صاحبه .

قال علىّ: وذكر عبد الله بن بدر قال : كنتُ مع ابن هبيرة ليلة قحطبة فعبروا إلينا ، فقاتلونا على مسنّاة عليها خمسة فوارس ؛ فبعث ابنُ هبيرة محمد بن نُباتة ، فتلقّاهم فدفعناهم دفعًا ، وضرب معن بن زائدة قحطبة على حبل عاتقه ، فأسرع فيه السيف ، فسقط قحطبة فى الماء فأخرجوه ، فقال: شدُّوا يدىّ ، فشدّوها بعمامة ، فقال : إن متّ فألقونى فى الماء لا يعلم أحد بقتلى . وكرّ عليهم أهل خراسان ، فانكشف ابن نباتة وأهل الشأم ، فاتبعونا وقد أخذ طائفة فى وجه ، ولحقنا قوم من أهل خراسان ، فقاتلناهم طويلا ، فما نجوْنا إلاّ برجُلين من أهل الشأم قاتلوا عنا قتالا شديداً، فقال بعض الخراسانيّة: دعُوا هؤلاء الكلاب (بالفارسية) فانصرفوا عنا. ومات قحطبة وقال قبل موته: إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة ؛ فسلموا هذا الأمرَ إليه . ورجع ابن هبيرة إلى واسط .

وقد قيل فى هلاك قحطبة قول غير الذى قاله مَن ذكرنا قوله من شيوخ علىّ بن محمد ؛ والذى قيل من ذلك أنّ قحطبة لما صار بحذاء ابن هُبيرة من الجانب الغربىّ من الفرات ، وبينهما الفرات ، قدّم الحسَن ابنه على مقدّمته ، ثم أمر عبد الله الطائىّ ومسعود بن علاج وأسد بن المرزبان وأصحابهم بالعبور على خيولهم فى الفرات ، فعبَروا بعد العصر ، فطُعِن أوّل فارس لقيهم من أصحاب ابن هبيرة ، فولّوا منهزمين حتى بلغت هزيمتهم جسر سورا حتى اعترضهم سويد صاحب شُرطة ابن هبيرة ، فضرب وجوههم ووجوه دوابّهم ١٧/٣ حتى ردّهم إلى موضعهم ؛ وذلك عند المغرب ؛ حتى انتهوْا إلى مسعود بن علاج ومن معه ؛ فكثروهم ، فأمر قحطبة المخارق بن غفار وعبد الله بسّام وسلمة ابن محمد — وهم فى جريدة خيل — أن يعبروا ، فيكونوا ردْءاً لمسعود بن علاج ،

فعبروا ولقيهم محمد بن نباتة ، فحصر سلمة ومَن معه بقرية على شاطئ الفرات ، وترجّل سلمة ومَن معه ، وحمِيَ القتال ، فجعل محمد بن نُباتة يحمل على سلمة وأصحابه ، فيقتل العشرة والعشرين ، ويحمل سلمة وأصحابه على محمد بن نباتة وأصحابه ، فيقتل منهم المائة والمائتين ، وبعث سلمة إلى قحطبة يستمدّه ، فأمدّه بقواده جميعًا ، ثم عبر قحطبة بفُرسانه ، وأمر كل فارس أن يردف رجلاً ؛ وذلك ليلة الخميس لليال خلون من المحرّم ، ثم واقع قحطبة محمدَ بن نباتة ومَن معه ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهزمهم قَحْطبة حتى ألحقهم بابن هُبيرة ، وانهزم ابن هبيرة بهزيمة ابن نباتة ، وخلّوْا عسكرهم وما فيه من الأموال والسلاح والرِّثّة[1] والآنية وغير ذلك ؛ ومضت بهم الهزيمة حتى قطعوا جسر الصَّراة ، وساروا ليلتهم حتى أصبحوا بفم النيل ، وأصبح أصحاب قحطبة وقد فقدوه ؛ فلم يزالوا فى رجاء منه إلى نصف النهار ، ثم يئسوا منه وعلموا بغرَقه ، فأجمع القوّاد على الحسن بن قحطبة فولّوْه الأمر وبايعوه ، فقام بالأمر وتولاه ، وأمر بإحصاء ما فى عسكر ابن هُبيرة ، ووكّل بذلك رجلا من أهل خراسان يكنى أبا النضر[2] فى مائتى فارس ، وأمر بحمل الغنائم فى السفن إلى الكوفة ، ثم ارتحل الحسن بالجنود حتى نزل كرَبلاء ،
١٨/٣ ثم ارتحل فنزل سورا ، ثم نزل بعدها دير الأعور ، ثم سار منه فنزل العباسيّة. وبلغ حوثرةَ هزيمة ابن هبيرة ، فخرج بمن معه حتى لحق بابن هُبيرة بواسط .

وكان سبب قتل قحطبة — فيما قال هؤلاء — أنّ أحلم بن إبراهيم بن بسام مولى بنى ليث قال : لما رأيتُ قحطبة فى الفرات ، وقد سبَحتْ به دابته حتى كادت تعبر به من الجانب الذى كنت فيه أنا وبسام بن إبراهيم أخى — وكان بسام على مقدّمة قحطبة — فذكرت مَنْ قُتِل من ولد نصر بن سيار وأشياء ذكرتها منه ؛ وقد أشفقت على أخى بسام بن إبراهيم لشىء بلغه عنه ، فقلت : لا طلبتُ بثأر أبداً إن نجوتَ الليلة . قال : فأتلقاه وقد صعدت به دابّته لتخرج من الفرات وأنا على الشطّ ، فضربته بالسيف على جبينه ، فوثب فرسه ، وأعجله الموت ؛ فذهب فى الفرات بسلاحه. ثم أخبر ابن حصين السعدىّ بعد موت

---

(١) الرثة : المتاع ، وفى ط : « الزينة » . (٢) ط : « النصر » .

أحلم بن إبراهيم بمثل ذلك ، وقال : لولا أنه أقرّ بذلك عند موته ما أخبرتُ عنه بشىء .

* * *

[ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسوّداً]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة خرج محمد بن خالد بالكوفة ، وسوّد قبل أن يدخلها الحسن بن قحطبة ، وخرج عنها عامل ابن هبيرة ، ثم دخلها الحسن .

* ذكر الخبر عمّا كان من أمر من ذكرت :

ذكر هشام ، عن أبى مخنف ، قال : خرج محمّد بن خالد بالكوفة فى ليلة عاشوراء ، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثىّ ، وعلى شُرَطه عبد الرحمن ابن بشير العِجلىّ ؛ وسوّد محمد وسار إلى القَصْر ، فارتحل زياد بن صالح وعبد الرحمن بن بشير العِجْلىّ ومَنْ معهم من أهل الشأم ، وخلّوا[1] القصر ، ١٩/٣ فدخله محمد بن خالد ، فلما أصبح يوم الجمعة — وذلك صبيحة اليوم الثانى من مهلك قحطبة — بلغه نزولُ حوثرة[2] ومَنْ معه مدينة ابن هبيرة ، وأنه تهيّأ للمسير إلى محمد ، فتفرّق عن محمد عامة مَن معه حيث بلغهم نزول حَوْثرة مدينة ابن هبيرة ، ومسيره إلى محمد لقتاله ؛ إلّا فرساناً من فرسان أهل اليمن ، ممن كان هرب من مَرْوان ومواليه . وأرسل إليه أبو سلمة الخلال — ولم يظهر بعد — يأمره بالخروج من القصر واللحاق بأسفل الفرات ؛ فإنه يخاف عليه لقلة مَن معه وكثرة مَن مع حوثرة — ولم يبلغ أحداً من الفريقين هلاكُ قحطبة — فأبى محمد بن خالد أن يفعلَ حتى تعالى النهار ، فتهيّأ حوثرة للمسير إلى محمد بن خالد ؛ حيث بلغه قلّة مَن معه وخذلان العامة له ، فبينا محمد فى القصر إذْ أتاه بعض طلائعه ، فقال له : خيلٌ قد جاءت من أهل الشأم ، فوجّه إليهم عدّة من مواليه ، فأقاموا بباب دار عمر بن سعد ؛ إذ طلعت الرّايات لأهل الشأم ، فتهيّئوا لقتالهم ، فنادى الشأميون : نحن بجَيلة ، وفينا مليح بن خالد البَجلىّ ، جئنا لندخل فى طاعة الأمير . فدخلوا ، ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بَحْدل ، فلما رأى ذلك حوثرة من صنيع

---

(١) ب : « ودخلوا » . (٢) ب : « الحوثرة » .

أصحابه ، ارتحل نحو واسط بمَن معه ، وكتب محمد بن خالد من ليلته إلى قَحْطبة ؛ وهو لا يعلم بهُلْكه ؛ يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة ، وعجل به مع فارس ؛ فقدم على الحسن بن قحطبة ، فلما دفع إليه كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس ، ثم ارتحل نحو الكوفة ، فأقام محمد بالكوفة يوم الجمعة
٣/٢٠ والسبت والأحد وصبّحه الحسن يوم الاثنين ، فأتوا أبا سلمة وهو فى بنى سَلَمة[1] فاستخرجوه ، فعسكر بالنُّخيلة يومين ، ثم ارتحل إلى حمّام أعين ، ووجّه الحسن ابن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هُبيرة .

وأما علىّ بن محمد ، فإنه ذكر أن عمارة مولى جبرائيل بن يحيى أخبره ، قال : بايع أهلُ خراسان الحسن بعد قحطبة ، فأقبل إلى الكوفة ، وعليها يومئذ عبد الرحمن بن بشير العِجلىّ ، فأتاه رجل من بنى ضَبّة ، فقال : إن الحسَن داخل اليوم أو غداً ؛ قال : كأنك جئتَ تُرهبنى ! وضربه ثلثمائة سوط . ثم هرب فسوّد محمد بن خالد بن عبد الله القسرىّ ، فخرج فى أحد عشر رجلاً ، ودعا الناس إلى البيعة ، وضبط الكوفة ، فدخل الحسن من الغد ، فكانوا يسألون فى الطريق : أين منزل أبى سلمة ، وزير آل محمد ؟ فدلّوهم عليه ، فجاءوا حتى وقفوا على بابه ، فخرج إليهم ، فقدّموا له دابة من دوابّ قحطبة فركبها ، وجاء حتى وقف فى جبّانة السَّبِيع ، وبايع أهل خراسان ، فمكث أبو سلمة حفص بن سليمان مولى السَّبِيع — يقال له وزير آل محمد — واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله القسرىّ على الكوفة — وكان يقال له الأمير — حتى ظهر أبو العباس .

وقال علىّ : أخبرنا جبلة بن فرّوخ وأبو صالح المروزىّ وعُمارة مولى جبرائيل وأبو السرىّ وغيرهم ممّن قد أدرك أوّلَ دعوة بنى العباس ، قالوا : ثم وجّه الحسنَ ابن قحطبة إلى ابن هبيرة بواسط ، وضمّ إليه قُوّاداً ، منهم خازم بن خزيمة ومقاتل بن حكيم العكىّ وخفّاف بن منصور وسعيد بن عمرو وزياد بن مشكان
٣/٢١ والفَضْل بن سليمان وعبد الكريم بن مسلم وعثمان بن نَهِيك وزهير بن محمد والهيثم بن زياد وأبو خالد المروزىّ وغيرهم ، ستة عشر قائداً وعلى جميعهم

(١) ا ، ب : « فى بنى مسلمة » .

الحسن بن قحطبة . ووجّه حُميد بن قحطبة إلى المدائن فى قوّاد ؛ منهم عبد الرحمن بن نعيم ومسعود بن علاج ؛ كلّ قائد فى أصحابه . وبعث المسيّب بن زُهير وخالد بن برْمك إلى دَيْرقُنَّى ، وبعث المهلبىّ وشَراحيل فى أربعمائة إلى عَيْن التمر ، وبسّام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز ، وبها عبد الواحد ابن عمر بن هبيرة . فلما أتى بسام الأهواز خرج عبد الواحد إلى البَصْرة ، وكتب مع حفص بن السَّبيع إلى سفيان بن معاوية بعهده على البصرة ، فقال له الحارث أبو غسان الحارثىّ — وكان يتكهّن وهو أحد بنى الدّيان : لا ينفذُ هذا العهد. فقدم الكتاب على سفيان ، فقاتله سَلْم بن قتيبة ، وبطل عهد سفيان . وخرج أبو سلمة فعسكر عند حمّام أعيَن ، على نحو من ثلاثة فراسخ من الكوفة ، فأقام محمد بن خالد بن عبد الله بالكُوفة .

وكان سبب قتال سلم بن قتيبة سفيانَ بن معاوية بن يزيد بن المهلب — فيما ذُكِر — أن أبا سلمة الخلال وجّه إذ فرّق العمال فى البلدان بَسام بن إبراهيم مولى بنى ليث إلى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة وهو بالأهواز ، فقاتله بسام حتى فضّه ، فلحق سلْم بن قتيبة الباهلىّ بالبَصْرة ؛ وهو يومئذ عامل ليزيد بن عمر بن هبيرة . وكتب أبو سَلمة إلى الحسن بن قحطبة أن يوجّه إلى سَلْم مَن أحبّ من قُوّاده ، وكتب إلى سُفيان بن معاوية بعهده على البَصْرة ،
وأمره أن يظهِر بها دعْوة بنى العباس ، ويدعو إلى القائم منهم ؛ وينفى[1] سلْم ٢٢/٣
ابن قتيبة . فكتب سفيان إلى سلْم يأمره بالتحوّل عن دار الإمارة ، ويخبره بما أتاه من رأى أبى سلمة ؛ فأبى سلْم ذلك ، وامتنع منه ، وحشد مع سفيان جميع اليمانيّة وحلفاءهم من ربيعة وغيرهم ، وجنح إليه قائد من قوّاد ابن هبيرة ؛ وكان بعثه مدداً لسلْم فى ألفى رجل من كلْب ، فأجمع السير إلى سلْم بن قتيبة ، فاستعدّ له سلْم ، وحشد معه مَن قدر عليه من قيس وأحياء مضر ومن كان بالبَصْرة من بنى أمية ومواليهم ، وسارعت بنو أمية إلى نَصْره .

فقدم سفيان يوم الخميس وذلك فى صفر ؛ فأتى المربد سَلْم ، فوقف منه عند سوق الإبل ، ووجّه الخيول فى سكة المربد وسائر سِكَك البصرة للقاء مَنْ وَجه إليه سفيان ، ونادى : مَنْ جاء برأس فله خمسمائة درهم ، ومن

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ينفى » .

جاء بأسير فله ألف درهم . ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية فى ربيعة خاصةً، فلقيه خيلٌ(١) من تميم فى السكة التى تأخذ إلى بنى عامر فى سكّة المربد عند الدار التى صارت لعمر بن حبيب ، فطعن رجلٌ منهم فرس معاوية ، فشبّ به فصرعه ؛ فنزل إليه رجل من بنى ضَبّة يقال له عياض ، فقتله ، وحمل رأسه إلى سَلْم بن قتيبة ، فأعطاه ألف درهم ، فانكسر سفيان لقتل ابنه ، فانهزم ومَن معه ، وخرج من فَوْره هو وأهل بيته حتى أتى القصر الأبيض فنزلوه ، ثم ارتحلوا منه إلى كسكَر .

وقدِم على سلم بعد غلبته على البَصْرة جابر بن توبة الكلابىّ والوليد بن عتبة الفراسىّ ، من ولد عبد الرحمن بن سَمُرة فى أربعة آلاف رجل ، كتب
٢٣/٣ إليهم ابن هبيرة أن يصيروا مدداً لسَلْم وهو بالأهواز ، فغدا جابر بمَن معه على دور المهلب وسائر الأزْد ، فأغاروا عليهم ، فقاتلهم مَن بقى من رجال الأزْد قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى فيهم ؛ فانهزموا ، فسبَى جابر ومَن معه من أصحابه النساءَ ، وهدموا الدور وانتهبوا ؛ فكان ذلك من فعلهم ثلاثة أيام ؛ فلم يزل سَلْم مقيماً بالبصرة حتى بلغه قتلُ ابن هبيرة ، فشخص عنها فاجتمع من البصرة من ولد الحارث بن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر فولوه أمرهم فوليهم أياماً يسيرة ، حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخُزاعىّ من قِبَل أبى مسلم ، فوليَها خمسة أيام ، فلما قام أبو عباس ولّاها سفيان بن معاوية .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة بويع لأبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر ؛ كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال هشام بن محمد . وأما الواقدىّ فإنه قال : بويع لأبى العباس بالمدينة بالخلافة فى جمادى الأولى فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة .

قال الواقدىّ : وقال لى أبو معشر : فى شهر ربيع الأول سنة ثنتين وثلاثين ومائة ؛ وهو الثَّبت .

---

(١) ط : « رجل » ، وما أثبته من ا .

خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن عباس

ذكر الخبر عن سبب خلافته

وكان بدء ذلك — فيما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه — أنه أعلم العباسَ ابن عبد المطلب أنه تؤول الخلافة إلى ولده ، فلم يزل ولدُه يتوقّعون ذلك ، ٣/٢٤
ويتحدّثون به بينهم .

وذكر علىّ بن محمد أن إسماعيل بن الحسن حدّثه عن رشيدبن كُريب ، أنّ أبا هاشم خرج إلى الشأم ، فلقى محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، فقال : يابن عمّ ، إن عندى علمًا أنبذه إليك فلا تطلعنّ عليه أحداً ؛ إن هذا الأمر الذى يرتجيه الناس،فيكم. قال : قد علمتُ فلا يسمعنّه منك أحد .

قال علىّ : وأخبرنا سليمان بن داود ، عن خالد بن عجلان ، قال : لما خالف ابن الأشعث ،وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك ،أرسل عبدالملك إلى خالد بن يزيد فأخبره ، فقال : أما إذا كان الفَتْق من سِجِسْتَان فليس عليك بأس ؛ إنما كنا نتخوّف لو كان من خراسان .

وقال علىّ : أخبرنا الحسن بن رُشيد وجبلة بن فرّوخ التاجىّ ويحيى بن طفيل والنعمان بن سرىّ وأبو حفص الأزدى وغيرهم أن الإمام محمد بن علىّ ابن عبد الله بن عباس ، قال : لنا ثلاثة أوقات : موت الطاغية يزيد بن معاوية ،ورأس المائة ،وفتق[1] بإفريقيّة ، فعند ذلك يدعو لنا دعاة، ثم يُقبل أنصارنا من المشرق حتى تردَ خيولهم المغرب ، ويستخرجوا ما كنز الجبّارون فيها . فلمّا قتِل يزيد بن أبى مسلم بإفريقيّة ، ونقضت البربر ، بعث محمد بن علىّ رجلاً إلى خُراسان ، وأمره أن يدعوَ إلى الرضا ، ولا يسمّى أحداً .

وقد ذكرنا قبل خبر محمد بن علىّ ، وخبر الدّعاة الذى وجههم إلى خُراسان . ثم مات محمد بن علىّ وجعل وصيّه من بعده ابنه إبراهيم ؛ فبعث إبراهيم بن محمد إلى خُراسان أبا سلمة حفص بن سليمان مولى السَّبِيع ، وكتب ٣/٢٥
معه إلى النقباء بخراسان ، فقبِلوا كتبه وقام فيهم ، ثم رجع إليه فردّه ومعه

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « وفتح إفريقية » .

أبو مسلم . وقد ذكرنا أمر أبى مسلم قبل وخبره .

ثم وقع فى يد مَرْوان بن محمد كتاب لإبراهيم بن محمد إلى أبى مسلم، جواب كتاب لأبى مسلم يأمره بقتل كل مَن يتكلم بالعربيّة بخراسان. فكتب مَرْوان إلى عامله بدمشق يأمره بالكتاب إلى صاحبه بالبَلْقاء أن يسيرَ إلى الحُميمة ، ويأخذ إبراهيم بن محمد ويوجّهه به إليه . فذكر أبو زيد عمر بن شبّة أن عيسى ابن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب، حدّثه عن عثمان بن عروة ابن محمد بن عمار بن ياسر، قال: إنى مع أبى جعفر بالحُميمة ومعه ابناه محمد وجعفر ، وأنا أرقّصهما، إذ قال لى : ماذا تصنع ؟ أما ترى إلى ما نحن فيه ! قال : فنظرت فإذا رسل مروان تطلب إبراهيم بن محمد، قال: فقلت: دعْنِى أخرج إليهم، قال: تخرج من بيتى وأنت ابن عمار بن ياسر ! قال : فأخذوا أبواب المسجد حين صلوا الصبح ، ثم قالوا للشاميّين [1] الذين معهم : أين إبراهيم بن محمد؟ فقالوا : هو ذا ، فأخذوه؛ وقد كان مروان أمرهم بأخْذِ إبراهيم ، ووصف لهم صفة أبى العباس التى كان يجدها فى الكتب أنه يقتلهم ؛ فلما أتوه بإبراهيم ، قال : ليس هذه الصّفة التى وصفت لكم ، فقالوا : قد رأينا الصفة التى وصفت ، فردّهم فى طلبه ، ونُذروا ، فخرجوا إلى العراق هُرّابًا .

قال عمر : وحدّثنى عبد الله بن كثير بن الحسن العبدىّ ، قال : أخبرنى
٢٦/٣ علىّ بن موسى ، عن أبيه ، قال : بعث مَرْوان بن محمد رسولاً إلى الحُميمة يأتيه بإبراهيم بن محمد، ووصف له صفته [2]، فقدم الرّسُول فوجد الصفة صفة أبى العباس عبد الله بن محمد ، فلما ظهر إبراهيم بن محمد وأمِن قيل للرسول: إنما أمِرت بإبراهيم ؛ وهذا عبد الله ! فلما تظاهر ذلك عنده ترك أبا العباس وأخذ إبراهيم ، وانطلق به . قال : فشخصت معه أنا وأناس من بنى العباس ومواليهم ، فانطلق بإبراهيم ، ومعه أمّ ولد له كان بها معجبًا ، فقلنا له : إنما أتاك رجل ، فهلمّ فلنقتله ثم ننكفئْ إلى الكوفة ، فهمْ لنا شيعة ، فقال : ذلك لكم ، قلنا : فأمهِلْ حتى نصيرَ إلى الطريق التى تُخْرِجُنا إلى العراق . قال : فسرنا حتى صرنا إلى طريق تتشعّب إلى العراق ، وأخرى إلى الجزيرة ، فنزلنا منزلاً؛ وكان إذا أراد التعريس اعتزل لمكان أمّ ولده، فأتينا للأمر الذى

(١) ط : « ليستأمن » . (٢) ط : « ووصفه » .

اجتمعنا عليه ، فصرَخْنا به ، فقام ليخرج فتعلقت به أم ولده ، وقالت : هذا وقت لم تكن تخرج فيه ؛ فما هاجك ! فالتوى عليها ، فأبت حتى أخبرها، فقالت : أنشدك الله أن تقتلَه فتشأم أهلك ! والله لئن قتلته لا يُبقى مروانُ من آل العباس أحداً بالُحميمة إلاّ قتله ؛ ولم تفارقه حتى حلف لها ألا يفعل ، ثم خرج إلينا وأخبرنا ، فقلنا : أنت أعلم .

قال عبد الله : فحدّثنى ابن لعبد الحميد بن يحيى كاتب مروان ، عن أبيه ، قال : قلت لمروان بن محمد : أتتّهمنى ؟ قال : لا ، قلتُ : أفيَحطُّك صهرُه ؟ قال : لا ، قلت : فإنى أرى أمره ينبغ عليك فأنكِحْه وأنكح إليه ، فإن ظهر كنتُ قد أعلقتَ بينك وبينه سبباً لا يريبك معه ، وإن كفيته لم يشنْك صهره . قال : ويحك ! والله لو علمته صاحب ذاك لسبقتُ إليه ؛ ولكن ليس بصاحب ذلك . ٢٧/٣

وذكر أن إبراهيم بن محمد حين أخذ للمضىّ به إلى مرْوان نعى إلى أهل بيته حين شيّعوه نفسَه ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبى العباس عبد الله ابن محمد ، وبالسمع له وبالطاعة ، وأوصى إلى أبى العباس ، وجعله الخليفة بعده ؛ فشخص أبو العباس عند ذلك ومَن معه من أهل بيته ؛ منهم عبد الله ابن محمد وداود بن عيسى ، وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو علىّ ويحيى ابن محمد وعيسى بن موسى بن محمد بن علىّ ، وعبد الوهاب ومحمد ابنا إبراهيم وموسى بن داود ويحيى بن جعفر بن تمام ؛ حتى قدموا الكوفة ، فى صفَر ، فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعْد مولى بنى هاشم فى بنى أوْد ، وكتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من جميع القوّاد والشيعة . وأراد — فيما ذكر — أبو سلمة تحويلَ الأمر إلى آل أبى طالب لما بلغه الخبر عن موت إبراهيم بن محمد ؛ فذكر علىّ بن محمد أنّ جبلة بن فرّوخ وأبا السرىّ وغيرهما قالا : قدم الإمام الكوفة فى ناس من أهل بيته ، فاختفوْا ، فقال أبو الجهم لأبى سلمة : ما فعل الإمام ؟ قال : لم يقدم بعد ، فألحّ عليه يسأله ، قال : قد أكثرتَ السؤال ، وليس هذا وقت خروجه [فكانوا بذلك] (١) ، حتى لقى أبو حُميد خادماً

---

(١) من ا .

لأبى العباس ، يقال له سابق الخوارزمىّ ، فسأله عن أصحابه ، فأخبره أنهم بالكوفة ، وأنّ أبا سلَمة يأمرهم أن يختفوا ، فجاء به إلى أبى الجَهْم ، فأخبره خبرَهم ، فسرّح أبو الجهم أبا حُميد مع سابق حتى عرف منزلهم بالكوفة ، ثم رجع وجاء معه إبراهيم بن سلَمة (رجل كان معهم) ، فأخبر أبا الجهم عن منزلهم ونزول الإمام فى بنى أوْد ، وأنه أرسل حين قدموا إلى أبى سلَمة يسأله مائة
٢٨/٣ دينار ، فلم يفعل ، فمشى أبو الجهم وأبو حُميد وإبراهيم إلى موسى بن كعْب ، وقصُّوا عليه القصّة ، وبعثوا إلى الإمام بمائتى دينار ، ومضى أبو الجَهْم إلى أبى سلَمة ، فسأله عن الإمام ، فقال : ليس هذا وقت خروجه ؛ لأن واسطاً لم تفتح بعد ، فرجع أبو الجهم إلى موسى بن كعب فأخبره ، فأجمعوا على أن يلقوا الإمام، فمضى موسى بن كعب وأبو الجهم وعبد الحميد بن رِبْعىّ وسلَمة ابن محمد وإبراهيم بن سلمة وعبد الله الطائىّ وإسحاق بن إبراهيم وشَراحيل وعبد الله بن بسام وأبو حُميد محمد بن إبراهيم وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين إلى الإمام ، فبلَغ أبا سلمة ، فسأل عنهم فقيل : ركبوا إلى الكوفة فى حاجة لهم .

وأتى القومُ أبا العباس، فدخلوا عليه فقالوا : أيّكم عبد الله بن محمد ابن الحارثية ؟ فقالوا : هذا ، فسلموا عليه بالخلافة ؛ فرجع موسى بن كعب وأبو الجَهْم الآخرين؛ فتخلفوا عند الإمام، فأرسل أبو سلمة إلى أبى الجهم : أين كنت ؟ قال : ركبتُ إلى إمامى . فركب أبو سلَمة إليهم، فأرسل أبو الجهم إلى أبى حميد أنّ أبا سلمة قد أتاكم ؛ فلا يدخلنّ على الإمام إلّا وحده ؛ فلما انتهى إليهم أبو سلمة منعوه أن يدخل معه أحدٌ ، فدخل وحده، فسلم بالخلافة على أبى العباس .

وخرج أبو العباس على بِرْذَون أبْلَق يوم الجمعة ، فصلّى بالناس ؛ فأخبرنا عَمارة مولى جبرئيل وأبو عبد الله السُّلمىّ أن أبا سلَمة لما سلّم على أبى العباس بالخلافة ، قال له أبو حُميد : علَى رَغْم أنفك يا ماصّ
٢٩/٣ بظر أمّه ! فقال له أبو العباس : مَهْ !

وذكر أنّ أبا العباس لما صعِد المنبرَ حين بويع له بالخلافة، قام فى أعلاه، وصعِد داود بن علىّ فقام دونه ، فتكلم أبو العباس ، فقال : الحمد لله الذى اصطفَى الإسلام لنفسه تكرِمة ، وشرّفه وعظّمه ، واختاره لنا وأيّده بنا ، وجعلنا أهله وكهفَه وحصنه والقوّام به ، والذابّين عنه والناصرين له ، وألزمَنا كلمة التقوى ، وجعلنا أحقّ بها وأهلها ، وخصّنا برحِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَرابته ، وأنشأنا من آبائه ، وأنبتنا من شجرته ، واشتقّنا من نَبْعته ؛ جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عَنِتْنا ، حريصًا علينا بالمؤمنين رءوفًا رحيماً، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يُتْلَى عليهم ، فقال عزّ من قائل فيما أنزل من محكم القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١) ، وقال : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ﴾(٢) وقال : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(٣) ، وقال : ﴿مَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾(٤) ، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾(٥) فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا ، وأوجبَ عليهم حقنا ومودّتنا ، وأجزل من الفىء والغنيمة نصيبنا تكرمةً لنا ، وفضلاً علينا ، والله ذو الفضل العظيم .

وزعمت السبئيّة(٦) الضُّلاّل ، أن غيرنا أحقّ بالرياسة والسياسة والخلافة منا ، فشاهت وجوههم ! بم ولم أيّها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، ٣٠/٣
وبصّرهم بعد جهالتهم ، وأنقذهم بعد هَلَكتهم ، وأظهر بنا الحقّ ، وأدحض بنا الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ، ورفع بنا الخسيسة ، وتمّ بنا النقيصة ، وجمع الفُرقة ، حتى عاد الناس بعد العداوة أهلَ تعاطف وبرّ

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .
(٢) سورة الشورى ٢٣ .
(٣) سورة الشعراء ٢١٤ .
(٤) سورة الحشر ٧ .
(٥) سورة الأنفال ٤١ .
(٦) ب : « الشامية » .

ومواساة فى دينهم ودنياهم ، وإخواناً على سرُر متقابلين فى آخرتهم ؛ فتح الله ذلك مِنّةً ومِنحةً لمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ فلما قبضه الله إليه ، قام بذلك الأمر من بعده أصحابه ، وأمرُهم شورى بينهم ، فحوَوْا مواريث الأمم ، فعدّلوا فيها ووضعُوها مواضعها ، وأعطوْها أهلها ، وخرجوا خِماصاً منها . ثم وثب بنو حَرْب ومَرْوان ، فابتزّوها وتداولوها[1] بينهم ، فجاروا فيها ، واستأثروا بها ، وظلموا أهلها ، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه ، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ، وردّ علينا حقّنا ، وتدارك بنا أمّتنا ، وولى نصرَنا والقيام بأمرنا ، ليمنّ بنا على الذين استُضعفوا فى الأرض ؛ وختم بنا كما افتتح بنا . وإنى لأرجو ألّا يأتيَكم الجوْرُ من حيث أتاكم الخيرُ ، ولا الفسادُ من حيث جاءكم الصلاح ؛ وما توفيقنا أهلَ البيت إلا بالله. يا أهل الكوفة ، أنتم محلّ محبّتنا ومنزل مودّتنا . أنتم الذين لم تتغيّروا عن ذلك ، ولم يُثنِكم عن ذلك تحامل أهل الجوْر عليكم ؛ حتى أدركتُم زمانَنا ، وأتاكم الله بدَوْلتِنا ؛ فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ؛ وقد زدتُكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدّوا ، فأنا السفاح المبِيح ، والثائر المبِير .

وكان موعوكاً فاشتدّ به الوعك ، فجلس على المنبر ، وصعد داود بن علىّ
٣١/٣ فقام دونه على مراقى المنبر ، فقال :

الحمد لله شكراً شكراً ؛ الذى أهلك عدوّنا ، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه . أيّها الناس ، الآن أقشعت حنادس الدّنيا ، وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وبزغ القمر من مبزغه ؛ وأخذ القوس باريها ، وعاد السهم إلى منزَعه ، ورجع الحق إلى نصابه ؛ فى أهل بيت نبيّكم ، أهل الرأفة والرّحمة بكم والعطف عليكم . أيّها الناس ، إنا والله ما خرجْنا فى طلب هذا الأمر لنكثر لُجيْناً ولا عقياناً ، ولا نحفرَ نَهَراً ، ولا نبنىَ قصراً ؛ وإنما أخرجَنا الأنَفَةُ من ابتزازهم[2] حقّنا ، والغَضَبُ لبنى عمنا ، وما كرَثنا[3] من أموركم ، وبَهظَنا من شؤونكم ؛ ولقد كانت أموركم ترمِضُنا ونحن على فُرشنا ، ويشتدّ علينا سوء

(١) ب : « وتداولوا » . (٢) ب : « انبزازهم » .
(٣) ابن الأثير : « ما كرهنا » .

سيرة بنى أمية فيكم ، وخُرْقهم[1] بكم ، واستذلالهم لكم ؛ واستئثارُهم بفَيْئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم . لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسوله صلى الله عليه وآله ، وذمة العبّاس رحمه الله ؛ أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير فى العامّة منكم والخاصّة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . تبًّا تبًّا لبنى حَرْب بن أمية وبنى مَرْوان ! آثروا فى مُدّتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة ، والدارَ الفانية على الدار الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا الأنام ، وانتهكوا المحارم ، وغَشُوا الجرائم ، وجاروا فى سيرتهم فى العباد ؛ وسنّتهم فى البلاد التى بها استلذُّوا تسربُل الأوزار ، وتجلبب الآصار ، ومرحوا فى أعنّة المعاصى ، وركضوا فى ميادين الغىّ ؛ جهلا باستدراج الله ، وأمنًا لمكر الله ؛ فأتاهم بأس الله بياتًا وهم نائمون ، فأصبحوا أحاديث ، ومُزِّقوا كلّ ٣٢/٣ ممزّق ، فبعداً للقوم الظالمين ! وأدالنا الله من مروان ، وقد غرّه بالله الغَرُور ، أرسل لعدوّ الله فى عنانه حتى عثر فى فضل خِطامه ، فظنّ عدوّ الله أن لن نقدِر عليه ، فنادى حزبه ، وجمع مكايده ، ورمى بكتائبه ؛ فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله ، من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ، ومحق ضلالَه ، وجعل دائرة السوْء به ، وأحيا شرفَنَا وعِزّنا ، وردّ إلينا حقنا وإرثنا .

أيُّها الناس ؛ إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً ، إنما عاد إلى المنبر بعد الصّلاة ؛ أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدّة الوَعْك ؛ وادْعُوا الله لأمير المؤمنين بالعافية ، فقد أبدلكم الله بمرْوان عدوّ الرحمن وخليفةِ الشيطان المتبعِ للسفلة الذين أفسدوا فى الأرض بعد صلاحِها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين ، الشابَّ المتكهّل المتمهل ، المقتدِى بسلفه الأبرار الأخيار ؛ الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها ، بمعالم الهدى ، ومناهج التقوى .

فعجّ الناس له بالدعاء . ثم قال :

يا أهلَ الكوفة ؛ إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقّنا ، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقّنا ، وأفلج بهم حجّتنا ، وأظهر بهم

---

(١) ب : « وحرفهم » .

دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون ، وإليه تتشوّفون ، فأظهر فيكم الخليفةَ من هاشم ، وبيّض به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشأم ، ونقل إليكم السلطان ،
٣٣/٣ وعزّ الإسلام ، ومنّ عليكم بإمام منحه[1] العدالة ، وأعطاه حسن الإيالة[2]. فخذوا ما آتاكم الله بشكر ، والزموا طاعتنا ، ولا تُخْدَعوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم ، وإنّ لكل أهل بيت مصراً ؛ وإنكم مصرُنا . ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علىّ ابن أبى طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد — وأشار بيده إلى أبى العباس — فاعلموا أنّ هذا الأمر فينا ليس بخارج منّا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

ثم نزل أبو العباس وداود بن علىّ أمامه ؛ حتى دخل القصر ، وأجلس أبا جعفر ليأخذ البَيْعة على الناس فى المسجد ، فلم يزل يأخذها عليهم ؛ حتى صلى بهم العصر ، ثم صلى بهم المغرب ، وجنّهم الليل ، فدخل .

وذُكِر أن داود بن علىّ وابنه موسى كانا بالعراق أو بغيرها ، فخرجا يريدان الشّراة فلقيَهما أبو العباس يريد الكوفة ، معه أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد وعبد الله بن علىّ وعيسى بن موسى ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس ، ونفر من مواليهم بدَوْمة الجندل ، فقال لهم داود : أين تريدون ؟ وما قِصّتكم ؟ فقصّ عليه أبو العباس قِصّتهم ، وأنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ، ويظهروا أمرهم ، فقال له داود : يا أبا العباس ، تأتى الكوفة وشيخ بنى مروان[3] ؛ مَرْوان ابن محمد بحرّان مطلٌّ على العراق فى أهل الشأم والجزيرة ، وشيخ العرب يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق فى حلْبة العرب ! فقال أبو الغنائم : من أحبّ الحياة ذلّ ، ثم تمثل بقول الأعشى :

فما ميتَةٌ إن مِتُّها غيرَ عاجز بعارٍ إذا ما غالتِ النفسَ غُولُها

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال : صدق والله ابنُ عمك ، فارجع بنا
٣٤/٣ معه نعش أعزّاء أو نمت كراماً ، فرجعوا جميعاً ، فكان عيسى بن موسى

---

(١) ب : « منحته » . (٢) ب : « الإنالة » .
(٣) ابن الأثير : « أمية » .

يقول إذا ذكر خروجهم من الحُميمة يريدون الكوفة: إن نفراً أربعة عشر رجلا خرجوا من دارهم وأهليهم يطلبون مطالبنا، لعظيمٌ همّهم كبيرة أنفسهم، شديدة قلوبهم.

* * *

ذكر بقيّة الخبر عما كان من الأحداث فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة

تمام الخبر عن سبب البيعة لأبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ وما كان من أمره:

قال أبو جعفر: قد ذكرنا من أمر أبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ ما حضرنا ذكره قبلُ، عمّن ذكرنا ذلك عنه؛ وقد ذكرنا من أمره وأمر أبى سلمة وسبب عقد الخلافة لأبى العباس أيضًا ما أنا ذاكره؛ وهو أنه لما بلغ أبا سلمة قتلُ مروانِ بن محمد إبراهيمَ الذى كان يقال له الإمام، بدا له فى الدعاء إلى ولد العباس وأضمر الدّعاء لغيرهم؛ وكان أبو سلمة قد أنزل أبا العباس حين قدم الكوفة مع مَن قدم معه من أهل بيته فى دار الوليد بن سعد فى بنى أوْد، فكان أبو سلمة إذا سئل عن الإمام يقول: لا تعجلوا، فلم يزل ذلك من أمره وهو فى معسكره بحمّام أعين حتى خرج أبو حُميد، وهو يريد الكُناسة، فلقى خادمًا لإبراهيم يقال له سابق الخوارزمىّ، فعرفه، وكان يأتيهم بالشأم ٣٥/٣
فقال له: ما فعل الإمام إبراهيم؟ فأخبره أنّ مَرْوان قتله غيلة، وأن إبراهيم أوصى إلى أخيه أبى العباس، واستخلفه من بعده، وأنه قدم الكوفة ومعه عامّة أهل بيته، فسأله أبو حميد أن ينطلق به إليهم، فقال له سابق: الموعدُ بينى وبينك غدًا فى هذا الموضع، وكره سابق أن يدلّه عليهم إلا بإذنهم، فرجع أبو حميد من الغد إلى الموضع الذى وعد فيه سابقًا، فلقيه، فانطلق به إلى أبى العباس وأهل بيته، فلما دخل عليهم سأل أبو حُميد: مَن الخليفة منهم؟ فقال داود بن علىّ: هذا إمامكم وخليفتكم — وأشار إلى أبى العباس — فسلم عليه بالخلافة، وقبّل يديه ورجليه، وقال: مُرنا بأمرك، وعزّاه بالإمام إبراهيم.

وقد كان إبراهيم بن سلمة دخل عسكر أبى سَلَمة متنكّراً، فأتى أبا الجهم فاستأمنه، فأخبره أنه رسول أبى العباس وأهل بيته، وأخبره بمن معه وبموضعهم،

وأنّ أبا العباس كان سرّحه إلى أبى سلمة يسأله مائة دينار، يعطيها للجمّال كراءَ الجمال التى قدِم بهم عليها، فلم يبعث بها إليه، ورجع أبو حميد إلى أبى الجَهْم، فأخبره بحالهم، فمشى أبو الجَهْم وأبو حُميد ومعهما إبراهيم بن سلمة، حتى دخلوا على موسى بن كعب، فقصّ عليه أبو الجهم الخبرَ، وما أخبره إبراهيم بن سلمة، فقال موسى بنُ كعب: عجِّل البعثة إليه بالدّنانير وسرّحه. فانصرف أبو الجَهْم ودفع الدنانير إلى إبراهيم بن سلمة، وحمله على بَغْل وسرّح معه رجلين، حتى أدخلاه[1] الكوفة، ثم قال أبو الجهم لأبى سلمة، وقد شاع فى العسكر أن مروان بن محمد قد قتل الإمام: فإن
٣٦/٣ كان قد قُتِل كان أخوه[2] أبو العباس الخليفة والإمام من بعده؛ فردّ عليه أبو سلمة: يا أبا الجهم، اكفف أبا حميد عن دخول الكوفة، فإنهم أصحاب إرجاف وفساد.

فلما كانت الليلة الثانية أتى إبراهيم بن سلمة أبا الجهم وموسى بن كعب، فبلّغهما رسالة من أبى العباس وأهل بيته، ومشى فى القوّاد والشيعة تلك الليلة، فاجتمعوا فى منزل موسى بن كعب؛ منهم عبد الحميد بن رِبعىّ وسلمة بن محمد وعبد الله الطائىّ وإسحق بن إبراهيم وشراحيل[3] وعبد الله بن بسام وغيرهم من القوّاد. فأتمروا فى الدخول إلى أبى العباس وأهل بيته، ثم تسللوا من الغد حتى دخلوا الكوفة وزعيمهم موسى بن كعب وأبو الجهم وأبو حميد الحميرىّ — وهو محمد بن إبراهيم — فانتهوا إلى دار الوليد بن سعد، فدخلوا عليهم، فقال موسى ابن كعب وأبو الجهم: أيّكم أبو العباس؟ فأشاروا إليه، فسلموا عليه وعزّوه بالإمام إبراهيم، وانصرفوا إلى العسكر، وخلّفوا عنده أبا حميد وأبا مقاتل وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين[4] ومحمد بن الحارث ونهار بن حُصين ويوسف بن محمد وأبا هريرة محمد بن فروخ.

فبعث أبو سلمة إلى أبى الجَهْم فدعاه، وكان أخبره بدخوله الكوفة، فقال: أين كنت يا أبا الجهم؟ قال: كنت عند إمامى، وخرج أبو الجهم فدعا حاجب بن صدّان، فبعثه إلى الكوفة، وقال له: ادخل، فسلِّم على أبى العباس

(١) ط: «دخلا»، ا: «أدخلوه». (٢) ا: «فإن أخاه العباس».
(٣) ا، ب: «أبو شراحيل». (٤) ا، ط: «الحسين».

بالخلافة ، وبعث إلى أبى حميد وأصحابه : إن أتاكم أبو سلمة فلا يدخل إلا وحدَه ؛ فإن دخل وبايع فسبيله ذلك؛ وإلا فاضربوا عنقه؛ فلم يلبثوا أن أتاهم أبو سلمة فدخل وحدَه ، فسلم على أبى العباس بالخلافة ، فأمره أبو العباس بالانصراف إلى عسكره ، فانصرف من ليلته ، فأصبح الناس قد لبسوا سلاحَهم ، ٣/٢٧
واصطفّوا لخروج أبى العباس ، وأتوْه بالدوابّ ، فركب ومَن معه من أهل بيته حتى دخلوا قصر الإمارة بالكوفة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلَتْ من شهر ربيع الآخر . ثم دخل المسجد من دار الإمارة ، فصعِد المِنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وذكر عظمة الربّ تبارك وتعالى وفضل النبى صلى الله عليه ، وقاد الولاية والوراثة حتى انتهيَا إليه ، ووعد الناس خيراً ثم سكت .

وتكلّم داود بن علىّ وهو على المنبر أسفلَ من أبى العباس بثلاث درجات ، فحمِد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : أيّها الناس ، إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة إلا علىّ بن أبى طالب وأمير المؤمنين هذا الذى خلفى . ثم نزلا وخرج أبو العباس ، فعسكر بحمام أعين فى عسكر أبى سلَمة ، ونزل معه فى حجرته ، بينهما ستر ، وحاجب أبى العباس يومئذ عبد الله بن بسام . واستخلف على الكوفة وأرضها عمّه داود بن علىّ ، وبعث عمه عبد الله بن علىّ إلى أبى عوْن ابن يزيد ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قَحْطبة ، وهو يومئذ بواسط محاصر ابنَ هبيرة ، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام ابن عباس إلى حُميد بن قحطبة بالمدائن ، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة ابن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز ، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف[1] ، وأقام أبو العباس فى العسكر أشهراً ثم ارتحل ، فنزل المدينة الهاشميّة فى قصر الكوفة ، وقد كان تنكّر لأبى سلمة قبل تحوّله حتى عرف ذلك .

---

(١) ب وابن الأثير : « الطواف » .

[ذكر هزيمة مروان بن محمد بموقعة الزّاب]

٣٨/٣ وفى هذه السنة هُزِم مروان بن محمد بالزّاب .

• ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كان ذلك :

ذكر علىّ بن محمد أن أبا السرىّ وجَبَلة بن فرّوخ والحسن بن رشيد وأبا صالح المروزىّ وغيرهم أخبروه أن أبا عون عبد الملك(١) بن يزيد الأزدىّ وجّهه قحطبة إلى شهرزُور من نهاوند ، فقتل عثمان بن سفيان ، وأقام بناحية الموْصِل ، وبلغ مَرْوان أن عثمان قد قُتِل ، فأقبل من حرّان ، فنزل منزلاً فى طريقه، فقال : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : بَلْوى ، قال : بل علْوى وبُشرى . ثم أتى رأس العين ، ثم أتى الموصل، فنزل على دِجلة(٢)، وحفر خندقاً فسار إليه أبو عَوْن ، فنزل الزّاب ، فوجّه أبو سلمة إلى أبى عون عيينة بن موسى والمنهال بن فتّان وإسحاق بن طلحة ؛ كلّ واحد فى ثلاثة آلاف ؛ فلما ظهر أبو العباس بعثَ سلمة بن محمد فى ألفيْن وعبد الله الطائىّ فى ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربعىّ الطائىّ فى ألفيْن، ووداس بن نَضْلة فى خمسمائة إلى أبى عون . ثم قال : مَنْ يسير إلى مروان من أهل بيتى ؟ فقال عبد الله بن علىّ : أنا ، فقال : سِرْ على بركة الله ، فسار عبد الله بن علىّ ، فقدم على أبى عون ، فتحوّل له أبو عون عن سُرادقه وخلاّه وما فيه ، وصيّر عبد الله بن علىّ على شُرْطته حيّاش بن حبيب الطائىّ ، وعلى حَرَسه نصير بن المحتفز(٣) ، ووجّه أبو العباس موسى بن كعب فى ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبد الله بن علىّ ، فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، سأل

٣٩/٣ عبد الله بن علىّ عن مخاضة ، فدُلّ عليها بالزّاب ، فأمر عيينة بن موسى فعبَر فى خمسة آلاف ، فانتهى إلى عسكر مَرْوان ، فقاتلهم حتى أمسوْا ، ورُفعت لهم النيران فتحاجزوا ، ورجع عيينة فعبَر المخاضة إلى عسكر عبد الله ابن علىّ ؛ فأصبح مَرْوان فعقد الجسر ، وسرّح ابنه عبد الله يحفر خندقاً أسفلَ من عسكر عبد الله بن علىّ ، فبعث عبد الله بن على المخارق(٤) بن غِفار فى أربعة آلاف ، فأقبل حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبد الله بن

(١) ب : « عبد الله » .
(٢) ا : « الفرات » .
(٣) ط : « المحتفر » ، وانظر الفهرس .
(٤) ب : « المحارق بن عفار » .

علىّ ، فسرّح عبد الله بن مَرْوان إليه الوليد بن معاوية ، فلقى المخارق ، فانهزم أصحابُه ، وأُسِروا ، وقتل منهم يومئذ عِدّة ، فبعث بهم إلى عبد الله ، وبعث بهم عبد الله إلى مَرْوان مع الرءوس ، فقال مروان : أدخلوا علىّ رجلا من الأسارَى ، فأتوْه بالمخارق ـ وكان نحيفًا ـ فقال : أنت المخارق ؟ فقال : لا ، أنا عبد من عبيد أهل العسكر ، قال : فتعرف المخارق ؟ قال : نعم ، قال : فانظر فى هذه الرءوس هل تراه ؟ فنظر إلى رأس منها ، فقال : هو هذا ، فخلّى سبيله ، فقال رجل مع مروان حين نظر إلى المخارق وهو لا يعرفه : لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم !

قال علىّ : حدثنا شيخ من أهل خراسان قال : قال مرْوان [للمخارق] (١) : تعرف المخارق إن رأيته؟ فإنهم زعموا أنه فى هذه الرءوس التى أتينا بها ، قال : نعم ، قال : اعرضوا عليه تلك الرءوس ، فنظر فقال : ما أرى رأسه فى هذه الرءوس ، ولا أراه إلاّ وقد ذهب ، فخلّى سبيله . وبلغ عبد الله بن علىّ انهزام المخارق ، فقال له موسى بن كعب : اخرج إلى مَرْوان قبل أن يصل الفَلّ إلى العسكر ، فيظهرَ ما لقى المخارق . فدعا عبد الله بن علىّ محمد بن صوْل ، فاستخلفَه على العسكر ، وسار على ميمنته أبو عون ، وعلى ميسرة مَرْوان الوليد بن ٣/٤٠
معاوية ، ومع مروان ثلاثة آلاف من المحمرة ومعه الذَّكوانية(٢) والصَّحصحية والرّاشدية ، فقال مروان لما التقى العسكران لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم ؛ وإن قاتلونا قبل الزوال ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وأرسل مَرْوان إلى عبد الله بن علىّ يسأله الموادعة ، فقال عبد الله : كذب ابن زُرَيق ، ولا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله . فقال مروان لأهل الشأم : قِفوا لا تبدءوهم بقتال ؛ فجعل ينظر إلى الشمس ، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختَن مروان على ابنته ، فغضب وشتمه . وقاتل ابنُ معاوية أهلَ الميمنة ، فانحاز أبو عون إلى عبد الله بن علىّ ، فقال موسى ابن كعب لعبد الله : مر الناس فلينزلوا ، فنودى : الأرض ، فنزل الناس ،

---

(١) من ا . (٢) ط : « الدوكانية » .

وأشرعوا الرماح ، وجثوا على الركب ، فقاتلوهم ، فجعل أهل الشأم يتأخرون كأنهم يدفعون ؛ ومشى عبد الله قدماً وهو يقول : يا ربّ ، حتى متى نُقتل فيك ! ونادى : يا أهل خراسان ، يا لثارات إبراهيم ! يا محمد، يا منصور ! واشتدّ بينهم القتال . وقال مروان لقضاعة : انزلوا ، فقالوا : قل لبنى سليم فلينزلوا ، فأرسل إلى السكاسك أن احملوا ، فقالوا : قل لبنى عامر فليحملوا ، فأرسل إلى السكون أن احملوا، فقالوا : قل لغطفان فليحملوا ، فقال لصاحب شُرَطه : انزل ، فقال : لا والله ما كنتُ لأجعل نفسى غرضاً . قال : أما والله ٣/٤١
لأسوءنّك ، قال : وددت والله أنك قدرت على ذلك . ثم انهزم أهلُ الشأم ، وانهزم مرْوان ، وقطع الجسر ؛ فكان مَن غرق يومئذ أكثر ممن قُتل ؛ فكان فيمن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك [المخلوع] (١) ، وأمرعبدالله بن علىّ فعقد الجسر على الزّاب ، واستخرجوا الغرقى [فأخرجوا ثلثمائة] (١) ، فكان فيمن أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن علىّ : ﴿ وإذْ فَرَقْنا بِكُمُ البَحْر فَأَنْجيناكُمْ وَأَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُم تَنْظُرون ﴾ (٢) .

وأقام عبد الله بن علىّ فى عسكره سبعة أيام ، فقال رجل من ولد سعيد ابن العاص يعيّر مروان :

لَجَّ الفِرارُ بمروانٍ فقلتُ لَهُ ... عَادَ الظلومُ ظَليماً هَمُّــه الهَرَبُ
أين الفرارُ وتركُ المُلْكِ إذ ذهبت ... عنك الهُوَيْنَى فلا دين ولا حَسبُ
فراشَةُ الحِلم فِرْعَوْنُ العِقابِ وإنْ ... تَطْلُبْ نَداهُ فكلبٌ دونه كَلِبُ

وكتب عبد الله بن علىّ إلى أمير المؤمنين أبى العباس بالفتح ، وهرب مروان وحوى عسكر مروان بما فيه ، فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً ؛ ولم يجدوا فيه امرأةً إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان؛ فلمّا أتى العباس كتابُ عبد الله ابن علىّ صلى ركعتين ، ثم قال : ﴿ فلمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إنَّ الله مُبْتَليكُمْ بنَهَر ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعلّمه مِمَّا يَشاءُ ﴾ (٣) . وأمر لمن شهد الوقعة

---

(١) من ا .
(٢) سورة البقرة ٥٠ .
(٣) سورة البقرة ٢٤٩ .

بخمسمائة خمسمائة ، ورفع أرزاقهم إلى ثمانين .

حدثنا أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، قال : قال عبد الرحمن بن أميّة : كان مَرْوان لما لقيه أهلُ خُراسان لا يدبّر شيئاً إلا كان فيه الخلل والفساد . قال : بلغني أنّه كان يوم انهزم واقفاً ، والناس يقتتلون ؛ إذ أمَر ٤٢/٣
بأموال فأخرِجت ، وقال للناس : اصبروا وقاتلوا ، فهذه الأموال لكم ، فجعل ناسٌ من الناس يصيبون من ذلك المال ، فأرسلوا إليه : إنّ الناس قد مالوا على هذا المال ، ولا نأمنهم أن يذهبوا به . فأرسل إلى ابنه عبد الله أن سِرْ فى أصحابِك إلى مؤخّر عسكرك ، فاقتل مَنْ أخذ من ذلك المال وامنعْهم ؛ فمال عبد الله برايته وأصحابه ، فقال الناس : الهزيمة ؛ فانهزموا .

حدّثنا أحمد بن عليّ ، عن أبى الجارود السُّلَميّ ، قال : حدّثنى رجل من أهل خُراسان ، قال : لقيَنا مروان على الزّاب ، فحمل علينا أهل الشأم كأنهم جبال حديد ، فجثَوْنا وأشرعنا الرماح ، فمالوا عنا[1] كأنهم سحابة ، ومَنَحنا الله أكتافهم ، وانقطع الجِسْر ممّا يليهم حين عبروا ، فبقىَ عليه رجلٌ من أهل الشأم ، فخرج عليه رجل منا ، فقتله الشأميّ ، ثم خرج آخر فقتله ؛ حتى والى بين ثلاثة ؛ فقال رجل منا : اطلبوا لى سيفاً قاطعاً ، وتُرْساً صلباً ، فأعطيناه ، فمشى إليه فضربه الشأميّ فاتّقاه بالترس ، وضرب رِجْله فقطعها ، وقتله ورجع ؛ وحملناه وكبّرنا فإذا هو عبيد الله الكابليّ .

وكانت هزيمة مَرْوان بالزّاب – فيما ذكر – صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلتْ من جمادى الآخرة .

* * *

[ذِكر خبر قتل إبراهيم بن محمد بن عليّ الإمام]

وفى هذه السنة قتِل إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

اختلف أهلُ السِّيَر فى أمر إبراهيم بن محمد ، فقال بعضهم : لم يُقتل ولكنه مات فى سجن مَرْوان بن محمد بالطاعون .

---

(١) : ا « عليناه »

* ذكر من قال ذلك :

حدّثني أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد
٤٣/٣ ابن يزيد بن هريم . قال : حدّثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : قدم مروان بن محمد الرّقة حين قدمها متوجهاً إلى الضّحاك بسعيد بن هشام ابن عبد الملك وابنيْه عثمان ومرْوان؛ وهم فى وثاقهم معه ؛ فسرّح بهم إلى خليفته بحرّان ، فحبسهم فى حَبْسها ، ومعهم إبراهيم بن علىّ بن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز والعباس بن الوليد وأبو محمد السفْيانىّ — وكان يقال له البيْطار — ، فهلك فى سجن حرّان منهم فى وباء وقع بحرّان العباس ابن الوليد وإبراهيم بن محمد وعبد الله بن عمر. قال: فلمّا كان قبل هزيمة مرْوان من الزّاب يوم هزمه عبد الله بن علىّ بجمعة ، خرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبّسين [1] ، فقتلوا صاحب السجن ، وخرج فيمن معه ، وتخلف أبو محمد السفيانىّ فى الحبس ، فلم يخرج فيمن خرج ، ومعه غيره لم يستحلّوا الخروج من الحبْس ، فقتَل أهل حرّان ومن كان فيها من الغوغاء سعيد ابن هشام وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر [2] التغلبىّ ، وبطريق أرمينية الرابعة — وكان اسمه كوشان — بالحجارة ، ولم يلبث مرْوان بعد قتلهم إلا نحواً من خمس عشرة ليلة ؛ حتى قدم حرّان منهزماً من الزّاب ، فخلّى عن أبى محمد ومن كان فى حبسه من المحبّسين .

وذكر عمر أن عبد الله بن كثير العبدىّ حدّثه عن علىّ بن موسى ، عن أبيه ، قال : هدم مروان على إبراهيم بن محمد بيتاً فقتله .

٤٤/٣ قال عمرو : وحدثنى محمد بن معروف بن سويد ، قال : حدّثنى أبى عن المهلهل بن صفوان — قال عمر : ثم حدّثنى المفضّل بن جعفر بن سليمان بعده ؛ قال : حدّثنى المهلهل بن صفوان — قال : كنتُ أخدم [3] إبراهيم بن محمد فى الحبس ؛ وكان معه فى الحبس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك فكانوا يتزاورون ، وخصّ الذى بين إبراهيم وشراحيل فأتاه رسوله يوماً بلبن ،

(١) ط : « المحبس » (٢) ا : « بشير » .
(٣) ط : « مع » .

فقال : يقول لك أخوك : إنّى شربتُ من هذا اللبن فاستطبتُه فأحببتُ أن تشربَ منه ، فتناوله فشرب فتوصّب من ساعته وتكسر جسده[1] ، وكان يومًا يأتى فيه شراحيل ، فأبطأ عليه ، فأرسل إليه : جُعِلت فداك ! قد أبطأت فما حبسك ؟ فأرسل إليه : إنى لما شربت اللبن الذى أرسلته إلىّ أخلفنى ، فأتاه شراحيل مذعورًا وقال : لا والله الذى لا إله إلا هو ؛ ما شربْتُ اليوم لبنًا ، ولا أرسلت به إليك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! احتيل لك والله . قال : فوالله ما بات إلاّ ليلته وأصبح من غد ميتًا ؛ فقال إبراهيم بن علىّ بن سلمة بن عامر ابن هرمة بن هذيل بن الربيع بن عامر بن صبيح بن عدىّ بن قيس — وقيس هو ابن الحارث بن فهر — يرثيه :

قد كنتُ أَحسِبُنِى جَلدًا فَضَعْضَعَنِى ... قبرٌ بحَرَّانَ فيه عِصْمَةُ الدينِ
فيه الإمامُ وخيرُ الناسِ كلِّهمُ ... بين الصفائح والأحجار والطينِ
فيه الإمامُ الذى عَمَّتْ مُصيبتُه ... وعَيَّلَتْ كلَّ ذى مال ومِسكينِ
فلا عفــا اللهُ عن مروانَ مظلمةً ... لكنْ عفا اللهُ عمَّن قال آمين

* * *

[ذكر الخبر عن قتل مروان بن محمد]

وفى هذه السنة قتِل مَروان بن محمد بن مروان بن الحكم .

* ذكر الخبر عن مقتله وقتاله من قاتله من أهل الشأم فى طريقه وهو هارب من الطلب :

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال :
٣/٤٥ حدّثنى أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : لما انهزم مَرْوان من الزّاب كنتُ فى عسكره . قال : كان لمروان فى عسكره بالزّاب عشرون ومائة ألف ؛ كان فى عسكره ستون ألفًا ، وكان فى عسكر ابنه عبد الله مثل ذلك ، والزّاب بينهم ، فلقيه عبد الله بن علىّ فيمن معه وأبى عون وجماعة قوّاد ، منهم حُمَيد بن قحطبة ؛ فلما هُزِموا سار إلى حرّان وبها أبان بن يزيد بن محمد بن مَرْوان ،

(١) ب : نكس جسده .

ابن أخيه عامله عليها، فأقام بها نيّفاً وعشرين يوماً . فلما دنا منه عبدُالله بن عليّ حمل أهله وولده وعياله ، ومضى منهزماً، وخلّف بمدينة حرّان أبان ابن يزيد ؛ وتحته ابنة لمروان يقال لها أمّ عثمان ، وقدم عبد الله بن عليّ ، فتلقاه أبان مسوّداً مبايعاً له ، فبايعه ودخل فى طاعته ، فآمنه ومَن كان بحرّان والجزيرة. ومضى مَرْوان حتى مرّ بِقِنَّسرين وعبدالله بن عليّ متبع له . ثم مضى من قنّسرين إلى حِمْص، فتلقاه أهلها بالأسواق وبالسمع والطاعة فأقام بها يومَين أو ثلاثة ، ثم شخص منها ؛ فلما رأوا قِلة مَن معه طمعوا فيه ، وقالوا : مرعوب منهزم ، فاتّبعوه بعد ما رحل عنهم ؛ فلحقوه على أميال ، فلما رأى غَبَرة خيلهم أكمن لهم فى واديين قائدين من مواليه ، يقال لأحدهما يزيد والآخر مخلّد ؛ فلما دنَوا منه وجازوا الكمينين ومضى الذرارىّ صافّهم فيمن معه وناشدهم ، فأبوا إلا مكاثرته وقتاله ، فنشب القتال بينهم ؛ وثار الكمينان[1] من خلْفهم ؛ فهزمهم وقتلتْهم خيلُه حتى انتهوا إلى قريب من المدينة .

قال : ومضى مَرْوان حتى مرّ بدمشق ، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ؛ وهو ختَن لمروان، متزوج بابنة له يقال لها أمّ الوليد ، فمضى وخلفه
٣/٤٦ بها حتى قدم عبدُالله بن عليّ عليه ، فحاصره أياماً ، ثم فتحت المدينة ، ودخلها عَنْوة معترضاً أهلها . وقتل الوليد بن معاوية فيمن قُتِل ، وهدّم عبد الله بن عليّ حائط مدينتها . ومرّ مروان بالأرْدنّ ، فشخص معه ثعلبة ابن سلامة العاملىّ ، وكان عامله عليها ، وتركها ليس عليها وال ، حتى قدم عبد الله بن عليّ فولى عليها ، ثم قدم فلسطين وعليها من قبله الرّماحس بن عبد العزيز. فشخص به معه ؛ ومضى حتى قدم مصر ، ثم خرج منها حتى نزل منزلا منها يقال له بوصير ؛ فبيّته عامر بن إسماعيل وشعبة ومعهما خيل أهل الموصل فقتلوه بها ، وهرب عبدالله وعبيدالله ابنا مروان ليلة بُيِّت مروان إلى أرض الحبشة ، فلقوا من الحبشة بلاءً وقاتلتهم الحبشة، فقتلوا عبيد الله ، وأفلت عبد الله فى عدّة ممن معه ؛ وكان فيهم بكر بن معاوية الباهلىّ ، فسلم حتى كان فى خلافة المهدىّ، فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين، فبعث به إلى المهدىّ .

(١) ط : «وأثار الكمينين» .

وأما علىّ بن محمد ؛ فإنه ذكر أن بشر بن عيسى والنعمان أبا السرىّ ومحرز بن إبراهيم وأبا صالح المروزىّ وعمارةمولى جبريل[١] أخبروه أنّ مروان لقى عبد الله بن علىّ فى عشرين ومائة ألف وعبد الله فى عشرين ألفًا .

وقد خولف هؤلاء فى عدد من كان مع عبد الله بن علىّ يومئذ . فذكر مسلم بن المغيرة[٢] ، عن مصعب بن الربيع الخثعمىّ وهو أبو موسى ابن مصعب – وكان كاتبًا لمروان – قال : لما انهزم مروان ، وظهر عبد الله بن علىّ على الشأم ، طلبت الأمانَ فآمننى ، فإنى يومًا جالس عنده ؛ وهو متكئ إذ ذكر مروان وانهزامه ، قال : أشهدتَ القتال ؟ قلتُ : نعم أصلح الله الأمير ! فقال : حدّثنى عنه ؛ قال : قلت : لما كان ذلك اليوم قال لى : ٤٧/٣
احزر القوم ، فقلت : إنما أنا صاحب قلم ؛ ولستُ صاحب حرب ؛ فأخذ يمنة ويسرة ونظر فقال : هم اثنا عشر ألفًا ، فجلس عبد الله ، ثم قال : ما له قاتله الله ! ما أحصى الديوان يومئذ فضلا على اثنى عشر ألف رجل !

* * *

رجع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد عن أشياخه : فانهزم مروان حتى أتى مدينة الموصل ؛ وعليها هشام بن عمرو التغلبىّ وبشر بن خزيمة الأسدىّ ، وقطعوا الجسر ، فناداهم أهل الشأم : هذا مروان ، قالوا : كذبتم ، أمير المؤمنين لا يفرّ ، فسار إلى بلد ، فعبر دجْلة ، فأتى حرّان ثم أتى دمشق ، وخلّف بها الوليد بن معاوية ، وقال : قاتلهم حتى يجتمع أهل الشأم . ومضى مَرْوان حتى أتى فلسطين ، فنزل نهر أبى فُطْرُس ، وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضَبْعان الجُذامىّ ، فأرسل مَرْوان إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زِنباع ، فأجازه ، وكان بيت المال فى يد الحكم . وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علىّ يأمره باتباع مروان ، فسار عبد الله إلى الموصل ، فتلقاه هشام بن عمرو التغلبىّ وبشر بن خزيمة . وقد سوّدا فى أهل الموصل ، ففتحوا له المدينة ، ثم سار إلى حرّان ، وولّى الموصل محمد بن صول ؛ فهدم الدّار التى حبس فيها إبراهيم

---

(١) كذا فى ب ، وفى ط : « جبرئيل » . (٢) ط : « المعرة » ، وما أثبته من ا .

ابن محمد ، ثم سار من حرّان إلى منبج وقد سوّدوا ، فنزل منبج وولاها
أبا حميد المروروذىّ ، وبعث إليه أهل قنّسرين ببيعتهم إياه بما أتاه به عنهم
٣/٤٨ أبو أمية التغلبىّ. وقدم عليه عبد الصمد بن علىّ ، أمده به أبو العباس فى أربعة
آلاف ، فأقام يومين بعد قدوم عبد الصمد، ثم سار إلى قنّسرين ، فأتاها
وقد سوّد أهلها ، فأقام يومين ، ثم سار حتى نزل حمص ، فأقام بها أياماً
وبايع أهلها ، ثم سار إلى بعلبكّ ، فأقام يومين ثم ارتحل؛ فنزل بعين الحرّ ،
فأقام يومين ثم ارتحل ، فنزل مِزّة (قرية من قرى دمشق) فأقام . وقدم عليه
صالح بن علىّ مدداً ، فنزل مرج عذراء فى ثمانية آلاف ، معه بسام بن
إبراهيم وخفّاف وشعبة والهيثم بن بسام . ثم سار عبد الله بن علىّ ، فنزل على
الباب الشرقى ، ونزل صالح بن علىّ على باب الجابية ، وأبو عون على باب
كيسان ، وبسام على باب الصغير ، وحُميد بن قحطبة على باب توما ،
وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس — وفى
دمشق الوليد بن معاوية — فحصروا أهل دمشق والبلْقاء ، وتعصّب الناس
بالمدينة ، فقتل بعضهم بعضاً ، وقتلوا الوليد ، ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء
لعشر مضين من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، فكان أوّل مَنْ صعد
سور المدينة من الباب الشرقىّ عبد الله الطائىّ، ومن قبَل باب الصغير بسّام بن
إبراهيم ، فقاتلوا بها ثلاث ساعات ، وأقام عبد الله بن علىّ بدمشق خمسة
عشر يوماً ، ثم سار يريد فلسطين ، فنزل نهر الكُسوة ، فوجّه منها يحيى بن
جعفر الهاشمىّ إلى المدينة ، ثم ارتحل إلى الأردنّ ، فأتوْه وقد سوّدوا ، ثم نزل
بَيْسان ، ثم سار إلى مرج الرّوم ، ثم أتى نهر أبى فُطْرُس ، وقد هرب مرْوان ،
فأقام بفلسطين ، وجاءه كتاب أبى العباس؛ أنْ وجّه صالح بن علىّ فى
طلب مروان ، فسار صالح بن علىّ من نهر أبى فطرس فى ذى القعدة سنة
٣/٤٩ اثنتين وثلاثين ومائة؛ ومعه ابن فتان وعامر بن إسماعيل وأبو عون، فقدّم صالح
ابن علىّ أبا عون على مقدّمته وعامر بن إسماعيل الحارثىّ ، وسار فنزل الرّمْلة ،
ثم سار فنزلوا ساحل البحر ، وجمع صالح بن علىّ السفن وتجهز يريد مرْوان ،
وهو بالفرَماء ، فسار على الساحل والسفن حذاءه فى البحر ؛ حتى نزل
العريش .

وبلغ مروان فأحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب ، ومضى صالح ابن علىّ فنزل الليل ، ثم سار حتى نزل الصعيد . وبلغه أن خيلاً لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف ، فوجّه إليهم قوّادًا ، فأخذوا رجالاً ، فقدموا بهم على صالح وهو بالفسطاط ، فعبر مروان النيل ، وقطع الجسر ، وحرق ما حوله ، ومضى صالح يتبعه ، فالتقى هو وخيل لمروان على النيل فاقتتلوا ، فهزمهم صالح ، ثم مضى إلى خليج ، فصادف عليه خيلاً لمروان ، فأصاب منهم طرفًا وهزمهم ، ثم سار إلى خليج آخر فعبروا ، ورأوا رَهَجًا فظنوه مروان ، فبعث طليعة عليها الفضل بن دينار ومالك ابن قادم ، فلم يلقوا أحداً ينكرونه ، فرجعوا إلى صالح فارتحل ، فنزل موضعًا يقال له ذات الساحل ؛ ونزل فقدم أبو عون عامر بن إسماعيل الحارثىّ ، ومعه شعبة بن كثير المازنىّ ، فلقوا خيلا لمروان وافوهم ، فهزموهم وأسروا منهم رجالاً ، فقتلوا بعضهم ، واستحيوا بعضًا ، فسألوا عن مروان فأخبروهم بمكانه ، على أن يؤمنوهم ، وساروا فوجدوه نازلا فى كنيسة فى بُوصير ، ووافوهم فى آخر الليل ، فهرب الجند وخرج إليهم مروان فى نفرٍ يسير ، فأحاطوا به فقتلوه .

قال علىّ : وأخبرنى إسماعيل بن الحسن ، عن عامر بن إسماعيل قال : لقينا مروان ببوصير ونحن فى جماعة يسيرة فشدوا علينا ، فانضوينا إلى نخل ولو يعلمون ٣/٥٠
بقلّتنا لأهلكونا ، فقلت لمن معى من أصحابى : فإن أصبحنا فرأوا قلّتنا وعددنا لم ينجُ منا أحد ؛ وذكرت قول بكير بن ماهان : أنت والله تقتل مروان ؛ كأنى أسمعك ، تقول «دهيد ياجوانكثان» ؛ فكسرت جَفْن سيفى ، وكسر أصحابى جفونَ سيوفهم ، وقلت : «دهيد ياجُوانكثان» ؛ فكأنها نار صُبّت عليهم ، فانهزموا وحمل رجل على مروان فضربه بسيفه فقتله . وركب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن علىّ ، فكتب صالح بن علىّ إلى أمير المؤمنين أبى العباس : إنّا اتّبعنا عدوّ الله الجعدىّ حتى ألجأناه إلى أرض عدوّ الله شبيهه فرعون ، فقتلته بأرضه .

قال علىّ : حدثنا أبو طالب الأنصارىّ ، قال : طعن مروان رجلٌ من

أهل البصرة – يقال له المغود، وهو لا يعرفه – فصرعه، فصاح صائح: صُرِع أمير المؤمنين، وابتدروه، فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان، فاحتزّ رأسه، فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عَوْن، فبعث بها أبو عون إلى صالح بن عليّ، وبعث صالح برأسه مع يزيد بن هانئ – وكان على شرَطه – إلى أبي العباس يوم الأحد، لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة، ورجع صالح إلى الفسطاط، ثم انصرف إلى الشأم، فدفع الغنائم إلى أبي عَوْن، والسلاحَ والأموال والرّقيق إلى الفَضْل بن دينار، وخلّف أبا عون على مِصْر.

قال عليّ: وأخبرَنا أبو الحسن الخُراسانيّ، قال: حدّثنا شيخ من بكْر ابن وائل، قال: إني لبدير قنّى مع بكير بن ماهان ونحن نتحدّث؛ إذ مرّ
٥١/٣ فتًى معه قربتان؛ حتى انتهى إلى دِجْلة، فاستقى ماء، ثم رجع فدعاه بكير، فقال: ما اسمك يا فتى؟ قال: عامر، قال: ابن مَنْ؟ قال: ابنُ إسماعيل، من بَلْحارث، قال: وأنا من بَلْحارث، قال: فكن من بني مُسليَة، قال: فأنا منهم، قال: فأنت والله تقتل مَرْوان، لكأني والله أسمعك تقول: «ياجوانكثان دهيد».

قال عليّ: حدثنا الكنانيّ، قال: سمعتُ أشياخنا بالكوفة يقولون: [بنو] مسلية قتلة مروان.

وقتِل مروان يوم قتل وهو ابن اثنتين وستين سنة في قول بعضهم، وفي قول آخرين: وهو ابن تسع وستين، وفي قول آخرين: وهو ابن ثمان وخمسين.

وقتِل يومَ الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة، وكانت ولايته من حين بويع إلى أن قتِل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يومًا، وكان يكنى أبا عبد الملك. وزعم هشام بن محمد أن أمه كانت أم ولد كرديّة.

وقد حدثني أحمد بن زهير، عن عليّ بن محمد، عن عليّ بن مجاهد وأبي سِنان الجُهَنيّ، قالا: كان يقال: إنّ أم مَرْوان بن محمد كانت لإبراهيم بن الأشتر؛ أصابها محمد بن مروان بن الحكَم يوم قتل ابن الأشتر،

فأخذها من ثِقَله وهى تتنيّق(١) ، فولدت مَرْوان على فراشه ، فلما قام أبو العباس دخل عليه عبد الله بن عيَّاش المنتوف ، فقال : الحمد لله الذى أبدَلنا بحمار الجزيرة وابن أمَة النَّخَع ابنَ عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبد المطلب.

* * *

وفى هذه السنة قتل عبد الله بن علىّ مَن قتل بنهر أبى فطرس من بنى أمية ، وكانوا اثنين وسبعين رجلا .

وفيها خلَع أبو الورْد أبا العباس بقنّسرين ؛ فبيّض وبيّضوا معه .

* * *

ذكر الخبر عن تبيض أبى الورد وما آل إليه أمره وأمر من بيّض معه

٥٢/٣

وكان سبب ذلك ــ فيما حدثنى أحمد بن زهير ــ قال : حدّثنى عبد الوهاب ابن إبراهيم ، قال : حدّثنى أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح ، قال : كان أبو الوَرْد ــ واسمه مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابىّ ، من أصحاب مَرْوان وقوّاده وفرسانه ــ فلما هُزِم مروان ، وأبو الورد بقنَّسرين ، قدِمها عبد الله بن علىّ فبايعه ودخل فيما دخل فيه جندُه من الطاعة . وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له ببالِس والناعورة ، فقدِم بالس قائد من قوّاد عبد الله ابن علىّ من الأزارمردين فى مائة وخمسين فارسًا ، فبعث بولد مسلَمة بن عبد الملك ونسائهم ، فشكا بعضهُم ذلك إلى أبى الورْد ، فخرج من مزرعة يقال لها زرّاعة بنى زفر ــ ويقال لها خُساف ــ فى عدّة من أهل بيته ؛ حتى هجَم على ذلك القائد وهو نازل فى حصن مسلمة ؛ فقاتله حتى قتله ومَن معه ، وأظهر التبييض والخلْع لعبد الله بن علىّ ، ودعا أهل قنّسرين إلى ذلك ، فبيّضوا بأجمعهم ، وأبو العباس يومئذ بالحيرة وعبد الله بن علىّ يومئذ مشتغل بحرْب حبيب بن مرّة المرّىّ ، فقاتله بأرض البلْقاء والبثنيّة وحوران . وكان قد لقيه عبد الله بن علىّ فى جموعه فقاتلهم وكان بينه وبينهم وقعات ؛ وكان من قوّاد مَرْوان وفرسانه . وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وعلى قومه ، فبايعتْه قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور ؛ البثنية وحُوران.

(١) كذا فى ط ، والتنيق : المبالغة فى الطعم واللبس . وموضع الكلمة فى ا غير واضح .

٣/ ٥٣ فلما بلغ عبد الله بن على تبييضهم، دعا حبيب بن مرّة إلى الصلح فصالحه وآمنه ومن معه ، وخرج متوجّهاً نحو قنّسرين للقاء أبى الورْد، فمرّ بدمشق، فخلف فيها أبا غانم عبد الحميد بن ربعىّ الطائىّ فى أربعة آلاف رجل من جنده ؛ وكان بدمشق يومئذ امرأة عبد الله بن علىّ أمّ البنين بنت محمد بن عبد المطلب النوفليّة أخت عمرو بن محمد ، وأمهات أولاد لعبد الله وثَقَل له . فلما قدم حِمْص فى وجهه ذلك انتقض عليه بعده أهلُ دمشق فبيّضوا ، ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدىّ . قال : فلقُوا أبا غانم ومَنْ معه ، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ، وانتهبوا ما كان عبد الله بن علىّ خلّف من ثَقَله ومتاعه ؛ ولم يعرِضوا لأهله ، وبيّض أهل دمشق واستجمعوا على الخلاف ، ومضى عبد الله بن علىّ — وقد كان تجمّع مع أبى الوْرد جماعة أهل قنّسرين ، وكاتبوا مَنْ يليهم من أهل حِمْص وتَدْمر ، وقدمهم ألوف ، عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، فرأسوا عليهم أبا محمد ، ودعوا إليه وقالوا : هو السفيانىّ الذى كان يذكر وهم فى نحو من أربعين ألفاً — فلما دنا منهم عبد الله بن علىّ وأبو محمد معسكر فى جماعته بمرْج يقال له مرْج الأخرم — وأبو الورْد المتولى لأمر العسكر والمدبّر له وصاحب القتال والوقائع — وجّه عبد الله أخاه عبد الصمد بن علىّ فى عشرة آلاف من فرسان من معه ؛ فناهضهم أبو الورْد ، ولقيَهم فيما بين العسكرين ، واشتجر القتل فيما بين الفريقيْن وثبت القوم ، وانكشف عبد الصمد ومَن معه ، وقتِل
٣/ ٥٤ منهم يومئذ ألوف ، وأقبل عبد الله حيث أتاه عبد الصمد ومعه حُميد بن قحطبة وجماعة من معه من القوّاد ، فالتقوْا ثانية بمرْج الأخرم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وانكشف جماعة ممّن كان مع عبد الله ، ثم ثابوا ، وثبت لهم عبد الله وحميد بن قحطبة فهزموهم ، وثبت أبو الورْد فى نحو من خمسمائة من أهل بيته وقومه ، فقتلوا جميعاً ، وهرب أبو محمد ومَن معه من الكلبيّة حتى لحقوا بتدْمر ، وآمن عبد الله أهلَ قنّسرين ، وسوّدوا وبايعوه ، ودخلوا فى طاعته ؛ ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق ، لما كان من تبييضهم عليه ، وهزيمتهم أبا غانم . فلما دنا من دمشق هرَب الناس وتفرقوا ، ولم يكن بينهم وقعة ، وآمن عبد الله أهلها ، وبايعوه ولم يأخذهم [illegible] ـان منهم .

قال: ولم يزَلْ أبو محمد متغيِّبًا هاربًا؛ ولحق بأرض الحجاز. وبلغ زياد بن عبيد الله الحارثيّ عامل أبي جعفر مكانه الذي تغيّب فيه، فوجّه إليه خيلًا، فقاتلوه حتى قُتِل، وأخذ ابنيْن له أسيرين، فبعث زياد برأس أبي محمد وابنيه إلى أبي جعفر أمير المؤمنين، فأمر بتخلية سبيلهما وآمنهما.

وأما عليّ بن محمد فإنه ذكر أنّ النعمان أبا السريّ حدّثه وجبلة بن فرّوخ وسليمان بن داود وأبو صالح[1] المروزيّ. قالوا: خلع أبو الورد بقنّسرين، فكتب أبو العباس إلى عبد الله بن عليّ وهو بفُطْرُس أن يقاتلَ أبا الورد، ثمّ وجّه عبد الصمد إلى قنّسرين في سبعة آلاف، وعلى حرسه مخارق بن غفار، وعلى شُرَطه كلثوم بن شبيب؛ ثم وجّه بعده ذؤيب بن الأشعث في خمسة آلاف، ثم جعل يوجه الجنود، فلقيَ عبد الصمد أبا الورد في جَمْع كثير، ٣/٥٥ فانهزمَ الناس عن عبد الصمد حتى أتوا حِمْص؛ فبعث عبد الله بن عليّ العباس بن يزيد بن زياد ومروان الجرجانيّ وأبا المتوكل الجرجانيّ؛ كلّ رجل في أصحابه إلى حِمْص؛ وأقبل عبد الله بن عليّ بنفسه، فنزل على أربعة أميال من حِمْص— وعبدالصمد بن عليّ بحمص— وكتب عبد الله إلى حُميد ابن قحطبة، فقدم عليه من الأردنّ، وبايع أهل قنسرين لأبي محمد السفيانيّ زياد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية وأبو الورد بن. . .[2] وبايعه الناس، وأقام أربعين يومًا، وأتاهم عبد الله بن عليّ ومعه عبد الصّمد وحُميد بن قحطبة، فالتقوْا فاقتتلوا أشدّ القتال بينهم، واضطرهم أبو محمد إلى شِعْب ضيّق، فجعل الناس يتفرّقون، فقال حُميد بن قحطبة لعبد الله بن عليّ: علامَ نقيم؟ هم يزيدون وأصحابنا ينقصون! ناجزهم؛ فاقتتلوا يوم الثلاثاء في آخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وعلى ميمنة أبي محمد أبو الوَرْد وعلى ميسرته الأصبغ بن ذؤالة، فجرح أبو الوَرْد، فحمل إلى أهله فمات. ولجأ قوم من أصحاب أبي الورْد إلى أجَمة فأحرقوها عليهم؛ وقد كان أهل حمص نقضوا، وأرادوا إيثار أبي محمد؛ فلما بلغهم هزيمته أقاموا.

(١) ب: «عامر».

(٢) بياض في ط، وفي ا: «حسنا».

[ذكر خبر خلع حبيب بن مرّة المرّىّ]

وفى هذه السّنة خلَع حبيب بن مرة المرّىّ وبيّض هو ومن معه من أهل الشأم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

٣/٥٦ ذكر علىّ عن شيوخه، قال : بيّض حبيب بن مرّة المرىّ وأهل البثنيّة وحوْران، وعبد الله بن علىّ فى عسكر أبى الورْد الذى قتِل فيه .

وقد حدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو هاشم مخلَد بن محمد ، قال : كان تبييض حبيب بن مرة وقتاله عبدَ الله بن علىّ قبل تبييض أبى الوْرد ، وإنما بيّض أبو الورد وعبد الله مشتغل بحرب حبيب بن مرة المُرىّ بأرض البلقاء أو البثنية وحوْران ، وكان قد لقيه عبد الله بن علىّ فى جموعه فقاتله ، وكان بينه وبينه وقَعات ، وكان من قوّاد مروان وفرسانه؛ وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وقومه ، فبايعه قيس وغيرهم ممّن يليهم من أهل تلك الكُور ؛ البثنية وحوْران ، فلما بلغ عبدالله ابن علىّ تبييض أهل قنّسرين ، دعا حبيب بن مرّة إلى الصلح فصالحه ، وآمنه ومَنْ معه ، وخرج متوجهًا إلى قنّسرين للقاء أبى الورد .

* * *

[ذكر خبر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس]

وفى هذه السنة بيّض أيضًا أهل الجزيرة وخلعوا أبا العباس .

* ذكر الخبر عن أمرهم وما آل إليه حالهم فيه :

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : كان أهلُ الجزيرة بيّضوا ونقضوا ؛ حيثُ بلغهم خروجُ أبى الوَرْد وانتقاض أهل قِنّسرين ، وساروا إلى حرّان ، وبحرّان يومئذ موسى بن كعب فى ثلاثة آلاف من الجند ، فتشبّث بمدينتها ، وساروا إليه مبيّضين من كلّ وجه ، وحاصروه ومَن معه ؛ وأمرُهم مشتت ؛ ليس عليهم رأس يجمعهم .

٣/٥٧ وقدم على تفيئة(١) ذلك إسحاق بن مسلم من أرمينيَة — وكان شخص عنها حين بلغه هزيمة مَرْوان — فرأسه أهل الجزيرة عليهم . وحاصر موسى بن كعب نحوًا من شهرين ، ووجّه أبو العباس أبا جعفر فيمن كان معه من الجنود التى كانت بواسط محاصرة ابن هبيرة ، فمضى حتّى مرّ بقَرْقيسيا وأهلها مبيّضون، وقد غلّقوا أبوابها دونه . ثم قدم مدينة الرَّقة وهم على ذلك، وبها بكار بن مسلم ، فمضى نحو حرّان ، ورحل إسحاق بن مسلم إلى الرُّهاء — وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من مدينة حرّان، فلقُوا أبا جعفر. وقدم بكار على أخيه إسحاق بن مسلم، فوجّهه إلى جماعة ربيعة بدارا وماردين — ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحرورّية يقال له بُريكة — فصمَد إليه أبو جعفر، فلقيَهم فقاتلوه بها قتالا شديداً ، وقتل بريكة فى المعركة ، وانصرف بكار إلى أخيه إسحاق بالرُّهاء فخلّفه إسحاق بها، ومضى فى عُظْم العسكر إلى سُمَيْساط ، فخندق على عسكره . وأقبل أبو جعفر فى جُموعه حتى قابله بكار بالرّهاء ؛ وكانت بينهما وقعات .

وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علىّ فى المسير بجنوده إلى إسحاق بسُمَيْسَاط ، فأقبل من الشأم حتّى نزل بإزاء إسحاق بسُمَيْسَاط ؛ وهم فى ستين ألفًا أهل الجزيرة جميعها، وبينهما الفرات ، وأقبل أبو جعفر من الرُّهاء فكاتبهم إسحاق وطلب إليهم الأمان، فأجابوا إلى ذلك وكتبوا إلى أبى العباس ، فأمرهم أن يؤمّنوه ومَن معه ، ففعلوا وكتبوا بينهم كتابًا ، ووثقوا له فيه ، فخرج إسحاق إلى أبى جعفر، وتمّ الصلح بينهما ؛ وكان عنده من آثر أصحابه . فاستقام أهلُ الجزيرة وأهل الشأم، وولّى أبو العباس أبا جعفر الجزيرة وأرمينيَة وأذربيجان ، فلم يزل على ذلك حتّى استخلف .

٣/٥٨ وقد ذُكِر أن إسحاق بن مسلم العقيلىّ هذا أقام بسُمَيْسَاط سبعة أشهر ، وأبو جعفر محاصره ، وكان يقول : فى عُنُقى بَيْعة ، فأنا لا أدَعها حتى أعلم أنّ صاحبها قد مات أو قتل . فأرسل إليه أبو جعفر : إنّ مروان قد قتل ، فقال : حتّى أتيقن ، ثم طلب الصلح ، وقال : قد علمتُ أن مَرْوان قد قتل ، فآمنه أبو جعفر وصار معه ، وكان عظيم المنزلة عنده .

(١) أى عقب ذلك .

وقد قيل : إن عبد الله بن علىّ هو الذى آمنه .

* * *

[ذكر خبر شخوص أبى جعفر إلى خراسان]

وفى هذه السنة شخص أبو جعفر إلى أبى مسلم بخُراسان لاستطلاع رأيه فى قتل أبى سلمة حفص بن سليمان .

• ذكر الخبر عن سبب مسير أبى جعفر فى ذلك ، وما كان من أمره وأمر أبى مسلم فى ذلك :

قد مضى ذكرى قبلُ أمرَ أبى سلَمة ، وما كان من فعله فى أمر أبى العباس ومن كان معه من بنى هاشم عند قدومهم الكوفة ، الذى صار به عندهم متّهماً ؛ فذكر علىّ بن محمد أنّ جبلة بن فرُّوخ قال : قال يزيد بن أسيد : قال أبو جعفر : لما ظهر أبو العباس أمير المؤمنين سَمرنا ذات ليلة ، فذكرنا ما صنع أبو سلمة ، فقال رجل منا : ما يدريكم ، لعلّ ما صنع أبو سلمة كان عن رأىِ أبى مسلم ! فلم ينطق منّا أحدٌ ، فقال : أمير المؤمنين أبو العباس : لئن كان هذا عن رأى أبى مسلم إنا لَبِعَرض بلاء ؛ إلّا أن يدفَعه الله عنّا. وتفرّقنا . فأرسل إلىّ أبو العباس ، فقال : ما ترى ؟ فقلت : الرأى رأيُك ، فقال : ليس منا أحد أخصّ بأبى مسلم منك ، فاخرج إليه حتى تعلم ما رأيه ، فليس يخفى عليك ؛ فلو قد لقيتَه ، فإن كان عن رأيه أخذنا لأنفسنا ، وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسُنا .

٣/٥٩ فخرجت على وجَل ؛ فلما انتهيت إلى الرىّ ، إذا صاحب الرىّ قد أتاه كتاب أبى مسلم : إنه بلغنى أن عبد الله بن محمد توجّه إليك ، فإذا قدم فأشخصه ساعةَ قدومه[1] عليك . فلما قدمت أتانى عامل الرىّ فأخبرنى بكتاب أبى مسلم ، وأمرنى بالرّحيل ، فازددت وجَلاً ، وخرجت من الرّىّ وأنا حَذِرٌ خائف فسرت ؛ فلما كنت بنيسابور إذا عاملُها قد أتانى بكتاب أبى مسلم : إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصه ولا تَدَعه [يقيم] [2] ، فإن أرضك أرض

(١) ا : « يقدم » . (٢) من ا .

خوارج ولا آمن عليه. فطابت نفسي وقلت : أراه يُعْنَى بأمرى . فسرتُ، فلما كنت من مَرْوَ على فرسخين ، تلقّانى أبو مسلم فى الناس، فلما دنا منّى أقبل يمشى إلىّ ؛ حتى قبّل يدى ، فقلت : اركب ، فركب فدخل مَرْو، فنزلت داراً فمكثت ثلاثة أيام ،لايسألنى عن شىء ، ثم قال لى فى اليوم الرابع : ما أقدمك ؟ فأخبرته ، فقال : فعلها أبو سلمة ! أكفيكموه ! فدعا مرّار ابن أنس الضبىّ ، فقال : انطلق إلى الكوفة ، فاقتل أبا سلمة حيث لقيته؛ وانته فى ذلك إلى رأى الإمام . فقدم مرار الكوفة ؛ فكان أبو سلَمة يسمُر عند أبى العبّاس ، فقعد فى طريقه ، فلما خرج قتله فقالوا : قتله الخوارج .

قال علىّ : فحدثنى شيخ من بنى سليم ، عن سالم ، قال : صحبتُ أبا جعفر من الرّىّ إلى خُراسان ، وكنت حاجبه ، فكان أبو مسلم يأتيه فينزل على باب الدّار ويجلس فى الدهليز ، ويقول : استأذِنْ لى ، فغضب أبو جعفر علىّ ، وقال : ويلك ! إذا رأيته فافتح له الباب ، وقل له يدخل على دابته . ففعلت وقلت لأبى مسلم : إنه قال كذا وكذا ، قال : نعم ، أعلم، واستأذن لى عليه .

٣/٦٠ وقد قيل : إنّ أبا العباس قد كان تنكّر لأبى سلَمة قبل ارتحاله من عسكره بالنُّخيلة ، ثم تحوّل عنه إلى المدينة الهاشميّة ، فنزل قصر الإمارة بها ، وهو متنكر له ، قد عرف ذلك منه ، وكتب إلى أبى مسلم يعلمه رأيه ، وما كان همّ به من الغِشّ ، وما يتخوّف منه ، فكتب أبو مسلم إلى أمير المؤمنين : إن كان اطلع على ذلك منه فليقتله؛ فقال داود بن علىّ لأبى العباس: لاتفعل يا أمير المؤمنين ، فيحتجّ عليك بها أبو مسلم وأهلُ خراسان الذين معك ، وحاله فيهم حاله ؛ ولكن اكتب إلى أبى مسلم فليبعثْ إليه من يقتله ، فكتب إلى أبى مسلم بذلك، فبعث بذلك أبو مسلم مرّار بن أنس الضبىّ، فقدم على أبى العباس فى المدينة الهاشميّة ، وأعلمه سبب قدومه، فأمر أبو العباس منادياً فنادى : إن أمير المؤمنين قد رضىَ عن أبى سلمة ودعاه وكساه ، ثم دخل عليه بعد ذلك ليلةً ، فلم يزل عنده حتى ذهب عامّة الليل ، ثم خرج منصرفاً

إلى منزله يمشي وحده ؛ حتى دخل الطاقات ، فعرض له مرّار بن أنس ومَن كان معه من أعوانه فقتلوه، وأغلقت أبواب المدينة، وقالوا : قتل الخوارج أبا سلمة . ثم أخرج من الغد؛ فصلى عليه يحيى بن محمد بن عليّ، ودفن فى المدينة الهاشميّة، فقال سليمان بن المهاجر البَجَليّ :

إنَّ الوزيرَ وزيرَ آل محمد أوْدَى فمن يَشْناك كان وزيرا

وكان يقال لأبى سلمة : وزير آل محمد ، ولأبى مسلم : أمين آل محمد . فلما قتِل أبو سلمة وجّه أبو العباس أخاه أبا جعفر فى ثلاثين ٣/٦١
رجلاً إلى أبى مُسلم ؛ فيهم الحجاج بن أرطاة وإسحاق بن الفضل الهاشميّ .

ولما قدم أبو جعفر على أبى مسلم سايَرَه عبيد الله بن الحسين الأعرج وسليمان بن كثير معه ، فقال سليمان بن كثير للأعرج : يا هَذا؛ إنا كنّا نرجو أن يتمّ أمركم؛ فإذا شئتم فادعونا إلى ما تريدون، فظنّ عبيد الله أنه دسيس من أبى مسلم ، فخاف ذلك . وبلغ أبا مسلم مسايرةُ سليمان بن كثير إياه ، وأتى عبيد الله أبا مُسلم ، فذكر له ما قال سليمان ، وظنّ أنه إن لم يفعل ذلك اغتاله فقتله ، فبعث أبو مسلم إلى سليمان بن كَثير ، فقال له : أتحفظ قول الإمام لى : مَن اتهمتَه فاقتله ؟ قال : نعم ، قال : فإنى قد اتّهمتك، فقال : أنشدك الله! قال : لا تناشدنى الله وأنت منطوٍ على غشّ الإمام ؛ فأمر بضرب عنقه . ولم يرَ أحداً ممن كان يضرب عنقه أبو مسلم غيره ، فانصرف أبو جعفر من عند أبى مسلم ، فقال لأبى العباس : لستَ خليفةً ولا أمرك بشىء إن تركتَ أبا مسلم ولم تقتله ، قال : وكيف ؟ قال : والله ما يصنع إلا ما أراد ، قال أبو العباس : اسكت فاكتمها .

* * *

[ذكر الخبر عن حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط]

وفى هذه السنة وجّه أبو العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة؛ وقد ذكرنا ما كان من أمر الجيش الذين لقوه من أهل خُراسان مع قَحْطبة ، ثم مع ابنه الحسن بن قحطبة وانهزامه ولحاقه بمن معه من جنود الشأم بواسط متحصنًا بها ؛ فذكر عليّ بن محمد عن أبى عبد الله السُّلَمىّ

٣/٦٢ عن عبد الله بن بدر وزهير بن هنيد وبشر بن عيسى وأبى السرىّ أنّ ابن هبيرة لما انهزم تفرّق الناس عنه، وخلّف على الأثقال قوماً، فذهبوا بتلك الأموال فقال له حوثرة: أين تذهب وقد قتل صاحبهم[1]! امض إلى الكوفة ومعك جند كثير، فقاتلهم حتى تقتل أو تظفر، قال: بل نأتى واسطاً فننظر، قال: ما تزيد على أن تمكّنه من نفسك وتقتل، فقال له يحيى بن حضين: إنك لا تأتى مروان بشىء أحبّ إليه من هذه الجنود، فالزم الفُرات حتى تقدم عليه؛ وإياك وواسطاً؛ فتصير فى حصار، وليس بعد الحصار إلا القتل. فأبى. وكان يخاف مروان لأنه كان يكتب إليه فى الأمر فيخالفه؛ فخافه إن قدم عليه أن يقتله، فأتى واسطاً فدخلها، وتحصّن بها.

وسرّح أبو سلمة الحسن بن قحطبة، فخندق الحسن وأصحابه، فنزلوا فيما بين الزّاب ودِجْلة؛ وضرب الحسن سرادقه حِيال باب المضْمار، فأوّل وقعة كانت بينهم يوم الأربعاء، فقال أهل الشأم لابن هبيرة: ائذن لنا فى قتالهم، فأذن لهم، فخرجوا وخرج ابنُ هبيرة، وعلى ميمنته ابنه داود، ومعه محمد بن نباتة فى ناس من أهل خراسان، فيهم أبو العوْد الخراسانىّ، فالتقوْا وعلى ميمنته الحسن خازم بن خزيمة، وابن هبيرة قبالة باب المضمار، فحمل خازم على ابن هُبيرة، فهزموا أهل الشأم حتى ألجئوهم إلى الخنادق، وبادر الناس باب المدينة حتى غصّ باب المضمار، ورمى أصحاب العرّادات بالعرّادات ٣/٦٣ والحسن واقف. وأقبل يسير فى الخيل فيما بين النهر والخندق، ورجع أهل الشأم، فكرّ عليهم الحسن، فحالوا بينه وبين المدينة، فاضطروهم إلى دجلة، فغرق منهم ناس كثير، فتلقّوهم بالسفن، فحملوهم، وألقى ابن نباتة يومئذ سلاحه واقتحم، فتبعوه بسفينة فركب وتحاجزوا، فمكثوا سبعة أيام، ثم خرجوا إليهم يوم الثلاثاء فاقتتلوا، فحمل رجل من أهل الشام على أبى حفص هزار مرد، فضربه وانتمى: أنا الغلام السُّلَمىّ، وضربه أبو حفص وانتمى: أنا الغلام العتكىّ، فصرعه، وانهزم أهل الشأم هزيمة قبيحة، فدخلوا المدينة، فمكثوا ما شاء الله لا يقتتلون إلا رمياً من وراء الفصيل.

---

(١) فى ابن الأثير: «يعنى قحطبة».

وبلغ ابنَ هبيرة وهو فى الحصار أنّ أبا أميّة التغلبىّ قد سوّد ، فأرسل أبا عثمان إلى منزله ،فدخل على أبى أمية فى قُبّته ، فقال : إنّ الأمير أرسلنى إليك لأفتّش قبتك ، فإن كان فيها سواد علقته فى عنقك وحبلا ، ومضيت بك إليه ؛ وإن لم يكن فى بيتك سواد فهذه خمسون ألفًا صلة لك . فأبى أن يدَعه أن يفتش[1] قبّته ، فذهب به إلى ابن هبيرة فحبسه ، فتكلّم فى ذلك معن ابن زائدة وناس من ربيعة ، وأخذوا ثلاثةً من بنى فزارة ؛ فحبسوهم وشتموا ابنَ هبيرة ، فجاءهم يحيى بن حُضين ، فكلّمهم فقالوا : لا نخلى عنهم حتى يخلى عن صاحبنا ؛ فأبى ابنُ هبيرة ، فقال له : ما تفسِد إلّا على نفسك
٦٤/٣ وأنت محصور ؛ خلّ سبيل هذا الرجل ، قال : لا ولا كرامة ؛ فرجع ابنُ حضين إليهم فأخبرهم ، فاعتزل معن وعبد الرحمن بن بشير العجلىّ ، فقال ابن حضين لابن هبيرة : هؤلاء فرسانك قد أفسدتهم ؛ وإن تماديت فى ذلك كانوا أشدّ عليك ممّن حصرك ؛ فدعا أبا أميّة فكساه ، وخلى سبيله ، فاصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه .

وقدم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سِجِستان ، فأوفد الحسن بن قحطبة وفداً إلى أبى العباس بقدوم أبى نصر عليه ، وجعل على الوفد غَيْلان ابن عبد الله الخُزاعىّ — وكان غيلان واجداً على الحسن لأنه سرّحه إلى رَوْح ابن حاتم مدداً له — فلما قدم على أبى العباس قال : أشهدُ أنك أمير المؤمنين ، وأنك حبلُ الله المتين ، وأنك إمام المتقين ؛ فقال : حاجتَك يا غيلان ؟ قال : أستغفرك ، قال : غفر الله لك ، فقال داود بن علىّ : وفّقك الله يا أبا فضالة ، فقال له غيلان : يا أميرَ المؤمنين ، مُنّ علينا برجل من أهل بيتك ، قال : أوَ ليس عليكم رجل من أهل بيتى ! الحسن بن قحطبة ؛ قال : يا أميرَ المؤمنين ، مُنّ علينا برجل من أهل بيتك ، فقال أبو العباس مثل قوله الأول ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ مُنّ علينا برجل من أهل بيتك ننظر إلى وجهه ، وتَقَرّ أعيننا به ، قال : نعم يا غيلان ؛ فبعث أبا جعفر ، فجعل غيلان على شُرَطه فقدم واسطاً ، فقال أبو نصر لغيلان : ما أردت لا ما صنعت ؟ قال : «به بود»[2]،

(١) ج : « ليفتش » (٢) به بود ، كلمة فارسية معناها « سلامة » .

فمكث أياماً على الشُّرَط ، ثم قال لأبى جعفر : لا أقوى على الشُّرَط ؛ ولكنى
٦٥/٣ أدلك على مَن هو أجلد منى ، قال : مَنْ هو ؟ قال : جَهْوَر بن مَرّار ،
قال : لا أقدر على عزلك ؛ لأنّ أمير المؤمنين استعملك ، قال : اكتب إليه
فأعلمه ، فكتب إليه ، فكتب إليه أبو العباس : أن اعمل برأى غَيْلان ،
فولّى شُرَطه جَهْوراً . وقال أبو جعفر للحسن : ابغنى رجلا أجعله على حرسى ،
قال : مَنْ قد رضيتُه لنفسى ؛ عثمان بن نَهيك ، فولّىَ الحرس .

قال بشر بن عيسى : ولما قدم أبو جعفر واسطًا ، تحوّل له الحسن عن حجرته ، فقاتلهم وقاتلوه ، فقاتلهم أبو نصر يومًا ، فانهزم أهلُ الشأم إلى خنادقهم ؛ وقد كمن لهم معن وأبو يحيى الجذامىّ ، فلما جاوزهم أهل خراسان ، خرجوا عليهم ؛ فقاتلوهم حتى أمسوا ، وترجّل لهم أبو نصر ؛ فاقتتلوا عند الخنادق ، ورفعت لهم النيران وابن هبيرة على بُرْج باب الخلاّلين ، فاقتتلوا ما شاء الله من الليل . وسرّح ابن هبيرة إلى معن أن ينصرف ، فانصرف ومكثوا أياماً . وخرج أهلُ الشأم أيضًا مع محمد بن نُباتة ومعن بن زائدة وزياد بن صالح وفرسان من فرسان أهل الشأم ، فقاتلهم أهلُ خراسان ، فهزموهم إلى دِجْلة ، فجعلوا يتساقطون فى دِجْلة ، فقال أبو نصر : يا أهلَ خراسان « مردمانِ خائنه بيابان هستيدو برخزيد » ، فرجعوا وقد صُرع ابنه ، فحماه روح بن حاتم ، فمرّ به أبوه ، فقال له بالفارسية : قد قتلوك يا بنىّ ؛ لعن الله الدنيا بعدك ! وحملوا على أهل الشأم فهزموهم حتى أدخلوهم مدينة واسط ، فقال بعضهم لبعض : لا والله لا تفلح بعدُ عيشتنا أبداً ؛ خرجنا عليهم ونحن فرسان أهلُ الشأم ، فهزمونا حتى دخلنا المدينة .

٦٦/٣ وقتل تلك العشيّة من أهل خُراسان بكار الأنصارىّ ورجل من أهل
خراسان ؛ كانا من فرسان أهل خراسان ؛ وكان أبو نصر فى حصار ابن هبيرة يملأ السفن حطباً ، ثم يضرمها بالنار لتحرق ما مرّت به ؛ فكان ابن هبيرة يهيّئ حرّاقات[1] كان فيها كلاليب تجرّ تلك السفن ؛ فمكثوا بذلك أحدَ عشر شهراً ، فلما طال ذلك عليهم طلبوا الصلح ؛ ولم يطلبوه حتى جاءهم خبرُ

---

(١) الحراقة ، بالفتح والتشديد : ضرب من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر .

قتل مروان ، أتاهم به إسماعيل بن عبد الله القسرىّ، وقال لهم : علام تقتلون أنفسكم ، وقد قتل مروان !

وقد قيل : إنّ أبا العباس وجّه أبا جعفر عند مقدمه من خراسان منصرفاً من عند أبى مسلم إلى ابن هبيرة لحربه ، فشخص أبو جعفر حتى قدم على الحسن ابن قحطبة ؛ وهو محاصر ابن هبيرة بواسط ، فتحوّل له الحسن عن منزله ؛ فنزله أبو جعفر ، فلما طال الحصار على ابن هبيرة وأصحابه تحنّى عليه أصحابه ، فقالت اليمانية : لا نُعين مروانَ وآثاره فينا آثارُه . وقالت النزاريّة : لا نقاتل حتى تقاتل معنا اليمانيّة ؛ وكان إنما يقاتل معه الصعاليك والفتيان ؛ وهمّ ابن هبيرة أن يدعو إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ؛ فكتب إليه فأبطأ جوابه ؛ وكاتب أبو العباس اليمانيّة من أصحاب ابن هبيرة ؛ وأطمعهم . فخرج إليه زياد بن صالح وزياد بن عبيد الله الحارثيان ؛ ووعدا ابن هبيرة أن يصلحا له ناحية أبى العباس فلم يفعلا ؛ وجرت [1] السفراء بين أبى جعفر وبين ابن هبيرة حتى جعل له أماناً ، وكتب به كتاباً ، مكث يشاور فيه العلماء أربعين
٦٧/٣ يوماً حتى رضيَه ابنُ هبيرة ، ثم أنفذه إلى أبى جعفر ، فأنفذه أبو جعفر إلى أبى العباس ، فأمره بإمضائه ؛ وكان رأى أبى جعفر الوفاء له بما أعطاه ، وكان أبو العباس لا يقطع أمراً دون أبى مسلم ، وكان أبو الجهم عيناً لأبى مسلم على أبى العباس ، فكتب إليه بأخباره كلها ، فكتب أبو مسلم إلى أبى العباس : إنّ الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسَد ؛ لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة .

ولما تمّ الكتاب خرج ابنُ هبيرة إلى أبى جعفر فى ألف وثلثمائة من البخاريّة ؛ فأراد أن يدخل الحجرة على دابته ، فقام إليه الحاجب سلاّم بن سليم ، فقال : مرحباً بك أبا خالد ! انزل راشداً ؛ وقد أطاف بالحجرة نحو من عشرة آلاف من أهل خراسان ، فنزل ، ودعا له بوسادة ليجلس عليها ، ثم دعا بالقوّاد فدخلوا ، ثم قال سلاّم : ادخل أبا خالد ؛ فقال له : أنا ومن معى؟ فقال : إنما استأذنتُ لك وحدك . فقام فدخل ، ووضعتْ له وسادة ، فجلس عليها ، فحادثه ساعة ، ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصرَه حتى غاب عنه ؛ ثم مكث يقيم عنه يوماً ، ويأتيه يوماً

(١) ب : « وجعلت » .

فى خمسمائة فارس وثلثمائة راجل؛ فقال يزيد بن حاتم لأبى جعفر : أيّها الأمير؛ إنّ ابن هبيرة ليأتى فيتضعضع له العسكر؛ وما نقص من سلطانه شىء، فإذا كان يسير فى هذه الفرسان والرّجالة، فما يقول عبد الجبار وجهور! فقال أبو جعفر لسلام : قل لابن هُبيرة يدع الجماعة ويأتينا فى حاشيته [نحواً من ثلاثين[1]] ، فقال له سلاّم ذلك، فتغير وجهه، وجاء فى حاشيته نحواً من ثلاثين، فقال له سلاّم : كأنك تأتى مباهياً[2]! فقال: إن أمرتم أن نمشى إليكم مشينا، فقال : ٦٨/٣
ما أردنا بك استخفافاً، ولا أمَرَ الأمير بما أمر به إلا نظراً لك؛ فكان بعد ذلك يأتى فى ثلاثة.

وذكر أبو زيد أنّ محمد بن كثير حدّثه، قال : كلّم ابن هبيرة يوماً أبا جعفر، فقال : يا هناه — أو يأيّها المرء — ثم رجع، فقال : أيها الأمير؛ إنّ عهدى بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به حديث، فسبقنى لسانى إلى ما لم أرده. وألحّ أبو العباس على أبى جعفر يأمره بقتله وهو يراجعه؛ حتى كتب إليه : والله لتقتلنّه أو لأرسلنّ إليه من يخرجه من حُجرتك[3]، ثم يتولى قتله. فأزمع على قتله، فبعث خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة بن ظهير؛ وأمرهما بختم بيوت الأموال. ثم بعث إلى وجوه ممّن معه من القيسيّة والمضريّة، فأقبل محمد ابن نباتة وحوثرة بن سُهيل وطارق بن قدامة وزياد بن سويد وأبو بكر بن كعب العُقيلىّ وأبان وبشر ابنا عبد الملك بن بشر؛ فى اثنين وعشرين رجلا من قيس، وجعفر بن حنظلة وهزّان بن سعد.

قال : فخرج سلاّم بن سليم، فقال : أين حوثرة ومحمد بن نباتة؟ فقاما، فدخلا، وقد أجلس عثمان بن نهيك والفضل بن سليمان وموسى بن عقيل فى مائة فى حُجْرة دون حجرته، فنُزعت سيوفهما وكتّفا، ثم دخل بشر وأبان ابنا عبد الملك بن بشر، ففُعل بهما ذلك؛ ثمّ دخل أبو بكر بن كعب وطارق ابن قدامة، فقام جعفر بن حنظلة، فقال: نحن رؤساء الأجناد، ولمَ يكون هؤلاء يقدّمون علينا؟ فقال : ممن أنت؟ قال : من بَهْراء، فقال : وراءك ٦٩/٣

---

(١) من ا.   (٢) ا : «متأهباً».
(٣) ج : «منزلك».

أوسع لك ، ثم قام هزّان ، فتكلم فأخَّر ، فقال روح بن حاتم : يا أبا يعقوب ، نزعت[١] سيوف القوم ، فخرج عليهم[٢] موسى بن عقيل ، فقالوا له[٣] : أعطيتمونا عهد الله ثم خِستم به ! إنا لنرجو أن يدرككم الله ؛ وجعل ابن نباتة يضرّط[٤] فى لحية نفسه ، فقال له حوثرة : إنّ هذا لا يغنى عنك شيئاً ؛ فقال : كأنى كنت أنظر إلى هذا ، فقتِلوا . وأخذت خواتيمهم .

وانطلق خازم والهيثم بن شعبة والأغلب بن سالم فى نحو من مائة ، فأرسلوا إلى ابن هبيرة : إنا نريد حمْل المال ، فقال ابن هبيرة لحاجبه : يا أبا عثمان ، انطلق فدلّهم عليه ، فأقاموا عند كلّ بيت نفراً ، ثم جعلوا ينظرون فى نواحى الدّار ، ومع ابن هبيرة ابنه داود وكاتبه عمرو بن أيّوب وحاجبه وعدّة من مواليه ، وبنىٌّ له صغير فى حِجْره ؛ فجعل ينكر نظرهم فقال : أقسم بالله إنّ فى وجوه القوم لشرًّا ، فأقبلوا نحوه ، فقام حاجبه فى وجوههم ، فقال : ما وراءكم ؟ فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه ، وقاتل ابنه داود فقتِل وقتل مواليه ، ونحّى الصبىّ من حِجره ، وقال : دونكم هذا الصبىّ ، وخرّ ساجداً فقتل وهو ساجد ، ومضوا برءوسهم إلى أبى جعفر ، فنادى بالأمان للناس إلّا للحكم بن عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزومىّ وعمر بن ذرّ ، فاستأمن زياد بن عبيد الله لابن ذرّ فآمنه أبو العباس ، وهرب الحكم ، وآمن أبو جعفر خالداً ، فقتله أبو العباس ، ولم يُجزْ أمانَ أبى جعفر ، وهرب أبو علاقة وهشام ابن هشيم بن صفوان بن مزيد الفزاريّان ، فلحقهما حجر بن سعيد الطائىّ ٧٠/٣
فقتلهما على الزّاب ، فقال أبو عطاء السِّندىّ يرثيه :

أَلَا إنَّ عيناً لم تجُدْ يوم واسِطٍ ... عليك بجارى دمعِها لَجَمودُ[٥]
عشيَّةَ قام النائحاتُ وشُقِّقَتْ ... جُيُوبٌ بأَيْدى مأْتمٍ وخُدودُ
فإن تُمْسِ مهجورَ الفِناءِ فربَّمَا ... أَقامَ به بعد الوفود وُفودُ
فإنك لم تَبْعُدْ على متعهِّدٍ ... بلى كلُّ مَن تحت الترابِ بعيدُ

(١) ا « تركت » .
(٢) ج : « إليهم » .
(٣) ج : « قد » .
(٤) ج : « يطرد فى لحم نفسه » . (٥) ديوان الحماسة ٢ : ٢٩٥ - بشرح التبريزى .

وقال منقذ بن عبد الرحمن الهلالى يرثيه :

مَنَع العزاءَ حرارةُ الصَّدْرِ والحُزن عقدَ عزيمةِ الصبْرِ
لما سمِعْتُ بوَقعَةٍ شملتْ بالشيب لونَ مَفارقِ الشعْر
أفنى الحُماة الغُرَّ أنْ عَرَضتْ دون الوفاءِ حَبائلُ الغَدر
مالت حبائلُ أمرهم بفتًى مثلِ النجوم حَفَفْنَ بالبدرِ
عَالَى نعِيهَّمُ فقلت له هَلاَّ أتيتَ بصَيْحةِ الحشرِ!
لله درّك مَنْ زعمتَ لنـا أن قد حَوَتْه حوادثُ الدهر
مَن للمنابر بعـد مَهْلكِهِم أو مَنْ يَسُدُّ مكارم الفخر!
فإذا ذكرتُهُمُ شكا ألَماً قلبي لفَقد فوارس زُهْرِ
قَتلى بدِجْـلةَ ما يُغَمِّهُمُ إلا عُبابُ زَواخرِ البحر
فَلتَبْكِ نِسْوَتنا فوارسهَـا خيـرَ الحماةِ ليالىَ الذُّعْرِ

وذكر أبو زيد أن أبا بكر الباهلى حدّثه ، قال : حدثنى شيخ من أهل ٣/٧١
خراسان ، قال : كان هشام بن عبد الملك خطب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ابنتَه على ابنه معاوية ، فأبى أن يزوّجه ، فجرى بعد ذلك بين يزيد بن عمر وبين الوليد بن القعقاع كلام ؛ فبعث به هشام إلى الوليد بن القعقاع ، فضربه وحبسه ، فقال ابن طَيْسلة :

يا قَلَّ خيرُ رجالٍ لا عقولَ لهمْ مَنْ يَعدلون إلى المحبوس فى حَلَب
إلى امرئ لم تُصِبْهُ الدَّهرَ مُعْضِلةٌ إلا استقَلَّ بها مُسْتَرْخِيَ اللبَبِ

وقيل : إن أبا العباس لما وجّه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة ، كتب إلى الحسن بن قحطبة : إن العسكر عسكرُك ، والقوّادَ قوّادُك ؛ ولكن أحببتُ أن يكون أخى حاضراً ، فاسمع له وأطع ، وأحسِن مؤازرته . وكتب إلى أبى نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك ؛ فكان الحسن المدبر لذلك العسكر بأمر المنصور .

وفى هذه السنة وجّه أبو مسلم محمد بن الأشعث على فارس ، وأمره أن يأخذ عمال أبى سلمة فيضرب أعناقهم . ففعل ذلك .

وفى هذه السنة وجه أبو العباس عمّه عيسى بن علىّ على فارس ، وعليها محمد بن الأشعث ، فهمّ به ، فقيل له : إن هذا لايسوغ لك ، فقال : بلى ، أمرنى أبو مسلم ألا يقدمَ علىّ أحد يدّعى الولاية من غيره إلا ضربتُ عنقه . ثم ارتدع عن ذلك لما تخوّف من عاقبته ، فاستحلف عيسى بالأيمان المحرجة ألّا يعلو منبراً ، ولا يتقلدَ سيفاً إلّا فى جهاد ؛ فلم يَلِ عيسى بعد ذلك عملا ،
٧٢/٣ ولا تقلد سيفاً إلّا فى غزْو . ثم وجه أبو العباس بعد ذلك إسماعيل بن علىّ والياً على فارس .

وفى هذه السنة وجّه أبو العباس أخاه أبا جعفر والياً على الجزيرة وأذْرَبيجان وأرمينيَة ، ووجه أخاه يحيى بن محمد بن علىّ والياً على الموْصل .

وفيها عزل عمّه داود بن علىّ عن الكوفة وسوادها ، وولّاه المدينة ومكة واليمن واليمامة ، وولّى موضعه وما كان إليه من عمل الكوفة وسوادها عيسى بن موسى .

وفيها عزَل مروانُ — وهو بالجزيرة عن المدينة — الوليد بن عُروة ، وولاها أخاه يوسف بن عروة ؛ فذكر الواقدىّ أنه قدم المدينة لأربع خلوْن من شهر ربيع الأول .

وفيها استقضى عيسى بن موسى على الكوفة ابن أبى ليلى .

وكان العامل على البصرة فى هذه السنة سفيان بن معاوية المهلبىّ . وعلى قضائها الحجاج بن أرطاةَ ، وعلى فارس محمد بن الأشعث ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى الجزيرة وأرمينيَة وأذْرَبيجان عبد الله بن محمد ، وعلى الموْصل يحيى بن محمد ، وعلى كُور الشأم عبد الله بن علىّ ، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وعلى خُراسان والجبال أبو مسلم ، وعلى ديوان الخراج خالد بن بَرْمك .

وحجّ بالناس فى هذه السنة داود بن علىّ بن عبد الله بن العباس (١) .

---

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الثانى عشر ؛ من نسخة أحمد الثالث ، وهى التى رمز لها بالحرف (ا) .

٧٣/٣

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة*

ذكر ما كان فى هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه أبى العباس عمّه سليمان بن علىّ واليًا على البصرة وأعمالها ، وكُور دجلة والبَحْرين وعُمان ومِهْرِجانقَذق ، وتوجيهه أيضًا عمه إسماعيل بن علىّ على كُور الأهواز .

وفيها قتَل داود بن علىّ من كان أخذ من بنى أميّة بمكة والمدينة .

وفيها مات داود بن علىّ بالمدينة فى شهر ربيع الأول ؛ وكانت ولايتُه – فيما ذكر محمد بن عمر – ثلاثةَ أشهر .

واستخلف داود بن على حين حضرته الوفاة على عمله ابنَه موسى ؛ ولما بلغت أبا العباس وفاتُه وجّه على المدينة ومكة والطائف واليمامة خاله زيادَ بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثىّ ، ووجّه محمد بن يزيد بن عبد الله ابن عبد المدان على اليمن ، فقدِم اليمن فى جمادى الأولى ، فأقام زياد بالمدينة ومضى محمد إلى اليمن . ثم وجّه زياد بن عبيد الله من المدينة إبراهيمَ بن حسان السُّلمىّ ؛ وهو أبو حماد الأبرص – إلى المثنّى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة ، فقتله وقتل أصحابه .

وفيها كتب أبو العباس إلى أبى عون بإقراره على مصر واليًا عليها ، وإلى عبد الله وصالح ابنى علىّ على أجناد الشأم .

وفيها توجّه محمد بن الأشعث إلى إفريقيّة فقاتلهم قتالا شديداً حتّى فتحها .

٧٤/٣ وفيها خرج شَرِيك بن شيخ المهرىّ[٢] بخُراسان على أبى مسلم ببخارَى ونقم[٣] عليه ، وقال : ما على هذا اتّبعنا آل محمد ، على أن نسفك الدماء ، ونعمل بغير الحقّ . وتبعه على رأيه أكثرُ من ثلاثين ألفًا ، فوجّه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخُزاعىّ فقاتله فقتله .

* من هنا تبدأ المقابلة على الجزء الثانى عشر من النسخة التيمورية ؛ وهى التى رمزت لها بالحرف (ت) .
(٢) ج : « الفهرى » . (٣) ج : « ونقض عليه » .

وفيها توجّه أبو داود خالد بن إبراهيم من الوَخْش إلى الخُتّل، فدخلها ولم يمتنع عليه حنَش(١) بن السبل ملكها ، وأتاه ناس من دهاقين الخُتّل ، فتحصّنوا معه؛ وامتنع بعضهم فى الدُّروب والشعاب والقلاع . فلما ألحّ أبو داود على حنَش ، خرج من الحصن ليلاً ومعه دهاقينه وشاكريّته حتى انتهوْا إلى أرض فَرْغانة ؛ ثم خرج منها فى أرض الترك، حتى وقع إلى ملك الصين ؛ وأخذ أبو داود مَنْ ظفر به منهم ، فجاوز بهم إلى بَلْخ ، ثم بعث بهم إلى أبى مسلم .

وفيها قُتِل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب ؛ قتله سليمان الذى يقال له الأسود ، بأمانٍ كتبه له .

وفيها وجّه صالح بن علىّ سعيدَ بن عبد الله لغزو الصائفة ؛ وراء الدروب.

وفيها عزِل يحيى بن محمد عن الموصِل، واستعمل مكانه إسماعيل بن علىّ.

* * *

٧٥/٣ وحجّ بالناس فى هذه السنة زياد بن عبيد الله الحارثىّ ؛ كذلك حدثنى أحمد ابن ثابت، عمّن حدّثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبى معشر، وكذلك قال الواقدىّ وغيرُه .

وكان على الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابنُ أبى ليلى ، وعلى البصرة وأعمالها وكُوَرِ دجْلة والبحرين وعُمان والعرْض ومهرجانقذق سليمان ابن علىّ ، وعلى قضائها عبّاد بن منصور ، وعلى الأهواز إسماعيل بن علىّ وعلى فارس محمد بن الأشعث ، وعلى السِّنْد منصور بن جمهور ، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم، وعلى قنّسرين وحِمْص وكور دمشق والأردّن عبد الله بن علىّ ، وعلى فلسطين صالح بن علىّ .

وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون ، وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد المنصور ، وعلى الموصل إسماعيل بن علىّ ، وعلى أرمينيَة صالح بن صبيح ، وعلى أذربيجان مجاشع بن يزيد .

وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك .

(١) ث : « جيش » .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خلع بسام بن إبراهيم]

ففيها خالف بسام بن إبراهيم بن بسام ، وخلَع ، وكان من فُرسان أهل خراسان . وشخص — فيما ذكر — من عسكر أبي العباس أمير المؤمنين مع جماعة ممّن شايعه على ذلك من رأيه ؛ مستسرّين[١] بخروجهم ، ففحص عن أمرهم وإلى أين صاروا ، حتى وقف على مكانهم بالمدائن ، فوجّه إليهم أبو العباس ٣/٧٦ خازم بن خزيمة ، فلما لقي بساماً ناجزه القتال ، فانهزم بسام وأصحابُه وقتل أكثرهم ، واستبيح عسكره ، ومضى خازم وأصحابه في طلبهم[٢] ، في أرض جوخى إلى أن بلغ ماه ، وقتل كلّ مَن لحقه منهزمًا ، أو ناصبه القتال ؛ ثم انصرف من وجهه ذلك ؛ فمرّ بذات المطامير — أو بقرية شبيهة بها — وبها من بني الحارث بن كعب من بني عبد المدان ؛ وهم أخوال أبي العباس ذَنَبَة[٣] فمرّ بهم وهم في مجلس لهم — وكانوا خمسة وثلاثين رجلا منهم ومن غيرهم ثمانية عشر رجلا ، ومن مواليهم سبعة عشر رجلا — فلم يسلّم عليهم ، فلما جاز شتموه ؛ وكان في قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المغيرة بن الفزع[٤] ، وأنه لجأ إليهم ، وكان من أصحاب بسام بن إبراهيم فكرّ راجعًا ، فسألهم عما بلغه من نزول المغيرة بهم ؛ فقالوا : مرّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه ؛ فأقام في قريتنا ليلة ثم خرج عنها ، فقال لهم : أنتم أخوال أمير المؤمنين ويأتيكم عدوّه ، فيأمن في قريتكم ! فهلا اجتمعتم فأخذتموه ! فأغلظوا له الجواب ، فأمر بهم فضُرِبت أعناقهم جميعًا ، وهُدمت دورهم ، وانتهبت أموالهم ، ثم انصرف إلى أبي العباس ؛ وبلغ ما كان من فعل خازم اليمانية ، فأعظموا ذلك ؛ واجتمعت كلمتُهم ، فدخل زياد بن عبيد الله الحارثيّ على أبي العباس مع عبد الله بن

---

(١) ط : « مستبشرين » وما أثبته من ت . (٢) ج : « طلبه » .
(٣) ابن الأثير : « دنيا » . (٤) ت : « القرع » .

الربيع الحارثىّ وعثمان بن نهيك ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن ؛ وهو يومئذ
٧٧/٣ على شُرْطة أبى العباس ؛ فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن خادماً اجترأ عليك
بأمر لم يكن أحد[1] من أقرب ولد أبيك ليجترئ عليك به ؛ من استخفافه بحقّك ؛ وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد ، وأتوك معتزّين بك ، طالبين معروفك ؛ حتى إذا صاروا إلى دارك وجوارك ، وثب عليهم خازم فضرب أعناقهم ، وهدم دورهم ، وأنهب أموالهم ، وأخرب ضياعهم ؛ بلا حدث أحدثوه . فهمّ بقتل خازم ؛ فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطيّة ، فدخلا على أبى العباس ، فقالا : بلغنا يا أمير المؤمنين ما كان من تحميل[2] هؤلاء القوم إياك على خازم ؛ وإشارتهم عليك بقتله ؛ وما هممتَ به من ذلك ؛ وإنا نعيذك بالله من ذلك ؛ فإنّ له طاعةً وسابقة ؛ وهو يُحتمل له ما صنع ؛ فإنّ شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب من الأولاد والآباء والإخوان ؛ وقتلوا من خالفكم ، وأنت أحقّ من تعمد إساءة مسيئهم ؛ فإن كنتَ لا بد مجمعًا على قتله فلا تتولّ ذلك بنفسك ، وعرّضه من المباعث لما إن قتل فيه كنت قد بلغت الذى أردت[3] ، وإن ظفر كان ظفره لك . وأشاروا عليه بتوجيهه إلى مَن بعُمان من الخوارج إلى الجلندى وأصحابه ، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكرىّ ، فأمر أبو العباس بتوجيهه مع سبعمائة رجل ؛ وكتب إلى سليمان بن علىّ وهو على البصرة بحملهم فى السفن إلى جزيرة ابن كاوان وعُمان فشخص .

* * *

[أمر الخوارج مع خزيمة بن خازم وقتل شيبان بن عبد العزيز]

٧٨/٣ وفى هذه السنة شخص خازم بن خزيمة إلى عُمان ، فأوقع بمَن فيها من الخوارج ، وغلب عليها وعلى ما قَرُب منها من البلدان وقتل شيبان الخارجىّ .

* ذكر الخبر عما كان منه هنالك :

ذُكِر أن خازم بن خزيمة شخص فى السبعمائة الذين ضمّهم إليه أبو العباس ، وانتخب من أهل بيته وبنى عمه ومواليه ورجال من أهل مَرْو الرّوذ ، قد عرفهم

---

(١) ت : « رجل » . (٢) ت : « تحيل » .
(٣) ت : « قد أردت » .

ووثق بهم ؛ فسار إلى البَصْرة ، فحملهم سليمان بن علىّ ، وانضمّ إلى خازم بالبصرة عدّة من بنى تميم ، فساروا حتى أرسوْا بجزيرة ابن كاوان ، فوجّه خازم نضلة بن نعيم[1] النهشلىّ فى خمسمائة رجل من أصحابه إلى شيبان ، فالتقوْا فاقتتلوا قتالا شديداً ، فركب شيبان وأصحابه السفن ، فقطعوا إلى عُمان — وهم صُفْريّة — فلما صاروا إلى عُمان نَصب لهم الجلندَى وأصحابه — وهم إباضية — فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقُتل شيبان ومَن معه ، ثم سار خازم فى البحر بمن معه ؛ حتى أرسوْا إلى ساحل عُمان ، فخرجوا إلى صحراء ، فلقيَهم الجلندَى وأصحابه ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكثُر القتل يومئذ فى أصحاب خازم ؛ وهم يومئذ على ضفة البحر ، وقتِل فيمن قُتِل أخٌ لخازم لأمه يقال له إسماعيل ، فى تسعين رجلاً من أهل مَرْو الروذ ، ثم تلاقوْا فى اليوم الثانى ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً ، وعلى ميمنته رجل من أهل مَرْو الروذ ، يقال له حميد الورتكانىّ ، وعلى ميسرته رجل من أهل مَرْو الرّوذ يقال له مسلم الأرغدىّ ، ٧٩/٣
وعلى طلائعه نضلة بن نعيم النهشلىّ ، فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة رجل ، وأحرَقوا منهم نحواً من تسعين رجلا . ثم التقوْا بعد سبعة أيام من مَقْدَم خازم على رأى أشار به عليه رجلٌ من أهل الصُّغْد ، وقع بتلك البلاد ، فأشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المُشاقة[2] ويرووها بالنِّفط ، ويُشعِلوا فيها النيران ؛ ثم يمشوا بها حتى يضرموها فى بيوت أصحاب الجلندَى . وكانت من خشب وخِلاف ؛ فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتُهم بالنيران وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم شدّ عليهم خازم وأصحابه ؛ فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم ، وقتِل الجلندَى فيمن قُتِل ، وبلغ عدّة مَنْ قتل عشرة آلاف ؛ وبعث خازم برءوسهم إلى البصرة ، فكثتْ[3] بالبصرة أياماً ، ثم بعث بها إلى أبى العباس ، وأقام خازم بعد ذلك أشهراً ؛ حتى أتاه كتاب أبى العباس بإقفاله فقفلوا .

* * *

[ذكر غزوة كسّ]

وفى هذه السنة غزا أبو داود خالد بن إبراهيم أهل كسّ[4] فقتل الأخريد

(١) ابن الأثير : « فضلة بن نعيم » . (٢) المشاقة من الكتان والقطن والشعر : ما خلص منه.
(٣) ط : « فكث » . (٤) ط : « كش » ، وانظر الفهرس .

ملكها ؛ وهو سامع مطيع قدم عليه قبل ذلك بلْخ ، ثم تلقاه بكندك مما يلى كسّ ؛ وأخذ أبو داود من الأخريد وأصحابه حين قتلهم من الأوانى الصينيّة المنقوشة المذهبة التى لم يُرَ مثلها ، ومن السروج الصينيّة ومتاع الصين كله من
٣/٨٠ الديباج وغيره ، ومن طُرَف الصين شيئًا كثيراً ، فحمله أبو داود أجمع إلى أبى مسلم وهو بسَمَرْقَنْد ، وقتل أبو داود دهقان كسّ فى عدّة من دهاقينها واستحيا طاران أخا الأخريد وملّكه على كسّ ، وأخذ ابن النجاح وردّه إلى أرضه ، وانصرف أبو مسلم إلى مَرْو بعد أن قتل فى أهل الصّغْد وأهل بخارى ، وأمر ببناء حائط سَمَرْقند ، واستخلف زياد بن صالح على الصّغْد وأهل بخارى ، ثم رجع أبو داودَ إلى بلخ .

* * *

[ذكر قتال منصور بن جمهور]

وفى هذه السنة وجه أبو العباس موسى بن كعب إلى الهند[1] لقتال منصور ابن جمهور ، وفرض لثلاثة آلاف رجل من العرب والموالى بالبصرة ولألف من بنى تميم خاصّة ، فشخص واستخلف مكانه على شُرْطة أبى العباس المسيّب ابن زُهير حتى ورد السِّنْد ، ولقى منصور بن جمهور فى اثنى عشر ألفًا ، فهزمه ومَنْ معه ، ومضى فمات عطشًا فى الرمال.

وقد قيل : أصابه بطن ، وبلغ خليفة منصور وهو بالمنصورة هزيمة منصور ، فرحل بعيال منصور وثقله ، وخرج بهم فى عدّة من ثقاته ، فدخل بهم بلاد الخزر .

* * *

وفيها توفّى محمد بن يزيد بن عبد الله وهو على اليمن ، فكتب أبو العباس إلى علىّ بن الربيع بن عبيد الله الحارثىّ ، وهو عامل لزياد بن عبيد الله على مكة بولايته على اليمن فسار إليها[2] .

وفى هذه السنة تحوّل أبو العباس من الحيرة إلى الأنبار – وذلك فيما قال الواقدىّ وغيره – فى ذى الحجة .

---

(١) ابن الأثير : « إلى السند » . (٢) ح : « بأهلها » .

وفيها عُزِل صالح بن صبيح عن أرمينيَة ، وجعل مكانه يزيد بن أسيد. ٣/٨١
وفيها عُزِل مجاشع بن يزيد عن أذْرَبيجان ، واستعمل عليها محمد بن صول .

وفيها ضرَب المنار من الكوفة إلى مكة والأميال . وحجّ بالناس فى هذه السنة عيسى بن موسى ، وهو على الكوفة وأرضها .

وكان على قضاء الكوفة ابن أبى ليلَى ، وعلى المدينة ومكة والطائف واليمامة زياد بن عبيد الله ، وعلى اليمن علىّ بن الربيع الحارثىّ ، وعلى البصرة وأعمالها وكُور دِجلة والبحرين وعُمان والعرْض ومهرجانقذق سليمان بن علىّ ، وعلى قضائها عباد بن منصور ، وعلى السند موسى بن كعب ، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم ، وعلى فلسطين صالح ابن علىّ ، وعلى مصر أبو عوْن ، وعلى موصل إسماعيل بن على ، وعلىّ أرمينيَة يزيد بن أسيد ، وعلى أذربيجان محمد بن صول.

وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك ، وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد أبو جعفر وعلى قنّسرين وحِمْص وكور دمشق والأردنّ عبد الله بن علىّ .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة
ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج زياد بن صالح]

فمما كان فيها من ذلك خروجُ زياد بن صالح وراء نهر بلْخ ، فشخص
٨٢/٣ أبو مسلم من مَرْو مستعدًّا للقائه ، وبعث أبو داود خالد بن إبراهيم نصرَ بن راشد إلى الترْمذ، وأمره أن ينزل مدينتَها، مخافَة أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها ؛ ففعل ذلك نصر ، وأقام بها أيامًا ، فخرج عليه ناس من الراونديّة من أهل الطالقان مع رجل يكنى أبا إسحاق ، فقتلوا نصرًا ، فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان فى تتبّع قتَلة نصر ، فتتبعهم فقتلهم ، فمضى أبو مسلم مسرعًا ؛ حتى انتهى إلى آمُل ، ومعه سباع بن أبى النعمان الأزدىّ ، وهو الذى كان قدم بعهد زياد بن صالح من قِبَل أبى العباس، وأمره إن رأى فرصة أن يَثِبَ على أبى مسلم فيقتلَه. فأخبِر أبو مسلم بذلك، فدفع سباع بن النعمان إلى الحسن بن الجُنيد عامله على آمُل ، وأمره بحبسه عنده ، وعبَر أبو مسلم إلى بخَارى ، فلما نزلها أتاه أبو شاكر وأبو سعد الشروىّ فى قوّاد قد خلعوا زيادًا ، فسألهم أبو مسلم عن أمر زياد ومَنْ أفسده ، قالوا : سباع بن النعمان ، فكتب إلى عامله على آمُل أن يضرب سباعًا مائة سوط ، ثم يضرب عنقه ، ففعل .

ولما أسلم زيادًا قوّادُه ولحقوا بأبى مسلم لجأ إلى دِهقان بارْكَث، فوثب عليه الدهقان ، فضرب عنقه ،وجاء برأسه إلى أبى مسلم ، فأبطأ أبو داود على أبى مسلم لحال الراونديّة الذين كانوا خرجوا ، فكتب إليه أبو مسلم : أما بعد فليفرِخ[1] رَوْعك، ويأمن سِربك، فقد قتل الله زيادًا، فاقْدَم، فقدم أبو داود،
٨٣/٣ كس[2]، وبعث عيسى بن ماهان إلى بسام، وبعث ابن النجاح إلى الإصبهبذ إلى شاوَغَر ،فحاصر الحصن فأما أهل شاوغر فسألوا الصلح ،فأجيبوا إلى ذلك .

---

(١) ط : « ليفرج » صوابه من ت .   (٢) ط : « كش » .

وأما بسام فلم يصل عيسى بن ماهان إلى شيء منه ؛ حتى ظهر أبو مسلم بستة عشر كتابًا وجدها من عيسى بن ماهان إلى كامل بن مظفّر صاحب أبى مسلم، يعيب فيها أبا داود، وينسبه فيها إلى العصبيّة وإيثاره العرب وقومَه على غيرهم من أهل هذه الدعوة ، وأن فى عسكره ستة وثلاثين سُرادقاً للمستأمنة ، فبعث بها أبو مسلم إلى أبى داود ، وكتب إليه : إنّ هذه كتب العِلْج الذى صَيَّرته عِدْل نفسك ، فشأنَك به . فكتب أبو داود إلى عيسى ابن ماهان يأمره بالانصراف إليه عن بسّام ، فلما قدم عليه حبسه ودفعه إلى عمر النغم ؛ وكان فى يده محبوسًا، ثم دعا به بعد يومين أو ثلاثة فذكّره صنيعتَه به وإيثاره إياه على ولده، فأقرّ بذلك، فقال أبو داود : فكان جزاء ما صنعتُ بك أن سعيتَ بى وأردتَ قتلى، فأنكر ذلك، فأخرج كتبه فعرفها، فضربه أبو داود يومئذ حدّين : أحدهما للحسن بن حمدان . ثم قال أبو داود : أمّا إنى قد تركت ذنبَك لك ؛ ولكن الجند أعلم . فأخرج فى القيود ، فلما أخرج من السرّادق وثب عليه حرب بن زياد وحفص بن دينار مولى يحيى بن حُضَين ، فضرباه بعمود وطَبَرْزِين ، فوقع إلى الأرض، وعدا عليه أهل الطالقان وغيرُهم ، فأدخلوه فى جوالق، وضربوه بالأعمدة ، حتى مات ورجع أبو مسلم إلى مَرْو . ٨٤/٣

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن علىّ، وهو على البصرة وأعمالها . وعلى قضائها عبـاد بن منصور .

وكان على مكة العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثىّ ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابن أبى ليلى ، وعلى الجزيرة أبو جعفر المنصور، وعلى مصر أبو عون، وعلى حمْص وقنّسرين وبعلبكّ والغُوطة وحَوْران والجوْلان والأردنّ عبد الله ابن علىّ ، وعلى البلقاء وفلسطين صالح بن علىّ ، وعلى الموصل إسماعيل بن علىّ ، وعلى أرمينيَة يزيد بن أسيد، وعلى أذْرَبيجان محمد بن صَوْل، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر قدوم أبي مسلم على أبي العباس]

ففى هذه السنة قدم أبو مسلم العراق من خُراسان على أبى العباس أمير المؤمنين.

* ذكر الخبر عن قدومه عليه وما كان من أمره فى ذلك :

ذكر علىّ بن محمد أن الهيثم بن عدىّ أخبره والوليد بن هشام، عن أبيه، قالا(١) : لم يزلْ أبو مسلم مقيماً بخراسان، حتى كتب إلى أبى العباس يستأذنه فى القُدوم عليه، فأجابه إلى ذلك، فقدم على أبى العباس فى جماعة من أهل ٣/٨٥ خُراسان عظيمة ومَنْ تبعه من غيرهم من الأنبار؛ فأمر أبو العباس النّاس يتلقونه، فتلقاه الناسُ، وأقبل إلى أبى العباس، فدخل عليه فأعظمه وأكرمه؛ ثم استأذن أبا العباس فى الحجّ فقال : لولا أن أبا جعفر يحجّ لاستعملتُك على الموسم. وأنزله قريباً منه، فكان يأتيه فى كلّ يوم يسلم عليه، وكان ما بين أبى جعفر وأبى مسلم متباعداً؛ لأن أبا العباس كان بعث(٢) أبا جعفر إلى أبى مسلم وهو بنيسابور، بعد ما صفت له الأمور بعهده على خُراسان وبالبيعة لأبى العباس ولأبى جعفر من بعده؛ فبايع له أبو مسلم وأهل خراسان. وأقام أبو جعفر أياماً حتى فرغ من البيعة، ثم انصرف. وكان أبو مسلم قد استخفّ بأبى جعفر فى مقدمه ذلك، فلما قدم على أبى العباس أخبره بما كان من استخفافه به.

قال علىّ : قال الوليد عن أبيه : لما قدم أبو مسلم على أبى العباس، قال أبو جعفر لأبى العباس : يا أميرَ المؤمنين، أطعْنى واقتل أبا مسلم؛ فوالله إنّ فى رأسه لغَدْرة، فقال : يا أخى، قد عرفتَ بَلاءَه وما كان منه، فقال

(١) ط : «قال»، وما أثبته من ت.   (٢) ت : «وجه».

أبو جعفر : يا أمير المؤمنين ،إنما كان بدولتنا ؛ والله لو بعثتَ سنّوراً لقام مقامه . وبلغ ما بلغ فى هذه الدولة . فقال له أبو العباس : فكيف نقتله ؟ قال : إذا دخل عليك وحادثته وأقبل عليك دخلتُ فتغفلتُه فضربتُه من خلْفه ضربة أتيت بها على نفسه ، فقال أبو العباس : فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم ؟ قال : يئول ذلك كله إلى ما تريد ، ولو علموا أنه قد ٨٦/٣ قُتل تفرّقوا وذلّوا ، قال : عزمتُ عليك إلاّ كففتَ عن هذا ، قال : أخاف والله إن لم تتغدّه اليوم أن يتعشاك غداً ، قال : فدونكه ، أنت أعلم .

قال : فخرج أبو جعفر من عنده عازماً على ذلك ، فندِم أبو العباس وأرسل إلى أبى جعفر : لا تفعل ذلك الأمر .

وقيل : إن أبا العباس لما أذِن لأبى جعفر فى قتل أبى مسلم ، دخل أبو مسلم على أبى العباس ، فبعث أبو العباس خصيّاً له ، فقال : اذهب فانظر مايصنع أبو جعفر ؛ فأتاه فوجده محتبياً بسيفه ، فقال للخَصىّ : أجالسٌ أمير المؤمنين ؟ فقال له : قد تهيّأ للجلوس ، ثم رجع الخصىّ إلى أبى العباس فأخبره بما رأى منه ، فردّه إلى أبى جعفر وقال له : قل له الأمر الذى عزمتَ عليه لا تُنفِذْه فكفّ أبو جعفر .

* * *

[حج أبى جعفر المنصور وأبى مسلم]

وفى هذه السنة حجّ أبو جعفر المنصور وحجّ معه أبو مسلم .

* ذكر الخبر عن مسيرهما وعن وصفة مقدمهما على أبى العباس :

أما أبو مسلم فإنه — فيما ذُكِر عنه — لما أراد القدوم على أبى العباس، كتب يستأذنه فى القدوم للحجّ، فأذن له، وكتب إليه أن اقدم فى خمسمائة من الجُنْد، فكتب إليه أبو مسلم : إنّى قد وترتُ الناس ولستُ آمن على نفسى . فكتب إليه أن أقبِلْ فى ألف ؛ فإنما أنت فى سلطان أهلِك ودولتك ، وطريق مكة لا تحتمل العسكر ؛ فشخص فى ثمانية آلاف فرّقهم فيما بين نيسابور والرىّ ، ٨٧/٣ وقدِم بالأموال والخزائن فخلّفها بالرىّ ، وجمع أيضاً أموال الجبل، وشخص منها فى ألف وأقبل ؛ فلما أراد الدّخول تلقاه القوّاد وسائر الناس، ثم استأذن

أبا العباس فى الحجّ ، فأذن له ، وقال : لولا أنّ أبا جعفر حاجّ لوليتك الموسم .

وأما أبو جعفر فإنه كان أميرًا على الجزيرة ، وكان الواقدىّ يقول : كان إليه مع الجزيرة أرمينيّة وأذربيجان ، فاستخلف على عمله مقاتل بن حكيم العكىّ ، وقدم على أبى العباس فاستأذنه فى الحج ؛ فذكر علىّ بن محمد عن الوليد بن هشام عن أبيه أن أبا جعفر سار إلى مكة حاجًّا ، وحجّ معه أبو مسلم سنة ست وثلاثين ومائة ، فلما انقضى[1] الموسم أقبل أبو جعفر وأبو مسلم ، فلما كان بين البستان وذات عِرْق أتى أبا جعفر كتابٌ بموت أبى العباس؛ وكان أبو جعفر قد تقدّم أبا مسلم بمرحلة ، فكتب إلى أبى مسلم : إنه قد حدث أمرٌ فالعَجل العجل ، فأتاه الرسول فأخبره ، فأقبل حتى لحق أبا جعفر ، وأقبلا إلى الكوفة .

وفى هذه السنة عقد أبو العباس عبد الله بن محمد بن علىّ لأخيه أبى جعفر الخلافة مِنْ بعده ، وجعله ولىّ عهد المسلمين ، ومن بعد أبى جعفر عيسى ابن موسى بن محمد بن علىّ ، وكتب العهد بذلك ، وصيّره فى ثوب ، وختم عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ، ودفعه إلى عيسى بن موسى .

* * *

[ذكر الخبر عن موت أبى العباس السفاح]

وفيها توفِّىَ أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار يوم الأحد، لثلاث عشرة خلتْ من ذى الحجة . وكانت وفاته فيما قيل بالجدَرِىّ .

٨٨/٣ وقال هشام بن محمد : توفى لاثنتى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة .

واختلف فى مبلغ سنه يوم وفاته ، فقال بعضهم : كان له يوم توفِّىَ ثلاث وثلاثون سنة . وقال هشام بن محمد : كان يوم توفىَ ابن ست وثلاثين سنة ، وقال بعضهم : كان له ثمان وعشرون سنة .

وكانت ولايته من لَدُن قُتل مَرْوان بن محمد إلى أن تُوفىَ أربع سنين ، ومن لدن بويع له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر . وقال بعضهم : وتسعة أشهر . وقال الواقدّى : أربع سنين وثمانية أشهر منها ثمانية أشهر وأربعة

---

(١) ج : « فلما كان انقضاء » .

أيام يقاتل مروان .

وملك بعد مروان أربع سنين . وكان – فيما ذُكِر – ذاشعرة جَعْدة، وكان طويلا أبيض أقنَى الأنف ، حسنَ الوجه واللحية .

وأمه رَيْطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثىّ وكان وزيره أبو الجهم بن عطيّة .

وصلى عليه عمه عيسى بن علىّ ، ودفنه بالأنبار العتيقة فى قصره .

وكان – فيما ذكر – خلّف تسع جباب ، وأربعة أقمصة ، وخمسة سراويلات ، وأربعة طيالسة ، وثلاثة مطارف خزّ .

* * *

خلافة أبى جعفر المنصور

وهو عبد الله بن محمد

وفى هذه السنة بويع لأبى جعفر المنصور بالخلافة ؛ وذلك فى اليوم الذى توفىَ فيه أخوه أبو العباس ، وأبو جعفر يومئذ بمكة ؛ وكان الذى أخذ البيعة بالعراق لأبى جعفر بعد موت أبى العباس عيسى بن موسى ، وكتب إليه عيسى يُعلمه بموت أخيه أبى العباس وبالبيعة له .

وذكر علىّ بن محمد ، عن الهيثم ، عن عبد الله بن عيّاش ، قال : لما ٣/٨٩ حضرتْ أبا العباس الوفاة ، أمر الناس بالبيعة لعبد الله بن محمد أبى جعفر ، فبايع الناس له بالأنبار فى اليوم الذى مات فيه أبو العباس . وقام بأمر الناس عيسى بن موسى ، وأرسل عيسى بن موسى إلى أبى جعفر وهو بمكة محمد بن الحصين العبدىّ بموت أبى العباس ، وبالبَيْعة له ، فلقيه بمكان من الطريق يقال له زكيّة ، فلما جاءه الكتاب دعا الناس فبايعوه ، وبايعه أبو مسلم ، فقال أبو جعفر : أين موضعنا هذا ؟ قالوا : زكيّة ، فقال : أمر يَزْكَى لنا إن شاء الله تعالى .

وقال بعضهم : ورد على أبى جعفر البيعة له بعد ما صدر من الحجّ ، فى منزل من منازل طريق مكة ؛ يقال له صُفَيّة ، فتفاءل باسمه ، وقال : صَفَتْ لنا إن شاء الله تعالى .

* * *

٩٠/٣ رجع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد : فقال علىّ : حدّثنى الوليد ، عن أبيه ، قال : لما أتى الخبرُ أبا جعفر كتب إلى أبى مسلم وهو نازل بالماء ، قد تقدّمه أبو جعفر ، فأقبل أبو مسلم حتّى قدم عليه .

* * *

وقيل إن أبا مسلم كان هو الذى تقدّم أبا جعفر ، فعرف الخبر قبله ، فكتب إلى أبى جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم . عافاك الله وأمتع بك ؛ إنه أتانى أمر أفظعنى وبلغ منى مبلغاً لم يبلغه شىء قطّ ، لقيَنى محمد بن الحصين بكتاب من عيسى بن موسى إليك بوفاة أبى العباس أمير المؤمنين رحمه الله ، فنسأل الله أن يعظم أجرك ، ويُحسن الخلافة عليك ، ويبارك لك فيما أنت فيه ؛ إنه ليس من أهلك أحدٌ أشدّ تعظيماً لحقك وأصفى نصيحةً لك ، وحرصاً على ما يسرّك منى .

وأنفذ الكتاب إليه ، ثم مكث أبو مسلم يومه ومن الغد ، ثم بعث إلى أبى جعفر بالبيْعة ؛ وإنما أراد ترهيب أبى جعفر بتأخيرها .

* * *

رجع الحديث إلى حديث علىّ بن محمد : فلما جلس أبو مسلم ، ألقى إليه الكتاب ، فقرأه وبكى واسترجع . قال : ونظر أبو مسلم إلى أبى جعفر ، وقد جزع جزعاً شديداً فقال : ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة ؟ فقال : أتخوّف شرّ عبد الله بن علىّ وشيعة علىّ ، فقال : لا تخفه ؛ فأنا أكفيك أمره إن شاء الله ؛ إنما عامة جُنده ومَن معه أهل خُراسان ؛ وهم لا يعصوننى . فسُرّىَ عن أبى جعفر ما كان فيه . وبايع له أبو مسلم وبايع الناس ، وأقبلا حتى

٩١/٣ قدما الكوفة ، وردّ أبو جعفر زياد بن عبيد الله إلى مكة ، وكان قبل ذلك والياً عليها وعلى المدينة لأبى العباس .

وقيل : إن أبا العباس كان قد عزل قبل موته زياد بن عبيد الله الحارثىّ عن مكة ، وولاها العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس .

* * *

وفى هذه السنة قدم عبد الله بن علىّ على أبى العباس الأنبار ، فعقد له

أبو العباس على الصّائفة فى أهل خراسان وأهل الشأم والجزيرة والموصل . فسار فبلغ دلوك، ولم يُدْرِبْ حتّى أتته وفاة أبى العباس .

وفى هذه السنة بعث عيسى بن موسى وأبو الجهم يزيدَ بن زياد أبا غسان إلى عبد الله بن علىّ ببيعة المنصور ، فانصرف عبدُالله بن علىّ بمن معه من الجيوش ، قد بايع لنفسه حتّى قدم حرّان .

* * *

وأقام الحجّ للناس فى هذه السنة أبو جعفر المنصور ؛ وقد ذكرنا ما كان إليه من العمل فى هذه السنة ؛ ومن استخلف عليه حين شخص حاجًّا .

وكان على الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابن أبى ليلى . وعلى البصرة وعملها سليمان بن علىّ ، وعلى قضائها عبّاد بن المنصور . وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثى ؛ وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد ، وعلى مصر صالح ابن علىّ .

٩٢/٣ ## ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج عبد الله بن علىّ وهزيمته]

فمما كان فيها من ذلك قدُوم المنصور أبى جعفر من مكة ونزولُه الحيرة ، فوجد عيسى بن موسى قد شخص إلى الأنبار ، واستخلف على الكوفة طَلْحه ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، فدخل أبو جعفر الكوفة فصلّى بأهلها الجمعة يوم الجمعة ، وخطبهم وأعلمهم أنه راحل عنهم ؛ ووافاه أبو مسلم بالحيرة ، ثم شخص أبو جعفر إلى الأنبار وأقام بها ، وجمع إليه أطرافه .

وذكر علىّ بن محمد عن الوليد ، عن أبيه ، أنّ عيسى بن موسى كان قد أحرز بيوت الأموال والخزائن والدّواوين ؛ حتى قدم عليه أبو جعفر الأنبار ، فبايع الناس له بالخلافة ، ثم لعيسى بن موسى من بعده ؛ فسلم عيسى بن موسى إلى أبى جعفر الأمْر ؛ وقد كان عيسى بن موسى بعث أبا غَسّان — واسمه يزيد بن زياد ، وهو حاجب أبى العباس — إلى عبد الله بن علىّ ببيعة أبى جعفر ؛ وذلك بأمرِ أبى العباس قبل أن يموت حين أمر الناس بالبيعة لأبى جعفر من بعده ، فقدم أبو غسان على عبد الله بن علىّ بأفواه الدروب ، متوجّهاً يريد الروم ؛ فلما قدم عليه أبو غسان بوفاة أبى العباس وهو نازل بموضع يقال له دُلُوك ، أمر منادياً فنادى : الصلاة جامعة فاجتمع إليه القوّاد والجند ، فقرأ عليهم الكتاب بوفاة أبى العباس ، ودعا الناس إلى نفسه ؛ وأخبرهم أن
٩٣/٣ أبا العباس حين أراد أن يُوجّه الجنود إلى مَرْوان بن محمد دعا بنى أبيه ؛ فأرادهم على المسير إلى مروان بن محمد ، وقال : من انتدب منكم فسار إليه فهو ولىّ عهدى ، فلم ينتدب له غيرى ؛ فعلى هذا خرجتُ من عنده ، وقتلتُ من قتلت . فقام أبو غانم الطائىّ وخُفاف المروروذىّ فى عدّة من قوّاد أهل خُراسان ، فشهدوا له بذلك ؛ فبايعه أبو غانم وخُفاف وأبو الأصبَغ وجميعُ مَن كان معه

من أولئك القوّاد، فيهم حُمَيد بن قَحْطبة وخُفاف الجرجانىّ وحيّاش بن حبيب ومخارق بن غِفار وتُرارخُدا وغيرهم من أهل خُراسان والشام والجزيرة، وقد نزل تلّ محمد، فلما فرغ من البَيْعة ارتحل فنزل حَرّان، وبها مُقاتل العكىّ — وكان أبو جعفر استخلفه لما قدم على أبى العباس — فأراد مقاتلا على البيعة فلم يجبْه، وتحصّن منه، فأقام عليه وحصره حتى استنزله من حِصْنه فقتله.

وسرّح أبو جعفر لقتال عبد الله بن علىّ أبا مسلم؛ فلما بلغ عبدَالله إقبالُ أبى مسلم أقام بحرّان، وقال أبو جعفر لأبى مسلم: إنما هو أنا أو أنت؛ فسار أبو مسلم نحو عبد الله بحرّان، وقد جمع إليه الجنود والسلاح، وخندق وجمع إليه الطعام والعلوفة وما يصلِحه، ومضى أبو مسلم سائراً من الأنبار؛ ولم يتخلّف عنه من القوّاد أحدٌ، وبعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعىّ؛ وكان معه الحسن وحميد ابنا قحطبة، وكان حميد قد فارق عبد الله بن علىّ، وكان عبد الله أراد قتله، وخرج معه أبو إسحاق وأخوه وأبو حُميد وأخوه ٣/٩٤
وجماعة من أهل خراسان؛ وكان أبو مسلم استخلف على خراسان حيث شخص خالد بن إبراهم أبا داود.

قال الهيثم: كان حصار عبد الله بن علىّ مقاتلا العكىّ أربعين ليلة، فلما بلغه مسيرُ أبى مسلم إليه، وأنه لم يظفر بمقاتل، وخشى أن يهجم عليه أبو مسلم أعطى العكىّ أمانًا، فخرج إليه فيمن كان معه، وأقام معه أياماً يسيرة، ثم وجّهه إلى عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدىّ إلى الرّقة ومعه ابناه، وكتب إليه كتاباً دفعه إلى العكىّ، فلما قدموا على عثمان قتل العكىّ وحبس ابنيه، فلما بلغه هزيمة عبد الله بن علىّ وأهل الشأم بنصيبين أخرجهما فضرب أعناقهما.

وكان عبد الله بن علىّ خشى ألا يناصحه أهل خراسان، فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفًا؛ أمر صاحب شُرَطه فقتلهم؛ وكتب لحميد بن قحطبة كتابًا ووجّهه إلى حلب، وعليها زُفَر بن عاصم وفى الكتاب: إذا قدم عليك حُميد بن قحطبة فاضرب عنقَه، فسار حميد حتى إذا كان ببعض الطريق فكّر فى كتابه، وقال: إنّ ذهابى بكتاب ولا أعلم ما فيه لغَرَر، ففكّ

الطومار فقرأه ، فلما رأى ما فيه دعا أناساً من خاصته فأخبرهم الخبر ، وأفشى إليهم أمره ، وشاورهم ، وقال : مَن أراد منكم أن ينجوَ ويهرب فليَسِرْ معى ؛ فإنى أريد أن آخذ طريق العراق ، وأخبرهم ما كتب به عبد الله بن علىّ فى أمره ، وقال لهم : مَنْ لم يرد منكم أن يحمل نفسه على السير فلا يفشينّ سرّى ،
٩٥/٣ وليذهب حيث أحبّ .

قال : فاتّبعه على ذلك ناس من أصحابه ، فأمر حميد بدوابّه فأنعلت [١] ، وأنعل أصحابه دوابّهم ، وتأهبوا للمسير معه ، ثم فوّز [٢] بهم وبهرجَ الطريق [٣] فأخذ على ناحية من الرّصافة ؛ رصافة هشام بالشأم ، وبالرّصافة يومئذ مولى لعبد الله بن علىّ يقال له سعيد البربرىّ ، فبلغه أنّ حُميد بن قحطبة قد خالف عبد الله بن علىّ ، وأخذ فى المفازة ، فسار فى طلبه فيمن معه من فُرسانه ؛ فلحقه ببعض الطريق ، فلما بصر به حُميد ثنى فرَسه نحوه حتّى لقيَه ، فقال له : ويحك ! أما تعرفنى ! والله ما لك فى قتالى من خَيْر فارجع ؛ فلا تقتل أصحابى وأصحابك ، فهو خير لك . فلما سمع كلامه عرف ما قال له ، فرجع إلى موضعه بالرُّصافة ، ومضى حُميد ومَن كان معه ، فقال له صاحب حَرَسه موسى بن ميمون : إن لى بالرُّصافة جاريةً ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لى فآتيَها فأوصيها ببعض ما أريد ، ثم ألحقك ! فأذن له فأتاها ، فأقام عندها ، ثم خرج من الرُّصافه يريد حُميداً ، فلقيه سعيد البربرىّ مولى عبد الله بن علىّ ، فأخذه فقتله ؛ وأقبل عبد الله بن علىّ حتّى نزل نَصيبين ، وخندق عليه .

وأقبل أبو مسلم . وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قحطبة — وكان خليفته بأرمينيَة — أن يوافىَ أبا مسلم ، فقدم الحسن بن قحطبة على أبى مسلم وهو بالموْصِل ، وأقبل أبو مسلم ، فنزل ناحية لم يعرِض له ، وأخذ طريق الشأم ، وكتب إلى عبد الله : إنى لم أومَر بقتالك ، ولم أوجَّه له ، ولكن أمير المؤمنين ولاّنى الشأم ؛ وإنما أريدها ؛ فقال مَنْ كان مع عبد الله من أهل الشأم لعبد الله : كيف نقيم معك وهذا
٩٦/٣ يأتى بلادنا ، وفيها حرمُنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ، ويسبِى ذراريّنا !

---

(١) نعل الدابة : ما ولى به حافرها وخفها ؛ وأنعل الدابة : وضع لها ذلك النعل .
(٢) فوز : سلك المفازة .
(٣) بهرج الطريق : أى سلك بهم غير المحجة .

ولكنا نخرج إلى بلادنا فنمنعه حَرَمنا وذراريّنا ونقاتله إن قاتلنا ، فقال لهم عبد الله بن علىّ : إنه والله ما يريد الشأم ، وما وُجّه إلا لقتالكم ، ولئن أقمتم ليأتينّكم . قال : فلم تطب أنفسهُم ، وأبوْا إلا المسير إلى الشأم .

قال : وأقبل أبو مسلم فعسكر قريبًا منهم ، وارتحل عبد الله بن علىّ من عسكره متوجّهًا نحو الشأم ، وتحوّل أبو مسلم حتّى نزل فى معسكر عبد الله ابن علىّ فى موضعه ، وعوّر(١) ما كان حوله من المياه ، وألقى فيها الجيَف . وبلغ عبد الله بن علىّ نزول أبى مسلم معسكره ، فقال لأصحابه من أهل الشأم : ألم أقل لكم ! وأقبل فوجد أبا مسلم قد سبقه إلى معسكره ، فنزل فى موضع عسكر أبى مسلم الذى كان فيه ، فاقتتلوا أشهراً خمسة أو ستة ، وأهل الشأم أكثر فرسانًا وأكمل عُدّة ، وعلى ميمنة عبد الله بكار بن مسلم العقيلىّ ، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدىّ ، وعلى الخيل عبد الصمد بن علىّ ، وعلى ميمنة أبى مسلم الحسن بن قحطبة ، وعلى الميسرة أبو نصر خازم بن خزيمة ، فقاتلوه أشهراً .

قال علىّ : قال هشام بن عمرو التّغلبىّ : كنت فى عسكر أبى مسلم ، فتحدّث الناس يومًا ، فقيل : أىُّ الناس أشدّ ؟ فقال : قولوا حتى أسمع ، فقال رجل: أهل خراسان . وقال آخر : أهل الشأم ، فقال أبو مسلم : كلّ قوم فى دولتهم أشدّ الناس . قال : ثم التقينا ، فحمل علينا أصحاب عبد الله بن علىّ فصدمونا صدمةً أزالونا بها عن مواضعنا ، ثم انصرفوا . وشدّ علينا ٩٧/٣
عبد الصمد فى خيل مجرّدة ، فقتل منا ثمانية عشر رجلا ، ثم رجع فى أصحابه ، ثم تجمعوا(٢) فرموْا بأنفسهم : فأزالوا صفّنا وجُلْنَا جَوْلة ، فقلت لأبى مسلم : لو حرّكتُ دابتى حتى أشرف [على] (٣)هذا التلّ فأصيح بالناس ، فقد انهزموا ! فقال : افعل ، قال : قلت : وأنت أيضًا فحرّك دابتك ، فقال : إن أهل الحِجَى لا يعطفون دوابهم على هذه الحال ، نادِ : يا أهل خُراسان ارجعوا ؛ فإن العاقبة(٤) لمن اتّقى .

(١) عور المياه : أى ردم العيون .
(٢) ابن الأثير : « ورجعوا » .
(٣) من ت .
(٤) ابن الأثير : « العافية » .

قال : ففعلت ، فتراجع الناس ، وارتجز أبو مسلم يومئذ فقال :

مَنْ كان ينوى أهله فلا رجَعْ فَرَّ مِنَ الموت وفى الموت وقَعْ

قال : وكان قد عُمِل لأبى مسلم عريش، فكان يجلس عليه إذا التقى الناس فينظر إلى القتال ، فإن رأى خللا فى الميمنة أو فى الميسرة أرسل إلى صاحبها : إنّ فى ناحيتك[1] انتشاراً، فاتّق ألّا نؤتَى من قِبَلك ؛ فافعل كذا ، قدّم خيلك كذا ، أو تأخّر[2] كذا إلى موضع كذا ، فإنما رسله تختلف إليهم برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعض .

قال : فلما كان يوم الثلاثاء – أو الأربعاء – لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ومائة – أو سبع وثلاثين ومائة – التقوْا فاقتتلوا قتالاً شديداً . فلما رأى ذلك أبو مسلم مكَر بهم ، فأرسل إلى الحسن بن قحطبة – وكان على ميمنته – أن أعْرِ الميمنة ، وضُمّ أكثرها إلى الميسرة، وليكنْ فى الميمنة حماة أصحابك وأشدّاؤهم . فلما رأى ذلك أهلُ الشأم أعرَوْا ميسرتهم ،

٣/٩٨ وانضموا إلى ميمنتهم بإزاء ميسرة أبى مسلم . ثم أرسل أبو مسلم إلى الحسن أن مُرْ أهل القلب فليحملوا مع مَنْ بقى فى الميمنة على ميسرة أهل الشأم، فحملوا عليهم فحطموهم ، وجال[3] أهل القلب والميمنة .

قال : وركبهم أهلُ خراسان، فكانت الهزيمة، فقال عبد الله بن علىّ لابن سراقة الأزدىّ – وكان معه : يابن سراقة ، ما ترى ؟ قال : أرى والله أن تصبر وتقاتل حتى تموت؛ فإنّ الفرار قبيح بمثلك ، وقبلُ عبتَه على مَرْوان، فقلتَ : قبح الله مَرْوان ! جزع من الموت ففرّ ! قال : فإنى آتى العراق، قال : فأنا معك، فانهزموا وتركوا عسكرهم ، فاحتواه أبو مسلم ، وكتب بذلك إلى أبى جعفر . فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب مولاه يُحصِى ما أصابوا فى عسكر عبد الله بن علىّ ، فغضب من ذلك أبو مسلم . ومضى عبد الله بن علىّ وعبد الصمد بن على ؛ فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فآمنه أبو جعفر ، وأما عبد الله بن علىّ فأتى سليمانَ بن علىّ بالبصرة ، فأقام عنده . وآمن أبو مسلم الناسَ فلم يقتل أحداً ، وأمر بالكفّ عنهم .

(١) ب : « إن ناحيتك فيها » . (٢) ج : « وتأخر » . (٣) ج : «وحال» .

ويقال : بل استأمن لعبد الصمد بن علىّ إسماعيل بن علىّ .

وقد قيل : إن عبد الله بن علىّ لما انهزم مضى هو وعبد الصمد أخوه إلى رُصافة هشام ، فأقام عبد الصمد بها حتّى قدِمت عليه خيول المنصور ، وعليها جهور[1] بن مرّار العجلىّ ، فأخذه فبعث به إلى المنصور مع أبى الخصيب مولاه موثقًا ، فلما قدم عليه أمر بصْرفه إلى عيسى بن موسى ، فآمنه عيسى وأطلقه وأكرمه ، وحباه وكساه .

وأما عبد الله بن علىّ فلم يلبث بالرّصافة إلا ليلة، ثم أدلَج فى قواده ومواليه حتّى قدم البصرة على سليمان بن علىّ وهو عاملها يومئذ ، فآواهم سليمان وأكرمهم ٣/ ٩٩ وأقاموا عنده زمانًا متوارين .

* * *

[ذكر خبر قتل أبى مسلم الخراسانىّ]

وفى هذه السنة قُتل أبو مسلم .

* ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك :

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا سلمة بن محارب ومسلم بن المغيرة وسعيد بن أوس وأبو حفص الأزدىّ والنعمان أبو السرىّ ومحرز بن إبراهيم وغيرهم ، أن أبا مسلم كتب إلى أبى العباس يستأذنه فى الحجّ — وذلك فى سنة ست وثلاثين ومائة — وإنما أراد أن يصلى بالناس . فأذن له ، وكتب أبو العباس إلى أبى جعفر وهو على الجزيرة وأرمينيَة وأذْرَبيجان : إن أبا مسلم كتب إلىّ يستأذن فى الحجّ وقد أذنتُ له ؛ وقد ظننتُ أنه إذا قدم يريد أن يسألنى أن أوليّه إقامة الحجّ للناس ، فاكتب إلىّ تستأذنى فى الحج ؛ فإنك إذا كنتَ بمكة لم يطمع أن يتقدّمك . فكتب أبو جعفر إلى أبى العباس يستأذنه فى الحجّ فأذن له ، فوافى الأنبار ، فقال أبو مُسلم : أما وجد أبو جعفر عامًا يحجّ فيه غيرَ هذا ! واضطغنها عليه .

* * *

قال علىّ : قال مسلم بن المغيرة : استخلف أبو جعفر على أرمينيَة فى تلك

---

(١) ج : « جمهور » .

السنة الحسن بن قحطبة . وقال غيره : استعمل رضيعه يحيى بن مسلم بن عُروة — وكان أسود مولًى لهم — فخرجا إلى مكة فكان أبو مسلم يصلح العِقَاب[1] ويكسو الأعراب فى كلّ منزل ، ويصلُ من سأله ، وكسا الأعراب البُتوت
٣/١٠٠ والملاحف ، وحفر الآبار ، وسهل الطرق ؛ فكان الصوت له ؛ وكان الأعراب يقولون: هذا المكذوب عليه ؛ حتّى قدم مكة فنظر إلى اليمانية[2] فقال لنيزك — وضرب جنبه — : يا نيزكُ ، أىّ جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان سريع الدمعة !

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث الأولين . قالوا : لما صدر الناس عن الموسم ، نفر أبو مسلم قبل أبى جعفر، فتقدّمه ، فأتاه كتابٌ بموت أبى العباس واستخلاف أبى جعفر ، فكتب أبو مسلم إلى أبى جعفر يعزّيه بأمير المؤمنين ؛ ولم يهنّئه بالخلافة ، ولم يقم حتّى يلحقه ولم يرجع ؛ فغضب أبو جعفر فقال لأبى أيوب : اكتب إليه كتابًا غليظًا ؛ فلما أتاه كتاب أبى جعفر كتب إليه يهنئه بالخلافة ، فقال يزيد بن أسيد السُّلمىّ لأبى جعفر : إنى أكره أن تجامعه فى الطريق والناس جنده ؛ وهم له أطوعُ ، وله أهيب ، وليس معك أحدٌ . فأخذ برأيه ، فكان يتأخّر ويتقدّم أبو مسلم ، وأمر أبو جعفر أصحابَه فقدموا ، فاجتمعوا جميعًا وجمع سلاحهم ؛ فما كان فى عسكره إلّا ستة أذرع ، فمضى أبو مسلم إلى الأنبار ، ودعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له ؛ فأبى عيسى ، فقدم أبو جعفر فنزل الكوفة ؛ وأتاه أن عبد الله بن علىّ قد خلع ، فرجع إلى الأنبار ، فدعا أبا مسلم ، فعقد له ، وقال له : سِرْ إلى ابن علىّ ، فقال له أبو مسلم : إن عبد الجبار بن عبد الرحمن وصالح بن الهيثم يعيبانى فاحبسهما ، فقال
٣/١٠١ أبو جعفر : عبد الجبار على شُرَطِى — وكان قبل على شُرط أبى العباس — وصالح بن الهيثم أخو أمير المؤمنين من الرّضاعة ، فلم أكن لأحبسهما[3] لظنك بهما ؛ قال : أراهما آثرَ عندك منى ! فغضب أبو جعفر ، فقال أبو مسلم : لم أرد كلّ هذا .

---

(١) ب : « العفاة » . (٢) ج : « أهل اليمامة » .
(٣) ج : « أحبسهما » .

قال علىّ : قال مسلم بن المغيرة : كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينية فلما وجّه أبو مسلم إلى الشأم كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيه ويسير معه ، فقدمنا على أبى مسلم وهو بالموصل فأقام[1] أياماً ، فلما أراد أن يسير ، قلت للحسن : أنتم تسيرون إلى القتال[2] وليس بك إلىّ حاجة ، فلو أذنتَ لى فأتيت العراق ، فأقمت حتى تقدموا إن شاء الله ! قال : نعم ؛ لكن أعلمْنى إذا أردتَ الخروج ، قلت : نعم ، فلما فرغت وتهيأت[3] أعلمته ، وقلتُ : أتيتُك أودّعك ، قال : قف[4] لى بالباب حتى أخرُج إليك ، فخرجتُ فوقفتُ وخرج ، فقال : إنّى أريد أن ألقى إليك شيئاً لتبلغه أبا أيوب ، ولولا ثقتى بك لم أخبرْك[5] ، ولولا مكانك من أبى أيوب لم أخبرْك ؛ فأبلغْ أبا أيوب أنى قد ارتبتُ بأبى[6] مسلم منذ قدمتُ عليه ، إنّه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرؤه ، ثم يلوى شدقه ، ويرمى بالكتاب إلى أبى نصر ، فيقرؤه ويضحكان استهزاء ؛ قلتُ : نعم قد فهمت ؛ فلقيتُ أبا أيوب وأنا أرى أن قد أتيته بشىء ، فضحك ، وقال : نحن لأبى مسلم أشدّ تُهمةً منّا لعبد الله بن علىّ إلاّ أنا نرجو واحدةً ؛ نعلم أنّ أهل خُراسان لا يحبون عبد الله بن علىّ ، وقد قَتَل منهم من قَتَل ؛ وكان عبد الله بن علىّ حين خَلَع خاف أهلَ خُراسان ، فقتل منهم سبعة عشر ألفاً ؛ أمر صاحب شرطته حيّاش بن حبيب ١٠٢/٣ فقتلهم .

قال علىّ : فذكر أبو حفص الأزدىّ أن أبا مسلم قاتل عبد الله بن علىّ فهزمه ، وجمّع ما كان فى عسكره من الأموال فصيّره فى حظيرة ، وأصاب عيناً ومتاعاً وجوهراً كثيراً ؛ فكان منثوراً فى تلك الحظيرة ؛ ووكّل بها وبحفظها قائداً من قوّاده ، فكنت فى أصحابه ، فجعلها نوائب بيننا ، فكان إذا خرج رجل من الحظيرة فتّشه ، فخرج أصحابى يوماً من الحظيرة وتخلفت ، فقال لهم الأمير : ما فعل أبو حفص ؟ فقالوا : هو فى الحظيرة ، قال : فجاء فاطلع

(١) ج : « فأقمنا » .
(٢) ط : « والقتال » ، والصواب ماأثبته من ت .
(٣) ج : « فتهيأت فلما فرغت » .
(٤) ج : « فقف » .
(٥) ج : « لم أبلغك » .
(٦) ت : « رأى » .

من الباب ، وفطِنت له فنزعت خُفَّىّ وهو ينظر ، فنفضتهما وهو ينظر ، ونفضت سراويلى وكُمّى ، ثم لبست خفى وهو ينظر ، ثم قام فقعد فى مجلسه وخرجت ، فقال لى : ما حبسك ؟ قلت : خير ، فخلا بى ، فقال : قد رأيتُ ما صنعتَ فلِمَ صنعتَ هذا ؟ قلت : إنّ فى الحظيرة لؤلؤاً منثوراً ودراهم منثورة ؛ ونحن نتقلب عليها ، فخفت أن يكون قد دخل فى خُفّى منها شىء ، فنزعت خُفّى وجوربىّ ؛ فأعجبه ذلك وقال : انطلق ، فكنت أدخل الحظيرة مع من يحفظ فآخذ من الدراهم ومن تلك الثياب الناعمة فأجعل بعضها فى خفى وأشدّ بعضها على بطنى ، ويخرج أصحابى فيفتَّشون ولا أفتَّش ، حتى جمعت مالا ، قال : وأما اللؤلؤ فإننى لم أكن أمسّه .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث الذين ذكر علىّ عنهم قصة أبى مسلم فى أول الخبر . قالوا : ولما انهزم عبد الله بن علىّ بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى
١٠٣/٣ أبى مسلم ليكتب له ما أصاب من الأموال ، فافترى أبو مسلم على أبى الخصيب وهمّ بقتله ، فكلِّم فيه ؛ وقيل : إنما هو رسول ، فخلّ سبيلَه . فرجع إلى أبى جعفر ، وجاء القوّاد إلى أبى مسلم ، فقالوا : نحن ولينا أمر هذا الرجل ، وغنِمْنا عسكره ، فلم يُسأل عما فى أيدينا ؛ إنما لأمير المؤمنين مِنْ هذا الخُمْس . فلما قدم أبو الخصيب على أبى جعفر أخبره أنّ أبا مسلم همّ بقتله . فخاف أن يمضىَ أبو مسلم إلى خُراسان ، فكتب إليه كتاباً مع يقطين ؛ أن[١] قد وليتك مصر والشأم ؛ فهى خير لك من خُراسان ، فوجّه إلى مِصر من أحببت ، وأقم بالشأم فتكون بقرب أمير المؤمنين ؛ فإن أحبّ لقاءك أتيتَه من قريب . فلما أتاه الكتاب غضب ، وقال : هو يولينى الشأم ومصر ، وخراسان لى ! واعتزم[٢] بالمضىّ إلى خراسان ، فكتب يقطين إلى أبى جعفر بذلك .

وقال غير من ذكرت خبره : لما ظفِر أبو مسلم بعسكر عبد الله بن علىّ بعث المنصور يقطين بن موسى ، وأمره أن يحصىَ ما فى العسكر ، وكان أبو مسلم يسميه « يلك دين » ، فقال أبو مسلم : يا يقطين ،

(١) ت : « إنى » . (٢) ط : « وأعتزم » .

أمين على الدماء خائن في الأموال ! وشتم أبا جعفر ، فأبلغه يقطين ذلك . وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعًا على الخلاف ؛ وخرج من وجهه معارضًا يريد خراسان ؛ وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن ؛ وكتب إلى أبي مسلم في المصير إليه . فكتب أبو مسلم ، وقد نزل الزّاب وهو على الرّواح إلى طريق حُلوان : إنه لم يبق لأمير المؤمنين أكرمه الله عدوّ إلا أمكنه الله منه ؛ وقد كنّا نروِى عن ملوك آل ساسان : أنّ أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء ؛
١٠٤/٣ فنحن نافرون من قربك ، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيتَ ، حريُّون بالسمع والطاعة ؛ غير أنها من بعيد (١) حيث تقارنها السلامة ، فإن أرضاك ذاك فأنا كأحسن عبيدك ؛ فإن أبيتَ إلا أن تعطىَ نفسك إرادتَها نقضتُ ما أبرمْت من عهدك ، ضنًّا بنفسي . فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم : قد فهمتُ كتابك ؛ وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغَشَشة ملوكهم ، الذين يتمنوْن اضطراب حبْل الدولة لكثرة جرائمهم ؛ فإنما راحتُهم في انتشار نظام الجماعة ؛ فلمَ سوّيْت نفسك بهم ، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به ! وليس مع الشريطة التي أوجبتَ منك سمع (٢) ولا طاعة . وحمّل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكُنَ إليها إن أصْغَيْت إليها ، وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك ؛ فإنه لم يجد بابًا يفسد به نيتك أوكدَ عنده ، وأقرب من طِبّه (٣) من الباب الذى فتحه عليك . ووجه إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجليّ ؛ وكان واحد أهل زمانه ، فخدعه وردّه ، وكان أبو مسلم يقول : والله لأقتلَنّ بالروم ؛ وكان المنجمون يقولون ذلك ؛ فأقبل والمنصور في الرومية في مضارب ، وتلقاه الناس وأنزله وأكرمه أيامًا .

١٠٥/٣ وأما عليّ فإنه ذكر عن شيوخه الذين تقدّم ذكرنا لهم أنهم قالوا : كتب أبو مسلم إلى أبي جعفر : أما بعد ؛ فإني اتخذت رجلا (٤) إمامًا ودليلا على ما افترضه الله على خلقه ؛ وكان في مَحلّة العلم نازلا ، وفي قرابته من رسول الله صلى الله عليه

(١) ت : « بعد » .
(٢) ط : « سماع » .
(٣) ب ، ت : « ظنه » . والطب هنا : السحر .
(٤) يعني أخاه إبراهيم الإمام .

وسلم قريباً ؛ فاستجهلنى بالقرآن فحرّفه عن مواضعه ، طمعاً فى قليل قد تعافاه الله إلى خلقه ؛ فكان كالذى دُلّى[١] بغرور ؛ وأمرنى أن أجرّد السيف ، وأرفع الرحمة ، ولا أقبل المعذرة ، ولا أقيل العثرة ، ففعلت توطيداً[٢] لسلطانكم حتى عرّفكم الله من كان جهلكم ، ثم استنقذنى الله بالتّوْبة ؛ فإن يعف عنى فقِدْماً عُرِف به ونسِب إليه ؛ وإن يعاقبنى فبما قدمّت يداى وما الله بظلام للعبيـــد .

وخرج أبو مسلم يريد خُراسان مراغما مشاقّاً[٣] ، فلما دخل أرضَ العراق ، ارتحل المنصور من الأنْبار، فأقبل حتى نزل المدائن ، وأخذ أبو مسلم طريق حُلْوان ؛ فقال : رُبَّ أمرٍ لله دون حُلوان . وقال أبو جعفر لعيسى بن علىّ وعيسى بن موسى ومَنْ حضره من بنى هاشم : اكتبوا إلى أبى مسلم ؛ فكتبوا إليه يعظمون أمره ، ويشكرون له ما كان منه ، ويسألونه أن يتمّ[٤] على ما كان منه وعليه من الطاعة ، ويحذّرونه عاقبة الغدر ، ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين ، وأن يلتمس رضاه . وبعث بالكتاب أبو جعفر مع أبى حميد المروروذىّ ، وقال له : كلم أبا مسلم بألين ما تكلّم به أحداً ، ومنّه وأعلمه أنى رافعه وصانـع به ما لم يصنعه أحد ، إن هو صلح وراجع ما أحبّ ؛ فإن أبى أن يرجع فقلْ له : يقول لك أمير المؤمنين : لستُ للعباس[٥] وأنا برىء ١٠٦/٣
من محمد ، إن مضيتَ مشاقّاً ولم تأتنى ، إن وكلت أمرَك إلى أحد سواى ، وإن[٦] لم ألِ طلبك وقتالك بنفسى ؛ ولو خُضْتَ البحر لخضتُه ، ولو اقتحمتَ النار لاقتحمتُها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك . ولا تقولنّ له هذا الكلام حتى تأيس من رجوعه ، ولا تطمع منه فى خير .

فسار أبو حُميد فى ناس من أصحابه ممن يثق بهم ؛ حتى قدموا على أبى مسلم بحُلْوان ، فدخل أبو حميد وأبو مالك وغيرهما ، فدفع إليه الكتاب ، وقال له : إنّ الناس يبلّغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله ، وخلاف ما عليه رأيه فيك ؛ حسداً وبغياً ؛ يريدون إزالة النعمة وتغييرَها ؛ فلا تفسد ما كان

---

(١) دلى ، أى أطمع . (٢) ت : « توطئة » .
(٣) راغمهم : نابذهم وهجرهم وعاداهم ، وشاقهم : خالفهم .
(٤) أن يتم على ما كان منه ، أى يستمر عليه .
(٥) ابن الأثير : « من العباس » . (٦) : « ولم آل » .

منك ؛ وكلّمه . وقال : يا أبا مسلم ، إنك لم تزل أمينَ آل محمد ؛ يعرفك بذلك الناس ، وما ذخر الله لك من الأجر عنده فى ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك ، فلا تحبطْ أجرَك ، ولا يستهوينّك الشيطان ، فقال له أبو مسلم : متى كنتَ تكلّمنى بهذا الكلام ! قال : إنك دعوتَنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبىّ صلى الله عليه وسلم بنى العباس ، وأمرتَنا بقتال مَن خالف ذلك ؛ فدعوتنا من أرَضين متفرّقة وأسباب مختلفة ، فجمعنا الله على طاعتهم ، وألف بين قلوبنا بمحبّتهم ، وأعزّنا بنصرنا لهم ، ولم نلق منهم رجلاً إلا بما قذف الله فى قلوبنا ، حتى أتيناهم فى بلادهم ببصائر نافذة ، وطاعة خالصة ؛ أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أمَلنا أن تُفسد أمرنا ، وتفرّق كلمتنا ؛ وقد قلت لنا : مَنْ خالفكم فاقتلوه ، وإن خالفتُكم فاقتلونى! فأقبَل على أبى نصر ، ١٠٧/٣
فقال: يا مالك، أما تسمع ما يقول لى هذا ! ما هذا بكلامه يا مالك[1] ! قال : لا تسمع كلامه ، ولا يهولنك هذا منه ؛ فلعمرى لقد صدقتَ ما هذا كلامه ؛ ولَمَا بعد هذا أشدّ منه ؛ فامض لأمرك ولا ترجعْ ؛ فوالله لئن أتيتَه ليقتلنّك ؛ ولقد وقع فى نفسه منك شىء لا يأمنك أبداً . فقال : قوموا ، فنهضوا ، فأرسل أبو مسلم إلى نيزك ، وقال : يا نيزك ، إنى والله ما رأيت طويلاً أعقَل منك ، فما ترى ، فقد جاءت هذه الكتب ، وقد قال القوم ما قالوا ؟ قال : لا أرى أن تأتيَه ، وأرى أن تأتى الرىّ فتقيم بها ، فيصير ما بين خراسان والرّى لك ؛ وهم جندُك ما يخالفك أحدٌ ؛ فإن استقام لك استقمتَ له ، وإن أبى كنتَ فى جندك ، وكانت خراسان من ورائك ، ورأيت رأيك . فدعا أبا حميد ، فقال : ارجع إلى صاحبك ، فليس من رأيى أن آتيَه . قال : قد عزمت على خلافه ؟ قال : نعم ، قال: لا تفعل، قال: ما أريد أن ألقاه؛ فلما آيسه من الرجوع ، قال له ما أمره به أبو جعفر ، فوجَم طويلا ، ثم قال : قم . فكَسره ذلك القول ورعّبه .

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبى داود — وهو خليفة أبى مسلم بخُراسان— حين اتّهم أبا مسلم : إنّ لك إمْرَة خراسان ما بقيتُ . فكتب

---

(١) هو مالك بن الهيثم الخزاعى أبو نصر ، وكان على شرط أبى مسلم .

أبو داود إلى أبى مسلم : إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيّه صلى الله عليه وسلم ، فلا تخالفنّ إمامك ولا ترجعنّ إلا بإذنه . فوافاه كتابه على تلك الحال ؛ فزاده رُعبًا وَهمًّا ، فأرسل إلى أبى حُميد وأبى مالك فقال لهما : إنى قد كنت معتزمًا على المضىّ إلى خراسان ، ثم رأيت أن أوجّه أبا إسحاق
١٠٨/٣ إلى أمير المؤمنين فيأتينى برأيه ؛ فإنه ممن أثق به فوجهه ، فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكلّ ما يحبّ ، وقال له أبو جعفر : اصرفه عن وجهه ؛ ولك ولاية خراسان ؛ وأجازه . فرجع أبو إسحاق إلى أبى مُسلم ، فقال له : ما أنكرتُ شيئًا ، رأيتهم معظمين لحقك ، يرون لك ما يرون لأنفسهم . وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين ، فيعتذر إليه مما كان منه ، فأجمع على ذلك ، فقال له نيزك : قد أجمعتَ على الرجوع ؟ قال : نعم ، وتمثّل :

ما للرجال مع القضاء مَحَالَةٌ ذَهَبَ القضاءُ بحيلة الأقوامِ

فقال : أمّا(1) إذ اعتزمتَ على هذا فخار الله لك ؛ واحفظْ عنى واحدة ؛ إذا دخلتَ عليه فاقتله ، ثم بايع لمن شئت ؛ فإنّ الناس لا يخالفونك . وكتب أبو مسلم إلى أبى جعفر يخبره أنه منصرف إليه .

قالوا : قال أبو أيوب : فدخلتُ يومًا على أبى جعفر وهو فى خباء شَعر بالروميّة جالساً على مُصلّى بعد العصر ، وبين يديه كتاب أبى مسلم ، فرمى به إلىّ فقرأته ، ثم قال : والله لئن ملأت عينى منه لأقتلنّه ، فقلت فى نفسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ! طلبتُ الكتابة حتى إذا بلغتُ غايتها فصرتُ كاتبًا للخليفة ، وقع هذا بين الناس ! والله ما أرى أنا إن قُتِل يرض أصحابُه بقتله ، ولا يدَعُون هذا حيًّا ، ولا أحداً ممن هو بسبيل منه ؛ وامتنع منى النوم ، ثم قلتُ : لعلّ الرّجل يقدَم وهو آمن ؛ فإن كان آمنًا فعسى أن ينال ما يريد ؛ وإن قدم وهو حَذِر لم يقدر عليه إلا فى شرّ ، فلو التمست حيلة ! فأرسلتُ إلى سلمة بن سعيد بن جابر ، فقلت له : هل عندك شكر ؟ فقال : نعم ،
١٠٩/٣ فقلت : إن وليتُك ولاية تصيب منها مثل ما يصيب صاحب العراق ، تدخل معك حاتم بن أبى سليمان أخى ؟ قال : نعم ، فقلت — وأردت أن يطلع ولا

(1) كذا فى ت ، وفى ط : « إذا عزمت » .

ينكر : وتجعل له النصف ؟ قال : نعم ، قلت : إنّ كَسْكَر كالت[١] عامَ أوّل كذا وكذا ، ومنها العام أضعاف ما كان عام أوّل ؛ فإن دفعتَها إليك بقَبالتها عامًا أوّل أو بالأمانة أصبتَ ما تضيق به ذرعًا ، قال : فكيف لى بهذا المال ؟ قلت : تأتى أبا مسلم ، فتلقاه وتكلمه غداً ، وتسأله أن يجعل هذا فيما يرفع من حوائجه أن تتولاّ ها أنت بما كانت فى العام الأوّل ؛ فإنّ أمير المؤمنين يريد أن يولّـيَه إذا قدم ما وراء بابه ، ويستريح ويريح نفسه ، قال : فكيف لى أن يأذن أمير المؤمنين فى لقائه ؟ قلتُ : أنا أستأذن لك ؛ ودخلت إلى أبى جعفر[٢] ؛ فحدثته الحديث كله ، قال : فادع سلـّمة ، فدعوته ، فقال : إن أبا أيوب استأذن لك ، أفتحب أن تلقى أبا مسلم ؟ قال : نعم ، قال : فقد أذنتُ لك ، فأقرئه السلام ، وأعلمه بشوقنا إليه . فخرج سلمة فلقيَه ، فقال : أميرُ المؤمنين أحسنُ الناس فيك رأيًا ، فطابت نفسه ؛ وكان قبل ذلك كئيبًا . فلما قدم عليه سلمة سرّه ما أخبره به وصدّقه ، ولم يزل مسروراً حتى قدم .

قال أبو أيوب : فلما دنا أبو مسلم من المدائن أمَر أميرُ المؤمنين الناس فتلقوْه ؛ فلما كان عشية قدم ، دخلت على أمير المؤمنين وهو فى خِباء على مصلّى ، فقلت : هذا الرجل يدخل العشيّة ، فما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقتله حين أنظر إليه ، قلت : أنشدك الله ؛ إنه يدخل معه الناس ؛ وقد علموا ما صنع ؛ فإن دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاء[٣] ؛ ولكن إذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف ؛ فإذا غدا[٤] عليك رأيت رأيك . وما أردتُ ٣/١١٠
بذلك إلا دفعه بها ، وما ذاك إلاّ من خوفى عليه وعلينا جميعًا من أصحاب أبى مسلم . فدخل عليه من عشيته وسلم ، وقام قائمًا بين يديه ، فقال : انصرف يا عبدَ الرحمن فأرِحْ نفسك ، وادخل الحمام ؛ فإن للسفر قَشَفًا ، ثم اغدُ علىّ ، فانصرف أبو مسلم وانصرف الناس . قال : فافترى علىّ أمير المؤمنين حين خرج أبو مسلم ؛ وقال : متى أقدر على مثل هذه الحال منه التى رأيته قائمًا على رجليه ، ولا أدرى ما يحدث فى ليلتى ! فانصرفت وأصبحت غادياً عليه ؛

(١) ابن الأثير : « كانت » .
(٢) ت ، ج : « على أبى جعفر » .
(٣) ج : « من البلاء » .
(٤) ج : « إذا دخل » .

فلما رآني قال : يا بن اللخناء ؛ لا مرحباً بك ! أنت منعتَني منه أمسِ ؛ والله ما غمضتُ الليلة ، ثم شتمني حتى خفتُ أن يأمر بقتلي ، ثم قال : ادع لي عثمان بن نَهيك ، فدعوتُه ، فقال : يا عثمان ، كيف بلاء أمير المؤمنين عندك ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنما أنا عبدُك ؛ والله لو امرتَني أن اتّكِئَ على سيفي حتى يخرج من ظهري لفعلت ، قال : كيف أنت إن أمرتُك بقتل أبي مسلم ؟ فوجَم ساعةً لا يتكلم ، فقلت : مالك لا تتكلم ! فقال قولة ضعيفة : أقتله ؛ قال : انطلِق فجئْ بأربعة من وجوه الحرس جُلُد ، فمضى ؛ فلما كان عند الرّواق ، ناداه : يا عثمان يا عثمان ؛ ارجع ؛ فرجع ، قال : اجلس ؛ وأرسِلْ إلى مَنْ تثق به من الحرس ؛ فأحضرْ منهم أربعة ، فقال لوصيف له انطلق :
١١١/٣ فادعُ شبيب بن واج ، وادعُ أبا حنيفة ورجلين آخرين ؛ فدخلوا، فقال لهم أمير المؤمنين نحواً مما قال لعثمان ، فقالوا : نقتله ، فقال : كونوا خلْف الرواق ؛ فإذا صفّقت فاخرجوا فاقتلوه .

وأرسل إلى أبي مسلم رسلاً بعضهم على إثر بعض ، فقالوا : قد ركب ، وأتاه وصيف ، فقال : أتى عيسى بن موسى ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، ألا أخرج فأطوف في العسكر ، فأنظر ما يقول الناس ؟ هل ظن أحد ظنّاً ، أو تكلم أحد بشيء ؟ قال : بلى ، فخرجتُ، وتلقاني أبو مسلم داخلاً ، فتبسّم وسلمت عليه ودخل، فرجعت ؛ فإذا هو منبطح[(1)] لم ينتظر به رجوعي . وجاء أبو الجهم ، فلما رآه مقتولا قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! فأقبلت على أبي الجهم ، فقلت له : أمرتَه بقتله حين خالف ، حتى إذا قُتِل قلتَ هذه المقالة ! فنبّهت به رجلا غافلا ، فتكلم بكلام أصلح ما جاءَ منه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين؛ ألا أردّ الناس ؟ قال : بلى ، قال : فمرْ بمتاع يحوّل إلى رواق آخر من أرواقك هذه ، فأمر بفرُش فأخرجت ؛ كأنه يريد أن يهيّئ له رواقاً آخر . وخرج أبو الجهم ، فقال : انصرفوا ، فإن الأمير يريد أن يقيل[(2)] عند أمير المؤمنين ، ورأوا المتاع ينقل، فظنوه صادقاً ، فانصرفوا ثم راحوا ، فأمر لهم أبو جعفر بجوائزهم ، وأعطى أبا إسحاق مائة ألف .

(١) ت ، ج : « مسطح » . (٢) ب : « يقبل » .

قال أبو أيوب : قال لى أمير المؤمنين : دخل علىّ أبو مسلم فعاتبتُه ثم شتمتُه ، فضربه عثمان فلم يصنع شيئًا ، وخرج شبيب بن واج وأصحابه فضربوه فسقط ، فقال وهم يضربونه : العفو ، فقلت : يابن اللخناء ، العفو والسيوف قد اعتورتْك ! وقلت : اذبحوه، فذبحوه .

قال علىّ عن أبى حفص الأزدىّ، قال : كنت مع أبى مسلم، فقدِم عليه أبو إسحاق من عند أبى جعفر بكتب من بنى هاشم ، وقال : رأيتُ القوم على غير ما ترى ؛ كلّ القوم يرون لك ما يرون للخليفة، ويعرفون ما أبلاهم الله بك. فسار إلى المدائن، وخلف أبا نصر فى ثَقَله ، وقال : أقم حتى يأتيك كتابى ، قال : فاجعل بينى وبينك آية أعرف بها كتابك ، قال : إن أتاك كتابى مختومًا[1] بنصف خاتم فأنا كتبتُه، وإن أتاك بالخاتم[2] كلِّه؛ فلم أكتبه ولم أختمه . فلما دنا من المدائن تلقاه رجل من قوّاده ، فسلّم عليه ، فقال له : أطعْنى وارجع ؛ فإنه إن عاينك[3] قتلك ، قال : قد قربتُ من القوم فأكره أن أرجع . فقدم المدائن فى ثلاثة آلاف ، وخلّف الناس بحُلْوان، فدخل على أبى جعفر ، فأمره بالانصراف فى يومه ؛ وأصبح يريده ، فتلقاه أبو الخصيب فقال : أمير المؤمنين مشغولٌ ، فاصبر ساعة حتى تدخل خاليًا، فأتى منزلَ عيسى بن موسى — وكان يحبّ عيسى — فدعا له بالغداء . وقال أمير المؤمنين للربيع — وهو يومئذ وصيف يخدم أبا الخصيب : انطلِق إلى أبى مسلم ؛ ولا يعلم أحدٌ ، فقل له : قال لك مرزوق : إن أردتَ أمير المؤمنين خاليًا فالعجل ، فقام فركب ؛ وقال له عيسى : لا تعجَل بالدّخول حتى أدخل معك ، فأبطأ عيسى بالوضوء ، ومضى أبو مسلم فدخل فقتِل قبل أن يجىءَ عيسى ، وجاء عيسى وهو مدرَج فى عَباءة ، فقال : أين أبو مسلم ؟ قال : مُدْرجٌ فى الكساء[4] ؛ قال : إنا لله ! قال : اسكت، فما تمّ سلطانك وأمرُك إلّا اليوم، ثم رمى به فى دجلة . ١١٢/٣

قال علىّ : قال أبو حفص : دعا أمير المؤمنين عثمان بن نَهيك وأربعة

---

(١) ج : « مكتوباً » . (٢) ح : « بخاتم » ، ت : « بخاتمى » .
(٣) ب : « عاتبك » . (٥) ج : « كساء » .

٣/١١٣ من الحرس ، فقال لهم : إذا ضربت بيدىّ(١) إحداهما على الآخرى ؛ فاضربوا عدوّ الله ، فدخل عليه أبو مسلم ، فقال له : أخبرنى عن نَصْلَيْن أصبتَهما فى متاع عبد الله بن علىّ ، قال : هذا أحدهما الذى علىّ ، قال : أرِنيه فانتضاه ، فناوله ، فهزّه أبو جعفر ، ثم وضعه تحت فراشه ، وأقبل عليه يعاتبه ، فقال : أخبرنى عن كتابك إلى أبى العباس تنهاه عن الموات ، أردتَ أن تعلّمنا الدّين ! قال : ظننتُ أخذه لا يحلّ ، فكتب إلىّ ، فلما أتانى كتابُه علمتُ أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم ، قال : فأخبرنى عن تقدّمك إيایَ فى الطريق ؟ قال : كرهتُ اجتماعنا على الماء فيضرّ ذلك بالناس ؛ فتقدّمتُك التماس الرّفق(٢) ، قال : فقولك حين أتاك الخبر بموت أبى العباس لمن أشار عليك أن تنصرف إلىّ : نقدم فنرى من رأينا ؛ ومضيتَ فلا أنت أقمتَ حتى ألحقك(٣) ولا أنت رجعت إلىّ ! قال : منعنى من ذلك ما أخبرتُك من طلب الرّفق(٢) بالناس ، وقلت : نقدم الكوفة فليس عليه منى خلاف ، قال : فجارية عبد الله بن علىّ أردتَ أن تتخذها ؟ قال : لا ؛ ولكنى خفتُ أن تضيع ، فحملتها فى قبّة ، ووكلتُ بها من يحفظها ، قال : فمراغمتك وخروجك إلى خراسان ؟ قال : خفتُ أن يكون قد دخلك منى شىء ، فقلت : آتى خراسان ، فأكتب إليك بعذرى ؛ وإلى ذلك ما قد ذهب ما فى نفسك علىّ ،
٣/١١٤ قال : تالله ما رأيتُ كاليوم قطّ ، والله ما زدتَنى إلا غضباً ؛ وضرب بيده ، فخرجوا عليه ؛ فضربه عثمان وأصحابه حتى قتلوه .

قال علىّ : قال يزيد بن أسيد : قال أمير المؤمنين : عاتبتُ عبدَ الرحمن ، فقلت : المال الذى جمعته بحرّان(٤) ؟ قال : أنفقتُه وأعطيتُه الجند تقويةً لهم واستصلاحاً ، قلت : فرجوعُك إلى خراسان مراغماً ؟ قال : دعْ هذا فما أصبحتُ أخاف أحداً إلا الله ؛ فغضبتُ فشتمته ، فخرجوا فقتلوه .

وقال غير من ذكرت فى أمر أبى مسلم : إنه لما أرسل إليه يوم قتِل ، أتى عيسى بن موسى ، فسأله أن يركب معه ، فقال له : تقدّم وأنت فى ذمتى ؛

(١) ب : « يدى » .
(٢) كذا فى ت ، وفى ط : « المرفق » .
(٣) ط : « فلحقك » .
(٤) ابن الأثير : « بخراسان » .

فدخل مضرب أبي جعفر ؛ وقد أمر عثمان بن نَهيك صاحب الحرس ، فأعدّ له شبيب بن واج المرورّوذيّ (رجلا من الحَرَس) وأبا حنيفة حرب بن قيس ، وقال لهم : إذا صفقتُ بيديَّ فشأنكم ؛ وأذن لأبي مسلم ، فقال لمحمد البواب النجاريّ : ما الخبر ؟ قال : خير ؛ يُعطيني الأمير سيفه ، فقال : ما كان يُصنَع بي هذا ! قال : وما عليك ! فشكا ذلك إلى أبي جعفر ، قال : ومَن فعل بك هذا قبحه الله ! ثم أقبل يعاتبه : ألستَ الكاتب إليّ تبدأ بنفسك ، والكاتب إليّ تخطب أمينة بنت عليّ[1] ، وتزعم أنك ابن سَليط بن عبد الله بن عباس ! ما دعاك إلى قتل سليمان بن كَثير مع أثره في دعوتنا ؛ وهو أحد نقبائنا[2] قبل أن نُدخلك في شيء من هذا الأمر ؟ قال : أرادَ الخلافَ وعصاني فقتلتُه ، فقال المنصور : وحاله عندنا[3] حاله فقتلتَه ، وتعصيني وأنت مخالف عليّ ! قتلني الله إن لم أقتلك ! فضربه بعمود ، وخرج شبيبُ وحرب فقتلاه ، وذلك لخمس ١١٥/٣ ليال بقين من شعبان من سنة سبع وثلاثين ومائة ، فقال المنصور :

زعمتَ أنَّ الدَّين لا يُقتَضَى   فاسْتَوْفِ بالكَيْل أبا مُجْرِمِ
سُقِيتَ كأساً كنتَ تَسقِي بها   أَمَرَّ في الحَلق مِنَ العَلْقَمِ

قال : وكان أبو مسلم قد قَتَل في دولته وحروبه ستمائة ألف صَبْراً .

وقيل : إن أبا جعفر لما عاتب أبا مسلم ، قال له : فعلتَ وفعلتَ ، قال له أبو مسلم : ليس يقال هذا لي بعد بلائي ، وما كان منّي ؛ فقال : يابن الخبيثة ؛ والله لو كانتْ أمَةٌ مكانك لأجزَتْ[4] ناحيتها ؛ إنما عملتَ ما عملت في دولتنا وبريحنا ؛ ولو كان ذلك إليك ما قطعتَ فتيلاً ، ألستَ الكاتبَ إليّ تبدأ بنفسك ، والكاتبَ إليّ تخطب أمينة بنت عليّ ، وتزعم أنك ابن سَليط بن عبد الله بن عباس ! لقد ارتقيت لا أمّ لك مُرْتَقًى صعباً ! فأخذ أبو مسلم بيده يعرِكها ويقبّلها[5] ويعتذر إليه .

وقيل : إن عثمان بن نَهيك ضرب أبا مسلم أوّل ما ضرب ضربة خفيفة

---

(١) ابن الأثير : « آمنة بنت علي » .
(٢) ابن الأثير : « أحد فتياننا » .
(٣) ج : « عنك » .
(٤) ابن الأثير : « لأجزأت » .
(٥) ابن الأثير : « ويفتلها » .

بالسيف ؛ فلم يزد على أن قطع حمائل سيفه ؛ فاعتقل بها أبو مسلم . وضرب شبيب بن واج رجلَه ، واعتوَره بقية أصحابه حتّى قتلوه ، والمنصور يصيح بهم : اضربوا قطع الله أيديكم !

وقد كان أبو مسلم قال — فيما قيل — عند أول ضربة أصابته : يا أمير المؤمنين ، استبقنى لعدوّك قال : لا أبقانى الله إذاً ! وأىّ عدوٍّ لى أعدى منك !

١١٦/٣ وقيل : إن عيسى بن موسى دخل بعد(١) ما قُتِل أبو مسلم ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟ فقال : قد كان ها هنا آنفاً ، فقال عيسى : يا أمير المؤمنين ، قد عرفتَ طاعته ونصيحتَه ورأىَ الإمام إبراهيم كان فيه ؛ فقال : يا أنوَك ؛ والله ما أعلم فى الأرض عدوًّا أعدى لك منه ؛ ها هو ذاك فى البِساط ، فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وكان لعيسى رأى فى أبى مسلم، فقال له المنصور : خلع الله قلبك ؛ وهل كان لكم مُلْك أو سلطان أو أمر أو نهى مع أبى مسلم !

قال : ثم دعا أبو جعفر جعفر بن حنظلة ، فدخل عليه، فقال : ما تقول فى أبى مسلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت أخذتَ شعرة من رأسه فاقتلْ ثم اقتلْ ثم اقتلْ ؛ فقال المنصور : وفّقك الله ! ثم أمره بالقيام والنظر إلى أبى مسلم مقتولا ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، عُدّ من هذا اليوم لخلافتك . ثم استؤذن لإسماعيل بن علىّ ، فدخل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّى رأيتُ فى ليلتى هذه كأنك ذبحتَ كبشاً وأنى توطّأته(٢) برجلى ، فقال : نامت عينُك يا أبا الحسن ؛ قم فصدّق رؤياك ؛ قد قتل الله الفاسق ، فقام إسماعيل إلى الموضع الذى فيه أبو مسلم ، فتوطّأه .

ثم إنّ المنصور همّ بقتل أبى إسحاق صاحب حرَس أبى مسلم وقتل أبى نصر مالك — وكان على شُرط أبى مسلم — فكلّمه أبو الجهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، جنده جندك ، أمرتهم بطاعته فأطاعوه . ودعا المنصور بأبى إسحاق ، فلما دخل عليه ولم(٣) يرَ أبا مسلم ، قال له أبو جعفر : أنت المتابع(٤) لعدوّ

---

(١) ج : « عند » .
(٢) ج : « أتوطؤه » .
(٣) ب : « لم » .
(٤) ب : « الهايع » ، ابن الأثير : « المانع » .

الله أبي مسلم على ما كان أجمع ؛ فكفّ وجعل يلتفت يميناً وشمالا تخوّفاً من ١١٧/٣
أبي مسلم ، فقال له المنصور : تكلم بما أردت ، فقد قتل الله الفاسق ؛ وأمر بإخراجه إليه مقطّعاً ؛ فلما رآه أبو إسحاق خرّ ساجداً ، فأطال السجود ، فقال له المنصور : ارفع رأسك وتكلم ؛ فرفع رأسه وهو يقول : الحمدُ لله الذى آمنى بك اليوم ؛ والله ما أمنتُه يوماً واحداً منذ صحبتُه ؛ وما جئتُه يوماً قطّ إلا وقد أوصيتُ وتكفّنتُ وتحنّطتُ ؛ ثم رفع ثيابه الظاهرة فإذا تحتها ثيابُ كتّان جُدُد ، وقد تحنّط . فلما رأى أبو جعفر حاله رحمه ؛ ثم قال : استقبل طاعةَ خليفتك ، واحمد الله الذى أراحك من الفاسق . ثم قال له أبو جعفر : فرّق عنى هذه الجماعة . ثم دعا بمالك بن الهيثم فحدّثه[1] بمثل ذلك ، فاعتذر إليه بأنه أمره بطاعته ؛ وإنما خدمه وخفّ له الناسُ بمرضاته ، وأنه قد كان فى طاعتهم قبل أن يعرف أبا مسلم ، فقبِل منه وأمره بمثل ما أمر به أبا إسحاق من تفريق جند أبى مسلم .

وبعث أبو جعفر إلى عدّة من قوّاد أبى مسلم بجوائز سنيّة ، وأعطى جميع جنده حتى رضُوا ، ورجع أصحابه وهم يقولون : بعنا مولانا بالدراهم . ثم دعا أبو جعفر بعد ذلك أبا إسحاق ، فقال : أقسِم بالله لئن قطعوا طنُباً من أطنابى لأضربنّ عنقك ثم لأجاهدنّهم . فخرج إليهم أبو إسحاق فقال : يا كلاب انصرفوا .

قال علىّ : قال أبو حفص الأزدىّ : لما قُتِل أبو مسلم كتب أبو جعفر إلى أبى نصر كتاباً عن لسان أبى مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلّف عنده ، وأن ١١٨/٣
يقدم ؛ وختم الكتاب بخاتم أبى مسلم ، فلما رأى أبو نصر نقْش الخاتم تامّاً ، علم أن أبا مسلم لم يكتب الكتاب ، فقال : أفعلتموها[2] ! وانحدر إلى همذان وهو يريد خراسان ، فكتب أبو جعفر لأبى نصر عهدَه على شهرزور ، ووجّه رسولاً إليه بالعهد ؛ فأتاه حين مضى الرسول بالعهد أنه قد توجّه إلى خراسان ، فكتب إلى زهير بن التركىّ — وهو على همذان : إن مرّ بك أبو نصر فاحبِسْه ، فسبق الكتاب إلى زهير وأبو نصر بهمذان ، فأخذه فحبسه فى القصْر ، وكان

(١) ت ، ج : « فكلمه » .
(٢) ابن الأثير : « فعلتموها » .

زهير مولًى لخزاعة، فأشرف أبو نصر على إبراهيم بن عريف — وهو ابن أخى أبى نصر لأمه — فقال : يا إبراهم ، تقتل عمّك ! قال : لا والله أبداً ، فأشرف زهير فقال لإبراهيم : إنى مأمور والله ، إنه لمن أعزّ الخلق علىّ ؛ ولكنى لا أستطيع ردّ أمر أمير المؤمنين. ووالله لئن رمى أحدكم بسهم لأرمينّ إليكم برأسه. ثم كتب أبو جعفر كتاباً آخر إلى زهير : إن كنت أخذت أبا نصر فاقتله .

وقدم صاحبُ العهد على أبى نصر بعهده فخلّى زهير سبيله لهواه فيه ؛ فخرج ، ثم جاء بعد يوم الكتابُ إلى زهير بقتله ، فقال : جاءنى كتابٌ بعهده فخليتُ سبيله .

وقدم أبو نصر على أبى جعفر ، فقال : أشرتَ على أبى مسلم بالمضىّ إلى خراسان ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كانت له عندى أيادٍ وصنائع فاستشارنى فنصحتُ له ، وأنت يا أمير المؤمنين إن اصطنعتنى نصحتُ لك وشكرتُ . فعفا عنه ؛ فلما كان يوم الراونديّة قام أبو نصر على باب القصر ، وقال : أنا اليوم البوّاب ، لا يدخل أحد القصر وأنا حىٌّ . فقال أبو جعفر :
١١٩/٣ أين مالك بن الهيثم ؟ فأخبروه عنه ، فرأى أنه قد نصح له .

وقيل : إن أبا نصر مالك بن الهيثم لما مضى إلى همذان كتب أبو جعفر إلى زهير بن التركىّ : إنّ لله دمك إن فاتك مالك ؛ فأتى زهير مالكاً ، فقال له : إنى قد صنعتُ لك طعاماً ، فلو أكرمتنى بدخول منزلى ! فقال : نعم ، وهيّأ زهير أربعين رجلاً تخيّرهم(١) ، فجعلهم فى بيتين يُفضيان إلى المجلس الذى هيأه ، فلما دخل مالك قال : يا أدهم ، عجّل طعامك ؛ فخرج أولئك الأربعون إلى مالك، فشدّوه وثاقاً، ووضع فى رجليه القيود . وبعث به إلى المنصور فمنّ عليه وصفح عنه واستعمله على الموصل .

* * *

وفى هذه السنة ولّى أبو جعفر المنصور أبا داود خالد بن إبراهيم خراسان وكتب إليه بعهده .

* * *

(١) ج : « فخيرهم » .

[ذكر خروج سنباذ للطلب بدم أبي مسلم ثم قتله]

وفيها خرج سُنباذ بخُراسان يطلب بدم أبي مسلم.

* ذكر الخبر عن سنباذ :

ذُكِر أن سنباذ هذا كان مجوسيًّا ، من أهل قرية من قُرى نيسابور يقال لها أهن[١] ، وأنه كثر أتباعه لما ظهر ؛ وكان خروجه[٢] غضبًا لقتل أبي مسلم – فيما قيل – وطلباً بثأره ، وذلك أنه كان من صنائعه ، وغلَب حين خرج على نيسابور وقُومِس والرّيّ ، وتسمَّى فيروز أصبهبذ . فلما صار بالرّيّ قبض خزائن أبي مسلم ؛ وكان أبو مسلم خلف بها خزائنه حين شخص متوجهاً إلى أبي العباس ؛ وكان عامّة أصحاب سنباذ أهلَ الجبال . فوجَّه إليهم أبو جعفر جَهور بن مَرّار العِجْلىّ فى عشرة آلاف ، فالتقوْا بين هَمذان والرّى على طرف[٣] المفازة ؛ فاقتتلوا ، فهُزِم سنباذ ، وقتِل من أصحابه فى ١٢٠/٣ الهزيمة نحوٌ من ستين ألفًا ، وسبى ذراريّهم ونساءهم . ثم قُتِل سنباذ بين طبرستان وقومِس ؛ قتله لونان الطبرىّ ، فصير المنصور أصبهبذة طبرستان إلى ونداهُرْمُز بن الفرخان ، وتوّجه .

وكان بين مخرج سنباذ إلى قتْله سبعون ليلة .

* * *

[خروج ملبّد بن حرملة الشيبانىّ]

وفى هذه السنة خرج ملبّد بن حرملة الشيبانىّ ، فحكّم بناحية الجزيرة ، فسارت إليه روابط الجزيرة ، وهم يومئذ فيما قيل ألف[٤] ، فقاتلهم ملبّد فهزمهم ، وقتَل مَنْ قتل منهم . ثم سارت إليه روابط الموصِل فهزمهم ، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبىّ ، فهزمه ملبّد بعد قتال شديد كان بينهما ؛ وأخذ ملبّد جارية ليزيد كان يطؤها ، وقتل قائدٌ من قوّاده ، ثم وجّه إليه أبو جعفر مولاه المهلهل بن صفوان فى ألفين من نُخبة الجند ، فهزمهم ملبّد ، واستباح عسكرهم .

(١) ابن الأثير : «أهروانة» . (٢) ج : «خرج» .
(٣) ت : «طريق» . (٤) ابن الأثير : «وهم فى نحو ألف فارس» .

ثم وجّه إليه نزاراً (قائداً من قوّاد أهل خراسان)، فقتله ملبّد، وهزم أصحابه، ثم وجه إليه زياد بن مشكان(١) فى جَمْع كثير ، فلقيهم ملبّد فهزمهم . ثم وجّه إليه صالح بن صبيح فى جيش كثيف وخيل كثيرة وعدّة ، فهزمهم . ثم سار إليه حُمَيد بن قحطبة وهو يومئذ على الجزيرة ، فلقيه الملبّد فهزمه ، وتحصّن منه حميدٌ ، وأعطاه مائة ألف درهم على أن يكفّ عنه .

وأما الواقدىّ فإنه زعم أن ظهور ملبّد وتحكيمه كان فى سنة ثمان وثلاثين
١٢١/٣ ومائة ، ولم يكن للناس فى هذه السنة صائفة لشَغْل السلطان بحرب سنباذ .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، كذلك قال الواقدىّ وغيره ؛ وهو على الموصل .

وكان على المدينة زياد بن عبيد الله ، والعباس بن عبد الله بن معبد على مكة . ومات العباس عند انقضاء الموسم ؛ فضمّ إسماعيل عمله إلى زياد بن عبيد الله ؛ فأقرّه عليها أبو جعفر .

وكان على الكوفة فى هذه السنة عيسى بن موسى . وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن علىّ ، وعلى قضائها عمر بن عامر السُّلَمىّ . وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم . وعلى الجزيرة حُميد بن قَحْطبة . وعلى مصر صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

---

(١) ج : «مسكان» .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك دخول قسطنطين طاغية الروم مَلَطْيَة عَنْوة وقهراً لأهلها وهدمه سورها ، وعفوُه عمّن فيها من المقاتلة والذّرّية .

ومنها غزو العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس — فى قول الواقدىّ — الصائفة ، مع صالح بن علىّ بن عبد الله ، فوصله صالح بأربعين ألف دينار ، وخرج معهم عيسى بن علىّ بن عبد الله ، فوصله أيضًا بأربعين ألف ٣/ ١٢٢ دينار ، فبنى صالح بن علىّ ما كان صاحب الروم هدمه[1] من مَلَطْيَة .

وقد قيل : إن خروج صالح والعباس إلى ملطْية للغزو كان فى سنة تسع وثلاثين ومائة .

وفى هذه السنة بايع عبد الله بن علىّ لأبى جعفر وهو مقيم بالبَصْرة مع أخيه سليمان بن علىّ .

* * *

[ذكر خلْع جهور بن مرّار المنصور]

وفيها خلع جَهْور بن مرّار العِجلىّ المنصور .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه :

وكان سببُ ذلك — فيما ذُكِر — أن جَهْور لما هزم سنباذ حوى ما فى عسكره ، وكان فيه خزائنُ أبى مسلم التى كان خلفها بالرّىّ ، فلم يوجّهها إلى أبى جعفر ، وخاف فخلَع ، فوجّه إليه أبو جعفر محمد بن الأشعث الخُزاعىّ فى جيش عظيم ، فلقيه محمد ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ومع جَهْور نُخَب فرسان العجم ؛ زياد والأشتاخنج ، فهزِم جَهْور وأصحابه ، وقُتل من أصحابه خلْق كثير ، وأسر زياد والأشتاخنج ، وهرب جَهْور فلحق بأذْرَبيجان فأخِذ بعد ذلك باسباذْرُو فقتل .

---

(١) ب : « هدم » .

[ذكر خبر قتل ملبَّد الخارجىّ]

وفى هذه السنة قتل الملبّد الخارجىّ .

* ذكر الخبر عن مقتله :

ذكِر أن أبا جعفر لما هزم الملبّد حميد بن قحطبة، وتحصّن منه حُميد، وجَّه إليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وضمّ إليه زياد بن مشكان ، فأكمن له الملبّد مائة فارس ، فلما لقيَه عبد العزيز
١٢٣/٣ خرج عليه الكمِينُ؛فهزموه ، وقتلوا عامّة أصحابه . فوجّه أبو جعفر إليه خازم بن خزيمة فى نحو من ثمانية آلاف من المرووذيّة[1] . فسار خازم حتّى نزل الموصل، وبعث إلى[2] الملبّد بعض أصحابه وبعث معهم الفعلة، فسار إلى بلد فخندقوا ، وأقاموا له الأسواق ؛ وبلغ ذلك الملبّد ، فخرج حتّى نزل ببلد ، فى خندق خازم ؛ فلما بلغ ذلك خازماً خرج إلى مكان من أطراف الموصل حريز فعسكر به ، فلما بلغ ذلك الملبَّد عَبَر دجْلة من بلد ، وتوجه إلى خازم من ذلك الجانب يريد الموصل ؛ فلما بلغ خازماً ذلك ، وبلغ إسماعيل ابن علىّ — وهو على الموصل — أمر إسماعيل خازماً أن يرجع من معسكره حتّى يعبُر من جسر الموصل؛ فلم يفعل،وعقد جسراً من موضع معسكره، وعبَر إلى الملبّد، وعلى مقدّمته وطلائعه نَضلة بن نعيم بن خازم بن عبد الله النهشلىّ، وعلى ميمنته زُهير بن محمد العامرىّ ، وعلى ميسرته أبو حماد الأبرص مولى بنى سليم . وسار خازم فى القلْب، فلم يزل يساير الملبّد وأصحابه حتّى غشيَهم الليل ثم تواقفوا[3] ليلتَهم ، وأصبحوا يوم الأربعاء ، فمضى الملبّد وأصحابه متوجّهين إلى كورة حزّة ، وخازم وأصحابه يسايرونهم حتّى غشيهم الليل ، وأصبحوا يوم الخميس، وسار الملبّد وأصحابه ، كأنه يريد الهرب من خازم ، فخرج خازم وأصحابه فى أثرهم ، وتركوا خندقهم ، وكان خازم تخندق عليه وعلى أصحابه با لحسَك، فلما خرجوا من خندقهم كرّ عليهم الملبّد وأصحابه؛
١٢٤/٣ فلما رأى ذلك خازم ألقى الحسَك بين يديه وبين يدى أصحابه ، فحملوا

---

(١) ت ، ج : « المرورية » . (٢) ج : « إليه » .

(٣) كذا فى ت ، وفى ط : « توافقوا » ، وفى ابن الأثير : «توافوا » .

على ميمنة خازم وطووْها ، ثم حملوا على الميسرة وطَوَوْها ، ثم انتهوا إلى القلْب ، وفيه خازم ، فلما رأى ذلك خازم نادى فى أصحابه : الأرضَ ، فنزلوا ونزل الملبَّد وأصحابه ، وعقروا عامة دوابّهم ، ثم اضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ، وأمر خازم نَضْلة بن نعيم أن إذا سطع الغبار ولم يبصر بعضُنا بعضًا فارجع إلى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها ، ثم ارمُوا بالنشاب . ففعل ذلك ، وتراجع أصحاب خازم من الميمنة إلى الميسرة ، ثم رشقُوا الملبَّد وأصحابه بالنشاب ، فقُتل الملبَّد فى ثمانمائة رجل ممن ترجّل ، وقتل منهم قبل أن يترجلوا زهاء ثلثمائة ، وهرب الباقون ، وتبعهم نَضلة فقتل منهم مائة وخمسين رجلاً .

* * *

وحج بالناس فى هذه السنة الفَضْل بن صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، كذلك قال الواقدى وغيره . وذكر أنه كان خرج من عند أبيه من الشأم حاجًّا ، فأدركته ولايته على الموسم والحجّ بالناس فى الطريق ، فمرّ بالمدينة فأحرم منها .

وزياد بن عبيد الله على المدينة ومكة والطائف ، وعلى الكوفة وسوادها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن علىّ ، وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وأبو داود خالد بن إبراهيم على خراسان ، وعلى مصر صالح بن علىّ .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة

١٢٥/٣ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إقامة صالح بن عليّ والعباس بن محمد بمَلَطْيَة؛ حتى استتمّا بناء مَلَطْيَة، ثم غزوا الصائفة من دَرْب الحديث، فوغَلا فى أرض الروم - وغَزَا مع صالح أختاه: أم عيسى ولبابة ابنتا عليّ؛ وكانتا نذرتا إن زال ملك بنى أميّة أن تجاهدا فى سبيل الله.

وغزا من درب مَلَطْيَة جعفر بن حنظلة البهرانيّ.

وفى هذه السنة كان الفداء الذى جرى بين المنصور وصاحب الرّوم؛ فاستنقذ المنصور منهم أسَراء المسلمين، ولم يكن بعد ذلك - فيما قيل - للمسلمين صائفة إلى سنة ست وأربعين ومائة، لاشتغال أبى جعفر بأمر ابنَىْ عبد الله بن الحسن؛ إلاّ أن بعضَهم ذكر أن الحسن بن قحطبة غزا الصّائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام فى سنة أربعين. وأقبل قسطنطين صاحب الرّوم فى مائة ألف، فنزل جَيْحان، فبلغه كثرة المسلمين فأحجم عنهم؛ ثم لم يكن بعدها صائفة إلى سنة ست وأربعين ومائة.

وفى هذه السنة سار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مَرْوان إلى الأندلس، فملّكه أهلُها أمرَهم، فولده ولاتها إلى اليوم.

* * *

وفيها وسّع أبو جعفر المسجد الحرام، وقيل إنها كانت سنة خَصِبة فسمّيت سنة الخصب.

١٢٦/٣ وفيها عُزِل سليمان بن عليّ عن ولاية البصرة، وعمّا كان إليه من أعمالها. وقد قيل إنه عزل عن ذلك فى سنة أربعين ومائة.

وفيها ولّى المنصور ما كان إلى سليمان بن عليّ من عمل البصرة سفيان بن معاوية، وذلك - فيما قيل - يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان، فلما

عزل سليمان وولّى سفيان توارى عبد الله بن علىّ وأصحابه خوفاً على أنفسهم ؛ فبلغ ذلك أبا جعفر ، فبعث إلى سليمان وعيسى ابنى علىّ ، وكتب إليهما فى إشخاص عبد الله بن علىّ ، وعزم عليهما أن يفعلا ذلك ولا يؤخّراه ، وأعطاهما من الأمان لعبد الله بن علىّ ما رضياه له ووثقا به ، وكتب إلى سفيان بن معاوية يعلمه ذلك، ويأمره بإزعاجهما واستحثاثهما بالخروج بعبد الله ومَن معه من خاصّته ، فخرج سليمان وعيسى بعبد الله وبعامّة قوّاده وخواصّ أصحابه ومواليه ،حتى قدموا على أبى جعفر ؛ يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجّة .

* * *

[ذكر خبر حبس عبد الله بن علىّ]

وفيها أمر أبو جعفر بحبس عبد الله بن علىّ وبحبس مَن كان معه من أصحابه وبقتل بعضهم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ولما قدم سليمان وعيسى ابنا علىّ على أبى جعفر أذِن لهما ، فدخلا عليه، فأعلماه حضورَ عبد الله بن علىّ ،وسألاه الإذن له . فأنعم لهما بذلك، وشغلهما بالحديث ، وقد كان هيّأ لعبد الله بن علىّ محبساً[١] فى قصره ، وأمر به أن ينصرف[٢] إليه بعد دخول عيسى وسليمان عليه[٣] ، ففُعِل ذلك به ؛ ونهض[٤] أبو جعفر من مجلسه ، فقال لسليمان وعيسى : سارعا بعبد الله ، فلما خرجا افتقدا عبد الله من المجلس الذى كان[٥] فيه ، فعلما أنه قد حُبس ، فانصرفا ١٢٧/٣
راجعين إلى أبى جعفر ، فحيل بينهما وبين الوصول إليه ، وأخذت عند ذلك سيوف مَنْ حضر من أصحاب عبد الله بن علىّ من عواتقهم وحبسوا . وقد كان خُفاف بن منصور حذّرهم ذلك وندِم على مجيئه ، وقال لهم : إن أنتم أطعتمونى شددنا شدّة واحدة على أبى جعفر ؛ فوالله لا يحول بيننا وبينه حائل حتى نأتى علىَ نفسه ، ونشدّ على هذه الأبواب مصلِتين سيوفنا ، ولا

---

(١) ب ، ت : « مجلساً » ، ابن الأثير : « مكاناً » . (٢) ط : « يصرف » .
(٣) كذا فى ت . (٤) ت ، ح : « ثم نهض » . (٥) ت ،ج : « خلفاه » .

يعرض لنا عارض إلاّ أفاتنا(١) نفسه حتى نخرج وننجوَ بأنفسنا، فعصوْه . فلما أخذت السيوفُ وأمر بحبسهم جعل خفاف يضرّط فى لحيته ، ويتفل فى وجوه أصحابه. ثم أمر أبو جعفر بقتل بعضهم بحضرته؛ وبعث بالبقيّة إلى أبى داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها .

وقد قيل إن حبس أبى جعفر عبد الله بن علىّ كان فى سنة أربعين ومائة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس.

وكان على مكة والمدينة والطائف زياد بن عبيد الله الحارثىّ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم .

---

(١) ط : « أفتنا ».

ثم دخلت سنة أربعين ومائة ١٢٨/٣

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر هلاك أبى داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار]

فمن ذلك ما كان فيها من مهلك عامل خراسان .

* ذكر الخبر عن ذلك وسبب هلاكه :

ذكِر أن ناساً من الجند ثاروا بأبى داود خالد بن إبراهيم بخُراسان وهو عامل أبى جعفر المنصور عليها فى هذه السنة ليلاً ، وهو نازل بباب كُشْماهَن من مدينة مَرْو ، حتى وصلوا إلى المنزل الذى هو فيه ، فأشرف أبو داود من الحائط[1] على حرف آجُرّة خارجة ، وجعل ينادى أصحابَه ليعرفوا صوتَه ، فانكسرت الآجُرّة عند الصّبح ، فوقع على سُترة صُفّة كانت قدّام السطح فانكسر ظهره ، فمات عند صلاة العصر ، فقام عصام صاحب شُرْطة أبى داود بخلافة أبى داود ، حتى قدم عليه عبد الجبَّار بن عبد الرحمن الأزدىّ .

وفيها ولّى أبو جعفر عبدَ الجبار بن عبد الرحمن خراسان فقدمها ، فأخذ بها ناساً من القوّاد ذُكِر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد علىّ بن أبى طالب ؛ منهم مجاشع بن حريث الأنصارىّ صاحب بخارى وأبو المغيرة ، مولى بنى تميم واسمه خالد بن كثير وهو صاحب قوهستان ، والحَريش بن محمد الذّهلىّ ، ابن عمّ داود ، فقتلهم ، وحبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلبىّ ومعبد بن الخليل[2] المزنىّ بعد ما ضربهما ضرباً مبرّحاً ، وحبس عدّة من وجوه قوّاد أهل خراسان ، وألحّ على استخراج ما على عمال أبى داود من بقايا الأموال .

* * *

وفيها خرج أبو جعفر المنصور حاجّاً ، فأحرم من الحيرة ، ثم رجع بعد ما قضى حجه إلى المدينة ، فتوجّه منها إلى بيت المقدس . ١٢٩/٣

---

(١) ابن الأثير : « ليلا فوطئ » . (٢) ج : « خليد المرى » .

وكان عمّال الأمصار فى هذه السنة عمالها فى السنة التى قبلها ، إلاّ خُراسان فإن عاملها كان عبد الجبار .

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلى فى مسجدها ، ثم سلك الشأم فإن عاملها كان عبد الجبار .

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلّى فى مسجدها ؛ ثم سلك الشأم منصرفًا حتّى انتهى إلى الرَّقة ، فنزلها ، فأتى بمنصور بن جَعْونة بن الحارث العامرىّ ، من بنى عامر بن صعصعة ، فقتله ، ثم شخص منها ، فسلك الفرات حتّى أتى الهاشميّة ، هاشميّة الكوفة .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن خروج الرّاوندية]

فمن ذلك خروج الراونديّة ، وقد قال بعضهم : كان أمر الراونديّة وأمر أبي جعفر الذى أنا ذاكره ، فى سنة سبع وثلاثين ومائة أو ستّ وثلاثين ومائة .

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمر أبي جعفر المنصور معهم :

والرّاوندية قوم – فيما ذُكِر عن علىّ بن محمد – كانوا من أهل خُراسان على رأى أبي مسلم صاحب دعوة بنى هاشم ، يقولون – فيما زعم – بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم فى عثمان بن نَهِيك ، وأن ربّهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل .

قال : وأتوا قصر المنصور ، فجعلوا يطوفون به ، ويقولون : هذا قصر ١٣٠/٣ ربّنا ؛ فأرسل المنصور إلى رؤسائهم ، فحبس منهم مائتين ، فغضب أصحابهم وقالوا : علام حُبسوا ! وأمر المنصور ألّا يجتمعوا ، فأعدّوا[1] نعشاً وحملوا السرير – وليس فى النّعش أحد – ثم مرّوا فى المدينة ، حتى صاروا على باب السجن ، فرموا بالنّعْش ، وشدّوا على الناس – ودخلوا السجن ، فأخرجوا أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستّمائة رجل ، فتنادى الناس ، وغُلّقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد ، فخرج المنصور من القصر ماشياً ، ولم يكن فى القصر دابة ، فجعل بعد ذلك اليوم يرتبط فرساً يكون فى دار الخلافة[2] معه فى قصره .

قال : ولما خرج المنصور أُتِيَ بدابّة فركبها وهو يريدهم ؛ وجاء معن ابن زائدة ، فانتهى إلى أبي جعفر ، فرمى بنفسه وترجّل ، وأدخل برْكة قبائه فى منطقته ، وأخذ بلجام دابة المنصور ، وقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين

---

(١) ت ، ج : « فاتخذوا » .
(٢) ت : « الخليفة » .

إلاّ رجعت ؛ فإنك تُكْفَى . وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر ، وقال : أنا اليوم بوّاب ، ونودى فى أهل السوق فرموْهم وقاتلوهم حتى أثخنوهم ، وفُتِح باب المدينة ، فدخل الناس .

وجاء خازم بن خزيمة على فرس محذوف[1] ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أقتلهم ؟ قال : نعم ، فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى ظهر حائط ، ثم كرّوا على خازم فكشفوه وأصحابه ، ثم كرّ خازم عليهم فاضطرهم[2] إلى حائط المدينة . وقال للهيثم بن شعبة : إذا كرّوا علينا فاسبِقْهم إلى الحائط ، فإذا
٣/١٣١ رجعوا فاقتلهم . فحملوا على خازم ، فاطّرد لهم ، وصار الهيثم بن شعبة من ورائهم . فقتِلوا جميعاً .

وجاءهم يومئذ عثمان بن نَهِيك ؛ فكلمهم ، فرجع فرموْه بنشابة فوقعت بين كتفيْه ؛ فمرض أياماً ومات منها ، فصلى عليه أبو جعفر ، وقام على قبره حتى دُفِن ، وقال : رحمك الله أبا يزيد[3] ! وصيّر مكانه على حرسه عيسى بن نَهِيك ، فكان على الحرس حتى مات ؛ فجعل على الحرس أبا العباس الطوسىّ .

وجاء يومئذ إسماعيل بن علىّ ، وقد أغلقت الأبواب ، فقال للبواب : افتح ولك ألف درهم ؛ فأبى . وكان القعقاع بن ضرار يومئذ بالمدينة ؛ وهو على شُرَط عيسى بن موسى ، فأبلَى يومئذ ؛ وكان ذلك كله فى المدينة الهاشميّة بالكوفة .

قال : وجاء يومئذ الرّبيع ليأخذ بلجام المنصور ، فقال له معن : ليس هذا من أيامك ، فأبلى أبرويز بن المَصْمُغان ملك دُنباوَند — وكان خالف أخاه ، فقدم على أبى جعفر فأكرمه ، وأجرى عليه رزقاً ؛ فلما كان يومئذ أتى المنصور فكفّر له ، وقال : أقاتل هؤلاء ؟ قال له : نعم ، فقاتلهم ؛ فكان إذا ضرب رجلا فصرعه تأخّر عنه — فلما قُتِلوا وصلى المنصور الظهر دعا بالعشاء ، وقال : أطلعوا[4] معن بن زائدة ، وأمسك عن الطعام حتى جاءه معن ؛ فقال لقُثَم : تحوّل إلى هذا الموضع ، وأجلس معناً مكان قُثَم ، فلما فرغوا من العشاء قال لعيسى بن علىّ : يا أبا العباس ، أسمعت بأشدّ

---

(١) فرس محذوف : مقصوص شعر الذنب .
(٢) ت ، ب : « فاضطروهم » .
(٣) ج : « زيد » .
(٤) ج : « اطلبوا » .

الرجال[١] ؟ قال: نعم، قال : لو رأيتَ اليوم معناً علمتَ أنه من تلك الآساد، قال معن : والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتُك وإنى لوجِل القلب ، فلما رأيتُ ما عندك من الاستهانة بهمْ وشدّة الإقدام عليهم ، رأيت أمراً لم أره من خلْق ١٣٢/٣
فى حرب ؛ فشدّ ذلك من قلبي وحملنى على ما رأيت منى .

وقال أبو خزيمة : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ لهم بقيّة ، قال : فقد ولّيتُك أمرهم فاقتلهم ، قال : فأقتل رِزاماً فإنه منهم ، فعاذَ رِزام بجعفر بن أبى جعفر، فطُلب فيه فآمنه .

وقال علىّ عن أبى بكر الهُذلىّ ، قال : إنى لواقف بباب أمير المؤمنين إذ طلع فقال رجل إلى جانبى : هذا رب العزّة ! هذا الذى يطعمنا ويسقينا ؛ فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلتُ وخلا وجهه ، فقلتُ له : سمعتُ اليوم عجباً ، وحدّثته ؛ فنكتَ فى الأرض ، وقال : ياهذلىّ ، يدخلهم الله النار فى طاعتنا ويَقتلهم[٢] ، أحبُّ إلىّ مِنْ أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا.

وذكر عن جعفر بن عبد الله ، قال : حدّثنى الفضل بن الربيع ، قال : حدثنى أبى ، قال : سمعت المنصور يقول : أخطأت ثلاث خطيّات وقانى الله شرّها : قتلتُ أبا مسلم وأنا فى خرق ومَنْ حولى يقدّم طاعته ويُؤثرها ولو هُتِكت الخرق لذهبتُ ضياعًا ، وخرجت يوم الراونديّة ولو أصابنى سهم غَرْب لذهبتُ ضياعاً ، وخرجت إلى الشأم ولو اختلف سيفان بالعراق ذهبَت الخلافةُ ضياعًا .

وذُكر أنّ معن بن زائدة كان مختفيًا من أبى جعفر ، لما كان منه من قتاله المسوّدة مع ابن هبيرة مرّة بعد مرّة ؛ وكان اختفاؤه عند مرزوق أبى الخصيب ، وكان علَى أن يطلب له الأمان ، فلما خرج الراونديّة أتى الباب فقام عليه ، فسأل المنصور أبا الخصيب — وكان يلى حجابة المنصور يومئذ : مَنْ بالباب ؟ ١٣٣/٣
فقال : معن بن زائدة ، فقال المنصور : رجل من العرب ، شديد النفس ، عالم بالحرب كريم الحسب ؛ أدخِلْه ، فلما دخل قال : إيه يا معن ! ما الرأى ؟ قال : الرأى أن تنادى فى الناس وتأمر لهم بالأموال ، قال : وأين الناسُ والأموال ؟

---

(١) كذا فى ب ، ت ، وابن الأثير وفى ط : « أشد » . (٢) ت : « نقتلهم » .

ومَنْ يقدم على أن يعرض نفسه لهؤلاء العلوج ! لم تصنع شيئًا يا معن ؛ الرأىُ أن أخرج فأقف ؛ فإنّ الناس إذا رأونى قاتلوا وأبلَوْا وثابوا إلىّ ، وتراجعوا ، وإن أقمتُ تخاذلوا وتهاونوا . فأخذ معن بيده وقال : يا أمير المؤمنين ، إذاً والله تُقتَل الساعة ، فأنشدك الله فى نفسك ! فأتاه أبو الخصيب فقال مثلها ، فاجتذب ثوبه منهما ، ثم دعا بدابته ، فركب ووثب عليها من غير ركاب ثم سوّى ثيابه ، وخرج ومعن آخذ بلجامه وأبو الخصيب مع ركابه فوقف . وتوجّه إليه رجل فقال : يامعن دونك العِلْج[1] ؛ فشدّ عليه مَعن فقتله ، ثم والَى بين أربعة ، وثاب إليه الناس وتراجعوا ؛ ولم يكن إلاّ ساعة حتى أفنوْهم ، وتغيّب معن بعد ذلك ، فقال أبو جعفر لأبى الخصيب : ويلك ! أين معن ؟ قال : والله ما أدرى أين هو من الأرض ! فقال : أيظن أنّ أمير المؤمنين لايغفر ذنبه بعد ما كان من بلائه ! أعطِه الأمان وأدخله علىّ ، فأدخله ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وولاّه اليمن ، فقال له أبو الخصيب : قد فرّق صلته وما يقدر[2] على شىء ، قال : له لو أراد مثل ثمنك ألف مرّة لقدر عليه .

* * *

١٣٤/٣ وفى هذه السنة وجه أبو جعفر المنصور ولده محمداً — وهو يومئذ ولىّ عهد — إلى خُراسان فى الجنود ، وأمره بنزول الرّىّ ، ففعل ذلك محمد .

* * *

[ذكر خلْع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدى إليه]

وفيها خلَع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل أبى جعفر على خُراسان ؛ ذكر علىّ بن محمد ، عمن حدّثه ، عن أبى أيوب الخوزىّ ، أن المنصور لما بلغه أن عبد الجبار يقتل رؤساء أهل خُراسان ، وأتاه من بعضهم كتاب فيه : قد نغِل الأديمُ ، قال لأبى أيوب الخزاعىّ : إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنَا ، وما فعل هذا إلاّ وهو يريد أن يخلع ، فقال له : ما أيسر حيلته ! اكتب إليه : إنك تريد غَزْو الرّوم ؛ فيوجّه إليك الجنود من خُراسان ، وعليهم فرسانهم ووجوههم ، فإذا خرجوا منها فابعثْ إليهم مَنْ شئت ؛ فليس به امتناع .

---

(١) ب : « والعلج » . (٢) ب : « ولم يقدر » .

فكتب بذلك إليه ، فأجابه : إنّ الترك قد جاشت ؛ وإن فرّقتُ الجنود ذهبت خراسان ، فألقى الكتاب إلى أبى أيّوب ، وقال له : ما ترى ؟ قال : قد أمكنك من قياده ، اكتب إليه : إن خراسان أهمّ إلىّ من غيرها ، وأنا موجّه إليك الجنود من قبَلى . ثم وجّه إليه الجنود ليكونوا بخُراسان ؛ فإنْ همّ بخلع أخذُوا بعنقه .

فلما ورد على عبد الجبار الكتاب كتب إليه : إنّ خُراسان لم تكن قطّ أسوأ حالاً منها فى هذا العام ؛ وإن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر . فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبى أيوب ، فقال له : قد أبدى صفحتَه ، وقد خلَع فلا تناظره .

فوجّه إليه محمد بن المنصور ، وأمره بنزول الرّىّ؛ فسار إليها المهدىّ ، ووجّه لحربه خازم بن خزيمة مقدمةً له ، ثم شخص المهدى فنزل نيسابور . ١٣٥/٣
ولما توجّه خازم بن خزيمة إلى عبد الجبار ، وبلغ ذلك أهل مَرْو الرّوذ ؛ ساروا إلى عبد الجبار من ناحيتهم فناصبوه الحرْب ، وقاتلوه قتالا شديداً حتى هُزِم ، فانطلق هارباً حتى لجأ إلى مقطنة ، فتوارى فيها ، فعبَر إليه المجشر بن مزاحم من أهل مَرْو الرّوذ ؛ فأخذه أسيراً ؛ فلما قدِم خازم أتاه به ، فألبسه خازم مدرّعة صوف ، وحمله على بعير ، وجعل وجهه من قِبَل عجُز البعير ؛ حتى انتهى به إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه ؛ فبسط عليهم العذاب ، وضُربوا بالسياط حتى استخرج منهم ما قدَر عليه من الأموال . ثم أمَر المسيّب بن زُهير بقطع يدىْ عبد الجبار ورجليْه وضرب عنقه ؛ ففعل ذلك المسيّب ، وأمر المنصور بتسيير ولده إلى دَهْلك — وهى جزيرة على ضفّة البحر بناحية اليمن — فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند ، فسبَوْهم فيمن سَبَوْا حتى فُودُوا بعد ، ونجا منهم من نجا ، فكان ممن نجا منهم واكتتب فى الديوان وصحِب الخُلَفاء عبدُ الرحمن بن عبد الجبار ، وبقى إلى أن توفّىَ بمصر فى خلافة هارون ، فى سنة سبعين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة فُرِغ من بناء المصّيصة على يدى جبرئيل بن يحيى الخراسانىّ ،

ورابط محمد بن إبراهيم الإمام بمَلَطْية .

واختلفوا فى أمر عبد الجبار وخبره ، فقال الواقدىّ: كان ذلك فى سنة ثنتين وأربعين ومائة ، وقال غيره : كان ذلك فى سنة إحدى وأربعين ومائة(١) .

٣/١٣٦ وذكر عن علىّ بن محمد أنه قال : كان قدوم عبد الجبار خراسان لعشر خلوْن من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائة ، ويقال لأربع عشرة ليلة ، وكانت هزيمته يوم السبت لستّ خلوْن من ربيع الأول سنة ثنتين وأربعين ومائة .

وذكر عن أحمد بن الحارث ، أن خليفة بن خياط حدّثه ، قال : لما وجّه المنصور المهدىّ إلى الرىّ – وذلك قبل بناء بغداد ؛ وكان توجيهه إياه لقتال عبد الجبار بن عبد الرحمن ، فكفى المهدىّ أمرَ عبد الجبار بمن حاربه وظفر به – كره أبو جعفر أن تبطل تلك النفقات التى أنفقت على المهدىّ ؛ فكتب إليه أن يغزوَ طَبَرِستان ، وينزل الرىّ ، ويوجّه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود إلى الأصبهبذ ، وكان الأصبهبذ يومئذ محاربًا للمصمُغان ملك دُنباوند معسكراً بإزائه ؛ فبلغه أن الجنودَ دخلت بلاده ، وأن أبا الخصيب دخل سارية ، فساء المصمُغان ذلك ؛ وقال له : متى صاروا إليك صاروا إلىّ ؛ فاجتمعا على محاربة المسلمين ؛ فانصرف الأصبهبذ إلى بلاده ، فحارب المسلمين ، وطالت تلك الحروب ، فوجّه أبو جعفر عمر بن العلاء الذى يقول فيه بشار :

فقُلْ للخليفة إنْ جئتَــهُ نَصيحاً ولا خَيْرَ فى المُتَّهَمْ
إذا أيقَظتْك حُروبُ العِدا فنَبِّهْ لها عُمَرًا ثمّ نَمْ
فتًى لا يَنامُ على دِمْنَــةٍ ولا يَشْرَبُ الماءَ إلا بِدمْ

وكان توجيهه إياه بمشورة أبْرويز أخى المصمُغان ، فإنه قال له :
٣/١٣٧ يا أميرَ المؤمنين ؛ إن عمر أعلم الناس ببلاد طَبَرِستان ، فوجّهه ؛ وكان أبرويز قد عرف عمر أيام سنباذ وأيام الراونديّة ، فضمّ إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة ، فدخل الرُّويان ففتحها ، وأخذ قَلْعة الطاق وما فيها ، وطالت الحرب ،

(١) ت : « سنة أربعين ومائة » .

فألحّ خازم على القتال، ففتح طبَرستان ، وقتل منهم فأكثر ، وصار الأصبهبذ إلى قلعته، وطلب الأمان على أن يسلم القلعة بما فيها من ذخائره[1]، فكتب المهدىّ بذلك إلى أبى جعفر ، فوجّه أبو جعفر بصالح صاحب المصلى وعدّة معه، فأحصوْا ما فى الحِصْن، وانصرفوا . وبدا للأصبهبذ، فدخل بلاد جِيلان من الدّيْلم، فمات بها ؛ وأخِذت ابنته — وهى أمّ إبراهيم بن العباس بن محمد — وصمدت الجنود للمصمغان؛ فظفروا به وبالبحترية أم منصور بن المهدىّ ، وبصيمر أم ولد علىّ بن رَيْطة بنت المصمُغان . فهذا فتح طبرستان الأول .

قال : ولما مات المصمُغان تحوّز أهل ذلك الجبل فصاروا حَوْزيّة لأنهم توحّشوا كما توحّش حمر الوحش .

* * *

وفى هذه السنة عُزِل زياد بن عبيد الله الحارثىّ عن المدينة ومكة والطائف، واستعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسرىّ، فقدمها فى رجب. وعلى الطائف ومكة الهيثم بن معاوية العتكىّ[2] من أهل خراسان .

* * *

وفيها تُوفِّىَ موسى بن كعب ؛ وهو على شرط المنصور ، وعلى مصر والهند وخليفته على الهند عيينة ابنه . ١٣٨/٣

وفيها عُزِل موسى بن كعب عن مصر ، ووليها محمد بن الأشعث ثم عزل عنها ، ووليها نَوفَل بن الفُرات .

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس وهو على قِنَّسرين وحمص ودمشق . وعلى المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسرىّ ، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية . وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وعلى خُراسان المهدىّ وخليفته عليها السرىّ بن عبد الله ، وعلى مصر نَوْفل بن الفرات .

(١) ت : « الذخائر » .
(٢) ب : « العكى » ، ج : « المكى » .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند]

فما كان فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسّند .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه :

ذُكر أن سبب خلعه، كان أن المسيّب بن زهير كان خليفة موسى بن كعب على الشُّرَط ، فلما مات موسى أقام المسيّب على ما كان يلى من الشُّرَط(١) ، وخاف المسيّب أن يكتب المنصور إلى عُيَيْنة فى القدوم عليه فيوليه مكانه ؛ وكتب إليه ببيت شعر ولم ينسب الكتاب إلى نفسه :

١٣٩/٣ فأرْضَكَ أرضَكَ إن تأْتنا ... فَنَمْ نومَةً ليس فيها حُلُمْ

وخرج أبو جعفر لما أتاه الخبر عن عيينة بخلْعه حتّى نزل بعسكره من البصرة عند جسرها الأكبر ، ووجّه عمر بن حفص بن أبى صفرة العتكىّ(٢) عاملا على السند والهند ، محاربًا لعيينة بن موسى ؛ فسار حتّى ورد السند والهند ، وغلب عليها .

* * *

[ذكر خبر نكث إصبهبذ طبرستان العهد]

وفى هذه السنة نقض إصبهبذ طَبَرستان العهد بينه وبين المسلمين ، وقتل من كان ببلاده من المسلمين .

* ذكر الخبر عن أمره وأمر المسلمين :

ذكر أن أبا جعفر لما انتهى إليه خبر الإصبهبذ وما فعل بالمسلمين ، وجّه إليه خازم بن خزيمة وروْح بن حاتم ومعهم مرزوق أبو الخصيب مولى

---

(١) ج : « الشرطة » . (٢) ب : « العكى » .

أبى جعفر ، فأقاموا على حصنه محاصرين له ولمن معه فى حصنه ، وهم يقاتلونهم حتى طال عليهم المقام ، فاحتال أبو الخصيب فى ذلك فقال لأصحابه : اضربونى واحلقوا رأسى ولحيتى ؛ ففعلوا ذلك به ، ولحق بالإصبهبذ صاحب الحصن فقال له : إنى[1] رُكِب منى أمرٌ عظيم ؛ ضُرِبتُ وحُلِق رأسى ولحيتى . وقال له : إنما فعلوا ذلك بى تهمةً منهم لى أن يكون هواى معك ، وأخبره أنه معه ، وأنه دليل له على عورة عسكرهم . فقبل منه ذلك الإصبهبذ ، وجعله فى خاصّته وألطفه ؛ وكان باب مدينتهم من حجر يلقى إلقاء يرفعه الرجال ، وتضعه عند فتحه وإغلاقه ؛ وكان قد وكّل به الإصبهبذ ثقاتِ أصحابه ، وجعل ذلك نُوَبًا بينهم ، فقال له أبو الخصيب : ما أراك وثقت بى ، ولا قبلت نصيحتى ! ٣/١٤٠ قال : وكيف ظننتَ ذلك ؟ قال : لتركك الاستعانة بى فيما يعنيك ، وتوكيلى فيما لا تثق به إلّا بثقاتك ؛ فجعل يستعين به بعد ذلك ، فيرى منه ما يحبّ إلى أن وثق به ، فجعله فيمن ينوب فى فتح باب مدينته وإغلاقه ؛ فتولّى له ذلك حتى أنس به . ثم كتب أبو الخصيب إلى رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمة ، وصيّر الكتاب فى نُشّابة ، ورماها إليهم ، وأعلمهم أن قد ظفر بالحيلة ، ووعدهم ليلة ، سمّاها[2] لهم فى فتح الباب . فلما كان فى[3] تلك الليلة فتح لهم ، فقتلوا مَن فيها من المقاتلة ، وسبَوا الذرارىّ ، وظُفر بالبحتريّة . وهى أم منصور بن المهدى ، وأمّها باكند بنت الإصبهبذ الأصمّ — وليس بالإصبهبذ الملك ؛ ذاك أخو باكند — وظفر بشَكْلة أم إبراهيم بن المهدىّ ، وهى بنت خوناذان[4] قَهرمان المصمُغان ، فمصّ الإصبهبذ خاتمًا له فيه سمّ فقتل نفسه .

وقد قيل : إن دخول رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمة طَبَرستان كان فى سنة ثلاث وأربعين ومائة .

* **

وفى هذه السنة بنى المنصور لأهل البصرة قبْلتهم التى يصلون إليها فى عيدهم بالجمّان ، وولى بناءه سلمة بن سعيد بن جابر ؛ وهو يومئذ على الفُرات والأُبُلّة ٣/١٤١

---

(١) ج : «إنه» . (٢) كذا فى ت ، وفى ط : «وسماها» .
(٣) ساقطة من ت . (٤) كذا فى ت .

من قِبَل أبى جعفر ، وصام أبو جعفر شهر رمضان وصلى بها يوم الفطر .

* * *

وفيها تُوُفّى سليمان بن علىّ بن عبد الله بالبَصْرة ليلة السبت لتسع[1] بقين من جمادى الآخرة ، وهو ابن تسع وخمسين سنة ، وصلّى عليه عبد الصمد ابن علىّ .

وفيها عُزِل عن مصر نوفل بن الفرات ، ووليها محمد بن الأشعث ، ثم عُزِل عنها محمد ووليها نوفل بن الفرات ، ثم عزل نَوْفل ووليها حميد ابن قحطبة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن العباس .

وكان العامل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله ، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وعلى مصر حميد بن قحطبة .

* * *

وفيها — فى قول الواقدى — ولّى أبو جعفر أخاه العباس بن محمد الجزيرة والثغور وضمّ إليه عدّة من القوّاد ، فلم يزل بها حيناً .

---

(١) ج : « لسبع » .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[غزو الدّيلم]

فى هذه السنة ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر أن أبا جعفر اتصل به عن الدّيلم إيقاعهم بالمسلمين وقتلهم منهم مقتلة ١٤٢/٣
عظيمة ، فوجّه إلى البصرة حبيب بن عبدالله بن رغبان[١] ، وعليها يومئذ إسماعيل ابن علىّ ، وأمره بإحصاء كل مَن له فيها عشرة آلاف درهم فصاعداً ، وأن يأخذ كلّ من كان ذلك له بالشخوص بنفسه لجهاد الدّيلم ، ووجّه آخر لمثل[٢] ذلك إلى الكوفة .

* * *

[عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف]

وفيها عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف ، وولّى ما كان إليه من ذلك السرىّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ، وأتى[٣] السرىّ عهده على ذلك وهو باليمامة ، فسار إلى مكة ، ووجّه أبو جعفر إلى اليمامة قُثَم ابن العباس بن عبد الله بن عباس .

* * *

[عزل حميد بن قحطبة عن مصر]

وفيها عُزِل حُميد بن قحطبة عن مصر ، ووليَها نوفل بن الفرات ، ثم عزل نوفل ووليَها يزيد بن حاتم .

---

(١) ب : « رعبان » . (٢) ج : « مثل » .
(٣) ج : « وأبى » .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبيد الله[١] ابن عباس ، وكان يومئذ إليه ولاية الكوفة وسوادها .

وكان والى مكة[٢] فيها السرى بن عبد الله بن الحارث ، ووالى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

(١) ط : « عبد » .

(٢) ب : « مكة والمدينة » ، ت « المدينة » .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوُ محمد بن أبى العباس بن عبد الله بن محمد ابن علىّ[1] الدَّيلمَ فى أهل الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة .

وفيها انصرف محمد بن أبى جعفر المهدىّ عن خُراسان إلى العراق، وشخص أبو جعفر إلى قرماسين ، فلقيه بها ابنُه محمد منصرفاً من خُراسان ، فانصرفا جميعاً إلى الجزيرة . ١٤٣/٣

وفيها بَنَى محمد بن أبى جعفر عند مقدَمه من خُراسان بابنة عمه رَيْطة بنت أبى العباس .

وفيها حجّ بالناس أبو جعفر المنصور ، وخلف على عسكره والميرة خازم ابن خُزَيمة .

* * *

[ولاية رياح بن عثمان على المدينة وأمر ابنى عبد الله بن حسن]

وفى هذه السنة ولّى أبو جعفر رياحَ بن عثمان المُرّىّ المدينة ، وعزَل محمد ابن خالد بن عبد الله القسرىّ عنها .

* ذكر الخبر عن سبب عزله محمد بن خالد واستعماله رياح بن عثمان وعزله زياد بن عبيد الله الحارثىّ من قبَل محمد بن خالد :

وكان سببعزل زياد عن المدينة ، أنّ أبا جعفر همّه أمرُ محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب وتخلّفهما عن حضوره ؛ مع مَن شهده من سائر بنى هاشم عام حجّ فى حياة أخيه أبى العباس ، ومعه أبو مسلم . وقد ذكر أن محمداً كان يذكر أنّ أبا جعفر ممّن بايع له ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمَنْ يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر بنى مَرْوان مع سائر المعتزلة الذين كانوا معهم هنالك . فسأل عنهما ، فقال له زياد بن

---

(١) كذا فى ت ، وبعدها فى ط : « ابن أمير المؤمنين » .

عبيد الله : ما يهمّك من أمرهما ! أنا آتيك بهما ؛ وكان زياد يومئذ مع
أبي جعفر عند مقدمه مكة سنة ست وثلاثين ومائة ، فردّ أبو جعفر زياداً إلى
١٤٤/٣ عمله ، وضمنه محمّداً وإبراهيم .

فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن محمد بن إسماعيل حدّثه ، قال : حدّثنى عبد العزيز بن عمران[1] ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى عُبيدة[2] بن محمد ابن عمار بن ياسر ، قال : لما استُخلِف أبو جعفر لم تكن له همة إلا طلب محمد والمسألة عنه وما يريد[3] ؛ فدعا بنى هاشم رجلاً رجلاً ؛ كلهم يُخْلِيه[4] فيسألهم عنه ، فيقولون : يا أميرَ المؤمنين ؛ قد علم أنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ؛ فهو يخافك على نفسه ؛ وهو لا يريد لك خلافاً ، ولا يحبّ لك معصية ؛ وما أشبه هذه المقالة إلا حسن بن زيد ، فإنه أخبره خبره ، فقال : والله ما آمن وثوبه عليك ؛ فإنه للّذى لا ينام[5] عنك ، فرَ رأيك . قال ابن أبى عبيدة : فأيقظ مَنْ لا ينام[6] .

وقال محمد : سمعت جدى موسى بن عبد الله ، يقول : اللهمّ اطلب حسن ابن زيد بدمائنا . قال موسى : وسمعت والله أبى يقول : أشهد لعرّفنى أبو جعفر حديثاً ما سمعه منى إلا حسن بن زيد .

وحدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : سمعت القاسم بن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان ، قال : أخبرنى محمد بن وهب السّلمىّ ، عن أبى ، قال : عرّفنى أبو جعفر حديثاً ما سمعه منى إلا أخى عبد الله بن حسن
١٤٥/٣ وحسن بن زيد ؛ فأشهد ما أخبره به عبد الله ؛ ولا كان يعلم الغيب .

قال محمد : وسأل عنه عبد الله بن حسن عام حجّ ، فقال له مقالة الهاشميّين ، فأخبره أنه غير راضٍ أو يأتيه به .

قال محمد : وحدثتنى أمى عن أبيها ، قال : قال أبى : قلت لسليمان بن

---

(١) الأغانى : « عمر » . (٢) الأغانى : « عبده » .
(٣) الأغانى : « ألح فى طلب محمد والمسألة عنه » . (٤) أخلاه يخليه : كلمه خالياً .
(٥) الأغانى : « لا ينام » .
(٦) الخبر فى الأغانى ١٨ : ٢٠٦ (ساسى) ؛ بروايته عن العتكى عن عمر بن شبة ؛ بالسند المذكور هنا .

علىّ : يا أخى صهرى بك صهرى ، ورحِمِى بك رحمى ، فما ترى ؟ قال : والله لكأنّى أنظر إلى عبد الله بن علىّ حين حال الستر(١) بيننا وبينه ؛ وهو يشير إلينا أنّ هذا الذى فعلتم بى ، فلو كان عافياً عفا عن عمّه . قال : فقبل رأيه ، قال : فكان آل عبد الله يروْنها صِلةً من سُلَيْمان لهم .

قال أبو زيد : وحدّثنى سعيد بن هُرَيم ، قال : أخبرنى كلثوم المَرائىّ ، قال : سمعت يحيى بن خالد بن بَرْمَك يقول : اشترى أبو جعفر رقيقاً من رقيق الأعراب ، ثم أعطى الرجل منهم البَعير ، والرجل البعيريْن ، والرجل الذود ، وفرّقهم فى طلب محمد فى ظهر المدينة ؛ فكان الرّجل منهم يرد الماء كالمارّ وكالضالّ ، فيَفرّون عنه ويتجسسون .

قال : وحدّثنى محمد بن عباد بن حبيب المهلبىّ ، قال : قال لى السندىّ مولى أمير المؤمنين : أتدرى ما رفع عُقْبة بن سَلْم عند أمير المؤمنين ؟ قلت : لا ، قال : أوفد عمّى عمر بن حفص وفْداً من السند فيهم عقبة ، فدخلوا على أبى جعفر ، فلما قضوْا حوائجهم نهضوا ، فاستردّ عقبة ؛ فأجلسه ، ثم قال له : مَنْ أنت ؟ قال : رجل من جُنْد أمير المؤمنين وخَدَمه ، صحبت عمر ابن حفص ، قال : وما اسمك ؟ قال : عُقْبة بن سلم بن نافع ، قال : ممّن أنت ؟ قال : من الأزْد ثم من بنى هُناءة ، قال : إنى لأرى لك هيئة وموضعاً ، وإنى لأريدك لأمر أنا به معنىّ ، لم أزل أرتاد له رجلا ، عسى أن تكونه إن كَفيتَنيه رفعتُك ، فقال : أرجو أن أصدّق ظنّ أمير المؤمنين فىّ ، قال : فأخف شخصَك(٢) ، واستر أمرك ، وأتنى فى يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا ؛ فأتاه فى ذلك الوقت ، فقال له : إن بنى عمّنا هؤلاء قد أبوْا إلّا كيداً لملكنا واغتيالا له ، ولهم شيعة بخُراسان بقرية كذا ، يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطاف من ألطاف بلادهم ، فاخرج بكساً وألطاف وعيْن حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه(٣) عن أهل هذه القرية ، ثم تسبر ناحيتهم(٤) ؛ ١٤٦/٣ فإن كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحْبِبْ والله بهم وأقرِبْ ، وإن كانوا على

(١) ج : « السير » ، ابن الأثير : « المنية » . (٢) ب : « سخطك » .

(٣) ب : « نكتبه » . (٤) ج : « ثم تسير إلى ناحيتهم » ت : « إلى بلادهم » .

رأيهم علمتُ ذلك، وكنتُ على حذرٍ واحتراس منهم ؛ فاشخص حتى تلقى عبد الله ابن حسن متقشّفا متخشعًا ؛ فإن جبهك – وهو فاعل – فاصبرْ وعاوده ؛ فإن عاد فاصبر حتى يأنس بك وتلين لك ناحيته ؛ فإذا ظهر لك ما في قلبه[1] فاعجل عليّ . قال : فشخص حتى قدم على عبد الله ، فلقيه بالكتاب ، فأنكره ونهره ، وقال : ما أعرف هؤلاء القوم ؛ فلم يزل ينصرف ويعود إليه حتى قبِل كتابه وألطافه ، وأنس به ؛ فسأله عُقْبة الجواب ، فقال : أمّا الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد ، ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرِئهم السلام
٣/١٤٧ وأخبرهم أن ابنيّ خارجان[2] لوقت كذا وكذا . قال : فشخص عُقْبة حتى قدم على أبي جعفر ، فأخبره الخبر[3] .

قال أبو زيد : حدّثني أيوب بن عمر ، قال : حدّثني موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : ولّى أبو جعفر الفضلَ ابن صالح بن عليّ الموسم في سنة ثمان وثلاثين ومائة ، فقال له : إن وقعت عيناك على محمد وإبراهيم ، ابنيْ عبد الله بن حسن ، فلا يفارقانك ؛ وإن لم ترهما فلا تسأل عنهما . فقدِم المدينة، فتلقاه أهلُها جميعًا ؛ فيهم عبد الله بن حسن وسائر بني حسن إلاّ محمدًا وإبراهيم ابنيْ عبد الله بن حسن . فسكت حتى صدر عن الحجّ، وصار إلى السيّالة، فقال لعبد الله بن حسن : ما منع ابنيْك أن يلقياني مع أهلهما ! قال : والله[4] ما منعهما من ذلك رِيبة ولا سوء ؛ ولكنهما منهومان بالصّيد واتّباعه ، لا يشهدان مع أهليهما خيراً ولا شرّا . فسكت الفضلُ عنه ، وجلس على دكان[5] قد بنى له بالسّيّالة . فأمر عبد الله رعاته فسرّحوا عليه ظهره ، فأمر أحدهم فحلَب لبَنًا على عسل في عُسّ عظيم ، ثم رقى به الدكان، فأوْمأ إليه عبد الله أن اسق الفضلَ بن صالح ، فقصد قصده ؛ فلما دنا منه صاح به الفضل صَيحةً مغضبًا : إليك يا ماصّ بَظْر أمّه ! فأدبر الرّاعي ، فوثب عبد الله – وكان من أرفق الناس – فتناول القعبَ ، ثم أقبل

---

(١) ت : « ما قبله » . (٢) ابن الأثير : « إنى خارج » .
(٣) الخبر في الأغاني ١٨ : ٢٠٧ (ساسى) . (٤) ج : « لا والله » .
(٥) ج : « مكان » .

يمشى به إلى الفضل ، فلما رآه يمشى إليه استحيا منه ، فتناوله فشرب .

قال أبو زيد : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى أبى ، عن أبيه ، قال : كان لزياد بن عبيد الله كاتب يقال له حَفْص بن عمر من أهل الكوفة يتشيّع ، وكان يثبّط زياداً عن طلب محمد ، فكتب فيه عبد العزيز بن سعد إلى أبى جعفر فحدره إليه ، فكتب فيه زياد إلى عيسى بن علىّ ١٤٨/٣
وعبد الله بن الربيع الحارثىّ فخلّصاه حتى رجع إلى زياد .

قال علىّ بن محمد : قدم محمد البصرة مختفياً فى أربعين ، فأتَوْا عبد الرحمن ابن عثمان بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقال له عبد الرحمن : أهلكتَنى وشهرتَنى ؛ فانزل عندى وفرّقْ أصحابَك ؛ فأبى ، فقال : ليس لك عندى منزل ؛ فانزل فى بنى راسب ، فنزل فى بنى راسب .

وقال عمر(١) : حدّثنى سليمان بن محمد السارىّ ، قال: سمعت أبا هبّار المُزَنىّ يقول : أقمنا مع محمد بن عبد الله بالبَصْرة يدعو الناس إلى نفسه .

قال : وحدثنى عيسى بن عبد الله ، قال : قال أبو جعفر : ما طمعت فى بغية لى قطّ إذا ذكرت مكان بنى راسب بالبصرة .

قال : وحدّثنى أبو عاصم النّبيل، قال : حدثنى ابن جَشيب اللِّهْبِىّ ، قال : نزلتُ فى بنى راسب فى أيام ابن معاوية ، فسألنى فتًى منهم يوماً عن اسمى ، فلطمه شيخ منهم ، فقال : وما أنت وذاك ! ثم نظر إلى شيخ جالس بين يديه ، فقال : أترى هذا الشيخ نزل فينا أبوه أيام الحجاج ، فأقام حتى ولد له هذا الولد، وبلغ هذا المبلغ ، وهذه السنّ ! لا(٢) والله ما ندرى ما اسمه ولا اسم أبيه ، ولا ممن هو !

قال : وحدّثنى محمد بن الهذيل ، قال : سمعتُ الزّعفرانىّ يقول : قدم محمد ، فنزل على عبد الله بن شيبان أحد بنى مُرّة بن عبيد ، فأقام ستة أيام ، ثم خرج فبلغ أبا جعفر مقدمُه البصرة ، فأقبل مُغِذًّا حتى نزل الجسر ١٤٩/٣

(١) ت : « أبو زيد » . (٢) ط : « ولا » ، وما أثبته من ت .

الأكبر ، فأردنا عمرًا(١) على لقائه ، فأبى حتى غلبناه ، فلقيه فقال : يا أبا عثمان ، هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا ؟ قال : لا(١) قال : فأقتصرُ على قولك وأنصرف ؟ قال : نعم ؛ فانصرف ، وكان محمد قد خرج قبل مقدَم أبى جعفر .

قال علىّ بن محمد : حدّثنى عامر بن أبى محمد ، قال : قال أبو جعفر لعمرو بن عبيد : أبايعتَ محمداً ؟ قال : أنا والله لو قلّدتْنِى الأمّة أمورها ما عرفتُ لهما موضعًا .

قال علىّ : وحدثنى أيوب القزّاز ، قال : قلت لعمرو : ما تقول فى رجل رضى بالصبر على ذهاب دينه ؟ قال : أنا ذاك ، قلت : وكيف ؛ ولو دعوتَ أجابك ثلاثون ألفًا ! قال : والله ما أعرف موضع ثلاثة إذا قالوا وفَوْا ، ولو عرفتُهُم لكنت لهم رابعًا .

قال أبو زيد : حدّثنى عبيد الله بن محمد بن حفص ، قال : حدّثنى أبى ، قال : وجِل محمد وإبراهيم بن أبى جعفر ، فأتيا عدَن ، ثم سارا إلى السند ثم إلى الكوفة ، ثم إلى المدينة .

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق ، قال : تكفّل زياد لأمير المؤمنين بابنَىْ عبد الله أن يخرجهما له ، فأقرّه على المدينة ، فكان حسن بن زيد إذا علم من أمرهما علمًا كفّ حتى يفارقا مكانهما ذلك ؛ ثم يخبر أبا جعفر ، فيجد الرّسم الذى ذكر ، فيصدقه بما رفع إليه ؛ ١٥٠/٣
حتى كانت سنة أربعين ومائة ، فحجّ فقسّم قسومًا خصّ فيها آل أبى طالب فلم يظهر له ابنا عبد الله ؛ فبعث إلى عبد الله فسأله عنهما ، فقال : لا علم لى بهما ؛ حتى تغالظا ، فأمصّه(٢) أبو جعفر ، فقال : يا أبا جعفر ، بأىّ أمهاتى تُمصّنى ! أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم بفاطمة بنت

(١ - ١) فى ابن الأثير : «فلقيه عمرو بن عبيد ، فقال له : يا أبا عثمان ؛ هل بالبصرة أحد تخافه على أمرنا ؟ ، قال : لا » ؛ وهذه العبارة أوضح .

(٢) فى اللسان : « مصان ومصانة : شتم للرجل يعير برضع الغنم من أخلافها بفيه . . . يعنون أنه يرضع الغنم من اللؤم ؛ لا يحتلبها فيسمع صوت الحلب ؛ ولهذا قيل : لئيم راضع ، ويقال : أمص فلان فلانًا ؛ إذا شتمه بالمصان » ، وفى الأغانى : « فأمضه » .

أسد ، أم بفاطمة بنت حسين ، أم أمّ إسحاق بنت طلحة ، أم خديجة بنت خويلد ؟ قال : لا بواحدة منهنّ ؛ ولكن بالجرباء بنت قسامة بن زهير — وهى امرأةٌ من طيّئ — قال : فوثب المسيّب بن زهير ، فقال : دعْنى يا أميرَ المؤمنين أضرب عنق ابن الفاعلة . قال : فقام زياد بن عبيد الله ، فألقى عليه رداءَه ، وقال : هبه لى يا أمير المؤمنين ؛ فأنا أستخرج[1] لك ابنيْه فتخلّصه منه[2] .

قال عمر : وحدثنى الوليد بن هشام بن قَحْذم ، قال : قال الحزين الدّيلىّ لعبد الله بن الحسن ينعَى عليه ولادة الجرباء :

لعَلَّك بالجَرْباء أَو بحكاكة تُفاخِرُ أُمّ الفَضْل وابنَة مِشْرح[3]

وما منهما إلا حَصانٌ نجيبةٌ لها حَسَبٌ فى قومها مُترجِّحُ

١٥١/٣ قال عمر : وحدثنى محمد بن عبّاد ، قال : قال لى السّندىّ مولى أمير المؤمنين : لما أخبر عقبة بن سلم أبا جعفر ، أنشأ الحجّ[4] وقال لعقبة : إذا صرت بمكان كذا وكذا لقيَنى بنو حسن ، فيهم عبد الله ، فأنا مبجّله ورافعٌ مجلسه وداعٍ بالغداء ؛ فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتُك فامثل بين يديه قائمًا ، فإنه سيصرف بصره عنك ، فدر[4] حتى تغمز ظهرَه بإبهام رجلك حتى يملأ عينه[5] منك ثم حسبُك ؛ وإياك أن يراك ما دام يأكل . فخرج حتى إذا تدفّع فى البلاد لقيه بنو حسن ، فأجلس عبدَ الله إلى جانبه ، ثم دعا بالطعام فأصابوا منه ؛ ثم أمر به فرفع ، فأقبل على عبد الله ، فقال : يا أبا محمد ، قد علمتَ ما أعطيتَنى من العهود والمواثيق ألّا تبغيَنى سوءاً ، ولا تكيد لى سلطانًا ، قال : فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فلحظ أبو جعفر عُقْبة ، فاستدار حتى قام بين يديه ، فأعرض عنه ، فرفع رأسه حتى قام من وراء ظهره ؛ فغمزه بأصبعه ، فرفع رأسه فملأ عينه منه ، فوثب حتى جثا بين يدى أبى جعفر ، فقال : أقِلْنى يا أميرَ المؤمنين أقالك الله ! قال : لا أقالنى الله إن أقلتُك ، ثم أمر بحبسه[6] .

---

(١) الأغانى : « المستخرج » .
(٢) الخبر فى الأغانى ١٨ : ٢٠٧ (ساسى) .
(٣) ب : « فامتثل » .
(٤) أى عزم على الحج .
(٥) الأغانى : « عينيه » .
(٦) الأغانى ١٨ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

قال عمر : وحدثنى بكر بن عبد الله بن عاصم مولى قُرَيبةَ بنت عبدالرحمن
ابن أبى بكر الصديق ، قال : حدّثنى علىّ بن رَباح بن شبيب ، أخو إبراهيم ،
عن صالح صاحب المصلّى ، قال : إنى لواقفٌ على رأس أبى جعفر وهو يتغدّى
بأَوْطاس ؛ وهو متوجّه إلى مكة ، ومعه على مائدته عبدُ الله بن حسن وأبو الكرام ١٥٢/٣
[الجعفرىّ] [١] وجماعة من بنى العباس ؛ فأقبل على عبدالله ، فقال : يا أبا محمد ،
محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتى ؛ وإنى لأحبّ أن يأنسا بى [٢] ،
وأن يأتيانى فأصِلَهما وأخلطهما بنفسى — قال وعبد الله مطرِق [٣] طويلا
ثم رفع رأسه — فقال [٤] : وحقِّك يا أميرَ المؤمنين ، فما لى بهما ولا بموضعهما
من البلاد علْم ؛ ولقد خرجا من يدى ؛ فيقول أبو جعفر : لاتفعل يا أبامحمد ،
اكتب إليهما وإلى من يوصّل كتابك إليهما . قال : فامتنع أبو جعفر ذلك
اليوم من عامّة غَدائه إقبالاً على عبد الله ، وعبد الله يحلف ما يعرف موضعهما
وأبو جعفر يكرّر عليه : لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل
يا أبا محمد . قال : فكان شدّة هرب محمد من أبى جعفر أنّ أبا جعفر كان
عقد له بمكة فى أناس من المعتزلة [٥] .

قال عمر : حدثنى أيوب بن عمر — يعنى ابن أبى عمرو — قال : حدثنى
محمد بن خالد [٦] بن إسماعيل بن أيوب بن سلَمة المخزومىّ ، قال : أخبرَنى
أبى ، قال : أخبرنى العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، قال :
لما حجّ أبو جعفر فى سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن ؛ فإنهما
وإياى لعنده ؛ وهو مشغول بكتاب ينظر فيه ؛ إذْ تكلم المهدىّ فلحن ، فقال
عبد الله : يا أميرَ المؤمنين ، ألا تأمر بهذا مَنْ يعدّل لسانه ؛ فإنه يغفل [٧]
غفل الأَمَة ! فلم يفهم ؛ وغمزتُ عبد الله فلم ينتبه لها ، وعاد لأبى جعفر فاحتفظ [٨]
من ذلك ، وقال : أين ابنك ؟ فقال : لا أدرى ، قال : لتأتينّى به ؛ قال :
لو كان تحت قدمىّ ما رفعتهما عنه ، قال : يا ربيع قمْ به [٩] إلى الحبس [١٠] . ١٥٣/٣

(١) من الأغانى .
(٢) ط : « يأنسانى » ، والأجود ما أثبته من الأغانى وت .
(٣) الأغانى : « يطرق » .
(٤) الأغانى : « ثم يرفع رأسه ويقول » .
(٥) الأغانى ١٨ : ٢٠٧ (ساسى) .
(٦) الأغانى : « خلف » .
(٧) الأغانى : « يفعل فعل الأمة » .
(٨) الأغانى : « فاحفظ » .
(٩) الأغانى : « فر به » .
(١٠) الخبر فى الأغانى ١٨ : ٢٠٨ (ساسى) .

قال عمر : حدّثنى موسى بن سعيد بن عبد الرحمن الجُمحىّ ، قال : لما تمثّل عبد الله بن حسن لأبى العباس :

أَلم تر حوشبًا أمسى يبنّى بيوتًا نفعها لبنى بُقَيْلَهْ[1]

لم تزل فى نفس أبى جعفر عليه ؛ فلما أمر بحبسه ، قال : ألست القائل لأبى العباس :

أَلم تَرَ حَوْشَبًا أَمْسَى يُبَنِّى بُيُوتًا نَفعُها لبنى بُقَيْلَهْ

وهو آمن الناس عليك ، وأحسنهم إليك صنيعًا !

قال عمر : حدّثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق عن أبى حُنَيْن ، قال : دخلتُ على عبد الله بن حسن وهو محبوس ؛ فقال : هل حدث اليوم مِنْ خبر ؟ قلت : نعم ، قد أمر ببيع متاعك ورقيقك ، ولا أرى أحداً يقدم على شرائه ، فقال : ويحك يا أبا حُنين! والله لو خُرِج بى وببناتى مسترَقّين لاشتُرِينا !

قال عمر : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا الحارث بن إسحاق قال : شخص أبو جعفر ، وعبد الله بن حسن محبوس ، فأقام فى الحبس ثلاث سنين .

قال عمر : وحدثنى عبد الله بن إسحاق بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب ، قال : حدثنى أبو حَرْملة محمد بن عثمان ، مولى آل عمرو بن عثمان ، قال : حدّثنى أبو هبّار المُزنىّ ، قال : لما حجّ أبوجعفر سنة أربعين ومائة ، حجّ تلك السنة محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، وهما متغيبان ، ١٥٤/٣
فاجتمعوا بمكة ، فأرادوا اغتيال أبى جعفر ، فقال لهم الأشتر : عبد الله بن محمد ابن عبد الله ، أنا أكفيكموه ، فقال محمد : لا والله لا أقتله أبداً غِيلَةً حتى أدعوه ؛ قال : فنقض أمرُهم ذلك وما كانوا أجمعوا عليه . ؛ وقد كان دخل

---

(١) الأغانى ١٨ : ٢٠٦ (ساسى) ، وبعده يقول :

يؤمّل أن يعمّر عُمْرَ نوح وأمرُ الله يحدث كلَّ لَيْلَهْ

معهم فى أمرهم قائد من قوّاد أبى جعفر من أهل خراسان . قال : فاعترض لأبى جعفر إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج ، فنمَّى إليه أمرَهم ، فأرسل فى طلب القائد فلم يظفرْ به، وظفِر بجماعة من أصحابه ، وأفلت الرّجُل وغلام له بمال زُهاء ألفى دينار كانت مع الغلام ، فأتاه بها وهو مع محمد ، فقسّمها بين أصحابه . قال أبو هبّار : فأمرنى محمد ، فاشتريت للرّجُل أباعر وجهّزته وحملته فى قبّة وقطرته ، وخرجت أريد به المدينة حتى أوردتُه إياها . وقدم محمد فضمّه إلى أبيه عبد الله، ووجّههما إلى ناحية من خراسان . قال : وجعل أبو جعفر يقتل أصحاب ذلك القائد الذى كان من أمره ما ذكرتُ .

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى بن محمد ، قال : حدّثنى أبى عن أبيه ، قال : غدوتُ على زياد بن عبيد الله وأبو جعفر بالمدينة ، قال : فقال: أخبركم عجبًا مما لقيته اللّيلة ؛ طرقنى رسلُ أميرِ المؤمنين نصفَ الليل — وكان زياد قد تحوّل لقدوم أمير المؤمنين إلى داره بالبلاط — قال : فدقّتْ علىّ رسله ، فخرجت ملتحفًا بإزارى[1] ؛ ليس علىّ ثوب غيره ، فنبهت غلمانًا لى وخصيانًا فى سقيفة الدار ، فقلت لهم : إن هدموا الدار فلا يكلمهم منكم أحد؛ قال : فدقوا طويلا ثم انصرفوا ، فأقاموا ساعة ، ثم طلعوا بجُرْز[2] شبيه أن يكون معهم مثله ؛ مرّة أو مرّتين ، فدقوا الباب بجِرزَة الحديد ، وصيّحوا فلم يكلمهم أحد ، فرجعوا فأقاموا ساعة ، ثم جاءوا بأمر ليس عليه صَبْر ؛ فظننت والله أن قد هدموا الدار علىّ ، فأمرت بفتحها ، وخرجت إليهم فاستحثونى وهمّوا أن يحملونى ، وجعلت أسمع العزاء من بعضهم حتى أسلمونى إلى دار مَرْوان ، فأخذ رجلان بعضدى ، فخرّجانى على حال الدفيف[3] على الأرض أو نحوه ؛ حتى أتيا بى حجرة القبّة العظمى ؛ فإذا الربيع واقفٌ ، فقال : ويحك يا زياد ! ماذا فعلت بنا وبنفسك منذ الليلة ! ومضى بى حتى كشف ستر باب القبّة ، فأدخلنى ووقف خلْفى بين البابين ؛ فإذا الشمع فى نواحى القبّة ، فهى تزهر ، ووصيف قائم فى ناحيتها ، وأبو جعفر محتَبٍ بحمائل سيفه على بساط ١٥٥/٣

(١) ب : « إزارى » . (٢) الجرز : عمود من حديد .
(٣) الدفيف : الدبيب ، أو السير اللين .

ليس تحته وسادة ولا مصلّى ، وإذا هو منكسٌ رأسَه ينقر بجرْز فى يده . قال : فأخبرنى الربيع أنها حاله من حين صلى العتَمة إلى تلك الساعة . قال : فما زلتُ واقفاً[1] حتى إنى لأنتظر نداء الصبح ، وأجد لذلك فَرجاً ؛ فما يكلمنى بكلمة ، ثم رفع رأسه إلىّ ، فقال : يا بن الفاعلة ، أين محمد وإبراهيم ؟ قال : ثم نكس رأسه ، ونكت أطوَل مما مضى له ، ثم رفع رأسه الثانية ، فقال : يابن
١٥٦/٣ الفاعلة ، أين محمد وإبراهيم ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك ! قال : قلت له : اسمع منى ودعْنى أكلّمك ، قال : قل لى : أنت نفّرتَهما عنك ؛ بعثت رسولا بالمال الذى أمرت بقَسْمِه على بنى هاشم ، فنزل القادسيّة ، ثم أخرج سِكينا يحدّه ، وقال : بعثنى أمير المؤمنين لأذبحَ محمداً وإبراهيم ، فجاءتهما بذلك الأخبار ، فهربا . قال : فصرَفنى فانصرفتُ .

قال عمر : وحدّثنى عبد الله بن راشد بن يزيد — وكان يلقب الأكّار ، من أهل فَيْد — قال : سمعت نصر بن قادم مولى بنى محول الحنّاطين : قال : كان عبدويه وأصحاب له بمكة فى سنة حجّها أبو جعفر . قال : فقال لأصحابه : إنى أريد أن أوجر أبا جعفر هذه الحربة بين الصّفا والمروة . قال : فبلغ ذلك عبد الله بن حسن فنهاه ، وقال : أنت فى موضع عظيم ؛ فما أرى أن تفعل . وكان قائد لأبى جعفر يدعى خالد بن حسان ، كان يدعى أبا العساكر على ألف رجل ، وكان قد مالأ عبدويه وأصحابه ؛ فقال له أبو جعفر : أخبرنى عنك وعن عبدويه والعُطاردىّ ، ما أردتم أن تصنعوا بمكة ؟ قال : أردنا كذا وكذا ، قال : فما منعكم ؟ قال : عبد الله بن حسن ، قال : فطمره فلم ير حتى الساعة .

قال عمر : حدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا الحارث بن إسحاق ، قال : جدّ أبو جعفر حين حبس عبد الله فى طلب ابنيه ، فبعث عيناً له ، وكتب معه كتاباً على ألسن الشيعة إلى محمد ، يذكرون طاعتهم ومسارعتهم ؛ وبعث معه بمال وألطاف ، فقدم الرّجل المدينة ، فدخل على عبد الله بن حسن ،
١٥٧/٣ فسأله عن محمد ، فذكر له أنه فى جبل جُهينة ، وقال : امرر بعلىّ بن حسن ،

(١) ت : « واقفا بين يديه » .

الرّجل الصالح الذى يدعى الأغرّ ؛ وهو بذى الأبر ؛ فهو يرشدك . فأتاه فأرشده . وكان لأبى جعفر كاتب على سرّه، كان متشيّعاً، فكتب إلى عبدالله ابن حسن بأمر ذلك العيْن ، وما بُعث له ، فقدم الكتاب على عبد الله فارتاعوا ، وبعثوا أبا هبّار إلى علىّ بن الحسن وإلى محمد ، فيحذّرهم الرجل ؛ فخرج أبو هبّار حتى نزل بعلىّ بن حسن ، فسأله فأخبره أن قد أرشده إليه . قال أبو هبّار : فجئت محمداً فى موضعه الذى هو به، فإذا هو جالس فى كَهْف، معه عبد الله بن عامر الأسلمىّ وابنا شجاع وغيرهم ، والرجل معهم أعلاهم صوتاً ، وأشدّهم انبساطاً ؛ فلما رآنى ظهر عليه بعض النّكرة ، وجلست مع القوم ؛ فتحدّثت مليًّا ، ثم أصغيت إلى محمد ، فقلت : إنّ لى حاجةً ، فنهض ونهضت معه ، فأخبرته بخبر الرجل ، فاسترجع ، وقال : فما الرأى ؟ فقلت : إحدى ثلاث أيها شئت فافعل ؛ قال : وما هى ؟ قلت : تَدَعنى فأقتل الرجل ، قال : ما أنا بمقارف دماً إلّا مكرهاً ، أو ماذا ؟ قلت : توقرُه حديداً وتنقله معك حيث انتقلت ، قال : وهل بنا فراغ له مع الخوف والإعجال ! أو ماذا ؟ قلت : تشدّه وتوثقه وتودعه بعض أهلِ ثقتك من جهينة ؛ قال : هذه إذاً ؛ فرجعنا وقد نذِر الرجل فهرب . فقلت : أين الرجل ؟ قالوا : قام بركْوة فاصطبّ ماء؛ ثم توارى بهذا الظّرب (١) يتوضّأ، قال: فجُلنا فى الجبل وما حوله ؛ فكأنّ الأرض التأمت عليه . قال : وسعى على قدميه حتى شرع على الطريق ، فمرّ به أعراب معهم حُمولة إلى المدينة ، فقال لبعضهم : فرّغ
هذه الغِرارة وأدخلنيها أكن عِدْلا لصاحبتها ولك كذا وكذا ، قال : نعم ؛ ١٥٨/٣
ففرّغها وحمله حتى أقدمه بالمدينة . ثم قدِم على أبى جعفر فأخبره الخبر كلّه ، وعمىَ عن اسم أبى هبار وكنيته، وعلّق وبراً . فكتب أبو جعفر فى طلب وَبر المُزنىّ ، فحُمل إليه رجل منهم يدعَى وبراً ، فسأله عن قصّة محمد وماحكى له العين ؛ فحلف أنه ما يعرف من ذلك شيئاً ؛ فأمر به فضرِب سبعمائة سوط ، وحبُس حتى مات أبو جعفر .

قال عمر : حدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : ألحّ أبو جعفر فى طلب محمد ، وكتب إلى زياد بن عبيد الله الحارثىّ

(١) ت : « ثم دخل هذا الظرب » .

يتنجزّه(١) ما كان ضمِن له ، فقدم محمد المدينة قَدمةً ، فبلغ ذلك زياداً ، فتلطّف له وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس معه ، فوعده ذلك محمد ، فركب زياد مغلّساً ، ووعد محمداً سوق الظهر ، فالتقيا بها ، ومحمد معلنٌ غير مختف ، ووقف زياد إلى جنبه ، وقال : يأيها الناس ؛ هذا محمد بن عبد الله ابن حسن ، ثم أقبل عليه ، فقال : الحقْ بأىّ بلاد الله شئت ، وتوارى محمد ، وتواترت الأخبار بذلك على أبى جعفر .

قال عمر : حدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى من أصدّق ، قال : دخل إبراهيم بن عبد الله على زياد ، وعليه دِرع حديد تحت ثوبه ، فلمسها(٢) زياد . ثم قال : يا أبا إسحاق ؛ كأنك اتّهمتَنى ! ذلك(٣) والله ما ينالك منى أبداً .

قال عُمر : حدثنى عيسى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : ركب زياد بمحمد ؛ فأتى به السوق فتصايح أهل المدينة : المهدىّ المهدىّ ! فتوارى فلم يظْهر ؛ حتى خرج . ٣/١٠٩

قال عمر : حدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لمّا أن تتابعت الأخبار على أبى جعفر بما فعل زياد بن عبيد الله ، وجّه أبا الأزهر (رجلاً من أهل خُراسان) إلى المدينة ، وكتب معه كتاباً ، ودفع إليه كتباً ، وأمره ألّا يقرأ كتابه إليه حتى ينزل الأعوص ، على بريد من المدينة ، فلما أن نزله قرأه ؛ فإذا فيه توليةُ عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المدينة — وكان قاضياً لزياد بن عبيد الله — وشدٌّ زياد فى الحديد ، واصطفاء ماله ، وقبضُ جميع ما وجد له ، وأخذُ عمّاله وإشخاصُه وإياهم إلى أبى جعفر . فقدم أبو الأزهر المدينة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومائة ، فوجد زياداً فى موكب له ، فقال : أين الأمير ؟ فقيل : ركب ، وخرجت الرّسل إلى زياد بقدومه ، فأقبل مسرعاً حتى دخل دار مَرْوان ، فدخل عليه أبو الأزهر ، فدفع إليه كتاباً من أبى جعفر فى ثُلُث يأمره أن يسمع ويطيع ؛ فلما قرأه قال : سمعاً وطاعة ، فمرْ يا أبا الأزهر بما أحببت ؛ قال : ابعث إلى

(١) ج : « ينتجزه » . (٢) ج : « فحبسها » . (٣) ت : « ذاك » .

عبد العزيز بن المطلب . فبعث إليه ، فدفع إليه كتابا أن يسمع لأبى الأزهر ؛ فلما قرأه قال : سمعًا وطاعة ؛ ثم دفع إلى زياد كتابًا يأمره بتسليم العمل إلى ابن المطلب ، ودفع إلى ابن المطلب كتاباً بتوليته ، ثم قال لابن المطلب : ابعث إلىّ أربعة كبول وحدّادًا ، فأتِىَ بهما فقال : اشدد أبا يحيى ، فشُدّ فيها وقبض
١٦٠/٣ ماله — ووجد فى بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار — وأخذ عماله ، فلم يغادر منهم أحداً ؛ فشخص بهم وبزياد ، فلما كانوا فى طرف المدينة وقف له عماله يسلّمون عليه ، فقال : بأبى أنتم ! والله ما أبالى إذا رآكم أبو جعفر ما صنع بى ! أى من هيئتهم ومروّتهم .

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، عن خاله علىّ بن عبد الحميد ، قال : شيّعنا زياداً ، فسرت تحت محمله ليلة ، فأقبل علىّ فقال : والله ما أعرف لى عند أمير المؤمنين ذنبًا ؛ غير أنى أحسبه وجَد علىّ فى ابنىْ عبد الله ، ووجَد دماء بنى فاطمة علىّ عزيزة . ثم مضوا حتى كانوا بالشقراء ؛ فأفلت منهم محمد بن عبد العزيز ، فرجع إلى المدينة ، وحبس أبو جعفر الآخرين ، ثم خلّى عنهم .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى مَنْ أصدّق ، قال : لما أنْ وجّه أبو جعفر مبهوتًا وابن أبى عاصية فى طلب محمد ، كان مبهوت الذى أخذ زياداً ، فقال زياد :

أكلَّفُ ذنبَ قومٍ لستُ منهمْ وما جَنَتِ الشِّمال على اليمين

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال ، حدّثنى عبد الله بن عمران بن أبى فروة ، قال : كنت أنا والشعبانىّ — قائد كان لأبى جعفر — مع زياد بن عبيدالله نختلف إلى أبى الأزهر أيام بعثه أبو جعفر فى طلب بنى حسن ، فإنى لأسير مع أبى الأزهر يومًا إذْ أتاه آتٍ فلصق به ، فقال : إنّ عندى نصيحة فى محمد وإبراهيم ، قال : اذهب عنا ، قال : إنها نصيحة لأمير المؤمنين ، قال :
١٦١/٣ اذهبْ عنّا ، ويلك قد قتل (١) الخلق ! قال : فأبى أن ينصرف ، فتركه أبو الأزهر حتى خلا الطريق ، ثم بعج بسيفه بطنه بَعْجةً ألقاه ناحية .

---

(١) ت : « قتلنا » .

ثمّ استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد ؛ فذكر عمر أن محمد بن يحيى حدّثه ، قال : حدّثنا الحارث بن إسحاق ، قال : استعمل أبوجعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد ، وأمره بالجدّ فى طلب محمد ، وبسط يده فى النفقة فى طلبه . فأغذّ السير حتى قدم المدينة هلال رجب سنة إحدى وأربعين ومائة ، ولم يعلم به أهل المدينة حتى جاء رسوله من الشُّقرة — وهى بين الأعوص والطَّرَف على ليلتين من المدينة — فوجد فى بيت المال سبعين ألف دينار وألف ألف درهم ؛ فاستغرق ذلك المال ؛ ورفع فى محاسبته أموالاً كثيرة أنفقها فى طلب محمد ، فاستبطأه أبو جعفر واتّهمه؛ فكتب إليه أبو جعفر يأمره بكشف المدينة وأعراضها ؛ فأمر محمد بن خالد أهلَ الديوان أن يتجاعلوا لمن يخرج ؛ فتجاعلوا رباع الغاضرىّ المضحك — وكان يداين الناس بألف دينار — فهلكت وتويت[1] ، وخرجوا إلى الأعراض لكشفها عن محمد ، وأمر القسرىّ أهل المدينة ؛ فلزموا بيوتهم سبعة أيام ، وطافت رسله والجند ببيوت الناس يكشفونها ؛ لا يحسون شيئاً ، وكتب القسرىّ لأعوانه صِكاكاً يتعزّزون بها ، لئلا يعرض لهم أحد ؛ فلمّا استبطأه أبو جعفر ورأى ما استغرق من الأموال عزله .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : أخبرنى حسين بن يزيد ، عن ابن ضبّة ، قال : اشتدّ أمر محمد وإبراهيم على أبى جعفر ؛ فبعث فدعا ١٦٢/٣
أبا السعلاء من قيس بن عيلان ، فقال : ويلك ! أشر علىّ فى أمر هذين الرجلين ؛ فقد غمّنى أمرهما ، قال : أرى لك أن تستعمل رجلاً من ولد الزُّبير أو طلحة ؛ فإنهم يطلبونهما بذَحْل ؛ فأشهد لا يُلبثونهما أو يخرجوهما إليك . قال : قاتلك الله ؛ ما أجود رأيًا جئت به ! والله ما غَبِىَ هذا علىّ ؛ ولكنى أعاهد الله ألّا أثّئِر من أهل بيتى بعدوّى وعدوّهم ؛ ولكنى أبعث عليهم صُعيليكاً[2] من العرب ، فيفعل ما قلت ، فبعث رياح بن عثمان بن حيّان .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى عبد الله بن يحيى ، عن

---

(١) تويت بمعنى هلكت . (٢) ط : « صعليكا » .

موسى بن عبد العزيز ؛ قال : لما أراد أبو جعفر عزل محمد بن خالد عن المدينة ركب ذات يوم ؛ فلما خرج من بيته استقبله يزيد بن أسَيْد السُّلَميّ ، فدعاه فسايره . ثم قال : أما تدلّني على فتًى من قيس مُقِلّ ، أغنيه وأشرّفه وأمكّنه من سيد اليمن يلعب به ؟ يعنى ابن القسرىّ ؛ قال : بلى ، قد وجدته يا أمير المؤمنين ، قال : مَنْ هو ؟ قال : رياح بن عثمان بن حَيّان المرىّ ، قال : فلا تذكرنّ هذا لأحد ، ثم انصرف فأمر بنجائب وكسوة ورحال ؛ فهيئت للمسير ؛ فلما انصرف من صلاة العَتَمة دعا برياح ، فذكر له ما بلا من غشّ زياد وابن القسرىّ فى ابنَىْ عبد الله، وولاه المدينة؛ وأمر بالمسير من ساعته قبل أن يصل إلى منزله ، وأمره بالجدّ فى طلبهما ؛ فخرج مسرعًا ،
١٦٣/٣ حتى قدمها يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين ومائــــة .

قال : وحدّثنى محمد بن معروف ، قال : أخبرنى الفضل بن الربيع ، عن أبيه ، قال : لما بلغ أمر محمد وإبراهيم من أبى جعفر ما بلَغ خرجت يومًا من عنده — أو من بيتى — أريده ؛ فإذا أنا برجل قد دنا منى ، فقال : أنا رسول رياح بن عثمان إليك ، يقول لك : قد بلغنى أمر محمد وإبراهيم وإدْهان الولاة فى أمرهما ؛ وإنْ ولّانى أمير المؤمنين المدينة ضَمِنت له أحدهما ، وألّا أظهرهما . قال : فأبلغتُ ذلك أميرَ المؤمنين . فكتب إليه بولايته ، وليس بشاهد .

ذكر عمر بن شبّة ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن يحيى ، عن موسى ابن عبد العزيز ، قال : لما دخل رياح دار مَرْوان ، فصار فى سقيفتها ، أقبل على بعض مَن معه ، فقال : هذه دار مروان ؟ قالوا : نعم ، قال : هذه المحلال المظعان ، ونحن أوّل من يظعن منها .

قال عمر : حدّثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى الزبير بن المنذر مولى عبد الرحمن بن العوّام ، قال : قدم رياح بن عثمان ، فقدم معه حاجب له يكنى أبا البختَرىّ — وكان لأبى صديقًا زمان الوليد بن يزيد . قال : فكنت

آتيه لصداقته لأبى — فقال لى يوماً: يا زُبير، إن رياحاً لما دخل دار مروان قال لى : هذه دار مَرْوان ؟ أما والله إنها لِمحْلال مِظْعان ؛ فلما تكشف الناس عنه — وعبد الله محبوس فى قبة الدار التى على الطريق إلى المقصورة، حبَسه فيها زياد بن عبيد الله — قال لى : يا أبا البَختَرىّ ، خذ بيدى ندخل على هذا الشيخ ، فأقبل متّكئاً علىّ حتى وقف على عبد الله بن حسن ، فقال : أيّها الشيخ ؛ إن أمير المؤمنين والله ما استعملنى لرحم قريبة ، ولا يد[1] سلفت إليه ؛ ١٦٤/٣
والله لا لعبتَ بى كما لعبت بزياد وابن القسرىّ ، والله لأزهقنّ[2] نفسك أو لتأتينى بابنيْك محمد وإبراهيم ! قال: فرفع رأسه إليه وقال : نعم ، أما والله إنك لأزيْرق قيس المذبوح فيها كما تذبح الشاة . قال أبو البَخترىّ : فانصرف رياح والله آخذًا بيدى ، أجد برد يده، وإنّ رجليه لتخطّان مما كلّمه، قال: قلت : والله إنّ هذا ما اطّلع على الغيب قال : إيهاً ويلك ! فوالله ما قال إلا ما سمع ؛ قال : فذُبِح والله فيها ذبح الشاة .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا الحارث بن إسحاق ، قال : قدم رياح المدينة ، فدعا بالقسرىّ ، فسأله عن الأموال ، فقال : هذا كاتبى هو أعلم بذلك منى ، قال : أسألك وتحيلنى على كاتبك ! فأمر به فوُجِئَت عنقه، وقنّع أسواطاً، ثم أخذَ رزاماً كاتب محمد بن خالد القسرىّ ومولاه فبسط عليه العذاب، وكان يضربه فى كلّ غبّ خمسة عشر سوطاً ، مغلولة[3] يده إلى عنقه من بكرة إلى الليل ؛ يتبع به أفناء المسجد والرّحبة ، ودسّ إليه فى الرفع على ابن خالد فلم يجد عنده فى ذلك مساغاً ، فأخرجه عمر بن عبد الله الجذامىّ — وكان خليفة صاحب الشُرَط يوماً من الأيام — وهو يريد ضربه، وما بين قدميه إلى قرنه قرحة، فقال له: هذا يوم غبّك، فأين تحبّ أن نجلدك ؟ قال : والله ما فى بدنى موضع لضرب ؛ فإن شئتَ فبطون كفى ، ١٦٥/٣
فأخرج كفّيه فضرب فى بطونهما خمسة عشر سوطاً . قال: فجعلت رسل رياح تختلف إليه ، تأمره أن يرفع على ابن خالد ويخلّى سبيله، فأرسل إليه : مرْ بالكفّ عنى حتى أكتب كتاباً ، فأمر بالكفّ عنه، ثم ألحّ عليه وبعث إليه:

---

(١) ابن الأثير : « ولاليه » . (٢) ب : « لأرهقن » . (٣) ب : « معلقة » .

أن رُحْ بالكتاب العشيّة على رءوس الناس ، فادفعه إلىّ . فلما كان العشىّ أرسل إليه فأتاه وعنده جماعة فقال : أيّها الناس ؛ إن الأمير أمرنى أن أكتب كتاباً، وأرفع على ابن خالد ؛ وقد كتبت كتاباً أتنجّى[1] به ، وأنا أشهدكم أن كلّ ما فيه باطل . فأمر به رياح فضرب مائة سوط ، ورُدّ إلى السجن .

قال عمر : حدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى عمى عبيد الله بن محمد بن عمر بن علىّ ، قال : لما أهبط الله آدم من الجنّة رفعه على أبى قُبيس ، فرفع له الأرض جميعًا حتى رآها وقال : هذه كلها لك ، قال : أىْ ربّ ، كيف أعلم ما فيها ؟ فجعل له النجوم ، فقال : إذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، وإذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا ؛ فكان يعلم ذلك بالنجوم . ثم إن ذلك اشتدّ عليه ، فأنزل الله عزّ وجلّ مرآة من السماء يرى بها ما فى الأرض حتى إذا ما مات آدم عمَد إليها شيطان يقال له فقطس فكسرها ، وبنى عليها مدينة بالمشرق يقال لها جابرت ؛ فلما كان سليمان بن داود سأل
١٦٦/٣ عنها ، فقيل له : أخذها فقطس . فدعاه فسأله عنها ، فقال : هى تحت أواسى جابرت ، قال : فأتِنى بها ، قال ومَنْ يهدمها ؟ فقالوا لسليمان : قل له : أنت ، فقال سليمان : أنت ، فأتى بها سليمان ، فكان يجبر بعضها إلى بعض ثم يشدّها فى[2] أقطارها بسير ، ثم ينظر فيها ؛ حتى هلك سليمان؛ فوثبتْ عليها الشياطين ؛ فذهبت بها وبقيت منها بقية ، فتوارثتْها بنو إسرائيل حتى صارت إلى رأس الجالوت ؛ فأتِىَ بها مَرْوان بن محمد؛فكان يحكّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ما يكره ، فرمى بها وضرب عنق رأس الجالوت ، ودفعها إلى جارية له، فجعلتها فى كرسفة ، ثم جعلتها فى حجر ؛ فلما استخلف أبو جعفر سأل عنها فقيل له : هى عند فلانة ؛ فطلبها حتى وجدها ، فكانت عنده ؛ فكان يحكّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ؛ وكان يرى محمد ابن عبد الله ؛ فكتب إلى رياح بن عثمان : إنّ محمداً ببلاد فيها الأترجّ والأعناب فاطلبه بها . وقد كتب إلى محمد بعض أصحاب أبى جعفر : لا تقيمنّ فى موضع إلاّ بقدْر مسير البريد من العراق إلى المدينة ؛ فكان يتنقّل فيراه

(١) كذا فى ج ، وفى ط : «أنتحى» . (٢) ج : «من» .

بالبَيْضاء ، وهي من وراء الغابة على نحو من عشرين ميلا ؛ وهي لأشجع . فكتب إليه : إنه ببلاد بها الجبال والقِلاّت ؛ فيطلبه فلا يجده . قال : فكتب إليه إنه بجبل به الحبّ الأخضر والقَطِران ، قال : هذه رضوى ؛ فطلبه فلم يجده .

قال أبو زيد : حدّثني أبو صفوان نصر بن قُديد بن نصر بن سيار ، أنه بلغه أنه كان عند أبي جعفر مرآة يَرى فيها عدوّه من صديقه .

١٦٧/٣ قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : جدّ رياح في طلب محمد ، فأخبِر أنه في شِعْب من شِعاب رَضْوى – جبل جهينة ، وهي من عمل ينبُع – فاستعمل عليها عمرو بن عثمان بن مالك الجُهَنيّ أحد بني جُشم ، وأمره بطلب محمد ، فطلبه فذُكِر له أنه بشِعْب من رَضْوَى ، فخرج إليه بالخيل والرّجال ، ففزع منه محمد ، فأحضر شدًّا ، فأفلت وله ابن صغير ، ولد في خوفه ذلك ؛ وكان مع جارية له ؛ فهوى من الجبل فتقطّع ، وانصرف عمرو بن عثمان .

قال : وحدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ ، قال : لما سقط ابن محمد فمات ولقِي محمد ما لقِي ، قال :

منخرق السّربال يشكو الوَجَى ... تَنكُبُهُ أطرافُ مَرْوٍ حِدَادْ
شرّده الخوفُ فأزْرَى به ... كذاك مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجلادْ
قد كان في الموت له راحةٌ ... والموتُ حتمٌ في رقاب العبادْ

قال : وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثني عمّي عبيد الله بن محمد ، قال : قال محمد بن عبد الله : بينا أنا في رَضْوَى مع أمَة لي أمّ ولد ، معها بُنَيّ لي ترضعه ؛ إذا ابن سَنُوطَى (مولى لأهل المدينة)، قد هجم عليّ في الجبل يطلبني ؛ فخرجت هاربًا ، وهربت الجارية . فسقط الصبيّ منها فتقطّع ، فقال عبيد الله : فأتِيَ بابن سنوطى إلى محمد بعد حين ظهر ، فقال : ١٦٨/٣ يابن سنوطى ، أتعرف حديث الصبيّ ؟ قال : إيْ والله ؛ إني لأعرفه ، فأمر به فحُبس ؛ فلم يزل محبوسًا حتى قتِل محمد .

قال : وحدّثنى عبد العزيز بن زياد ، قال : حدّثنى أبى قال : قال محمد : إنى بالحرّة مصعِد ومنحدر ، إذا أنا برياح والخيل ، فعدلتُ إلى بئر فوقفت بين قرنَيْها ، فجعلت أستقى ، فلقيَنى رياح صَفْحًا ، فقال : قاتله الله أعرابيًّا ما أحسن ذراعه !

قال : وحدّثنى ابن زبالة ، قال : حدّثنى عثمان بن عبد الرحمن الجُهَنىّ عن عثمان بن مالك، قال: أذلق[1] رياح محمدًا بالطلب؛ فقال لى : اغدُ بنا إلى مسجد الفَتْح ندع الله فيه . قال : فصلَّيتُ الصُّبح ، ثم انصرفت إليه ، فغدْونا وعلى محمد قميص غليظ ورداء قرقبىّ مفتول ؛ فخرجنا من موضع كان فيه ؛ حتى إذا كان قريبًا التفت ، فإذا رياح فى جماعة من أصحابه رُكْبان ، فقلت له : هذا رياح ؛ إنا لله وإنا اليه راجعون ! فقال غير مكترث به : امض؛ فمضيت وما تنقلنى رجلاى ، وتنحَّى هو عن الطريق ؛ فجلس وجعل ظهره مما يلى الطريق ، وسدَل هُدْب ردائه على وجهه — وكان جسيمًا — فلما حاذاه[2] رياح التفت إلى أصحابه ، فقال : امرأة رأتنا فاستحيتْ . قال : ومضيتُ حتى
١٦٩/٣ طلعت الشمس[3] ، وجاء رياح فصعد وصلى ركعتين ، ثم انصرف من ناحية بُطْحان ، فأقبل محمد حتى دخل المسجد ، فصلى ودعا ، ولم يزل محمد بن عبد الله ينتقل من موضع إلى موضع إلى حين ظهوره .

ولما طال على المنصور أمرُه ؛ ولم يقدر عليه وعبد الله بن حسن محبوس ، قال عبد العزيز بن سعيد — فيما ذُكر عن عيسى بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمران بن أبى فروة — قال لأبى جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، أتطمع أن يخرج لك محمد وإبراهيم وبنو حسن مخلّون ! والله للواحد منهم أهيب فى صدور الناس من الأسد . قال : فكان ذلك الذى هاجه على حَبْسهم . قال ؛ ثم دعاه فقال : من أشار عليك بهذا الرأى ؟ قال : فليح بن سليمان ، فلما مات عبد العزيز ابن سعد — وكان عينًا لأبى جعفر وواليًا على الصدقات — وضع فُليح بن سليمان فى موضعه ، وأمر أبو جعفر بأخذ بنى حسن .

قال عيسى : حدثنى عبد الله بن عمران بن أبى فروة، قال: أمر أبو جعفر

---

(١) أذلقه : أقلقه . (٢) كذا فى ت . (٣) ت : « طلعت المسجد » .

رياحاً بأخذ بنى حسن، ووجّه فى ذلك أبا الأزهر المهرىّ ــ قال : وقد كان حبّس عبد الله بن حسن فلم يزل محبوساً ثلاث سنين ؛ فكان حسن بن حسن قد نصّل خضابُه تسلّياً على عبد الله ؛ فكان أبو جعفر يقول : ما فعلت الحادّة ؟ قال : فأخذ رياح حسناً وإبراهيم ابنىْ حسن بن حسن، وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن ، وسليمان وعبد الله ابنىْ داود بن حسن بن حسن ، ومحمداً ١٧٠/٣
وإسماعيل وإسحاق ابنى إبراهيم بن حسن بن حسن ، وعباس بن حسن بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب ، أخذوه على بابه ؛ فقالت أمه عائشة ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر : دعونى أشمّه ، قالوا : لا والله ؛ ما كنتِ حيةً فى الدنيا ؛ وعلىّ بن حسن بن حسن بن حسن العابد .

قال : وحدّثنى إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حبس معهم أبو جعفر عبد الله بن حسن بن حسن أخا علىّ .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا الحارث بن إسحاق ، قال : جهر رياح بشتم محمد وإبراهيم ابنىْ عبد الله ، وشتم أهل المدينة . قال : ثم قال يوماً وهو على المنبر يذكرهما : الفاسقين الخالعين الحاربيْن . قال : ثم ذكر ابنة أبى عبيدة أمهما ، فأفحش لها ، فسبّح الناس وأعظموا ما قال ، فأقبل عليهم ، فقال : إنكم لا كلنا[1] عن شتمهما ، ألصق الله بوجوهكم الذلّ والهوان ! أما والله لأكتبنّ إلى خليفتكم فلأعلمنّه غِشّكم وقلة نُصحكم . فقال الناس : لا نسمع منك يابن المحدود ؛ وبادروه بالحصى ، فبادر واقتحم دار مروان وأغلق عليه الباب ، وخرج الناس حتى صفّوا وجاهه[2] ، فرموه وشتموه ثم تناهوا وكفّوا .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ؛ قال : حدّثنى الثقة عندى ، قال : حبس معهم موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ وعلىّ بن محمد ابن عبد الله بن حسن بن حسن عند مقدمه من مصر .

قال : وحدّثنى عبد الله بن عمر بن حبيب ، قال : وجّه محمد بن عبد الله ١٧١/٣
ابنه علياً إلى مصر ، فدلّ عليه عاملها ، وقد همّ بالوثوب ، فشدّه وأرسل به

(١) كذا فى ط . (٢) ت : « وجاهد » .

إلى أبى جعفر ؛ فاعترف له ، وسمّى أصحاب أبيه ، فكان فيمن سمّى عبد الرحمن ابن أبى الموالى وأبو حنين ؛ فأمر بهما أبو جعفر فحبِسا ، وضرب أبو حنين مائة سوط .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : مرّ حسن بن حسن بن حسن على إبراهيم ابن حسن وهو يعلف إبلا له ؛ فقال : أتعلف إبلك وعبد الله محبوس ! أطلق عُقُلَها يا غلام ، فأطلقها ، ثم صاح فى أدبارها فلم يوجد منها واحدة .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى علىّ بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ ، قال : حضرنا باب رياح فى المقصورة ، فقال الآذن : مَنْ كان ها هنا من بنى حسين فليدخل ؛ فقال لى عمّى عمر بن محمد : انظر ما يصنع القوم ، قال : فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مرْوان . قال : ثمّ قال : من ها هنا من بنى حسن فليدخل ؛ فدخلوا من باب المقصورة ودخل الحدّادون من باب مَرْوان ، فدعِىَ بالقيود .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : كان رياح إذا صلى الصُّبح أرسل إلى وإلى قدامة بن موسى فيحدّثنا ساعة ؛ فإنا لعنده يومًا ؛ فلما أسفرنا إذا برجل متلفّف فى ساجٍ له ؛ فقال له رياح : مرحبًا بك وأهلا ،
١٧٢/٣ ما حاجتك ؟ قال : جئت لتحبسنى مع قومى ؛ فإذا هو علىّ بن حسن بن حسن بن حسن ، فقال : أما والله ليعرفنّها لك أمير المؤمنين ، ثم حبسه معهم .

قال : وحدّثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثنى سعيد بن ناشرة مولى جعفر بن سليمان ، قال : بعث محمد ابنه عليًّا ، فأخِذ بمصر ، فمات فى سجن أبى جعفر .

قال : وحدثنى موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه موسى بن عبد الله ، قال : لما حُبِسنا ضاق الحبس بنا ، فسأل أبى رياحاً أن يأذن له فيشترى دارًا ، فيجعل حبسنا فيها ، ففعل ، فاشترى أبى دارًا فنُقلنا إليها ، فلما امتدّ بنا الحبس أتى محمد أمه هنداً فقال : إنى قد حمّلت أبى وعمومتى ما لا طاقة لهم به ؛ ولقد هممت أن أضع يدى فى أيديهم ؛ فعسى أن يخلّى عنهم . قال : فتنكرتْ ولبستْ أطمارًا ، ثم جاءت

السجن كهيئة الرسول ، فأذِن لها ، فلما رآها أبى أثبتها ، فنهض إليها فأخبرته عن محمد ، فقال : كلاّ بل نصبر ؛ فوالله إنى لأرجو أن يفتح الله به خيراً ، قولى له : فليدْعُ إلى أمره ، وليجدّ فيه ، فإن فرجَنا بيد الله . قال : فانصرفت وتمّ محمد على بغيته .

* * *

[ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق]

وفى هذه السنة حمل ولد حسن بن حسن بن علىّ من المدينة إلى العراق .

* ذكر الخبر عن سبب حملهم إلى العراق وما كان من أمرهم إذ حُملوا :

ذكر عمر ، قال : حدّثنى موسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى أبى عن أبيه ، قال : لما حجّ أبو جعفر أرسل محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن ٣/١٧٣
طلحة ومالك بن أنس إلى أصحابنا ، فسألهم[1] أن يدفعوا محمداً وإبراهيم ابنى عبد الله، قال : فدخل علينا الرجلان وأبى قائم يصلّى ، فأبلغاهم رسالته، فقال حسن بن حسن : هذا عمل ابنىَ[2] المشئومة ، أما والله ما هذا برأينا ، ولا عن ملأ منا ؛ ولا لنا فيه حيلة . قال : فأقبل عليه إبراهيم ، فقال : علام تؤذى أخاك فى ابنيه وتؤذى ابن أخيك فى أمه ؟ قال : وانصرف أبى من صلاته ؛ فأبلغاه ، فقال : لا والله لا أردّ عليكما حرفًا ؛ إن أحبّ أن يأذن لى فألقاه فليفعل ؛ فانصرف الرجلان فأبلغاه ، فقال : أراد أن يسخّرنى ؛ لا والله لا ترى عينه عينى حتى يأتيَنى بابنيه .

قال : وحدّثنى ابنُ زبالة ، قال : سمعتُ بعض علمائنا يقول : ما سارّ عبدُ الله بن حسن أحدًا قطّ إلا فتله[3] عن رأيه .

قال : وحدثنى موسى بن عبد الله ، عن أبيه عن جده ، قال : ثم سار أمير المؤمنين أبو جعفر لوجهه حاجًّا ، ثم رجع فلم يدخل المدينة ؛ ومضى إلى الرَّبذة حتى أتى ثنْىَ رهوتها[4] .

---

(١) ج : « يسألهم » . (٢) ج : « أمى » .
(٣) ابن الأثير : « قلبه » . (٤) ت : « حتى أتى بها ونحن بها » .

قال عمر : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لم يزل بنو حسن محبوسين عند رياح حتى حجّ أبو جعفر سنة أربع وأربعين ومائة ، فتلقّاه رياح بالرَّبَذة ، فردّه إلى المدينة ، وأمره بإشخاص بنى حسن إليه ، وبإشخاص محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان – وهو أخو بنى حسن لأمهم . أمهم جميعًا فاطمة بنت حسين[1] بن علىّ بن أبى طالب – فأرسل ١٧٤/٣
إليه رياح – وكان بماله ببدْر – فحدرهم[2] إلى المدينة ، ثم خرج رياح ببنى حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو إلى الرّبَذة ، فلما صار بقصر نفيس على ثلاثة أميال من المدينة ، دعا بالحدّادين والقيود والأغلال ، فألقى كلّ رجل منهم فى كَبْل وغُلّ ، فضاقت حلْقتا قيد عبد الله بن حسن بن حسن ، فعضّتاه فتأوّه ؛ فأقسم عليه أخوه علىّ بن حسن ليحوّلنّ حلقتيْه عليه إن كانتا أوسع ، فحوّلتا عليه ، فمضى بهم رياح إلى الرَّبَذة .

قال : وحدّثنى إبراهيم بن خالد ، ابن أخت سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء – وهو خال أمه – قال : لما حُمِل بنو حسن إلى أبى جعفر أتِىَ بأقياد يقيّدون بها ، وعلىّ بن حسن بن حسن قائم يصلى . قال : وكان فى الأقْياد قيد ثقيل ، فكلّما قرب إلى رجل منهم تفادى منه واستعفى . قال : فانفتل علىّ من صلاته ، فقال : لشدّ ما جزعتم ، شَرْعُه هذا[3] ، ثم مدّ رجليه فقُيِّد به .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى عبد الله بن عمران ، قال : الذى حدَرهم إلى الربَذة أبو الأزهر .

قال عمر : حدثنى ابن زبالة ، قال : حدثنى حسين بن زيد بن علىّ ابن حسين ، قال : غدوتُ إلى المسجد ، فرأيت بنى حسن يُخرَج بهم من دار مرْوان مع أبى الأزْهر يُراد بهم الرّبَذة ، فانصرفت ، فأرسل إلىّ جعفر
١٧٥/٣ ابن محمد فجئته ، فقال : ما وراءك ؟ فقلت : رأيت بنى حسن يُخرج بهم فى محامل ، قال : اجلس ، فجلست ، فدعا غلامًا له ، ثم دعا ربه دعاء كثيرًا ، ثم قال لغلامه : اذهب ؛ فإذا حُملوا فأتِ فأخبِرْنى ، فأتاه الرّسول ، فقال : قد أقبل بهم . قال : فقام جعفر بن محمد ، فوقف من وراء ستر شَعَر

---

(١) ب « حسن » . (٢) ط : « فحدره » . (٣) ت : « بسرعة هذا » .

يبصر مَن وراءه ولا يبصره أحد ؛ فطلع بعبد الله بن حسن فى محمَل معادلُه مسوّد ، وجميع أهل بيته كذلك . قال : فلما نظر إليهم جعفر هملتْ عيناه حتى جرت دموعه[1] على لحيته ، ثم أقبل علىّ فقال : يا أبا عبد الله ؛ والله لا يحفظ لله حرْمة بعد هؤلاء .

قال : وحدّثنى محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : حدثنى مصعب بن عثمان ، قال : لما ذُهب ببنى حسن لقيهم الحارث بن عامر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالرَّبَذة ، فقال : الحمد لله الذى أخرجكم من بلادنا ، قال : فاشرأبّ له حسن بن حسن ، فقال له عبد الله : عزمتُ عليك إلا سكتّ !

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدثنى ابن أبرود حاجب محمد بن عبدالله قال : لما حُمل بنو حسن ،كان محمد وإبراهيم يأتيان معتمّين كهيئة الأعراب ، فيسايران أباهما ويسائلانه ويستأذنانه فى الخروج ؛ فيقول : لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك ؛ ويقول : إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ؛ فلا يمنعكما أن تموتا كريمين .

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لما صار بنو حسن إلى الرَّبَذة دخل محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على أبى جعفر ، وعليه قميصٌ وساجٌ[2] وإزار رقيق تحت قميصه ؛ فلما وقف ١٧٦/٣
بين يديه ، قال : إيهًا يادَيّوث[3] ! قال محمد : سبحان الله ! والله لقد عرفتَنى بغير ذلك صغيراً وكبيراً ، قال : فِمّ حملت ابنتُك ؟ وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن – وقد أعطيتنى الأيمان بالطلاق والعتاق ألا تغشنى ولا تمالئ علىّ عدوًّا ، ثم أنت تدخل على ابنتك متخضّبة متعطّرة ، ثم تراها حاملاً فلا يروعك حملها ! فأنت بين أن تكون حانثًا أو ديّوثًا ؛ وايم الله إنى لأهمّ برجْمها . فقال محمد : أما أيمانى فهى علىّ إن كنت دخلت لك فى أمر غشّ علمته ، وأما ما رميتَ به هذه الجارية ، فإن الله قد أكرمها عن ذلك بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ؛ ولكنى قد ظننت حين ظهر

---

(١) ب : « جرى دمعه » . (٢) الساج : الطيلسان الأخضر .
(٣) الديوث ؛ من التديث ؛ وهو القيادة .

حملها أنّ زوجها ألمّ بها على حين غفلة منا . فاحتفظ أبو جعفر من كلامه ، وأمر بشق ثيابه ، فشق قميصه عن إزاره ، فأشفّ عن عورته ، ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط ؛ فبلغت منه كلّ مبلغ ، وأبو جعفر يفترى عليه ولا يكنى (١) ؛ فأصاب سوط منها وجهه ، فقال له : ويحك ! اكفف عن وجهى فإنّ له حرمةً من رسول (٢) الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فأغرى أبو جعفر ، فقال للجلاد : الرأس الرأس ، قال : فضُرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً ، ثم دعا بساجور من خشب شبيه به فى طُوله — وكان طويلا — فشدّ فى عنقه ، وشُدّت به يده ؛ ثم أخرج به ملبَّبًا ، فلما طلع به من حجرة أبى جعفر ؛ وثب إليه مولى له ، فقال : بأبى أنت وأمى ألا ألوثك بردائى ! قال : بلَى جُزيت خيراً ؛ ١٧٧/٣ فوالله لشُفوف إزارى أشدّ علىّ من الضرب الذى نالنى ؛ فألقى عليه المولى الثوب ، ومضى به إلى أصحابه المحبّسين (٣) .

قال : وحدّثنى الوليد بن هشام ، قال : حدّثنى عبد الله بن عثمان ، عن محمد بن هاشم بن البريد ، مولى معاوية ، قال : كنتُ بالرَّبذة ، فأتِىَ ببنى حسن مغلولين ، معهم العثمانىّ كأنه خُلق من فضّة ، فأقعِدوا ، فلم يلبثوا حتى خرج رجل من عند أبى جعفر ، فقال : أين محمد بن عبد الله العثمانى ؟ فقام فدخل ، فلم يلبث أن سمعنا وقْع السّياط ، فقال أيوب بن سلمة المخزومىّ لبنيه : يا بَنِىّ ؛ إنى لأرى رجلا ليس لأحد عنده هوادةٌ ، فانظروا لأنفسكم ؛ لا تسقطوا بشىء . قال : فأخرِج كأنه (٤) زنجىّ قد غيّرت السياطُ لونَه ، وأسالت دَمه ، وأصاب سوط منها إحدى عينيْه فسالتْ ، فأقعِد إلى جنب أخيه عبد الله بن حسن بن حسن ، فعطش فاستسقى ماء ، فقال عبد الله بن حسن : يا معشر الناس ، مَنْ يسقى ابن رسول الله شربة ماء ؟ فتحاماه الناس فما سقَوْه حتى جاء خُراسانىّ بماء ، فسلّه إليه فشرب ، ثم لبثنا هُنيهةً ، فخرج أبو جعفر فى شقّ محمل ، معادله الربيع فى شقّه الأيمن ، على بَغْلة شقراء ، فناداه عبد الله : يا أبا جعفر ؛ والله ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر ! قال : فأخسأه أبو جعفر ؛

(١) ط : « لا ينكى » ، تصحيف ؛ صوابه من ابن الأثير .
(٢) ج وابن الأثير : « برسول الله » .
(٣) ج : « المحبوسين » .
(٤) ج : « كأنما » .

وتفل عليه ، ومضى ولم يعرّج .

وذكر أن أبا جعفر لما دخل عليه محمد بن عبد الله العثمانىّ سأله عن إبراهيم ، ٣/١٧٨
فقال : مالى به علم ، فدقّ أبو جعفر وجهه بالجرز .

وذكر عمر عن محمد بن أبى حرب ، قال : لم يزل أبو جعفر جميلَ الرأى فى محمد حتّى قال له رياح : يا أمير المؤمنين ، أمّا أهلُ خراسان فشيعتُك وأنصارك ، وأما أهل العراق فشيعة آل أبى طالب ، وأما أهل الشأم فوالله ما علىّ عندهم إلا كافر ، وما يعتدّون بأحد من ولده ؛ ولكنّ أخاهم محمدُ بن عبد الله ابن عمرو ، ولو دعا أهل الشأم ما تخلف عنه منهم رجل . قال : فوقعت فى نفس أبى جعفر ، فلما حجّ دخل عليه محمد ، فقال : يا محمد ، أليس ابنتك تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ؟ قال : بلى ؛ ولا عهد لى به إلا بمِنًى فى سنة كذا وكذا ، قال : فهل رأيتَ ابنتك تختضب وتمتشط ؟ قال : نعم ، قال : فهى إذاً زانية ، قال : مَهْ يا أمير المؤمنين ! أتقول هذا لابنة عمّك ! قال : يابن اللخناء ، قال : أىّ أمهاتى تلخّن ! قال : يابن الفاعلة ، ثم ضرب وجهه بالجرز وحدده [1] ؛ وكانت رقية ابنة محمد تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن ، ولها يقول :

خليلىّ من قَيْسٍ دَعا اللومَ واقعدا ... يَسُرُّكما ألَّا أنامَ وتَرْقُدَا
أَبيتُ كأنِّى مُسْعَرٌ من تذكُّرى ... رُقَيَّةَ جَمْرًا من غَضًا مُتَوقِّدَا

قال : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن محمد ، قال : حدثنى سليمان بن داود بن حسن ؛ قال : ما رأيتُ عبدَ الله بن حسن جَزِع من شىء مما ناله إلّا يوماً واحداً ؛ فإنّ بعير محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمانَ انبعث وهو ٣/١٧٩
غافلٌ ، لم يتأهّب له ، وفى رجليه سلسلة ، وفى عنقه زمّارة ، فهوى ، وعلقت الزّمارة بالمحمل ، فرأيته منوطاً بعنقه يضطرب ؛ فرأيت عبدالله بن حسن قد بكى بكاء شديداً .

قال : وحدّثنى موسى بن عبد الله بن موسى ، قال : حدّثنى أبى عن أبيه ، قال : لما صرنا بالرَّبذة ، أرسل أبو جعفر إلى أبى أن أرسلْ إلىّ أحدكم ؛

(١) حدده ، أى شق جلده .

واعلم أنه غير عائد إليك أبداً ، فابتدره بنو إخوته يعرِضون أنفسهم عليه ، فجزاهم خيراً ، وقال : أنا[1] أكره أن أفجعهم بكُمْ ؛ ولكن اذهب أنت يا موسى ، قال : فذهبتُ وأنا يومئذ حديث السنّ ، فلما نظر إلىّ قال : لا أنعم الله بك عيناً ؛ السياطَ يا غلام قال : فضُربتُ والله حتى غُشِيَ علىّ ، فما أدرى بالضَّرْب ، فرُفعت السياط عنى ، ودعانى فقَرُبت منه واستقربنى . فقال : أتدرى ما هذا ؟ هذا فيض فاض منى ، فأفرغتُ منه سَجْلاً لم أستطع ردّه ؛ ومن ورائه الموت أو تفتدى منه . قال : فقلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ والله إن ما لى ذنب ؛ وإنى لبمعزِل عن هذا الأمر . قال : فانطلقْ فأتنى بأخويك ، قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، تبعثنى إلى رياح بن عثمان فيضع علىّ العيون والرّصد ، فلا أسلك طريقاً إلا تبعنى له رسول ، ويعلم ذلك أخواى فيهربان منى ! قال : فكتب إلى رياح : لا سلطان لك على موسى ، قال : وأرسل معى حرساً أمرهم أن يكتبوا إليه بخبرى ، قال : فقدمت المدينة ، فنزلت دار ابن هشام بالبلاط ، فأقمتُ بها أشهراً ، فكتب إليه رياح : إنّ موسى مقيم بمنزله
٣/١٨٠ يتربّص بأمير المؤمنين الدوائر ؛ فكتب إليه : إذا قرأتَ كتابى هذا فاحْدِرْه إلىّ ، فحدرنى .

قال : وحدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنى موسى ، قال : أرسل أبى إلى أبى جعفر : إنى كاتب إلى محمد وإبراهيم ؛ فأرسِل موسى عسى أن يلقاهما ؛ وكتب إليهما أن يأتياه ، وقال لى : أبلغهما عنّى فلا يأتياه أبداً . قال : وإنما أراد أن يفلتنى من يده — وكان أرقّ الناس علىّ ، وكنت أصغر ولد هند — وأرسل إليهما :

يا بَنِىْ أُمَيَّةَ إنى عنكما غانِ وما الغِنَى غيرَ أنى مُرْعَشٌ فانِ
يا بَنِىْ أمية إلاّ تَرْحَمَا كِبَرِى فإنما أَنتما والثُّكْلُ مِثْلانِ

قال : فأقمت بالمدينة مع رسل أبى جعفر إلى أن استبطأنى رياح ، فكتب إلى أبى جعفر بذلك ، فحدَرنى إليه .

---

(١) ج : « إنما » .

قال : وحدّثنى يعقوب بن القاسم بن محمد، قال : أخبرنى عمران بن محرز من بنى البَكّاء ، قال : خرج ببنى حسن إلى الرَّبَذة ، فيهم علىّ وعبد الله ابنا حسن بن حسن بن حسن، وأمّهما حُبابة ابنة عامر بن عبد الله بن عامر ابن بشر بن عامر ملاعب الأسنة ؛ فمات فى السجن حسن بن حسن وعباس ابن حسن ، وأمّه عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله وعبد الله بن حسن وإبراهيم بن حسن .

١٨١/٣ قال عمر : حدّثنى المدائنىّ ، قال : لما خُرِج ببنى حسن ، قال إبراهيم ابن عبد الله بن حسن ، قال عمر : وقد أنشدنى غير أبى الحسن هذا الشعر لغالب الهمْدانىّ[١] :

ما ذِكْرُكَ الدِّمْنَةَ القِفارَ وأهـ لَ الدارِ إمّا نأَوْكَ أو قربوا
إلّا سَفاهاً وقد تفرّعك الشّـ ـيْبُ بلوْنٍ كأنّه العطبُ[٢]
ومرَّ خمسون مِنْ سِنيك كما عَدَّ لك الحاسِبون إذْ حَسَبُوا
فَعَدِّ ذِكر الشباب لَسْتَ له[٣] ولا إليك الشَّبابُ مُنقلِب
إنى عَرَتْنى الهُموم فاحْتَضَرَ الـ ـهمّ وِسادى فالقلبُ مُنشَعِبُ
واستُخْرِجَ النَّاس للشَّقاء وخُلِّـ ـفْتُ لِدَهْرٍ بِظَهْرِهِ حَدَبُ[٤]
أعْوَجَ يَسْتَعْذِبُ اللئامُ به ويحْتَوِيهِ الكِرامُ إن سَرِبوا
نفسى فَدَتْ شَيْبَةً هُناكَ وظُنْـ ـبُوبًا به من قيوده نَدَبُ
والسَّادَةَ الغُرَّ من بَنيهِ فما[٥] رُوقِبَ فيه الإلٰهُ والنَّسَبُ
يا حلَقَ القَيْد ما تَضمّنَ من حِلْمٍ وَبِرٍّ يَشُوبُهُ حَسَبُ
وأمّهاتٌ من العَواتِكِ أخـ لصْنكَ بِيضٌ عَقائلٌ عُرُبُ
كيْفَ اعْتِذارى إلى الإلٰهِ ولم يُشْهَرن فيك المَأثورَةُ القُضُبُ!

---

(١) ب : « الهمذانى » .
(٢) ب : « القطب » .
(٣) ت ، ج : « ليس له » .
(٤) ط : « وخاقت » .
(٥) ط : « والسارة الفر » .

ولم أَقُد غارَةً مُلَملَمَةً فيها بَنَاتُ الصَّرِيحِ تَنْتحب
وَالسَّابِقَاتُ الجِيَادُ والأَسَلُ الذّ بَّلُ فيها أَسِنَّةٌ ذُرُبُ
حَتَّى نُوفِّى بنى نُتَيْلَةَ بالـــقِسط بكيل الصاع الذى احتَلبُوا
بالقتْلِ قَتْلاً وَبالأَسيرِ الذى فى القِدِّ أَسْرى مَصْفُودَة سُلُبُ
أَصْبحَ آلُ الرَّسولِ أَحْمَدَ فى النَّـــاسِ كذى عُرَّةٍ به جَرَبُ
١٨٢/٣ بُؤْسًا لهم ما جَنَتْ أَكفُّهُمُ وأَىَّ حَبْلٍ من أُمَّة قَضبُوا !
وأَىُّ حَبْل خَانُوا المَلِيكَ به شُدَّ بِمِيثَاقٍ عَقْدُهُ الكَذِبُ

وذكر عبدُالله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعتُ الجرّاح بن عمر وخاقان ابن زيد وغيرهما من أصحابنا يقولون : لما قدم بعبد الله بن حسن وأهله مُقَيّدين فأشرف بهم على النَّجَف ، قال لأهله : أما ترون فى هذه القرية مَن يمنعنا من هذا الطاغية ؟ قال : فلقيه ابنا أخى الحسن وعلىّ مشتمليْن على سيفين ، فقالا له : قد جئناك يابن رسول الله ، فمُرْنا بالذى تريد ، قال : قد قضيتُما ، ولن تُغنيا فى هؤلاء شيئًا فانصرفا .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى عبد الله بن عمران بن أبى فروة ، قال : أمر أبو جعفر أبا الأزهر فحبَس بنى حسن بالهاشميّة .

قال : وحدّثنى محمد بن الحسن ، قال : حدّثنى محمد بن إبراهيم ، قال : أُتىَ بهم أبو جعفر ، فنظر إلى محمد بن إبراهيم بن حسن ، فقال : أنت الديباج الأصفر(١) ؟ قال : نعم ، قال : أما والله لأقتلنّك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك ، ثم أمر بأسطوانة مبنيّة ففرقت ، ثم أدخل فيها فبنى عليه وهو حىّ .

قال محمد بن الحسن : وحدّثنى الزُّبير بن بلال ، قال : كان الناس يختلفون إلى محمد ينظرون إلى حسنه .

قال عمر : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى عبد الله بن عمران ، قال :

---

(١) ط : « الأصغر » ، والصواب ما أثبته من ت .

أخبرنى أبو الأزهر ، قال : قال لى عبد الله بن حسن : ابغِنى حجّامًا ، فقد احتجتُ إليه ، فاستأذنت أميرَ المؤمنين ، فقال : آتيه بحجام مجيد[1] . ١٨٣/٣

قال : وحدّثنى الفَضْل بن دُكَيْن أبو نعيم ، قال : حُبِس من بنى حسن ثلاثة عشر رجلاً ، وحُبِس معهم العثمانىّ وابنان له فى قصر ابن هبيرة ؛ وكان فى شرقىّ الكوفة مما يلى بغداد ؛ فكان أوّل مَنْ مات منهم إبراهيم ابن حسن ، ثم عبد الله بن حسن ، فدفنَ قريبًا من حيث مات ؛ وإلا يكن بالقبر الذى يزعم الناس أنه قبرُه ؛ فهو قريب منه .

وحدّثنى محمد بن أبى حرب ، قال : كان محمد بن عبد الله بن عمرو محبوسًا عند أبى جعفر ، وهو يعلم براءته ؛ حتى كتب إليه أبو عَوْن من خُراسان : أخبر أمير المؤمنين أنّ أهل خراسان قد تقاعسوا عنّى ، وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله ؛ فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمّد بن عبد الله بن عمرو ، فضُرِبَتْ عنقُه ، وأرسل برأسه إلى خراسان ؛ وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد الله ، وأنّ أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عمر : فحدّثنى الوليد بن هشام ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لما صار أبو جعفر بالكوفة ، قال : ما أشتفى[2] من هذا الفاسق من أهل بيت فسق ، فدعا به ، فقال : أزوّجت ابنتك ابنَ عبد الله؟ قال : لا ، قال : أفليستْ بامرأته ؟ قال : بلى زوّجها إيّاه عمُّها وأبوه عبد الله بن حسن فأجزتُ نكاحه ، قال : فأين عهودك التى أعطيتنى ؟ قال : هى علىّ ، قال : أفلم تعلم بخضاب ! ألم تجد ريح طيب ! قال : لا علم لى ؛ قد علم القوم ما لك علىّ من المواثيق فكتمونى ذلك كله ، قال : هل لك أن تستقيلنى فأقيلك ، وتحدث لى أيْمانًا مستقبلة ؟ قال : ما حنثت بأيْمانى فتجدّدها علىّ ، ولا ١٨٤/٣ أحدثت ما أستقيلك منه فتُقيلنى ؛ فأمر به فضرب حتى مات ، ثم احتزّ رأسه ؛ فبعث به إلى خُراسان ؛ فلما بلغ ذلك عبد الله بن حسن ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! والله إن كنّا لنأمن به فى سلطانهم ، ثم قد قُتل بنا فى سلطاننا .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى مسكين بن عمرو ،

(١) ت وابن الأثير : « حجام محمد » . (٢) ب ، ت : « أستبق » .

قال : لما ظهر محمد بن عبد الله بن حسن، أمر أبو جعفر بضرب عنق محمد ابن عبد الله بن عمرو ، ثم بعث به إلى خُراسان ؛ وبعث معه الرّجال يحلفون بالله إنه لمحمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عمر : فسألت محمد بن جعفر بن إبراهيم ، فى أىّ سبب قتل محمد بن عمرو ؟ قال : احتيج إلى رأسه .

قال عمر : وحدّثنى محمد بن أبى حرب ، قال : كان عوْن بن أبى عون خليفةَ أبيه بباب أمير المؤمنين ؛ فلما قُتل محمد بن عبد الله بن حسن وجّه أبو جعفر برأسه إلى خُراسان، إلى أبى عَوْن مع محمد بن عبد الله بن أبى الكرام وعَوْن بن أبى عَوْن ؛ فلما قدم به ارتاب أهلُ خُراسان ، وقالوا : أليس قد قُتل مرّة وأتينا برأسه ! قال : ثم تكشّف لهم الخبر حتى علموا حقيقته ؛ فكانوا يقولون : لم يُطَّلَع من أبى جعفر على كذبة غيرها .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى عبد الله بن عمران بن أبى فروة ، قال : كنا نأتى أبا الأزهر ونحن بالهاشميّة أنا والشعبانىّ ، فكان
١٨٥/٣ أبو جعفر يكتب إليه : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى أبى الأزهر مولاه ، ويكتب أبو الأزهر إلى أبى جعفر : من أبى الأزهر مولاه وعبده ؛ فلما كان ذات يوم ونحن عنده — وكان أبو جعفر قد ترك له ثلاثة أيام لا ينوبها ؛ فكنّا نخلو معه فى تلك الأيام — فأتاه كتاب من أبى جعفر ، فقرأه ثم رمى به ، ودخل إلى بنى حسن وهم محبوسون . . قال : فتناولتُ الكتاب وقرأته ؛ فإذا فيه : انظر يا أبا الأزهر ما أمرتك به فى مدلّه فعجّله وأنفذه . قال : وقرأ الشعبانىّ الكتاب فقال : تدرى مَن مدلّه ؟ قلتُ : لا ، قال : هو والله عبد الله بن حسن ، فانظر ما هو صانع . قال : فلم نلبث أن جاء أبو الأزهر ، فجلس فقال : قد والله هلك عبد الله بن حسن، ثم لبث قليلا ثم دخل وخرج مكتئبًا ، فقال : أخبرنى عن علىّ بن حسن ، أىُّ رجل هو ؟ قلت : أمصدِّقٌ أنا عندك ؟ قال : نعم ، وفوق ذلك ؛ قال : قلت : هو والله خير من تقلّه هذه وتظلّه هذه ! قال : فقد والله ذهب .

قال : وحدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : سمعتُ جدّى موسى بن عبدالله

يقول : ما كنّا نعرف أوقاتَ[1] الصلاة فى الحبس إلا بأحزاب كان يقرؤها علىّ بن حسن .

قال عمر : وحدّثنى ابنُ عائشة ، قال : سمعتُ مولًى لبنى دارم ، قال : قلت لبشير الرّحال[2] ما يسرعك[3] إلى الخروج على هذا الرجل ؟ قال : إنه أرسل إلىّ بعد أخذه عبد الله بن حسن فأتيتُه ، فأمرنى يومًا بدخول بيت فدخلته ، فإذا بعبد الله بن حسن مقتولاً ، فسقطت مغشيًّا علىّ ، فلما أفقت أعطيت الله عهداً ألاّ يختلف فى أمره سيْفان إلا كنتُ مع الذى عليه منهما . ١٨٦/٣
وقلت للرسول الذى معى من قِبَله : لا تخبره بما لقيتَ ؛ فإنه إن علم قتلنى . قال عمر : فحدّثت به هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد من أهل هَمَذان . وهو العباسىّ أن أبا جعفر أمر بقتله ، فحلف بالله ما فعل ذلك ؛ ولكنّه دسّ إليه مَن أخبره أن محمداً قد ظهرَ فقتِل ، فانصدع قلبه ، فمات .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : قال مَن بقى منهم : إنهم كانوا يسقَوْن ؛ فماتوا جميعًا إلا سليمان وعبد الله ابنى داود بن حسن بن حسن وإسحاق وإسماعيل ابنى إبراهيم بن حسن بن حسن ، وجعفر بن حسن ، فكان مَن قتل منهم إنما قتل بعد خروج محمد .

قال عيسى : فنظرتْ مولاةٌ لآل حسن إلى جعفر بن حسن ، فقالت : بنفسى أبو جعفر ! ما أبصره بالرجال حيث يطلِقك وقتل عبد الله بن حسن !

* * *

ذكر بقية الخبر عن الأحداث التى كانت فى سنة أربع وأربعين ومائة

فمن ذلك ما كان من حمل أبى جعفر المنصور بنى حسن بن حسن بن علىّ من المدينة إلى العراق .

---

(١) كذا فى ت ، وفى ط : « وقوت » .
(٢) ط : « الرجال » ، تحريف ، وصوابه من ت وابن الأثير .
(٣) ب ، ت : « تسرعك » .

* ذكر الخبر عن سبب حمله إياهم إلى العراق :

حدّثني الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا
١٨٧/٣ محمد بن عمر ، قال : لما ولّى أبو جعفر رياحَ بن عثمان بن حيّان المرىّ المدينَة ، أمره بالجِدّ فى طلب محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن وقلة الغفلة عنهما .

قال محمد بن عمر : فأخبرنى عبد الرحمن بن أبى الموالى ؛ قال : فجدّ رياح فى طلبهما ولم يداهنْ ، واشتدّ فى ذلك كلّ الشدّة حتى خافا ؛ وجعلا ينتقلان من موضع إلى موضع ، واغتمّ أبو جعفر من تبغّيهما ؛ وكتب إلى رياح ابن عثمان : أن يأخذ أباهما عبد الله بن حسن وإخوته : حسن بن حسن وداود ابن حسن وإبراهيم بن حسن ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان — وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت حسين — فى عدّة منهم ، ويشدُّهم وَثاقاً ، ويبعث بهم إليه حتى يوافوه بالرَّبَذة . وكان أبو جعفر قد حجّ تلك السنة وكتب إليه أن يأخذنى معهم فيبعث بى إليه أيضًا . قال : فأدركتُ وقد أهللت بالحجّ ، فأخِذْت فطرِحت فى الحديد ، وعورض بى الطريق حتى وافيتهم بالرَّبذة .

قال محمد بن عمر : أنا رأيتُ عبد الله بن حسن وأهلَ بيته يُخْرَجون من دار مَرْوان بعد العصْر وهم فى الحديد ؛ فيحملون فى المحامل ؛ ليس تحتهم وطاء ؛ وأنا يومئذ قد راهقتُ الاحتلام ، أحفظ ما أرى .

قال محمد بن عمر : قال عبد الرحمن بن أبى الموالى : وأخِذ معهم نحو من أربعمائة ، من جُهَينة ومُزينة وغيرهم من القبائل ؛ فأراهم بالرَّبَذة مكتّفين فى الشمس . قال : وسُجنت مع عبد الله بن حسن وأهل بيته . ووافى أبو جعفر الرَّبذة منصرفًا من الحجّ ، فسأل عبد الله بن حسن أبا جعفر أن يأذن له فى
١٨٨/٣ الدّخول عليه ، فأبى أبو جعفر ؛ فلم يره حتى فارق الدنيا . قال : ثم دعانى أبو جعفر من بينهم ، فأقعِدت حتى أدخلت — وعنده عيسى بن علىّ — فلما رآنى عيسى ، قال : نعم ؛ هو هو يا أمير المؤمنين ، وإنْ أنت شددتَ عليه أخبرك بمكانهم . فسلّمت ، فقال أبو جعفر : لا سَلّم الله عليك ! أين الفاسقان ابنا الفاسق ، الكذابان ابنا الكذاب ؟ قال : قلت : هل ينفعنى الصدق يا أمير المؤمنين

عندك ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : امرأته طالق ، وعلىّ وعلىّ ، إن كنت أعرف مكانهما ! قال: فلم يقبل ذلك منى ، وقال : السياط! وأقمت بين العُقابيْن ، فضربنى أربعمائة سوط ؛ فما عقلت بها حتى رفع عنى ، ثم حُملت إلى أصحابى على تلك الحال ، ثم بعث إلى الدّيبَاج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفّان ؛ وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فلما أدخِل عليه قال: أخبرْنى عن الكذّابيْن ما فعلا ؟ وأين هما ؟ قال: والله يا أميرَ المؤمنين ما لى بهما علم ، قال : لَتخبرنّى ، قال : قد قلت لك وإنى والله لصادق ؛ ولقد كنت أعلم علمَهما قبل اليوم ؛ وأما اليوم فما لى والله بهما علْم . قال: جرّدوه ، فجُرّد فضربه مائة سوط ، وعليه جامعة حديد فى يده إلى عنقه ؛ فلمّا فرغ من ضربه أخرج فألبس قميصًا له قُوهيًّا[1] على الضرب ، وأتِىَ به إلينا ؛ فوالله ما قدروا على نزع القميص من لُصوقه بالدم ، حتى حلبوا عليه شاة ، ثم انتزِع القميص ثم داووه . فقال أبو جعفر : احدروا بهم إلى العراق ، فقدِم بنا إلى الهاشميّة ، فحبِسنا بها ؛ فكان أوّل من مات فى الحبس عبد الله
ابن حسن ؛ فجاء السجان فقال : ليخرج أقربُكم به فليصلّ عليه ؛ فخرج ١٨٩/٣
أخوه حسن بن حسن بن حسن بن علىّ عليهم السلام ، فصلّى عليه . ثم مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فأخِذ رأسه ، فبعث به مع جماعة من الشّيعة إلى خراسان ؛ فطافوا فى كُور خراسان ، وجعلوا يحلفون بالله أنّ هذا رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ؛ يوهمون الناس أنه رأس محمد بن عبد الله بن حسن ؛ الذى كانوا يجدون خروجه على أبى جعفر فى الرواية .

* * *

وكان والى مكة فى هذه السنة السرىّ بن عبد الله ، ووالى المدينة زياح ابن عثمان المرّىّ ، ووالى الكوفة عيسى بن موسى ؛ ووالى البصرة سفيان بن معاوية .

وعلى قضائها سوّار بن عبد الله ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

---

(١) القوهى : ثياب بيض تنسب إلى قوهستان ؛ كورة بين نيسابور وهراة .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك خروج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ، وخروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بعده بالبَصْرة ومقتلهما .

* * *

ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله

ذكر عمر أنّ محمد بن يحيى حدّثه ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : (١) لما انحدر أبو جعفر ببني حسن (١) ، رجع رياح إلى المدينة ، فألحّ في الطلب ، وأَخْرج محمداً حتّى عزم على الظهور .

قال عمر : فحدّثت إبراهيم بن محمد بن عبد الله الجعفريّ أن محمداً أُحرِج ، فخرج قبل وقته الذي فارق عليه أخاه إبراهيم ، فأنكر ذلك ، وقال : ما زال
١٩٠/٣ محمّد يُطلَب أشدّ الطلب حتّى سقط ابنه فمات وحتّى رهقه الطلب ، فتدلّى في بعض آبار المدينة يناول أصحابه الماء ، وقد انغمس فيه إلى رأسه ، وكان بدنه لايخفى عِظَماً ؛ ولكنّ إبراهيم تأخّر عن وقته لجُدَرِيٍّ أصابه .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : تحدّث أهل المدينة بظهور محمد ؛ فأسرعنا في شراء الطعام حتّى باع بعضهم (٢) حليّ نسائه ؛ وبلغ رياحاً أنّ محمداً أتى المذاد (٣) ، فركب في جنده يريده وقد خرج قبلَه محمد يريده (٤) ، ومعه جُبَيْر بن عبد الله السلَميّ وجُبَيْر ابن عبد الله بن يعقوب بن عطاء وعبد الله بن عامر الأسلميّ ؛ فسمعوا سقّاءَةً تحدّث صاحبتها أنّ رياحاً قد ركب يطلب محمداً بالمَذَاد ، وأنه قد سار إلى السوق ، فدخلوا داراً لجُهينة وأجافوا بابها عليهم ، ومرّ رياح على الباب لا يعلم بهم ، ثم رجع إلى دار مَرْوان ؛ فلما حضرت العشاء الأخيرة صلى في الدار ولم يخرج .

(١-١) ت ، ه : « لما أحدَر أبو جعفر بني حسن » . (٢) ج : « أحدهم في ذلك » .
(٣) ت ، وابن الأثير : « المدار » . (٤) كذا في ت ، وفي ط : « يريد المذاد » .

وقيل : إنّ الذى أعلم رياحاً بمحمد سليمان بن عبد الله بن أبى سَبرة من بنى عامر بن لؤىّ .

وذكر عن الفضل بن دُكين ، قال : بلغنى أن عبيد الله بن عمرو بن أبى ذُؤيب وعبد الحميد بن جعفر دخلوا على محمد قبل خروجه ، فقالوا له : ما ننتظر بالخروج ! والله ما نجد فى هذه الأمة أحداً أشأم عليها منك . ما يمنعك أن تخرج وحدك !

قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : بعث إلينا رياح فأتيته أنا وجعفر بن محمد بن علىّ بن حسين ، وحسين بن علىّ بن حسين بن علىّ ، وعلىّ بن عمر بن علىّ بن حسين بن علىّ ، وحسن بن علىّ بن حسين ١٩١/٣
ابن علىّ بن حسين بن علىّ ورجال من قريش ؛ منهم إسماعيل بن أيوب ابن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة ، ومعه ابنه خالد ، فإنّا لعنده فى دار مَرْوان إذ سمعْنا التكبير قد حال دون كلّ شىء ، فظنناه من عند الحرَس ، وظنّ الحرَس أنه من الدار . قال : فوثب ابن مسلم بن عقبة — وكان مع رياح — فاتّكأ على سيفه ، فقال : أطعنى فى هؤلاء فاضرب أعناقهم ؛ فقال علىّ بن عمر : فكدنا والله تلك الليلة أن نطيح حتّى قام حسين بن علىّ ، فقال : والله ما ذاك لك ؛ إنّا على السمع والطاعة . قال : وقام رياح ومحمد بن عبد العزيز ، فدخلا جنبذاً(١) فى دار يزيد ؛ فاختفيا فيه ، وقمنا فخرجنا من دار عبد العزيز ابن مروان حتى تسوّرنا على كِباً(٢) كانت فى زقاق عاصم بن عمرو ، فقال إسماعيل بن أيوب لابنه خالد : يا بنىّ ؛ والله ما تجيبنى نفسى إلى الوثوب ، فارفعنى ، فرفعه .

وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى عبد العزيز بن عمران ، قال : حدّثنى أبى قال : جاء الخبر إلى رياح وهو فى دار مَرْوان أنّ محمداً خارج الليلة ، فأرسل إلى أخى محمد بن عمران وإلى العباس بن عبد الله بن الحارث ابن العباس وإلى غير واحد . قال : فخرج أخى وخرجت معه ؛ حتى

(١) ه ، ب : « حنبدا » ، وفى ت من غير نقط . (٢) الكبا : المرتفع من الأرض .

دخلنا عليه بعد العشاء الآخرة ، فسلمنا عليه فلم يردّ علينا ، فجلسنا فقال
١٩٢/٣ أخى : كيف أمسى الأمير أصلحه الله ! قال : بخير — بصوت ضعيف —
قال : ثم صمت طويلا ثم تنبّه ، فقال : إيهًا يأهلَ المدينة ! أميرُ المؤمنين
يطلب بغيتَه فى شرق الأرض وغربها ؛ وهو ينتفق بين أظهركم ! أقسم
بالله لئن خرج لا أترك منكم أحداً إلا ضربت عنقه . فقال أخى : أصلحك
الله ! أنا عذيرك منه ، هذا والله الباطل ، قال : فأنت أكثر مَنْ ها هنا
عشيرة ؛ وأنت قاضى أمير المؤمنين ، فادعُ عشيرتك . قال : فوثب أخى
ليخرج ، فقال : اجلس ، اذهب أنت يا ثابت ، فوثبتُ ، فأرسلت إلى بنى زُهرة
ممن يسكن حَشّ طلحة ودار سعد ودار بنى أزهر : أن أحضِروا سلاحكم .
قال : فجاء منهم بِشر ، وجاء إبراهيم بن يعقوب بن سعد بن أبى وقاص
متنكبًا قوسًا — وكان من أرمى الناس — فلما رأيتُ كثرتهم ، دخلت على
رياح ، فقلت : هذه بنو زهرة فى السلاح يكونون معك ، ائذن لهم . قال :
هيهات! تريد أن تُدخل علىّ الرجال طروقاً[1] فى السلاح ، قل لهم : فليجلسوا
فى الرحبة ؛ فإن حدث شىء فليقاتلوا ، قال : قلت لهم : قد أبى أن يأذن لكم ،
لا والله ما ها هنا شىء ، فاجلسوا[2] بنا نتحدّث .

قال : فمكثنا قليلا ، فخرج العباس بن عبد الله بن الحارثِ فى خيل
يعسُ حتى جاء رأس الثنيّة ، ثم انصرف إلى منزله وأغلقه عليه ؛ فوالله إنا
لعلى تلك الحال إذْ طَلع فارسان من قِبَل الزَّوْرَاء يركضان ؛ حتى وقفا بين
دار عبد الله بن مُطيع ورحبة القضاء[3] فى موضع السقاية . قال : قلنا : شرّ
الأمر والله جدّ . قال : ثم سمعنا صوتًا بعيداً ، فأقمنا ليلا طويلا ، فأقبل
١٩٣/٣ محمد بن عبد الله من المذاد ومعه مائتان وخمسون رجلا ، حتى إذا شرع على
بنى سَلِمة وبُطْحَان ، قال : اسلكوا بنى سَلِمة إن شاء الله . قال : فسمعنا
تكبيراً ؛ ثم هدأ الصوت فأقبل حتى إذا خرج من زُقاق ابن حبين[4] استبطن
السوق حتى جاء على التمّارين ؛ حتى دخل من أصحاب الأقفاص ، فأتى
السجن وهو يومئذ فى دار ابن هشام ، فدقّه ، وأخرج مَن كان فيه ، ثم

(١) طروقاً ، أى ليلا .
(٢) ج : « فادخلوا » ، هـ : « فاخلوا » .
(٣) ت ، ج : « الفضاء » .
(٤) ت : « أبى » .

أقبل حتى إذا كان بين دار يزيد ودار أويس نظرنا إلى هَوْل من الهؤل (١) .

قال : فنزل إبراهيم بن يعقوب ، ونكب كنانته وقال : أرمى ؟ فقلنا : لا تفعل ، ودار محمد بالرحبة ، حتى جاء بيت عاتكة بنت يزيد ، فجلس على بابها ، وتناوش الناس حتى قتِل رجل سندىّ كان يستصبح فى المسجد ، قتله رجل من أصحاب محمد .

قال : وحدّثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، أخبرنى جهم بن عثمان ؛ قال : خرج محمد من المذاد على حمار ونحن معه ، فولّى خوّات بن بكير بن خوّات بن جبير الرّجالة ، وولّى عبد الحميد بن جعفر الحربة ، وقال : اكفنيها ، فحملها ثم استعفاه منها فأعفاه ؛ ووجّهه مع ابنه حسن بن محمد .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى جعفر بن عبد الله بن يزيد بن رُكانة قال : بعث إبراهيم بن عبد الله إلى أخيه بجِمْلَىْ سيوف ، فوضعها بالمذاد ، فأرسل إلينا ليلة خرج : وما نكون ؟ مائة رجل ! وهو على حمار
١٩٤/٣ أعرابىّ أسود ، فافترق طريقان : طريق بُطْحان وطريق بنى سَلَمة ، فقلنا له : كيف نأخذ ؟ قال : على بنى سلِمة ، يسلمكم الله ؛ قال : فجئنا حتى صرنا بباب مَرْوان .

قال : وحدّثنى محمد بن عمرو بن رُتبيل بن نهشل أحد بنى يربوع ، عن أبى عمرو المدينىّ — شيخ من قريش — قال : أصابتْنا السماء بالمدينة أيامًا ، فلما أقلعت خرجتُ فى غبّها متمطّرًا (٢) ، فانتسأت (٣) عن المدينة ؛ فإنّى لفى رَحْلى إذ اهبط علىّ رجل لا أدرى من أين أتى ، حتى جلس إلىّ ، وعليه أطمار له دَرِنة وعمامة رثّة ، فقلت له : مِنْ أين أقبلت ؟ قال : من غُنَيْمة لى أوصيتُ راعيَها بحاجة لى ، ثم أقبلت أريد أهلى . قال : فجعلت لا أسلك من العلم طريقًا إلا سبقنى إليه وكثّرنى فيه ، فجعلت أعجب له ولما يأتى به ، قلت : ممن الرجل ؟ قال : من المسلمين ، قلت : أجل ، فمن أيهم أنت ؟ قال : لا عليك ؛ ألا تريد (٤) ؟ قلت : بلى علىّ ذلك ؛ فمن أنت ؟ قال : فوثب وقال :

---

(١) الهؤل : جمع هول ؛ وهو موضع المخافة . (٢) تمطر فى مشيه ، أى أسرع .
(٣) انتسأت ، أى ابتعدت . (٤) ب : « تزيد » .

* منخرق الخُفَّيْن يشكو الوجى[1] *

الأبيات الثلاثة .

قال : ثم أدبر فذهب ؛ فوالله ما فات مدّى بصرى حتى ندمت على تركه قبل معرفته؛ فاتبعته لأسأله؛ فكأنّ الأرض التأمت عليه، ثم رجعتُ إلى رَحْلى ، ثم أتيت المدينة فما غبرت إلاّ يومى وليلتى ؛ حتى شهدت صلاة الصبح بالمدينة ، فإذا رجل يصلّى بنا ، لا أعرِف صوته ، فقرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ

١٩٥/٣ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ، فلما انصرف صعد المنبر ، فإذا صاحبى ، وإذا هو محمد بن عبد الله بن حسن .

قال : وحدّثنى إسماعيل بن إبراهيم بن هود مولى قريش ، قال : سمعت إسماعيل بن الحكم بن عوانة يخبر عن رجل قد سمّاه بشبيهة بهذه القصة[2] . قال إسماعيل : فحدّثت بها رجلا من الأنبار يكنى أبا عبيد ؛ فذكر أن محمداً — أو إبراهيم — وجّه رجلا من بنى ضَبّة — فيما يحسب إسماعيل بن إبراهيم بن هود — ليعلم له بعض علم أبى جعفر ، فأتى الرّجلُ المسيّبَ وهو يومئذ على الشُّرَط ، فمتّ إليه برحِمه ، فقال المسيّب : إنه لا بدّ من رفعك إلى أمير المؤمنين . فأدخله على أبى جعفر فاعترف ، فقال : ما سمعتَه يقول ؟ قال :

شَرَّدَهُ الخَوْفُ فأزرى به كذاك من يكرهُ حَرَّ الجلاد

قال أبو جعفر : فأبلغه أنا نقول :

وخُطَّةِ ذُلٍّ نجعلُ الموتَ دونها نقول لها للموت أهلا ومرحبًا

وقال : انطلق فأبلغه[3] .

قال عمر : وحدثنى أزهر بن سعيد بن نافع — وقد شهد ذلك — قال : خرج محمد فى أول يوم من رجب سنة خمس وأربعين ومائة ، فبات بالمذاد هو وأصحابه ، ثم أقبل فى الليل ، فدقّ السجن وبيت المال ، وأمر برياح وابن مسلم فحُبِسا معًا فى دار ابن هشام .

---

(١) انظر ص ١٧٠ من هذا الجزء .

(٢) ت ، هـ : « سماه هذه القصة » .

(٣) ت ، ج ، هـ : « فأعلمنى » .

قال : وحدّثني يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثني علىّ بن أبى طالب ، قال : خرج محمد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة .

وحدّثني عمر بن راشد ، قال : خرج لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، فرأيت عليه ليلة خرج قَلَنْسُوة صفراء مضريّة وجبّة صفراء ، وعمامة قد ٣/١٩٦
شدّ بها حَقْوَيْه وأخرى قد اعتمّ بها ، متوشحًا سيفًا ، فجعل يقول لأصحابه : لا تقتلوا ، لا تقتلوا . فلما امتنعت منهم الدار ، قال : ادخلوا مِن باب المقصورة ، قال : فاقتحموا وحرّقوا باب الخَوْخة التى فيها ، فلم يستطع أحد أن يمرّ ، فوضع رزام مولى القسرىّ تُرسه على النار ، ثم تخطّى عليه ، فصنع الناس ما صنع ، ودخلوا من بابها ، وقد كان بعض أصحاب رياح مارسوا على الباب ، وخرج مَن كان مع رياح فى الدار من دار عبد العزيز من الحمام ، وتعلّق رياح فى مشرَبة فى دار مَرْوان ، فأمر بدرجها فهُدمت ، فصعدوا إليه ، فأنزلوه وحبسوه فى دار مَرْوان ، وحبسوا معه أخاه عباس بن عثمان . وكان محمد بن خالد وابن أخيه النذير بن يزيد ورزام فى الحبْس ، فأخرجهم محمد ، وأمر النذير بالاستيثاق من رياح وأصحابه .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدّثني أبى ، قال : حبس محمد رياحاً وابن أخيه وابن مسلم بن عُقْبة فى دار مروان .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني عبد العزيز بن أبى ثابت ، عن خاله راشد بن حفص ، قال : قال رزام للنذير : دَعْنى وإياه فقد رأيتَ عذابَه إيایَ . قال : شأنك وإياه ، ثم قام ليخرج ، فقال له رياح : يا أبا قيس ؛ قد كنتُ أفعل بكم ما كنت أفعل ؛ وأنا بسؤددكم عالم . فقال له النذير : فعلتَ ما كنت أهله ، ونفعل ما نحن أهله ، وتناوله رزام فلم يزل به رياح يطلب إليه حتى كفّ ، وقال : والله إن كنتَ لبَطِرًا عند القدرة ، لئيماً عند البلية .

٣/١٩٧ قال : وحدّثني موسى بن سعيد الجُمحىّ ، قال : حبس رياح محمد ابن مَرْوان بن أبى سليط من الأنصار ، ثم أحد بنى عمرو بن عوف ، فمدحه وهو محبوس ، فقال :

وما نَسِيَ الذِّمامَ كريمُ قيس ولا مُلقَى الرجالِ إلى الرجالِ
إذا ما الباب قَعْقَعَهُ سعيدٌ هَدَجنا نحوه هَدْجَ الرِّئال
دبيبَ الذّر تُصْبحُ حين[1] يمشي قِصارَ الخطو غيرَ ذوى اختيال

قال : حدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى إسماعيل بن يعقوب التيمىّ قال : صعد محمد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد أيها الناس ؛ فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدوّ الله أبى جعفر ما لم يخفَ عليكم ؛ من بنائه القبّة الخضراء التى بناها معانداً لله فى ملكه ، وتصغيراً للكعبة الحرام ؛ وإنما أخذ الله فرعون حين قال : ﴿أَنا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[2] وإنّ أحقّ الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين . اللهمّ إنّهم قد أحلّوا حرامَك ، وحرّموا حلالك ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت . اللهمّ فأحصهم عدداً ، واقتلهم بدَداً ، ولا تغادر منهم أحداً . أيّها الناس إنى والله ما خرجت من بين أظهركم وأنتم عندى أهل قوّة ولا شدّة . ولكنى اخترتكم لنفسى ؛ والله ما جئت هذه وفى الأرض مصرٌ يعبَد الله فيه إلا وقد أخِذ لى فيه البيْعة .

٣/١٩٨ قال : وحدّثنى موسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى أبى عن أبيه ، قال : لما وجّهنى رياح بلغ محمداً فخرج من ليلته ؛ وقد كان رياحٌ تقدّم إلى الأجناد الّذين معى ، إن اطّلع عليهم من ناحية المدينة رجل أن يضربوا عنقى ؛ فلما أُتِيَ محمد برياح ، قال : أين موسى ؟ قال : لا سبيل إليه ، والله لقد حدرته إلى العراق . قال : فأرسل فى أثره فردّه . قال : قد عهدت إلى الجند الذين معه إن رأوا أحداً مقبلا من المدينة أن يقتلوه . قال : فقال محمد لأصحابه : مَنْ لى بموسى؟ فقال ابن خُضير: أنا لك به . قال : فانظر رجالاً ؛ فانتخب رجالا ثم أقبل . قال : فوالله ما راعنا إلّا وهو بين أيدينا ؛ كأنما أقبل من العراق ، فلما نظر إليه الجند قالوا : رسل أمير المؤمنين ، فلما خالطونا شَهروا السلاح ، فأخذنى القائد وأصحابه ، وأناخ بى وأطلقنى من وَثاقى ، وشخص بى حتى أقدمنى على محمد.

(١) ت ، ج : « حيث » .
(٢) سورة النازعات ٢٤ .

قال عمر : حدثنى علىّ بن الجعد ، قال : كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قوّاده يدعونه إلى الظهور ، ويخبرونه أنهم معه ؛ فكان محمد يقول : لو التقينا مال إلىّ القوّاد كلهم .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لما أخذ محمد المدينة استعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومىّ ، وعلى الشَّرَط أبا القلمّس عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مخرمة ، وبعث إلى ٣/١٩٩
محمد بن عبد العزيز : إنى كنت لأظنك ستنصرنا ، وتقيم [١] معنا . فاعتذر إليه وقال : أفعل ؛ ثم انسلّ منه فأتى[٢] مكة .

قال : وحدّثنى إسماعيل بن إبراهيم بن هود ، قال : حدّثنى سعيد بن يحيى أبو سفيان الحميرىّ ، قال : حدّثنى عبد الحميد بن جعفر ، قال : كنت على شُرَط محمد بن عبد الله حتى وجّهنى[٣] وجهاً ، وولى شرطه الزبيرىّ .

قال : وحدّثنى أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : لم يتخلّف عن محمد أحد من وجوه الناس إلّا نفر ؛ منهم الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام ، وأبو سلمة بن عبيد الله ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وخُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير .

قال : وحدّثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثتنى جدّتى كلثم بنت وهب ، قالت : لما خرج محمد تنحّى أهلُ المدينة ، فكان فيمن خرج زوجى عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى البَقيع ، فاختبأت عند أسماء بنت حسن[٤] بن عبد الله بن عبد الله بن عباس . قالت : فكتب إلىّ عبد الوهاب بأبيات قالها ، فكتبت إليه :

رَحِمَ اللهُ شباباً قاتلوا يومَ الثنيّة[٥]

---

(١) ج وابن الأثير : « وتقوم » . (٢) ب : « وأتى » .
(٣) ج : « فوجهنى » . (٤) ط ، « حسين » ؛ والصواب ما أثبته من ت ، ه .
(٥) مقاتل الطالبين ٢٤٩ .

قاتلوا عنه : بُنيًا تٌ وأحسابٌ نقيّهْ[1]
فرّ عنهُ الناسُ طُرًّا غيرَ خيلٍ أسديّهْ

٢٠٠/٣ قالت[2] : فزاد الناس :

قتَلَ الرحمنُ عيسى قاتِلَ النفسِ الزّكيّهْ

قال : وحدّثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم ابن سنان الحكمىّ أخُو الأنصار ، قال : أخبرنى غير واحد أنّ مالك بن أنس استُفتِى فى الخروج مع محمد ، وقيل له : إنّ فى أعناقنا بيعةً لأبى جعفر ، فقال : إنما بايعتم مكرهين ، وليس على كل مكرَه يمين . فأسرع الناس إلى محمد ، ولزم مالك بيته .

وحدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنى ابنُ أبى مليكة مولَى عبدالله ابن جعفر ، قال : أرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر — وقد كان بلغ عُمْراً — فدعاه محمد حين خرج إلى البيعة ، فقال : يابن أخى ، أنت والله مقتول ، فكيف أبايعك ! فارتدع الناس عنه قليلا ، وكان بنو معاوية قد أسرعوا إلى محمد ، فأتته حمادة بنت معاوية ، فقالت : يا عمّ ، إن إخوتى قد أسرعوا إلى ابن خالهم ، وإنك إن قلت هذه المقالة ثبّطت عنه الناس ، فيقتل ابن خالى وإخوتى . قال : فأبى الشيخ إلّا النهى عنه ؛ فيقال[3] : إنّ حمّادة عدتْ عليه فقتلته ؛ فأراد محمد الصلاة عليه ، فوثب عليه عبد الله بن إسماعيل ، فقال : تأمر بقتل أبى ثم تصلى[4] عليه ! فنحّاه الحرس ، وصلى عليه محمد .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدثنى أبى ، قال : أُتِىَ محمد بعبيد الله ٢٠١/٣ ابن الحسين بن علىّ بن الحسين بن علىّ مغمضاً عينيه ، فقال : إنّ علىّ يميناً إن رأيته لأقتلنّه . فقال عيسى بن زيد : دعنى أضرب عنقه ، فكفّه عنه محمد .

قال : وحدّثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى محمد بن معن ، قال : حدّثنى محمد بن خالد القسْرىّ ، قال : لما ظهر محمد وأنا فى حبْس ابن

---

(١) ب ، ه : « تقية » .
(٢) ج : « قلت » .
(٣) ب : « نقال » .
(٤) ب : « وتصلى » .

حيّان أطلقنى ؛ فلما سمعت دعوته التى دعا إليها على المنبر ، قلت : هذه دعوة حقّ ؛ والله لأبلينّ الله فيها بلاء حسنًا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنك قد خرجت فى هذا (١) البلد ؛ والله لو وُقف على نَقْب من أنقابه مات أهلُه جوعاً وعطشاً ؛ فانهض معى ؛ فإنما هى عشر حتّى أضربه بمائة ألف سيف . فأبى علىّ ؛ فإنى لعنده يومًا إذ قال لى : ما وجدنا من حُرّ المتاع شيئًا أجودَ من شىء وجدناه عند ابن أبى فَرْوة ، ختَن أبى الخصيب — وكان انتهبَه — قال : فقلت : ألا أراك قد أبصرتَ حُرّ المتاع ! فكتبتُ إلى أمير المؤمنين فأخبرته بقلة مَنْ معه ، فعطف علىّ ، فحبسنى حتى أطلقنى عيسى بن موسى بعد قتله إياه .

قال : وحدّثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدثتنى أختى بُريكةُ بنت عبد الحميد ، عن أبيها ، قال : إنى لعند محمد يومًا ورجله فى حِجْرى ؛ إذ دخل عليه خَوّات بن بكير بن خوّات بن جُبير ، فسلم عليه ، فردّ عليه سلامًا ليس بالقوىّ ، ثم دخل عليه شابٌّ من قريش ، فسلّم عليه فأحسن الردّ عليه ، فقلت : ما تدع عصبيّتَك بعد ! قال : وماذلك(٢) ؟ قلت : دخل عليك سيد الأنصار فسلم فرددت عليه ردًّا ضعيفًا ، ودخل عليك صُعلوك من صعاليك قريش فسلّم فاحتفلت فى الردّ عليه ! فقال : ما فعلتُ ذاك ؛ ولكنّك تفقدتَ منى ما لا يتفقد أحد من أحد . ٢٠٢/٣

قال : وحدّثنى عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : استعمل محمد الحسنَ بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على مكة ، ووجّه معه القاسم بن إسحاق واستعمله على اليمن .

قال : وحدثنى محمد بن إسماعيل عن أهله ، أن محمداً استعمل القاسم ابن إسحاق على اليمن وموسى بن عبد الله على الشأم ، يدعوان إليه ؛ فقُتل قبل أن يصلا .

قال : وحدّثنى أزهر بن سعيد ، قال : استعمل محمد حين ظهر عبدالعزيز ابن الدراوردىّ على السلاح .

---

(١) ت ، ج : «بهذا» .
(٢) ت : «وما ذاك» .

قال : وأخبرنى محمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زَبالة وغيرهما ، قالوا[1] : لما ظهر محمد ، قال ابن هَرْمة — وقد أنشد بعضهم ما لم ينشد غيرُه لأبى جعفر :

غلبتَ على الخلافة مَن تمنَّى ومنَّاه المُضِلُّ بها الضَّلُولُ
فأهلك نفسَه سَفَهًا وجُبْنًا ولم يُقسَمْ له منها فتيلُ
ووازَرَهُ ذَوُو طَمَعٍ فكانوا غُثاءَ السَّيْلِ يجمعه السُّيولُ
دَعوا إبليسَ إذ كذبوا وجارُوا[2] فلم يُصْرِخْهمُ المُغوِى الخَذول
وكانوا أهلَ طاعتِهِ فولَّى وسار وراءه منهم قبيل[3]
وهُمْ لم يُقصِروا فيها بحقٍّ على أثَرِ المُضِلِّ ولم يُطِيلوا
٢٠٣/٣ وما الناسُ احْتَبَوْك بها ولكن حَبَاك بذلك الملك الجليلُ
تراثُ محمد لكمُ وكنتمْ أصولَ الحقِّ إذ نُفِىَ الأُصولُ[4]

قال : وحدّثنى محمود بن مَعْمر بن أبى الشدائد الفزارىّ وموهوب بن رشيد ابن حيّان الكلابىّ ، قال : قال أبو الشدائد لما ظهر محمد وتوجّه إليه عيسى :

أتتك النجائبُ والمُقْرَباتُ بعيسى بن موسى فلا تَعْجَلِ

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : كان محمد آدم شديد الأُدْمة ، أدلم[5] جسيماً عظيماً ؛ وكان يلقب القارىّ من أدْمته ، حتى كان أبو جعفر يدعوه محمَّماً .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى إبراهيم بن زياد بن عنبسة ، قال : ما رأيتُ محمداً رَقِىَ المنبر قطّ إلا سمعت بقعقعة من تحته ؛ وإنى لبمكانى ذلك .

قال : وحدّثنى عبد الله بن عمر بن حبيب ، قال : حدثنى من حضر محمداً على المنبر يخطب ؛ فاعترض بَلْغَم فى حلقه فتنحنح ، فذهب ثم عاد فتنحنح ، فذهب ثم عاد فتنحنح ، ثم عاد فتنحنح ثم نظر فلم يرموضعاً ؛ فرمى بنُخامته سَقْف المسجد فألصقها به .

---

(١) ط : « قال » ، وما أثبته من ت . (٢) ب ، ت : « إذ كربوا » .
(٣) كذا فى ب ، ت ، هـ ، وهو الصواب ، وفى ط : « وصار » .
(٤) ج : « إذ بق » . (٥) الأدلم : الشديد السواد من الرجال .

قال : وحدّثني عبد الله بن نافع ، قال : حدّثني إبراهيم بن عليّ من آل أبي رافع ، قال : كان محمد تمتاماً ، فرأيته على المنبر يتلجلج الكلام في صدره ، فيضرب بيده على صَدْره ، ويستخرج الكلام .

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدّثني أبي ، قال : دخل عيسى بن موسى يوماً على أبي جعفر ، فقال : سرّك الله يا أمير المؤمنين ! قال : فيم ؟ ٣/٢٠٤ قال : ابتعتُ وجه دار عبد الله بن جعفر من بني معاوية ؛ حسن ويزيد وصالح ، قال أتفرح ! أما والله ما باعوها إلاّ ليثبوا عليك بثمنها .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن عبد الله بن الربيع بن عبيد الله بن عبد المدان بن عبيد الله ، قال : خرج محمّد بالمدينة ، وقد خطّ المنصور مدينته بغداد بالقصب ، فسار إلى الكوفة وسرتُ معه ، فصيّح بي فلحقتُه ، فصَمتَ طويلا ثم قال : يابن الربيع ، خرج محمد ، قلت: أين ؟ قال : بالمدينة، قلت: هلك والله وأهلك ؛ خرج والله في غير عدد ولا رجال يا أميرَ المؤمنين ؛ ألا أحدّثك حديثاً حدّثنيه سعيد بن عمرو بن جعدة المخزوميّ ؟ قال : كنت مع مَرْوان يوم الزّاب واقفاً ، فقال: يا سعيد ، مَن هذا الذي يقاتلني[1] في هذه الخيل ؟ قلتُ: عبد الله ابن عليّ بن عبد الله بن عباس، قال : أيّهم هو؟ عرِّفْه، قلت : نعم، رجل أصفر حَسَن الوجه رقيق الذراعين ، رجل دخل عليك يشتم عبد الله بن معاوية حين هزِم ؛ قال : قد عرفته ، والله لوددت أن عليّ بن أبي طالب يقاتلني مكانه ؛ إن علياً وولده لا حظّ لهم في هذا الأمر ؛ وهذا رجل من بني هاشم وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس ، معه ريح الشأم ونصر الشأم . يابن جعدة ، تدرى ما حملني على أن عقدتُ لعبد الله وعبيد الله ابني مروان ، وتركتُ عبدَ الملك وهو أكبر من عبيد الله؟ قلتُ : لا ، قال : ٣/٢٠٥ وجدتُ الذي يلي هذا الأمر عبد الله ؛ وكان عبيد الله أقربَ إلى عبد الله من عبد الملك ، فعقدتُ له . فقال : أنشدك الله ! أحدّثك هذا ابن جعدة ! قلت : ابنةُ سفيان بن معاوية طالق البتّة إن لم يكن حدثني ما حدثتك .

(١) ج : « يقابلني » .

قال عمر : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : خرج إلى أبي جعفر في الليلة التي ظهر فيها محمد رجل من آل أويس ابن أبي سَرْح من بني عامر بن لؤيّ ، فسار تسعًا من المدينة ، فقدم ليلاً ، فقام على أبواب المدينة ، فصاح حتى نُذِر به ، فأدخِل ،فقال له الربيع : ما حاجتك هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم ! قال : لا بدّ لي منه ، قال : أعلمْنا نُعلمْه ، فأبى ، فدخل الرّبيع عليه فأعلَمه ، فقال: سلْه عن حاجته ثم أعلمني ؛ قال : قد أبى الرّجُل إلا مشافهتك . فأذن له ، فدخل عليه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، خرج محمد بن عبد الله بالمدينة ، قال : قتلتَه والله إن كنت صادقًا ! أخبِرني مَنْ معه ؟ فسمّى له مَن خرج معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته ، قال : أنتَ رأيتَه وعاينتَه ؟ قال : أنا رأيته وعاينته وكلمتُه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا . فأدخله أبو جعفر بيتًا ، فلما أصبح جاءه رسول لسعيد بن دينار ؛ غلام عيسى بن موسى كان يلي أموال عيسى بالمدينة ، فأخبره بأمر محمد ، وتواترت عليه أخباره ، فأخرج الأويسيّ
٢٠٦/٣ فقال : لأوطِئنّ الرجال عَقِبيك ولأغنينّك ؛ وأمر له بتسعة آلاف ، لكلّ ليلة سارَها ألفًا .

قال : وحدّثني ابن أبي حرب ، قال : لما بلغ أبا جعفر ظهورُه أشفق منه ؛ فجعل الحارث[1] المنجّم يقول له : يا أميرَ المؤمنين ، ما يجزعك منه ! فوالله لو ملك الأرض ما لبث إلا تسعين يومًا .

قال : وحدّثني سهل بن عقيل بن إسماعيل، عن أبيه ، قال : لما بلغ أبا جعفر خبره بادر إلى الكوفة ، وقال : أنا أبو جعفر ؛ استخرجت الثعلب من جُحْره .

قال : وحدّثني عبد الملك بن سليمان ، عن حبيب بن مرزوق ، قال : حدّثني تسنيم بن الحواريّ ، قال : لما ظهر محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، أرسل أبو جعفر إلى عبد الله بن عليّ وهو محبوس عنده : إنّ هذا الرجل قد خرج ؛ فإن كان عندك رأي فأشِرْ به علينا — وكان ذا رأي عندهم — فقال :

---

(١) ت وابن الأثير : « الحارثي » .

إنّ المحبوس محبوس الرأى، فأخرجنى حتى يخرج رأيى ؛ فأرسل إليه أبو جعفر : لو جاءنى حتى يضرب بابى ما أخرجتك ؛ وأنا خير لك منه، وهو ملك أهل بيتك . فأرسل إليه عبد الله : ارتحل الساعة حتى تأتىَ الكوفة ، فاجثم على أكبادهم ؛ فإنهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم ، ثم احففها بالمسالح ؛ فمن خرج منها إلى وَجْه من الوجوه أو أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه ؛ وابعث إلى سَلْم بن قتيبة ينحدر عليك — وكان بالرّىّ — واكتب إلى أهل الشأم فمرهم أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة ما يحمل البريد، فأحسِنْ جوائزهم ، ووجّههم مع سَلْم . ففعل . ٢٠٧/٣

قال : وحدّثنى العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد ، قال : سمعتُ أشياخنا يقولون : لما ظهر محمد ظهر وعبد الله بن علىّ محبوس ، فقال أبو جعفر لإخوته : إن هذا الأحمق لا يزال يطلع له الرأى الجيّد فى الحرب ؛ فادخلوا عليه فشاوروه ولا تُعلموه أنى أمرتكم . فدخلوا عليه ، فلما رآهم قال : لأمرٍ ما جئتم ؛ ما جاء بكم جميعًا وقد هجرتمونى منذ دهر ! قالوا : استأذنَّا أميرَ المؤمنين فأذن لنا ، قال : ليس هذا بشىء ؛ فما الخبر ؟ قالوا : خرج ابن عبد الله ، قال : فما ترون ابن سلامة صانعاً ؟ يعنى أبا جعفر — قالوا : لا ندرى والله ، قال : إنّ البُخل قد قتله ، فمروه فليُخرج الأموال ، فليُعْط الأجناد ، فإن غلب فما أوشك أن يعود إليه مالُه ، وإن غُلب لم يقدم صاحبُه على درهم واحد .

قال : وحدّثنا عبد الملك بن شيبان ، قال : أخبرنى زيد مولى مسمع بن عبد الملك ، قال : لما ظهر محمد دعا أبو جعفر عيسى بن موسى ، فقال له : قد ظهر محمد فسِرْ إليه ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ هؤلاء عمومتك حولك ، فادْعهم فشاورهم ، قال : فأين قول ابن هَرْمَة :

ترَوْن امْرَأً لا يُمْحِض القومَ سِرَّهُ ... ولا يَنتَجِى الأَدْنَيْن فيما يحاولُ
إذا ما أتى شيئًا مضى كالذى أبَى ... وإن قال إنى فاعِلٌ فهو فاعِلُ

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : نسختُ هذه الرسائل من محمد

٢٠٨/٣ ابن بشير ؛ وكان بشير يصححها ؛ وحدّثنيها أبو عبد الرحمن من كُتّاب أهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار ، وسمعت ابن أبي حرب يصحّحُها ؛ ويزعم أن رسالة محمد لما وردتْ على أبي جعفر ، قال أبو أيوب : دعني أجبْه عليها ، فقال أبو جعفر : لا بل أنا أجيبه عنها ؛ إذ تقارعنا على الأحساب فدعني(١) وإيّاه .

قالوا : لما بلغ أبا جعفر المنصور ظهورُ محمد بن عبد الله المدينة كتب إليـه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢) ولك علىّ عهد الله وميثاقه وذمّته وذمّةُ رسوله صلى الله عليه وسلم إنْ تبتَ ورجعْتَ من قبل أن أقدر عليك أن (٣ أؤمنك وجميعَ ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومَن اتّبعكم على دمائكم وأموالكم ٣) ، وأسوّغك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألتَ من الحوائج ،

٢٠٩/٣ وأنزلَك من البلاد حيث شئتَ ، وأن أطلق مَنْ فى حبسى من أهل بيتك ، وأن أؤمّن كلّ مَنْ جاءك وبايعك واتبعك ، أو دخل معك فى شىء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشىء كان منه أبداً . فإن أردت(٤) أن تتوثّق لنفسك ، فوجّه إلىّ مَنْ أحببتَ (٥) يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به .

وكتب على العنوان : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله.

فكتب إليه محمد بن عبد الله :

---

(١) ج : « دعنى » . (٢) سورة المائدة ٣٣ ، ٣٤ .

(٣ – ٣) الكامل : « أن أؤمنك على نفسك وولدك وإخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك » . (٤) الكامل : « فإن شئت » .

(٥) الكامل : « ما أحببت » .

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المهدىّ محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد :﴿ طسٓمٓ * تِلْكَ آياتُ الكِتابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بالحقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّح أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحيِى نِساءَهم إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِين اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وهَامَان وجُنودَهما مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١). وأنا أعرضُ عليك من الأمان مثلَ الذى (٢) عرضْتَ علىّ ، فإنّ الحقّ حقّنا ؛ وإنما ادّعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم (٣) له بشيعتنا ، وحظيتم (٤) بفضلنا ؛ وإنّ (٥) أبانا عليًّا كان الوصىّ وكان الإمام ؛ فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ! ثم قد علمتَ أنه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ له مثل نسبِنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا ؛ ٣/٢١٠
لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلَقاء ، وليس يمتّ (٦) أحدٌ من بنى هاشم بمثل الذى نمتُّ به من القَرابة والسابقة والفَضْل ؛ وإنا بنو أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهليّة وبنو بنته فاطمة فى الإسلام دونكم. إن الله اختارنا واختار لنا ؛ فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن السلف أوّلهم إسلامًا علىّ ، ومن الأزواج أفضلهنّ خديجة الطاهرة ، وأوّل مَنْ صلّى القبلة ، ومن البنات خيرهُنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين فى الإسلام حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنة ؛ وإنّ هاشمًا ولد عليًّا مرتين (٧) ؛ وإن عبد المطلب ولد حسنًا مرتين (٨) وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرّتين من قِبل حسن وحسين ؛ وإنى أوسط بنى هاشم

---

(١) سورة القصص ١ — ٥ . (٢) ب : « ما » ، ابن الأثير : « مثل ما » .
(٣) الكامل : « ونهضتم » . (٤) الكامل : « وخبطتموه » .
(٥) ب وابن الأثير : « فإن » . (٦) يمت ، أى يتوسل ، و بعدها فى الكامل : « دونكم »
(٧) يعنى على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وعليا زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب .
(٨) يعنى جده وأبا جده ؛ فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب .

نسبًا ، وأصرحهم أبًا ، لم تعرّق فىّ العجم[١] ، ولم تنازع فىّ أمهاتُ الأولاد ؛ فما زال الله يختارُ لى الآباء والأمهات فى الجاهلية والإسلام حتّى اختار لى فى النار ؛ فأنا ابن أرفع الناس درجةً فى الجنة ، وأهونهم عذابًا فى النار[٢] ، وأنا ابن خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار. ولك الله علىّ إن دخلتَ فى طاعتى ، وأجبت دعوتى أن أؤمّنك على نفسك ٣/٢١١
ومالك ؛ وعلى كل أمر أحدثته ؛ إلا حدًّا من حدود الله أو حقًّا لمسلم أو معاهد ؛ فقد علمتَ ما يلزمك من ذلك ، وأنا أوْلى بالأمر منك وأوفى بالعهد ؛ لأنك أعطيتَنى من العهد والأمان ما أعطيته رجالاً قبلى ؛ فأىّ الأمانات تعطينى ! أمان ابن هبيرة ، أم أمان عمّك عبد الله بن علىّ ، أم أمان أبى مسلم[٣] !

فكتب إليه أبو جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فقد بلغنى كلامُك ، وقرأتُ كتابَك ، فإذا جلُّ فخرك بقرابة النساء ؛ لتضلّ به الجُفاة والغوغاء ؛ ولم يجعل الله النساء كالعُمومة والآباء ، ولا كالعَصبة والأولياء ؛ لأن الله جعل العمّ أبًا ، وبدأ به فى كتابه على الوالدة الدنيا[٤] . ولو كان اختيارُ الله لهنّ على قدر قرابتهنّ كانت آمنةُ أقربَهنّ رحِمًا ، وأعظمهن حقًّا ، وأوّل من يدخل الجنة غداً ؛ ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم ، واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة أمّ أبى طالب وولادتها ؛ فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها[٥] الإسلام لا بنتًا ولا ابنًا ؛ ولو أن أحداً رُزق الإسلام بالقرابة رُزقه

---

(١) يعرض بالمنصور ؛ وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية ؛ انظر مروج الذهب ٢ : ٢٩٤ .

(٢) يعنى جده أبا طالب .

(٣) كامل المبرد ٤ : ١١٣ – ١١٦ .

(٤) الكامل : « الوالد الأدنى » ، وبعدها هناك : « فقال جل ثناؤه عن نبيه يوسف عليه السلام ؛ ﴿واتّبَعْتُ ملّةَ آبائى إبْراهيمَ وإسحَاقَ ويَعْقوبَ﴾ .

(٥) ذكر الطبرى أن أولادها هم : « عبد الله أبو رسول الله ، والزبير ، وعبد الكعبة ، وعاتكة ، وبرة ، وأميمة ، ولد عبد المطلب إخوة ، وأمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو » .

عبد الله أولاهم بكلّ خير فى الدنيا والآخرة ؛ ولكنّ الأمر لله يختارُ لدينه من يشاء؛ قال الله عزّوجلّ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١) ؛ ولقد بعث الله محمداً عليه السلام وله ٢١٢/٣
عُمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢) . فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبِي ، وأبَى اثنان أحدهما أبوك ؛ فقطع الله ولايتهما منه ؛ ولم يجعل بينه وبينهما إلًّا ولاَ ذِمّةً ولاميراثاً . وزعمتَ أنك ابن أخفّ أهل النار عذاباً وابن خير الأشرار ؛ وليس فى الكفر بالله صغير ، ولا فى عذاب الله خفيف ولا يسير ؛ وليس فى الشرّ خيار؛ ولاينبغى لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وستردُ فتعلم ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾(٣)

وأما ما فَخرت به من فاطمة أمّ علىّ وأنّ هاشماً ولده مرتين ، ومن فاطمة أمّ حسن ، وأن عبد المطلب ولده مرتين ؛ وأن النبىّ صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين ؛ فخير الأوّلين والآخرين رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولم يلده هاشم إلاّ مرةً ولا عبد المطلب إلا مرّة .

وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسباً ، وأصرحهم أمًّا وأباً ؛ وأنه لم تلدك العجَمُ ولم تعرّق فيك أمّهاتُ الأولاد ؛ فقد رأيتُك فخرت على بنى هاشم طرًّا ؛ فانظر ويحك أين أنْتَ من الله غداً ! فإنك قد تعدّيتَ طَوْرك ، وفخرت على مَنْ هو خير منك نفساً وأباً وأولاً وآخراً ، إبراهيم(٤) بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده ؛ وما خيار بنى أبيك خاصّة وأهل الفضل منهم إلاّ بنو أمهات أولاد ، وما وُلد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ من علىّ ٢١٣/٣
ابن حسين ؛ وهو لأمّ(٥) ولد ؛ ولهو خيرٌ من جدّك حسن بن حسن ؛ وما كان فيكم بعده مثلُ ابنه محمد بن علىّ ، وجدّتُه أمّ ولد ؛ ولهو خيرٌ من أبيك ،

(١) سورة القصص ٥٦ . (٢) سورة الشعراء ٢١٤ .
(٣) سورة الشعراء ٢٢٧ .
(٤) أم إبراهيم مارية التى أهداها المقوقس عظيم القبط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٥) أم على زين العابدين ؛ سبية من بنات يزدجرد . وانظر ابن خلكان ١ : ٣٢٠ .

ولا مثلُ ابنه جعفر وجدّته أمّ ولد ؛ ولهو خيرٌ منك .

وأما قولك : إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله تعالى يقول فى كتابه : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾(١) ، ولكنكم بنو ابنته؛ وإنها لقرابة قريبة ؛ ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ؛ فكيف تورّث بها ! ولقد طلبها أبوك بكلّ وجه فأخرجها(٢) نهاراً ، ومرّضها سرّاً ، ودفنها ليلا ؛ فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما ؛ ولقد جاءت السنّة التى لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجدّ أبا الأم والخال والخالة لا يرثون(٣) .

وأما ما فخرت به من علىّ وسابقته ، فقد حضرتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الوفاةُ ، فأمر غيرَه بالصّلاة ، ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه ؛ وكان فى الستّة فتركوه كلهم دفعًا له عنها ، ولم يروْا له حقًّا فيها ؛ أما عبدالرحمن فقدّم عليه عثمان ، وقُتِل عثمان وهو له متّهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعتّه ، وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاويةَ بعده . ثم طلبها بكلّ وجه وقاتل عليها ، وتفرّق عنه أصحابه ، وشكّ فيه شيعتُه قبل الحكومة ، ثم حكّم حكمين رضى بهما ، وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه . ثم كان
٢١٤/٣ حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز ؛ وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله ؛ وأخذ مالاً من غير ولائه(٤) ولا حِلّه ؛ فإنْ كان لكم فيها شىء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمّك حسين بن علىّ على ابن مرْجانة(٥) ، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه ، وأتوا برأسه إليه ، ثم خرجتم على بنى أميّة ، فقتلوكم وصلّبوكم على جُذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوْكم من البلدان ؛ حتى قُتِل يحيى بن زيد بخُراسان ؛ وقتلوا رجالكم وأسروا الصِّبْيَة والنساء ، وحملوهم بلا وطاء فى المحافل(٦) كالسّبْى

(١) سورة الأحزاب ٤٠ . (٢) ابن الأثير : « فأخرج فاطمة » .

(٣) ابن الأثير : « يورثون » . (٤) ب : « ولاته » ، ج وابن الأثير : « ولاية » .

(٥) هو عبيد الله بن زياد ، ومرجانة أمه .

(٦) الوطاء : المهاد الوطىء . والمحمل : شقان على البعير ؛ يحمل فيهما العديلان ؛ وجمعه محامل . فى الكامل : « ثم أتوا بكم على الأقتاب من غير أوطئة كالسبى المجلوب » .

المجلوب إلى الشأم ؛ حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنّينا سلفكم وفضّلناه ، فاتخذتَ ذلك علينا حجة .

وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضّلناه للتقدمة منّا له على حمزة والعباس وجعفر ؛ وليس ذلك كما ظننت ؛ ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلَّماً منهم ، مجتمَعاً عليهم بالفضل ، وابتُلى أبوك بالقتال والحرب ؛ وكانت بنو أميّة تلعنه كما تلعن الكفَرة فى الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له ، وذكّرناهم فضله ، وعنّفناهم وظلّمناهم بما نالوا منه . ولقد علمتَ أن مكرُمتنا فى الجاهلية سقايةُ الحجيج(١) الأعظم ، وولاية زمزم ؛ فصارت للعباس من بين إخوته ؛ فنازعَنا فيها أبوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها فى الجاهلية والإسلام ؛ ولقد قحط أهلُ المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربّه ولم يتقرّب إليه إلا بأبينا ، حتى نعَشَهم(٢) الله وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضرٌ لم يتوسّل به ؛ ولقد علمت أنه لم يبق أحدٌ من بنى عبد المطلب بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم غيرُه ؛ فكان وراثَه من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غيرُ واحد من بنى هاشم فلم ينَلْه إلا ولدُه ؛ فالسقايةُ سقايتُه وميراثُ النبيّ له ، والخلافة فى ولده ، فلم يبق شرَفٌ ولا فضل فى جاهلية ولا إسلام(٣) فى دنيا ولا آخرة إلّا والعباس وارثه ومورّثه . ٢١٥/٣

وأما ما ذكرت من بَدْر ؛ فإن الإسلام جاء والعباس يَمون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التى أصابته ؛ ولولا أنّ العباس أخرِج إلى بدر كارهاً(٤) لمات طالب وعقَيل جوعاً ، وللحسا جفان عُتْبة وشيبة ؛ ولكنه كان من المطعِمين ، فأذهب عنكم العار والسبّة ، وكفَاكم النّفقة والمؤونة ، ثم فدى عقَيلا يوم بَدْر ؛ فكيف تفخر علينا وقد عُلْناكم فى الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحُزْنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا(٥) منه ما عجزتم عنه ؛ ولم تدركوا لأنفسكم ! والسلام عليك ورحمة الله(٦) .

---

(١) ابن الأثير : « الحاج » .
(٢) ابن الأثير : « يغشيهم » .
(٣) ج : « الجاهلية والإسلام » . (٤) ج : « كرهاً » .
(٥) ج : « وأدركنا » .
(٦) كامل المبرد ٤ : ١١٦ – ١٢٠ .

قال عمر بن شبّة : حدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : أجمع ابن القسرىّ على الغدر بمحمد ، فقال له : يا أمير المؤمنين ،
٢١٦/٣ ابعث موسى بن عبد الله ومعه رزاماً مولاىَ إلى الشأم يدعوان إليك . فبعثهما فخرج رزام بموسى إلى الشأم ، وظهر محمد على أن القسرىّ كتب إلى أبى جعفر فى أمره ، فحبسه فى نفر ممن كان معه فى دار ابن هشام التى فى قبلة مصلى الجنائز — وهى اليوم لفرج الخصىّ — وورد رزام بموسى الشأم ، ثم انسلّ منه ، فذهب إلى أبى جعفر ، فكتب موسى إلى محمد : إنى أخبرك أنى لقيت الشأم وأهله ، فكان أحسنهم قولا الذى قال : والله لقد مللنا البلاء ، وضقنا به ذرعًا ؛ حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ، ولا لنا به حاجة ؛ ومنهم طائفة تحلف : لئن أصبحنا من ليلتنا أو مسّينا من غد ليرفعنّ أمرنا وليدلنّ علينا ؛ فكتبت إليك وقد غيبت وجهى ، وخفت على نفسى . قال الحارث : ويقال إنّ موسى ورزاماً وعبد الله بن جعفر بن عبدالرحمن بن المسور توجهوا إلى الشأم فى جماعة ؛ فلما ساروا بتيْماء ، تخلّف رزام ليشترى لهم زاداً ، فركب إلى العراق ، ورجع موسى وأصحابه إلى المدينة .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدثنى موسى بن عبد الله ببغداد ورزام معنا ، قال : بعثنى محمد ورزاماً فى رجال معنا إلى الشأم ، لندعُوَ له ؛ فإنا لبدَوْمة الجندل ؛ إذ أصابنا حرٌّ شديد ؛ فنزلنا عن رواحلنا نغتسل فى غدير ، فاستلّ رزام سيفه ، ثم وقف على رأسى ، وقال : يا موسى ، أرأيتَ لو ضربتُ عنقك ثم مضيت[1] برأسك إلى أبى جعفر ؛ أيكون أحد عنده فى
٢١٧/٣ منزلتى ! قال : قلت : لا تدع هزلك يا أبا قيس ! شمْ سيفك غفر الله لك . قال : فشام سيفه ، فركبنا . قال عيسى : فرجع موسى قبل أن يصل إلى الشأم ، فأتى البصرة هو وعثمان بن محمد ، فدُلّ عليهما ، فأخذا .

قال : وحدّثنى عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير ، قال : حدّثنى أخى عبد الله بن نافع الأكبر ، قال : لما ظهر محمد لم يأته أبى نافع ابن ثابت ، فأرسل إليه ، فأتاه وهو فى دار مرْوان ، فقال : يا أبا عبد الله ،

(١) ج : « ذهبت » .

لم أرك جئتنا ! قال : ليس فىّ ما تريد ، فألحّ عليه محمد ؛ حتى قال : البس السلاحَ يتأسَّ بك غيرك ، فقال : أيها الرجل ؛ إنى والله ما أراك فى شىء ؛ خرجتَ فى بلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كُراع ولا سلاح ؛ وما أنا بمهلك نفسى معك ، ولا معين على دمى . قال : انصرفْ ؛ فلا شىء فيك بعد هذا . قال : فمكث يختلف إلى المسجد إلى أن قُتِل محمد ، فلم يصلِّ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قُتل إلا نافع وحدَه .

ووجّه محمد بن عبد الله لما ظهر — فيما ذكر عمرعن أزهر بن سعيد بن نافع — الحسن بن معاوية إلى مكة عاملا عليها ، ومعه العباس بن القاسم — رجل من آل أبى لهب — فلم يشعر بهم السرىّ بن عبد الله حتى دنَوْا من مكة ، فخرج إليهم ، فقال له مولاه : ما رأيك ؟ قد دنونا منهم ، قال : انهزِموا على بركة الله ، وموْعدكم بئر ميمون . فانهزموا ؛ ودخلها الحسن بن معاوية . وخرج الحسين بن صَخْر — رجل من آل أوَيس — من ليلته ، فسار إلى أبى جعفر تسعًا فأخبره فقال : « قد أنصف القَارة من رَاماها »[(١)] ، وأجازه بثلثمائة درهم .

قال : وحدّثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى محمد بن صالح بن معاوية ، ٣/٢١٨
قال : حدّثنى أبى ، قال : كنت عند محمد حين عقد للحسن بن معاوية على مكة ، فقال له الحسن : أرأيت إن التحم القتال بيننا وبينهم ، ما ترى فى السرىّ ؟ قال : يا حسن ، إن السرىّ لم يزل مجتنبًا لما كرهنا ، كارهًا للذى صنع أبو جعفر ؛ فإن ظفرتَ به فلا تقتلْه ؛ ولا تحركنّ له أهلا ، ولا تأخذنّ له متاعًا ، وإن تنحّى فلا تطلبنّ له أثرًا . قال : فقال له الحسن : يا أميرَ المؤمنين ، ما كنت أحسبك تقول هذا فى أحد من آل العباس ، قال : بلى ، إن السرىّ لم يزل ساخطًا لما صنع أبو جعفر .

قال : وحدّثنى عمر بن راشد مولى عَنْج ، قال : كنت بمكة ، فبعث

(١) مثل ، والقارة : قبيلة من عضل ؛ وكانوا من رماة العرب .

إلينا محمد حين ظهر الحسن بن معاوية والقاسم بن إسحاق ومحمد بن عبد الله ابن عنبسة يدعى أبا جبرة، أميرهم الحسن بن معاوية ؛ فبعث إليهم السرىّ بن عبد الله كاتبه مسكين بن هلال فى ألف، ومولى له يدعى مسكين بن نافع فى ألف، ورجلا من أهل مكة يقال له ابن فرس — وكان شجاعًا — فى سبعمائة، وأعطاه خمسمائة دينار، فالتقوْا ببطن أذاخر بين الثنيّتيْن وهى الثنيّة التى تهبط على ذى طُوًى، منها هبط النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى مكة، وهى داخلة فى الحرم ، فتراسلوا؛ فأرسل حسن إلى السرىّ أن خلّ بيننا وبين مكة ، ولا تُهريقوا الدماء فى حرم الله. وحلف الرسولان للسرىّ: ما جئناك حتى مات
٢١٩/٣ أبو جعفر. فقال لهما السرىّ: وعلىّ مثل ما حلفتما به؛ إن كانت مضت لى أربعة؛ منذ جاءنى رسول من عند أمير المؤمنين ، فأنظرونى أربع ليال ؛ فإنى أنتظر رسولًا لى آخر ، وعلىّ ما يصلحكم ، ويصلح دوابكم ، فإن يكن ما تقولونه حقًّا سلّمتها إليكم ؛ وإن يكن باطلا أجاهدكم حتى تغلبونى أو أغلبكم ؛ فأبى الحسن ، وقال : لا نبرح حتى نناجزك ، ومع الحسن سبعون رجلا وسبعة من الخيل ، فلما دنوْا منه ، قال لهم الحسن : لا يقدّمنّ أحد منكم حتى ينفخ فى البوق (١) ؛ فإذا نفخ فلتكن حملتكم حملة رجل واحد . فلما رهِقْناهم وخشى الحسن أن يغشاه وأصحابَه، ناداه : انفخ ويحك فى البوق ! فنفخ ووثبوا وحملوا علينا حَمْلة رجل واحد. فانهزم أصحاب السرىّ ، وقتل منهم سبعة نفر . قال : واطلع عليهم بفرسان من أصحابه وهم من وراء الثنيّة فى نفر من قريش قد خرج بهم ،وأخذ عليهم لينصُرُنّه ، فلما رآهم القرشيون قالوا : هؤلاء أصحابُك قد انهزموا . قال: لا تعجلوا، إلى أن طلعت الخيل والرجال فى الجبال ؛ فقيل له : ما بقى ؟ فقال : انهزموا على بركة الله، فانهزموا حتى دخلوا دار الإمارة ، وطرحوا أداة الحرْب ، وتسوّروا على رجل من الجند يكنى أبا الرزام . فدخلوا بيته فكانوا فيه . ودخل الحسن بن معاوية المسجد ، فخطب الناس ونعى إليهم أبا جعفر ودعا لمحمد .

قال : وحدّثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثنى الغمر بن حمزة بن
٢٢٠/٣ أبى رملة ، مولى العباس بن عبد المطلب ، قال : لما أخذ الحسن بن معاوية

---

(١) ط : « ونتوا فى البوق » ، والصواب ما أثبته من ت ، ه .

مكة ، وفرّ السرىّ بلغ الخبر أبا جعفر ، فقال : لهفِي على ابن أبى العَضَل .

قال : وحدّثنى ابن أبى مُساور بن عبد الله بن مساور مولى بنى نائلة من بنى عبد الله بن مُعيْص ، قال : كنت بمكة مع السرىّ بن عبد الله ، فقدم عليه الحسنُ بن معاوية قبل مخرج محمد — والسرىّ يومئذ بالطائف وخليفته بمكة ابن سُراقة من بنى عدىّ بن كعب — قال : فاستعدى عتبة بن أبى خداش اللّهْبىّ على الحسن بن معاوية فى دَيْنٍ عليه فحبسه ، فكتب له السرىّ إلى ابن أبى خداش : أما بعد فقد أخطأتَ حظّك ، وساء نظرك لنفسك حين تحبس ابنَ معاوية ؛ وإنما أصبت المال من أخيه . وكتب إلى ابن سراقة يأمره بتخليته ، وكتب إلى ابن معاوية يأمره بالمقام إلى أن يقدَم فيقضى عنه . قال : فلم يلبث أن ظهر محمد ، فشخص إليه الحسن بن معاوية عاملا على مكة ، فقيل للسرىّ : هذا ابن معاوية قد أقبل إليك ، قال : كلاّ ما يفعل وبلائى عنده [بلائى] (١) ، وكيف يخرج إلىّ أهل المدينة ! فوالله مابها دار إلا وقد دخلها لى معروف ، فقيل له : قد نزل فجاء . قال : فشخص إليه ابنُ جريج ، فقال له : أيها الرجل ، إنك والله ما أنتَ بواصل إلى مكة وقد اجتمع أهلُها مع السرىّ ، أتُراك قاهراً قريشاً وغاصبها على دارها ! قال : يابن الحائك ، أبأهل مكة تخوّفنى ! والله ما أبيت إلا بها أو أموت دونها. ثم وثب فى أصحابه ، وأقبل إليه السرىّ ، فلقيه بفخّ ، فضرب رجل من أصحاب الحسن مسكين بن ٢٢١/٣ هلال كاتب السرىّ على رأسه فشجّه ، فانهزم السرىّ وأصحابه ، فدخلوا مكة ، والتفّ أبو الرزام — رجل من بنى عبد الدار ثم أحد آل شيبة — على السرىّ ، فواراه فى بيته ، ودخل الحسن مكة . ثم إن الحسن أقام بمكة يسيراً ، ثم ورد كتاب محمد عليه يأمره باللحاق به .

وذكر عمر عن عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : سمعتُ من لا أحصى من أصحابنا يذكر أنّ الحسن والقاسم لما أخذا مكة ، تجهّزا وجمعا جمعاً كثيراً ، ثم أقبلا يريدان محمداً ونُصرته على عيسى بن موسى ؛ واستخلفا على مكة رجلا من الأنصار ؛ فلما كانا بقُدَيْد لقيهما قتْلُ محمد ، فتفرّق

(١) من ت ، ا .

الناس عنهما ، وأخذ الحسن على بَسْقة — وهى حرّة فى الرمل تدعى بَسْقة قُدَيد — فلحق بإبراهيم ؛ فلم يزل مقيماً بالبصرة حتى قُتل إبراهيم . وخرج القاسم بن إسحاق يريد إبراهيم ؛ فلما كان ببديع من أرض فَدَك ، لقيه قتلُ إبراهيم ، فرجع إلى المدينة ، فلم يزل مختفياً حتى أخذت ابنة عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن جعفر ؛ زوجة عيسى بن موسى ، له ولإخوته الأمان فظهر(١) بنو معاوية ، وظهر القاسم .

قال : وحدّثنى عمر بن راشد مولى عنج ، قال : لما ظهر الحسن بن
٢٢٢/٣ معاوية على السرىّ أقام قليلا حتى أتاه كتاب محمد يأمره بالشخوص إليه ؛ ويخبره أن عيسى قد دنا من المدينة ، ويستعجله بالقدوم . قال : فخرج من مكة يوم الاثنين فى مطر شديد — زعموا أنه اليوم الذى قُتِل فيه محمد — فتلقاه بريدٌ لعيسى بن موسى بأمَجَ — وهو ماء لخزاعة بين عُسفان وقُديد — بقتل محمد ، فهرب وهرب أصحابه .

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى عبد العزيز بن أبى ثابت عن أبى سيار ، قال : كنت حاجبَ محمد بن عبد الله ، فجاءنى راكبٌ من الليل ، قال : قدمتُ من البصرة ، وقد خرج بها إبراهيم ، فأخذها . قال : فجئتُ دار مَرْوان ، ثم جئت المنزل الذى فيه محمد ، فدققتُ الباب ، فصاح بأعلى صوته : من هذا ؟ قلت : أبو سيّار ، قال : لا حول ولا قوّة إلا بالله ؛ اللهم إنى أعوذ بك من شرّ طوارق الليل ؛ إلا طارق يطرق منك بخير ، قال : خير ! قلت : خير ، قال : ما وراءك ؟ قلت : أخذ إبراهيم البَصْرة — [قال] : وكان محمد إذا صلى المغرب والصبح صاح صائح : ادعوا الله لإخوانكم من أهل البصرة ، وللحسن بن معاوية واستنصروه على عدوّكم .

* * *

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : قدِم علينا رجل من أهل الشأم ، فنزل دارنا — وكان يكنى أبا عمرو — فكان أبى يقول له : كيف ترى هذا الرجل ؟ فيقول : حتى ألقاه فأسبُره ثم أخبرك . قال عيسى : فلقيه أبى بعد ، فسأله

---

(١) كذا فى ت ، ه ، وفى ط « فصهره » .

فقال : هو والله الرجل كلّ الرجل ؛ ولكن رأيتُ شحم ظهره ذراعاً ، وليس هكذا يكون صاحبَ الحرب . قال : ثم بايعه بعد ، وقاتل معه .

٣/٢٢٣ قال : وحدّثني عبد الله بن محمد بن سلْم — يدعَى ابنَ البواب مولَى المنصور — قال : كتب أبو جعفر إلى الأعمش كتاباً على لسان محمد ، يدعوه إلى نصرته ، فلما قرأه قال : قد خبَرناكم يا بنى هاشم ؛ فإذا أنتم تحبّون الثريد. فلما رجع الرسول إلى أبى جعفر فأخبره ، قال : أشهد أنّ هذا كلام الأعمش .

وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنى ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : غلب محمد بن عبد الله على المدينة ، فبلغنا ذلك ، فخرجنا ونحن شباب ؛ أنا يومئذ ابنُ خمس عشرة سنة ، فانتهينا إليه ؛ وهو قد اجتمع إليه الناس ينظرون إليه ؛ ليس يُصَدّ عنه أحد ؛ فدنوتُ حتّى رأيته وتأملته ؛ وهو على فرَس ، وعليه قميص أبيض محشوّ وعمامة بيضاء ؛ وكان رجلاً أحزم ؛ قد أثّر الجُدرىّ فى وجهه ،ثم وجّه إلى مكة فأخذت له ، وبيّضوا ؛ ووجّه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة ، فأخذها وغلبها وبيّضوا معه .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر . قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : ندَب أمير المؤمنين أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال محمد ، وقال: لا أبالى أيّهما قتل صاحبه ؛ وضمّ إليه أربعة آلاف من الجُنْد، وبعث معه محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين .

قال : وحدّثنى عبد الملك بن شيبان. عن زيد مولى مسمع ، قال : لما أمر أبو جعفر عيسى بن موسى بالشخوص ، قال : شاوِرْ عمومتَك ، فقال له : امضِ أيها الرجل ؛ فوالله ما يراد غيرى وغيرُك ؛ وما هو إلاّ أن تشخص أو أشخص ؛ قال : فسار حتّى قدم علينا ونحن بالمدينة .

٣/٢٢٤ قال : وحدّثنى عبد الملك بن شيبان ، قال : دعا أبو جعفر بن حنظلة البَهرانىّ — وكان أبرصَ طُوالا ، أعلم الناس بالحرب ، وقد شهد مع مرْوان حروبه — فقال : يا جعفر ، قد ظهر محمد ، فما عندك ؟ قال : وأين ظهر ؟

قال : بالمدينة ، قال : فاحمد الله ، ظهر حيث لا مالَ ولا رجال ولا سلاح ولا كُراع ؛ ابعث مولًى لك تثق به فليسرْ حتّى ينزل بوادى القرى ؛ فيمنعه مِيرة الشأم ، فيموت مكانه جوعًا ، ففعل .

قال : وحدّثنى عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعتُ أصحابنا إسماعيل بن موسى وعيسى بن النّضْر وغيرهما يذكرون أنّ أبا جعفر قدّم كثير ابن حُصَيْن العبدىّ ، فعسكر بفيد ، وخندق عليه خندقاً ؛ حتى قدم عليه عيسى بن موسى ، فخرج به إلى المدينة . قال عبد الله : فأنا رأيتُ الخندق قائمًا دهراً طويلاً ، ثم عفا ودَرس .

قال : وحدّثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثنى علىّ بن أبى طالب — ولقيته بصنعاء — قال : قال أبو جعفر لعيسى حين بعثه إلى محمد : عليك بأبى العسكر مسمع بن محمد بن شيبان بن مالك بن مسمع ، فسرْ به معك ؛ فإنى قد رأيته منعَ سعيد بن عمرو بن جَعْدَة بن هبيرة من أهل البصرة ؛ وهم محلبون عليه[1] ؛ وهو يدعو إلى مَرْوان ؛ وهو عند أبى العسكر يأكل المخّ بالطَّبَرْزَد ، فخرج به عيسى ؛ فلما كان ببطن نخل ، تخلّف هو والمسعودىّ بن عبدالرحمن ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود حتّى قُتِل محمد ، فبلغ
٣/٢٢٥ ذلك أبا جعفر ، فقال لعيسى بن موسى : ألّا ضربت عنقه !

وحدّثنى عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب ، قال : أخبرنى أبى ، قال : قال أبو جعفر لعيسى بن موسى حين ودّعه : يا عيسى ؛ إنّى أبعثك إلى ما بيْن هذين — وأشار إلى جنبيه — فإن ظفرت بالرجل فشِمْ سيفك ، وابذل الأمان ؛ وإن تغيّب فضمّنهم إياه حتّى يأتوك به ، فإنهم يعرفون مذاهبه . قال : فلما دخلها عيسى فعل ذلك .

فحدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وجّه أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله بالمدينة عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن عباس ، ووجّه معه محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين وعدّةً من

(١) أحلب القوم ، أى جاءوا من كل وجه للحرب .

قُوّاد أهل خراسان وجندهم ، وعلى مقدّمة عيسى بن موسى حُميد بن قحطبة الطائىّ ، وجهّزهم بالخيل والبغال والسلاح والميرة ، فلم ينزل ، ووجّه مع عيسى ابن موسى بن أبى الكرام الجعفرىّ ؛ وكان فى صحابة أبى جعفر ؛ وكان مائلا إلى بنى العباس ، فوثق به أبو جعفر فوجّهه . . . . (١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر بن شبّة . قال عمر : وحدّثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى : مَن ْ لقيَك من آل أبى طالب فاكتب إلىّ باسمه ، ومَن ْ لم يلقك فاقبض ماله . قال : فقبض عين أبى زياد — وكان جعفر بن محمد تغيّب عنه — فلما قدم أبو جعفر كلمه جعفر ، وقال : مالى ، قال : قد قبضه مهديّكم .

* * *

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لما صار عيسى بفَيْد، كتب إلى رجال من أهل المدينة فى خِرَق الحرير ؛ منهم عبد العزيز بن المطّلب المخزومىّ وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحىّ ، فلما وردتْ كتبه المدينة ، تفرّق ناسٌ كثير عن محمد؛ منهم عبد العزيز بن المطلب ؛ فأخذ فرُدّ ، فأقام يسيراً ؛ ثم خرج ، فرُدّ مرّة أخرى ؛ وكان أخوه علىّ بن المطلب من أشدّ الناس مع محمد ؛ فكلم محمّداً فى أخيه حتى كفّه عنه . ٣/٢٢٦

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : كتب عيسى بن موسى إلى أبى فى حريرة صفراء جاء بها أعرابىٌّ بين خصافىْ نعله ، قال عيسى : فرأيتُ الأعرابىَّ قاعداً فى دارنا ، وإنى لصبىٌّ صغير ؛ فدفعهـا إلى أبى فإذا فيها :

إن محمداً تعاطى ما ليس يعطيه الله ، وتناول ما لم يؤته الله ، قال عزّ وجل فى كتابه : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢) .

---

(١) بياض فى ط . والخبر ساقط من ت ، هـ (٢) سورة آل عمران ٢٦ .

فعجّل التخلص وأقلّ التربّص ، وادعُ مَنْ أطاعك من قومك إلى الخروج معك .

قال : فخرج وخرج معه عمر بن محمد بن عمر ، وأبو عَقيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عَقيل ، قال : ودعوا الأفطس حسن بن عليّ بن أبي طالب إلى الخروج معهم فأبَى ، وثبت مع محمد ؛ وذُكر خروجهم لمحمد فأرسل إلى ظَهْرهم فأخذه ؛ فأتاه عمر بن محمد ، فقال : أنت تدعو إلى العَدْل ونفْى الجور ؛ فما بال إبلى تؤخذ ! فإنما أعددتها لحجّ أو عُمْرة . قال : فدفعها إليه —
٢٢٧/٣ فخرجوا من تحت ليلتهم ؛ فلقوا عيسى على أربع — أو خمس — من المدينة .

قال : وحدّثنى أيوب بن عمر بن أبى عمرو بن نعيم بن ماهان، قال : كتب أبو جعفر إلى رجال من قريش وغيرهم كتبًا ، وأمر عيسى : إذا دنا من المدينة أن يبعث بها إليهم ، فلما دنا بعث بها إليهم ؛ فأخذ حرسُ محمد الرسولَ والكتب ، فوجد فيها كتابًا إلى إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله ابن معمر وإلى جماعة من رؤساء قريش . فبعث محمد إلينا جميعًا ما خلا ابن عمر وأبا بكر بن سبْرة ، فحُبِسنا فى دار ابن هشام التى فى المصلّى. قال أبى : وبعث إلىّ وإلى أخى ، فأتِىَ بنا فضُرِبنا ثلثمائة . قال : فقلت له وهو يضربنى ويقول : أردتَ أن تقتلنى ! تركتُك وأنت تستتر بحجر وبيت شعر ؛ حتى إذا صارت المدينة فى يدك ، وغلُظ أمرك ، قمتُ عليك فبمَنْ أقوم ! أبطاقتى ، أم بمالى ، أم بعشيرتى ! قال : ثم أمر بنا إلى الحبس ، وقُيِّدنا بكُبول وسلاسل تبلغ ثمانين رطلا ، قال : فدخل عليه محمد بن عجلان ، فقال : إنى ضربتُ هذين الرجلين ضربًا فاحشًا ، وقيّدتهما بما منعهما من الصلاة . قال : فلم يزالا محبوسيْن حتى قدم عيسى .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى قال : حدّثنى عبد العزيز بن أبى ثابت، عن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم ، قال : إنا لعند محمد ليلة — وذلك عند دُنوّ عيسى من المدينة — إذ قال محمد : أشيروا علىّ فى
٢٢٨/٣ الخروج والمقام ، قال : فاختلفوا . فأقبل علىّ فقال : أشرْ علىّ يا أبا جعفر ،

قلت : ألستَ تعلم أنك أقلُّ بلاد الله فرساً وطعاماً وسلاحاً ، وأضعفها رجالا ؟ قال : بلى ، قلت : تعلم أنك تقاتل أشدَّ بلاد الله رجلاً وأكثرها مالا وسلاحا ؟ قال : بلى ، قلت : فالرأى أن تسير بمن معك[1] حتى تأتى مصرَ ، فوالله لا يردّك رادّ ، فتقاتل الرّجل بمثل سلاحه وكُراعه ورجاله وماله . فصاح حُنين بن عبد الله : أعوذ بالله أن تخرج من المدينة ! وحدّثه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « رأيتُنى فى درع حصينة فأوّلتُها المدينة » .

قال : وحدثنى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، عن الثقة عنده ، قال : أجاب محمداً لما ظهر أهلُ المدينة وأعراضها وقبائل من العرب ؛ منهم جُهينة ومُزَينة وسُليم وبنو بكر وأسْلَم وغِفار ؛ فكان يقدّم جُهينة ؛ فغضبت من ذلك قبائل قيس .

قال محمد : فحدثنى عبد الله بن معروف أحد بنى رياح بن مالك بن عصيّة بن خُفاف — وقد شهد ذاك — قال : جاءت محمداً بنو سُلَيم على رؤسائها ، فقال متكلّمهم جابر بن أنس الرياحىّ : يا أميرَ المؤمنين ؛ نحن أخوالُك وجيرانُك ، وفينا السلاح والكُراع ؛ والله لقد جاء الإسلام والخيْل فى بنى سليم أكثر منها بالحجاز ؛ لقد بقِى فينا منها ما إن بقِى مثلُه عند عربىّ تسكن إليه البادية ، فلا تخندق الخندق ؛ فإن رسول الله خندق خندقه لما الله أعلم به ؛ فإنك إن خندقتَه لم يحسن القتال رجّالة ، ولم تُوَجّه لنا الخيل بين الأزقّة ؛ وإن الذين يخندَق دونهم هم الذين يقاتلون فيها ؛ وان الذين يخندَق عليهم يحول الخندق دونهم . فقال أحد بنى شجاع : خندقَ رسول الله فاقتدِ ٢٢٩/٣
برأيه ؛ أوَ تريد أنتَ أن تَدَع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرأيك ! قال : إنه يابن شجاع ما شىء أثقل عليك وعلى أصحابك من لقائهم ؛ ولا شىء أحبّ إلىّ وإلى أصحابى من مناجزتهم . فقال محمد : إنما اتّبعنا فى الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يردّنى عنه أحدٌ ، فلست بتاركه .

قال : وحدثنى محمد بن يحيى ، عن الحارث بن إسحاق ، قال : لما تيقّن

---

(١) ج : « تبعك » .

محمد أن عيسى قد أقبل حَفَرَ الخندق ، خندق النبيّ صلى الله عليه وسلم الذى كان حفره للأحزاب[١] .

قال : وحدّثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدّثنى محمد ابن عَطيّة مولى المطلبيّين ، قال : لما حفر محمد الخندقَ ركب إليه وعليه قَباء أبيض ومِنطقة ، وركب الناس معه ؛ فلما أتى الموضع نزل فيه ؛ بدأ هو فحفر بيده ؛ فأخرج لبِنةً من خَنْدق النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فكبّر وكبرّ الناس معه ، وقالوا : أبشر بالنّصْر ؛ هذا خندق جدّك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وحدثنى محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : حدّثنى مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير ، قال : لما نزل عيسى الأعوصَ رقِىَ محمد المنبَر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن عدوّ الله وعدوّكم عيسى بن موسى قد نزل الأعوص ؛ وإن أحقّ الناس بالقيام بهذا[٢] الدين ، أبناء المهاجرين الأوّلين والأنصار المواسين .

قال : وحدّثنى إبراهيم بن أبى إسحاق العبسىّ — شيخ من غطفان — قال :
٢٣٠/٣ أخبرنى أبو عمرو مؤدب محمد بن عبد الرحمن بن سليمان ، قال : سمعت الزبيرىّ الذى قتله أبو جعفر — يعنى عثمان بن محمد بن خالد — قال : اجتمع مع محمّد جمع لم أر مثله ولا أكثر منه ؛ إنى لأحسب أنا قد كنا مائة ألف ؛ فلما قرب عيسى خَطبَنا ، فقال : يأيها الناس ؛ إنّ هذا الرجلَ قد قرُب منكم فى عدد وعُدّة ؛ وقد حللتُكم من بيعتى ؛ فمن أحبّ المقام فليقم ، ومن أحبّ الانصراف فلينصرف . فتسللوا حتى بقى فى شِرْذمة ليست بالكثيرة .

قال : وحدّثنى موهوب بن رشيد بن حيّان بن أبى سليمان بن سمعان ؛ أحد بنى قُرَيط بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لما ظهر محمّد جمع الناس وحشرهم[٣] ، وأخذ عليهم المناقب فلا يخرج أحد ؛ فلما سمع بعيسى وحُميد بن قحطبة قد أقبلا ، صعِد المنبر ، فقال :

(١) ج : « يوم الأحزاب » .
(٢) ب ، « فى هذا » .
(٣) ب : « وحصرهم » .

يأيها الناس ؛ إنّا قد جمعناكم للقتال ؛ وأخذنا عليكم المناقب؛ وإن هذا العدوّ منكم قريب ؛ وهو فى عدد كثير ، والنصر من الله والأمر بيده ؛ وإنه قد بدا لى أن آذن لكم وأفرج عنكم المناقب ؛ فمن أحبّ أن يقيم أقام ، ومَنْ أحبّ أن يظعن ظعن . قال أبى : فخرج عالَمٌ من الناس ؛ كنت فيهم ؛ فلما كنا بالعُرَيض – وهو على ثلاثة أميال من المدينة – لقيتْنا مقدّمةُ عيسى بن موسى دون الرُّحْبة ؛ فما شبّهت رجالهم[1] إلاّ رِجْلاً من جراد . قال : فمضينا وخالفونا إلى المدينة .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : خرج ناس كثير من أهل المدينة بذراريّهم وأهليهم إلى الأعراض والجبال ، فأمر محمد أبا القلَمّس ، فردّ مَنْ قدر عليه منهم ، فأعجزه كثير منهم ، فتركهم . ٣/٢٣١

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدثنى الغاضرىّ ، قال : قال لى محمد : أعطيك سلاحًا وتقاتل معى ؟ قلت : نعم ؛ إن أعطيتَنى رمحًا أطعنهم[2] به ؛ وهم بالأعوص[3] وسيفًا أضربهم به وهم بهيفا[4] . قال : ثمّ مكث غير كثير ، ثم بعث إلىّ فقال : ما تنتظر ؟ قلت : ما أهون عليك – أبقاك الله – أن أقتَل وتمرّوا ؛ فيقال : والله إن كان لباديًا[5] ! قال : ويحك ! قد بيّض أهل الشأم وأهل العراق وخُراسان ، قال : قلت : اجعل الدنيا زبدةً بيضاء وأنا فى مثل صوفة الدواة ، ما ينفعنى هذا وعيسى بالأعوص !

قال : وحدّثنى عيسى ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : وجّه أبو جعفر مع عيسى بن موسى بابن الأصمّ يُنزله المنازل ، فلما قدموا نزلوا على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن الأصمّ : ألا إنّ الخيل لا عمل لها مع الرّجالة ؛ وإنى أخاف إن كشفوكم كشفةً أن يدخلوا[6] عسكرهم . فرفعهم إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجُرْف – وهى على أربعة أميال من

(١) ب : « رماحهم » .
(٢) ب : « طعنتهم » .
(٣) ب : « بالأعراض » .
(٤) ط : « بهسفا » ، وهو خطأ . وصوابه من ت .
(٥) ج : « لبادنا » .
(٦) ج : « ليدخلوا » .

المدينة — وقال : لا يهرول الرّاجل[١] أكثر من ميلين أو ثلاثة حتى تأخذه الخيل .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدثني محمد بن أبي الكرام ، قال : لمّا
٣/٢٣٢ نزل عيسى طرَف القَنْدُوم أرسل إليّ نصفَ الليل ، فوجدتُه جالسًا والشمع والأموال بين يديه ، فقال : جاءتني العيون تخبرني أنّ هذا الرجل في ضعف ؛ وأنا أخاف أن ينكشف ؛ وقد ظننتُ ألّا مسلك له إلّا إلى مكة ، فاضمم إليك خمسمائة رجل ؛ فامضِ بهم[٢] معانداً عن الطريق حتى تأتيَ الشجَرة فتقيم بها . قال : فأعطاهم على الشّمع ، فخرجتُ بهم حتى مررتُ بالبصرة بالبطحاء — وهي بطحاء ابن أزْهر على ستة أميال من المدينة — فخاف أهلها ؛ فقلتُ : لا بأسَ عليكم ؛ أنا محمد بن عبد الله ، هل من سويق ؟ قال : فأخرجوا إلينا سويقًا ، فشربنا وأقمنا بها حتى قتِل محمد .

قال : وحدّثني محمد بن إسماعيل ؛ عن الثقة عنده ، قال : لما قرُب عيسى أرسل إلى محمد القاسمَ بن الحسن بن زيد يدعوه إلى الرُّجوع عمّا هو عليه ، ويخبره أنّ أمير المؤمنين قد آمنه وأهل بيته ، فقال محمد للقاسم : والله لولا أنّ الرّسل لا تقتل لضربتُ عنقك ؛ لأني لم أرك منذ كنت غلامًا في فرقتين ؛ خير وشرّ ، إلّا كنتَ مع الشرّ على الخير . وأرسل محمد إلى عيسى : يا هذا ؛ إنّ لك برسول الله قرابةً قريبةً ، وإني أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته ، وأحذّرك نقمته وعذابه ؛ وإني والله ما أنا بمنصرف عن هذا الأمر حتى[٣] ألقى الله عليه ؛ فإياك أن يقتلك مَنْ يدعوك إلى الله ، فتكون شرّ قتيل ، أو تقتله فيكون أعظمَ لوزرك ، وأكثر لمأثمك . فأرسل هذه الرسالة مع إبراهيم بن جعفر ، فبلّغه ، فقال : ارجعْ إلى صاحبك ، فقل له : ليس بيننا إلّا القتال .

٣/٢٣٣ قال : وحدّثني إبراهيم بن محمد بن أبي الكرام بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر ، قال : أخبرني أبي ، قال : لما قرب عيسى من المدينة ،

---

(١) ب : « الرجل » . (٢) ط : « بها » ، وما أثبته من ت ، هـ .
(٣) ط : « التي » ؛ وهو خطأ صوابه من ابن الأثير .

أرسلني إلى محمد بأمانه ، فقال لي محمد : علام تقاتلونني وتستحلّون دمي ؛ وإنما أنا رجل فرّ من أن يقتل ! قال : قلت : إنّ القوم يدعونك إلى الأمان ، فإن أبيت إلا قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك عليٌّ طلحةَ والزبير ؛ على نكث بيعتهم وكيد ملكهم ، والسعي عليهم . قال : فأخبرتُ بذلك أبا جعفر ، فقال : والله ماسرّني أنك قلت له غير ذلك ، وأن لي كذا وكذا .

قال : وحدّثني هشام بن محمد بن عُرْوة بن هشام بن عروة ، قال : أخبرني ماهان بن بخت مولى قحطبة ، قال : لما صرنا بالمدينة أتانا إبراهيم بن جعفر بن مصعب طليعة ، فطاف بعسكرنا حتى حسّه كله[1] ، ثم ولّى ذاهبا . قال : فرعبنا منه والله رعبًا شديداً ؛ حتى جعل عيسى وحميد بن قحْطبة يعجبان فيقولان : فارس واحد طليعةٌ لأصحابه ! فلما ولّى مدَى أبصارنا نظرنا إليه مقيماً بموضع واحد ، فقال حميد : ويحكم ! انظروا ما حالُ الرجل ؛ فإني أرى دابته واقفاً[2] لا تزول ؛ فوجّه إليه حميد رجلين من أصحابه ، فوجدا دابته قد عثر به ؛ فصرعه فقوّس[3] التنور عنقه . فأخذا سلبه ، فأتينا بتنور — قيل إنه كان لمصعب بن الزبير — مُذْهب لم يُرَ مثله قطّ .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : نزل عيسى بقصر سليمان بالجُرْف ، صَبيحة ثنتي عشرة من رمضان من سنة خمس وأربعين ومائة ، يوم السبت ، فأقام يوم السبت ويوم الأحد وغدا يوم الاثنين ، حتى استوى على سَلْع ، فنظر إلى المدينة وإلى مَن دخلها ٢٣٤/٣
وخرج منها ، وشحن[4] وجوهها كلها بالخيل والرّجال إلا ناحية مسجد أبي الجرّاح ؛ وهو على بُطحان ؛ فإنه تركه لخروج مَنْ هرب ، وبرز محمد في أهل المدينة .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدّثنا محمد بن زيد ، قال : قدمنا مع عيسى ، فدعا محمداً ثلاثاً : الجمعة والسبت والأحد .

قال وحدّثني عبد الملك بن شيبان ، قال : حدثني زيد مولى مِسمع ، قال :

---

(١) ط : « جسه » ؛ وما أثبته من ت ، ج . (٢) تقع الدابة على المذكر والمؤنث .
(٣) كذا في ت ، وفي ط : « ففرّس » .
(٤) في اللسان : « شحن البلد بالخيل ملأه . وبالبلد شحنة من الخيل ، أي رابطة » .

لمّا عسكر عيسى أقبل على دابة يمشى حواليه نحو من خمسمائة، وبين يديه راية يُسار بها معه ؛ فوقف على الثنيّة ونادى : يا أهل المدينة ؛ إن الله قد حرّم دماء بعضنا على بعض ؛ فهلمّوا إلى الأمان ؛ فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ، ومَن دخل داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ؛ ومَن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن . خلّوا بيننا وبين صاحبنا فإمّا لنا أو له . قال : فشتموه وأقذعوا له ، وقالوا : يابن الشاة ، يابن كذا ، يابن كذا . فانصرف يومه ذاك[1] ، وعاد من الغد ففعل مثل ذلك ، فشتموه ؛ فلما كان اليوم الثالث أقبل بما لم أر مثله قطّ من الخيل والرجال[2] والسلاح ؛ فوالله ما لبثنا أن ظهر علينا ونادى بالأمان[3] ، فانصرف إلى معسكره .

قال : وحدثنى إبراهيم الغَطفانىّ ، قال : سمعت أبا عمرو مؤدّب محمد ابن عبد الرحمن يحدّث عن الزبيرىّ — يعنى عثمان بن محمد بن خالد — قال :
٢٣٥/٣ لما التقينا نادى عيسى بنفسه : أبا محمد ، إن أمير المؤمنين أمرنى ألّا أقاتلك حتى أعرض عليك الأمان ، فلك علىّ نفسك وأهلك وولدك وأصحابك ، وتعطَى من المال كذا وكذا ، ويقضَى عنك دينك ، ويُفعل بك ويفعل ! قال : فصاح : محمد الْهُ عن هذا ، فوالله لو علمتَ أنه لا يثنينى عنكم فزَع ، ولا يقرّبنى منكم طمع ما كان هذا . قال : ولجّ القتال ، وترجّل محمد ؛ فإنى لأحسبه قتَل بيده يومئذ سبعين رجلاً .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى محمد بن زيد ، قال : لما كان يوم الاثنين ، وقف عيسى على ذُباب ، ثم دعا مولى لعبد الله بن معاوية كان معه ؛ وكان على مجفّفته ، فقال : خذ عشرة من أصحابك ؛ أصحاب التجافيف ؛ فجاء بهم ، فقال لنا : ليقم معه عشرة منكم يا آل أبى طالب . قال : فقمنا معه ، ومعنا ابنا محمد بن عمر بن علىّ : عبد الله وعمر ، ومحمد بن عبد الله بن عقَيل ، والقاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علىّ ، وعبد الله ابن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ؛ فى عشرة منّا . فقال : انطلقوا إلى القوم ،

---

(١) كذا فى ت ، وفى ط : « ذلك » . (٢) ت : « والرجل » . (٣) ت : « ونادى الأمان » .

فادعوهم وأعطوهم أماناً ؛ وبقىَ أمان الله .قال : فخرجنا حتى جئنا سوق الحطّابين ؛ فدعوْناهم فسبّونا[1] ورشقونا بالنّبل ،وقالوا : هذا ابن رسول الله معَنا ونحن معه ؛
٢٣٦/٣ فكلمهم القاسم بن الحسن بن زيد ، فقال : وأنا ابنُ رسول الله ؛ وأكثر مَن ترون بنو رسول الله ؛ ونحن ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وحقْن دمائكم والأمان لكم ؛ فجعلوا يسبّوننا ويرشقوننا بالنبل ،فقال القاسم لغلامه : القَطْ هذه النّبل ، فلقطها فأخذها قاسم بيده ، ثم دخل بها إلى عيسى : فقال : ما تنتظر ! انظر ما صنعوا بنا ، فأرسل عيسى بن حميد قَحْطبة فى مائة .

قال : حدّثنى أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : حدّثنى أخواى عثمان ومحمد ابنا سعيد — وكانا مع محمد — قالا : وقف القاسم بن الحسن ورجل[2] معه من آل أبى طالب على رأس ثنيّة الودَاع ، فدعَوْا محمداً إلى الأمان ، فسبّهما فرجعا ، وأقبل عيسى وقد فرّق القواد فجعل هزارمرد عند حمّام بن أبى الصّعْبة ، وكثير بن حُصَين عند دار ابن أفلَح التى ببقيع الغرْقد ، ومحمد بن أبى العباس على باب بنى سَلِمة ، وفرّق سائر القوّاد على أنقاب المدينة ، وصار عيسى فى أصحابه على رأس الثنيّة ، فرَموا بالنشاب والمقاليع ساعة .

وحدثنى أزهر ، قال :جعل محمد ستور المسجد دراريع لأصحابه .

قال : وحدّثنى عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : حدّثنى عمر ؛ شيخ من الأنصار ، قال : جعل محمد ظلال المسجد خفتانين لأصحابه ، فأتاه رجلان من جُهينة ، فأعطى أحدهما خفْتاناً ولم يعط الآخر ، فقاتل صاحب الخفْتان ، ولم يقاتل الآخر معه ؛ فلما حضرت الحرب أصابت صاحب الخفْتان نُشابة ، فقتلته ، فقال صاحبه :

يا ربِّ لا تجعَلنى كمَنْ خانْ   وباع باقى عَيْشِهِ بِخَفْتانْ

قال : وحدّثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى إسماعيل بن أبى عمرو ،
٢٣٧/٣ قال : إنا لوقوف على[3] خندق بنى غِفار ؛ إذ أقبل رجل على فرَس ؛

---
(١) ج : « فشتمونا » . (٢) ج : « ودخل » . (٣) ج : « عند » .

ما يُرَى منه إلاّ عيناه ، فنادى : الأمان ، فأعطى الأمان ، فدنا حتى لصق بنا ، فقال : أفيكم مَنْ يبلّغ عنى محمداً ؟ قلت : نعم ،أنا ، قال : فأبلغه عنى — وحسر عن وجهه ؛ فإذا شيخ مخضوب — فقال : قل له : يقول لك فلان التميمىّ، بآية أنّى وإياك جلسنا فى ظل الصخرة فى جبل جُهينة فى سنة كذا ، اصبر إلى الليل ؛ فإن عامة الجند معك. قال : فأتيته قبل أن يَغْدُوَ — وذلك يوم الاثنين فى اليوم الذى قُتل فيه — فوجدت بين يديه قِرْبة عسل أبيض قد شُقّت من وسطها ، ورجل يتناول من العسل ملء كفّه ثم يغمسه فى الماء ، ثم يلقمه إياه ، ورجل يحزم بطنَه بعمامة ؛ فأبلغتُه الرسالة فقال : قد أبلغتَ ؛ فقلت : أخواى فى يدك ، قال : مكانُهما خير لهما .

قال : وحدّثنى إبراهيم بن مصعب بن عُمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، قال : حدّثنى محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، قال : كانت راية محمد إلى أبى ، فكنت أحملها عنه .

قال : وحدّثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : كان مع الأفطس حسن بن علىّ بن حسين علَم أصفر ، فيه صورةُ حيّة ، ومع كلّ رجل من أصحابه من آل علىّ بن أبى طالب علَم ، وشعارهم : أحَد أحَد ، قال : وكذلك كان شعار النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم حُنَين .

قال : وحدّثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم ، قال : أخبرنا جَهْم بن عثمان مولى بنى سُلَيم، ثم أحد بنى بَهْز ، قال :
٢٣٨/٣ قال لى عبد الحميد بن جَعْفر يوم لَقينا أصحابُ عيسى : نحن اليوم على عِدّة أهل بدر يوم لَقُوا المشركين — قال : وكنا ثلثمائة ونيّفاً .

قال : وحدّثنى إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت أبى يقول : وُلِد عيسى بن موسى فى سنة ثلاث ومائة ، وشهد حرب محمد وإبراهيم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وعلى مقدّمته حميد بن قَحْطبة ، وعلى ميمنته محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين ، وعلى ميسرته داود بن كِرّاز من أهل خُراسان ، وعلى ساقته الهيثم بن شعبة .

قال : وحدّثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : لقى أبو القلمّس محمد بن عثمان ، أخا أسد بن المرزبان بسوق الحطابين ، فاجتلدا بسيفيهما حتّى تقطّعا ثم تراجعا إلى مواقفهما ، فأخذ أخو أسد سيفًا ، وأخذ أبو القلمّس بأثفيّة ، فوضعها على قَرَبُوس سَرْجه ، وستَرها بدِرْعه ، ثم تعاودا ، فلما تدانيا قام أبو القلمّس فى ركائبه ؛ ثم ضرب بها صَدْره فصرعه ، ونزل فاحتزّ رأسه .

قال : وحدّثنى محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : حدثنى عبدُ الله بن عمر بن القاسم بن عبد الله العمرىّ ، قال : كنا مع محمد ، فبرز رجل من أهل المدينة ؛ مولى لآل الزبير يدعى القاسم بن وائل ، فدعا للبراز ، فبرز إليه رجل لم أرَ مثل كماله وعُدّته ؛ فلما رآه ابن وائل انصرف . قال : فوجَدنا من ذلك وجداً شديداً ، فإنا لعلى ذلك إذ سمعتُ خَشْف[1] رجل ورائى ، فالتفتّ فإذا أبو القلمّس ، فسمعتُه يقول : لعن الله أميرَ السفهاء ، أن ترك مثل هذا اجترأ علينا ! وإن خرج رجل خرج إلى أمر عسى ألّا يكون من شأنه . ٣/٢٣٩
قال : ثم برز له فقتله .

قال : وحدّثنى أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : خرج[2] القاسم بن وائل يومئذ من الخندق ، ثم دعا للبراز ، فبرز له هزارمرد ، فلما رآه القاسم هابه ، فرجع فبرز له أبو القلمّس ، فقال : ما انتفع فى مثل هذا اليوم بسيفه قطّ ، ثم ضربه على حبْل عاتقه فقتله ، فقال : خذها وأنا ابن الفاروق ، فقال رجل من أصحاب عيسى : قتلتَ خيراً من ألف فاروق .

قال : وحدّثنى علىّ أبو الحسن الحذّاء من أهل الكوفة ، قال : حدّثنى مسعود الرّحال ، قال : شهدت مقتل محمد بالمدينة ، فإنّى لأنظر إليهم عند أحجار الزّيت ، وأنا مشرف عليهم من الجَبَل — يعنى سَلْعًا — إذ نظرت إلى رجل من أصحاب عيسى قد أقبل مستلئماً[3] فى الحديد ؛ لا يُرى منه إلّا عيناه ، على فرس ؛ حتى فَصَل من صفّ أصحابه ؛ فوقف بين الصّفين ، فدعا للبراز ؛ فخرج إليه رجل من أصحاب محمد ، عليه قَباء أبيض ، وكُمّة

(١) الخشف : الصوت الخفى ، أو الحركة . (٢) ب : « جزع » .
(٣) ب : « مستلئما » .

بيضاء ، وهو راجل ، فكلمه مليًّا ، ظننت أنه استرجله لتستوىَ حالاهما ، فنظرتُ إلى الفارس ثَنَى رجله ، فنزل ، ثم التقيا فضربه صاحب محمد ضربة على خُوذة حديد على رأسه ، فأقعده على استه وقيذاً لاحراك به ، ثم انتزع الخُوذة ، فضرب رأسه فقتله ، ثم رجع فدخل فى أصحابه ، فلم ينشب أنْ خرج من صفّ عيسى آخر ؛ كأنه صاحبه ، فبرز له الرّجُل الأوّل ، فصنع به مثل ما صنع بصاحبه ، ثم عاد إلى صفّه ، وبرز ثالث فدعاه ، فبرز له فقتله ، فلما قتل الثالث ولّى يريد أصحابه ، فاعتوره أصحاب عيسى
٢٤٠/٣ فرموْه فأثبتوه ، وأسرع يريد أصحابه ، فلم يبلغهم حتى خرَّ صريعًا فقتلوه دونهم .

وحدّثنى عيسى ، قال : أخبرنى محمد بن زيد ، قال : لما أخبرْنا عيسى برميهم إيانا ، قال حُميد بن قَحْطبة : تقدّم ، فتقدّم فى مائة كلهم راجل غيره معهم النشاب والترسة ، فلم يلبثوا أن زحفوا إلى جدار دون الخندق ، عليه أناس من أصحاب محمد ، فكشفوهم ووقفوا عند الجدار ، فأرسل حُميد إلى عيسى بهدْم الجدار . قال : فأرسل إلى فَعَلَة فهدموه ، وانتهوْا إلى الخندق ، فأرسل إلى عيسى : إنا قد انتهينا إلى الخندق . فأرسل إليه عيسى بأبواب بقدر الخندق ، فعبروا عليها ؛ حتى كانوا من ورائه ، ثم اقتتلوا أشدّ القتال من بُكْرة حتى صار العصر .

وحدّثنى الحارث ، قال : أخبرنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن عمر : أقبل عيسى بن موسى بمَنْ معه ، حتى أناخ على المدينة ، وخرج إليه محمد ابن عبد الله ومَنْ معه ، فاقتتلوا أيامًا قتالاً شديداً ، وصبر نفر من جُهينة ، يقال لهم بنو شجاع مع محمد بن عبد الله ، حتى قُتِلوا وكان لهم غَناء .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر: حدثنى أزهر، قال : أمرهم عيسى فطرحوا حقائب الإبل فى الخندق فأمر ببابىْ دار سعد بن مسعود التى فى الثنيّة فطُرحا على الخندق ؛ فجازت الخيل ، فالتقوْا عند مفاتح خَشْرم ، فاقتتلوا حتى كان العصر .

حدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد العزيز بن أبى ثابت ، قال :
٢٤١/٣ انصرف محمد يومئذ قبل الظهر حتى جاء دار مَرْوان ، فاغتسل وتحنّط ،

ثم خرج . قال عبد العزيز بن أبي ثابت : فحدّثني عبد الله بن جعفر ، قال : دنوتُ منه ، فقلت له : بأبي أنت! إنه والله ما لك بما رأيتَ طاقة، وما معك أحد يصدُق القتال ؛ فاخرج الساعة حتّى تلحق بالحسن بن معاوية بمكة؛ فإنّ معه جِلّة(١) أصحابك ، فقال : يا أبا جعفر ؛ والله لو خرجتُ لقتِل أهل المدينة ؛ والله لا أرجع حتّى أقتُل أو أقتَل؛ وأنت منى فى سعة ؛ فاذهب حيث شئت . فخرجت معه حتّى إذا جاء دار ابن مسعود فى سوق الظهر ركضتُ فأخذت على الزيّاتين ، ومضى إلى الثنيّة ، وقُتل مَن كان معه بالنّشاب وجاءت العصر فصلّى .

حدّثنى محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : حدّثنى إبراهيم بن محمد ، قال : رأيت محمداً بين دارى بنى سعد ، عليه جُبّة ممشّقة ، وهو على برْذون ، وابنُ خُضَير إلى جانبه يناشده الله إلّا مضى إلى البصرة أو غيرها ؛ ومحمد يقول : والله لا تُبْتَلُون بى مرتين ؛ ولكن اذهب حيث شئت فأنت فى حلّ . قال ابن خُضير : وأين المذهب عنك ! ثم مضى فأحرق الديوان ، وقتل رِياحاً ثم لحقه بالثنيّة ، فقاتل حتّى قتِل .

وحدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : خرج مع محمد بن عبد الله ابن خُضير ؛ رجل من ولد مُصعب بن الزبير ؛ فلما كان اليوم الذى قتل فيه محمد ، ورأى الخلل فى أصحابه ، وأنّ السيف قد أفناهم ؛ استأذن محمداً فى دخول المدينة فأذن له ؛ ولا يعلم ما يريد ؛ فدخل على رياح بن عثمان بن حيّان المُرّىّ وأخيه ، فذبحهما ثم رجع ؛ فأخبر محمداً ، ثم تقدّم فقاتل حتّى قُتِل من ساعته(٢) . ٢٤٢/٣

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر : حدثنى أزهر ، قال : حدثنى أخى ، قال : لما رجع ابن خُضير قتل رياحاً وابن مسلم بن عُقْبة .

وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : ذبح ابن خُضير رياحاً ولم يُجْهِز عليه ، فجعل يضرب برأسه الجِدار حتى

---

(١) ابن الأثير : « جل » .
(٢) هذا الخبر ساقط من ت .

مات ؛ وقتل معه عباساً أخاه ؛ وكان مستقيمَ الطريقة ، فعاب الناسُ ذلك عليه ؛ ثم مضى إلى ابن القَسْرىّ وهو محبوس فى دار ابن هشام ، فنذِر به فردم بابى الدار دونَه ، فعالج البابين ، فاجتمع مَنْ في الحبس فسدّوهما ، فلم يقدر عليهم ؛ فرجع إلى محمد ، فقاتل بين يديه حتى قُتِل .

حدثنى مسكين بن حبيب بن محمد ، قال : لما جاءت العصر صلاّها محمد فى مسجد بنى الديل ، فى الثنيّة ، فلما سلّم استسقى ، فسقته رَبيحة بنت أبى شاكر القرشية ، ثم قالت له : جعلت فداك! انجُ بنفسك ، قال : إذاً لا يبقى بها ديكٌ يصرخ ؛ ثم مضى فلما كان ببطن مسيل سلْع ، نزل فعرقبَ دابته ، وعرقب بنو شجاع دوابهم ، ولم يبق أحد إلا كسر غِمْد سيفه . قال مسكين :
٢٤٣/٣ فلقد رأيتُنى وأنا غلام ، جمعت من حَلَيها (١) نحواً من ثلثمائة درهم ؛ ثم قال لهم : قد بايعتمونى ولستُ بارحًا حتى أقتَل ، فمن أحبّ أن ينصرف فقد أذنتُ له ، ثم أقبل على ابن خُضَير ، فقال له : قد أحرقتَ الديوان ؟ قال : نعم ؛ خفت أن يُؤخذ الناس عليه ؟ قال : أصبت .

حدثنى أزهر ، قال : حدّثنى أخواى ، قالا : لقد هزمْنا يومئذ أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثاً ، ولكننا لم نكن نعرف الهزيمة ؛ ولقد سمعنا يزيد(٢) بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، يقول ، وقد هزمناهم : ويل أمه فتْحًا لو كان له رجال !

حدثنى عيسى ، قال : كان ممّن انهزم يومئذ وفرّ عن محمد عبدُ العزيز ابن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فأرسل محمد وراءه ، فأُتِيَ به ، فجعل الصبيان يصيحون وراءه : «ألا باقة بقبقبة» ، فكان عبد العزيز يقول بعد ذلك : إن أشدّ ما أتى علىّ لصياح الصبيان .

وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنا مولى لهشام بن عُمارة بن الوليد بن عدىّ ابن الخيار ، قال : كنا مع محمد ، فتقدّم هشام بن عُمارة إليه وأنا معه ، فقال : إنى لا آمن أن يخذُلك مَنْ ترى ، فأشهد أنّ غلامى هذا حرٌّ لوجه

---

(١) ج : «حليتها» . (٢) ط : «بيزيد» تحريف ، والصواب ما أثبته من ت .

الله إن رمتُ أبداً أو تُقتَل أو أقتَل أو نُغلَب ؛ فقلت : فوالله إنّى لمعه إذ وقعت بترسه نشابة ، ففلقته باثنتين ، ثم خسفت فى درْعه ، فالتفت إلىّ فقال : فلان ! قلت : لبيك ! قال : ويلك ! رأيتَ مثل هذا قطّ يا فلان ! أيما أحبّ إليك ؛ نفسى أم أنت ؟ قلت : لا بل نفسك ، قال : فأنت حرّ لوجه الله ، ٣/٢٤٤
فانطلق هارباً .

وحدّثنى متوكل بن أبى الفحوة ، قال : حدّثنى محمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن أبى فَرْوة ، قال : إنّا لعلى ظهر سلْع ننظر ، وعليه أعاريب جُهينة ، إذ صعد إلينا رجل بيده رُمْح ، قد نصب عليه رأس رجل متّصلٌ بحلقومه وكبده وأعفَاج بطنه ، قال : فرأيتُ منه منظراً هائلا ، وتطيّرت منه الأعاريب ، وأجفلت هاربة حتى أسهلت ، وعلا الرّجُل الجبل ، ونادى على الجبل رطانة لأصحابه بالفارسية «كوهبان» ؛ فصعد إليه أصحابه حتى علوْا سلْعاً فنصبُوا عليه راية سوداء ، ثم انصبُّوا إلى المدينة ، فدخلوها ، وأمرتْ أسماء بنت حسن ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب — وكانت تحت عبد الله ابن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس — بخمار أسود ، فنصب على منارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلمّا رأى ذلك أصحابُ محمد تنادوا : دُخلت المدينة ، وهربوا . قال : وبلغ محمّداً دخول الناس من سلْع ، فقال : لكلّ قوم جبل يعصمهم ؛ ولنا جبل لا نؤتَى إلاّ منه .

وحدثنى محمد بن إسماعيل ، عن الثقة عنده ، قال : فتح بنو أبى عمرو الغفاريون للمسوّدة طريقاً فى بنى غِفار ، فدخلوا منه حتى جاءوا من وراء أصحاب محمد .

وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى عبد العزيز بن عمران ، قال : نادى محمد يومئذ حُميد بن قحطبة : إن كنتَ فارساً وأنت تَعتَمَدّ ذاك على ٣/٢٤٥
أهل خُراسان فابرز لى ، فأنا محمد بن عبد الله ، قال : قد عرفتُك وأنت الكريم ابن الكريم ، الشريف ابن الشريف ؛ لا والله يا أبا عبد الله لا أبرز لك وبين يدىّ من هؤلاء الأغمار إنسان واحد ؛ فإذا فرغتُ منهم فسأبرزُ لك لَعَمْرى .

وحدثنى عثمان بن المنذر بن مصعب بن عروة بن الزبير ، قال : حدّثنى

رجل من بنى ثعلبة بن سعد ، قال : كنت بالثنيّة يوم قُتِل محمد بن عبدالله ابن حسن ومعه ابن خضير ، قال : فجعل ابن قحطبة يدعو ابن خضير إلى الأمان ، ويشحّ به عن الموت ، وهويشدّ على الناس بسيفه مترجّلا ، يتمثل :

لا تَسْقِهِ حَزْرًا ولا حليبا إن لم تجدْه سابحًا يَعْبُوبَا
ذا مَيْعَةٍ يَلتَهِمُ الجبوبَا كالذئب يتلو طَمَعًا قريبا
يبادر الآثارَ أن تَئُوبا وحَاجبَ الجَوْنةِ أن يغيبا

قال : فخالط الناس ، فضربه ضارب على ألْيَته فخلّها[1] ، فرجع إلى أصحابه ، فشقّ ثوبًا فعصّبها إلى ظهره ، ثم عاد إلى القتال ، فضربه ضارب على حَجَاج عينه[2] ، فأغمض السيف فى عينه ، وخرّ فابتدره القوم ، فحزّوا رأسه ؛ فلما قتِل ترجّل محمد ، فقاتل على جيفته حتى قتل .

وحدثنى مخلّد بن يحيى بن حاضر بن المهاجر الباهلىّ ، قال : سمعتُ الفضل بن سليمان مولى بنى نُمير يخبر عن أخيه — وكان قد قتِل له أخ مع محمد — قال : كان الخُراسانية إذا نظروا إلى ابن خُضير تنادَوا : « خضير آمد ، خضير آمد ! » ، وتصعصعوا[3] لذلك . ٣/٢٤٦

وحدثنى هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة ، قال : أخبرنى ماهان بن بخت مولى قحطبة ، قال : أتينا برأس ابن خضير ؛ فوالله ما جعلنا نستطيع حمْله لمّا كان به من الجِراح ؛ والله لكأنه باذنجاتة مفلّقة ، وكنا نضمُّ أعظمَه ضمًّا .

وحدثنى أزهر بن سعيد ، قال : لما نظر أصحاب محمد إلى العلم الأسود على منارة المسجد فتّ ذلك فى أعضادهم ، ودخل حُميد بن قحطبة من زُقاق أشجع على محمد فقتله وهو لا يشعر ، وأخذ رأسه فأتى به عيسى ، وقتَل معه بشراً كثيراً .

قال : وحدثنى أبوالحسن الحذّاء ، قال : أخبرنى مسعود الرّحال ، قال : رأيت

---

(١) خلها ؛ أى ثقبها ؛ أو أحدث بها جرحاً ، وفى ط : « حلها » ، تحريف .
(٢) الحجاج : العظم الذى ينبت عليه الحاجب .
(٣) الصعصعة : التفرق .

محمداً يومئذ باشرَ القتال بنفسه ، فأنظر إليه حين ضربه رجلٌ بسيف دون شحمة أذنه اليمنى ، فبرك لرُكبتيه وتعاوروا[١] عليه ، وصاحَ حُميد بن قحطبة : لا تقتلوه ، فكفّوا ، وجاء حميد فاحتزّ رأسه .

وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحارث بن إسحاق ، قال : برك محمد يومئذ لركبتيْه وجعل يذبّ عن نفسه ويقول : ويحكم ! أنا ابن نبيكم ، محرَّج[٢] مظلوم !

وحدثنى محمد بن يحيى ، قال ، حدّثنى ابن أبى ثابت ؛ عن عبد الله بن جعفر ، قال : طعنه ابن قَحطبة فى صدره فصرَعه ، ثم نزل فاحتزّ رأسه ، فأتى به عيسى .

وحدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنى أبو الحجاج المنقرىّ ، قال : رأيتُ محمداً يومئذ[٣] وإن أشبه ما خلق الله به لَمَا ذُكِر عن حمزة بن عبد المطلب ، يهذّ الناس بسيفه هذّاً ؛ ما يقاربه أحد إلا قتله[٣] ، ومعه سيف ، لا والله ما يُليق شيئاً ؛ حتى رماه إنسان بسهم كأنى أنظر إليه ، أحمر أزرق ، ثم دهمتْنا الخيل ، فوقف إلى ناحية جدار ، فتحاماه الناسُ ، فوجَد الموت ، فتحامل على سيفه فكسره ؛ قال : فسمعتُ جدّى يقول : كان معه سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو الفَقار . ٣/٢٤٧

وحدّثنى هرمز أبو علىّ مولى باهلة ، قال : حدّثنى عمرو بن المتوكل — وكانت أمّه تخدم فاطمة بنت حسين — قال : كان مع محمد يوم قتل سيف النبىّ صلى الله عليه وسلم ذُو الفقار ، فلما أحسّ الموت أعطى سيفه رجلاً من التجار كان معه — وكان له عليه أربعمائة دينار — فقال له : خذ هذا السيف ؛ فإنك لا تلقى به أحداً من آل أبى طالب إلاّ أخذه وأعطاك حقك . قال : فكان السيف عنده ، حتى ولى جعفر بن سليمان المدينة فأخبر عنه ، فدعا الرجل وأخذ السيف منه ، وأعطاه أربعمائة دينار ؛ فلم يزل عنده

---

(١) ط : « وتعاوروا » .
(٢) ط : « مجرح » ؛ والوجه ما أثبته من ت .
(٣ – ٣) ابن الأثير : « فلما قتل تقدم محمد فقاتل على جيفته فجعل يهذ الناس هذّاً ؛ وكان أشبه الناس بقتال حمزة » .

حتّى قام المهدىّ ، وولِىَ جعفر المدينة ، وبلغه مكانُ السيف ؛ فأخذه ، ثم صار إلى موسى ، فجرّب به على كلب ، فانقطع السيف .

وحدّثنى عبدُ الملك بن قُريب الأصمعىّ ، قال : رأيت الرّشيد أمير المؤمنين بطُوس ، متقلداً سيفاً ، فقال لى : يا أصمعىّ ، ألا أريك ذا الفَقار ؟ قلت : بلى ، جعلنى الله فداك ! قال : استلّ سيفى ، فاستللتُه ، فرأيتُ فيه ثمانَ عشرَةَ فقارة .

٣/٢٤٨ وحدثنى أبوعاصم النبيل ، قال : حدّثنى أخو الفضل بن سليمان النُّميرىّ قال : كنا مع محمد ، فأطاف[1] بنا أربعون ألفاً ، فكانوا حولنا كالحرّة السَّوداء ، فقلت له : لو حملت فيهم لانفرجوا عنك ، فقال : إنّ أمير المؤمنين لا يحمِل ، إنه إن حمل لم تكن له بقيّة . قال : فجعلنا نعيد[2] ذلك عليه ؛ فحمل ، فالتفُّوا عليه فقتلوه .

وحدثنى عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سلم — ويدعى ابن البوّاب ؛ وكان خليفة الفضل بن الربيع يحجب هارون ، من أدباء الناس وعلمائهم — قال : حدّثنى أبى عن الأسلمىّ — يعنى عبد الله بن عامر — قال : قال لى محمد ونحن نقاتل معه عيسى : تغشانا سحابة ؛ فإن أمطرَتنا ظفرنا ، وإن تجاوزتْنا إليهم فانظر إلى دمِى على أحجار الزيت ؛ قال : فوالله ما لبثنا أنْ أطلّتْنا سحابة فأحالت حتى قلتُ : تفعل ، ثم جاوزتنا فأصابت عيسى وأصحابه ، فما كان إلا كلا ولا ؛ حتى رأيته قتيلاً بين أحجار الزيت .

وحدثنى إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبى الكرام ، قال : قال عيسى لحُميد بن قحطبة عند العصر : أراك قد أبطأتَ فى أمر هذا الرجل ، فولّ حمزة بن مالك حربَه ، فقال : والله لو رُمتَ أنت ذاك ما تركتُك ؛ أحين قتلتُ الرجال ووجدتُ ريح الفتح ! ثم جدّ فى القتال حتى قُتِل محمد .

وحدثنى جوّاد بن غالب بن موسى مولى بنى عِجل ، قال : أخبرنى حميد

---

(١) ج : « فأحاط » .
(٢) ج : « نعتد » .

مولى محمد بن أبى العباس ، قال : اتّهم عيسى حميدَ بن قحطبة يومئذ – وكان
على الخيل – فقال : يا حُميد ، ما أراك تبالغ ، قال : أتتهمنى ! فوالله لأضربنّ ٣/٢٤٩
محمداً حين أراه بالسيف أو أقتل دونه . قال : فمرّ به وهو مقتول ؛ فضربه بالسيف
ليبرّ يمينه .

وحدّثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثنى علىّ بن أبى طالب ، قال :
قُتِل محمد بعد العصر ، يوم الاثنين لأربعَ عشرة ليلة خلتْ من شهر رمضان .

وحدثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى أبى ، قال : بعث عيسى فدقّ
السجن ، فحملنا إليه والقتال داثب(١) بينهم ؛ فلم نزل مطّرحين بين يديه ،
حين أتِىَ برأس محمد ، فقلتُ لأخى يوسف : إنه سيدعونا إلى معرفته ، ولا
نعرفه له ؛ فإنا نخاف أن نخطئ ؛ فلما أتِىَ به قال : أتعرفانه ؟ قلنا : نعم ،
قال : انظرا ، أهو هذا ؟ قال أبى : فبدرتُ يوسف ، فقلت : أرى دماً كثيراً
وأرى ضرباً ؛ فوالله ما أثبِته (٢) ، قال : فأطلقنا من الحديد، وبتنا عنده ليلتنا
كلها حتى أصبحنا . قال : ثم ولاّنى ما بين مكة والمدينة ، فلم أزل والياً
عليه حتى قدم جعفر بن سليمان ، فحدرنى إليه ، وألزمنى نفسه .

وحدّثنى علىّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم ، قال : حدّثنى أبو كعب ،
قال : حضرتُ عيسى حين قَتل محمداً ، فوضع رأسه بين يديه ، فأقبل على
أصحابه ، فقال : ما تقولون فى هذا ؟ فوقعوا فيه ، قال : فأقبل عليهم قائد
له ، فقال : كذبتم والله وقلتم باطلا ، لمَا على هذا قاتلناه ؛ ولكنه خالف
أمير المؤمنين ، وشقّ عصا المسلمين ؛ وإن كان لصوّاماً قوّاماً . فسكت القوم .

وحدثنى ابن البوّاب عبد الله بن محمد ، قال : حدّثنى أبى ، عن
الأسلمىّ ، قال : قدم على أبى جعفر قادم ، فقال : هرب محمد ، فقال : ٣/٢٥٠
كذبت ! نحن أهلَ البيت لا نفرّ .

وحدثنى عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : حدّثنى أبو الحجاج الجمّال ،
قال : إنى لقائم على رأس أبى جعفر ، وهو مسائلى عن مخرج محمد ، إذ بلغه

---

(١) ج : « قائم » . (٢) أثبته ، أى ما أعرفه .

أن عيسى قد هُزِم — وكان متكئًا فجلس — فضرب بقضيب معه مصلّاه ، وقال : كلّا ، فأين لعب صبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ! ما أنى لذلك بعدُ ! [1] .

قال : وحدّثنى محمد بن الحسن ، قال : حدّثنى بعض أصحابنا ، قال : أصاب أبا القلمّس نُشابة فى ركبته ، فبقِىَ نصلها ، فعالجها فأعياه ، فقيل له : دعه حتى يقيح فيخرج ، فتركه ، فلما طُلب بعد الهزيمة لحق بالحَرّة ، وأبطأ به ما أصاب ركبتَه ، فلم يزل بالنّصل حتى استخرجه ثم جثا لركبتيه ، ونكب كنانته [2] ، فرماهم فتصدّعوا عنه ، فلحق بأصحابه فنجا .

وحدثنى محمد بن الحسن ، قال : حدّثنى عبد الله بن عمر بن القاسم ، قال : لما انهزمنا يومئذ كنتُ فى جماعة ، فيهم أبو القلمّس ، فالتفتّ إليه ، فإذا هو مستغرب ضحكًا ، قال : فقلت : والله ما هذا بموضع ضحك ، وخفضتُ بصرى ؛ فإذا برجل من المنهزمة قد تقطع قميصُه ، فلم يبق منه إلا جُرُبّانه [3] وما يستر صدره إلى ثدييه ، وإذا عورته بادية وهو لا يشعر ؛ قال : فجعلت أضحك لضحك أبى القلمّس .

فحدثنى عيسى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لم يزل أبو القلمّس مختفيًا بالفُرْع ، وبقى زمانًا ثم عدا عليه عبدٌ له ، فشدخ رأسه بصخْرة فقتله ، ثم أتى أمّ ولد كانت له ، فقال : إنى قد قتلت سيّدك فهلمّى أتزوّجك ؟ ٣/٢٥١
قالت : رويدًا أتصنّع لك ، فأمهلها ، فأتت السلطان فأخبرته ، فأخذ العبدَ فشدخ رأسَه .

حدّثنى محمود بن معمر بن أبى الشدائد ، قال : أخبرَنى أبى ، قال : لما دخلتْ خيلُ عيسى من شِعْب بنى فَزارة ، فقتِل محمد ، اقتحم نَفَر على أبى الشدائد فقتلوه ، وأخذوا رأسه ، فنادت ابنتُه الناعمة بنت أبى الشدائد : وا رجالاه ! فقال لها رجل من الجند : ومَنْ رجالك ؟ قالت : بنو فَزارة ، قال : والله لو علمتُ ما دخلتُ بيتَك ، فلا بأس عليك ، أنا امرؤ من

(١) ت ، ه : « ما إن لذلك بعد » .
(٢) نكب كنانته : نثر ما فيها .
(٣) جربان القميص : جيبه .

عشيرتك من باهلة ؛ وأعطاها قطعة من عمامته فعلقتها على بابها . قال : وأُتِيَ عيسى برأسه ، وعنده ابن أبى الكرام ومحمد بن لُوط بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فاسترجعا وقالا : والله ما بقى من أهل المدينة أحدٌ ، هذا رأس أبى الشدائد ، فالح بن معمر — رجل من بنى فزارة مكفوف — قال : فأمر منادياً فنادى : مَنْ جاء برأس ضربْنا رأسه .

وحدثنى علىّ بن زادان ، قال : حدّثنى عبد الله بن برقى ، قال : رأيت قائداً من قوّاد عيسى ، جاء فى جماعة يسأل عن منزل ابن هرمز ؛ فأرشدناه إليه . قال : فخرج وعليه قميص رياط ، قال : فأنزلوا قائدَهم ، وحملوه على بِرْذَوْنه وخرجوا به يزفّونه ، حتى أدخلوه على عيسى ، فما هاجه .

حدثنى قدامة بن محمد ، قال : خرج عبد الله بن يزيد بن هرمز ومحمد ابن عجلان مع محمد ، فلما حضر القتال ، تقلد كلّ واحد منهما قوساً ، فظننّا أنهما أرادا أن يُريا الناس أنهما قد صلَحا لذلك . ٢٠٢/٣

وحدثنى عيسى ، قال : حدثنى حسين بن يزيد ، قال : أُتِيَ بابن هرمز إلى عيسى بعد ما قتل محمد ، فقال : أيها الشيخ ، أما وزعك فقهُك عن الخروج مع من خرج ! قال : كانت فتنةٌ شملت الناس ، فشملتنا فيهم ، قال : اذهب راشداً .

وحدثنى محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : سمعتُ مالك بن أنس ، يقول : كنتُ آتى ابنَ هرمز فيأمر الجارية فتغلق البابَ ، وترخِى الستر ، ثم يذكر أوّل هذه الأمّة ، ثم يبكى حتى تخضلّ لحيته . قال : ثم خرج مع محمد فقيل له : والله ما فيك شىء ، قال : قد علمتُ ؛ ولكن يرانى جاهل فيقتدى بى .

حدثنى عيسى ، قال : حدّثنى محمد بن زيد ، قال : لمّا قُتِل محمدٌ انخرقت السماءُ بالمطر بما لم أر مثله انخرق قطّ منها ، فنادى منادى عيسى : لا يبيتنّ بالمدينة أحدٌ من الجند إلا كثير بن حُصَين وجنده ، ولحق عيسى بعسكره بالجُرْف ؛ فكان به حتى أصبح ، ثم بعث بالبشارة مع القاسم بن حسن بن زيد ، وبعث بالرأس مع ابن أبى الكرام .

وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : لما أصبح محمد فى مصرَعه ، أرسلتْ أخته زينب بنت عبد الله وابنته فاطمة إلى عيسى : إنكم قد قتلتم هذا الرجل ، وقضيتم منه حاجتكم ، فلو أذنتم لنا فواريناه ! فأرسل إليهما : أمّا ما ذكرتما يابنتىْ عمّى مما نيل منه فوالله ما
٣/٢٥٣ أمرتُ ولا علمتُ؛ فوارياه راشدتين . فبعثنا(١) إليه فاحتُمل، فقيل: إنه حُشى فى مقطع عنقه عديله قُطْنًا ، ودفن بالبَقيع ، وكان قبره وِجاه زقاق دار علىّ بن أبى طالب، شارعًا على الطريق أو قريبًا من ذلك؛ وبعث عيسى بألوية فوُضعَ على باب أسماء بنت حسن بن عبد الله واحدٌ ، وعلى باب العباس بن عبد الله بن الحارث آخر ، وعلى باب محمد بن عبد العزيز الزهرىّ آخر ، وعلى باب عبيد الله بن محمد بن صفوان آخر ، وعلى باب دار أبى عمرو الغِفارىّ آخر ، وصاح مناديه : مَن دخل تحت لواء منها ، أو دخل دارًا من هذه الدور فهو آمن ؛ ومطرت السماءُ مطرًا جَوْدًا(٢) ، فأصبح الناس هادئين(٣) فى أسواقهم ؛ وجعل عيسى يختلف إلى المسجد من الجُرُف ، فأقام بالمدينة أيامًا ، ثم شخص صُبح تسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان يريد مكة .

حدّثنى أزهر بن سعيد ، قال : لما كان الغد من قتل محمد أذن عيسى فى دفنه ، وأمر بأصحابه فصُلبوا ما بين ثنيّة الوَداع إلى دار عمر بن عبد العزيز . قال أزهر : فرأيتُهم صفين ؛ ووكل بخشبة ابن خُضير مَنْ يحرسها ، فاحتمله قومٌ فى الليل فواروه ، ولم يقدَرْ عليهم ، وأقام الآخرون مصلّبين ثلاثًا ، ثم تأذّى بهم الناس ، فأمر عيسى بهم فألقوا على المفرح من سَلْع ، وهى مقبرة(٤) اليهود ، فلم يزالوا هنالك ، ثم ألقَوا فى خندق بأصل ذباب .

حدثنى عيسى بن عبد الله قال : حدّثتنى أمى أم حسين بنت عبد الله بن
٣/٢٥٤ محمد بن علىّ بن حسين ، قالت : قلت لعمّى جعفر بن محمد : إنى — فديتُك — ما أمرُ محمد بن عبد الله [هذا] ؟(٥) قال : فتنته(٦) يقتل فيها محمد عند بيت

---

(١) ط : « فبعثت » ، والصواب ما أثبته من ت .
(٢) الجود : المطر الغزير .
(٣) ت : « هادين » .
(٤) ج : « مطمورة » .
(٥) من ت .
(٦) ت : « فتنة » .

رومیّ ، ويقتل أخوه لأبيه وأمّه بالعراق وحوافر فرسه فى ماء .

حدثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : خرج مع محمد حمزة بن عبد الله بن محمد بن علىّ — وكان عمه جعفر ينهاه ؛ وكان من أشدّ الناس مع محمّد — قال : فكان جعفر يقول له : هو والله مقتول ، قال : فتنحّى جعفر .

حدّثنى عيسى ، قال : حدّثنا ابنُ أبى الكرام ، قال : بعثنى عيسى برأس محمد ، وبعث معى مائة من الجند ، قال : فجئنا حتّى إذا أشرفنا على النّجَف كبّرنا — قال : وعامر بن إسماعيل يومئذ بواسط محاصِر هارون ابن سعد العِجلىّ — فقال أبو جعفر للربيع : ويحك ! ما هذا التكبير ! قال : هذا ابن أبى الكرام ، جاء برأس محمد بن عبد الله ، قال : ائذن له ولعشرة ممّن معه ، قال : فأذِن لى ، فوضعتُ الرأس بين يديه فى ترس ، فقال : من قُتل معه من أهل بيته ؟ قلتُ : لا والله ولا إنسان ، قال : سبحان الله ! هو ذاك . قال : فرفع رأسَه إلى الربيع ، فقال : ما أخبرنا صاحبه الذى كان قبله ؟ قال الربيع : زعم أنه قتِل منهم عدد كثير ، قلت : لا والله ولا واحد .

حدثنى علىّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم ، قال : لما قدِم برأس محمد على أبى جعفر وهو بالكوفة ، أمر به فطِيف فى طَبَق أبيض ، فرأيته آدم أرْقَط ، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق .

٣/٢٥٥ وحدثنى عبد الله بن عمر بن حبيب من أهل يَنْبُع ، قال : لما أُتِىَ أبو جعفر برءوس بنى شجاع ، قال : هكذا فليكن الناس ، طلبتُ محمداً فاشتمل هؤلاء عليه ، ثم نقلوه وانتقلوا معه ، ثم قاتلوا معه فصبروا حتّى قتلوا .

قال عمر : أنشدنى عيسى بن إبراهيم وإبراهيم بن مصعب بن عُمارة بن حمزة بن مصعب ، ومحمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زَبالة وغيرهم لعبد الله ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يرثِى محمداً :

تبكى مُدلّه أن تقنّص حَبْلَهُمْ عِيسى وَأَقْصَدَ صائبًا عثمانا (١)

---

(١) بعدها فى ت : يعنى بعيسى بن حصين وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير » .

هَلّا على المَهْدىّ وابنَىْ مُصْعَبٍ   أَذرَيْتَ دَمْعَك ساكبًا تَهتانا !
ولفَقْدِ إبراهيمَ حينَ تَصدَّعَتْ   عنه الجُموعُ فَواجَهَ الأَقرانا
سالَتْ دمُوعك ضَلّةً قَدْ هِجْتَ لى   بُرَحاءَ وَجْدٍ تَبْعَثُ الأَحزَانا
واللهِ ما وَلَدَ الحواضنُ مثلَهم   أَمْضَى وأَرفَعَ مَحْتِدًا ومكانا
وأَشَدَّ ناهِضَةً وأَقولَ لِلَّتى   تَنْفِى مَصادرُ عَدْلها البهتانا
فهناك لو فَقَأْتَ غيرَ مُشَوَّهٍ   عَيْنَيْك من جزع عذرتَ علانا
رُزْءٌ لَعَمْرُكَ لو يُصابُ بمثله   مِبْطانُ صدَّع رُزْؤُه مبْطانا

وقال ابن مصعب :

يا صاحبَىَّ دَعَا المَلامة وَاعْلما   أن لستُ فى هذا بأَلْوَمَ منكما
وَقِفَا بقبر ابن النبىّ فَسلِّما   لا بأْسَ أَن تَقِفا به فتُسَلِّما
قبرٌ تَضَمَّنَ خَيْرَ أَهْلِ زَمانه   حَسَبًا وطِيْبَ سجيّةٍ وتكرُّما ٢٥٦/٣
رجلٌ نفى بالعَدْلِ جَوْرَ بِلادِنا   وعفا عظيماتِ الأُمور وأَنعَما
لم يَجْتَنِبْ قَصْدَ السبيل ولم يَجُرْ   عنه ، ولم يفتح بفاحشةٍ فما
لو أَعظَمَ الحَدَثان شيئًا قبله   بعد النبىّ به لكنتَ المعظَما
أَو كان أَمْتَع بالسلامة قبلَه   أحدًا لكان قصارُه أن يسلَما
ضحَّوا بإبراهيمَ خيرَ ضَحِيَّةٍ   فتصرَّمت أَيامُه وتصرّما
بطلاً يخوضُ بنفسه غمراتِها   لا طائشًا رَعَشًا ولا مُسْتَسْلما
حتى مضَت فيه السُّيوفُ ورُبَّما   كانت حُتُوفُهُمُ السيوف ورُبّما
أَضحى بنو حَسَنٍ أُبِيحَ حَرِيمُهُمْ   فينا وأَصْبحَ نهبُهمْ متقسَّما
ونساؤُهم فى دورهِنّ نوائح   سَجْعَ الحمامِ إذا الحَمامُ ترنّما
يتوسَّلون بقتلهم وَيَرَوْنَه   شَرَفًا لهم عند الإِمام ومَغْنَمَا
والله لو شهد النبىُّ محمّدٌ   صلّى الإِله على النبىّ وسلّما

إِشْراعَ أُمَّتِهِ الأَسِنَّةَ لابْنِهِ حتى تقطَّر من ظُبَاتِهِمُ دما
حَقًّا لأَيْقَنَ أَنَّهم قد ضَيَّعوا تلكَ القرابةَ واستحلّوا المحرَما

وحدثني إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حدثني موسى بن عبد الله ابن حسن، قال : خرجتُ من منازلنا بسويقة فى الليل، وذلك قبل مُخرَج محمد ابن عبد الله ؛ فإذا بنسوة كأنما خرجْن من ديارنا ؛ فأخذتْنى عليهن غَيْرة ، فإنى لأتبعهن أنظر أين يَرِدْنَ ؛ حتى إذا كنّ بطرف الُحميراء من جانب الغَرْس [(١)] ؛ التفتت إلىّ إحداهنّ ، فقالت : ٢٥٧/٣

سُوَيْقَةُ بَعْدَ ساكنها يَبَابُ لقد أمستْ أَجَدَّ بها الخرابُ

فعرفتُ أنهنّ من ساكنى الأرض ، فرجعت .

وحدّثنى عيسى ، قال : لما قتَل عيسى بن موسى محمداً قبض أموالَ بنى حسن كلّها ، فأجاز ذلك أبو جعفر .

وحدّثنى أيوب بن عمر ، قال : لقىَ جعفر بن محمد أبا جعفر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رُدّ علىّ قطيعتى عين أبى زياد آكل من سَعفها ، قال : إياى تكلم بهذا الكلام ! والله لأزهقنّ نفسك . قال : فلا تعجلْ علىّ ؛ قد بلغت ثلاثا وستين ، وفيها مات أبى وجدّى علىّ بن أبى طالب ؛ وعلىّ كذا وكذا إن ربتُك بشىء أبداً ، وإن بقيتُ بعدك إن ربْت الذى يقوم بعدك . قال : فرقّ له وأعفاه .

وحدّثنى هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد ، قال : لم يَرُدّ أبو جعفر عينَ أبى زياد حتى مات فردّها المهدىّ على ولده .

وحدّثنى هشام بن إبراهيم ، قال : لما قُتِل محمد أمر أبو جعفر بالبحر فأقفل على أهل المدينة ، فلم يحمل إليهم من ناحية البحار شىء ؛ حتى كان المهدىّ فأمر بالبحر ففتح لهم ، وأذن فى الحمل .

وحدّثنى محمد بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حدّثتْنى أمّى أمّ سلمة بنت

(١) ب : « القرش » ، ج : « العرش » .

محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر زوْجة موسى بن عبد الله ، قالت : خاصم بنو المخزومية عيسى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن
٣/٢٥٨ حسن بن محمد بن عبد الله بن حسن فى ميراث عبد الله ، وقالوا : قُتِل أبوكم محمّد فورثه عبد الله ؛ فتنازعوا إلى الحسن بن زيد ؛ فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين أبى جعفر ، فكتب إليه : أما بعد ؛ فإذا بلغك كتابى هذا فورِّثهم من جدّهم ، فإنى قد رددت عليهم أموالَهم صلةً لأرحامهم ، وحفظاً لقَرابتهم .

وحدّثنى عيسى ، قال : خرج مع محمد من بنى هاشم الحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وحسين وعيسى ابنا زيد بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب ؛ قال : فحدّثنى عيسى ، قال : بلغنى أن أبا جعفر كان يقول : واعجبًا لخروج ابنى زيد بن علىّ وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله ، وصلبناه كما صلبه ، وأحرقناه كما أحرقه ، وحمزة ابن عبد الله بن محمد بن علىّ بن حسين بن أبى طالب ، وعلىّ وزيد ابنا حسن ابن زيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب !

قال عيسى : قال أبو جعفر للحسن بن زيد : كأنى أنظر إلى ابنيك واقفيْن على رأس محمد بسيفيْن ، عليهما قَباءان . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت أشكو إليك عقوقهما قبل اليوم ، قال : أجل فهذا من ذاك . والقاسم ابن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، والمرجّى علىّ بن جعفر بن إسحاق بن علىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال عيسى : قال أبو جعفر لجعفر بن إسحاق : مَن المرجّى هذا ؟ فعل الله به وفعل ! قال :
٣/٢٥٩ يا أمير المؤمنين ؛ ذاك ابنى ، والله لئن شئت أن أنتفى منه لأفعلنّ . ومن بنى عبد شمس محمد بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس .

قال : وحدثنى أبو عاصم النّبيل ، قال : حدثنى عبّاد بن كثير ، قال : خرج ابن عجلان مع محمد ، وكان على ثقَله [١] ، فلما ولى جعفر بن سليمان المدينة قيّده ، فدخلت عليه ، فقلت : كيف ترى رأى أهل البصرة فى رجل قيّد الحسن ؟

(١) ط : « بغلة » ، وما أثبته من ".

قال : سيّئاً والله ، قال : قلت : فإن ابن عجلان بهذه كالحسن ثمّ ، فتركه . ومحمد بن عجلان مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

وحدّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله ، أنّ عبيد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم خرج معه ؛ فأتِيَ به أبو جعفر بعد قتل محمد ، فقال له : أنت الخارج عليّ مع محمد ؟ قال : لم أجد إلّا ذلك أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : هذا (١) وهْمٌ .

قال : وحدثني عبد العزيز بن أبي سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، قال : كان عبيد الله قد أجاب محمداً إلى الخروج معه ؛ فمات قبل أن يخرج ، وخرج معه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سَبْرة بن أبي رُهم بن عبدالعزّى ابن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ ، وخرج معه عبد الواحد بن أبي عون مولى الأزد وعبد الله بن جعفر بن عبدالرحمن ٣/٢٦٠
ابن المسوَر بن مخرمة وعبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْديّ وعبد الحميد بن جعفر وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع ، وابن سباع من خُزاعة حليف بني زُهرة ، وبنو إبراهيم وإسحاق وربيعة وجعفر وعبد الله وعطاء ويعقوب وعثمان وعبد العزيز ؛ بنو عبد الله بن عطاء .

وحدّثني إبراهيم بن مُصعب بن عُمارة بن حمزة بن مُصعب بن الزبير . قال : وحدّثني الزُّبير بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير ، قال : إنا لبالمرّ من بطن إضَم ، وعندي زوجتي أمينة بنت خضير ؛ إذ مرّ بنا رجل مصعِد من المدينة ، فقالت له : ما فعل محمد ؟ قال : قُتِل ، قالت : فما فعل ابن خُضير ؟ قال : قتل ، فخرّت ساجدة ، فقلت : أتسجدين أنْ قُتِل أخوك ! قالت : نعم ، أليس لم يفِرّ ولم يُؤسَر !

قال عيسى : حدّثني أبي ، قال : قال أبو جعفر لعيسى بن موسى : مَن استنصر مع محمد ؟ قال : آل الزبير ، قال : ومَنْ ؟ قال : وآل

(١) ت : « وهذا » .

عمر ، قال : أما والله لعن غير مودّة بهما له ولا محبّة له ولا لأهل بيته . قال : وكان أبو جعفر يقول : لو وجدتُ ألفًا من آل الزّبير كلهم محسِن وفيهم مسىء واحدٌ لقتلتهم جميعًا ، ولو وجدت ألفًا من آل عمر كلهم مسىء وفيهم مُحسِنٌ واحد لأعفيتُهم جميعًا .

قال عمر : وحدّثنى إبراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب ، قال : حدّثنى محمد بن عثمانَ بن محمد بن خالد بن الزّبير ، قال : لما قُتِل
٢٦١/٣ محمد ، هرب أبى وموسى بن عبدالله بن حسن وأنا معهما وأبو هبّار المزنىّ ، فأتينا مكة ، ثم انحدرنا إلى البصرة ، فاكتَرينا من رجل يدعى حكيماً ، فلما وردنا البصرة — وذلك بعد ثلث(١) الليل — وجدنا الدُّروب مغلَقة ، فجلسنا عندها حتى طلع الفجر ؛ ثم دخلنا فنزلنا المِرْبَد ، فلما أصبحنا أرسلنا حكيماً يبتاع لنا طعامًا ؛ فجاء به على رجل أسود ، فى رجله حديدة ، فدخل به علينا فأعطاه جُعْله ، فتسخّط علينا ، فقلنا : زده ، فتسخّط ، فقلنا له : ويلك ! أضعف له ، فأبى ، فاستراب بنا ، وجعل يتصفّح وجوهنا . ثم خرج فلم ننشَب أن أحاطت بمنزلنا الخيلُ ، فقلنا لربّة المنزل : ما بال الخيل ؟ فقالت : لا بأس فيها (٢) ، تطلب رجلا من بنى سَعْد يدعى نُميلة بن مُرّة ، كان خرج مع إبراهيم . قال : فوالله ما راعنا إلاّ بالأسود قد دُخل به علينا ، قد غُطّى رأسه ووجهه . فلما دُخِل به كُشف عنه ، ثم قيل : أهؤلاء ؟ قال : نعم هؤلاء ؛ هذا موسى بن عبد الله ، وهذا عثمان بن محمد ، وهذا ابنه ؛ ولا أعرف الرابعَ غير أنه من أصحابهم . قال : فأخِذْنَا جميعًا ، فدُخل بنا على محمد بن سليمان فلما نظر إلينا أقبل على موسى ، فقال : لا وصل الله رحِمك ! أتركتَ البلاد جميعًا وجئتنى ! فإمّا أطلقتُك فتعرّضتُ لأمير المؤمنين ، وإمّا أخذتُك فقطعت رَحِمك . ثم كتب إلى أمير المؤمنين بخبرنا (٣) . قال : فجاء الجواب أن احملهم إلىّ ، فوُجّهنا إليه ومعنا جند ، فلما صرنا بالبطيحة وجدنا بها جُنْداً آخر ينتظروننا ؛ ثم لم نزلْ نأتى على المسالح من الجُنْد فى طريقنا كله ، حتى

---

(١) ج : « ثلاث ليال » . (٢) ت ، ج : « منها » .
(٣) كذا فى ت ، وهو الصواب ، وفى ط : « وحدثنا »

وردنا بغداد ، فدُخل بنا على أبى جعفر ، فلما نظر إلى أبى قال : هيه ! أخرَجتَ علىّ مع محمد ! قال : قد كان ذاك ؛ فأغلظ له أبو جعفر ؛ فراجعه مليًّا ، ثم أمر به فضُربت عنقه . ثم أمر بموسى فضُرِب بالسياط ، ثم أمر بى فقُرّبت إليه ، فقال : اذهبوا به فأقيموه على رأس أبيه ؛ فإذا نظر إليه فاضربوا عنقَه على جيفته . قال : فكلمه عيسى بن علىّ ، وقال : والله ما أحسبه بلغ ؛ فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، كنتُ غلامًا حدثًا غِرًّا أمرنى أبى فأطعتُه ، قال : فأمر بى فضُرِبتُ خمسين سوطًا ، ثم حبسنى فى المطبَق وفيه يومئذ يعقوب بن داود ، فكان خير رفيق أرافقه وأعطفه ، يُطعمنى من طعامه ، ويسقينى من شرابه ، فلم نزل كذلك حتى تُوُفّىَ أبو جعفر ، وقام المهدىّ وأخرج يعقوب ، فكلمه فىّ فأخرجنى . ٢٦٢/٣

قال : وحدّثنى أيوب بن عمر ، قال : حدّثنى محمد بن خالد ، قال : أخبرنى محمد بن عروة بن هشام بن عُروة ، قال : إنى لعند أبى جعفر ، إذْ أتى فقيل له : هذا عثمان بن محمد بن خالد قد دُخِل به ، فلما رآه أبو جعفر ، قال : أين المال الذى عندك ؟ قال : دفعته إلى أمير المؤمنين رحمه الله ، قال : ومَنْ أمير المؤمنين ؟ قال : محمد بن عبد الله ، قال : أبايعتَه[1] ؟ قال : نعم كما بايعتَه ، قال : يابن اللخناء ! قال : ذاك مَنْ قامت عنه الإماء ، قال : اضرب عنقه ، قال : فأخِذ[2] فضربت عنقه .

قال : وحدثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدّثنى محمد ابن عثمان بن خالد الزُّبيرىّ ، قال : لما خرج محمد خرج معه رجلٌ من آل كثير بن الصلت ، فلما قتِل وهُزِم أصحابه تغيّبوا ؛ فكان أبى والكثيرىّ فيمن تغيّب ، فلبثوا بذلك ؛ حتى قدم جعفر بن سليمان واليًا على المدينة ، فاشتدّ فى طلب أصحاب محمد ، فاكترى أبى من الكثيرىّ إبلاً كانت له ، فخرجنا متوجّهين نحو البصرة ؛ وبلغ الخبر جعفرًا ، فكتب إلى أخيه محمد يعلمه بتوجّهنا إلى البصرة ، ويأمره بالترصّد لنا والتيقظ لأمرنا ومقدمنا ، فلما قدمنا علم محمد بمقدمنا ومكاننا ، فأرسل إلينا فأخِذنا ، فأتِىَ بنا ، فأقبل عليه ٢٦٣/٣

---

(١) ت : « أتابعته » .
(٢) كذا فى ت ، وفى ط : « فأخر » .

أبى ، فقال : يا هذا ، اتّق الله فى كَرِيِّنا(١) هذا ؛ فإنه أعرابىّ لا علم له بنا ، إنما أكْرانا ابتغاء الرزق ، ولو علم بجريرتنا ما فعل ؛ وأنت معرّضه لأبى جعفر ؛ وهو مَنْ قد علمت ؛ فأنت قاتله ومتحمّل مأثمه. قال : فوَجَمَ محمد طويلاً ، ثم قال : هو والله أبو جعفر ، والله ما أتعرّض له ، ثم حُمِلنا جميعًا فدخلنا على أبى جعفر ؛ وليس عنده أحد يعرف الكثيرىّ غير الحسن بن زيد ، فأقبل على الكثيرىّ ، فقال : يا عدوّ الله ، أتكرِى عدوّ أمير المؤمنين ، ثم تنقله من بلد إلى بلد ، تواريه مرة وتظهره أخرى ! قال : يا أميرَ المؤمنين ، وما علمِى بخبَرِه وجريرته وعداوته إياك ! إنما أكريتُه جاهلا به ، ولا أحسبه إلّا رجلًا من المسلمين ، برىء الساحة ؛ سليم الناحية ؛ ولو علمت حاله لم أفعل . قال : وأكبّ الحسن بن زيد ينظر(٢) إلى الأرض ، لا يرفع رأسه . قال : فأوعد أبو جعفر الكثيرىّ وتهدده ، ثم أمر بإطلاقه ، فخرج فتغيّب ، ثم أقبل على أبى ، فقال : هيه يا عثمان ! أنتَ الخارج على أمير المؤمنين ، والمعينُ عليه(٣) ! قال : بايعتُ ٣/٢٦٤
أنا وأنت رجلًا بمكة ، فوَفَيتُ ببيعتى وغدرتَ ببيعتك . قال : فأمر به فضربت عنقه .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : أُتِىَ أبو جعفر بعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فنظر إليه فقال(٤) : إذا قتلتُ مثل هذا من قريش فمن أستبقى ! ثم أطلقه ، وأتِى بعثمان بن محمد ابن خالد فقتله ، وأطلق ناساً من القرشيّين ، فقال له عيسى بن موسى : يا أميرَ المؤمنين ، ما أشقَى هذا بك من بينهم ! فقال : إن هذا يدى(٥) .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : سمعتُ حسن بن زيد يقول : غدوتُ يومًا على أبى جعفر ؛ فإذا هو قد أمر بعمل دكان ، ثم أقام عليه خالداً . وأتِىَ بعلىّ بن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فأمر به فضُرِب خمسمائة سوط . ، ثم أتِىَ بعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع فأمر به فجُلِد خمسمائة سوط ؛ فما تحرّك واحد منهما ، فقال لى : هل رأيتَ أصبر من

---

(١) الكرى : الذى يكريك دابته . (٢) ج : «فنظر» .
(٣) ج : «علينا» . (٤) ج : «ثم قال» . (٥) كذا فى ت ، وفى ط : «بيتى» .

هذين قطّ ! والله إنا لنؤتَى بالذين قد قاسوْا غلظ المعيشة وكدّها ، فما يصبرون هذا الصبر ، وهؤلاء أهل الخفض والكِنّ والنعمة ، قلت : يا أميرَ المؤمنين ، هؤلاء قومك أهلُ الشرف والقَدْر ، قال : فأعرض عنى ، وقال : أبيتَ إلا العصبيّة ! ثم أعاد عبد العزيز بن إبراهيم بعد ذلك ليضربه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اللهَ الله فينا ! فوالله إنى لمكبّ على وجهى منذ أربعين ليلة ، ما صلّيتُ لله صلاة ! قال : أنتم صنعتم ذلك بأنفسكم ، قال : فأين العفو يا أمير المؤمنين ؟ ٣/٢٦٥
قال : فالعفو والله إذاً ، ثم خلّى سبيله .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : كثروا محمداً وألحّوا فى القتال حتى قتِل محمد فى النصف من شهر رمضان سنة خمسة وأربعين ومائة ، وحمِل رأسه إلى عيسى بن موسى ، فدعا ابنَ أبى الكرام ، فأراه إياه ، فعرّفه فسجد عيسى بن موسى ، ودخل المدينة ، وآمن الناسَ كلهم . وكان مكث محمد بن عبد الله من حين ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوماً(١) .

* * *

وفى هذه السنة : استخلف عيسى بن موسى على المدينة كَثير بن حُصين حين شخص عنها بعد مقتل محمد بن عبد الله بن حسن ؛ فمكث والياً عليها شهراً ، ثم قدم عبد الله بن الرّبيع الحارثى والياً عليها من قِبَل أبى جعفر المنصور(٢) .

وفى هذه السنة ثارت السودان بالمدينة بعبد الله بن الربيع ، فهرب منهم .

* * *

ذكر الخبر عن وثوب السودان
بالمدينة فى هذه السنة والسبب الذى هيّج ذلك

ذكر عمر بن شبة أنّ محمد بن يحيى حدثه ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : كان رياح بن عثمان استعمل أبا بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة على صدَقة أسد وطيّئ فلما خرج محمد أقبل إليه أبو بكر بما كان جبا(٢) وشمّر معه ، فلما استخلف عيسى كثير

(١) هذا الخبر ساقط من ت (٢) إلى هنا ينتهى الموجود من نسخة ت .

٣/٢٦٦ ابن حصين على المدينة أخذ أبا بكر ، فضربه سبعين سوطًا وحدّده وحبسه .
ثم قدِم عبد الله بن الرّبيع واليًا منْ قِبَل أبى جعفر يوم السبت لخمس بقين من شوّال سنة خمس وأربعين ومائة ، فنازع جنده التجار فى بعض ما يشترونه منهم ، فخرجت طائفة من التجار حتى جاءوا دار مَرْوان ، وفيها ابنُ الربيع ، فشكوْا ذلك إليه ، فنهرهم وشتمهم ، وطمع فيهم الجند ، فتزايدوا فى سوء الرأى .

قال : وحدثنى عمر بن راشد ، قال : انتهب الجند شيئًا من متاع السوق ، وغدوْا على رجل من الصرّافين يدعى عثمان بن زيد ، فغالبوه على كيسه ؛ فاستغاث ، فخلّص مالَه منهم ، فاجتمع رؤساء أهل المدينة فشكوْا ذلك إلى ابن الربيع فلم ينكرْه ولم يغيّره ، ثم جاء رجل من الجند فاشترى من جزّار لحمًا يومَ الجمعة ، فأبى أن يعطيَه ثمنه ، وشهر عليه السيف ؛ فخرج عليه الجزّار من تحت الوَضَم بشَفْرة ، فطعن بها خاصرته ، فخرّ عن دابته ، واعتوره[1] الجزّارون فقتلوه ، وتنادى السودان عن الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعُمُد فى كلّ ناحية ، فلم يزالوا على ذلك حتى أمسوْا ؛ فلما كان الغد هربَ ابن الربيع .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : نفخ السودان فى بُوق لهم ؛ فذكر لى بعضُ مَنْ كان فى العالية وبعض مَنْ كان فى السافلة ، أنه كان يرى الأسود من سكّانهما فى بعض عمله يسمع نفْخَ البوق ، فيصغِى له حتى يتيقّنه ثم يوحّش[2] بما فى يده ، ويأتمّ الصوتَ
٣/٢٦٧ حتى يأتيه . قال : وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة من سنة خمس وأربعين ومائة ، ورؤساء السودان ثلاثة نفر : وثيق ويعقل ورمقة . قال : فغدوْا على ابن الربيع ، والناس فى الجمعة فأعجلوهم عن الصّلاة ، وخرج إليهم فاستطردُوا له ؛ حتى أتى السوق فمرّ بمساكين خمسة يسألون فى طريق المسجد ، فحمل عليهم بمَنْ معه حتى قتلوهم ، ثم مر بأصَيْبِيَة على طَنَف دار ، فظنّ أن القوم منهم ؛ فاستنزلهم واختدعهم وآمنهم ؛ فلما نزلوا ضرب

---

(١) ط : « واعتوروه » . (٢) ب : « توجس » .

أعناقهم ، ثم مضى ووقف(١) عند الحنّاطين ، وحمل عليه السودانُ ، فأجلى هاربًا فاتّبعوه حتّى صار إلى البَقيع ، ورهقوه فنثر لهم دارهم ؛ فشغلهم بها ، ومضى على وجهه حتّى نزل ببطن نَخْل ، عن ليلتين من المدينة .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : خرج السوّدان على ابن الربيع ، ورؤساؤهم : وثيق وحَدْيا وعُنقود وأبو قيس ؛ فقاتلهم فهزموه ، فخرج حتّى أتى بطن نَخْل فأقام بها .

وحدّثنى عمر بن راشد ، قال : لما هربَ ابنُ الربيع وقع السودان فى طعام لأبى جعفر من سَويق ودقيق وزيت وقَسْب ، فانتهبوه ، فكان حِمْل الدّقيق بدرهمين(٢) ، وراوية زيت بأربعة دراهم .

وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : أغاروا على دار مَرْوان ودار يزيد ؛ وفيهما طعام كان حُمل للجنْد فى البحر ، فلم يدَعوا فيهما شيئًا . قال : وشخص سليمان بن فُلَيح بن سليمان فى ذلك اليوم إلى أبى جعفر ، فقدم عليه فأخبره الخبر .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، ٣/٢٦٨
قال : وقتل السودان نفراً من الجُنْد ، فهابهم الجند حتى أن كان الفارس ليلقى الأسود وما عليه إلا خِرقتان على عَوْرته ودُرّاعة ، فيولّيه دُبُره احتقاراً له ، ثم لم ينشب أن يشدّ عليه بعمود من عُمُد السوق فيقتله : فكانوا يقولون : ما هؤلاء السودان إلا سَحرة أو شياطين !

قال : وحدّثنى عُثامة بن عمرو السهمىّ ، قال : حدّثنى المسوَر بن عبد الملك ، قال : لما حبَس ابن الربيع أبا بكر بن أبى سَبْرة ، وكان جاء بجباية طيّئ وأسد ، فدفعها إلى محمد ، أشفق القرشيّون على ابن أبى سَبْرة ، فلما خرج السودان على ابن الربيع ، خرج ابن أبى سَبْرة من السجن ، فخطب الناس ، ودعاهم إلى الطاعة ، وصلّى بالناس حتّى رجع ابن الربيع .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ،

---

(١) ب : « فوقف » . (٢) ج : « بدرهم » .

قال : خرج ابن أبى سبْرة من السجن والحديد عليه ، حتّى أتى المسجد ، فأرسل إلى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما ، فاجتمعوا عنده ، فقال : أنشدكم الله وهذه البليّة التى وقعت ! فوالله لئن تمّتْ علينا عند أمير المؤمنين بعد الفَعْلة الأولى ، إنه لاصطلامُ البلد وأهله ، والعبيدُ فى السوق بأجمعهم ؛ فأنشدكم الله إلاّ ذهبتم إليهم فكلمتموهم فى الرّجْعة والفيئة إلى رأيكم ، فإنهم لانظام لهم . ولم يقوموا بدعوة ؛ وإنما هم قوم أخرجتهم الحميّة ! قال : فذهبوا إلى العبيد فكلموهم ، فقالوا : مرحبًا بكم يا موالينا ؛ والله ما قمنـا إلا أنفـةً لكم مما عُمِل بكم ، فأيدينا مع أيديكم وأمرُنا إليكم ، فأقبلوا بهم إلى المسجد .

٢٦٩/٣ وحدّثنى محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : حدّثنى الحسين بن مُصعب ، قال : لما خرج السودان وهرب ابن الرّبيع ، جئتُهم أنا وجماعة معى ، وقد عسكروا فى السوق ، فسألناهم أن يتفرّقوا ، وأخبرناهم أنّا وإياهم لا نقوى على ما نصبو له ، قال : فقال لنا وثيق : إنّ الأمر قد وقع بما ترْون ؛ وهو غير مبقٍ لنا ولا لكم ، فدعونا نشفِكم ونشتفِ أنفسنا ، فأبينا ، ولم نزل بهم حتى تفرّقوا .

وحدّثنى عمر بن راشد ، قال : كان رئيسهم وثيق وخليفته يعقل الجزّار . قال : فدخل عليه ابنُ عمران ، قال : إلى مَنْ تعهد يا وثيق ؟ قال : إلى أربعة من بنى هاشم ، وأربعة من قُريش ، وأربعة من الأنصار ، وأربعة من الموالى ؛ ثم الأمر شورى بينهم . قال : أسأل الله إن ولاك شيئًا من أمرنا أن يرزقنا عدلك ، قال : قَدْ والله ولاّ نيه الله .

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال : حضر السودان المسجد مع ابن أبى سَبْرة ، فرَقِىَ المنبر فى كَبْل حديد حتى استوَى فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبعه محمد بن عمران ، فكان تحته ، وتبعهم محمد بن عبد العزيز فكان تحتهما ، وتبعهم سليمان ابن عبد الله بن أبى سَبْرة ، فكان تحتهم جميعًا ؛ وجعل الناس يلغطون لغطًا شديداً ، وابن أبى سبرة جالسٌ صامتٌ . فقال ابن عمران : أنا ذاهبٌ إلى السوق ، فانحدر وانحدر مَنْ دونه ، وثبت ابن أبى سَبْرة ،

فتكلّم فحثّ على طاعة أمير المؤمنين ؛ وذكر أمر محمد بن عبد الله فأبلغ . ومضى ابن عمران إلى السوق ، فقام على بَلاَس من بُلُس الحنطة ، فتكلم هناك ، فتراجع الناسُ ؛ ولم يصلّ بالناس يومئذ إلا المؤذّن ، فلما حضرت العشاء الآخرة وقد ثاب الناس ، فاجتمع القرشيّون فى المقصورة ، أقام الصلاة ٣/٢٧٠ محمد بن عمار المؤذّن ، الذى يلقب كساكس(١) ، فقال للقرشيين : مَنْ يصلّى بكم ؟ فلم يجبه أحدٌ ، فقال : ألا تسمعون ! فلم يجيبوه ، فقال : يابن عمران ، ويابن فلان ، فلم يجبه أحدٌ ، فقام الأصبغ بن سفيان بن عاصم ابن عبد العزيز بن مروان ، فقال : أنا أصلى ، فقام فى المقام ، فقال للناس : استووا ، فلما استوت الصُّفوف أقبل عليهم بوجهه ، ونادى بأعلى صوته : ألا تسمعون! أنا الأصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، أصلّى بالناس على طاعة أبى جعفر ، فردّد ذلك مرتين أو ثلاثاً ، ثم كبّر فصلى ؛ فلما أصبح الناس قال ابن أبى سبرة : إنه قد كان منكم بالأمس ما قد علمتم ؛ نهبتم ما فى دار عاملكم وطعامَ جند أمير المؤمنين ، فلا يبقينّ عند أحد منكم شىء إلا ردّه ، فقد أقعدتُ لكم الحكم بن عبد الله بن المغيرة بن موهب ؛ فرفع الناسُ إليه ما انتهبُوا ، فقيل : إنه أصاب قيمة ألف دينار .

وحدّثنى عُثامة بن عمرو ، قال : حدثنى المسور بن عبد الملك ، قال : ائتمر القرشيّون أن يدعوا ابن الربيع يخرج ثم يكلموه فى استخلاف ابن أبى سَبْرة على المدينة ، ليتحلّل ما فى نفس أمير المؤمنين عليه ؛ فلما أخرجه السودان ، قال له ابن عبد العزيز : أتخرج بغير والٍ استُخلف ! ولّها رجلاً ، قال : مَنْ ؟ قال : قدامة بن موسى ، قال : فصيح بقدامة ، فدخل فجلس بين ابن الربيع وبين ابن عبد العزيز ، فقال : ارجع يا قدامة ، فقد وليتك المدينة وأعمالها ، قال : والله ما قال لك هذا مَنْ نصحك ، ولا نَظَر لمن وراءه ، ولا أراد إلاّ الفساد ، ولأ حقّ بهذا منى ومنه مَنْ قام بأمر الناس وهو جالسٌ ٣/٢٧١ فى بيته — يعنى ابن أبى سبرة — ارجع أيّها الرجل ؛ فوالله ما لك عذر (٢) فى الخروج ، فرجع ابن الربيع .

---

(١) ب : « كشاكش » . (٢) ب : « عذو » .

قال وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، قال: ركب ابن عبد العزيز فى نفر من قريش إلى ابن الربيع ، فناشدوه وهو ببطْن نخل إلاّ رجع إلى عمله ، فتأبّى . قال : فخلا به ابن عبد العزيز ، فلم يزل به حتى رجع وسكن الناس وهدءوا .

قال : وحدّثنى عمر بن راشد ، قال : ركب إليه ابن عمران وغيرُه وقد نزل الأعْوَص ، فكلّموه فرجع ، فقطع يد وثيق وأبى النار ويعقل ومِسْعر .

* * *

[ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد]

وفى هذه السنة أسست مدينة بغداد ، وهى التى تدعى مدينة المنصور .

* ذكر الخبر عن سبب بناء أبى جعفر إياها :

وكان سبب ذلك أنّ أبا جعفر المنصور بنى – فيما ذكر – حين أفضى الأمر إليه الهاشميّة ، قبالَة مدينة ابن هُبيرة ، بينهما عَرْض الطريق ، وكانت مدينة ابن هبيرة التى بحيالها مدينة أبى جعفر الهاشميّة إلى جانب الكوفة . وبنى المنصور أيضا مدينة بظهر الكوفة سماها الرُّصافة ، فلما ثارت الرّاوندية بأبى جعفر فى مدينته التى تسمىّ الهاشميّة؛ وهى التى بحيال مدينة ابن هبيرة، كره سُكناها لاضطراب مَن اضطرب أمرُه عليه من الرّاوندية ، مع قرب جواره
٢٧٢/٣ من الكوفة ، ولم يأمن أهلَها على نفسه، فأراد أن يبعُد من جوارهم؛ فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد لها موضعاً يتخذه مسكنًا لنفسه وجنده ، ويبتنى به مدينة[1] ، فبدأ فانحدر إلى جَرْجَرَايا ثم صار إلى بغداد ، ثم مضى إلى الموصل ، ثم عاد إلى بغداد ، فقال : هذا موضع معسكر صالحٌ ، هذه دجلة ليس بيننا[2] وبين الصين شىء ، يأتينا فيها كلّ ما فى البحر ، وتأتينا المِيرة من الجزيرة وأرمينيَة وما حول ذلك ، وهذا الفُرات يجىء فيه كلّ شىء من الشأم والرّقّة وما حول ذلك . فنزل [3] وضرب عسكره على الصَّراة ، وخطّ المدينة ، ووكل بكل رُبْع قائداً .

---

(١) ب : « مدينته » . (٢) ج : « بينها » .
(٣) بعدها فى ب : « أبو جعفر المنصور » .

وذكر عمر بن شبّة أنّ محمد بن معروف بن سُويد حدّثه ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني سليمان بن مجالد، قال : أفسد أهلُ الكوفة جندَ أمير المؤمنين المنصور عليه ، فخرج نحو الجبل يرتاد منزلا ، والطريق يومئذ على المدائن ، فخرجنا على ساباط ، فتخلّف بعضُ أصحابي لرمَد أصابه ، فأقام يعالج عينيْه ، فسأله الطبيب : أين يريد أمير المؤمنين ؟ قال : يرتاد منزلا ؛ قال : فإنا نجد في كتاب عندنا ، أن رجلاً يدعى مقلاصاً ، يبني مدينة بين دجْلة والصَّراة تدعى الزَّوْراء ، فإذا أسسها وبنى عرَقاً [1] منها أتاه فتْق من الحجاز ، فقطع بناءها، وأقبل على إصلاح ذلك الفتْق، فإذا كاد يلتئم أتاه فتْق من البصرة هو أكبر عليه منه ؛ فلا يلبث الفتقان أن يلتئما ، ثم يعود إلى بنائها فيتمّه ، ثم يعمّر عمراً طويلاً ، ويبقى الملك في عقبه . قال سليمان : فإنّ أميرَ المؤمنين لبأطراف الجبال في ارتياد منزل ؛ إذْ قدم عليّ ٣/٢٧٣ صاحبي فأخبرني الخبر فأخبرتُ به أميرَ المؤمنين ، فدعا الرّجل فحدّثه الحديث ، فكرّ راجعاً عوْدَهُ على بدئه ، وقال : أنا والله ذاك ! لقد سُمّيتُ مقْلاصاً وأنا صبيّ ، ثم انقطعتْ عني .

وذُكر عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عياش ، قال : لمّا أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث روّاداً يرتادون له موضعاً ينزله واسطاً ، رافقاً بالعامة والجُنْد ، فنُعت له موضع قريب من بارِمّا ، وذُكر له عنه غذاء طيّب ، فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه ، وبات فيه ، وكرّر نظره فيه ، فرآه موضعاً طيباً ، فقال لجماعة من أصحابه ؛ منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزيّ وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم : ما رأيُكم في هذا الموضع ؟ قالوا : ما رأينا مثله ، هو طيّب صالحٌ موافقٌ ، قال : صدقتم ؛ هو هكذا ؛ ولكنه لا يحمل الجندَ والناس والجماعات ، وإنما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ، ولا تغلو عليهم فيه الأسعارُ ، ولا تشتدّ فيه المؤونة ، فإني إن أقمت في موضع [2] لا يجلَب إليه من البرّ والبحر شيء غلَت الأسعار ، وقلّت المادّة ، واشتدّت المؤونة ، وشقّ ذلك على الناس ؛ وقد مررتُ في

---

(١) العرق : صف من اللبن أو الآجر . (٢) ج : « بموضع » .

طريقى على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال ؛ فأنا نازل فيه ، وبائت به ؛ فإذا اجتمع لى فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس أبتنيه .

قال الهيثم بن عدىّ : فخُبِّرت أنه أتى ناحية الجِسْر ، فعبر فى موضع قصر السلام ، ثمّ صلى العصر — وكان فى صَيْف ، وكان فى موضع القصر
٣/٢٧٤ بِيعة قَس — ثم بات ليلةً حتى أصبح ،فبات أطيب مبيت فى الأرض وأرفقه ، وأقام يومه فلم ير إلا ما يحبّ ، فقال : هذا موضع أبنى فيه ؛ فإنه تأتيه المادّة من الفرات ودِجْلة وجماعة من الأنهار ، ولا يحمل الجندَ والعامّة إلّا مثلُه ، فخطّها وقدّر بناءها ، ووضع أوّل لَبِنة بيده ، وقال : بسم الله والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاءُ من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال : ابنُوا على بركة الله .

وذُكِر عن بِشْر بن ميمون الشروىّ وسليمان بن مجالد، أنّ المنصور لما رجع من ناحية الجبل ، سأل عن خبر القائد الذى حدّثه عن الطبيب الذى أخبره عمّا يجدون فى كتبهم من خبر مِقْلاص ، ونزلَ الدّيْر الذى هو حذاء قصره المعروف بالخُلْد، فدعا بصاحب الدَّيْر ، وأحضر البِطريق صاحب رحا البِطريق وصاحب بغداد وصاحب المخرّم وصاحب الدير المعروف ببستان القس[(١)] وصاحب العتيقة ، فسألهم عن مواضعهم ، وكيف هى فى الحرّ والبرد والأمطار والوحول والبقّ والهوامّ ؟ فأخبره كلّ واحد بما عنده من العلم ، فوجّه رجالاً من قِبَله ، وأمر كلّ واحد منهم أن يبيتَ فى قرية منها ، فبات كلُّ رجل منهم فى قرية منها ، وأتاه بخبرها . وشاور المنصور الذين أحضرهم ، وتنحّر[(٢)] أخبارهم ؛ فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد ، فأحضره وشاوره ، وساءله — فهو الدّهقان الذى قريته قائمة إلى اليوم فى المربّعة المعروفة بأبى العباس الفضل بن سليمان الطوسىّ ، وقباب القرية قائم بناؤها إلى اليوم ،
٣/٢٧٥ وداره ثابتة على حالها — فقال : يا أميرَ المؤمنين ، سألتنى عن هذه الأمكنة وطيبها وما يُختار منها ؛ فالذى أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعةَ طَساسيج[(٣)]

(١) ج : « القصر » .
(٢) يتنحر أخبارهم ، أى يتفطن لها .
(٣) الطسوج : الناحية .

فى الجانب الغربىّ طسّوجَيْن وهما قطربُّل وبادوريَا ، وفى الجانب الشرقىّ طَسّوجَيْن وهما نهر بوق وكَلْواذَى ، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء ، فإن أجدب طسُّوج وتأخّرت عِمارته كان فى الطسّوج الآخر العِمارات ، وأنت يا أمير المؤمنين على الصَّراة ، تجيئك المِيرة فى السفن من المغرب فى الفرات ، وتجيئك طرائف مصر والشأم ، وتجيئك المِيرة فى السفن من الصين والهند والبصرة وواسط فى دجلة ، وتجيئك المِيرة من أرمينيَة وما اتصل بها فى تامَرّا حتى تصل إلى الزاب ، وتجيئك المِيرة من الرّوم وآمِد والجزيرة والموصل فى دِجلة ، وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوّك إلا على جِسْر أو قنطرة ؛ فإذا قطعت الجِسر وأخربت القناطر لم يصلْ إليك عدوّك ، وأنت بين دِجْلة والفرات لا يجيئك أحدٌ من المشرق والمغرب إلاّ احتاج إلى العُبور ، وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسّوَاد كله ، وأنت قريب من البرّ والبحر والجبل . فازداد المنصور عزمًا على النزول فى الموضع الذى اختاره . وقال له : يا أميرَ المؤمنين ؛ ومع هذا فإنّ الله قد منّ على أمير المؤمنين بكثْرة جيوشه وقوّاده وجنده ؛ فليس أحد من أعدائه يطمع فى الدنوّ منه ، والتدبيرُ فى المدن أن تتخذ لها الأسوار [1] والخنادق ، والحصون ، ودجلة والفرات خنادق [2] لمدينة أمير المؤمنين [2] .

٢٧٦/٣ وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن حماداً التّركىّ ، قال : بعث المنصور رجالا فى سنة خمس وأربعين ومائة ، يطلبون له موضعًا يبنى فيه مدينته ، فطلبوا وارتادوا ، فلم يرض موضعًا ، حتى جاء فنزل الدّيْر على الصَّرَاة ، فقال : هذا موضع أرضاه ، تأتيه المِيرة من الفرات ودِجْلة ، ومن هذه الصراة .

وذكر عن محمد بن صالح بن النطاح عن محمد بن جابر ، عن أبيه ، قال : لما أراد أبو جعفر أن يبنى مدينته ببغداد رأى راهبًا ، فناداه فأجابه ، فقال : تجدُون فى كتبكم أنه تبنى هاهنا مدينة ؟ قال الرّاهب : نعم ؛ يبنيها مِقْلاص ؛ قال أبو جعفر : أنا كنت أدعى مِقلاصًا فى حداثتى . قال : فأنت إذاً صاحبُها ، قال : وكذلك لما أراد أن يبنى الرّافقة بأرض الروم

---

(١) ب : « الأسواق » . (٢ – ٢) ب : « لأمير المؤمنين » .

امتنع أهل الرّقة ، وأرادوا محاربتَه ، وقالوا : تعطّل علينا أسواقنا، وتذهب بمعاشنا[١] ، وتضيق منازلنا ، فهمّ بمحاربتهم ، وبعث إلى راهب فى الصَّوْمعة ، فقال : هل عندك علم أن يبنى ها هنا مدينة ؟ فقال له : بلغنى أنّ رجلا يقال له مِقلاص يبنيها ، قال : أنا مقلاص ؛ فبناها على بناء مدينة بَغْداد، سوَى السّور وأبواب الحديد وخندقٍ منفرد .

وذكِر عن السرىّ ، عن سليمان بن مجالد، أنّ المنصور وجّه فى حشْر الصنّاع والفَعَلة من الشأم والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة ، فأحضرُوا، وأمر باختيار قوم من ذوى الفصل والعَدَالة والفِقْه والأمانة والمعرفة بالهندسة ؛ فكان ممّن أحضر لذلك الحجاج بن أرطاة وأبوحنيفة النعمان بن ثابت ، وأمر بخطّ المدينة وحفر الأساسات ، وضرب اللّبِن وطبخ الآجرّ ، فبدئ بذلك؛ وكان أول ما ابتدئ به فى عملها سنة خمس وأربعين ومائة .

٣/٢٧٧ وذكِر أن المنصور لما عزم على بنائها أحبّ أن ينظر إليها عَيانًا ، فأمر أن يخطّ بالرّماد ، ثم أقبل يدخل من كلّ باب ، ويمرّ فى فُصلانها وطاقاتها ورحابها ؛ وهى مخطوطة بالرّماد ، ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خطّ من خنادقها ؛ فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حبّ القطن ، وينصب عليه النِّفْط ، فنظر إليها والنار تشتعل ، ففهمها وعرف رسمها ، وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ، ثم ابتدئ فى عملها .

وذُكِر عن حمّاد التركىّ أنّ المنصور بعثَ رجالا يطلبون له موضعًا يبنى فيه المدينة ، فطلبوا ذلك فى سنة أربع وأربعين ومائة، قبل خروج محمد بن عبد الله بسنَة أو نحوها ، فوقع اختيارهم على موضع بغداد ؛ قرية على شاطئ الصراة ؛ مما يلِى الخُلْد ، وكان فى موضع بناء الخُلْد دَيْر ، وكان فى قَرْن الصَّرَاة مما يلى الخُلْد من الجانب الشرقىّ أيضًا قرية ودَيْر كبير كانت تسمّى سوق البقر ؛ وكانت القرية تسمى العتيقة ؛ وهى التى افتتحها المثنّى بن حارثة الشيبانىّ ، قال : وجاء المنصور ، فنزل الدّيْر الذى فى موضع الخُلْد على الصَّراة ، فوجده قليل البقّ ، فقال : هذا موضع أرضاه ، تأتيه المِيرة من

---

(١) ب : « بمعايشنا » .

الفُرات ودِجْلة ، ويصلح أن تبتنى فيه مدينة ؛ فقال للراهب الذى فى الدير : يا راهب ، أريد أن أبنى ها هنا مدينة ، فقال : لا يكون ، إنما يَبْنى ها هنا ملك يقال له أبو الدوانيق ؛ فضحك المنصور فى نفسه ، وقال : أنا أبو الدوانيق . ٣/٢٧٨
وأمر فخُطّت المدينة ، ووكّل بها أربعة قوّاد ، كلّ قائد بربع .

وذُكِر عن سليمان بن مجالد ، أنّ المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء ، فامتنع من ذلك ، فحلف المنصور أن يتولّى له ، وحلف أبو حنيفة ألّا يفعل ، فولّاه القيام ببناء المدينة وضرْب اللَّبِن وعدّه ، وأخْذ الرجال بالعمل . قال : وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه ؛ قال : وكان أبو حنيفة المتولّى لذلك ، حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلى الخندق ، وكان استتمامه فى سنة تسع وأربعين ومائة .

وذُكِر عن الهيثم بن عدىّ ، أن المنصور عرضَ على أبى حنيفة القضاء والمظالم فامتنع ، فحلَف ألّا يُقلع عنه حتى يعمل ، فأخبِر بذلك أبو حنيفة ، فدعا بقصَبة ، فعدّ اللبِن على رجل قد لبَّنه ، وكان أبو حنيفة أوّل مَنْ عدّ اللّبِن بالقصب ؛ فأخرَج أبا جعفر عن يمينه ، واعتلّ فمات ببغداد .

وقيل : إنّ أبا جعفر لما أمر بحفر الخندق وإنشاء البناء وإحكام الأساس ؛ أمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعًا ، وقدّر أعلاه عشرين ذراعًا ، وجعل فى البناء جوائز قَصَب مكان الخشب ، فى كل طرقة ؛ فلمّا بلغ الحائط مقدار قامة — وذلك فى سنة خمس وأربعين ومائة — أتاه خبر خروج محمد فقطع البناء .

وذكر عن أحمد بن حميد بن جبلة ، قال : حدّثنى أبى ، عن جدّى جبلة ، قال : كانت مدينة أبى جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديّين ، يقال لها المباركة ، وكانت لستين نفسًا منهم ، فعوّضهم منها وأرضاهم ، فأخذ جدّى قسمة منها .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور ، أنّ حماداً التركىّ قال : كان حول مدينة أبى جعفر قرًى قبل بنائها ؛ فكان إلى جانب باب الشأم قرية ٣/٢٧٩

يقال لها الخَطابية ، على بابَ درْب النُّورة ، إلى درب الأقفاص ، وكان بعض نخلها فى شارع باب الشأم ، إلى أيام المخلوع فى الطريق ، حتى قطع فى أيام الفِتْنة ، وكانت الخطّابية هذه لقوم من الدّهاقين ، يقال لهم بنو فَرْوة وبنو قنورا ؛ منهم إسماعيل بن دينار ويعقوب بن سليمان وأصحابهم .

وذُكِر عن محمد بن موسى بن الفرات أنّ القرية التى فى مربّعة أبى العباس كانت قرية جدّه من قِبَل أمّه ، وأنهم من دهاقين يقال لهم بنو زُرارى ؛ وكانت القرية تسمى الوردانيّة ، وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلى مربعة أبى فروة .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن المعروفة اليوم بدار سعيد الخطيب كانت قرية يقال لها شرَفانيّة ، ولها نخيل قائم إلى اليوم مما يلى قنطرة أبى الجَوْن ، وأبو الجون من دَهاقين بغداد من أهل هذه القرية .

وذُكِر أن قطيعة الربيع كانت مزارع للناس من قرية يقال لها بناورى من رُستاق الفِرْوسَيجَ من بادُوريا .

٣/٢٨٠ وذكر عن محمد بن موسى بن الفرات ، أنه سمع أباه أو جدّه — شك راوى ذلك عنه — يقول : دخل علىّ رجل من دهاقين بادُوريا وهو مخرّق الطَّيْلسان ؛ فقلت له : مَنْ خرّق طيلسانك ؟ قال : خُرِق والله فى زحمة الناس اليوم ، فى موضِع طالما طردت فيه الأرانب والظباء — يريد باب الكرخ .

ويقال : إن قطيعة الربيع الخارجة إنما هى أقطاع المهدىّ للربيع ، وأنّ المنصور إنما كان أقطعه الداخلة .

وقيل : إن نهر طابق كسروىّ ، وأنه نهر بابك بن بهرام بن بابك ، وأن بابك هذا هو الذى اتّخذ العَقْر الذى عليه قصر عيسى بن علىّ ، واحتفر هذا النهر .

وذكر أنّ فُرْضة جعفر إقطاع من أبى جعفر لابنه جعفر ، وأن القنطرة العتيقة من بناء الفرس .

وذكر عن حماد التركىّ ، قال : كان المنصور نازلا بالدّير الذى على شاطئ دجلة بالموضع المعروف بالخُلْد ، ونحن فى يوم صائف شديد الحرّ

فى سنة خمس وأربعين ومائة ؛ وقد خرجت فجلستُ مع الربيع وأصحابه ، إذ جاء رجل ، فجاوز الحرس إلى المقصورة ، فاستأذن فآذنّا المنصور به ، وكان معه سلم بن أبى سَلْم ، فأذن له فخبّره بخروج محمد ، فقال المنصور : نكتب الساعة إلى مصر أن يقطع عن الحرَمَيْن المادة ، ثم قال : إنما هم فى مثل حَرَجَة ، إذا انقطعت عنهم المادّة والميرة من مِصْر . قال : وأمر بالكتاب إلى العباس بن محمد — وكان على الجزيرة يخبره بخبر محمد — وقال : إنى راحل ساعة كتبتُ إلى الكوفة ، فأمدّنى فى كلّ يوم بما قدرتَ عليه من الرّجال من أهل الجزيرة . وكتب بمثل ذلك إلى أمراء الشأم، ولو أن يَرِد علىّ فى كل يوم رجل واحد أكثر به مَنْ معى من أهل خراسان، فإنه إن بلغ الخبر الكذّاب انكسر . قال : ثم نادى بالرّحيل من ساعته، فخرجنا فى حرّ شديد حتى قدم الكوفة ، ثم لم يزل بها حتى انقضت الحرب بينه وبين محمد وإبراهيم ، فلما فرغ منهما[1] رجع إلى بغداد . ٣/٢٨١

وُذكِر عن أحمد بن ثابت ، قال : سمعتُ شيخًا من قريش يحدّث أنّ أبا جعفر لما فصَل من بغداد، متوجّهًا نحو الكوفة ، وقد جاءه البريد بمخرَج محمد بن عبد الله بالمدينة ، نظر إليه عثمان بن عُمارة بن حريم وإسحاق بن مسلم العقيلىّ وعبد الله بن الربيع المدانىّ — وكانوا من صحابته — وهو يسير على دابّته وبنو أبيه حوله . فقال عثمان : أظنّ محمدًا خائبًا ومن معه من أهل بيته؛ إنّ حَشو ثياب هذا العباسىّ لمكرٌ ونُكر ودهاء ؛ وإنه فيما نصب له محمد من الحرب لكما قال ابن جِذْل الطّعان :

فكَمْ من غارة ورَعيل خَيْلٍ ... تداركها وقد حَمِىَ اللّقاءُ
فردّ مخيلَها حَتّى ثناها ... بأَسْمَر ما يُرَى فِيهِ التواءُ

قال : فقال إسحاق بن مسلم : قد والله سبرتُه ولمست عودَه فوجدته خشِنًا ، وغمزته فوجدته صليبًا ، وذقته فوجدته مُرًّا ؛ وأنه ومَنْ حوله من بنى أبيه لكما قال ربيعة بن مُكدّم :

سَمَا لِىَ فُرْسانٌ كأَنَّ وجوهَهُمْ ... مصابيح تَبْدُو فى الظلام زَوَاهِرُ

---

(١) ب : « منها » .

يَقُودُهُمُ كَبْشٌ أَخُو مُصْمَئِلَّةٍ عَبُوسُ السُّرَى قَدْ لَوَّحتْه الهَوَاجِرُ

٢٨٢/٣ قال : وقال عبد الله بن الربيع : هو ليث خيس ، ضَيْغم شموس ، للأقران مفترس ، وللأرواح مختلس ؛ وأنه يهيج من الحرب كما قال أبو سفيان بن الحارث :

وَإِنَّ لَنَا شيخاً إذا الحربُ شَمَّرتْ بَدِيهَتُهُ الإِقْدَامُ قَبْلَ النوافِرِ

قال : فمضى حتّى سار إلى قصر ابن هُبيرة ، فنزل الكوفة ووجّه الجيوش ، فلما انقضت الحرب ، رجع إلى بغداد فاستتمّ بناءها .

* * *

[ذكر الخبر عن ظهور إبراهيم بن محمد ومقتله]

وفى هذه السنة ظهرَ إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، أخو محمد بن عبد الله ابن حسن بالبصرة ؛ فحارب أبا جعفر المنصور . وفيها قتل أيضًا .

* ذكر الخبر عن سبب مخرجه وعن مقتله وكيف كان :

فذُكر عن عبيد الله بن محمد بن حفص ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لما أخذ أبو جعفر عبدَ الله بن حسن ، أشفق محمد وإبراهيم من ذلك ، فخرجا إلى عدَن ، فخافا بها ، وركبا البحر حتى صارا إلى السِّنْد ، فسعى بهما إلى عمر بن حفص ، فخرجا حتى قدِما الكوفة وبها أبو جعفر .

وذكر عمر بن شبّه أنّ سعيد بن نوح الضُّبَعِيّ ؛ ابن ابنة أبى الساج الضُّبَعيّ ، حدّثه قال : حدثتنى منة بنت أبى المنهال ، قالت : نزل إبراهيم فى الحىّ من بنى ضُبَيعة فى دار الحارث بن عيسى ، وكان لا يرى بالنهار ، وكانت معه أمّ ولد له ؛ فكنت أتحدث إليها ، ولا ندرى مَنْ هم ؛ حتى
٢٨٣/٣ ظهر فأتيتها ، فقلت : إنك لصاحبتى ؟ فقالت : أنا هى ؛ لا والله ما أقرّتنا الأرض منذ خمس سنين ؛ مرّة بفارس ، ومرّة بكَرْمان ، ومرّة بالحجاز ، ومرّة باليمن .

قال عمر : حدثنى أبو نعيم الفضل بن دُكين ، قال : حدّثنى مطهر ابن الحارث ، قال : أقبلنا مع إبراهيم من مكة نريد البصرة ؛ ونحن عشرة ،

فصحبنا أعرابىّ فى بعض الطريق ، فقلنا له : ما اسمك ؟ قال : فلان بن أبى مصاد الكلبىّ ، فلم يفارقنا حتى قربنا من البصرة ؛ فأقبل علىّ يومًا ، فقال : أليس هذا إبراهيم بن عبد الله بن حسن ؟ فقلت : لا ، هذا رجل من أهل الشأم ؛ فلما كنّا على ليلة من البصرة ، تقدّم إبراهيم وتخلّفنا عنه ، ثم دخلنا من غدٍ .

قال عمر : وحدّثنى أبو صفوان نصر بن قُديد بن نصر بن سيار ؛ قال : كان مقدم إبراهيم البصرة فى أول سنة ثلاث وأربعين ومائة ، منصرَف الناس من الحجّ ؛ فكان[1] الذى أقدمه وتولّى كِراءه وعادله فى محمَله يحيى بن زياد ابن حسان النَّبطىّ ، فأنزله فى داره فى بنى لَيْث ، واشترى له جارية أعجمية سِنْدّية ، فأولدها ولدًا فى دار يحيى بن زياد ؛ فحدّثنى ابن قُديد ابن نصر ، أنه شهِد جنازة ذلك المولود ، وصلى عليه يحيى بن زياد .

قال : وحدّثنى محمد بن معروف ، قال : حدّثنى أبى ، قال : نزل إبراهيم بالخيار من أرض الشأم على آل القعقاع بن خُليد العبسىّ ، فكتب الفضل بن صالح بن علىّ — وكان على قنّسرين — إلى أبى جعفر فى رقْعة أدرجها فى أسفل كتابه ، يخبره خبرَ إبراهيم ، وأنه طلبه فوجده قد سبقه منحدراً إلى البَصْرة ؛ فورد الكتاب على أبى جعفر ، فقرأ أوّلَه فلم يجد إلاّ السلامة ، فألقى الكتاب إلى أبى أيوّب المورِيانىّ ، فألقاه فى ديوانه ؛ فلما أرادوا أن يجيبوا ٣/ ٢٨٤
الوُلاة عن كتبهم فتح أبان بن صدقة — وهو يومئذ كاتب أبى أيوب — كتاب الفضْل ؛ لينظر فى تأريخه ، فأفضى إلى الرّقْعة ؛ فلما رأى أوّلها : «أخْبِرُ أمير المؤمنين» ، أعادها فى الكتاب ، وقام إلى أبى جعفر ، فقرأ الكتاب ؛ فأمر بإذكاء العيون ووضع المراصِد والمسالح .

قال : وحدّثنى الفضل بن عبد الرحمن بن الفضل ، قال : أخبرنى أبى قال : سمعت إبراهيم يقول : اضطرّنى الطّلَب بالموصل حتى جلست على موائد أبى جعفر ، وذلك[2] أنه قدمها يطلبنى ، فتحيّرت ؛ فلفظتْنى الأرض ؛ فجعلت

---

(١) ب : «وكان» . (٢) ب : «وذاك» .

لا أجد مساغًا ، ووضع[١] الطلب والمراصد ؛ ودعا الناس إلى غَدائه ، فدخلت فيمن دخل ، وأكلت فيمن أكل ؛ ثم خرجت وقد كفّ الطلب .

قال : وحدّثنى أبو نُعيم الفضل بن دُكين ، قال : قال رجل لمطهر بن الحارث : مرّ إبراهيم بالكوفة ولقيتَه ، قال : لا والله ما دخلها قطّ؛ ولقد كان بالموصل ، ثم مرّ بالأنبار ، ثم ببغداد ، ثم بالمدائن والنّيل وواسط .

قال : وحدّثنى نصر بن قُديد بن نصر ، قال : كاتب إبراهيم قومًا من أهل العسكر كانوا يتشيّعون ؛ فكتبوا يسألونه الخروج إليهم ، ووعدوه الوثوب بأبى جعفر ؛ فخرج حتّى قدم عسكر أبى جعفر ، وهو يومئذ نازل ببغداد فى الدّيْر ، وقد خطّ بغداد ، وأجمع على البناء ؛ وكانت لأبى جعفر مِرآة ينظر فيها ، فيرى عدوّه من صديقه . قال : فزعم زاعمٌ أنه نظر فيها ، فقال : يا مسيّب ؛ قد والله رأيتُ إبراهيم فى عسكرى وما فى الأرض عدوّ أعدى لى منه ، فانظر ما أنت صانع !

٣/٢٨٥ قال : وحدّثنى عبد الله بن محمد بن البوّاب ، قال : أمر أبو جعفر ببناء قنطرة الصَّراة العتيقة ، ثم خرج ينظر إليها ، فوقعت عينُه على إبراهيم ، وخنَس[٢] إبراهيم ، فذهب فى الناس ، فأتى فاميًّا فلجأ إليه فأصعده غُرفة له . وجدّ أبو جعفر فى طلبه ، ووضع الرّصَد بكلّ مكان ، فنشب إبراهيم بمكانه الذى هو به ، وطلبه أبو جعفر أشدّ الطلب ، وخفِىَ عليه أمره .

قال : وحدّثنى محمد بن معروف ، قال : حدّثنى أبى — وحدّثنى نصر ابن قُديد ، قال : حدّثنى أبى قال ؛ وحدّثنى عبد الله بن محمد بن البواب وكَثير بن النّضر بن كثير وعمر بن إدريس وابن أبى سفيان العَمِىّ ؛ واتفقوا على جُلّ الحديث ، واختلفوا فى بعضه — أنّ إبراهيم لما نشب وخاف الرَّصَد كان معه رجل من بنى العمّ — قال عمر : فقال لى أبو صفوان[٣] ، يدعى رَوْح بن ثقف ، وقال لى ابن البوّاب : يكنى أبا عبد الله ، وقال لى الآخرون : يقال له سفيان بن حيّان بن موسى : قال عمر : وهو جد العمّىّ الذى حدثنى —

---

(١) ج : « وجعل » . (٢) خنس ، أى تأخر . (٣) ب : « يابن صفوان » .

قال : قلت لإبراهيم : قد نزل ما ترى ، ولا بدّ من التغرير والمخاطرة ، قال : فأنت وذاك ! فأقبل إلى الربيع ، فسأله الإذن ، قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا السفيان العمّيّ ، فأدخله على أبي جعفر ؛ فلما رآه شتمه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أنا أهلٌ لما تقول ؛ غير أني أتيتك نازعًا تائبًا ، ولك عندى كلّ ما تحبّ إن أعطيتني ما أسألك ، قال : وما لى عندك ؟ قال : آتيك بإبراهيم ابن عبد الله بن حسن ؛ إني قد بلوته وأهلَ بيته ؛ فلم أجد فيهم خيراً ، فما لى ٣/٢٨٦
عندك إن فعلت ؟ قال : كلّ ما تسأل ؛ فأين إبراهيم ؟ قال : قد دخل بغداد — أو هو داخلها عن قريب — قال عمر : وقال لى أبو صفوان ، قال : هو بعَبَنْدَسِي ، تركتُه في منزل خالد بن نهيك ، فاكتب لى جوازًا ولغلام لى ولفُرانق[1] واحملني على البريد . قال عمر : وقال بعضهم : وجّهْ معى جُنداً واكتب لى جوازاً ولغلام لى آتيكَ به . قال : فكتب له جوازًا ، ودفع إليه جنداً ، وقال : هذه ألف دينار فاستعِنْ بها ، قال : لا حاجة لى فيها فيها كلّها ؛ فأخذ ثلثمائة دينار ، وأقبل بها حتى أتى إبراهيم وهو في بيت ، عليه مدرّعة صوف وعمامة — وقيل بل عليه قَباء كأقبية العبيد — فصاح به : قم ؛ فوثب كالفزِع ؛ فجعل يأمره وينهاه حتى أتى المدائن ، فمنعه صاحب القنطرة بها ، فدفع إليه جوازه ، فقال : أين غلامك ؟ قال : هذا ؛ فلما نظر في وجهه ، قال : والله ما هذا غلامك ؛ وإنه لإبراهيم بن عبد الله بن حسن ، ولكن اذهبْ راشداً . فأطلقهما وهرب . قال عمر : فقال بعضهم : ركبا البريد حتى صارا[2] بعَبَنْدَسِي ، ثم ركبا السفينة حتى قدما البصرة فاختفيا بها . قال : وقد قيل : إنه خرج من عند أبي جعفر حتى قدم البصرة ، فجعل يأتي بهم الدارَ ، لها بابان ، فيقعد العشرة منهم على أحد البابيْن ، ويقول : لا تبرحوا حتى آتيَكم ، فيخرج من الباب الآخر ويتركهم ، حتى فرّق الجند عن نفسه ، وبقِيَ وحده ، فاختفى حتى بلغ الخبر سفيان بن معاوية ، ٣/٢٨٧
فأرسل إليهم فجمعهم ، وطلب العمّيّ فأعجزه .

قال عمر : وحدثني ابن عائشة ، قال : حدّثني أبي ، قال : الذى احتال

---

(١) الفرانق : الذى يدل صاحب البريد . (٢) ط : « سارا » .

لإبراهيم حتى أنجاهما منه عمرو بن شداد .

قال عمر : وحدثني رجل من أهل المدائن ، عن الحسن بن عمرو بن شدّاد ، قال : حدّثني أبي ، قال : مرّ بي إبراهيم بالمدائن مستخفياً ، فأنزلتُه داراً لي على شاطئ دِجْلة ، وسُعي بي إلى عامل المدائن ؛ فضربني مائة سَوْط، فلم أقرِر له ؛ فلما تركني أتيت إبراهيمَ فأخبرتُه ، فانحدر .

قال : وحدّثني العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد مولى الحجاج بن يوسف — وكان يحيى بن زياد ممّن سُبِي من عسكر قطريّ بن الفجاءة — قال : لما ظهر إبراهيم كنت غلاماً ابنَ خمس سنين ، فسمعتُ أشياخنا يقولون : إنه مرّ منحدراً يريد البصرة من الشأم ؛ فخرج إليه عبد الرحيم بن صفوان من موالي الحجاج ، ممن سُبِي من عَسْكر قَطَرِيّ ؛ قال : فمشى معه حتى عبّره المآصر ؛ قال : فأقبل بعضُ مَنْ رآه ، فقال : رأيتُ عبدَ الرحيم مع رجل شاطر ، محتجز بإزار[1] مُوَرّد ، في يده قَوس جُلاهِق[2] يرمي به ؛ فلما رجع عبد الرحيم سُئِل عن ذلك فأنكره ، فكان إبراهيم يتنكّر بذلك .

قال : وحدّثني نصر بن قُديد ، قال : لما قدم إبراهيم منصرَفه من بغداد ، نزل على أبي فَرْوة في كِنْدة فاختفى ، وأرسل إلى الناس يندبهم[3] للخروج .

٢٨٨/٣ قال عمر : وحدّثني عليّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم الأهوازيّ ، قال : حدّثني عبد الله بن الحسن بن حبيب ، عن أبيه ، قال : كان إبراهيم مختفياً عندي على شاطئ دُجَيْل ، في ناحية مدينة الأهواز ؛ وكان محمد ابن حُصين يطلبه ، فقال يوماً : إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ يخبرني أنّ المنجّمين يخبرونه أن إبراهيم بالأهواز نازل في جزيرة بين نهرين ، فقد طلبتُه في الجزيرة حتى وثِقت أنه ليس هناك — يعني بالجزيرة التي بين نهر الشاه جُرْد ودجَيْل — فقد اعتزمتُ أن أطلبه غداً في المدينة ، لعلّ أمير المؤمنين يعني بين دجيل والمسرقان ، قال : فأتيتُ إبراهيم ، فقلت له : أنت مطلوب غداً في هذه

---

(١) يقال : احتجز بالإزار ؛ إذا شده على وسطه . وأصل الحجزة : موضع شد الإزار .
(٢) في اللسان : « الجلاهق : البندق ؛ ومنه قوس الجلاهق ؛ وأصله بالفارسية : « جله » .
(٣) ج : « ينتدبهم » .

الناحية ، قال : فأقمت معه بقيّة يومى ، فلما غشيَنى الليل ، خرجت به حتّى أنزلته فى أدانى دشت أربُك دون الكثّ ؛ فرجعت من ليلتى ، فأقمت أنتظر محمداً أن يغدُوَ لطلبه ؛ فلم يفعل حتّى تصرّم النهار ، وقربت الشمس تغرُب ، فخرجتُ حتّى جئت إبراهيم ، فأقبلت به حتّى وافينا المدينة مع العشاء الآخرة ونحن على حماريْن ؛ فلما دخلنا المدينة فصرنا عند الجبل المقطوع ؛ لقيَنا أوائل خيل ابن حصين ، فرمى إبراهيم بنفسه عن حِماره وتباعد ؛ وجلس يبول ، وطَوَتنى الخيل ، فلم يعرّج علىّ منهم أحد ؛ حتّى صرت إلى ابن حُصين ؛ فقال لى : أبا محمد ؛ مِن أين فى مثل هذا الوقت ؟ فقلت : تمسَّيت[1] عند ٣/٢٨٩
أهلى ، قال : ألا أرسل معك مَنْ يبلِّغُك ؟ قلت : لا ، قد قرُبت من أهلى ؛ فمضى يطلب ، وتوجّهت على سَنَنِى حتّى انقطع آخر أصحابه ، ثم كررتُ راجعاً إلى إبراهيم ؛ فالتمست حماره حتّى وجدتُه ، فركب ، وانطلقنا حتّى بِتْنَا فى أهلنا ، فقال إبراهيم : تعلم والله لقد بُلت البارحة دماً ؛ فأرسِلْ من ينظر ، فأتيت الموضع الذى بال فيه ، فوجدته قد بال دماً .

قال : وحدّثنى الفضل بن عبد الرحيم بن سليمان بن علىّ ، قال : قال أبو جعفر : غَمَّضَ[2] علىّ أمر إبراهيم لمّا اشتملت عليه طفوفُ البصرة .

قال : وحدثنى محمد بن مسْعر بن العلاء ، قال : لما قدم إبراهيم البَصْرة ، دعا الناس ، فأجابه ... بن عمر بن موسى بن عبد الله بن خازم ، ثم ذهب بإبراهيم إلى النّضر بن إسحاق بن عبد الله بن خازم مختفياً ، فقال للنضر بن إسحاق : هذا رسول إبراهيم ، فكلّمه إبراهيم ودعاه إلى الخروج ، فقال له النّضر : يا هذا ، كيف أبايع صاحبك وقد عَنَّد جدّى عبد الله بن خازم عن جده علىّ بن أبى طالب ، وكان عليه فيمن خالفه ، فقال له[3] إبراهيم : دع سيرة الآباء عنك ومذاهبهم ؛ فإنما هو الدّين ؛ وأنا أدعوك إلى حقّ . قال : إنى والله ما ذكرتُ لك ما ذكرتُ إلا مازحاً ، وما ذاك الذى يمنعنى من نُصرة صاحبك ، ولكنى لا أرى القتال ولا أدينُ به . قال: وانصرف إبراهيم ؛

---

(١) ب : « تمشيت » . (٢) غمض على ، أى لم يتضح . وفى ط : « غمص » .
(٣) ساقطة من ب .

وتخلّف[1] موسى ، فقال : هذا والله إبراهيم نفسه ، قال : فبئس لعمر الله
٣/٢٩٠ ما صنعتَ ! لو كنتَ أعلمتني كلّمتُه غير هذا الكلام !

قال : وحدّثني نصر بن قديد ، قال : دعا إبراهيم الناس وهو فى دار أبى فَرْوة ، فكان أوّل مَن بايعه نُميلة بن مرّة وعفو الله بن سفيان وعبد الواحد ابن زياد وعمر بن سلمة الهجيميّ وعبيد الله بن يحيى بن حُضَين[2] الرّقاشيّ ، وندبوا الناس له ، فأجاب بعدهم فتيانٌ من العرب ؛ منهم المغيرة بن الفزع وأشباهٌ له ؛ حتى ظنوا أنه قد أحصى ديوانه أربعة آلاف ؛ وشهر أمرُه ، فقالوا: لو تحوّلت إلى وسط البصرة أتاك مَن أتاك وهو مُريح ؛ فتحوّل ونزل دار أبى مروان مولى بنى سليم — رجل من أهل نيسابور .

قال : وحدّثنى يونس بن نجدة ؛ قال : كان إبراهيم نازلاً فى بنى راسب على عبد الرحمن بن حرب ؛ فخرج من داره فى جماعة من أصحابه ؛ منهم عفو الله بن سفيان وبُرْد بن لبيد ؛ أحد بنى يَشْكر ، والمضاء التغلبيّ والطُّهَوىّ والمغيرة بن الفزع ونُميلة بن مرّة ويحيى بن عمرو الهُمانىّ ، فمرّوا على جُفْرة[3] بنى عَقيل حتى خرجوا على الطُّفاوة ، ثم مرّوا على دار كرزم ونافع إبليس[4] ، حتى دخلوا دار أبى مروان فى مقبرة بنى يَشْكر .

قال : وحدّثنى ابن عفو الله بن سفيان ، قال : سمعتُ أبى يقول : أتيتُ إبراهيمَ يوماً وهو مرعوب ؛ فأخبرنى أن كتاب أخيه أتاه يخبره أنه قد ظهر ،
٣/٢٩١ ويأمره بالخروج . قال : فوجَم من ذلك واغتمّ له ، فجعلت أسهّل عليه الأمر وأقول : قد اجتمع لك أمرُك ، معك المضاء والطُّهَوىّ والمغيرة ؛ وأنا وجماعة ؛ فنخرج إلى السجن فى الليل فنفتحه ؛ فتُصبح حين تصبح ومعك عالم من الناس ؛ فطابت نفسه .

قال : وحدّثنى سهل بن عَقيل بن إسماعيل ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لما ظهر محمد أرسل أبو جعفر إلى جعفر بن حنظلة البَهرانىّ — وكان ذا رأى — فقال : هاتِ رأيك ؛ قد ظهر محمد بالمدينة . قال : وجّه الأجناد إلى البصرة .

---

(١) ب : « وخلف » .
(٢) ط : « حصين » ، وانظر الفهرس .
(٣) الجفر : الحفرة الواسعة المستديرة .
(٤) كذا فى ط وفى هـ : « إمليس » .

قال : انصرفْ حتى أرسل إليك . فلما صار إبراهيم إلى البصرة ، أرسل إليه ، فقال : قد صار إبراهيم إلى البصرة ، فقال : إيَّاها خفتُ ! بادرْه بالجنود ، قال : وكيف خفتَ البصرة ؟ قال : لأن محمداً ظهر بالمدينة ، وليسوا بأهل حَرْب ، بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم ، وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشأم أعداء آل أبي طالب ؛ فلم يبق إلا البَصْرة . فوجّه أبو جعفر ابني عقيل — قائدين من أهل خُراسان من طيّئ — فقدما ، وعلى البصرة سفيان بن معاوية فأنزلهما .

قال : وحدّثني جوّاد[1] بن غالب بن موسى مولى بني عجل ، عن يحيى بن بُديل بن يحيى بن بُديل ، قال : لما ظهر محمد ، قال أبو جعفر لأبي أيوب وعبد الملك بن حميد : هل من رجل ذي رأي تعرفانه ، نجمع رأيه على رأينا ؟ قالا : بالكوفة بدُيل بن يحيى — وقد كان أبو العباس يشاوره — فأرسِلْ إليه ، فأرسل إليه ، فقال : إنّ محمداً قد ظهر بالمدينة ، قال : فاشحن الأهواز جندًا ، قال : قد فهمتُ ؛ ولكن الأهواز بابُهم الذي يُؤتَوْن منه ، قال : ٣/٢٩٢
فقبل أبو جعفر رأيه . قال : فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إلى بُديل ، فقال : قد صار إبراهيم إلى البصرة ، قال : فعاجله بالجُنْد وأشغِل[2] الأهواز عنه .

وحدّثني محمد بن حفص الدّمشقيّ ، مولى قريش قال : لما ظهر محمد شاور أبو جعفر شيخًا من أهل الشأم ذا رأي ، فقال : وجّه إلى البصرة أربعة آلاف من جُند أهل الشأم . فلها عنه ، وقال : خَرِف الشيخ ؛ ثم أرسل إليه ، فقال : قد ظهر إبراهيم بالبصرة ، قال : فوجّه إليه جنداً من أهل[3] الشأم ، قال : [4]ويلك ! ومن لي بهم[4] ! قال : اكتب إلى عاملك عليها يحمِل إليك في كلّ يوم عشرة على البريد ؛ قال : فكتب بذلك أبو جعفر إلى الشأم . قال عمر بن حفص : فإنّي لأذكر أبي يعطي الجندَ حينئذ ، وأنا أمسك له المصباح ، وهو يعطيهم ليلا ، وأنا يومئذ غلام شابّ .

---

(١) ب : « حمال » .
(٢) كذا في هـ ، وفي ط : « وأشغل الأهواز عليه » .
(٣) ب : « من جند » .
(٤ – ٤) ج : « ويحك من أبهم » .

قال : وحدّثنى سَهلُ بن عَقيل ، قال : أخبرنى سَلْم بن فرقد ، قال : لما أشار جعفر بن حنظلة على أبى جعفر بحدر جند الشأم إليه ، كانوا يقدمون أرسالا ؛ بعضهم على أثر بعض ؛ وكان يريد أن يروّع بهم أهل الكوفة ؛ فإذا جنّهم الليل فى عسكره أمرهم فرجعوا منكبين عن الطريق ، فإذا أصبحوا دخلوا ، فلا يشكّ أهل الكوفة أنهم جند آخرون سوى الأوّلين .

حدّثنى عبد الحميد — وكان من خَدَم أبى العباس — قال : كان محمد ابن يزيد من قوّاد أبى جعفر ؛ وكان له دابّةٌ شِهْرِىّ[1] كُمَيت ، فربما ٢٩٣/٣ مرّ بنا ونحن بالكوفة وهو راكبُه ، قد ساوى رأسُه رأسَه ، فوجّهه أبو جعفر إلى البصرة ، فلم يزل بها حتّى خرج إبراهيم فأخذه فحبسه .

حدثنى سعيد بن نوح بن مجالد الضُّبَعىّ ، قال : وجّه أبو جعفر مجالداً ومحمداً ابنى يزيد بن عمران من أهل أبِيوَرْد قائدين ، فقدم مجالد قبل محمد ، ثم قدم محمد فى الليلة التى خرج فيها إبراهيم ، فثبّطهما سُفيان وحبسهما عنده فى دار الإمارة حتى ظهر إبراهيم فأخذهما ، فقيّدهما ؛ ووجّه أبوجعفر معهما قائداً من عَبْد القيس يدعى معَمرًا .

حدّثنى يونس بن نجدة ، قال : قدم على سفيان مجالدُ بن يزيد الضُّبَعىّ من قِبَل أبى جعفر فى ألْف وخمسمائة فارس وخمسمائة راجل .

حدّثنى سعيد بن الحسن بن تَسنيم بن الحَوارِىّ بن زياد بن عمرو بن الأشرف ، قال : سمعتُ من لا أحصى من أصحابنا يذكرون أنّ أبا جعفر شاور فى أمر إبراهيم ، فقيل له : إن أهل الكوفة له شِيعة ، والكوفة قِدْر تفُور ؛ أنت طَبَقُها ، فاخرج حتى تنزلها . ففعل .

حدّثنى مسلم الخصىّ مولى محمد بن سليمان ، قال : كان أمْرُ إبراهيم وأنا ابن بضع عشرة سنة ؛ وأنا يومئذ لأبى جعفر ، فأنزلَنا الهاشميّة بالكوفة ونزل هو بالرّصافة فى ظهر الكوفة ؛ وكان جميع جنده الذين فى عسكره نحواً من ألف وخمسمائة ؛ وكان المسيّب بن زهير على حَرَسه ، فجزّأ الجند ثلاثة

---

(١) فى اللسان : «الشهرية : ضرب من البراذين ؛ وهو بين البرذون والمقرف من الخيل» .

أجزاء : خمسمائة ، خمسمائة ، فكان يطوف الكوفة كلّها فى كلّ ليلة ، وأمر مناديًا فنادى : مَنْ أخذناه بعد عَتَمَة فقد أحلّ بنفسه ؛ فكان إذا أخذ ٣/٢٩٤
رجلاً بعد عَتَمة لفّه فى عَباءة وحمله ، فبيّته عنده ، فإذا أصبح سأل عنه ، فإن علم براءته أطلقه ، وإلا حبسه .

قال : وحدّثنى أبو الحسن الحذّاء ، قال : أخذ أبو جعفر الناس بالسّواد ، فكنت أراهم يصبغون ثيابهم بالمداد .

وحدثنى علىّ بن الجعْد ، قال : رأيتُ أهلَ الكوفة أيامئذ أخِذُوا بلُبس الثياب السود حتى البقّالين ، إنّ أحدهم ليصبغ الثوب بالأنقاس ثم يلبسه .

وحدثنى جوّاد بن غالب ، قال : حدثنى العباس بن سَلْم مولى قَحْطبة ، قال : كان أمير المؤمنين أبو جعفر إذا اتّهم أحدًا من أهل الكوفة بالميْل إلى إبراهيم أمر أبى سلماً بطلبه ؛ فكان يمهل حتى إذا غَسَق الليل ، وهدأ الناس ، نصبُ سلّما على منزل الرجل فطرقه فى بيته حتى يخرجه فيقتله ؛ ويأخذ خاتمه . قال أبو سهل جوّاد : فسمعت جميلاً مولى محمد بن أبى العباس يقول للعباس بن سلم : والله لو لم يورّثك أبوك إلا خواتيم مَن قُتِل من أهل الكوفة كنت أيسرَ الأبناء .

حدّثنى سهل بن عَقيل ، قال : حدثنى سلم بن فَرْقد حاجب سليمان بن مجالد ، قال : كان لى بالكوفة صديق ، فأتانى — فقال : أبا هذا ، اعلم أن أهل الكوفة معِدّون للوثوب بصاحِبكم ، فإن قدرت على أن تبوّئ أهلك مكاناً حريزًا فافعل ، قال : فأتيتُ سليمان بن مجالد ، فأخبرته الخبر ؛ فأخبر أبا جعفر — ولأبى جعفر عين من أهل الكوفة من الصّيارفة يدعى ابن مقرّن — ٣/٢٩٥
قال : فأرسل إليه ، فقال : ويحك ! قد تحرّك أهل الكوفة ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، أنا عذيرك منهم ، قال : فركن إلى قوله ، وأضرب عنهم .

وحدثنى يحيى بن ميمون من أهل القادسيّة ، قال : سمعت عِدّة من أهل القادسية يذكرون أن رجلاً من أهل خراسان ، يكنى أبا الفضل ، ويسمّى فلان ابن معقل ، وُلّىَ القادسية ليمنع أهل الكوفة إتيان إبراهيم ؛ وكان

الناس قد رصدوا فى طريق البصرة ، فكانوا يأتون القادسيّة ثم العُذَيْب ، ثم وادىَ السباع ، ثم يعدلون ذات اليَسار فى البرّ ، حتى يقدموا البصرة . قال : فخرج نفرٌ من الكوفة اثنا عشر رجلا ؛ حتى إذا كانوا بوادى السباع لقيَهم رجل من موالى بنى أسد ، يسمَّى بكراً ، من أهل شرَاف ، دون واقصَة بميلين من أهل المسجد الذى يدعى مسجد الموالى — فأتى ابن معقل فأخبره ، فاتّبعهم فأدركهم بخَفّان — وهى على أربعة فراسخ من القادسيّة — فقتلهم أجمعين .

حدّثنى إبراهيم بن سَلْم ، قال : كان الفُرافصة العجلىّ قد همّ بالوثوب بالكوفة ، فامتنع لمكان أبى جعفر ونزوله بها ؛ وكان ابن ماعز الأسدىّ يبايعُ لإبراهيم فيها سرًّا .

حدّثنى عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعت إسماعيل بن موسى البَجَلىّ وعيسى بن النَّضْر السَّمَّانيْنِ وغيرهما يخبرون أن غَزوانَ كان لآل القعقاع بن ضِرار ، فاشتراه أبو جعفر ، فقال له يومًا : يا أميرَ المؤمنين ؛ هذه سفُن
٣/٢٩٦ منحدرة من الموصِل فيها مبيِّضةٌ تريد إبراهيم بالبصرة ، قال : فضمّ إليه جنداً ، فلقيهم بباحَمْشا بين بغداد والموصل فقتلهم أجمعين ؛ وكانوا تجارًا فيهم جماعة من العُبّاد من أهل الخير [1] وغيرهم ، وفيهم رجل يُدعى أبا العرفان من آل شعيب السَّمّان ، فجعل يقول : ويلك يا غزوان ! ألست تعرفنى ! أنا أبو العرفان جارك ؛ إنما شخصتُ برقيق فبعتُهم ؛ فلم يقبل وقتلهم أجمعين وبعث برءوسهم إلى الكوفة ، فنصبت ما بين دار إسحاق الأزرق إلى جانب دار عيسى بن موسى إلى مدينة ابن هبيرة . قال أبو أحمد عبد الله بن راشد : فأنا رأيتها منصوبةً على كوم التراب .

قال : وحدّثنا أبو علىّ القَدّاح ، قال : حدّثنى داود بن سليمان ونيبخت وجماعة من القدّاحين ، قالوا : كنّا بالموصِل ، وبها حرْب الراوندىّ رابطة فى ألفين ، لمكان الخوارج بالجزيرة ، فأتاه كتاب أبى جعفر يأمره بالقفل إليه ؛ فشخص ؛ فلما كان بباحَمْشا اعترض له أهلها ، وقالوا : لا نَدَعُك تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم ، فقال لهم : ويحكم ! إنى لا أريد بكم

(١) ج : « الخيرة » .

سوءاً ؛ إنما أنا مارٌّ، دعونى . قالوا : لا والله لا تجوزنا أبداً ، فقاتلهم فأبارهم[1] ، وحَمل منهم خمسمائة رأس ، فقدم بها على أبى جعفر ، وقصّ عليه قصتهم . قال أبو جعفر : هذا أوّل الفتح .

وحدّثنى خالد بن خِداش بن عَجْلان مولى عمر بن حفص، قال : حدّثنى جماعة من أشياخنا أنهم شهدوا دفيف بن راشد مولى بنى يزيد بن ٣/٢٩٧ حاتم ، أتى سفيانَ بن معاوية قبل خروج إبراهيم بليلة ، فقال : ادفع إلىّ فوارس آتك بإبراهيم أو برأسه . قال أوَما لك عمل ! اذهب إلى عملك . قال : فخرج دفيف من ليلته فلحق بيزيد بن حاتم وهو بمصر .

وحدّثنى خالد بن خِداش ، قال : سمعت عدّة من الأزْد يحدثون عن جابر بن حماد — وكان على شُرْطة سفيان — أنه قال لسفيان قبل خروج إبراهيم بيوم : إنى مررت فى مقبرة بنى يشكُر ، فصيَّحوا بى ورمونى بالحجارة ، فقال له : أما كان لك طريق !

وحدثنى أبو عمر الحوْضىّ حفص بن عمر ، قال : مرّ عاقب صاحب شرَط سفيان يوم الأحد قبل ظهور إبراهيم بيوْم ، فى مقبرة بنى يشكُر ، فقيل له : هذا إبراهيم يريد الخروج، فقال : كذبتم، ولم يعرّج على ذلك !

قال أبو عمر الحوضىّ: جعل أصحاب إبراهيم ينادون سفيان وهو محصور : اذكر بيعتَكَ فى دار المخزوميّين .

قال أبو عمر : وحدّثنى محارب بن نصر ، قال: مرّ سفيان بعد قتل إبراهيم فى سفينة وأبو جعفر مُشرِفٌ من قصره ، فقال: إنّ هذا لسفيان؟ قالوا : نعم ، قال : والله للعَجب ! كيف يفلتنى ابن الفاعلة ! قال الحوْضىّ: قال سفيان لقائد من قوّاد إبراهيم : أقِمْ عندى ، فليس كل أصحابك يعلم ما كان بينى وبين إبراهيم .

قال : وحدّثنى نصر بن فرقد، قال : كان كَرْزَم السَّدوسىّ يغدو على سفيان بخبر إبراهيم ويروح ، ويُعْلمه مَنْ يأتيه فلا يعرض له ، ولا يتبع له أثراً .

---

(١) ج : « فأثارهم » .

وذكر أن سفيان بن معاوية كان عامل المنصور أيّامئذ على البصرة ،
٣/٢٩٨ وكان قد مالأ إبراهيم بن عبد الله على أمرِه فلا ينصح لصاحبه .

* * *

اختلف فى وقت قدوم إبراهيم البصرة فقال بعض : كان قدومه إياها أول يوم من شهر رمضان فى سنة خمس وأربعين ومائة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : لما ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن ، وغلّب على المدينة ومكة ، وسُلِّم عليه بالخلافة ، وجّه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة ، فدخلها فى أوّل يوم من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، فغلب عليها ، وبيّض بها وبيّض بها أهل البصرة معه ، وخرج معه عيسى بن يونس ومُعاذ بن معاذ بن العوّام وإسحاق بن يوسف الأزرق ومعاوية بن هشام ، وجماعة كثيرة من الفُقهاء وأهل العلم ؛ فلم يزلْ بالبصرة شهر رمضان وشوّالا ، فلما بلغه قتلُ أخيه محمد بن عبد الله تأهّب واستعدّ ، وخرج يريد أبا جعفر بالكوفة .

وقد ذكرنا قول من قال : كان مقدم إبراهيم البصرة فى أول سنة ثلاث وأربعين ومائة ، غير أنه كان مقيماً بها ، مختفياً يدعو أهلها فى السرّ إلى البيعة لأخيه محمد ، فذكر سهل بن عَقيل ، عن أبيه ، أنّ سفيان كان يرسل إلى قائدين كانا قدِما عليه من عند أبى جعفر مدداً له قبل ظهور إبراهيم ،
٣/٢٩٩ فيكونان عنده ؛ فلما وعده إبراهيم بالخروج أرسل إليهما فاحتبسهما عنده تلك الليلة حتى خرَج ، فأحاط به وبهما فأخذهم[1] .

وحُدّثت عن محمد بن معروف بن سويد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : وجّه أبو جعفر مجالداً ومحمداً ويزيد ؛ قوّاداً ثلاثة كانوا إخوة قبل ظهور إبراهيم ، فقدّموا جندهم ، فجعلوا يدخلون البصرة تَترَى ، بعضهم على أثر بعض ، فأشفق إبراهيم أن يكثروا بها ، فظهر .

(١) ط : «فأخذهما» ، وما أثبته من ب .

وذكر نصر بن قديد ، أنّ إبراهيم خرج ليلة الاثنين لغرّة شهر رمضان من سنة خمس وأربعين ومائة ، فصار إلى مقبرة بنى يشكر فى بضعة عشر رجلاً فارساً ، فيهم عبيد الله بن يحيى بن حصين الرّقاشىّ . قال : وقدم تلك الليلة أبو حمّاد الأبرصُ مدداً لسفيان فى ألفى رجل ، فنزل الرّحبة إلى أن ينزلوا . فسار إبراهيم فكان أوّل شىء أصاب دوابّ أولئك الجند وأسلحتهم ، وصلّى بالناس الغداة فى المسجد الجامع ، وتحصّن سفيان فى الدّار ، ومعه فيها جماعة من بنى أبيه ، وأقبل الناس إلى إبراهيم مِنْ بين ناظر وناصر حتّى كثروا ، فلما رأى ذلك سفيان طلب الأمانَ ، فأجيب إليه ، فدسّ إلى إبراهيم مطهّر بن جويرية السَّدوسىّ ، فأخذ لسفيان الأمان، وفتح الباب ، ودخل إبراهيم الدّار ؛ فلما دخلها ألقى له حصير فى مُقَدَّم الإيوان(١) ، فهبّت ريح فقلبته ظهراً لبطن ؛ فتطيّر الناسُ لذلك ، فقال إبراهيم: إنا لا نتطيّر ، ثم جلس عليه مقلوباً والكراهة تُرَى فى وجهه؛ فلما دخل إبراهيم الدّار خلّى ٣ / ٣٠٠ عن كلّ مَنْ كان فيها — فيما ذكر — غير سفيان بن معاوية ؛ فإنه حبسه فى القصر وقيَّده قيداً خفيفاً ، فأراد إبراهيم — فيما ذكر — بذلك من فعله أن يُرِى أبا جعفر أنه عنده محبوس ، وبلغ جعفراً ومحمداً ابنى سليمان بن علىّ — وكانا بالبصرة يومئذ — مصيرُ إبراهيم إلى دار الإمارة وحبْسه سفيان ، فأقبلا — فيما قيل — فى ستمائة من الرّجالة والفرسان والنَّاشبة يريدانه ، فوجّه إبراهيم إليهما المضاء بن القاسم الجزرىّ فى ثمانية عشر فارساً وثلاثين راجلا ؛ فهزمهم المضاءُ . ولحق محمداً رجل من أصحاب المضاء فطعنه فى فخِذه ، ونادى منادٍ لإبراهيم : لا يُتبَع مدبر ؛ ومضى هو بنفسه حتّى وقف على باب زينب بنت سليمان ، فنادى بالأمان لآل سليمان ، وألّا يعرِض لهم أحد .

وذكر بكر بن كثير ؛ أنّ إبراهيم لما ظهر على جعفر ومحمد وأخذ البصرة ، وجَدَ فى بيت المال ستمائة ألف ، فأمر بالاحتفاظ بها — وقيل إنه وجد فى بيت المال ألفى درهم — فقوىَ بذلك ، وفرض لكلّ رجل خمسين خمسين ؛ فلما غلب إبراهيم على البصرة وجّه — فيما ذكر — إلى الأهواز رجلاً يُدعى الحسين

(١) ب : « الأبواب » .

ابن ثوْلاء ، يدعوهم إلى البيْعة ، فخرج فأخذ بيعتهم ؛ ثم رجع إلى إبراهيم . فوجه إبراهيم المغيرة فى خمسين رجلا ، ثم اجتمع إلى[1] المُغيرة لمّا صار إلى الأهواز تمام مائتى رجل . وكان عامل الأهواز يومئذ من قِبَل أبى جعفر محمد ابن الحصين ، فلما بلغ ابنَ الحصين دنوُّ المغيرة منه خرج إليه بمَنْ معه ، وهم – فيما قيل – أربعة آلاف ، فالتَقَوْا على مِيل من قَصَبة الأهواز بموضع
٣/٣٠١ يقال له دشت أربُك ، فانكشف ابن حصين وأصحابه، ودخل المغيرة الأهواز .

وقد قيل : إنّ المغيرة صار إلى الأهواز بعد شخوص إبراهيم عن البصرة إلى باخَمْرى

ذكر محمد بن خالد المربّعىّ ، أنّ إبراهيم لما ظهر على البصرة ثم أراد الخروج إلى ناحية الكوفة، استخلف على البصرة نُمَيْلة بن مرّة العبشَمىّ، وأمر بتوجيه المغيرة بن الفزع أحد بنى بَهْدلة بن عوْف إلى الأهواز، وعليها يومئذ محمد بن الحصين العبدىّ ، ووجّه إبراهيم إلى فارس عمرو بن شدّاد عاملاً عليها، فمرّ برامَ هرمز بيعقوب بن الفضل وهو بها، فاستتبعه؛ فشخص معه حتى قدم فارس، وبها إسماعيل بن علىّ بن عبد الله عاملاً عليها من قِبَل أبى جعفر، ومعه أخوه عبد الصّمد بن علىّ ، فلما بلغ إسماعيل بن علىّ وعبد الصمد إقبالُ عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل – وكانا بإصطَخْر – بادرا إلى دارَابْجِرْد، فتحصّنا بها ، فصارت فارس فى يد عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل ، فصارت البَصْرة والأهواز وفارس فى سلطان إبراهيم .

وحدِّثت عن سليمان بن أبى شيخ ، قال : لما ظهر إبراهيم بالبصرة، أقبل الحكم بن أبى غَيْلان اليشكرىّ فى سبعة عشر ألفًا حتى دخل واسطاً؛ وبها هارون بن حميد الإيادىّ من قِبَل أبى جعفر ، فدخل هارون تنوراً[2] فى القصر حتى أخرِج منه ، وأتى أهلُ واسط حفصَ بن عمر بن حفص بن عمر
٣/٣٠٢ ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، فقالوا له : أنت أولى مِنْ هذا المجيمىّ ؛ فأخذها حَفْص، وخرج منها اليشكُرىّ، وولّى حفص شُرَطه أبا مقرن الهُجيمىّ .

---

(١) ج : « مع » . (٢) ب : « فتوارى » .

وذكر عمر بن عبد الغفار بن عمرو الفُقَيْمىّ، ابن أخى الفضل بن عمرو الفُقيمىّ ، قال : كان إبراهيم واجدًا على هارون بن سعد ، لا يكلّمه ، فلما ظهر إبراهيم قدم هارون بن سعد ، فأتى سلم بن أبى واصل ، فقال له : أخبرنى عن صاحبك ، أما به إلينا حاجة فى أمره هذا ! قال : بلى لعمر الله . ثم قام فدخل على إبراهيم ، فقال : هذا هارون بن سعد قد جاءك ، قال : لا حاجة لى به ، قال : لا تفعل ؛ فى هارون تزهّد ؛ فلم يزل به حتى قبله ، وأذن له فدخل عليه ؛ فقال له هارون : استكفِنى أهمّ أمورك إليك ، فاستكفاه واسطاً ، واستعمله عليها .

قال سليمان بن أبى شيخ : حدثنى أبو الصعدىّ ، قال : أتانا هارون بن سعد العجلىّ من أهل الكوفة ، وقد وجهه إبراهيم من البصرة ، وكان شيخًا كبيراً ، وكان أشهر مَنْ معه من أهل البصرة الطُّهوىّ ، وكان معه ممن يشبه الطهوىّ فى نَجْدته من أهل واسط عبد الرحيم الكلبىّ ، وكان شجاعًا ؛ وكان ممن قدم به - أو قدم عليه - عبدويه كردام الخراسانىّ . وكان من فرسانهم صدقة بن بكار ، وكان منصور بن جُمهور يقول : إذا كان معى صدقة بن بكار فما أبالى مَنْ لقيت ! فوجّه أبو جعفر إلى واسط لحرب هارون بن سعد عامرَ بن إسماعيل المُسلىّ فى خمسة آلاف فى قول بعضهم ، وقال بعضهم : فى عشرين ألفًا ، وكانت بينهم وقعات .

٣ / ٣٠٢ وذكر عن ابن أبى الكرام ، أنه قال : قدمت على أبى جعفر برأس محمد ، وعامر بن إسماعيل بواسط محاصرٌ هارون بن سعد ، وكانت الحرب بين أهل واسط وأصحاب أبى جعفر قبل شخوص إبراهيم من البصرة ، فذكر سليمان بن أبى شيخ ، قال : عسكر عامر بن إسماعيل مِنْ وراء النيل ، فكانت أول حرب جرت بينه وبين هارون ، فضربه عبدٌ سقّاء وجرحه وصرعه وهو لا يعرفه ، فأرسل إليه أبو جعفر بظبية فيها صَمْغ عربىّ ؛ وقال : داوِ بها جراحتك ، فالتقوْا غير مرّة ، فقتِل من أهل البصرة وأهل واسط خلْق كثير ؛ وكان هارون ينهاهم عن القتال ، ويقول : لو لقى صاحبنا صاحبَهم تبيّن لنا الأمر ، فاستبقوا أنفسكم ؛ فكانوا لا يفعلون . فلما شخص إبراهيم إلى باخَمْرَى كفّ الفريقان من أهل واسط وعامر بن إسماعيل ؛ بعضُهم عن بعض ، وتوادعوا على

ترك الحرب إلى أن يلتقى الفريقان ، ثم يكونوا تبعًا للغالب ؛ فلما قتِل إبراهيم أراد عامر بن إسماعيل دخولَ واسط ، فمانعه أهلُها الدخول . قال سليمان : لما جاء قتلُ إبراهيم هرب هارون بن سعد ، وصالح أهلُ واسط عامر بن إسماعيل على أن يؤمنهم ، فلم يثق كثير منهم بأمانه ، فخرجوا منها ، ودخلها عامر بن إسماعيل ، وأقام بواسط فلم يُهِجْ أحداً .

وكان عامر — فيما ذكر — صالح أهلَ واسط على ألاّ يقتل أحداً بواسط ، فكانوا يقتلون كلّ مَنْ يجدونه من أهل واسط خارجًا منها ؛ ولما وقع الصُّلْح
٣/٢٠٤ بين أهل واسط وعامر بعد قتل إبراهيم هرب هارون بن سعد إلى البصرة ، فتوفِّىَ قبل أن يبلغها فيما ذكر .

وقيل إن هارون بن سعد اختفَى ، فلم يزل مختفيًا حتى ولى محمد بن سليمان الكوفة ، فأعطاه الأمان ، واستدرجه حتى ظهر ، وأمره أن يفرض لمائتين من أهل بيته ؛ فهمّ أن يفعل ، وركب إلى محمّد ، فلقيه ابن عمّ له ، فقال له : أنت مخدوع ، فرجع فتوارى حتى مات ، وهدم محمد بن سليمان داره .

قال : ولم يزل إبراهيم مقيمًا بالبصرة بعد ظهوره بها ، يفرّق العمال فى النواحى ويوجّه الجيوش إلى البلدان ؛ حتى أتاه نعىُ أخيه محمد ؛ فذكر نصر بن قُديد ؛ قال : فرض إبراهيم فروضًا بالبصرة ، فلما كان قبل الفِطْر بثلاثة أيام ، أتاه نعىّ أخيه محمد ؛ فخرج بالناس إلى العيد ، وهم يعرفون فيه الانكسار ، وأخبر الناسَ بقتل محمد ؛ فازدادوا فى قتال أبى جَعْفر بصيرةً ، وأصبح من الغدِ فعسكر ، واستخلف نُمَيلَة على البَصْرة ، وخلّف ابنه حسنًا معه .

قال سعيد بن هريم : حدثنى أبى ، قال : قال علىّ بن داود : لقد نظرت إلى الموت فى وجه إبراهيم حين خطبَنَا يوم الفطر ، فانصرفتُ إلى أهلى فقلت : قتِل والله الرجل !

وذكر محمد بن معروف ، عن أبيه أن جَعفراً ومحمداً ابنى سليمان لما شخصا من البصرة ، أرسلاه إلى أبى جعفر ليخبرَه خبر إبراهيم ، قال : فأخبرتُه خبرهما ، فقال : والله ما أدرى كيف أصنع ! والله ما فى عسكرى إلا ألفا رجل ؛ فرّقت جندى ، فمع المهدىّ بالرّىّ ثلاثون ألفاً ، ومع محمد بن الأشعث

٣/ ٣٠٥ بإفريقيّة أربعون ألفًا والباقون مع عيسى بن موسى ؛ والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكرى ثلاثون ألفاً .

وقال عبد الله بن راشد : ما كان فى عسكر أبى جعفر كثيرُ أحد ؛ ما هم إلا سودان وناسٌ يسير ؛ وكان يأمر بالحطَب فيحزمَ ثم يوقَد بالليل، فيراه الرائى فيحسِب أن هناك ناسًا ؛ وما هى إلاّ نار تضرَم ، وليس عندها أحد .

قال محمد بن معروف بن سويد : حدّثنى أبى ، قال : لما ورد الخبر على أبى جعفر ، كتب إلى عيسى بن موسى وهو بالمدينة : إذا قرأتَ كتابى هذا فأقبل ودَعْ كلّ ما أنت فيه ؛ قال : فلم ينشب أن قدم ، فوجّهه على الناس . وكتب إلى سلْم بن قتيبة فقدِم عليه من الرّىّ ، فضمّه إلى جعفر ابن سليمان .

فذكر عن يوسف بن قتيبة بن مسلم ، قال : أخبرنى أخى سلْم بن قتيبة ابن مسلم ، قال : لما دخلتُ على أبى جعفر قال لى : اخرج ؛ فإنه قد خرج ابنا عبد الله ، فاعمد لإبراهيم ولا يروعنّك جمعُه ؛ فوالله إنهما جملا بنى هاشم المقتولان جميعًا ؛ فابسط يدك،وثِقْ بما أعلمتك ، وستذكر مقالتى لك . قال : فوالله ما هو إلا أن قُتِل إبراهيم ، فجعلت أتذكر مقالته فأعجب .

قال سعيد بن سلم:فاستعمله على ميسرة الناس،وضمّ إليه بشار بن سلم العقيلىّ وأبا يحيى بن خُرَيم وأبا هُراسة سنان بن مخيّس القشيرىّ،وكتب سلم إلى البصرة فلحقت به باهلة؛عُرْبُها ومواليها ، وكتب المنصور إلى المهدىّ وهو يومئذ بالرّىّ يأمره بتوجيه خازم بن خزيمة إلى الأهواز ، فوجّهه المهدىّ — فيما ذُكر — فى أربعة آلاف من الجند، فصار إليها، وحارب بها المغيرة، فانصرف ٣/ ٣٠٦
إلى البصرة ، ودخل خازم الأهواز ، فأباحها ثلاثًا .

وذكر عن الفضل بن العبّاس بن موسى وعمر بن ماهان،أنهما سمعا السندىّ يقول : كنت وصيفًا أيام حرب محمد ، أقوم على رأس المنصور بالمدَبّة ، فرأيته لما كثف أمر إبراهيم وغلُظ ،أقام على مصلى نيّفًا وخمسين ليلة، ينام عليه ويجلس عليه ، وعليه جُبّة ملوّنة قد اتّسخ جَيْبها وما تحت لحيته منها ؛ فما غيّر الجُبّة ،ولا هجرَ المصلّى حتى فتح الله عليه؛إلاّ أنه كان إذا ظهر

للناس علا الجبّة بالسواد، وقعد على فراشه؛ فإذا بطن عاد إلى هيئته . قال : فأتته ريسانة فى تلك الأيام، وقد أهديت له امرأتان من المدينة؛ إحداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيدالله والأخرى أمة[1] الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسـيد بن أبى العيص؛ فلم ينظر إليهما، فقالت: يا أمير المؤمنين؛ إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما، وساءت ظنونهما لما ظهر من جفائك لهما؛ فنهرها، وقال: ليست هذه الأيام من أيام النساء؛ لا سبيل لى إليهما حتى أعلم: أرأس إبراهيم لى أم رأسى لإبراهيم!

وذُكِر أن محمداً وجعفراً ابنى سليمان كتبا إلى أبى جعفر يُعلمانه بعد خروجهما من البَصْرة الخبر فى قطعة جِراب، ولم يقدرا على شىء يكتبان فيه غير ذلك؛ فلما وصل الكتاب إليه؛ فرأى قطعة جِراب بيد الرسول، قال:
٣/٣٠٧ خلع والله أهل البصرة مع إبراهيم، ثم قرأ الكتاب، ودعا بعبد الرحمن الخُتّلىّ وبأبى يعقوب ختَن مالك بن الهيثم، فوجّههما فى خيل كثيفة إليهما، وأمرهما أن يحبساهما حيث لقياهما، وأن يعسكرا معهما، ويسمعا ويطيعا لهما؛ وكتب إليهما يعجّزهما ويضعّفهما ويوبخهما على طمع إبراهيم فى الخروج إلى مِصرِهما فيه، واستتار خبره عنهما، حتى ظهر وكتب فى آخر كتابه:

أَبْلغْ بنى هاشمٍ عَنِّى مُغَلْغَلَةً فاستَيْقِظُوا إنَّ هذا فِعْل نُوّام
تعدو الذِّئاب على من لا كلاب له وتَتَّقى مَرْبِضَ المُسْتَنْفِرِ الحامى

وذكر عن جعفر بن ربيعة العامرىّ عن الحجاج بن قتيبة بن مسلم، قال: دخلت على المنصور أيام حرْب محمد وابراهيم، وقد جاءه فتق البَصْرة والأهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد، وهو ينكت الأرض بمخْصَرته ويتمثّل:

ونصبتُ نفسى للرِّماح دَرِيّةً إن الرئيسَ لمثل ذاك فعول

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أدام إعزازك ونصرك على عدوّك! أنت كما قال الأعشى:

وإنْ حَرْبُهُمْ أُوقِدَتْ بينهمْ فحرَّت لهم بعد إبرادِها[2]

(١) كذا فى د، وفى ط: «أم».
(٢) ديوانه ٧٣ (النموذجية).

وجدتَ صَبُورًا على حَرِّها(١) وكرِّ الحروب وتَرْدادها(٢)

فقال : يا حجاج ، إنّ إبراهيم قد عرف وُعورة جانبي وصعوبة ناحيتي ، وخشونة قرني ؛ وإنما جرّأه على المسيرِ إليّ من البصرة اجتماعُ هذه الكُور المُطِلّة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية ، وقد ٣٠٨/٣ رميت كلّ كورة بحجَرها وكلّ ناحية بسهمها ، ووجّهت إليهم الشهْم(٣) النجْد الميمون المظفّر عيسى بن موسى ، فى كثْرة من العدد والعُدّة ، واستعنت بالله عليه ، واستكفيته إياه ؛ فإنه لا حول ولا قوة لأمير المؤمنين إلا به .

قال جعفر بن ربيعة : قال الحجاج بن قتيبة : لقد دخلتُ على أمير المؤمنين المنصور فى ذلك اليوم مسلِّمًا ، وما أظنّه يقدر على ردّ السلام لتتابع الفُتوق والخُروق عليه والعساكر المحيطة به ، ولمائةُ ألف سيف كامنة له بالكوفة بإزاء عسكره ينتظرون به صَيْحة واحدة فيثبون ؛ فوجدته صقْرًا أحوزِيًّا مشمِّرًا ، قد قام إلى ما نزل به من النوائب يعرُكها ويمرُسها ، فقام بها ولم تقعد به نفسه ؛ وإنه لكما قال الأوّل :

نفْسُ عِصامٍ سوَّدَتْ عصاما وعلَّمتْه الكرَّ والإقْدَاما(٤)

* وصيَّرته مَلِكًا [illegible](٥) *

وذكر أبو عبيدة أنه كان عند يونس [illegible] ، وقد وجّه محمد بن عبد الله [illegible] أبي جعفر [illegible] فقال يونس : قدم [illegible] يريد أن يزيل ملكًا ، فألهته ابنة عمر بن سلمة حتى [illegible] حاوله ، ولقد أهديت التميمية(٦) إلى أبي جعفر فى تلك الأيام [illegible] فتركها بمزجر الكلب ، فما نظر إليها حتى انقضى أمرُ إبراهيم .

وكان إبراهيم تزوّج بعد مقدمه البصرة بمكّة بنت عمر بن سلمة ؛ فكانت ٣٠٩/٣ تأتيه فى [illegible] بغلاتها وألوان ثيابها .

---

(١) الديوان : «على [illegible]» . (٢) الديوان : «وجر الحروب» .
(٣) ج : «الشهم» . (٤) ما نسب إلى النابغة الذبياني ، العقد الثمين ١٧٨ .
(٥) بعده فى العقد الثمين :

* حتّى علَا وجاوزَ الأقوامَا *

(٦) ط : «اليتيمة»

فلما أراد إبراهيم الشخوص نحو أبى جعفر ، دخل — فيما ذكر بشرُ بن سلم — عليه نُمَيلة الطُّهَوِىّ وجماعة من قوّاده من أهل البَصْرة ، فقالوا له : أصلحك الله ! إنك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط ، فأقِمْ بمكانك ، ووجّه الأجناد ، فإن هُزِم لك جند أمددتَهم بجند ، وإن هُزِم لك قائد أمددته بقائد ، فخِيف مكانُك ، واتّقاكَ عدوُّك ، وجُبِيت الأموال ، وثبتتْ وطأتك ؛ ثم رأيُك بعد . فقال الكوفيّون : أصلحك الله ! إن بالكوفة رجالاً لو قد رأوْك ماتُوا دونك ، وإلاّ يروْك تقعد بهم أسبابٌ شتى فلا يأتونك(١) ، فلم يزالوا به حتى شخَص .

وذُكر عن عبد الله بن جعفر المدينىّ ، قال : خرجنا مع إبراهيم إلى باخَمْرَى ، فلمّا عسكرنا أتانا ليلة من الليالى ، فقال : انطلق بنا نطفْ فى عسكرنا . قال : فسمع أصوات طَنابير وغناء فرجع ، ثم أتانى ليلة أخرى فقال : انطلق بنا ، فانطلقتُ معه ، فسمع مثل ذلك فرجع وقال : ما أطمع فى نصر عسكر فيه مثل هذا .

وذُكر عن عفان بن مسلم الصفار ، قال : لمّا عسكر إبراهيمُ افترض معه رجال من جيراننا ، فأتيت معسكَره ، فحزَرتُ أنّ معه أقلّ من عشرة آلاف. فأما داود بن جعفر بن سليمان ، فإنه قال : أُحصِىَ فى ديوان إبراهيم من أهل البصرة مائة ألف . ووجّه أبو جعفر عيسى بن موسى — فيما ذكر إبراهيمُ بن
٣١٠/٣ موسى بن عيسى — فى خمسة عشر ألفًا ، وجعل على مقدّمته حُميد بن قحطبة على ثلاثة آلاف . فلما شخص عيسى بن موسى نحو إبراهيم سار معه — فيما ذكر — أبو جعفر حتى بلغ نهر البصريّين ، ثم رجع أبو جعفر ، وسار إبراهيم من معسكره بالماخور من خُرَيبة البصرة نحو الكوفة .

فذكر بعض بنى تيم الله عن أوس بن مهلهل القطعىّ ، قال : مرّ بنا إبراهيم فى طريقه ذلك ، ومنزلنا بالقباب التى تدعى قباب أوْس ، فخرجتُ أتلقّاه مع أبى وعمىّ ، فانتهينا إليه وهو على برْذون له يرتاد منزلا من الأرض ، قال : فسمعته يتمثّل أبياتًا للقُطامىّ :

---

(١) ج : « يأمنونك » .

أمورٌ لو تدَبّرها حَلِيمٌ[1] إذًا لنَهَى وهَيَّبَ ما استَطَاعا
ومعْصِيَةَ الشفيق عليك ممّا[2] يزيدك مرةً منه اسماعا
وخيْرُ الأمر ما استقبلتَ منه وليس بأَن تَتَبَعه اتّباعَا
ولكنَّ الأَدِيمَ إذا تفرَّى بِلًى وتعيُّباً غلب الصَّناعا

فقلت للذى معى : إنى لأسمع كلامَ رجل نادم على مسيره . ثم سار فلما بلغ كرخثا قال له ــ فيما ذكر عن سليمان بن أبى شيخ عن عبد الواحد بن زياد بن لبيد ــ إن هذه بلادُ قومى ، وأنا أعلم بها ، فلا تقصد قصْد عيسى بن موسى ، وهذه العساكر التى وُجّهتْ إليك ، ولكنى أسلك بك إن تركتَنى طريقًا لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت معه بالكوفة . فأبى عليه . قال : فإنا معشر ربيعة أصحاب بيات ، فدعنى أبيّت أصحاب عيسى بياتًا ، قال: ٣/٣١١
إنى أكره البيَات .

وُذكر عن سعيد بن هريم أنّ أباه أخبره ، قال : قلت لإبراهيم : إنك غير ظاهر على هذا الرجل حتّى تأخذ الكوفة ، فإن صارت لك مع تحصّنه بها لم تقم له بعدها قائمة ، ولى بعدُ بها أهيْلٌ ، فدعنى أسرْ إليها مختفيًا فأدعو إليك فى السرّ ثم أجهر ؛ فإنهم إن سمعوا داعيًا إليك أجابوه ، وإن سمع أبو جعفر الهيْعة بأرجاء الكوفة لم يردّ وجهه شىء دون حُلوان . قال : فأقبل على بشير الرحّال ، فقال : ما ترى يا أبا محمد ؟ قال : إنا لو وثقنا بالذى تصِف لكان رأيًا ؛ ولكنّا لا نأمن أن تجيبك منهم طائفة ، فيرسل إليهم أبو جعفر خيلاً فيطأ البرىء والنّطِف[3] والصّغير والكبير ؛ فتكون قد تعرّضْت لمأثم ذلك ، ولم تبلغ منه ما أمّلتَ . فقلتُ لبشير : أخرجت حين خرجت لقتال أبى جعفر وأصحابه ؛ وأنت تتوقّى قتل الضّعيف والصغير والمرأة والرجل ؛ أوَ ليس قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجّه السرّية فيقاتل فيكون فى ذلك نحو ما كرهت ! فقال : إنّ أولئك كانوا مشركين كلهم ، وهؤلاء أهلُ ملّتنا

(١) ط : « يدبرها » .
(٢) ط : « الشقيق » .
(٣) النطف : الرجل المريب المتهم .

ودعوتنا وقبلتنا ، حكمُهم غير حكم أولئك ؛ فاتبع إبراهيم رأيه ولم يأذن له ، وسار إبراهيم حتى نزل باخَمْرَى.

وذكر خالد بن أسيد الباهليّ أنه لما نزلها أرسل إليه سلْم بن قتيبة حكيم ابن عبد الكريم : إنك قد أصْحَرْت ، ومثلك أنفسُ به عن الموت ، فخندِق على نفسك حتى لا تؤتَى إلا من مأتًى واحد ، فإن أنت لم تفعل فقد أعرى[1]
٣١٢/٣ أبو جعفر عسكرَه ، فتخفّفْ فى طائفة حتى تأتيَه فتأخذ بقفاه .

قال : فدعا إبراهيم أصحابَه ، فعرض ذلك عليهم ، فقالوا : نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم ! لا والله لا نفعل . قال : فنأتيه ؟ قالوا : ولِمَ وهو فى أيدينا متى أردناه ! فقال إبراهيم لحكيم : قد تسمع ، فارجع راشداً .

فذكر إبراهيم بن سلم[2] أنّ أخاه حدّثه عن أبيه ، قال : لما التقينا صفّ لهم أصحابُنا ، فخرجت[3] من صفهم ، فقلت لإبراهيم : إن الصّفّ إذا انهزم بعضه تداعَى ، فلم يكن لهم نظام ، فاجعلهم كراديس ، فإن انهزم كُرْدوس ثبت كردوس ، فتنادوا[4] : لا ، إلا قتال أهل الإسلام[4] يريدون قوله تعالى : ﴿ يُقاتلون فى سَبيلِه صفًّا ﴾[5] .

وذكر يحيى بن شكر مولى محمد بن سليمان ، قال : قال المضاء : لما نزلنا باخَمْرَى أتيتُ إبراهيم فقلت له : إن هؤلاء القوم مصبّحوك بما يسدّ عليك مغرب الشمس من السلاح والكُراع ، وإنما معك رجال عُراة من أهل البصرة ، فدعنى أبيّته ، فوالله لأشتّتَنّ جموعه ، فقال : إنى أكره القَتْل ، فقلت : تريد المُلْك وتكره القتل !

وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنى ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : لما بلغَ إبراهيمَ قتلُ أخيه محمد بن عبد الله ، خرج يريد أبا جعفر المنصور بالكُوفة ، فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى يعلِمه ذلك ، ويأمره أن يُقبِل إليه ؛ فوافاه رسول أبى جعفر وكتابهُ – وقد أحرم بعمرة – فرفضها ،
٣١٣/٣ وأقبل إلى أبى جعفر ، فوجّهه فى القوّاد والجند والسلاح إلى إبراهيم بن عبد الله .

---

(١) ابن الأثير : « أغرى » . (٢) ب : « سالم » .
(٣) ب : « فخرجنا بين صفهم » .
(٤ – ٤) ابن الأثير : « لا تصف إلا صف أهل الإسلام » . (٥) سورة الصف ٤ .

وأقبل إبراهيم ومعه جماعة كثيرة من أفناء الناس ؛ أكثر من جماعة عيسى ابن موسى ، فالتقوْا بباخَمْرَى - وهى على ستة عشر فرسخًا من الكوفة - فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ، وانهزم حُميد بن قحطبة - وكان على مقدّمة عيسى بن موسى - وانهزم الناس معه ، فعرض لهم عيسى بن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوُون عليه ، ومرّوا[1] منهزمين . وأقبل حُميد بن قحطبة منهزمًا ؛ فقال له عيسى بن موسى : يا حُميد ، الله الله والطاعة[2] ! فقال : لا طاعةَ فى الهزيمة . ومرّ الناس كلهم حتى لم يبقَ منهم أحد بين يدىْ عيسى بن موسى ، وعسكر إبراهيم بن عبد الله ، فثبت عيسى بن موسى فى مكانه الذى كان فيه لا يزول ، وهو فى مائة رجل من خاصّته وحَشَمه ؛ فقيل له : أصلح الله الأمير ! لو تنحّيت عن هذا المكان حتى يثوب إليك الناس فتكرّ بهم ! فقال : لا أزول عن مكانى هذا أبداً حتى أقتَل أو يفتح الله على يدى ؛ ولا يقال : انهزم .

وذكر عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علىّ أنّ إسحاق بن عيسى بن علىّ حدّثه أنه سمع عيسى بن موسى يحدّث أباه أنه قال : لما أراد أمير المؤمنين توجيهى إلى إبراهيم ، قال : إنّ هؤلاء الخبثاء - يعنى المنجّمين - يزعمون أنك لاقٍ الرجلَ ، وأن لك جولةً حين تلقاه ، ثم يفىء إليك أصحابك ، وتكون العاقبة لك . قال : فوالله لكان كما قال ؛ ما هو إلاّ أن التقيْنا فهزمونا ، فلقد رأيتُنى وما معى إلا ثلاثة أو أربعة ؛ فأقبل علىّ مولًى لى - كان ممسكاً بلجام دابتى - فقال : جُعلت فداك ! علامَ تقيم وقد ذهب أصحابك ! ٣/ ٣١٤
فقلت : لا والله ، لا ينظر أهل بيتى إلى وجهى أبداً وقد انهزمتُ عن عدوّهم . قال : فوالله لكان أكثر[3] ما عندى أن جعلت أقول لمن مرّ بى ممن أعرف من المنهزمين : أقرِئوا أهل بيتى منى السلام ، وقولوا لهم : إنى لم أجد فداءً أفديكم به أعزّ علىّ من نفسى ، وقد بذلتُها دونكم . قال : فوالله إنا لعلى ذلك والناس منهزمون ما يلوى أحدٌ على أحد . وصمد ابنا سليمان : جعفر ومحمد لإبراهيم ، فخرجا عليه من ورائه ، ولا يشعر مَنْ بأعقابنا من أصحاب إبراهيم ؛ حتى نظر

(١) ب : « ويمرون » . (٢) ج : « فى الطاعة » .
(٣) ب : « أكبر » .

بعضهم إلى بعض ؛ وإذا القتال من ورائهم ، فكرّوا نحوه ، وعقّبنا فى آثارهم راجعين ؛ فكانت إياها . قال : فسمعت عيسى بن موسى يومئذ يقول لأبى : فوالله يا أبا العباس ؛ لولا ابنا سليمان يومئذ لافتضحنا ؛ وكان مِنْ صنع الله أنّ أصحابنا لما انهزموا يومئذ اعترضَ لهم نهر ذو ثنيّتين مرتفعتين ، فحالتا بينهم وبين الوثوب ؛ ولم يجدوا مخاضة ، فكرّوا راجعين بأجمعهم .

فذُكر عن محمد بن إسحاق بن مِهران، أنه قال : كان بباخَمْرى ناسٌ من آل طلحة فخرُوها على إبراهيم وأصحابه ، وبثقُوا الماء ، فأصبح أهل عسكره مرتطمين فى الماء . وقد زعم بعضهم أن إبراهيم هو الذى مخرَ ليكون[1] قتاله من وجه واحد؛ فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار ، فلما انهزم أصحاب
٣/٣١٥ إبراهيم ثبت إبراهيم وثبتَ معه جماعة من أصحابه يقاتلون دونه ، اختلف فى مبلغ عدّدهم[2] ، فقال بعضهم : كانوا خمسمائة ، وقال بعضهم : كانوا أربعمائة ، وقال بعضهم : بل كانوا سبعين .

فحدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : لما انهزم أصحاب عيسى بن موسى وثبت عيسى مكانه ، أقبل إبراهيم بن عبد الله فى عسكره يدنُو ويدنو غبارُ عسكره ؛ حتى يراه عيسى ومَنْ معه ؛ فبيناهم على ذلك إذا فارس قد أقبل وكرّ راجعاً يجرى نحو إبراهيم ، لا يعرّج على شىء ؛ فإذا هو حُميد بن قحطبة قد غيّر لأمته ، وعصّب رأسه بعصابة صفراء ، فكرّ الناس يتبعونه حتى لم يبق أحدٌ ممن كان انهزم إلا كرّ راجعاً ، حتى خالطوا القوم ، فقاتلوهم قتالا شديداً حتى قَتل الفريقان بعضهم بعضاً ، وجعل حُمَيد بن قحطبة يرسل بالرءوس إلى عيسى بن موسى إلى أن أُتِىَ برأس ومعه جماعة كثيرة وضجة وصياح ، فقالوا : رأس إبراهيم بن عبد الله ؛ فدعا عيسى ابن موسى بن أبى الكرام الجعفرىّ ، فأراه إياه ، فقال : ليس هذا ؛ وجعلوا يقتتلون يومهم ذلك ؛ إلى أن جاء سهم عائر لا يُدْرَى من رمى به ، فوقع فى حلْق إبراهيم بن عبد الله فنحرَه ، فتنحَّى عن موقفه ، فقال : أنزلونى ، فأنزلوه

(١) ج : « أن يكون قتالهم » .
(٢) ج : « عدتهم » .

عن مركبه ، وهو يقول : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مقدوراً ﴾[١] ، أردنا أمرًا وأراد الله غيره ؛ فأنزِل إلى الأرض وهو مثخَن ، واجتمع عليه أصحابه وخاصّته يحمونه ويقاتلون دونه ، ورأى حُميد بن قحطبة اجتماعهم ، فأنكرهم فقال لأصحابه : شدّوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم ، وتعلموا ما اجتمعوا عليه ، ٣/٣١٦
فشدّوا عليهم ، فقاتلوهم أشدّ القتال حتى أفرجوهم عن إبراهيم ، وخلصوا إليه فحزّوا رأسه ؛ فأتوا به عيسى بن موسى ، فأراه ابنَ أبى الكرام الجعفرىّ ، فقال : نعم ؛ هذا رأسه ، فنزل عيسى إلى الأرض فسجد ، وبعث برأسه إلى أبى جعفر المنصور ، وكان قتلُه يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائة . وكان يوم قُتل ابن ثمان وأربعين سنة ، ومكث منذ خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام .

وذكر عبد الحميد أنه سأل أبا صلابة : كيف قُتِل إبراهيم ؟ قال : إنى لأنظر إليه واقفًا على دابّة ينظر إلى أصحاب عيسى قد ولّوا ومنحوه أكتافهم ، ونكص عيسى بدابته القهقرى وأصحابه يقتلونهم ، وعليه قباء زرَد[٢] ، فآذاه الحرّ ، فحلّ أزرار قبائه ، فشال الزّرد حتى سال عن ثدييه ، وحسر عن لبّته ، فأتته نُشّابة عائرة[٣] ، فأصابته فى لبّته ، فرأيته اعتنق فرسه ، وكرّ راجعًا ، وأطافت به الزيديّة .

وذكر إبراهيم بن محمد بن أبى الكرام ؛ قال : حدّثنى أبى ، قال : لما انهزم أصحاب عيسى تبعتْهم رايات إبراهيم فى آثارهم ، فنادى منادى إبراهيم : ألا لا تتّبعوا مدبرًا ؛ فكرّت الرايات راجعةً ، ورآها أصحاب عيسى فخالوهم انهزموا ، فكرّوا فى آثارهم ؛ فكانت الهزيمة .

وذكر أن أبا جعفر لما بلغته جولةُ أصحاب عيسى عزم على الرحيل إلى ٣/٣١٧
الرّىّ ، فذكر سلم بن فرقد حاجب سليمان بن مجالد ، أنه قال : لما التقوْا هُزم أصحاب عيسى هزيمة قبيحةً حتى دخل أوائلهم الكوفة ؛ فأتانى صديق لى كوفىّ ، فقال : أيّها الرجل ، تعلّمْ والله لقد دخل أصحابك الكوفة ؛ فهذا

(١) سورة الأحزاب ٣٨ (٢) زرد ؛ أى مزرود .
(٣) النشابة ، واحدة النشاب وهو النبل . والعائر : ما لا يدرى راميه .

أخو أبي هريرة فى دار فلان ، وهذا فلان فى دار فلان؛ فانظر لنفسك وأهلك ومالك ؛ قال : فأخبرت بذلك سليمانَ بن مجالد، فأخبر به أبا جعفر ، فقال: لا تكشفنّ من هذا شيئًا ولاتلتفتنّ إليه؛ فإنّى لا آمن أن يهجم علىّ ما أكره، وأعْدِدْ على كلّ باب من أبواب المدينة إبلاً ودوابّ؛ فإن أتينا من ناحية صرنا إلى الناحية الأخرى. فقيل لسلم: إلى أين أراد أبو جعفر يذهب إن دهمه أمر؟ قال : كان عزم على إتيان الرىّ ، فبلغنى أن نيبخت المنجّم دخل على أبى جعفر ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ، الظَّفَرُ لك ، وسيُقتل إبراهيم ، فلم يقبل ذلك منه ، فقال له : احبسنى عندك ، فإن لم يكن الأمر كما قلت لك فاقتلنى ، فبينا هو كذلك إذ جاءه الخبر بهزيمة إبراهيم ، فتمثّل ببيت معقّر بن أوْس ابن حمار البارقىّ :

فألقتْ عَصَاها واستقرّتْ بها النّوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[١]

٣١٨/٣ فأقطع أبو جعفر نيبخت ألفى جريب بنهر جَوْبر ؛ فذكر أبو نعيم الفضل ابن دكين أن أبا جعفر لما أصبح من الليلة التى أُتِيَ فيها برأس إبراهيم — وذلك ليلة الثلاثاء لخمس بقين من ذى القعدة — أمر برأسه فنُصب رأسه فى السوق .

وذكر أن أبا جعفر لما أُتِيَ برأسه فوُضع بين يديه بكَى حتى قطرت دموعه على خدّ إبراهيم ، ثم قال : أما والله إن[٢] كنتُ لهذا لكارهًا ، ولكنّك ابتليتَ بى وابتليتُ بك .

وذكر عن صالح مولى المنصور أنّ المنصور لما أُتِيَ برأس إبراهيم بن عبد الله وضعه بين يديه ، وجلس مجلساً عامًّا ، وأذن للناس ، فكان الدّاخل يدخل فيسلّم ويتناول إبراهيم فيسيء القول فيه ، ويذكر منه القبيح ، التماسًا لرضا أبى جعفر ، وأبو جعفر ممسكٌ متغيّر لونه ؛ حتى دخل جعفر بن حنظلة البهرانىّ ، فوقف فسلّم ، ثم قال : عظّم الله أجرك يا أمير المؤمنين فى ابن عمّك ،

(١) البيت بهذه النسبة فى اللسان (عصا) ؛ ونقل عن ابن برى أنه لعبدون السلمى ، ويقال لسليم بن ثمامة الحنفى قال ؛ وأول الشعر :

تذكَّرتُ من أُمّ الحويرث بعدمَا مضت حججٌ ، وذو الشوق ذاكرُ

(٢) ابن الأثير : « إنى » .

وغفر له ما فرّط[١] فيه من حقك! فاصفرّ لونُ أبى جعفر وأقبل عليه، فقال: أبا خالد، مرحباً وأهلاً ها هنا! فعلم الناس أن ذلك قد وقع منه، فدخلوا فقالوا مثل ما قال جعفر بن حنظلة.

* * *

وفى هذه السنة خرجت الترك والخزَر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينيَة جماعة كثيرة.

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة السرىّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب. وكان عاملَ أبى جعفر على مكة.

وكان والى[٢] المدينة فى هذه السنة عبد الله بن الربيع الحارثىّ، ووالى الكوفة وأراضيها عيسى بن موسى، ووالى البصرة سلْم بن قتيبة الباهلىّ. وكان على قضائها عبّاد بن منصور، وعلى مصر يزيد بن حاتم. ٣/٢١٩

(١) ب: «فيها».
(٢) ج: «عامل».

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[خبر استتمام بناء بغداد وتحوّل أبي جعفر إليها]

فممّا كان فيها من ذلك استتمامُ أبي جعفر مدينتَه بغداد ؛ ذكر محمد بن عمر أنّ أبا جعفر تحوّل من مدينة ابن هُبيرة إلى بغداد في صفر سنة ستّ وأربعين ومائة ، فنزلها وبنى مدينتها .

* ذكر الخبر عن صفة بنائه إياها :

قد ذكرنا قبلُ السببَ الباعث كان لأبي جعفر على بنائها ، والسبب الذى من أجله اختار البُقْعة التي بنَى فيها مدينته ، ونذكر الآن صفة بنائه إياها .

ذُكِر عن رشيد أبي داود بن رَشيد أنّ أبا جعفر شخص إلى الكوفة حين بلغه خروجُ محمد بن عبد الله ، وقد هيّأ لبناء مدينة بغداد ما يحتاج إليه من خَشب وساج وغير ذلك ؛ واستخلف حين شخص على إصلاح ما أعدّ لذلك مولًى له يقال له أسلم ؛ فبلغ أسلم أنّ إبراهيم بن عبد الله قد هزم عسكر أبي جعفر ، فأحرق ما كان خلّفه عليه أبو جعفر من ساجٍ وخشب ؛ خوفًا أن يؤخذ منه ذلك ؛ إذا غُلب مولاه ؛ فلما بلغ أبا جعفر ما فعل من ذلك مولاه أسلم كتب إليه يلومه على ذلك ؛ فكتب إليه أسلم يخبر أنه خاف أن يظفر بهم إبراهيم فيأخذه ، فلم يقل له شيئًا . ٣/٣٢٠

وذُكِر عن إسحق بن إبراهيم الموصليّ ، عن أبيه ، قال : لما أراد المنصور بناء مدينة بغداد ، شاور أصحابه فيها ؛ وكان ممّن شاوره فيها خالد بن برمك ، فأشار بها ؛ فذكِرَ عن عليّ بن عصمة أن خالد بن برمك خطّ مدينة أبي جعفر له ، وأشار بها عليه ؛ فلما احتاج إلى الأنقاض ، قال له : ما ترى في نقض بناء مدينة إيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينتي هذه ؟ قال : لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : ولمَ ؟ قال : لأنه علَمٌ من أعلام الإسلام، يستدلّ به الناظر إليه على أنه لم يكن ليُزالَ مثل أصحابه عنه بأمر دنيا ؛ وإنما

هو على أمر دين ؛ ومع هذا يا أمير المؤمنين ؛ فإن فيه مصلّى علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه ، قال : هيهات يا خالد ! أبيتَ إلا الميل إلى أصحابك العجم ! وأمر أن يُنقَض القصر الأبيض ، فنُقِضت ناحية منه ، وحمِل نقضه ، فنظر فى مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عُمل ، فرُفع ذلك إلى المنصور ؛ فدعا بخالد بن برمك ، فأعلمه ما يلزمهم فى نقضه وحمله ، وقال : ما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، قدْ كنت أرى قبل ألاّ تفعل ، فأما إذ فعلتَ فإنى أرى أن تهدم الآن حتى تلحق بقواعده ؛ لئلا يقال : إنك قد عجزت عن هدمه . فأعرض المنصور عن ذلك، وأمر ٣/٣٢١ ألاّ يهدم . فقال موسى بن داود المهندس : قال لى المأمون — وحدّثنى بهذا الحديث : يا موسى إذا بنيتَ لى بناء فاجعله[1] ما يعجز عن هدمه ليبقى[2] طللُه ورسْمه .

وذكر أنّ أبا جعفر احتاج إلى الأبواب للمدينة ؛ فزعم أبو عبد الرحمن الهمانىّ أن سليمان بن داود كان بنى مدينةً بالقرب من موضع بناء الحجاج واسطاً يقال لها الزَّنْدورد ، واتّخذت له الشياطينُ لها خمسة أبواب من حديد لا يمكن الناس اليوم عملُ مثلها ، فنصبها عليها ، فلم تزلْ عليها إلى أن بنى الحجاج واسطاً، وخربت تلك المدينة ، فنقل الحجاجُ أبوابها فصيّرها على مدينته بواسط ، فلمّا بنى أبو جعفر المدينة أخذ تلك الأبواب فنصبها على المدينة ؛ فهى عليها إلى اليوم . وللمدينة ثمانية أبواب : أربعة داخلة وأربعة خارجة ؛ فصار على الداخلة أربعة أبواب من هذه الخمسة ، وعلى باب القصر الخارج الخامس منها ، وصيّر على باب خراسان الخارج باباً جىء به من الشأم من عمل الفراعنة ، وصيرّ على باب الكوفة الخارج باباً جىء به من الكوفة ، كان عمله خالد بن عبد الله القسرىّ، وأمر باتّخاذ باب لباب الشأم ، فعُمل ببغداد ، فهو أضعف الأبواب كلها . وبنيت المدينة مدوّرة لئلا يكون الملك إذا نزل وسطَها إلى موضع منها أقرب منه إلى موضع ، وجعل أبوابها أربعة ؛ على تدبير العساكر فى الحروب ؛ وعمِل لها سوريْن ، فالسور الداخل أطول من السور الخارج ،

---

(١) ب : « فاجعل » . (٢) ج : « فيبقى » .

وبنى قصره فى وسطها ، والمسجد الجامع حول القصر .

٣٢٢/١ وذُكِر أنّ الحجاج بن أرطاة هو الذى خطّ مسجد جامعها بأمر أبى جعفر ، ووضع أساسه . وقيل إن قبلتَها على غير صواب وإنّ المصلِّى فيه يحتاج أن ينحرف إلى باب البصرة قليلا ، وإن قبلة مسجد الرُّصافة أصوب من قبلة مسجد المدينة ؛ لأنّ مسجد المدينة بنى على القصر ، ومسجد الرّصافة بُنِى قبل القصر وبُنِى القصر عليه ؛ فلذلك صار كذلك .

وذكر يحيى بن عبد الخالق أنّ أباه حدّثه أن أبا جعفر ولّى كلّ ربع من المدينة قائداً يتولى الاستحثاث على الفراغ من بناء ذلك الرُّبع .

وذكر هارون بن زياد بن خالد بن الصلت ، قال : أخبرنى أبى ، قال : ولّى المنصور خالد بن الصلت النفقة على رُبع من أرباع المدينة وهى تبنى . قال خالد : فلما فرغتُ من بناء ذلك الرُّبع رفعت إليه جماعة النفقة عليه ، فحسبها بيده ، فبقى علىّ خمسة عشر درهمًا ، فحبسنى بها فى حبس الشرقية أيامًا حتى أدّيتُها ، وكان اللبِن الذى صُنع لبناء المدينة اللبِنة منها ذراعٌ فى ذراع .

وذكر عن بعضهم أنه هدم من السور الذى يلى باب المحوّل قطعة فوجد فيها لبِنة مكتوبًا عليها بمُغْرة وزنها مائة وسبعة عشر رطلاً . قال : فوزنّاها فوجدناها على ما كان مكتوبًا عليها من الوزن . وكانت مقاصير جماعة من قوّاد أبى جعفر وكتابه تشرع أبوابها إلى رَحَبة المسجد .

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق؛ خال الفضل بن الربيع ، أنّ عيسى بن علىّ شكا إلى أبى جعفر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن المشى يشقّ

٣٢٣/٣ علىّ من باب الرّحبة إلى القصر ، وقد ضعفت . قال : فتحمـَّل فى محفّة ، قال : إنى أستحيى من الناس ، قال : وهل بقى أحدٌ يستحيـَا منه ! قال : يا أمير المؤمنين ، فأنزلنى منزلة راوية من الروايا ، قال : وهل يدخل المدينة راوية أو راكب ؟ قال : فأمر الناس بتحويل أبوابهم إلى فُصْلان الطاقات ؛ فكان لا يدخل الرّحبة أحد إلاّ ماشيًا . قال : ولمـّا أمر المنصور بسدّ الأبواب ممّا يلى الرحبة وفتحها إلى الفُصْلان صيرت الأسواق فى طاقات المدينة الأربع ،

فى كلّ واحد سوق ، فلم تزل على ذلك مدّة حتى قدم عليه بطريق من بطارقة الرُّوم وافداً ، فأمر الرّبيعَ أن يطوف به فى المدينة وما حولها ليرى العمران والبناء ، فطاف به الرّبيع ، فلمّا انصرف قال : كيف رأيتَ مدينتى — وقد كان أصعد إلى سور المدينة وقباب الأبواب ؟ قال : رأيتُ بناء حسناً ؛ إلاّ أنى قد رأيتُ أعداءك معك فى مدينتك[1] ، قال : ومَنْ هم ؟ قال : السوقة ، قال : فأضبّ عليها أبو جعفر ، فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوق من المدينة ، وتقدّم إلى إبراهيم بن حُبيش الكوفىّ ، وضمّ إليه جوّاس بن المسيّب اليمانىّ مولاه ، وأمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ ، ويجعلاها صفوفاً وبيوتاً لكل صنف ؛ وأن يدفعاها إلى الناس . فلما فعلا ذلك حوّل السوق من المدينة إليها ، ووضع عليهم الغلة على قدر الذّرْع[2] ؛ فلما كثر الناس بنوْا فى مواضع من الأسواق لم يكن[3] رغب فى البناء فيها إبراهيم بن حبيش وجوّاس ، لأنها لم تكن على تقديم الصُّفوف من أموالهم ؛ فألزِموا من الغلة أقلّ مما ألزِم الذين نزلوا فى بناء السلطان . ٣ / ٣٢٤

وذكر بعضهم أن السبب فى نقل أبى جعفر التجار من المدينة إلى الكَرْخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة ، أنه قيل لأبى جعفر : إنّ الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ، ولا يؤمن أن يكون فيهم جَواسيس ، ومَنْ يتعرّف الأخبار ؛ أو أن يفتح أبواب المدينة ليلاً لموضع السوق ، فأمر بإخراج السوق من المدينة وجعلها للشُّرَط والحرَس ، وبنى للتجار بباب طاق الحرّانىّ وباب الشأم والكرخ .

وذُكِر عن الفضل بن سليمان الهاشمىّ ، عن أبيه ، أنّ سبب نقله الأسواق مِن مدينة السلام ومدينة الشرقيّة إلى باب الكَرْخ وباب الشعير وباب المحوّل ؛ أنّ رجلاً كان يقال له أبو زكرياء يحيى بن عبد الله ، ولاّه المنصور حِسْبة بغداد والأسواق سنة سبع وخمسين ومائة ، والسوق فى المدينة ؛ وكان المنصور يتبع مَنْ خرج مع محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن حسن . وقد كان لهذا المحتسب معهم سبب ، فجمع على المنصور جماعة استغواهم من السفلة ، فشغَبوا واجتمعوا ، فأرسل المنصور إليهم أبا العباس الطوسىّ فسكّنهم ، وأخذ

---

(١) ب : « بيتك » . (٢) ج : « الذراع » (٣) ج : « ولم يكن ».

أبا زكرياء فحبسه عنده ، فأمره أبو جعفر بقتله ، فقتله بيده حاجبٌ كان لأبى العباس الطوسىّ يقال له موسى ، على باب الذهب فى الرّحبة بأمر المنصور ، وأمر أبو جعفر بهدم ما شَخَص من الدُّور فى طريق المدينة ، ووضع الطريق على مقدار أربعين ذراعاً ، وهدم ما زادعلىذلك المقدار ، وأمر بنقل الأسواق إلى الكرْخ .

٣/٣٢٥ وذكر عن أبى جعفر أنه لما أمربإخراج التجار من المدينة إلى الكَرْخ كلمه أبان بن صَدَقة فى بقّال ، فأجابه إليه على ألاّ يبيع إلا الخلّ والبقْل وحده ، ثم أمر أن يجعل فى كلّ رُبع بقّال واحد على ذلك المثال .

وذكِر عن علىّ بن محمد أن الفضل بن الربيع ،حدّثه أن المنصورلما فرغ من بناء قصره بالمدينة ، دخله فطاف فيه ، واستحسنه واستنظفه ، وأعجبه ما رأى فيه ؛ غير أنه استكثر ما أنفق عليه . قال : ونظر إلى موضع فيه استحسنه جدًّا ، فقال لى : اخرج إلى الرّبيع فقل له : اخرج إلى المسيّب ، فقل له : يحضرنى الساعه بنّاء فارهًا . قال : فخرجتُ إلى المسيّب فأخبرته ، فبعث إلى رئيس البنائين فدَعاه ، فأدخله على أبى جعفر ؛ فلمّا وقف بين يديه قال له : كيف عملت لأصحابنا فى هذا القصر ؟ وكم أخذت من الأجرة لكل ألف آجُرَّة ولبِنة ؟ فبقى البنّاء لا يقدر على أن يرُدّ عليه شيئًا ، فخافه المسيّب ، فقال له المنصور : مالك لا تكلّمُ ! فقال : لا علم لى يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! قل وأنت آمن مِنْ كلّ ما تخافه . قال : يا أميرَ المؤمنين ، لا والله ما أقف عليه ولا أعلمه . قال : فأخذ بيده ، وقال له : تعال ،لاعلّمك الله خيراً ! وأدخله الحجرة التى استحسنها ، فأراه مجلساً كان فيها ، فقال له : انظر إلى هذا المجلس وابْنِ لى بإزائه طاقًا يكون شبيهًا بالبيت ، لا تدخل فيه خشبًا ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فأقبل البنّاءُ وكل مَنْ معه يتعجّبون من فهمه بالبناء والهندسة ، فقال له البنّاء : ما أحْسِنُ أن أجىء به على

٣/٣٢٦ هذا ، ولا أقوم به على الذى تريد ! فقال له : فأنا أعينك عليه ، قال : فأمر بالآجرّ والجِص ، فجىء به ، ثم أقبل يحصى جميع ما دخل فى بناء الطاق من الآجُرّ والجص ؛ ولم يزل كذلك حتى فرغ منه فى يومه وبعض اليوم الثانى ،

فدعا بالمسيّب ، فقال له : ادفع إليه أجْره على حسب ما عمل معك[1] ، قال : فحاسبه المسيّب ، فأصابه خمسة دراهم ؛ فاستكثر ذلك المنصور ، وقال : لا أرضى بذلك ؛ فلم يزل به حتى نقصه دِرْهمًا ، ثم أخذ المقادير ، ونظر مقدار الطاق من الحجرة حتى عرفه ، ثم أخذ الوكلاء والمسيّب يُحملان[2] النفقات ، وأخذ معه الأمناء من البنائين والمهندسين حتى عرّفوه قيمة ذلك ؛ فلم يزل يحسبه شيئًا شيئًا ، وحملهم على ما رفع فى أجرة بناء الطاق ؛ فخرج على المسيّب مما فى يده ستة آلاف درهم ونيّف ، فأخذه بها واعتقله ، فما برح من القصر حتى أدّاها إليه .

وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال : وجدتُ فى خزائن أبى المنصور فى الكتب ، أنه أنفق على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والأسواق والفُصلان والخنادق وقبابها وأبوابها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهمًا ؛ ومبلغها من الفلوس مائة ألف ألف فَلْس وثلاثة وعشرون ألف فَلْس ؛ وذلك أن الأستاذ من البنّائين كان يعمل يومه بقيراط فِضّة ، والروزكارى بحبّتين إلى ثلاث حبّات .

* * *

[ذكر الخبر عن عزل سلم بن قتيبة عن البصرة] ٣٢٧/٣

وفى هذه السنة عزل المنصور عن البصرة سلم بن قتيبة ، وولّاها محمد بن سليمان بن علىّ .

ذكر الخبر عن سبب عزله إياه :

ذكر عبد الملك بن شيبان أنّ يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمىّ ، قال : كتب أبو جعفر إلى سلْم بن قتيبة لما ولاه البصرة : أمّا بعد ، فاهدم دور مَنْ خرج مع إبراهيم ، واعقِر نخلَهم . فكتب إليه سلم : بأىّ ذلك أبدأ ؟ أبالدّور أم بالنخل ؟ فكتب إليه أبو جعفر : أما بعد ، فقد كتبتُ إليك آمرك بإفساد تمْرهم ، فكتبتَ تستأذننى فى أيّةٍ تبدأ به بالبَرْنىّ

(١) ج : « لك » . (٢) ج : « بحساب » .

أم بالشهريز(١) ! وعزله وولّى محمد بن سليمان ، فقدم فعاث .

وذكر عن يونس بن نجدة ، قال : قدم علينا سَلْم بن قتيبة أميراً بعد الهزيمة وعلى شُرطه أبو برقة يزيد بن سلْم ، فأقام بها سلْم أشهراً خمسة ، ثم عزِل ، وولِّىَ علينا محمد بن سليمان .

قال عبد الملك بن شيبان : هدم محمد بن سليمان لما قدم دار يعقوب بن الفضل ، ودار أبى مَرْوان فى بنى يشكُر ، ودار عوْن بن مالك ، ودار عبد الواحد ابن زياد ، ودار الخليل بن الحُصين فى بنى عدىّ ، ودار عفو الله بن سفيان ؛ وعَقَر نخلهم .

* * *

وغزا الصّائفة فى هذه السنة جعفر بن حنظلة البهرانىّ .

وفى هذه السنة عُزِل عن المدينة عبد الله بن الربيع ، ووُلِّىَ مكانه جعفر ابن سليمان ، فقدمها فى شهر ربيع الأول

وعزِل أيضًا فى هذه السنة عن مكة السرىّ بن عبد الله ، ووليها عبدُ الصمد
٣/٣٢٨ ابن علىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، كذلك قال محمد بن عمر وغيره .

تم الجزء السابع من تاريخ الطبرى
ويليه الجزء الثامن ، وأوله : ذكر حوادث سنة سبع وأربعين ومائة

(١) البرنى : ضرب من التمر أصفر ، مدور ؛ وهو أجود التمر ، واحده برنية . والشهريز : ضرب من التمر أيضاً ، فارسى معرب ، ذكره صاحب المعرب ، ولم يذكر وصفه .

فهرس الموضوعات

السنة الرابعة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٧
ذكر الوقعة بين الحرشيّ والسُّغد . . . . . ٧ — ١٢
ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبدَ الرحمن ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولّاه من الأعمال . ١٢ — ١٤
أخبار متفرقة . . . . ١٤ ، ١٥
ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيدَ بن عمرو الحرشيّ عن خراسان . . . . ١٥ — ٢٠
أخبار متفرّقة ٢٠

* * *

السنة الخامسة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢١
ذكر خبر موت يزيد بن عبد الملك . . . . ٢١ ، ٢٢
ذكر بعض سيره وأموره . . . . . . ٢٢ — ٢٤
خلافة هشام بن عبد الملك ٢٥
أخبار متفرقة. . . . . . . ٢٥ ، ٢٦
ذكر ولاية خالد القسريّ على العراق . . . . ٢٦ — ٢٨

* * *

السنة السادسة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث. . . . ٢٩
ذكر الخبر عن الحرب بين اليمانية والمضرية . . . ٣٠ — ٣٢
خبر غزو مسلم بن سعيد الترك . . . . . ٣٢ — ٣٥

حج هشام بن عبد الملك . . . . . . ٣٥ — ٣٧
ولاية أسد بن عبد الله القسرى على خراسان . . . ٣٧ — ٣٩
أخبار متفرقة. ٣٩

* * *

السنة السابعة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث. . . . ٤٠
غزو الغور . . . . ٤٠ ، ٤١
أخبار متفرقة. . . . . . . ٤١ ، ٤٢

* * *

السنة الثامنة بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٣
غزو الختّل . . . . ٤٣ — ٤٥
أخبار متفرقة. ٤٥

* * *

السنة التاسعة بعد المائة

ذكر الأحداث التى كانت فيها ٤٦
خبر مقتل عمر بن يزيد الأسيدى ٤٦
غزو غورين. . . . . . . ٤٦ ، ٤٧
ذكر الخبر عن عزل هشام خالداً القسرىّ وأخاه عن خراسان ٤٧ — ٤٩
ذكر الخبر عن دعاة بنى العباس. . . . ٤٩ — ٥١
ولاية أشرس بن عبد الله على خراسان . . . ٥١ — ٥٣
أخبار متفرقة. ٥٣

* * *

السنة العاشرة بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ٥٤

ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم
في ذلك . . . . ٥٤ — ٦٠
ذكر وقعة كمرجة . . . . ٦٠ — ٦٦
ذكر ردّة أهل كردر ٦٦
أخبار متفرقة ٦٦

* * *

السنة الحادية عشرة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦٧
ذكر السبب الذى من أجله عزل هشام أشرس عن خراسان
واستعماله الجنيد . . . . ٦٧ — ٦٩
أخبار متفرقة ٦٩

* * *

السنة الثانية عشرة بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ٧٠
ذكر خبر قتل الجراح الحكمىّ . . . . . ٧٠ ، ٧١
ذكر وقعة الجنيد مع الترك . . . . . . ٧١ — ٧٥
ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحرّ . . . . ٧٥ — ٨٧
أخبار متفرقة ٨٧

* * *

السنة الثالثة عشرة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٨٨
قتل عبد الوهاب بن بخت ٨٨
أخبار متفرقة . . . . ٨٨ ، ٨٩

* *

السنة الرابعة عشرة بعد المائة

ذكر الأخبار عن الأحداث التى كانت فيها ٩٠
أخبار متفرقة . . . . ٩٠ ، ٩١

* * *

السنة الخامسة عشرة بعد المائة

ذكر الأخبار عما كان فيها من الأحداث . . . ٩٢

* * *

السنة السادسة عشرة بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ٩٣
وفاة الجنيد بن عبدالرحمن وولاية عاصم بن عبدالله خراسان . ٩٣ ، ٩٤
ذكر خلع الحارث بن سريج . . . . . ٩٤ — ٩٨
أخبار متفرقة. ٩٨

* * *

السنة السابعة عشرة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٩٩
ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصماً وتوليته خالداً على خراسان ٩٩ — ١٠٧
أخبار متفرقة. ١٠٧
أمر أسد بن عبد الله مع دعاة بنى العباس . . . ١٠٧ ، ١٠٨

* * *

السنة الثامنة عشرة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث . . ١٠٩
ولاية عمار بن يزيد على شيعة بنى العباس بخراسان . . ١٠٩
ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع أصحابه . . ١٠٩ — ١١١

أخبار متفرقة . . . . ١١١ ، ١١٢

* * *

السنة التاسعة عشرة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١١٣
ذكر غزو الترك ومقتل خاقان . . . . . . ١١٣ – ١٢٨
ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه. . . ١٢٨ – ١٣٠
خبر مقتل بهلول بن بشر . . . . . . ١٣٠ – ١٣٤
ذكر الخبر عن غزوة أسد الختل هـذه الغزوة وسبب قتله
بدر طرخان . . . . ١٣٤ – ١٣٧
ظهور الصحارى بن شبيب الخارجىّ . . . . . ١٣٧ ، ١٣٨
أخبار متفرقة. ١٣٨

* * *

السنة العشرون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٣٩
خبر وفاة أسد بن عبد الله القسرىّ . . . . . ١٣٩ – ١٤١
أمر شيعة بنى العباس بخراسان . . . . . ١٤١ ، ١٤٢
ذكر سبب عزل هشام خالداً . . . . . ١٤٢ – ١٤٧
ذكر الخبر عن عمل هشام فى عزل خالد حين صحّ عزمه على عزله ١٤٧ – ١٥٤
أخبار متفرقة. ١٥٤
ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيار خراسان . . ١٥٤ – ١٥٩
أخبار متفرقة. ١٥٩

* * *

السنة الحادية والعشرون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٦٠
ذكر الخبر عن ظهور زيد بن علىّ . . . . . ١٦٠ – ١٧٣

ذكر الخبر عن غزوة نصر بن سيار ما وراء النهر . . ١٧٣ — ١٧٨
أخبار متفرقة ١٧٨

* * *

السنة الثانية والعشرون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٨٠
خبر مقتل زيد بن علىّ . . . . . . ١٨٠ — ١٩١
أخبار متفرقة ١٩١

* * *

السنة الثالثة والعشرون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٩٢
ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السُّغد . . . ١٩٢
وفادة الحكم بن الصلت على هشام بن عبد الملك . . ١٩٢ ، ١٩٣
ذكر الخبر عما كان بين هشام ويوسف بن عمر . . ١٩٣ — ١٩٧
أخبار متفرقة ١٩٧

* * *

السنة الرابعة والعشرون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ١٩٨
ابتداء أمر أبى مسلم الخراسانى . . . . . ١٩٩ ، ٢٠٠
أخبار متفرقة ٢٠٠

* * *

السنة الخامسة والعشرون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٠٠
خبر وفاة هشام بن عبد الملك ٢٠٠
ذكر الخبر عن العلة التى كانت بها وفاته . . . ٢٠٠ ، ٢٠١

ذكر بعض سير هشام . . . . ٢٠١ — ٢٠٨
أخبار متفرقة. ٢٠٨
خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان . . . ٢٠٨
ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة . . . ٢٠٨ — ٢٢٤
تولية الوليد نصر بن سيار على خراسان وأمره مع يوسف بن عمر . ٢٢٤ — ٢٢٦
تولية الوليد بن يزيد خاله يوسف الثقفىّ على المدينة ومكّة . ٢٢٦ ، ٢٢٧
غزو قبرس . . . . ٢٢٧ ، ٢٢٨
ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن على . . . ٢٢٨ — ٢٣٠

* * *

السنة السادسة والعشرون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة . . . ٢٣١
ذكر بقية أخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك . . . ٢٣١ — ٢٥٤
خبر قتل خالد بن عبد الله القسرىّ . . . . ٢٥٤ — ٢٦١
ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص . . . . ٢٦١ ، ٢٦٢
ذكر اضطراب أمر بنى مروان ٢٦٢
ذكر خلاف أهل حمص . . . . . . ٢٦٢ — ٢٦٦
ذكر خلاف أهل الأردنّ وفلسطين . . . . ٢٦٦ — ٢٧٧
ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور بن جمهور . . ٢٧٧ — ٢٨٠
ذكر مخالفة مروان بن محمد . . . . . ٢٨١ — ٢٨٥
ذكر وقوع الخلاف بين اليمانية والنزارية فى خراسان . . ٢٨٥ — ٢٩٣
خبر الحارث بن سريج مع يزيد بن الوليد . . . ٢٩٣ — ٢٩٥
ذكر بيعة إبراهيم بن الوليد بالعهد ٢٩٥
ذكر خلاف مروان بن محمد على يزيد بن الوليد . . ٢٩٥ — ٢٩٨
ذكر خبر وفاة يزيد بن الوليد . . . . . ٢٩٨ ، ٢٩٩
أخبار متفرقة. ٢٩٩
خلافة أبى إسحاق إبراهيم بن الوليد ٢٩٩

السنة السابعة والعشرون بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٠٠
ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع إبراهيم بن الوليد . . ٣٠٠ — ٣٠٢
ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . . ٣٠٢ — ٣٠٩
ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مرو . . . ٣٠٩ ، ٣١٠
خلافة مروان بن محمد . . . . . . ٣١١ ، ٣١٢
ذكر الخبر عن انتقاض أهل حمص على مروان . . ٣١٢ — ٣١٦
ذكر الأخبار عن خروج الضحاك محكماً ودخوله الكوفة ، ومن
أين كان إقباله إليها . . . . . . ٣١٦ — ٣٢٣
خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد . . ٣٢٣ — ٣٢٩
أخبار متفرقة. ٣٢٩

* * *

السنة الثامنة والعشرون بعد المائة

ذكر خبر قتل الحارث بن سريج بخراسان . . ٣٣٠ — ٣٤٤
ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجيّ. . . . ٣٤٤ — ٣٤٦
ذكر الخبر عن مقتل الخيبرى وولاية شيبان . . . ٣٤٦ ، ٣٤٧
أخبار متفرقة . . . . ٣٤٧ ، ٣٤٨
خبر أبي حمزة الخارجيّ مع عبد الله بن يحيى بن أبي طالب . ٣٤٨

* * *

السنة التاسعة والعشرون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣٤٩
خبر هلاك شيبان بن عبد العزيز الحروريّ . . . ٣٤٩ — ٣٥٣
ذكر إظهار الدولة العباسية بخراسان . . . . ٣٥٣ — ٣٦٣
ذكر تعاقد أهل خراسان على قتال أبي مسلم . . . ٣٦٣ — ٣٦٧

ذكر خبر مقتل الكرمانى . . . . ٣٦٧ – ٣٧١
غلبة عبد الله بن معاوية على فارس . . . . . ٣٧١ – ٣٧٤
مجىء أبى حمزة الخارجىّ الموسم . . . . . . ٣٧٤ – ٣٧٦
أخبار متفرقة ٣٧٦

* * *

السنة الثلاثون بعد المائة

ذكر الأحداث التى كانت بها ٣٧٧
ذكر خبر دخول أبى مسلم مرْو والبيعة بها . . . . ٣٧٧ – ٣٨٥
خبر مقتل شبيب بن سلمة الخارجىّ . . . . . ٣٥٨ – ٣٨٦
ذكر خبر قتل علىّ وعثمان ابنى جديع . . . . ٣٨٦ – ٣٨٨
قدوم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم . . . . ٣٨٨ – ٣٩٠
ذكر قتل نباتة بن حنظلة . . . . . . ٣٩١ – ٣٩٣
ذكر وقعة أبى حمزة الخارجى بقديد . . . . . ٣٩٣ ، ٣٩٤
ذكر خبر دخول أبى حمزة المدينة . . . . . ٣٩٤ – ٤٠٢
أخبار متفرقة. ٤٠٢

* * *

السنة الحادية والثلاثون بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٠٣
ذكر خبر موت نصر بن سيار . . . . . . ٤٠٣ ، ٤٠٤
أمر أبى مسلم مع قحطبة عند نزوله الرىّ. . . . . ٤٠٤ ، ٤٠٥
ذكر خبر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة أصبهان . ٤٠٥ ، ٤٠٦
ذكر خبر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها . . . ٤٠٦ – ٤٠٩
ذكر وقعة شهرزور وفتحها . . . . . . ٤٠٩ ، ٤١٠
أخبار متفرقة . . . . ٤١٠ ، ٤١١

* * *

السنة الثانية والثلاثون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤١٢
ذكر الخبر عن هلاك قحطبة بن شبيب . . . . ٤١٢ — ٤١٧
ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسوّداً . . ٤١٧ — ٤٢٠
خلافة عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس . ٤٢١
ذكر الخبر عن سبب خلافته . . . . . ٤٢١ — ٤٢٩
ذكر بقية الخبر عما كان من الأحداث فى سنة اثنتين وثلاثين
وماثة . . . . ٤٢٩ — ٤٣٢
ذكر هزيمة مروان بن محمد بموقعة الزاب . . . ٤٣٢ — ٤٣٥
ذكر خبر قتل إبراهيم بن محمد بن علىّ الإمام . . ٤٣٥ — ٤٣٧
ذكر الخبر عن قتل مروان بن محمد . . . . ٤٣٧ — ٤٤٣
ذكر الخبر عن تبييض أبى الورد وما آل إليه أمره وأمر من
بيّض معه . . . . ٤٤٣ — ٤٤٥
ذكر خبر خلع حبيب بن مرة المرّىّ ٤٤٦
ذكر خبر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس . . ٤٤٦ — ٤٤٨
ذكر خبر شخوص أبى جعفر إلى خراسان . . . ٤٤٨ — ٤٥٠
ذكر الخبر عن حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط . . ٤٥٠ — ٤٥٧
أخبار متفرقة ٤٥٨

* * *

السنة الثالثة والثلاثون بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث . . . . . ٤٥٩ ، ٤٦٠

* * *

السنة الرابعة والثلاثون بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٦١
ذكر خبر خلع بسام بن إبراهيم . . . . . ٤٦١ ، ٤٦٢

أمر الخوارج مع خزيمة بن خازم وقتل شيبان بن عبدالعزيز . ٤٦٢ — ٤٦٤
ذكر قتال منصور بن جمهور ٤٦٤
أخبار متفرقة . . . . ٤٦٤ ، ٤٦٥

* * *

السنة الخامسة والثلاثون بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٦٦
ذكر خبر خروج زياد بن صالح . . . . ٤٦٦ ، ٤٦٧
أخبار متفرقة. ٤٦٧

* * *

السنة السادسة والثلاثون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٦٨
ذكر قدوم أبى مسلم على أبى العباس . . . . ٤٦٨ ، ٤٦٩
حج أبى جعفر المنصور وأبى مسلم . . . . ٤٦٩ ، ٤٧٠
ذكر الخبر عن موت أبى العباس السفاح . . . ٤٧٠ ، ٤٧١
خلافة أبى جعفر المنصور ٤٧١
أخبار متفرقة . . . . ٤٧١ — ٤٧٣

* * *

السنة السابعة والثلاثون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث . . ٤٧٤
ذكر خبر خروج عبد الله بن علىّ وهزيمته . . . ٤٧٤ — ٤٧٩
ذكر خبر قتل أبى مسلم الخراسانى . . . . ٤٧٩ — ٤٩٤
ذكر خروج سنباذ للطلب بدم أبى مسلم ثم قتله . . ٤٩٥
خروج ملبد بن حرملة الشيبانى . . . . . ٤٩٥ ، ٤٩٦
أخبار متفرقة ٤٩٦

* * *

السنة الثامنة والثلاثون بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٩٧
ذكر خلع جمهور بن مرّار المنصور ٤٩٧
ذكر خبر قتل ملبد الخارجيّ . . . . . ٤٩٧ ، ٤٩٨
أخبار متفرقة ٤٩٩

* * *

السنة التاسعة والثلاثون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٠٠
أخبار متفرقة . . . . ٥٠٠ ، ٥٠١
خبر حبس عبد الله بن عليّ . . . . . . ٥٠١ ، ٥٠٢
أخبار متفرقة أيضاً ٥٠٢

* * *

السنة الأربعون بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ٥٠٣
ذكر هلاك أبي داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار . ٥٠٤
أخبار متفرقة . . . . ٥٠٤ ، ٥٠٥

* * *

السنة الحادية والأربعون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٥٠٥
ذكر الخبر عن خروج الراوندية. . . . . ٥٠٦ – ٥٠٨
ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهديّ إليه . . ٥٠٨ ، ٥٠٩
أخبار متفرّقة . . . . ٥٠٩ – ٥١١

* * *

السنة الثانية والأربعون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥١٢
ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند . . . ٥١٢
ذكر خبر نكث إصبهبذ طبرستان العهد . . . ٥١٢ ، ٥١٣
أخبار متفرقة . . . . ٥١٣ ، ٥١٤

* * *

السنة الثالثة والأربعون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥١٥
غزو الديلم ٥١٥
عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف ٥١٥
عزل حميد بن قحطبة عن مصر ٥١٥
أخبار متفرقة ٥١٦

* * *

السنة الرابعة والأربعون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥١٧
ولاية رياح بن عثمان على المدينة وأمر بني عبدالله بن حسن . ٥١٧ ــ ٥٣٩
ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق . . . ٥٣٩ ــ ٥٤٩
ذكر بقية الخبر عن الأحداث التي كانت في سنة أربع وأربعين
ومائة . . . . ٥٤٩ ــ ٥٥١
أخبار متفرقة ٥٥١

* * *

السنة الخامسة والأربعون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٥٢
ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله . . . ٥٥٢ ــ ٦٠٩

ذكر خبر وثوب السودان بالمدينة . . . . . . ٦٠٩ — ٦١٤
ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد . . . . . . ٦١٤ — ٦٢٢
ذكر الخبر عن ظهور إبراهيم بن محمد ومقتله . . . ٦٢٢ — ٦٤٩
أخبار متفرقة ٦٤٩

* * *

السنة السادسة والأربعون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦٥٠
خبر استتمام بناء بغداد وتحول أبي جعفر إليها . . . ٦٥٠ — ٦٥٥
ذكر الخبر عن عزل سلم بن قتيبة عن البصرة . . ٦٥٥ ، ٦٥٦
أخبار متفرقة ٦٥٦

رقم الإيداع	١٩٧٧/٣٣٠١
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٨٣٥ - ٢

١/٧٨/٤٥٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

Dhakhā'ir Al-'Arab

30

Tārīkh Aṭ-Ṭabarī

Par

Abī Ja'far Mohammad ibn Jarīr Aṭ-Ṭabarī

Tome. VII

Edition Critique

Par

Mohammad Abul Faḍl Ibrāhīm

DAR AL-MAAREF

SERAGELDIN

IS00234